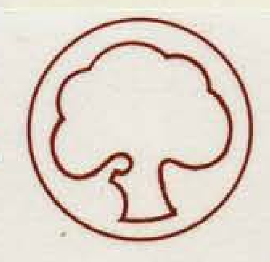
جامعة ابن طفيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
القنيطرة



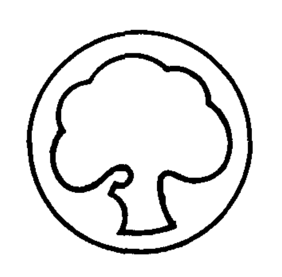
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة
سلسلة: نصوص ووثائق
رقم 2

رسائل موحدية

مجموعة جديدة

تحقيق ودراسة:
أحمد عزاوي

الجزء الأول



جامعة ابن طفيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
القنيطرة

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة
سلسلة: نصوص ووثائق
رقم 2

رسائل موحدية

مجموعة جديدة

(القسم الأول)

تحقيق ودراسة:

أحمد عزاوي

الطبعة الأولى 1416 ــ 1995

تصدير

بصدور كتاب **الرسائل الموحدية** الذي اعتنى بجمع مادته وتحقيقها والتعليق عليها الأستاذ أحمد عزاوي تكون كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة قد نشرت مصدرا ثانيا لتاريخ المغرب بعد كتاب **رحلة الوافد** ضمن سلسلتها نصوص ووثائق، مساهمة بذلك في التعريف بالتراث المغربي، وتسهيل مهمة الباحثين في تاريخه.

وقد سبق للأستاذ ليفي بروفنسال E.Levi-Provençal أن قام بنشر مجموع أول للرسائل الموحدية مبتور الأول والآخر سنة 1941، ولكن ظهور مجاميع جديدة بعد هذا التاريخ تحتوي على رسائل موحدية جعل من الضروري القيام بعمل يحيط بكل ما جد في هذا الموضوع. ويرجع الفضل للأستاذ أحمد عزاوي في القيام بهذا العمل وذلك بجمع عدد مهم من هذه الرسائل الديوانية الموحدية الجديدة وتصنيفها ودراستها ووضع فهارس دقيقة لمحتوياتها، ممهدا بذلك الطريق للباحثين في تاريخ المغرب والأندلس الوسيطيين وخاصة ما يتعلق فيه بسير أجهزة الدولة والنظام السياسي والإجتماعي.

إن نشر النصوص والوثائق التاريخية قد شكل منذ تأسيس الجامعة المغربية الحديثة أحد اسبقياتها في ميدان التراث. فوفر الأداة لنمو البحث العلمي في العلوم الإنسانية ببلادنا، ومهد ولا يزال للتعرف الدقيق على خصوصيات مجتمعنا. ومع ظهور نصوص تاريخية جديدة وجيل جديد من المؤرخين اعتمد تحقيق النصوص والوثائق في أبحاثه العلمية وقع تراكم حميد في هذا الميدان. إلا أن الكثير من هذه النصوص والوثائق التراثية بامكانياتها المتواضعة ناتج عن هذه الوضعية الخاصة التي تقف حاجزا أمام انتشار المعرفة، وايماننا الراسخ بأن مستقبلنا رهين بعملنا واجتهادنا ومعرفتنا الجيدة بماضينا ومقومات حضارتنا.

الأستاذ العربي مزين
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بالقنيطرة

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة

لم تعد كتابة التاريخ تعتمد على التآليف المعروفة بالحوليات التاريخية فحسب، ولكنها أصبحت ترجع إلى أنواع من المراجع المتعددة، والمصادر المختلفة، وإذا كانت «الحوليات» تعتبر هي المصادر الأولى أو الاساسية التي يعول عليها في التاريخ العام فإن ثمة مصادر أخرى تدعى بالمصادر المساعدة وهي وان كانت مصادر ثانوية إلا أن المؤرخ بصفة عامة والمؤرخ للمغرب بصفة خاصة لا يستغني عنها، وذلك لأن عددا مهما من «الحوليات» المغربية يعتبر الآن مفقودا ومن هنا تصبح المصادر المساعدة هي العوض عنها أو البديل منها كما أن «الحوليات» تهتم بالتاريخ السياسي في المقام الأول أما التاريخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي فلا توجد مواده غالبا إلا في المصادر المساعدة ككتب النوازل والوثائق والحوالات والرحلات وكتب التراجم والبرامج والمناقب وغير ذلك مما هو مفصل في المظان القديمة والحديثة.

ومن أهم الرسائل التي يستعين بها المؤرخ في كتابة التاريخ ويلجأ إليها في كثير من الأحيان الرسائل الديوانية، ويندرج في دائرتها الظهائر والبيعات والعهود والتقاديم وغيرها من الوثائق الرسمية، وقد عني الناس منذ زمن بعيد بجمع هذا النوع من الوثائق في مجاميع عامة وخاصة، وقد سمّيت، بعضها في تصدير دراستي لرسائل ابن مغاور الشاطبي وفي مدخل كتابي : ابن عبد ربه الحفيد.

كما أن عددا من الدول الاسلامية في المشرق والمغرب — على سبيل المثال — كان لها ديوان أو دواوين لحفظ السجلات والوثائق وكان لها رسوم في الكتابة الديوانية وقوانين لصنعة الانشاء ضاع معظمها ووصل إلينا بعضها.

ومن الدول التي بلغت فيها الكتابة الديوانية مبلغا عظيما دولة الموحدين، فقد كان لهذه الدولة اهتمام كبير بالإعلام وعناية بالغة بوسائله وأدواته، ويرجع هذا إلى أسباب متعددة منها سعة رقعة الدولة وكثرة الخراج وتعدد الولايات وتتابع «الحركات» والتنقلات التي كان يقوم بها الخلفاء الموحدون.

ولعل هذا هو الذي يفسر لنا كثرة الكتّاب ووفرة الرسائل في عهد دولتهم فقد زاد عدد الكتاب على المائة، وجمعت رسائلهم في أكثر من مجموع، ومن هذه المجاميع «مجموع رسائل موحدية» وهو مجموع مبتور الأول والآخر نشره ودرس رسائله الأستاذ بروفنصال عام 1941 ثم ظهر مجموع رسائل ابن عميرة الذي حققته واعتمدت عليه في الدراسة التي نشرتها عام 1966 وظهر بعده القسم الأخير من مجموع «العطاء الجزيل» لاحمد البلوي ومجموع يحيى الخدوج ومجموع رسائل عبيد الله بن خطاب وغيرها ومانزال هذه المجاميع مخطوطة، وهي تشتمل على رسائل ديوانية وإخوانية.

وقد قام الأستاذ احمد عزاري بانتقاء مجموعة طيّبة من الرسائل الديوانية الموحدية أخذها من المجاميع المذكورة وغيرها ورتبها ترتيبا زمنيا وحققها تحقيقا جيدا وحللها تحليلا تاريخيا، ومهد لها قبل ذاك تمهيدا عاما تحدث فيه عن بعض المشكلات التي واجهها الموحدون في فترة التأسيس بالمغرب الأقصى ومن امتداد نفوذهم الى المغرب الأوسط والمغرب الأدنى والأندلس خلال فترة الازدهار والاستقرار كما تحدث عن فترة التراجع والانحسار والانقسام في آخر الدولة وختم هذا التمهيد بالاشارة إلى بعض المعطيات الحضارية المستفادة من الرسائل.

هذا وإن أصل هذا العمل هو رسالة جامعية كان حصل بها الباحث السيد أحمد عزاوي على درجة دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط.

وهاهي كلية الآداب بالقنيطرة تقوم بإخراج القسم الأول من هذه الرسالة المفيدة وهو الخاص بنصوص الرسائل الموحدية المختارة وتشتمل على 135 رسالة و77 تقديما مع مقدمة في مصادر الرسائل المذكورة وتراجم كتابها وملاحظها حول فن كتابة الرسائل، وقد ذيل هذا القسم بجدول للرسائل وفهارس للاعلام البشرية والجغرافية والمصطلحات الفنية وغيرها.

أما القسم الثاني وهو الدراسة فيتألف من خمسة فصول تشتمل على ما ذكرته آنفا، وسيقدم إلى المطبعة قريبا إن شاء الله.

إن هذه المجموعة الكبيرة من الرسائل الديوانية الموحدية التي انجزها السيد احمد عزاوي واجيز عليها تقدم خدمة جليلة للمؤرخ بما تشتمل عليه من المواد التاريخية المتعددة والمواد الاخبارية المتنوعة، وهي بحق إضافة جديدة ستغني المكتبة التاريخية المغربية.

كما أنها عمل من أعمال متعددة أنجزت وأجيزت بالجامعات المغربية في مجال البحث في تاريخ المغرب وإنا لنرجو أن ترى النور جميعا كي ينتفع بها الدارسون والقراء وما ذلك على الله بعزيز.

الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة

«وقل رب زدني علما»

صدق الله العظيم

الإهـداء

إلـــى

زوجتـــي

توضيح بعض الرموز المستعملة :

(م. ر م) : «مجموع رسائل موحدية» نشر : ليفي بروفنصال
(م ج) : «المجموعة الجديدة» وهي مجموعة الرسائل التي أقوم بنشرها ودراستها في هذا المؤلّف.
(خ ح) : مخطوط او مخطوطات الخزانة الحسنية (الملكية سابقا) بالرباط
(خ ع) : مخطوط الخزانة العامّة بالرباط
(م م) : مصوّر المخطوط (كما هو الحال في حاشية رسائل «المنّ» مع رقم الصفحة في المخطوط)
(ع) : «العطاء الجزيل...» (مع رقم الصفحة في المخطوط)
(ع ز) : رسائل الزوائد الملحقة ب «العطاء»
(م خ) : رسائل المخطوط الخاص، (وهو مخطوط الأستاذ محمد المنوني)
(ط) : طبعة
(ن) : نشرة
(ي) : مخطوط لرسائل موحدية بالخزانة الحسنية يسمّى جامعها باسم «يحيى»
(ص) : الصفحة أو الصفحات في المصادر والمراجع، وأحيانا يقع الاستغناء عن هذا الرمز والاكتفاء بكتابة أرقام الصفحات في حالة المصادر التي هي من غير صنف التراجم، ويرمز حرف (ع) خلال الحديث عن المصدر في الهوامش السفلية الى رقم الترجمة الواردة به
(أ م) : بمعنى الأصل المعتمد، كما هو الحال في هوامش الرسائل الواردة في كتاب Amari تحت عنوان : Diplomi Arabi.. وفي اصول اخرى.
(T.C) : Tables de Concordancence... (كان الاعتماد عليه في استعمال الموافقة بين التاريخين الهجري والميلادي).

مقدمة البحث

أ ـ ظروف وأهمية البحث[1] :

من المعلوم ان هناك مجموعة من المصادر والدراسات التي تمكّن من القاء أضواء على العهد الموحدي خاصة وانه يمثل فترة لامعة في التاريخ المغربي، إلا أن الاعتماد على رسائل رسمية ـ ولو انها غير اصلية اي مسجلة في كتب الآداب كنماذج لفن الكتابة ـ من شأنه ان يدعّم أو يصحّح ما ورد في المصادر. وقد كان هدفي في البداية هو الاقتصار على الرسائل الواردة في المخطوطات دون غيرها، ثم تبيّن ـ وباقتراح من الاستاذ المشرف ـ أنه من مصلحة البحث في هذه الفترة ان توضع جميع الرسائل ـ التي لم يتوصل الى معرفتها او نشرها الاستاذ ليفي بروفنصال ـ ضمن «مجموعة جديدة» تتسلسل فيها هذه الرسائل حسب ترتيبها الزمني بدون مراعاة اختلاف مواضيعها، وحاولت أن أتصل مباشرة بالمصادر الاصلية لرسائل المطبوعات ما أمكنني ذلك، وهذا مثلا حال رسائل المنّ بالامامة والبيان المغرب.

ويمكن اعطاء صورة مختصرة عن أهمية رسائل «المجموعة الجديدة» مخطوطة ومطبوعة كما يلي[2] : هناك بعض الرسائل التي تهم فترة الدعوة الموحدية وتأسيس الدولة وبعض جوانب السياسة الداخلية، مما اتاح وضع فصل خاص هو **الفصل الأول** في الدراسة العامة. ثم رسائل تهم الوجود الموحدي في المغرب الاوسط وافريقية مكّنت من تخصيص **الفصل الثاني** لهذا الموضوع، ولمّا كان لهذا الوجود الموحدي بافريقية دور مهم في العلاقات مع الايوبيين وحكومة بيزا الايطالية فقد جُعل موضوع العلاقات مع هذين الطرفين في آخر هذا الفصل، ولا نجد غير مقطع من رسالة وحيدة حول العلاقات مع مملكة غانة ممّا لا يتيح الحديث حول هذا الموضوع، وأما بالنسبة للعلاقات مع الممالك الاسبانية فانها لاتكاد تخلو من أية رسالة من الرسائل الموجهة إلى الاندلس او القادمة منها الى مركز الخلافة، وهي علاقات الحرب أو السلم (على عكس مضامين الرسائل المتبادلة مع بيزا). ولما كان عدد الرسائل التي تهم الاندلس كثيرا وتمتد على فترة اطول فقد وضعت دراستها في إطار فصلين : **هما الفصل الثالث** ويبدأ من مرحلة التدخل في الاندلس الى اواسط عهد الناصر أي فترة قوة الدولة الموحدية ثم **الفصل الرابع** ويمتد من فترة الاستعدادات لمعركة العقاب الى عهد الاضطراب في العشرينات من القرن السابع وخروج الاندلس عن النفوذ الموحدي، ويشمل هذا الفصل ايضا عواقب هزيمة العقاب على صعيد المغرب وما آل اليه من الانقسام السياسي.

---

(1) قدم هذا البحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ بكلية الآداب بالرباط ونوقش بتاريخ 18 ـ 12 ـ 1985

(2) يمكن الاطّلاع على فصول الدراسة العامة للرسائل ضمن القسم الثاني القريب نشره

وجُعِل **الفصل الخامس** خاصا بالجوانب الحضارية حيث يمكن لرسائل «المجموعة الجديدة» وخاصة رسائل مخطوط المسمى يحيى أن تفيدنا في المجالات الآتية : في الجانب المذهبي، تؤكد على عصمة المهدي وشرعية الدولة وتكفير الثائرين عليها، وفي المجال الاداري تشير أحيانا الى مكانة بعض المقدّمين، وتعطي أصنافا لعدد من الوظائف وتحدد مهامّ أصحابها بشكل عام أو تقريبي، وفي المجال العسكري والأمني تؤكد وجود بعض الثورات الخطيرة أحيانا حتى في عهد قوة الدولة ــ كماهو الحال بجزولة ــ واضطراب الأمن في عهد ضعف السلطة المركزية، وتذكر بشكل غير مباشر عناصر الجيش الموحدي المتنوعة وبعض انواع الاسلحة المستعملة، وفي الميدان الاقتصادي : تربط الرسائل بين مهام المسؤول عن الأمن ومسؤوليته في الجبايات غالبا، وتحدد أحيانا بعض أنواع هذه الجبايات. وفي الميدان الاجتماعي : تلمّح الى التمييز بين فئات الأشياخ والموحدين والطلبة والأعيان والكافة، كما يتضح ذلك في بدايات عدد من الرسائل. وفي الميدان القضائي : يتضح الاتجاه السّني للدولة في الأمور الشرعية. وبالنسبة للسياسة الخارجية هناك اتجاهان : نحو العالم الاسلامي، الادّعاء بأحقية الموحدين للاشراف عليه دون غيرهم، ونحو الممالك الاسبانية يبدو ان الاتجاه العام هو البحث عن الهدنة إلا اذا اعتدى النصارى على الأراضي الاسلامية.

غير ان هذه الملاحظات المختصرة لا تغني عن الاطّلاع على فصول البحث.

وقبل اعطاء نظرة عن مصادر الرسائل أُسَجِّل **بعض المشاكل** التي طرحتها هذه الرسائل :

ــ كثير منها غير مؤرخة، مما دفع الى محاولة وضع تأريخ تقريبي لعدد منها.

ــ كثير منها مبتورة البداية (الصدر) فلا تُعرف الجهة التي صدرت عنها، ومبتورة النهاية فلا يعرف تاريخها ان كانت مؤرخة اصلا.

ــ هناك عدد كبير من الرسائل حذفت منها أسماء الأعلام واستبدلت برموز كفلان أو أبي فلان أو فلانة كناية عن اسم البلد الموجهة اليه أو الموجهة منه، مما يزيد في تعقيد المضمون، وهذا بالخصوص هو حال رسائل التقاديم الواردة بمخطوط «يحيى».

ــ ان الرسائل متعددة المصادر مخطوطة ومطبوعة، مما يجعل الايفاء بتعريف شامل لهذه المصادر عملا طويلا على عكس الاعتماد على مصدر معيّن للتحقيق.

ــ هناك تعدد لكتّاب الرسائل (حوالي 30 كاتب) وهذا ما يستهلك كثيراً من الوقت للبحث في كتب التراجم للتعريف بهؤلاء الكتّاب وخاصة غير المعروفين بأسمائهم الشخصية، ويكون التعريف بالكاتب أساسيا عندما تكون رسالته أو رسائله غير مؤرخة، فمعرفة فترة اشتغاله بالكتابة لدى السلطة المحلية او المركزية قد تساعد على وضع تأريخ تقريبي لهذه الرسائل ولكن النتيجة كانت سلبية في بعض الحالات.

ــ إن تغطية هذه الرسائل ــ بشكل متقطّع ــ للعهد الموحدي من بدايته الى قرب نهايته يجعل من الصعب على باحث واحد أن يستخرج من هذه الرسائل كل ما يمكن استخراجه والوصول الى درجة التنظير، ومع ذلك أمكن ابداء بعض الملاحظات او طرح تساؤلات في بعض الأحيان أو الخروج باستنتاجات تكون أحيانا مؤقتة وغير أكيدة.

لقد كان لاستاذي الجليل محمد زنيبر الفضل في اختيار موضوع هذا البحث عندما نبهني الى وجود رسائل موحدية مخطوطة يمكن ان تكون موضوع دراسة لنيل دبلوم الدراسات العليا وزاد

اهتمامي بالموضوع عندما دلّني الأستاذ محمد المنوني على مخطوطات تضم معظم هذه الرسائل، وأمكن الاطلاع على رسائل متناثرة في بعض المخطوطات زيادة على ما في بعض المطبوعات. ولا أعتبر نفسي اول من خاض في هذا الموضوع فقد كان أول من نشر مجموعة من الرسائل الموحدية ــ ضمن رسائل اخرى ــ الباحث الايطالي أماري ميشل في القرن الماضي حيث قام بجمع ودراسة لعدد من الرسائل المتبادلة بين مدينة بيزا (بيشة) وبعض الحكومات الاسلامية ومنها الموحدية، كما قام الباحث الفرنسي ليفي بروفنصال سنة 1928 بنشر مجموعة من الرسائل الموحدية مع مذكرات البيذق والمقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب تحت عنوان «كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين» «Documents inédits d'histoire Almohade»، ورسائل هذا المنشور صادرة عن المهدي وخليفته عبد المومن، ثم نشر نفس الباحث سنة 1941 «مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المومنية» «Trentes Sept lettres Almohades» وهي أهم مجموعة عرفت قبل الآن، ومعظم رسائلها تغطي عهد عبد المومن بل وصادرة عنه وعددها 21 رسالة[3]، وخمس رسائل صادرة عن الخليفة يوسف، وتسعة عن الخليفة المنصور، واثنتان عن الناصر. وقد استفدت في بحثي من هذه الرسائل وصححت نسبة بعضها دون ان أعيد نشرها من جديد، بحيث يمكن أن تتكامل مع «مجموعتي الجديدة». وظهرت أخيرا مجموعة من رسائل الكاتب خلف القبتوري عن العزفيين بسبتة بتحقيق الأستاذ محمد الحبيب الهيلة تحت عنوان «رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي» اثنتان منها موجهتان إلى الخليفة المرتضى ووزيره واثنتان تحملان شعار التبعية لهذا الخليفة، وقد استفدت من بعض هذه الرسائل أيضا دون أن ألجأ إلى دمجها ضمن مجموعتي.

ب ــ مصادر رسائل البحث :

هذه «المجموعة الجديدة» التقطت رسائلها من عدة **مصادر مخطوطة ومطبوعة**، وهي تمتاز بتعدد كتابها ومواضيعها والجهات الصادرة عنها فمنها ما هي صادرة عن الخلفاء، ومنها ما هي موجهة اليهم من الحكومات الجهوية، ومنها ما هي موجهة من الحكومة الموحدية المركزية او الجهوية الى خارج حدود الدولة، كما ان هناك بعض الرسائل المحدودة (أربعة) وصلت الى الموحدين من خارج حدود دولتهم أُدمجت ضمن المجموعة بصفة استثنائية. وتهم رسائل «المجموعة الجديدة» العهد الموحدي من أيام المهدي الى عهد المرتضى، غير ان اكثرها ــ وخاصة المخطوطة ــ **هي التي تغطي عهد الناصر** ومن بعده على عكس رسائل بروفنصال.

ويمكن اعطاء احصاءٍ لهذه الرسائل بما فيها المقتبسة من المطبوعات[4] :

عهد المهدي : رسالتان

عهد عبد المومن : تسعة على الأرجح[5]

---

(3) قمت بتصحيح نسبة بعضها ومقارنتها كما هو مشار اليه في قسم الرسائل.

(4) هذا من غير «التقاديم» التي وضعت في ذيل الرسائل المرتبة زمنيا.

(5) لأن هناك رسائل غير مؤرخة ومن الصعب تحديد تاريخها.

عهد يوسف : ثلاثة وعشرون على الأرجح[6] (معظمها من كتاب المن بالامامة)
عهد المنصور : عشر رسائل
عهد الناصر : أربعة وعشرون.
عهد المستنصر : تسعة وثلاثون رسالة (معظمها من المخطوط الخاص)
عهد المخلوع : رسالة واحدة (هي رقم 108).
عهد العادل : خمس رسائل[7].
عهد المأمون : ثمانية على الأرجح[8] (ضمنها رسالة صادرة عن منافسه يحيى المعتصم).
عهد الرشيد : أربع رسائل (معظمها من انشاء ابن عميرة).
عهد السعيد : رسالة واحدة.
عهد المرتضى والواثق : خمسة، معظمها من البيان المغرب[9] (ضمنها نسخة رسالة المرتضى الى البابا إينوصان).

فيكون مجموع رسائل ما قبل عهد الناصر 57 رسالة، ومنذ عهده 87 رسالة تضاف إليها 73 رسالة تقديمية للولاة و... والقضاة[10] والتي يتراوح تاريخها ما بين عهدي العادل والمرتضى.

ونعود الآن الى ذكر **مصادر رسائل «المجموعة الجديدة»** فمنها المخطوطة[11] والمطبوعة :
ــ «العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل» لأبي القاسم البلوي، وقد جمع رسائله فيما بين سنتي 610 ــ 613 حسب ما ذكره بنفسه في الصفحتين (171 ــ 172 من المخطوط)، ومعظم الرسائل التي تهمنا هي التي أوردها في ملحق كتابه باسم «الزوائد»، وعدد مجموع الرسائل في الكتاب وزوائده 24 رسالة من تأليفه وتأليف غيره[12].

يوجد ما بقي من هذا المخطوط نسخة وحيدة بالخزانة الحسنية (تحت رقم 6148) بحيث يبدأ من الباب الخامس عشر إلى الباب العشرين لكتّاب من العصر الاسلامي الأول إلى المؤلف نفسه في كل باب من الأبواب الفنية، وتتخلل هذه الأبواب بعض الرسائل التي تهم موضوعنا سيشار اليها في حينها. والمخطوط كثير الأرضة، وقد مست الرطوبة الجزء العلوي لكثير من أوراقه، ولذا وقع ترميمها بالورق الشفاف. ويتميز بضبط كلماته بالحركات ووضوحها النسبي في حالة سلامتها من الرطوبة والأرضة. والمخطوط من الحجم الكبير، عدد اسطر صفحاته 31 سطرا في الحالات

---

(6) زيادة على الملاحظة في الهامش 5 هناك رسالة كتبت بعيد وفاة الخليفة يوسف ويظهر منها كأن هذا الخليفة لازال حيا، انظر خصائص هذه الرسالة رقم 34 في الفصل الثالث.

(7) باعتبار الرسالة رقم 112 التي تذكر اسم الخليفة العادل رغم كتابتها بعيد وفاته بايام.

(8) ادمجت هنا رسالة موجهة الى شيخ بني امغار رقمها 114 انظر خصائصها في الفصل الرابع.

(9) هذا دون اعتبار رسالة شكاية من قاضي مراكش الى الواثق وجواب هذا عليها (نسخ خ ح).

(10) هذا دون اعتبار اربع رسائل تحمل الدعاء للعباسيين اي انها عن ابن هود في الغالب.

(11) توجد نماذج من نسخ مصورة لبعض رسائل المخطوطات وأجزاء منها في آخر هذا القسم.

(12) دون اعتبار رسائل ابن مبشر حول الشكايات (الى السلطة المركزية او الى بعض القضاة)، وانظر ترجمة البلوي رقم 24 ضمن تراجم الكتّاب (فيما بعد).

العادية، يتراوح عدد كلمات الأسطر في الغالب ما بين 14 و 16 حسب اختلاف حجم الكلمات وعدد صفحات المخطوط 205 منها 33 صفحة من الزوائد[13]. ويبدو ان هذه النسخة عتيقة وليس من المستبعد ان تكون بخط البلوي او على الأقل كتبت في عهد قريب من عهده فهي عموما خالية من الأخطاء التي تحدث بسبب تعدد النسخ. والخط أندلسي عتيق[14].

وتتعلق رسائل المخطوط بمواضيع تهم اوضاع المغرب العربي والاندلس والسياسة الموحدية نحو الممالك الاسبانية الى أوائل عهد المستنصر.

ـــ هناك مخطوط يسمّى جامع رسائله باسم يحيى في مثل هذه العبارة : «قال يحيى وفقه الله» وهو خاص بتقاديم الولاة والعمال والقادة ونُظّار الجباية... وتقاديم القضاة. كما انه مبتور البداية ومبتور النهاية على الخصوص حيث تنقصه الظهائر حسب بعض إشاراته[15]. والمخطوط نسخة وحيدة بالخزانة الحسنية (تحت رقم 4752) نالت الأرضة من أطراف أوراقه وملتقاها دون أن تؤثر كثيرا على وضوح الخط، كما أنه قليل الأخطاء. والكتاب في 94 صفحة من الحجم المتوسط، عدد أسطر كل صفحة 23 سطرا اذا لم تتخللها عناوين، وكلمات كل سطر ما بين 12 و14 في الغالب حسب حجم الكلمات[16]. ومن حيث الأحداث التاريخية تلمح هذه التقاديم الى الفوضى السائدة في البلاد وقطع الطرق... خلال فترة ضعف السلطة المركزية للدولة الموحدية.

ـــ **رسائل مخطوط خاص**[17] : توجد رسائله في القسم الأخير من مخطوط مجموع، وهو مبتور الآخر بسبب ضياع عدد من الأوراق، ومعظم الرسائل من انشاء الكاتب «الشاعر» المسمى أبي العباس ابن جعفر[18]، ورسائل المخطوط عن عهد المنصور والناصر قليلة العدد، بينما يتناول معظمها أوائل عهد المستنصر، وهي مهمة[19]. ويبلغ عدد ما بقي منها ـــ ما بين كاملة ومبتورة ـــ 33 رسالة تمتد على صفحات المجموع من 303 الى 362 اي 31 ورقة، عدد أسطر صفحاتها 24 سطر، وعدد كلمات كل سطر ما بين 10 و 13 كلمة على الأغلب حسب عدد احرف الكلمات، ويتخللها بعض الشكل، وكتبت الفواصل بلون احمر، كما كتبت العناوين بالاحمر أيضا وبخط بارز. والكتاب بخط واضح لم تؤثر الارضة على كتابته مما يرجح ان نسخه ليس قديما كقدم المخطوطين السابقين.

---

(13) انظر الفهرس المفصّل لمعرفة عدد الرسائل التي كتبها البلوي نفسه.

(14) محمدالمنوني في «المصادر العربية لتاريخ المغرب» ج 1/ عدد 123.

(15) انظر خصوصيات هذه التقاديم في الفصل الرابع.

(16) المقصود حسب عدد حروف الكلمات، انظر المنوني في المصدر السابق عدد 127.

(17) مكّنني من الاطّلاع عليه واستنساخ رسائله أستاذي الجليل السيد محمد المنوني جازاه الله خيرا، ورمزت الى هذه الرسائل بحرفي (م خ). انظر خصوصيات رسائل هذا المخطوط في الفصل الرابع من الدراسة العامة (القسم الثاني).

(18) انظر الترجمة رقم 26 ضمن تراجم الكتّاب.

(19) انظر خصوصياتها في الفصل الرابع.

تصف رسائل هذا المخطوط الحالة الداخلية بالأندلس وحالات الممالك الاسبانية في أوائل عهد المستنصر، وتلمح الى بعض الأحداث المغربية انذاك.

— **رسائل ابن عميرة** : كان اعتمادي على ثلاث نسخ من هذه الرسائل تمثل قطعا من السفرين الأول والثاني، ولعلها هي التي جمعها الأديب ابو عبد الله محمد بن علي بن هانىء اللخمي السبتي (المتوفى سنة 733) تحت عنوان «بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام امام الكتابة ابن عميرة ابي المطرف»[20]، فالقطعة من السفر الأول هي من ضمن مصورات جائزة الحسن الثاني بالخزانة العامة سنة 1981 تحت رقم : 4502، وتنتمي اليها الرسالتان رقم 108 (م ج) حول بيعة الخليفة عبد الواحد المخلوع ورقم 116 (م ج) عن السيد أبي زيد صاحب بلنسية الى الخليفة المامون، والرسالتان يتخللهما الشكل للكلمات مع بعض الاخطاء. أما قطعتا السفر الثاني فهما تحملان بالخزانة العامة رقم ك 232 و ك 233، وقد اهتم الاستاذ بن شريفة بدراسة أبي المطرف ورسائله (بالنسبة لهاتين القطعتين)، ولا يهمنا من هذه الرسائل في موضوع البحث غير أرقام 107[21] و115 و 123[22] و 124 (م ج)، اما الرسالة رقم 122 التي اوردها ابن المرابط المرادي في زواهر الفكر[23] منسوبة الى ابن عميرة فانها ضمن القسم المبتور من هذه الرسائل[24].

— هناك رسالتان في مخطوط «أعز مايطلب» بالخزانة العامة (ق 1214) احداهما عن المهدي (رقم 2 م ج) والثانية عن عبد المومن (رقم 4 م ج) وقد نشرهما الأستاذ عمار الطالبي ضمن «منشورات الجامعة التونسية، السلسلة التاريخية رقم 1، أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته «سنة 1979، وكان اعتمادي أساسا على المخطوط المذكور.

— **مخطوط فقهاء «مالقة وأدباؤها»** : وهو مصور بالخزانة الحسنية تحت رقم 11055 وعنوانه الاصلي هو «الاكمال والاعلام بمحاسن الاعلام من اهل مالقة الكرام[25]»، بدأ انشاءه عبد الله بن علي بن عسكر الغساني وأتمه ابن اخته ابو بكر محمد بن خميس، وهو يترجم لمشاهير مدينة مالقة والطارئين عليها، فوردت به ترجمة الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي بمناسبة فتحه لمالقة سنة 547، وأورد ضمن الترجمة رسالة الشيخ الى أهل مالقة يجيبهم الى طلبهم لدخول المدينة وتأمينهم بعد ثورتهم على القائم بها ابن حسون، وهي الرسالة رقم 7 (م ج).

---

(20) الاحاطة 173/1 وما بعدها، و ج 144/3 — 145.

(21) هي نفس الرسالة التي نقلها القلقشندي في صبح الاعشى 434/6.

(22) هذه الرسالة اوردها أيضا ابن المرابط المرادي في «زواهر الفكر» وهو ضمن مجموع مخطوط بالاسكوريال (520 ديرانبورغ)، ولهذا الجزء من زواهر الفكر شريط بالخزانة العامة رقمه 1114، الورقتان (115 ب — 116 ب).

(23) مخطوط الاسكوريال المذكور، الورقة 16.

(24) انظر ترجمة ابن عميرة (رقم 27) ضمن تراجم الكتّاب.

(25) يجعل ابن الخطيب عنوانه هكذا : «الإكمال والإتمام في صلة الاعلام بمجالس الأعلام من اهل مالقة الكرام» وله اسم آخر وهو «مطلع الانوار ونزهة الابصار فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والاعلام والاخبار وتقيد من المناقب والآثار» الاحاطة 172/2 — 174.

ــ هناك صنف ثاني من مصادر الرسائل وهي المطبوعات، وأغزر هذه الرسائل نسبيا هي التي نجدها في **المن بالامامة** والبيان المغرب. وكان الهدف هو جمع رسائل هذه المصادر بدل تركها مبعثرة وتوضيح ما يمكن توضيحه من غوامضها، وهكذا اقتبست من مصور مخطوط **المن بالامامة**[26]خمسة عشر رسالة، احداها (وهي رقم 9) عن الخليفة عبد المومن والباقي في عهد الخليفة يوسف وهي من رقم 12 إلى 24 (م ج) ثم الرسالة رقم 26.

ــ ويتوفر **البيان المغرب** لابن عذاري المتعلق بالموحدين على عدة رسائل[27]،ونظرا لتعدد نسخ الخزانة الحسنية زيادة على طبعة تطوان أمكن ايجاد مقارنة بين نصوص هذه الرسائل، وهي تتناول بالخصوص الفترة الممتدة من أواخر عهد الناصر الى نهاية الدولة الموحدية. ورسائل البيان هي ارقام : 9 (مقطع منها)ثم 67 و68 و85 و106 و109 و110 و113 و117 و119 و120 و 121 و127 و128 و 129 و 130[28].

وتتناثر في مصادر اخرى بعض الرسائل : مثل **الحلل الموشية** بالنسبة للرسالتين رقم 1[29] ورقم 119، **وصبح الاعشى** (الجزء السادس) بالنسبة للرسائل 38، 39، 83، 107 و111، وكتاب **الاعتاب** لابن الأبار حيث الرسائل رقم 5[30] و59 و61، وفي **نظم الجمان** لابن القطان الرسالتان رقم 4 (حول فتح تارودانت) ورقم 6 (الجامعة لأوامر عن الخليفة عبد المومن)، وفي **نفح الطيب** (ج 3) الرسالتان 45 ورقم 5 المذكورة سابقا، وفي كتاب **الروضتين** لأبي شامة الدمشقي : الرسالة رقم 39، وفي الذيل س 6 لابن عبد الملك المراكشي : الرسالة رقم 43، وفي **الاحاطة** الجزء الأول الرسالتان 113 و118 (زيادة على الرسالة رقم 5 المذكورة في الاعتاب)، وفي «**الكرّاسات التونسية**» الصادرة عن كلية الآداب بتونس الظهير رقم 105 (مكرر)، وفي **الروض المعطار** ترد مقاطع من الرسالتين رقم 5 ثم رقم 67 (المذكورة ضمن رسائل البيان).

وأهم مجموعة حول العلاقات الخارجية هي التي نجدها عند ميشيل أماري في مجموعته الوثائقية التي أصدرها سنة 1862 تحت عنوان Diplomi Arabi Déll Archivio Fiorentinoفي جزأين منفصلين، ويشمل الجزء الأول ضمن رسائله مجموعة من الرسائل المتبادلة بين الموحدين وحكومة بيزا (بيشة)[31] : فهناك رسالتان من هذه الحكومة الى الخليفة الثاني يوسف في موضوع شكاية حول

---

(26) اصله باكسفورد قام بتحقيقه الاستاذ عبد الهادي التازي، طبعة دار الاندلس بيروت والمصوّر في خ ع تحت رقم 2649.د.

(27) انظر خصوصيات رسائل البيان في الفصل الرابع.

(28) ثم رسالة شكاية من قاضي مراكش الى الخليفة الواثق وجواب الخليفة عليها، وقد وردا في نسخ الخزانة الحسنية ونشرهما الاستاذ الكتاني ضمن ما بقي من البيان في مجلة تطوان (ع 10 سنة 1965) تحت عنوان «الورقات الاخيرة من البيان المغرب».

(29) توجد ايضا ضمن مخطوط مجموع (خ ع) جائزة 1978 رقم 58 ب (البيضاء).

(30) أوردها ايضا اصحاب الروض المعطار ونفح الطيب والاحاطة والاستقصا، انظر مقدمة هذه الرسالة فيما بعد.

(31) هذا بغض النظر عن الرسالة الأولى في مجموعة اماري الموجهة من ابن خراسان صاحب تونس الى بيشة سنة 552 اي قبل خضوعها للموحدين، وكذلك الرسالة الرابعة في مجموعته الموجهة من اسحاق بن غانية =

تصرف عاملي طرابلس و بجاية، وهما تحت رقمي 32 و33 في المجموعة الجديدة (رقم 2 و 3 في مجموعة اماري) وباقي الرسائل صادرة عن الجهة الموحدية الى حكومة بيشة مثل الرسالتين 35 و 36 (م ج) حول شروط التعامل التجاري مع البيشانيين وتحريضهم على التردد على البلاد، ثم الرسائل من 46 الى 52 (م ج) حول حادثة الاعتداء من طرف سفن بيشانية على بعض سفن المسلمين في خليج تونس سنة 596، ثم الرسالة 53 (م ج) حول التحذير من التعامل مع الثائر بالمهدية ابن عبد الكريم، والرسالة 62 (م ج) من والي افريقية الشيخ عبد الواحد الحفصي حول عقد أو تجديد اتفاق تجاري سنة 607، وأخيرا الرسالة 112 (28 عند أماري) حول تصفية مشكل تجاري شخصي.

واما العلاقة مع البابا فلا توجد حولها غير رسالة واحدة صادرة عن المرتضى الى البابا اينوصان الرابع نشرت بمجلة هسبريس سنة 1926، وقد وضعتها تحت رقم 126.

ج ــ **كتّاب الرسائل** : ان قسما من الرسائل مُنشئوها غير معروفين بوضوح[32]، كما أن عددا آخر منها مجهولة المؤلفين تماما، ويمتاز النوع الأول بتعدد الكُتّاب ومنهم من أمكن التعرف على ترجمته وبعضهم استحال ــ لِحَد الآن ــ التعرف عليهم بوضوح رغم البحث في عدد من كتب التراجم لأن هؤلاء الكُتّاب ذكروا بكنية من الكنى كابن مبشّر وأبي الحسن بن الفضل وأبي العباس بن جعفر... فالقسم الأول من الاسم كنية لاتساعد على البحث عنها في كتب التراجم الا نادرا، كما ان القسم الثاني (ابن فلان) لا يعني بالضرورة اسم الاب فقد يكون اسما لأحد الأجداد، ومع ذلك وقع البحث في عدد من الاسماء المشكوك فيها دون الوصول الى نتيجة حاسمة.

وسنتبع الآن في التعاريف بالكتّاب التسلسل الزمني لرسائلهم كما هو في قسم الرسائل ونبدأ بأبي جعفر بن عطية :

1 ــ أبو جعفر ابن عطية :

هو احمد بن ابي جعفر بن محمد بن عطية من اهل مراكش، اصله القديم من طرطوشة شرقيّ الاندلس، كان أبوه من اهل الحفظ للحديث، كتب لعلي بن يوسف المرابطي، ثم كتب ابنه احمد عن آخر امراء المرابطين [33]، وبعد فتح مراكش اختفى احمد ضمن الجند الموحدي[34]، وشارك

= في صفر سنة 580 (ربما من ميورقة) والرسائل من رقم 14 الى 20 (في مجموعته) من تجار تونسيين الى تجار بيشانيين وكذلك الرسالة 24 (في مجموعته) الموجهة من ابن الغازي عامل ابن غانية بالمهدية سنة 600 الى حكومة بيشة والرسالة 25 من ترجمان ببجاية يسعى لقبوله كدلاّل للتجار البيشانيين بهذه المدينة، ورسائل اخرى تهم الايوبيين. اما القسم الثاني من «ديبلومي» فيهمُّ ما بعد العهد الموحدي.

(32) من ذلك مثلا ابو علي بن نارار، وابن عبد الحميد، وابن مبشر، وابن مصادق...

(33) الحلة السيراء 238/2 (ح مؤنس)، جذوة الاقتباس 108، الاحاطة 263/1، 271 العبر م 480/6 ــ 483، انظر ايضا ترجمته في المصادر المذكورة بعدُ بالهامش 40.

(34) يرى ابن خلدون انه كان ممن شملهم عفو عبد المومن (ص 483)، واذا صح هذا فلا مجال لتستره•انظر مجلة الباحث ص 8م 1/ سنة 1972 وزارة الثقافة (مقال محمد الفاسي حول ابن عطية)، انظر ايضا محمد المنوني في «العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين» ص 165 الرباط 1977.

في حملة الشيخ ابي حفص على الثائر الماسي حيث كان ضمن الرماة، فكتب رسالة النصر عن الشيخ الى الخليفة عبد المومن، فكانت هذه الرسالة طريقه الى الكتابة لدى عبد المومن ثم الكتابة والوزارة معا الى ان تعرض للنكبة مع اخيه ابي عقيل فقتلا في اخر صفر سنة 553[35]. وكان يساعده في عمله — وخاصة عندما كثرت عليه مشاغل الوزارة، — عدد من الكتّاب منهم أبو القاسم القالمي (بعد فتح بجاية) حيث تفرّغ ابن عطية لمهام الوزارة في معظم أوقاته[36]، ومن مساعديه أيضا اخوه أبو عقيل عطية، وأبو بكر محمد بن عامر الأوسي[37].

يذكر صاحب البيان ان عبد المومن ندم على قتله اذ لم يبلغ احد بعده مبلغه فصاحة ونصحا وسلوكا واجتنابا للمحارم، وتلطّفا للوفود[38]... ووصفه ابن سعيد بكونه امام الكتاب وعنوان طبقته في صدر دولة عبد المومن[39]، وشهرته جعلت الكثيرين من المهتمين بالتراجم لا يغفلون ذكره، وأحيانا يقدمون نماذج من نثره، وتعتبر الرسالة الخامسة في «المجموعة الجديدة» نموذجا لكتابته النثرية اوردها جماعة من المترجمين بعد التعريف به[40].

2 — أبو القاسم القالمي :

أبو القاسم عبد الرحمن القالمي من قالمة وهي من قطر بونة[41]، ولما فتح عبد المومن بجاية استكتب القالمي بينما استمر ابن عطية في الوزارة الى سنة 553[42]، وكتب لعبد المومن مع القالمي ابو محمد عياش بن عبد الملك بن عياش من اهل قرطبة[43]، وساعد القالمي في الكتابة أيضا — زمن الخليفة يوسف — ابو الفضل بن محشرة الذي ظل يخدم ابا القاسم القالمي الى ان مات فكتب مكانه[44].

ومن الرسائل التي كتبها القالمي الرسالة رقم 21 في «مجموع رسائل موحدية» بتاريخ ربيع الآخر سنة 555، ونسبت اليه في هذا المجموع ايضا الرسالة رقم (22 منه) حول معركة «فحص هلال» سنة 568، وهي الرسالة التي ينسبها ابو القاسم البلوي في «العطاء الجزيل» للكاتب ابي الحسن بن

---

(35) البيان المغرب (26 — 27) و (34 — 37).

(36) المعجب (198 — 200)، وهذا لا يعني تخليه عن الكتابة، انظر رسائله من رقم 1 الى 15 في (مجموع رسائل موحدية) اما رقم 19 و23 في هذا المجموع المذكور فهما منسوبتان الى ابن عطية خطأ.

(37) المغرب 156/2.

(38) البيان 35.

(39) عنوان المرقصات ص 12.

(40) ابن الابار في «اعتاب الكتاب» (227 — 229)، نفح الطيب 187/5 — 188، الاحاطة 269/1 — 270 وايضا الروض المعطار ص 522 (ماست) انظر نماذج اخرى في مجموع رسائل موحدية لبروفنصال.

(41) رايات المبرزين لابن سعيد ص 108 والمعجب 200.

(42) وهذا لا يعني استغناءه عن الكتابة، انظر الهامش 36 في الترجمة السابقة.

(43) المعجب 200.

(44) المعجب 200 و 244، عنوان الدراية 53 (يجعل وفاة ابن محشرة سنة 598)، انظر ايضا الترجمة الثالثة.

زيد الاشبيلي[45]، كما توجد بهذا المصدر رسالة اخرى كتبها القالمي عن الخليفة يوسف الى «الطلبة الغزاة» بافريقية مؤرخة برجب 564[46]

3 ـ أبو الحسن بن عياش[47] :

هو ابو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي القرطبي، من أهل يابرة، سكن ابوه قرطبة ونشأ هو بها. كتب ابو الحسن لبني حمدين ايام قضائهم، وخلال ثورتهم بقرطبة لجأ الى اشبيلية، ثم كتب بها على كره لعاملها الموحدي ابي اسحاق برّاز بن محمد المسوفي، ثم للسيد ابي حفص بن عبد المومن، ومما كتب عنه رسالته من ظاهر مرسية بعد هزيمة ابن مردنيش في معركة الجلاب[48]، وعندما انتقل هذا السيد الى ولاية تلمسان سار معه اليها[49]، ثم استدعاه عبد المومن لكتابته بعد مقتل الكاتب ابي جعفر بن عطية[50]، فكتب له مع ابي القاسم القالمي، ثم كتب عن السيد ابي يعقوب يوسف بن عبد المومن وهو وال لاشبيلية[51]، واستمر كاتبا له ايام خلافته الى وفاته سنة 568[52]. ومما كتبه عنه في هذه الفترة الرسائل 13 و14 و24 في «المجموعة الجديدة» وهي مؤرخة ما بين أواخر 560 وأواسط سنة 564[53].

ويصفه صاحب «الذيل والتكملة» بانه اديب شاعر مجيد بارع الخط، جميل الوراقة، بل يصفه ابن الأبار بأنه كان من أبرع الناس خطا[54]

4 ـ ابن عبد الحميد :

ينسب صاحب العطاء الجزيل لهذا الكاتب انشاء رسالة عتاب وجهها الى ثائر من هسكورة هو ابو بكر ابن توندوت[55]، ولم نتوصل الى معرفة ترجمة هذا الكاتب من خلال كتب التراجم التي امكن فحصها الا لهذه الاشارة الواردة عند صاحب الذيل «قال ابو العباس بن هارون... قال

---

(45) هي الرسالة رقم 27 (م ج).

(46) هي الرسالة رقم 25 (م ج).

(47) ممن ترجموا له : صاحب الذيل س 5 ع 64، التكملة ع 1721 (كوديرا)، الاعلام للمراكشي 8/ (357 ـ 360)، البيان 140.

(48) هي الرسالة رقم 12 (م ج).

(49) القرطاس 194، الحلل 151 (ويسميه ابا الاصبغ بن عياش).

(50) انظر ترجمة بن عطية. ان اولى رسائل ابن عياش عن عبد المومن حسب مجموع بروفنصال هي رقم 18 المؤرخة برجب 553.

(51) التكملة (نفس الترجمة) البيان 140، المعجب 200 و244، الذيل س 5 (نفس الترجمة).

(52) ذكر ابن صاحب الصلاة وفاته باشبيلية ليلة الاربعاء غرة جمادى الآخرة سنة 568، وان جنازته كانت مشهودة وصلى عليه امير المؤمنين يوسف (الهامش 2 ص 30 من الذيل س 5).

(53) آخر رسالة له في مجموع بروفنصال تاريخها اول رمضان 564 ورقمها 25 في نفس المجموع.

(54) التكملة عدد 1721 (كديرا).

(55) راجع الفقرة الثالثة من الفصل الأول.

لي الشيخ المسنّ ابو العباس احمد بن علي... اللخمي المعروف بابن الحائك : أربعة من أهل فاس متعاصرون لا ترضى احوالهم الحاج بن مومن، وأبو حفص بن البيراقي وأبو محمد بن الياسمين، **وابو عبد الله بن عبد الحميد كاتب بن توندوت**، لكن ابن عبد الحميد صلحت حاله بآخرة»[56].

5 ــ أبو موسى «قاضي الخلافة» :

توجد ضمن الرسائل التي تهم البحث رسالة من انشاء المسمى «قاضي الخلافة أبي موسى» حول الانتصار الموحدي في معركة بحرية قرب مدينة تنس، ومن المرجح ان ابا موسى هذا هو عيسى بن عمران بن دافال الوردميشي المكناسي الزناتي[57] من حوز رباط تازة (تسول)، ومن سلالة موسى بن ابي العافية (حسب ابن دحية). ولد في شعبان سنة 512 بتلمسان (أوتلمسين حسب الذيل)، ونشأ وتفقّه بها، وروى عن بعض علمائها، كما تفقه بفاس ودخل اغمات سنة 530 وسمع بها عن قاضيها أبي محمد بن عبد البر اللخمي، كما سمع بمراكش عن قاضيها ابي يوسف حجاج بن يوسف (الذيل). دخل الأندلس طالبا العلم فاخذ بالمرية عن ابي القاسم بن ورد[58] واختص به وأكثر عنه.

تكاد تتفق المصادر المترجمة له في الاوصاف التي كان يتحلى بها : فهو اخلاقيا : سخي كريم ورع صالح[59]... وعلميا : حافظ متصرف في العلوم جامع لها، قائم على الفقه فروعه وأصوله، خطيب بليغ، مستبحر في الآداب، ذو حظ من قرض الشعر[60]، اشتهر في القضاء بالعدل والنزاهة[61]، ووصفه صاحب «العطاء الجزيل» ب «بحر الآداب الطامي، وطود الحسب السامي، وغرة الاكارم، المشهور المحامد والمكارم، المبرّز في حلبة الافاضل، قاضي الخلافة المكرّم الفاضل...».

إن أول اشارة لوجوده بمراكش في عهد الموحدين هي ماذكره ابن عذاري من حضوره مع وفد اشبيلية لتهنئة عبد المومن بفتح المغرب الأوسط سنة 547 (ولعل الأصح 548)[62]، وربما كان آنذاك قاضيا لاشبيلية. كما يذكر ابن عذاري وجوده مع عبد المومن في حملته لفتح المهدية[63]، حيث

---

(56) الذيل س 5 ص 264 ضمن الترجمة رقم 525، وفي التكملة ع 1476 (القاهرة) يوجد من اسمه ابو بكر محمد بن محمد بن عبد الحميد ابن حارث اليعمري من اهل ابذة، أديب شاعر توفي سنة 589.

(57) توجد ترجمته في بغية الملتمس للضبي (ع 1155)، المعجب (245 ــ 246)، ابن دحية في المطرب (43 ــ 44) ابن الابار في التكملة خ ح (1411) ص 353، البلوي في «العطاء» عند التقديم للرسالة عن معركة تنس (18 ــ 19 زوائد)، صلة الصلة/ 94 (بروفنصال)، الذيل س 8 ع 44 ط 1984، القرطاس 268، بغية الرواد (ليحيى ابن خلدون) 25/2 ــ 26، جذوة المقتبس للحميدي ص 283.

(58) توفي بالمرية في 12 رمضان سنة 540، الاحاطة 169/1 ــ 171.

(59) القرطاس 268.

(60) في ترجمته بالذيل قصيدة من 40 بيتا، عبارة عن وصية لابنائه عند وفاته.

(61) انظر ترجمته في المصادر المذكورة بالهامش 57.

(62) البيان خ ح رقم 3/336 ص 35 ــ 36 (هذه الاشارة هي ضمن قسم مبتور بطبعة تطوان).

(63) جعله الاستاذ بنمنصور صهر عبد المومن وهو ابو عمران التنملي (قبائل المغرب 397)، غير أن المترجم هو أبو موسى بن عمران وليس أبا عمران موسى بن سليمان الضرير، أنظر أيضا الهامش في المتن ص 244 (التازي).

امره بانشاء قصيدة شعرية لاستجلاب عرب سليم بالمنطقة الى الطاعة[64]. وبعد هذا، ولمدة تفوق عشر سنوات لا يرد ذكر للقاضي ابي موسى، ولعله بقي بتلمسان منذ عودة عبد المومن من فتح المهدية، وخلال هذه المدة كتب رسالته حول معركة تنس البحرية[65]. ويتجدد ذكره منذ سنة 566 عند حركة الخليفة يوسف الى الاندلس حيث يوصف خلالها «بقاضي المحلة والجماعة»[66] ولعله في هذه الفترة كان يسمى ايضا بقاضي الخليفة[67]، ولكن صفة قاضي الجماعة لا تعني كونه آنذاك قاضي الجماعة بمراكش، فخلال «الحركة» كان قاضيها هو حجاج بن يوسف[68]، فأبو موسى لم يتول قضاء الجماعة فيما يبدو بمراكش الا بعد وفاة قاضيها ابي الحسن بن ابي قنون سنة 577[69] حيث توفي ابو موسى وهو يتولى القضاء بها في شعبان 578.

6 ـــ ابن مبشر :

هناك من اسمه ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مبشر بن عبد الله بن يونس بن عمران القيسي من مكناسة الزيتون «كان كاتبا مجيدا، شاعرا محسنا، بارع الخط، حيا بعد سنة 620»[70]، ولكن هذا يبدو بعيدا عن موضوع الرسائل التي كتبها ابن مبشر المشار اليه في «العطاء الجزيل» والذي يسميه الاستاذ بن شريفة ابا العباس أحمد بن مبشر[71]، وهذه الرسائل في موضوع الشكاوي وموجهة الى الخليفة يوسف في فترة امارته (558 ـــ 563) ثم فترة خلافته[72]، كما نسب اليه صاحب العطاء أيضا رسالة عن موظف موحدي سامي يؤنب فيها فرقة عسكرية انهزمت امام العدو[73]، وهذه الرسالة لا تحمل الترضية عن المهدي، ونحن نعلم ان الخليفة المأمون (624 ـــ 629) تنكّر للمهدوية ، ولكن هذا لا يجعلنا نضع هذه الرسالة في عصره او ننسب كتابتها لابن مبشر القيسي المذكور أعلاه مع افتراض استمراره حيّا الى عهد المأمون، بل يتضح

(64) البيان 39 ط تطوان.

(65) انظر خصوصيات هذه الرسالة في بداية الفصل الثاني من البحث.

(66) المنّ 441 (التازي)، هل هناك ارتباط بين قضاء المحلة وقضاء الجماعة ؟ انظر الجانب القضائي في الفصل الخامس.

(67) المنّ 504 يسميه «قاضيه» نسبة الى الخليفة يوسف، ويذكر صاحب المعجب انه تولى القضاء له بعد عزل ابي محمد عبد الله المالقي، ثم تولاه بعد ابي موسى حجاج بن ابراهيم التجيبي ثم ابو جعفر ابن مضاء، ويسمي الجميع بانهم قضاة الخليفة يوسف (ص 245 ـــ 247).

(68) البيان 99 والعبر 501/6.

(69) الذيل، س 8، ع 44.

(70) الذيل، س 8، ع 107.

(71) يقول إنه «أبو العباس أحمد بن مبشّر من شيوخ أبي عبد الله ابن حمّاد الصنهاجي»، (الذيل، س 8، ص 286، الهامش رقم 399).
انظر الغبريني في «عنوان الدراية...» ص 129 ط. الجزائر 1910.

(72) في الصفحات من 135 الى 138 من العطاء، هذا زيادة على رسائل اخرى تحمل شكاوى الى بعض القضاة (انظر النوع الأول في الملحق الثاني للمجموعة الجديدة).

(73) هي الرسالة رقم 11 في المجموعة الجديدة.

ان ابن مبشر صاحب رسائل الشكاوى الى الخليفة يوسف هو نفسه صاحب رسالة العتاب الاخيرة، والدليل على هذا ان البلوي صاحب العطاء ألف كتابه بين 610 و 613[74] أي قبل عهد المأمون، كما ان البلوي يذكر هذا الكاتب في الحالتين معا بنفس الاسم أي «ابن مبشر» فقط، فلو كانا شخصين لميز بينهما، ويضعه ايضا في نفس الترتيب الزمني تقريبا سواء ضمن نماذج رسائل العتاب أو رسائل الشكايات، وهو الترتيب الذي يجعل البلوي يضع نفسه في آخر كتّاب كل فن من فنون الكتابة.

7 ـــ السيد أبو حفص بن عبد المومن :

عندما وزّع عبد المومن أبناءه على الولايات جعل ابا حفص عمر على ولاية تلمسان[75]، ثم استوزره أبوه بعد مقتل الوزير الكومي سنة 555، وأصبح له دور مهم في بداية خلافة اخيه يوسف وربما كان وصيا عليه في السنوات الأولى من حكمه.

ينسب إليه صاحب المن انشاء الرسالة رقم 15 (م ج) حول مقتل زعيم غمارة وهي الرسالة التي وجهها مع رسالة أخيه الخليفة يوسف (رقم 14 م ج) الى حكومة غرناطة وتحملان نفس التاريخ وهو 14 شوال 562 وصدرتا من نفس المكان بجبل الكواكب بغمارة[76].

وهذا لا يعني أنه لم يكن له كتّاب خصوصيون فقد اختص به الكاتب ابو الحسن بن عياش وهو بالاندلس ثم في ولايته بتلمسان وما بعدها[77]، كما كتب عنه ابو القاسم محمد بن ابراهيم بن المواعيني فنال بذلك جاها عريضا وثروة واسعة الى ان توفي هذ الكاتب سنة 564 بمراكش[78].

8 ـــ أحمد بن محمد :

يذكر صاحب المن كون هذا الكاتب هو منشيء الرسالة رقم 17 (م ج) الموجهة الى الخليفة يوسف بتجديد البيعة له عند اتخاذه لقب الخلافة سنة 563، ولم يتكرر اسم هذا الكاتب بهذه الصورة في المن، ويرجح الاستاذ التازي انه ابو العباس احمد بن محمد بن أحمد بن مقدام الرعيني الاشبيلي[79]، وقد كان ضمن الوفد المبايع لعبد المومن بمراكش سنة 542، وكانت وفاته في اواخر سنة 564[80].

9 ـــ ابن مصادق :

كتب عن والي قرطبة السيد ابي اسحاق بن عبد المومن الى والي غرناطة الشيخ ابي عبد الله رسالة مؤرخة برمضان سنة 564 يخبره فيها بدخول ابن همشك في الطاعة للدولة الموحدية وهي

---

(74) يشير المؤلف الى ذلك في ص 171 من العطاء.

(75) المنّ 174، البيان 30، البيذق 70، القرطاس 194، الحلل 151، والعبر 491/6.

(76) انظر خصوصيات الرسالتين معا في الفصل الأول.

(77) أنظر ترجمة ابن عياش السابقة.

(78) الذيل س 6، عدد 51.

(79) انظر ترجمته في الذيل س 6 ع 51، وجذوة الاقتباس 72.

(80) المنّ في هامش الصفحة 340.

الرسالة رقم 26 (م ج)، غير ان صاحب المن لم يذكر هذا الكاتب غير مرة واحدة وبهذه الكنية فقط[81]، ولم نتوصل الى تعريف أكثر بهذا الكاتب.

10 ــ أبو الحسن بن زيد (الاشبيلي) :

هو أبو الحسن على بن زيد النجار الكاتب من اهل اشبيلية[82]، كتب للخليفة يوسف بعد وفاة الكاتب ابي الحسن عبد الملك بن عياش سنة 568، ولا نعرف له من الرسائل التي كتبها عنه غير اثنتين الأولى من اشبيلية حول انتصار فرقة موحدية على جماعة فرسان آبلة في «فحص هلال» (قرب قلعة رباح) وهي مؤرخة ب 24 شعبان سنة 568، والثانية كتبها عنه ايضا باشبيلية حول عقد هدنة مع بعض الممالك الاسبانية ولعلها في مطلع سنة 569، وهما معا في زوائد «العطاء الجزيل» (ص 19 ــ 21) ورقمها 27 (م ج)، وص (21 و10 ــ 11) ورقمها 29 (م ج).

يصفه الرعيني في برنامج شيوخه بالنبل والبراعة في الأدب[83]،ويصفه صاحب المن بالخطيب في المحافل وبملازمته للخليفة يوسف[84]. غير ان حياته لم تطل، اذ مات سنة 571 حسب ابن عذاري أو في صفر سنة 572 حسب ابن الأبار (في المقتضب) بسبب الطاعون في مراكش، ولعل ترجمته هي التي أوردها صاحب الذيل (س 5 ص 214) حيث يسميه أبا الحسن علي بن زيد الانصاري الأشبيلي، من الذين أجاز لهم ابو الطاهر السلفي، واقتصر صاحب البيان على ذكر تاريخ وفاته[85]. اما الترجمة الأوضح نسبيا فهي التي وردت في «المقتضب من تحفة القادم[86]».

11 ــ أبو الحكم بن عبد العزيز (ابن المرخي)[87] :

هو علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز... اللخمي القرطبي من أهل اشبيلية، ولد سنة 519، وتعرف عائلته ببني عبد العزيز وبني المرخي واشتهرت بالآداب والكتابة الرسمية، فقد كان ابوه أبو بكر محمد نظيراً لأبي بكر ابن أبي الخصال في البلاغة والكتابة، وكلاهما كتب عن الأمير

---

(81) المنّ ص 390 ــ 392.

(82) ورد اسمه في نسخ البيان خ ح «أبو الحسن على ابن زيد الاشبيلي»، وتنقص كلمة (ابو) في ط تطوان (ص 110) اما في العطاء الجزيل فيذكر باسم «ابو الحسن بن زيد» فقط (زوائد العطاء ص 19)، والراجح انه هو المذكور بالبيان خ ح، نسبت اليه الرسالتان 28، 29 (م ج).

(83) ص 97 من البرنامج.

(84) المنّ ص 285 (ضمن احداث سنة 566).

(85) البيان ص 110.

(86) المقتضب ص 55، ونجد الترجمة ايضا في (مجلة المشرق) لسنة 1941 ج 383/3 وهو الجزء الذي نشر فيه المقتضب قبل نشره منفصلا.

(87) وردت ترجمته او بعض انتاجه في : العطاء الجزيل (زوائد) 1 ــ 3 و 4 ــ 7، ابن دحية في المطرب (208 ــ 209) الذيل س 5 ص 312 ع 615 و س 6/ ص 487، صلة الصلة ع/216، الوافي بالوفيات 157/4، التكملة ع 1872 (كديرة) برنامج شيوخ الرعيني (ص 96 ــ 97) ضمن ترجمة ابنه ابي بكر، وقد ضبط تلميذه ابن دحية الاسم بفتح الخاء (ابن المرخى).

المرابطي علي بن يوسف[88]، أما أبو الحكم الموصوف باحد الكتبة المجيدين فقد تقلد أعمالا غير الكتابة مثل تكليفه بمهمة محاسبة صاحب أشغال المخزن باشبيلية والاندلس سنة 566[89]، ولا ندري تاريخ تقلده مهمة الكتابة للخليفة يوسف، وما نعلمه هو كتابته عن رسالة حول معركة «فحص هلال» سنة 568[90]، ثم رسالة اخرى حول اعادة فتح قفصة سنة 576[91]، ويذكر ابن عبد الملك المراكشي ابعاد ابي الحكم عن الكتابة بقوله : «... كتب عن ابي يعقوب بن عبد المومن زمانا، ثم ان ابا يعقوب خيم بظاهر اشبيلية في (احدى)[92] غزواته، ونهى اهل محلته كلهم عن الدخول الى اشبيلية، فدخل اليها ابو الحكم هذا فهجره ابو يعقوب ثم اقصاه ولم يعد الى الكتابة وذلك سنة[93]...» ونحن نعلم ان يوسف كانت له اثناء خلافته حركتان الى الأندلس الأولى بين 566 و 571 والثانية خلال سنتي 579 — 580، وبما ان ابن المرخي كان لايزال كاتبا عن الخليفة سنة فتح قفصة 576 فان الغزوة التي هجره فيها الخليفة قد تكون غزوة شنترين، ففي هذه الغزوة كان الخليفة باشبيلية خلال النصف الثاني من صفر 580 قبل التحرك الى شنترين[94]. وتوفي ابو الحكم بمراكش سنة 584.

12 — أبو علي بن نارار :

هذا الكاتب نسب اليه إنشاء رسالة عن الخليفة يوسف كتبها من داخل قفصة بعد اعادة فتحها من طرفه مؤرخة بآخر رجب 576، وردت في زوائد العطاء الجزيل على الصفحات (7 — 9) و (14 — 16)[95] وهي تحمل في المجموعة الجديدة رقم 31. وهي نفس الرسالة رقم 20 في «مجموع رسائل موحدية» منسوبة الى ابي الحكم بن المرخي[96]، غير ان ترجمة هذا الكاتب بهذا الاسم — وهو واضح بالمخطوط — لم اعثر عليها في كتب التراجم التي تمكنت من فحصها[97].

---

(88) الوافي بالوفيات 157/4، السلفي (اخبار وتراجم...) 87 — 88، الذيل س 6 ص 404، وقد توفي ابو بكر سنة 536.

(89) المنّ 453.

(90) الرسالة 28 (م ج).

(91) الرسالة رقم 30 (م ج) و 20 (م ر ج) لبروفنصال، وكتب معه ابنه ابو بكر محمد عن الخليفة يوسف وظل مقربا من المنصور والناصر، وكانت وفاته سنة 615 وممن ترجموا لهذا الابن صاحب التكملة ع 1588 (القاهرة)، المقتضب ص 125، المغرب 307/1، الوافي بالوفيات 157/4، بغية الوعاة 177/1، العطاء ص 45، الذيل س 487/6.

(92) كلمة ساقطة في الذيل.

(93) مكان السنة مبتور في الذيل س 5/ع 615.

(94) البيان 132 — 133.

(95) الأوراق التي كتبت عليها الرسالة سيئة الترتيب في المخطوط.

(96) انظر خصوصيات الرسالة في الفصل الثاني من البحث.

(97) ليس هو ابو الحسن المعروف بابن الاشيري فهذا توفي سنة 569 التكملة ع 718 (القاهرة) او 66 (كوديرا)، بنمنصور في هامش القرطاس ص 185 وهامش اخبار المهدي ص 58.

13 ـــ أبو الحسن القلنّي :

علي بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن سهل الانصاري، تلمسيني قلني الأصل[98]، سكن اشبيلية ومراكش وغيرهما من بلاد العدوتين. روى عن أبي الحسن بن ابي قنون[99] وغيره، وكان فقيها اديبا حسن الخط في الطريقتين الشرقية والغربية (المغربية الاندلسية)، درّس بجامع قرطبة زمانا[100]، ويصفه صاحب «العطاء» باحد شيوخ الكتابة الفقيه الحسيب، النسيب[101]،

كتب بمرسية عن السيد ابي محمد بن الخليفة يوسف واليها[102]، ومن ذلك الرسالة التي كتبها عنه من ظاهر يابرة اثناء عودة الحملة الموحدية من حصار شنترين سنة 580[103]، ولعل انتقال هذا السيد في مطلع خلافة اخيه يعقوب الى منصب الوزارة له[104] كان من الدواعي التي دعت الى انتقال الكاتب القلني الى مراكش حيث نجده يكتب عن «طلبتها» (ربما سنة 591) جوابا على رسالة المنصور المبشرة بالنصر في الأرك[105]، ولا نجد للقلني غير هاتين الرسالتين سواء في هذا المخطوط أو في غيره من المصادر التي اقتبسنا منها الرسائل الديوانية، كما لاندري تاريخ وفاته، غير انه كان لا يزال حيا عند تأليف البلوي للعطاء فيما بين 610 و613 حسبما يتضح من عبارته : «أدام الله كرامته».

14 ـــ أبو الفضل بن طاهر بن محشرة :

هو أبو الفضل (وأبو العلى) جعفر (أو الفضل)[106] بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم البجائيّ الاشيري ولد سنة 540 أوقبلها بيسير، استدعاه الخليفة يوسف الى مراكش فوصله كارها (الغبريني)، وخدم ابا القاسم القالمي الى ان مات. كما كتب عن الخليفة يعقوب بن يوسف، ويحتفظ «مجموع رسائل موحدية» برسائل عنهما من انشائه يتراوح تاريخها بين شوال 576 وجمادى الثانية سنة 586 (من رقم 26 الى 34م ر م)، بحيث يبدو انه كان الكاتب الرئيسي لهما في هذه الفترة مما يرجح أن رسالة المنصور الى حكومة بيشة (رقم 35 م ج) المؤرخة برمضان 582 قد تكون من إنشائه

---

(98) قلنة ـــ حسب ابن سعيد ـــ حصن من الحصون البطليوسية (المغرب 360/1 و373)، وحسب ابن الابار «قلنة من بلاد الثغر الشرقي «التكملة ع 2059 (ابن شنب) الجزائر سنة 1920.

(99) ترجمته في الذيل س 8 ع 44 ط 1984.

(100) الترجمة مقتبسة من الذيل س 8 ص 47 من المخطوط

(101) الزوائد ص 12.

(102) كان واليا لمرسية منذ 579 الى ان استوزره اخوه يعقوب.

(103) هي الرسالة 34 (م ج).

(104) البيان 141، الحلل 159.

(105) هي الرسالة 42 (م ج).

(106) كناه الغبريني : «ابو الفضل» و«أبو العلى ابن محمد» (عنوان الدراية 53) وسماه صاحب المعجب : ابو الفضل جعفر بن احمد ابن محشوة (244)، وترجم له ايضا صاحب الذيل س 8 ص 138 (المخطوط) وصاحب البيان (140) ويسميه ابا العباس طاهر المعروف بابن محشرة، أما صاحب الاحاطة فيسميه أبا العباس بن طاهر بن محشرة (4/ص 355).

أيضا. غير ان اسم ابن محشرة أخذ يختفي منذ سنة 586 وهي السنة التي اكتشف فيها المنصور أهمية الكاتب الشهير أبي عبد الله بن عياش (المترجم فيما بعد)، فأصبح هذا رئيس الكتّاب، ولم يظهر لابن محشرة اثر — حسب علمنا — الا فيما ذكره صاحب الذيل من كونه كتب عن الناصر بعد ابيه وتوفي سنة 598[107].

15 — أبو بحر صفوان بن ادريس :

هو صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبي المرسي، كنيته أبو بحر، ولد بمرسية سنة 560 أو 561 ونشأ بها، وتتلمذ على أمثال ابي الوليد بن رشد والقاضي ابي جعفر بن مضاء، وأبي القاسم بن بشكوال صاحب الصلة، ثكله أبوه أبو يحيى وهو في سن السابعة والثلاثين، وذلك في 16 شوال سنة 598 ودفن بمرسية[108].

يوصف بأنه اديب تساوى حظه في الشعر والنثر، وأنه من فحول شعراء الاندلس وأدبائها، ومن الرسائل الأدبية الشهيرة التي كتبها رسالته المسماة « شرك العقول...» كتبها في سن مبكّرة وذلك سنة 582 عندما انتقل مع أبيه الى شاطبة قاضيا بها، فكتبها صفوان الى بعض «اخوانه» بمرسية. ولعل هذه الرسالة جعلت والي مرسية السيد **عبد الرحمن بن الخليفة يوسف يستكتبه**، فكتب عنه رسالة الى ملك قشتالة مؤرخة بمنتصف ذي القعدة سنة 584[109]. ويبدو انه لم يطل في مهمة الكتابة اذ نجده في صفر سنة 586 يغادر مراكش في اتجاه مرسية فيكتب رسالته المسماة «عنوان التصريح» [110]... وقد جمع رسائله وقصائده وما خاطب به وراجع عنه في كتابه «عجالة المتحفز وبداهة المستوفز»، وله ايضا «زاد المسافر»، وذكر صاحب الذيل كتابا له سماه «الرحلة».

قال بن سعيد : «ساد عند منصور بني عبد المومن واشتهر انه قصد حضرة مراكش ومدح اعيانها فلم يحصل منهم على طائل فاقسم ان لا يعود لمدح احد منهم وقصر امداحه على آل البيت عليهم السلام»، فعرف المنصور حالته فأغناه عن الخلق[111].

16 — أبو عبد الله بن عياش[112] :

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله (أو عبد الله حسب التكملة) بن عياش التجيبي،

(107) الذيل س 8 ص 138 (المخطوط). ذكر صاحب المعجب أن ابن عياش كتب عن المنصور بعد وفاة ابن محشوة، وهذا يبدو انه سهو منه، فهذا مات سنة 598 بينما كتب ابن عياش عن المنصور منذ سنة 586 (انظر ترجمة ابن عياش فيما بعد اي رقم 16).

(108) ترجم له او اورد بعض انتاجه : صاحب العطاء (33 — 44) و (113 — 119) و (142 — 167)، التكملة ع 1895 (القاهرة) ابن الابار في المقتضب ص 82، ابن سعيد في المغرب 2/ع 533 ورايات المبرزين ص 79 فقهاء مالقة وادباؤها ص 102 صلة الصلة (قطعة خاصة من نسخة دار الكتب المصرية) الذيل س 4 (140 — 143) الاحاطة 3 (349 — 359) نفح الطيب 365/6، فوات الوفيات للكتبي 2/ع 198.

(109) هي الرسالة 37 م ج.

(110) العطاء (144 — 158).

(111) المغرب 260/2.

(112) المترجمون له كثيرون منهم : صاحب المعجب 263. ابن سعيد في المغرب 399/2 وعنوان المرقصات 12. =

أصل سلفه من سرقسطة، ولد سنة 550[113] ببرشانة (من عمل المرية) ونشأ بها، وصفه صاحب التكملة بانه رئيس في صناعة الكتابة خطيب مصقع، لا يفهم كلامه الا حفّاظ اللغة من أهل العلم. ويعتبر شيخا لعدد من الكتّاب، ومنهم ابو القاسم البلوي (صاحب العطاء الجزيل) الذي يصفه ايضا بانه نفّاع بماله وجاهه، ويلقّبه احيانا بصاحب القلم الاعلى او كاتب الخلافة المعظم[114]، توفي في 25 جمادى الثانية سنة 618 (وقيل في رجب).

يترجم له بعض الكتّاب ويستغنون عن ذكر رسائله بمثل هذه العبارة : «رسائله مشهورة تناقلها الناس كثيرا». وبالنسبة للكتابة الرسمية ابتدأها أولا خادما للسيد ابي حفص عمر الرشيد بن الخليفة يوسف اثناء ولايته لمرسية، فلما قتله المنصور سنة 584[115] اختفى ابو عبد الله بن عياش ثم عفا عنه المنصور واستكتبه سنة 586 واصبح صديقا شخصيا له، كما كتب بعده عن الناصر ثم المستنصر[116]، وهكذا ظل يحتفظ بمكانة مرموقة لدى الخلفاء الموحدين أزيد من ثلاثين سنة، وهذه لائحة الرسائل الرسمية التي امكن التعرّف عليها ومن انشائه :

— في «مجموع رسائل موحدية» : أرقام 35، 36، 37

— في «المجموعة الجديدة» :

رقم 43 حول نكبة ابن رشد، و 57 حول اعادة فتح المهدية

رقم 67 عن فتح شلبطرة، و68 عن هزيمة العقاب.

رقم 96 حول استدعاء جند كومية من الاندلس، ورقم 97 حول مقتل ثائر جزولة

رقم 105 بشأن تعيين وال جديد لاشبيلية،

وربما أيضا الرسالتان 105 مكرر (ظهير عن المستنصر الى رهبان بوبلات) و106 (عن المستنصر حول أمره باقامة الدين والنهي عن المنكر)[117].

وذكر صاحب العطاء (ص 16) رسالتين له سماهما : «رسالة استنزال جشم» و «رسالة تأنيس اهل ميورقة»، وقد طلب البلوي من ابن عياش اطلاعه عليهما.

= فقهاء مالقة ص 64، التكملة ع 1596 (القاهرة) والاعتاب (ص 100 — 109) الاحاطة 482/2 — 487، الذيل س 6/ع 1034.

(113) ورد عند صاحب الذيل وصاحب فقهاء مالقة : سنة 505، والظاهر انها خطأ .

(114) العطاء ص 7 و 16 و108.

(115) انظر الفصل الثالث الفقرة 5.

(116) استعمل ابناؤه في الكتابة معه ومن بعده، وممن كتب عن المستنصر ابنه ابو جعفر احمد ولعله هو منشيء الرسالة رقم 85 (م ج) المؤرخة برمضان سنة 618 حيث كان ابوه مات منذ حوالي شهرين، و لم يوضح ابن عذاري (246) اسم كاتبها مقتصرا على اسم ابن عياش، واستمر ابو جعفر في الكتابة للخلفاء بعد المستنصر (التكملة ع 300، القاهرة)، (انظر البيان ص 258 — 259). وقد يكون منشيء الرسالة 85 هو ابو الحسن علي بن عياش بن عبد الملك اي حفيد ابي الحسن كاتب عبد المومن وقد كتب عن المنصور والناصر والمستنصر مع ابي عبد الله محمد بن عياش، وقد توفي في اواخر عهد المستنصر (المعجب 311 و 325).

(117) انظر الهامش السابق.

17 ــ أبو الحسن بن وضّاح :

يصفه جامع رسائل المخطوط الخاص بالفقيه، وينسب اليه انشاء رسالة عن «طلبة» اشبيلية الى الخليفة المنصور[118]، وهي غير مؤرخة، ويمكن وضع تاريخها بين 588 و 595[119]، وهذا الاسم غير محدد : فأوله كنية وثانيه ليس خاصاً بشخص معيّن، وانما هناك كثيرون ممن يعرفون بابن وضّاح، ومن ذلك ما ذكره صاحب الصلة من ذكر ابي الحسن وضّاح بن وضاح من أهل شرق الاندلس[120]، ويؤكد صاحب بغية الملتمس ان ابن وضّاح من اهل مرسية[121].

18 ــ أبو الربيع سليمان الموحدي :

هو سليمان بن عبد الله بن عبد المومن، كان يلي سجلماسة وأعمالها عند وفاة المنصور[122]وقد لقيه ابن حمويه السرخسي بمراكش عند تقديم البيعة للناصر وأورد عنه رسالة من انشائه كتبها الى ملك غانة ينكر عليه اعاقة عمل التجار المغاربة ببلاده، وهي الرسالة رقم 45 (م ج)[123].

هناك من ينتقد عليه انتحاله لبعض انتاج كاتبه ابي عبد الله محمد بن عبد ربه[124]. ذكرت وفاته سنة 604[125].

19 ــ أبو بكر بن عيسى :

ينسب اليه صاحب العطاء (ضمن الزوائد ص 25) انشاء رسالة مبتورة من «طلبة» اشبيلية الى الخليفة جوابا على كتاب منه ببشرى ! (وهي الرسالة رقم 54 م ج)، ويصفه البلوي قبل تقديم نص رسالته ب «الفقيه الأديب الكاتب الحسيب الحميد الأوصاف، المشكور التحقيق والانصاف، السابق في حلبة العُقلاء، المقدّم في علية الاخوان الفضلاء، أبي بكر بن عيسى أدام الله كرامته»، وهذا يعني أنه لازال حيّا سنة 613 التي أنهى فيها المؤلف كتابه «العطاء».

غير أن ترجمة هذا الكاتب لم نتأكد من حقيقتها بعد : فهناك اشارة في «التكملة» ضمن احدى التراجم بالصفحة 244 (نسخة خ ح رقم 1411) الى أن صاحب الترجمة[126] روى عن ابي

---

(118) وهي الرسالة رقم 44 (م ج).

(119) انظر خصوصيات الرسالة في الفصل الأول.

(120) صلة الصلة ع 334 (بروفنصال).

(121) بغية الملتمس ع 440 ص 191 وما بعدها (لمؤلفه الضبي).

(122) سبق له ان تولى على بجاية (التي سبق لابيه ولايتها)، غير ان بني غانية اخذوها منه قبل ان يسترجعها جيش المنصور، فهجره المنصور (البيان 146، رايات المبرزين ص 98).

(123) نفح الطيب 105/3 وقد اهتم بهذا الاديب الموحدي بعض الدارسين مثل الاستاذ عبد الله كنون فخصص له بحثا ضمن سلسلته «مشاهير رجال المغرب» وكذلك الاستاذ عباس الجراري في كتابه «الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي» والاستاذ «المنوني : العلوم و... على عهد الموحدين» (161 ــ 162).

(124) المعجب 297 ــ 300.

(125) ابن سعيد في «الغصون اليانعة» ص 132، العبر 520/6 وممن كتب عنه ايضا ابو بكر بن مغاور الشاطبي (المغرب 2/ع 589)، وللشاطبي رسائل بالعطاء (9 ــ 10) و 11 و12 و 12 ــ 13.

(126) يذكر ابن الابار انه لقي صاحب هذه الترجمة باشبيلية سنة 618.

بكر بن عيسى، ولا ندري ما اذا كان هو نفسه المترجم في الذيل تحت اسم «محمد بن احمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن اسماعيل بن عيسى،،، بن حجاج اللخمي، اشبيلي : أبو بكر،،، استقضاه المعتضد ــ بعد أبي اسحاق المكادي ــ ثم المرتضى ــ بعد ابي عبد الله محمد بن يحيى الخطيب ــ وعرف في الكرّتين بالعدل والصرامة والانصاف، وخطب بالجامع الأعظم مدة قضائه الأخيرة الى ان توفي يوم الثلاثاء لعشر بقين من شعبان سنة 654[127]، بحيث لا نجد في هذه الترجمة اية اشارة الى استعماله في الكتابة وان كان هذا غير مستبعد في حالة استكتابه لفترة قصيرة، فلا يوجد من رسائله الرسمية المعروفة غير الرسالة المذكورة أعلاه.

20 ــ أبو محمد بن حامد[128] :

هو أبو محمد عبد الله (ابن حامد)[129] بن يحيى بن سليمان بن ابي حامد المعافري من أهل مرسية، كان معاصرا لأبي بحر صفوان ومن اصحابه، وتبادلا الأشعار فيما بينهما[130]. كان كاتبا بليغا، مشاركاً قرض الشعر، يصفه صاحب التكملة بأنه من رجالات الاندلس وجاهة وجلالة مع التحقق بالكتابة، واليه كانت رئاسة بلده (في ميدان الأدب). توفي بعد انصرافه من اشبيلية في اخر سنة 621 ولعله كان دخلها مع الخليفة العادل فاتحا لها (حسب صاحب المغرب)، مما يرجّح انه كان يكتب عنه عندما كان قبل ذلك واليا لمرسية. يصفه صاحب العطاء ب «الكاتب الاديب الماجد الحسيب»، وينسب اليه انشاء رسالة جوابية على رسالة الخليفة الناصر حول النظر في «اشغال العرب»... واستنفار اشياخ جشم ومزاورتهم لِتعقّب المفسدين، ونقل الجشميين من تامسنا لاعادة توطينهم بتادلى[131].

21 ــ أبو الحسن بن الفضل[132] :

أبو الحسن على بن احمد بن الفضل المعافري، أصله من أريولة، نشأ بمالقة وسكن بها وطالت اقامته بها. كان كاتبا بارعا وشاعرا مجيدا، معدودا في حلبة الأدباء، ومحسوبا في علية الشعراء، قال فيه ابو بحر صفوان[133] إنه من آية الدهر وعجائبه كان من جملة من مدح المأمون بعد انتصاره

---

(127) الذيل س 6 (ص 18 ــ 19)، وتتجدد الاشارة اليه ضمن ترجمة ابيه أبي الوليد في السفر الأول ص (355 ــ356) ويحيل المحقق على ترجمة أبيه أيضا في «اختصار القدح» (140) و «بغية الوعاة» (153)، ويذكر لابي بكر مخطوطا بخزانة القرويين بعنوان «الدرر البهية في معجزات خير البرية».

(128) ترجم له صاحب التكملة خ ح 1411 ص 260 او ط القاهرة (ص 891 ــ 892) او ط مدريد ع 1443 وصاحب الذيل س 4 ع 356 ونفح الطيب 5/ 73 وزاد المسافر ص 40، والمغرب 2/ع 525.

(129) في التكملة : «ابو محمد عبد الله بن حامد بن يحيى»

(130) في رسالة من صفوان الى ابي محمد بن حامد يكنّيه فيها بالوزير (العطاء 115).

(131) زوائد العطاء ص 26 ــ 27 و 22 ــ 24 (الاوراق سيئة الترتيب في المخطوط)، وهي الرسالة 55 (م ج).

(132) المترجمون له : نفح 59/4، البيان 259، فقهاء مالقة الورقة 85 المغرب 2 ع 546، الذيل س 5/ع 651 (واحال محققه على ترجمة ابن الفضل ايضا في اختصار القدح 108 وازهار الرياض 212/2 وزاد المسافر رقم 31).

(133) انظر ترجمته سابقا (رقم 15).

على ابن هود سنة 625، ومدحه أيضا عندما بويع باشبيلية بالخلافة بقصيدة لم يرض المأمون عن مطلعها وهو «خدمتك السيوف والاقلام»، توفي في ربيع الأول عام 627 وسنّه اربع وستون سنة، يصفه صاحب العطاء ب «الفقيه ابي الحسن بن الفضل اعزه الله»، وينسب اليه انشاء رسالة يدعو فيها الناس الى سماعهم «كتاب» الخليفة المبشِّر بالنصر على «شقي ميورقة». ويتخلل الرسالة بتر متكرر وخاصة في أواخرها، وهي تحمل رقم 56 في المجموعة الجديدة[134].

22 ــ أبو القاسم عبد الرحمن بن عذرة[135] :

هو عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن (بن عمر)[136] بن عبد العزيز بن عذرة الانصاري من اهل الجزيرة الخضراء، يعتبر ابوه أبو حفص عمر من مشايخه، فهذا كان فقيها وأديبا شاعرا... استقضي ببلده وبغيره،[137] كذلك تولّى ابنه ابو القاسم (المترجم) القضاء ببلده، وكان رجل صدق، فصيحا خطيبا صاحب نظم ونثر، توفي في 15 جمادى الثانية سنة 606، كما كان أخوه ابو الحكم عبد الرحيم صاحب نظم ونثر أيضا[138].

لا تذكر المصادر اشتغاله بالكتابة الرسمية وانما اشتغاله بالقضاء في الجزيرة الخضراء، وقد وصفه جامع رسائل المخطوط الخاص ب «الشيخ الفقيه القاضي ابي القاسم بن عذرة رحمه الله»، وأورد له رسالة من انشائه عنه وعن «طلبة» الجزيرة الخضراء الى السيد ابي عمران بن ابي موسى بن الخليفة عبد المومن مؤرخة بتاسع رمضان 602 دون ان يتحدد بأية صفة كتبت هذه الرسالة، ورقمها في المجموعة الجديدة هو 58[139].

23 ــ أبو عبد الله بن نخيل[140] :

هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن نخيل، كان مسؤولا عن «ديوان الأعمال» ونقله الأمير الشيخ ابو محمد عبد الواحد ــ بعد توليته على افريقية ــ إلى منصب الكتابة فبلغت مكانته لدى هذا الأمير درجة شبّهها ابن الأبار بمكانة جعفر البرمكي عند هارون الرشيد في تفويض الأمور له[141]، وشهد

---

(134) وهي ايضا في زوائد العطاء ص 24.

(135) ترجمته في التكملة خ ح 1411 ص 263، او كديرا 1631، المقتضب ص 100، العطاء 73 ــ 74، صلة الصلة (قطعة عن نسخة القاهرة).

(136) ناقصة في صلة الصلة (القاهرة).

(137) ترجمة الوالد في الذيل س 5 (ص 448) و التكملة 1826 (ابن ابي شنب) صلة الصلة ع 572 (بروفنصال).

(138) ترجمته في التكملة (كديرا) ع 1668، العطاء (73 ــ 74).

(139) راجع خصوصياتها في الفصل 4.

(140) انظر ترجمته او الاشارات اليه في : تاريخ الدولتين للزركشي 18، والعبر 584/6 و (588 ــ 589)، واعتاب الكتاب ص 237 و (245 ــ 247) حيث وضع له ابن الابار ترجمة ومعها رسالتين من انشائه حول هزيمة ابن غانية في شَبْرُو سنة 604 ثم في وادي ابي موسى سنة 606، ونقل عنه " نأتي ايضا بعض الاخبار في رحلته.

(141) الاعتاب 245.

له الزركشي بأنه «المشهود له بالجودة وحسن الوساطة وحسن التدبير». وهذه المكانة ساعدته على ان يمتلك ثروة مهمة بلغت عند موت الشيخ ابي محمد سنة 618 ستمائة ألف دينار من النقد «سوى ما ظهر من حليّ وآنية وأثاث وكراع وعقار»، ولعل تأثيره على انحراف الشيخ ابي محمد عن البيعة للمستنصر في بداية خلافته كان عاملا أساسيا في نكبته بامر المستنصر على يد الوالي الجديد السيد ابي العلى ادريس بن الخليفة يوسف عند وصوله الى افريقية في ذي القعدة سنة 618 حيث قبض عليه وعلى أخويه واستصفى اموالهم وعقارهم وضياعهم ثم قتلهم[142].

احتفظ لنا ابن الأبار بنموذجين من رسائله السلطانية وهما رقم 59 و 61 (م ج) مع بتره للمقدمة واقتصاره على فصول منها[143].

24 ــ أبو القاسم البلوي[144] :

هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن،،، القضاعي ثم البلوي، اشبيلي، قرطبي السلف، والبلويون من القحطانيين الذين سكنوا الحجاز قبل الاسلام، وكان سلف ابي القاسم هذا يعرفون في قرطبة ببني علي وقد ولد أبو القاسم لأربعة عشر ليلة بقين من جمادى الآخرة سنة 575. اشتغل في القضاء، وذكر بنفسه وجوده على قضاء مربلّة واسطبونة سنة 606[145]، وكتب في شبيبته عن عدد من الولاة باشبيلية وغيرها كأبي زيد وأبي موسى عيسى ولدي الخليفة عبد المومن، وعن أبي عمران ابن ابي موسى المذكور وعن **أبي اسحاق بن الخليفة يوسف** وأبي اسحاق بن الخليفة المنصور، وعن أبي الربيع بن ابي حفص بن عبد المومن، ثم ترك ذلك الى ميدان القضاء. دخل مراكش ايام الناصر أو قبله وانقطع الى ابي عبد الله بن عبد العزيز بن عياش، وعاد إليها أيضا مع وفد اشبيلية في أول عهد المعتضد (السعيد) سنة 640، وتوفي في رمضان سنة 657 وعمره 82 سنة.

اشتهر في ميدان الادب بتصنيفه الخاص بالرسائل المسمى ب «العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل»[146]، وصفه صاحب الذيل بأن موضوعه من أحفل الموضوعات في فنّه، صنّفه حسب فنون الترسيل، وفي خاتمة كل فنّ يقدّم مساهمته فيه، ويصرّح بأنه جمع رسائل كتابه فيما بين 610 و613 وخاصة أثناء كتابته عن ابي اسحاق بن الخليفة يوسف باشبيلية الى وفاته سنة 612 وهذا السيد هو الذي أطلعه على الرسائل التي جعلها «زوائد» ألحقها بكتابه الأصلي[147]، وتوجد ضمن المجموعة الجديدة عدة رسائل اقتبست من هذا المصدر.

---

(142) العبر 588/6 ــ 589.

(143) انظر خصوصيات الرسالتين في الفصل الثاني.

(144) توجد ترجمته في الذيل س 1/ ع 674 (مع احالتين للمحقق في القدح 120 ــ 122 ونفح 300/4) والسفر 6/ص 155 و (206 ــ 207) و ص (358 ــ 359) والسفر 8 (ص 252 من المخطوط) والاحاطة 483/2، والعطاء ص 171 ــ 172.

(145) العطاء 73 ــ 74.

(146) كان اسمه الأول «تشبيب الابريز، والمزيد الاحق التبريز، على ما جاء من الترسيل في كتاب ابن غمر المسمى بالوجيز» العطاء 172.

(147) انظر ايضا المقدمة حول مصادر الرسائل.

25 ـ أبو الميمون !:

يسميه صاحب «صبح الأعشى» بهذه الكنية فقط وينسب اليه ثلاث رسائل : الأولى كتبها عن احد الولاة الى الخليفة الناصر (رقم 69 م ج)[148]، والثانية كتبها عن المستنصر الى احد الولاة بالاندلس تحذيراً له من إمكانية نقض الهدنة مع النصارى (83 م ج)[149]، والثالثة كتبها عن «بعض اهل الدولة» جوابا حول تفحص احوال ثغر شقورة[150] ربما إلى الخليفة العاد (111 م ج)، وبهذه الكنية لم نتمكّن من التوصل إلى معرفة الاسم الحقيقي لهذا الكاتب[*].

26 ـ أبو العباس بن جعفر!

يوجد بالقسم الأخير من المجموع المخطوط «الخاص» مجموعة رسائل رسمية موحدية نسب حوالي ثلاثين منها (مع بتر في آخر هذا المخطوط) الى المسمى ابي العباس بن جعفر الذي يصفه جامع رسائله بهذه العبارة : «ومن انشاء شاعر هذا الزمان وكاتبه المستولي من الادب النفيس على ابعد آماده وارفع مراتبه، الآتي به الزمان نادرة من نوادره واعجوبة من عجائبه، الحامل اوقار الاشعار على عتاق خاطره الحافظ وكتائبه، وأحد الشعراء وامامهم المقدّم، وسابقهم الذي لو أدركه عنترة لم يقل قبل رؤيته : هل غادر الشعراء من متردّم، شيخ البر المكمّل والبشر المتمّم، والفضيلة التي عوّدت لسانه كل ممدّح ونزّهته عن كل مذمّم، الشيخ الفقيه الزكي المرحوم أبي العباس بن جعفر وصل الله بره واكرامه، ويسّر في كل منتحى مراميه»[151]. ومع هذا الوصف لأبي العباس لم نتمكّن من التعرف على حقيقة ترجمته على الرغم من تفحص عدد من كتب التراجم حول من يكنّى بأبي العباس، أما جعفر فلا يتضح ما إذا كان اسم أبيه أو أحد أجداده، فلجأت إلى بعض الافتراضات : الافتراض الأول هو أن يكون هو نفسه أبا القاسم البلوي صاحب الترجمة رقم 24 استنادا الى تشابه في مطلع رسالتين لهما، وهما رقم 79 (لابن جعفر) ورقم 90 (للبلوي)، خاصة وانهما كتبا معا عن والي اشبيلية السيد ابي اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف حوالي سنة 612، غير ان البلوي لم اعرف له جدا اسمه جعفر، كما انه لا يوصف في تراجمه بالشاعر حتى ولو قال شعراً[152]، ويسميه تلميذه صاحب الذيل بالشيخ الأديب[153] (س 1 ص 460). والافتراض الثاني هو كونه ابو العباس بن جعفر الرعيني، ولكنّ ترجمة هذا غير كافية وأقل وضوحا (حسب المصادر التي امكن الاطلاع عليها)،

---

(148) موضوعها استعطافي، وهي في الجزء 532/6 ـ 533.

(149) صبح 446/6 ـ 447.

(150) صبح 531/6 ـ 532.

(151) المخطوط الخاص ص 308، ثم اتبعها برسالة اخوانية على الصفحات 308 ـ 310، واعقبها بعنوان «وله فصل» واتى بعده بالرسائل الرسمية الى اخر ما بقي من المخطوط وفي مطلع كل رسالة عنوان مثل «وكتبت» أو «وكتبت ايضا» أو «وكتبت ايضا من اخرى» وفي ص 348 «وكتبت من كتب وزراء الخلافة المعظمين المكرمين الابرار ادام الله سعود ايامهم»، انظر ايضا في المقدمة مصادر الرسائل.

(152) مثلا في الذيل س 1 (ص 457 ـ 458) وفي العطاء ص 81 ـ 88.

(153) هذا بالاضافة الى انه في الوقت الذي كان ابو العباس يكتب عن السيد ابي اسحاق ابراهيم في ولايته ما قبل الاخيرة (605 ـ 607) كان البلوي قاضيا مسددا بمربلة واسطبونة (العطاء 73 ـ 74).

(*) قارن مع ترجمة ابن خبازة في الذيل س 8/ 388 ـ 404.

وهو ليس صاحب البرنامج. وهناك ايضا كاتب للخليفة المأمون باشبيلية اسمه ابو العباس بن عمران (البيان ص 255). على كل، من الصعب ان نستمر في مثل هذه الافتراضات، ونترك صاحبنا الكاتب «الشاعر» الى ان يكشف عنه الزمان[154].

27 ــ أبو المطرّف بن عميرة[155] :

هو احمد بن عبد الله بن الحسين بن عميرة المخزومي، اصله من جزيرة شقر بشرق الاندلس ولد بها سنة 580. بدأ عمله الاداري في بلنسية منذ 607 بصفته كاتبا للسيد ابي عبد الله بن ابي حفص بن عبد المومن ثم انتقل الى اشبيلية لخدمة بعض السادة بها الى حوالي 617 ثم عاد الى بلنسية فكتب عن واليها السيد ابي زيد، ومن ذلك : الرسائل 107 و 108 و 115 و 116 (م خ)، ثم تردد بين الكتابة والقضاء لدى الثائرين بشرق الاندلس مثل ابن مردنيش وابن هود. ولما سقطت بلنسية بيد الأرغونيين انتقل الى المغرب، فاستكتبه الخليفة الرشيد مدة قصيرة، ومما كتب عنه : الرسالتان 122 و 123 (م ج)، ثم تنقّل بين قضاء هيلانة ورباط سلا ومكناسة. واثناء قضائه بسلا كتب عن اهلها رسالة جوابية على رسالة الخليفة الرشيد حول توصله ببيعة مدينة تلمسان (الرسالة رقم 124 م ج)، وخلال قضائه بمكناسة كتب بيعة ــ ادعى انها عن اهلها ــ الى الامير الحفصي سنة 643 ثم قصد افريقية عبر سبتة، وتولى للحفصيين مهام في القضاء والكتابة الى وفاته سنة 658[156].

وصفه ابن سعيد المغربي معاصره بانه «عظيم الاندلس في الكتابة وفي فنون من العلوم»، ووصفه صاحب الذيل بانه «شديد التطارح على خدمة الرؤساء، كثير الحرص والرغبة في ضم حطام الدنيا»، ومع ذلك فهو «جميل السعي للناس في اغراضهم». ولعل صاحب الذيل يقصد اهل شرق الاندلس الذين كانوا يبحثون عن ملجأ لهم بعد توسع الارغونيين في أرضهم. ونظرا لشهرة هذا الاديب فقد ترجم له الكثيرون واقتبسوا نماذج من انتاجه الأدبي[157].

28 ــ أبو العلاء ادريس المامون بن الخليفة المنصور :

وجب اثبات اسمه هنا لما نسب اليه من انشاء بعض الرسائل، ومما وصفه به صاحب الحلل الموشية أنه «كانت له نفس كبيرة، وكان عالما كاتبا اديبا فصيحا بليغا ذا نجدة ورأي وحزم»[158] وترجم

---

(154) انظر خصوصيات رسائله في الفصل الرابع.

(155) المترجمون له كثيرون منهم : ابن الابار في المقتضب من تحفة القادم ص 145، الذيل س 1/ ص 176 وما بعدها، عنوان الدراية (178 ــ 180)، المغرب 2/ ص 363، الوافي بالوفيات 7/ ص 13، الاحاطة 173/1 ــ 183، نفح 1/ ص 284 وما بعدها، وعنان 702/2، بن شريفة في «ابو المطرف بن عميرة»، وترجم له جامع رسائله في السفر الأول الورقة المصورة رقم 3، الخزانة العامة : 502 4 د (مع الخطأ في تاريخ ميلاده).

(156) انظر مصادر الرسائل في المقدمة.

(157) انظر الهامش 155 في هذه الترجمة.

(158) الحلل 163 ط 1979.

له صاحب الاحاطة[159] وأورد رسالة من انشائه في عتاب اهل اندوجر وهي الرسالة رقم 113 (م ج) التي يوردها أيضا ابن عذاري[160]، كما ينسب إليه ابن الخطيب رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يورد بعض فصولها[161]، وهي الرسالة رقم 118 (م ج)، وينسب اليه ايضا رسالة من انشائه في قطع رسوم المهدي دون ان يذكر نصها[162]، وهي الرسالة رقم 119 (م ج)[163]، هذا بغض النظر عما أنشأه عنه كتابه، ومن هؤلاء ابو عبد الله محمد الانصاري الغرناطي كاتبه اثناء ولايته[164]، وكتب عنه ايضا منذ ولايته بمالقة ايام المستنصر الى خلافته الكاتب ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يخلفتن الفازازي بل هو كاتبه الاكبر الى سنة 626 (قبيل وفاته 627)[165].

29 — أبو الحسن السرقسطي :

لم نتوصل الى معرفة ترجمته، وما يمكن القول عنه ايضا انه كان يكتب عن ابي زكرياء يحيى المعتصم بن الناصر، كتب عنه رسالة (الى الامة) يدافع فيها عن شرعيته ويستجلب الناس اليه ليتفرقوا عن المامون صاحب الاندلس، وهذه الرسالة هي ذات الرقم 117 (م ج)[166].

30 — ابن عبدون المكناسي[167] :

هو محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي من أهل مكناسة يصفه صاحب الذخيرة السنية بكونه اديب وقته وشاعر زمانه، ويصفه ابن القاضي في الجذوة بانه شاعر اهل العدوة، ويقول عنه ابن غازي انه حائز قصب السبق في الشعر والكتابة، توفي في 10 ذي القعدة سنة 659[168].

كتب عن اهل مكناسة رسالة استنجاد الى الخليفة المأمون عندما اصبحت مدينتهم محاصرة من طرف قبائل فازاز وغيرها سنة 629، وقد اورد ابن عذاري مقطعا منها وهي الرسالة رقم 120 (م ج) كما اورد له رسالة عن اهل مكناسة هي بيعة مجددة للخليفة السعيد بعدما كان ابن عميرة ارسل بيعة عنهم الى امير تونس الحفصي، ورسالة تجديد البيعة للسعيد هي رقم 125 (م ج).

(159) المجلد 1 (ص 410 وما بعدها).

(160) الاحاطة 1 (414 — 415) والبيان (266 — 267).

(161) الاحاطة 1 (413 — 414).

(162) الاحاطة 1 (411 — 412).

(163) وردت في البيان (267 — 268) والحلل (164 — 165).

(164) الذيل س 6 ص 584.

(165) الذيل س 1 (46 — 58)، فقهاء مالقة ص 133، مفاخر البربر ص 95 (المجموع خ ع)، المقتضب ص 133، المغرب 118/1، التكملة ع 1641 (كوديرا)، برنامج شيوخ الرعيني ص (101 — 105)، نفح 468/4، وانظر الترجمة الاخيرة رقم 31.

(166) انظر البيان (262 — 264):

(167) المترجمون له : ابن القاضي في جذوة الاقتباس 1/ع 293، الذخيرة السنية ص 96، ابن غازي في الروض الهتون ص 55، نفح الطيب 213/6، الاتحاف لابن زيدان 578/3.

(168) في الجذوة : سنة 658.

31 ـ يحيى (جامع رسائل «التقاديم») :

تمتد هذه التقاديم الموجودة في مخطوط الخزانة الحسنية (رقم 4752) من عهد المأمون الى عهد المرتضى، ويسمى جامعها باسم يحيى، وكنا نظن انه قد يكون ابا زكرياء يحيى الفازازي نقيب الطلبة وصاحب القلم الأعلى في عهدي الرشيد والمعتضد[169]، وهو أخو الكاتب الشهير ابي زيد يحيى الفازازي كاتب المأمون[170]، إلى ان تبين ان ابا زكرياء هذا توفي في أول حركة المعتضد نحو تلمسان في أيام عيد الأضحى وهو في محلة هذا الخليفة بتنسيفت قبل حركتها يوم 15 ذي الحجة 645[171]، بينما تمتد التقاديم الى زمن المرتضى كما رأينا، وبهذا يظل كاتب التقاديم وجامعها مجهولين، وان كان هذا الأخير لا يهمنا كثيرا بقدر ما يهمنا منشىء التقاديم الذي قد تساعدنا ترجمته المجهولة تماما على وضع تأريخ تقريبي لها مادام اكثرها غير مؤرخ، فلندع هذا للمستقبل[172].

د ـ ملاحظات حول فن كتابة الرسائل الموحدية :

ان موضوعا كهذا ليس من اختصاص الباحث في التاريخ، ولكن التعامل مع عدد من الرسائل أوحى ببعض الملاحظات.

1 ـ فيما يتعلق ببدايات الرسائل : نجد في رسائل المجموعة الجديدة بدايات مختلفة :

ـ رسائل تبدأ بصيغة : **من فلان الى فلان** مثل «من أمير المؤمنين... الى فلان»[173] (بصيغة الإفراد او الجمع)، وعددها 19 رسالة معظمها صادرة عن الخلفاء واثنتان منها عن امير اشبيلية الى الوزير ابن جامع...

ـ رسائل تبدأ **بألقاب الخلفاء او باسلوب التعظيم أو الدعاء** : وهي موجهة الى الخلفاء من أتباعهم، وصيغتها الاساسية : «الحضرة الامامية» وأحيانا «حضرة سيدنا»... وعدد هذه الرسائل خمسة عشرة تضاف اليها واحدة تبدأ ب «المقام الأعلى[174]» وأخرى ب «أطال الله بقاء أمير المؤمنين»...[175].

ـ رسائل تبدأ **بالتحميد المتبوع بما يناسب الموضوع** : مثل «الحمد لله» أو «ان الحمد لله»،،، فمنها

---

(169) الذيل س 8 ص 231 (المخطوط)، وكتب ايضا عن المأمون (المصدر والصفحة).

(170) راجع ترجمته السابقة رقم 28.

(171) البيان 371 و 386.

(172) انظر ايضا المقدمة حول مصادر الرسائل، وانظر خصوصيات هذه التقاديم في الفصل الرابع.

(173) هذا النوع هو الغالب في مجموع بروفنصال، انظر ايضا القلقشندي في صبح 443/6، وهو يذكر من اساليب الكتابة الموحدية صنفا من الرسائل يبدأ بالبعدية (اما بعد حمد الله... والصلاة...) واورد مثالا على ذلك في ج 446/6 ـ 447 وهي الرسالة 83 (م ج). غير ان هذا لا يبدو انه اسلوب ثابت، فقد يكون القلقشندي بنى رأيه على رسائل تنقصها البدايات مثل رسائل الصنفين الأول والثاني اذا حذفنا منها عبارة (من فلان الى فلان... سلام) او (الحضرة الامامية... من فلان... سلام)، انظر مثلا الرسائل 12 و 14 و 15 و 16 و 19 و 54 و 55...

(174) الرسالة رقم 69، وبالنسبة للرسالة 113 يصرّح صاحب البيان بأن ما ينقله هو مابعد «الخطبة والصدر» (ص 266).

(175) الرسالة رقم 111.

ما يتعلق بالبيعة بولاية العهد او البيعة بالخلافة (مثل الرسائل 17 و18 و 40 و 121) أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (مثل الرسالة 118).

ــ **رسائل العتاب** تبدأ في اصلها او فيما بقي منها بصيغة : «الى فلان،،،» أو «الى القوم...» أو «الى أمة...» أو «الى الجماعة من اهل كذا...» وأحيانا تكون خالية من السلام والتحميد والترضية عن المهدي...[176].

ــ **الظهائر** تبدأ بصيغة مثل : هذا ظهير كريم (122 و 123) ويدخل هنا «كتاب أمان» لتجار بيشة يبدأ هكذا : «كتاب أمان،،، امر بكتبه فلان...»[177].

ــ **صنف من الرسائل مبتورة البداية،** لها بدايات مختلفة لما تبقى منها وهي تتجاوز الأربعين رسالة دون اعتبار رسائل مخطوط يحيى، أما رسائل هذا المخطوط فمعظمها مبتورة الصدر بحيث يبدأ ما بقي منها في الغالب بعبارة مثل : «كتب الله لكم» أو «انا كتبناه، كتب الله لكم...[178]» وعدد هذه الرسائل يتجاوز الأربعين من بين اثنتين وسبعين رسالة التي يتكون منها المخطوط، ونجد حوالي عشرين رسالة من رسائله يبدأ ما بقي منها بمثل : «أدام الله كرامتكم» وتبدأ خمسة بعبارة : «وأن تعلموا...»

ــ بعض رسائل «التقاديم» بمخطوط يحيى تبدأ بمثل صيغة : «إلى أهل فلانة [179]».

ــ **بالنسبة للرسائل الصادرة عن الموحدين الى ممالك النصارى** : هي متنوعة البدايات حسب موضوعها وحسب رتبة المكتوب عنه، وغالبا ما تكون البداية بصيغة (فلان الى فلان) او (الى فلان من فلان) في حالتي الافراد والجمع بالنسبة للمكتوب اليهم.

ــ **بالنسبة للرسائل الواردة على الموحدين من خارج دولتهم** : أورد القلقشندي نموذجا لرسالة عن صلاح الدين الأيوبي الى المنصور مطلعها : «فتح الله بحضرة سيدنا...»[180] وتبدأ رسالة صلاح الدين الى المنصور الواردة في كتاب الروضتين بعد البسملة بصيغة : «من فلان... أما بعد...» ثم التحميد والتصلية،،،

ــ وهناك رسالتان واردتان من بيش على الموحدين تبدآن بالبسملة و التحميد ثم «الى أمير المومنين... معظمون مقامه...[181]».

2 ــ بالنسبة لمضمن الرسائل

ــ اذا كانت الرسائل غير مبتورة فانها تبتدىء **بالصدر** الذي يحدد المكتوب عنه والمكتوب اليه[182]، ويتضمن الصدر ايضا : السلام والحمدلة والتصلية على الرسول والرّضى عن

(176) انظر الرسائل 1 و 8 و 11 (وبالنسبة للرسالة 83 تبدأ بصيغة «اما بعد حمد الله».

(177) وهي الرسالة رقم 36 (م ج).

(178) يرى القلقشندي ان الدعاء بمثل هذه العبارة ينفرد به اهل بلاد الغرب عن بلاد الشرق ومصر (30/7).

(179) وكذلك بعض الرسائل عن ابن هود (فيما يبدو) بالمخطوط.

(180) الرسالة رقم 38 (م ج).

(181) الرسالتان 32 و 33 (م ج).

(182) اذا كانت الرسالة عن الخليفة الى عواصم الولايات يكون المكتوب اليهم عادة «الطلبة والموحدون والاشياخ».

المهدي[183] ثم خلفائه[184]، كما يتضمن التوصية بتقوى الله اذا كانت الرسالة صادرة عن الخليفة. ويكون الصدر مطولا اذا كانت الرسالة موجهة الى الخليفة حيث تمطط العناصر المذكورة سابقا. وعادة ما يلمح الصدر الى محتوى الرسالة خاصة رسائل الفتوح والانتصارات، كما يشير الى ولي العهد احيانا حيث يدعى له بعد ابيه الخليفة ان كانت الرسالة صادرة عن غيره[185]

ــ واذا كانت الرسالة جوابية من الحكومات الجهوية الى مركز الخلافة فانه يذكر **بعد الصدر** وصول «كتاب» الخليفة وملخص ما تضمنه من اوامر او اخبار، وهذه الرسائل لها اهميتها عندما تكون الرسائل الخليفية المجاوب عنها مفقودة[186]، ثم يذكر بعد ذلك المقصود مثل تنفيذ او البدء في تنفيذ الأوامر، أو اشاعة ما ورد في رسالة الخليفة من أخبار إن كان الأمر صدر بالاشاعة.

ــ وتعتبر الرسائل الموحدية عموما **طويلة** خاصة اذا كانت في موضوع الفتوح او التهاني وربما كانت هذه سمة العصر، فالحلبي يوصي الكتّاب بقوله : «اذا كانت كتب التهاني بالفتوح فليس الا بسط الكلام والاطناب في شكر الله على الفتح... ثم وصف الاقدام والصبر... عن الملك وجيشه... ونسبة النصر الى الله،،، ولا بأس بتهويل امر العدو ووصف جمعه وإقدامه، فان في تصغير امره تحقيرا للظفر به»[187]. وفي العادة تكون الرسائل **قصيرة** نسبيا اذا كانت في موضوع العتاب[188]، وان كانت الرسائل عموما اخذت تميل الى القصر خلال العصر الموحدي الثاني (الأخير)[189].

ــ ومما تتضمنه الرسائل الموحدية ايضا **الاقتباسات** الكثيرة من القرآن الكريم، وأحيانا من الحديث والشعر والامثال العربية...

ــ وإذا كانت الرسالة في موضوع تولية فانها تمدح المولّى ولا تتضمن القدح في المعزول ربما «لما يظهر منه من ضعف الآراء عند اختياره، ولما فيه من ايغار الصدور» على حد قول الحلبي[190].

3 ــ بعض مميزات الرسائل الصادرة عن الخلفاء الى الولايات

تسمى الواحدة منها عادة «كتابا»[191] ويعبر عن المكتوب عنه بنون الجمع والمكتوب اليه بميم الجمع، ويبدو ان هذه «الكتب» كانت في الأصل تحمل العلامة الخليفية وهي «والحمد لله وحده»

---

(183) هناك حالة خاصة لم يذكر فيها المهدي بهذه الصفة ولا بصفة العصمة وهي الرسالة الموجهة من المرتضى الى العزفي (يحيى 11 ــ 17)، مما يبين نوعا خاصا من العلاقة بين الطرفين.

(184) قارن مع صبح الاعشى 443/6.

(185) انظر الرسائل رقم 10 و 40 و 41 و 42 و 44 (م ج).

(186) انظر مثلا اغلبية رسائل المخطوط الخاص.

(187) شهاب الدين محمود الحلبي في (حسن التوسل الى صناعة الترسّل) ص 335 وما بعدها.

(188) قارن رسالتي فتح قفصة : 30 و 31 مع رسالة ابن مبشر رقم (11) او رسالة ابن عبد الحميد رقم 8 (م ج).

(189) قارن بين رسائل العهدين الأول و الاخير مثلا رسائل العطاء الجزيل مع رسائل البيان المغرب في (م ج).

(190) نفس المصدر السابق.

(191) يبدو ان الرسالة التي تحمل اوامر خليفية خاصة برجال السلطة الجهوية تحمل عادة اسم كتاب، والرسالة الموجهة لقرائتها على الجمهور تسمى عادة خطابا (لاحظ بعض عناوين تقاديم مخطوط يحيى).

بعد البسملة والتصلية في اعلى «الكتاب»[192]، كما يبدو ان العلامة كانت بلون مغاير لنص الرسالة حيث يلاحظ ابن عذاري ان «التواقيع» كانت تكتب «بالمداد الأحمر المعروف للخلفاء» (ص 320)، غير أن النساخ كثيرا ما استغنوا عن هذه العلامة مثلما استغنوا احيانا عن صدر الرسالة كله أو بعضه كما هو الحال بالخصوص في رسائل التقاديم (بمخطوط يحيى)[193]، وكما استغنوا ايضا عن تاريخ الرسائل وعن الاسماء وتعويضها بفلان او بفلانة كناية عن القبيلة او الموقع، ولاتحمل الرسائل في هذه الحالات دعاءا للخليفة المكتوب عنه ولا لولي عهده ان كان له ولي للعهد.

4 ــ بعض مميزات الرسائل الموجهة الى الخلفاء عن الولاة

ــ يذكر فيها المكتوب عنه او عنهم باسم «العبد» أو «العبيد» في حالة ضمير الغائب مفردا او جمعا، ويخاطب الخليفة بصفاته وبضمير الغائب دائما سواء في حالة التذكير او التأنيث حسب نوع الصفة : «المقام الاعلى» أو «الحضرة الامامية»...[194] اي اعتبار مكانة الخليفة فوق مستوى المخاطبة بالكاف التي هي لعامة المخاطبين[195]. واذا ذكر اسم المكتوب عنه فانه يذكر مجردا من اية زيادة مثل «ابراهيم» كأنه نكرة تأدبا مع الخليفة المذكور ــ على العكس من ذلك ــ بصفاته المتعددة[196].

ــ يلاحظ ان صفات المدح والتقدير للخليفة تحتل احيانا اكثر من نصف الرسالة.

ــ كثيرٌ من الرسائل الصادرة عن الولاة غير مؤرخة وخاصة رسائل المخطوط الخاص[197]، بينما نجد كثيراً من رسائل الخلفاء مؤرخة ويبدو ان سبب غياب التأريخ هو البتر من طرف النّسّاخ.

5 ــ ومن المميزات العامّة للرسائل.

ــ أن بعضها يحمل اشارة لصفة الخليفة المكتوب عنه، ففي احدى رسائل المعتضد نجد الدعاء «وبالله تعالى نعتضد» ، «وهو المانّ بعضده»[198].

---

(192) انظر رسالة المنصور الى بيشة حول تنظيم التجارة بين الطرفين (35 م ج)، وانظر ايضا صورة رسالة المرتضى الى البابا في هسبيريس 1926 ونقلها عنان في تاريخه عن المرابطين والموحدين (ج 2).

(193) ومن الادلة على ذلك ان الرسائل المبتورة ليست لها بدايات متشابهة وتبدأ احيانا بواو العطف، وكذلك بالنسبة لعدد من رسائل المخطوط الخاص.

(194) انظر مثلا الرسالة رقم 19 يخاطب الخليفة يوسف في أولها بكاف الخطاب وبعدها يذكر صاحب الرسالة الاجماع على بيعته بامرة المومنين ويتحول في ــ نفس الرسالة ــ إلى مخاطبته بضمير الغائب انظر أيضا بقية الرسائل الموجهة إلى يوسف قبل الاتفاق على بيعته النهائية بالخلافة (مثلا رقم 12 و14 و15 و16).. ويخاطب الخليفة بجمع الغائبين «أمير المومنين ادام الله تأييدهم».

(195) مخاطبة الخلفاء بضمير الغائب استعملت بالاندلس في القرن الرابع الهجري (الحلل الموشية 32).

(196) انظر مثلا الرسائل رقم 70 و 73 و74 و 75 و 78 و80 و82 و88 و94 و96، واذا كانت الرسالة موجهة من امير وإلِ الى غير الخليفة فان هذا الوالي يعرف بنسبه كما هو الحال في الرسائل 79 و90 وكذلك 37 و77.

(197) ما عدا رسائل المنّ 12 و 17 و18 و19 و 26 (م ج) وبعض رسائل العطاء والبيان ورسالة وحيدة في المخطوط الخاص هي رقم 70 (م ج) وكذلك الرسالة 58 الموجهة الى غير الخليفة فهي مؤرخة.

(198) التقديم رقم 42 (مخطوط يحيى ص 55).

ــ كثيرا ما يقتصر اسم «الخايفة» على عبد المومن تشبيها له بابي بكر خليفة الرسول (ص) ويكتفي من جاءوا بعده باسم «أمير المومنين» أو «الإمام أمير المومنين» وينعت الخلفاء الموحدون باسم «الخلفاء الراشدين».

ــ والملاحظ ان الرسائل الى عهد الناصر تحمل بعد الصلاة على الرسول (ص) ذكر «آله وصحبه»، أما بعد هذه الفترة فيقع غالبا الانتقال مباشرة من ذكر الرسول إلى ذكر المهدي ثم خلفائه «الراشدين» (الموحدين)[199].

ــ في بعض الرسائل لا يقع اخضاع كنية الخليفة للقاعدة النحوية : فالكنية «ابو يعقوب» أو «أبو يوسف» في حالة الجر تحتفظ بهذه الصفة في الغالب بدلا من القول : «ابي يعقوب» أو ابي يوسف».

ــ عندما تذكر المدن الموحدية تتبع بدعاء مناسب مثل «حرسها الله» أو «كلأها الله» أو «حاطها الله»... وعندما تذكر مدن نصرانية تتبع بالدعاء مثل «فتحها الله»، واذا كانت المدينة مما فقده المسلمون يكون الدعاء مثل «اعادها الله»، وهذا عندما تكون المراسلات في الحالات الثلاث بين السلطة المركزية والجهوية وليست مع الممالك المسيحية.

ـ ــ في حالة المراسلة بين الموحدين وجهة خارجية يكون أسلوب المخاطبة على احد شكلين :

ــ اذا كانت المراسلة من القمة الى القمة مثلا من المرتضى الى البابا، او من احد ولاة افريقية الى حاكم بيشة، أو من احد السادة ولاة بلاد الاندلس الى ملك قشتالة يذكر المكتوب عنه و المكتوب اليه كل باسمه إو صفته : مثلا «من عمر أمير المومنين، الى البَابَه إِينُهْ سَانِسْ أُشْ»[200] أو «من عبد الرحمن بن الخليفة... الى الأرسفسك وحكام بيشة» ، أو الارسفسك وقناصرة البر والبحر (رقم 47 و 52 م ج) أو «من عبد الرحمان بن الخليفة الى الشيخ الاجل.. جراردو (رقم 53 م ج) او الى القنصر كُنْدْفِرِدَسْكُونت... من عبد الواحد بن الشيخ الاجل»... (62 م ج)، وكذلك (37 م ج) عن والي مرسية الى ملك قشتالة والرسالة (77 م ج) عن والي اشبيلية الى الوصي على عرش قشتالة.

ــ اما اذا كانت الرسالة الموحدية صادرة عما دون شخصية الوالي لا يذكر اسم المكتوب اليه بشخصه مثل حاكم بيشة فهما مختلفا المستوى، فيذكر المكتوب اليهم بصفتي الجمع والتعميم : مثلا الرسائل المكتوبة عن ناظر «ديوان تونس عبد الرحمن بن ابي الطاهر تسمي المكتوب اليهم في بيشة « الاشياخ والحكام... (46 و 50 م ج)، وكذلك الرسالة الصادرة عن عامل سبتة ناصح بن عبد السلام كتبها الى بيشة باسم «القناصلة»...(49 م ج).

---

(199) رسالة المرتضى الى البابا تذكر آل الرسول وصحبه (126 م ج) كما يُذكرون في رسالة تعزية عن الوالي «ادريس ابي العلاء (المأمون) زمن المستنصر، الرسالة بمخطوط الاسكوريال 488 غزيري (صفحة 70 أ و ب) (شريط خاص).

(200) هي الرسالة رقم 126.

أولا

الرسائل العامة

(مرتبة ترتيبا زمنيا)

الرسالة الأولى :

رسالة من المهدي ابن تومرت إلى المرابطين

تقديم :

منذ اعلان ثورة المهدي على المرابطين دارت بينه وبينهم معارك مسلحة، كما دارت بينهم حرب دعائية. واذا كانت بعض رسائل المهدي تتهمهم بالكفر وتعتبر دماء وأموال المرابطين حلالا على الموحدين، وان المهدي امره الله «بادحاض حجة الظالمين، ودعاء الناس الى اليقين»[1] فإن رسالة اخرى منه — لعلها هي اولى رسائله اليهم — لاتحمل مثل هذه الصيغة، وانما الدعوة الى تقوى الله واتباع السنة، بينما يعتبر هذه الرسالة المقدّمة هنا تحذيرا وانذاراً، وهذا نصها كما وردت في الحلل الموشية (ص 111 — 112) وفي مجموع مخطوط لجائزة الحسن الثاني لسنة 1978 (58 ب) لمؤلف مجهول (الخزانة العامة).

نص الرسالة :

الى القوم الذين استزلّهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية، والشرذمة الطاغية اللمتونية[2]. اما بعد، فقد امرناكم بما نأمر به انفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وان الدنيا مخلوقة للفنا[3] والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا[4] عليكم حقوق بوجوب السنة[5]، فان اديتموها كنتم في عافية، والا فنستعين بالله على قتلكم حتى نمحو آثاركم، ونكدّر(ونهدم)[6] دياركم، (و)[7] حتى يرجع العامر خاليا، والجديد باليا[8] وكتابنا (هذا) إليكم إعذار وانذار[9]، وقد اعذر من انذر، والسلام عليكم سلام السنة لاسلام الرضى[10].

---

(1) ورد هذا التعبير في احدى الرسائل التي وجهها المهدي الى المرابطين وهي ضمن مجموعة رسائل موحدية نشرها ليفي بروفنصال مع مذكرات البيذق تحت عنوان : «اخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين» (ص 11)، ويظهر ان هذه الرسالة مسبوقة باخرى أو باخريات قبلها حسبما يفهم من عبارتها : «وقد بيّنّا لكم وأوضحنا السبيل».

(2) تنقص هنا صيغة التجسيم المنسوب الى المرابطين.

(3) في الحلل الموشية للفناء.

(4) في المجموع : وقد أوجبت لنا.

(5) يهتم المهدي بالسنة باعتباره محييا لها، وسنجد في عدد من الرسائل المقبلة التوصية بالاهتمام بالقرآن والسنة.

(6) كلمة زائدة في الحلل.

(7) زيادة من الحلل.

(8) وهذا يعني ان ابن تومرت تطور من مرحلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى مرحلة استعمال السيف، انظر المعجب (192 — 193).

(9) ورد في المجموع هكذا : وكتابنا (اليكم هذا إعذار وانذار).

(10) اضاف صاحب المخطوط المجموع بعد هذا عبارة : «وهو اول كتاب كتبه اليهم».

الرسالة الثانية :

رسالة المهدي إلى جماعة «الموحدين»
(الرسالة المنظمة)[1]

تقديم :

وجه ابن تومرت رسائل الى جماعة «الموحدين» المؤمنين بمهدويته وعصمته وبتكفير غيرهم، منها الرسالتان اللتان اوردهما بروفنصال في «أخبار المهدي...» (1 — 8)و (8 — 10)[2]، ومنها ايضا الرسالة التي وردت بكتاب «اعز ما يطلب»[3] والتي يفضح فيها المهدي سياسة المرابطين ودور فقهائهم «وتلبيساتهم» على الناس لمنعهم من اتباع دعوته.
وردت هذه الرسالة ضمن رسالة اخرى لعبد المومن وجهها الى كزولة على سبيل تذكيرهم بأقوال المهدي في المرابطين ليتحول الكزوليون عنهم تماما الى الموحدين، وهذا نص رسالة المهدي[4].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، **الى جماعة اهل التوحيد**[5]**وفقهم الله لما يحبه**[6] ويرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اما بعد، **فإنا** نحمد إليكم الله الذي لا إلاه الا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيّه ورسوله، والذي نُوصيكم به تقوى/الله

---

(1) هكذا سماها البيذق في «اخبار المهدي» ص 95 طبعة دار المنصور بالرباط.

(2) وسماه ايضا : Documents inidits d'histoire Al Mohade.

(3) مخطوط خ ع : ق 1214 ص 122 وما بعدها، وقد نشر الرسالتين مع تعليق عليهما الأستاذ عمار الطالبي ضمن السلسلة التاريخية من منشورات الجامعة التونسية التي تحمل عنوان «اعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته «1979، ص 95 — 110، وسترد فيما بعد. انظر أيضا «أعز ما يطلب» ط الجزائر 1985 ص 257 — 264.

(4) وردت مباشرة بعد رسالة عبد المومن الى كزولة حيث وضعت في المخطوط قبل الفقرة الاخيرة التي تبدأ ب : فاذا وصلكم كتابنا هذا...

(5) اهل التوحيد او الموحدون : نواتهم الأولى من المصامدة بالخصوص، سماهم المهدي بذلك لاتباعهم في نظره عقيدة التوحيد الحقيقية، وصنفهم طبقات، وسيقوم عبدالمومن بتعديل لهذه الطبقات بحيث لن يعود لفظ الموحدين، خاصا بالمصامدة (الرسالة 12 من م ر م لبروفنصال) وسيصبح ايضا لكلمة التوحيد مدلول سياسي يعني الخضوع لدولة الموحدين (انظر الرسالة رقم 26 حول «توحيد» ابن همشك).

(6) الكلمات المكتوبة بخط سميك هي كذلك في المخطوط.

والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه[7].

كتبنا إليكم هذا الكتاب بعدما اتصلت بنا اخباركم، وقيامكم في نصرة الحق واجتهادكم على إحياء السنة، وتآلُفكم وتعاونكم على إظهار الحق، واجتماعكم على إخماد الباطل والضلال، وجهاد المجسّمين والمفسدين، فحمدنا الله تعالى على ذلك وشكرناه اذ منّ علينا بالاخوان على اظهار الدين واحياء[8] السنة، امتثالا لقول الله تعالى : «وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُم قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ»[9]، فنبه على ان كثرة الإخوان والانصار منّة منه عظيمة، لأن[10] بأنصار الحق يظهر نور الحق وجمال الدين، وبه يهدم الباطل والضلال حتى تمتحي[11] آثاره ورسومه، وتبقى بعده انوار الحق مشرقة واعلامه واضحة.

فلما كان الحق لا ينصر والدين لا يظهر الا بانصار الحق والمجاهدين عليه، عظم الله امر المجاهدين وبيّن فضلهم، واخبر ان الجهاد بالاموال والانفس تجارة تنجي من عذاب اليم، فقال تعالى : « يايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب اليم» الى قوله : «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم»[12]، فسماه تجارة لما فيه من الأجر الدائم، والثواب الباقي استعارة وتقريبا للأفهام، ليفهموا ما فيه ويرغبوا فيما ذكر فيه من درجات المجاهدين وما اعد الله لهم، فسمّى الجهاد تجارة لما فيه من البيع والشراء لأن المجاهد باع نفسه وماله من ربه، فاشترى منه ربُّه مالَه ونفسَه بالثمن الباقي الدائم الذي لا زوال له وهو الجنة ونعيمها، فأخبرنا بذلك ليَرغب فيه الراغبون، ويسعى فيه العاملون لعلمهم وتصديقهم بالوفاء والوعد من الله، فلما آمنوا به وصدقوه، وعلموه يقينا وحققوه، باعوا انفسهم من الله اذ لا شيء اعز عندهم منها، فلما عَلِمَ صِدْقهم وايمانهم اشترى منهم ما باعوا بالجنة التي فيها مالا عَيْنٌ رأت ولَا أذن سمعت، ولا يبلغه الواصفون، ولا يحيط به العقل، قال الله تعالى : «إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُومِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّة، (الى قوله) ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ الْعَظِيم»[13]. ولهذا عظّم الله الشهادة، وجعل القتل في سبيل الله حياة لئلا يظن الظّان انه ميت فقال تعالى في كتابه : « وَلاَ تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، (إلى قوله) وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ»[14]، وقال تعالى : «وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله أَمواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ (عند ربهم) وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ»[15] فلما علم رسول الله ﷺ فضل الشهادة أمر بذلك اصحابه وتمني القتل في سبيل الله، فقال ﷺ : «ودِدْتُ أنّي أُقاتِل في سبيل الله فأُقتَل ثم أُحيَى فأُقتَل ثم أُحيَى فأُقتَل» فكرر ذلك

(7) ستستمر هذه الصيغة في الحمدلة والتصلية والتوصية في الوجود ضمن الرسائل الصادرة عن الخلفاء الموحدين اقتداء برسائل المهدي.

(8) في الاصل : واحيا.

(9) من الآية 87 من سورة الاعراف.

(10) كذا بالاصل.

(11) كذا بالاصل، وهو صحيح لغة.

(12) من الآية 12 من سورة الصف.

(13) الآية 112 من سورة التوبة، وفي هذه الآية «وذلك هو الفوز العظيم».

(14) الآيتان 169 — 170 من سورة ال عمران.

(15) الآية 153 من سورة البقرة، وفي الآية : «بل احياء ولكن لا تشعرون».

تعظيما لأمر الشهادة، وفي فضل الشهادة كثير من الأخبار. فلما علم أصحابه فضل الشهادة سألوا الله عزّ وجل ان يرزقها لهم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك» وغيره، لتصديقهم بالكتاب ويقينهم بالثواب[16]، فلما علموا أن وعد الله حق، جاهدوا في سبيل الله حق جهاده، رجاءا لثواب الله ونصرة للدين، فجعلوا بينهم المودة والرحمة، وجعلوا بينهم وبين عدوهم الشدة والغلظة، وبذلك وصفهم الله في كتابه فقال تعالى : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، (الى قوله) لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا[17]... «(الآية) فقاتلوا الأعداء على دين الله صابرين على البأساء والضراء محتسبين ما أصابهم في سبيل الله بالاموال والانفس في جنبة الله لعلمهم بأن ذلك كله في موازينهم، فصبروا على المكاره، وحملوا المشاق، حتى انجلت عنهم ظلمات الجهل والضلال «فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ[18]»، فكل هول وشدة غشيهم قابلوه بالقوة والتوكل على الله، وكل ضرر وأذى[19] مسهم قابلوه بالصبر والاحتساب حتى فتح الله لهم، فجا(ء)هم[20]الفتح والنصر.

والدين الذي جاهدوا عليه هو الدين، لا يحول ولا يزول، حتى ينفخ في الصور، والسنة التي قاتلوا عليها هي هذه، لاتتبدل[21] ولا تتغير، حتى يرث الله الارض ومن عليها. فاصبروا على هذا الدين كما صبروا، وجاهدوا عليه كما جاهدوا، واحتسبوا ما أصابكم في سبيل الله كما احتسبوا تنالوا عند الله من الاجر ما نالوا فإنهم إنما نالوا النعيم الدائم بالصبر على الجهاد، والاستعداد بالاعمال الصالحة، ولزوم التقوى في السر والعلانية، فاقتفوا آثارهم واسلكوا سبيلهم، وتأسّوا باعمالهم، قد كانت لكم فيهم أسوة حسنة، فالجهاد على الدين والصبر على الأذى[22] نعمة عظيمة لا يؤدى شكرها، فعظّموا ما عظم الله، واعرفوا قدر هذه النعمة التي خصّ بها الله اهل التوحيد/ ومنّ بها عليهم حتى اخرجوا من ديارهم واوذوا على دينهم، ولاشك ولا ريب ان من تحمّل ذلك وصبر فأجره عظيم عند الله تعالى لا جزاء[23] له الا الجنة لقوله تعالى : «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا لأُكفِّرَنَّ عنهم سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ، واللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ»[24]، فاذكروا هذا واشكروا الله عليه كثيرا، واغتنموا الأجر والثواب في هذه الايام قبل فواتها، وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله حق جهاده، **فجهاد**

---

(16) في الأصل : بالتواب (بنقطتين على التاء).

(17) الآية 29 من سورة الفتح.

(18) من الآية 146 من سورة آل عمران.

(19) بالاصل : وأذاء.

(20) الهمزة ناقصة في الأصل.

(21) في الأصل : ولا تتبدل.

(22) في الأصل : على الاذاء.

(23) الهمزة ناقصة في الأصل.

(24) من الآية 195 من سورة آل عمران والصواب : «والذين هاجروا...».

الكفرة الملثمين قد تعيّن على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر، لا عذر لأحد في تركه، ولا حجة لهم عند الله، فانهم سعوا في هدم الدين واماتة السنة، واستعباد الخلق[25]، وتمادوا على الفساد في الأرض، وعلى العتو والطغيان، وعلى هلاك الحرث والنسل، والاعتداء على الناس في اخذ اموالهم، وخراب ديارهم وفساد بلادهم، وسفك دمائهم، واستباحوا اكل أموال اليتامى والأرامل، وتمالأوا[26] كلهم على ذلك وتعاونوا عليه فرحين مسرورين، لا ناهي ولا منتهي، يجمعون الحرام، ويتمتعون بالسحت حتى اعتادوا الاسراف والتبذير في اللذيذ من الطعام، والرقيق من الثياب، والخيل المسوَّمة وغير ذلك مما عُلم من اباطيلهم وجورهم وفسادهم في الأرض، قد علمه الخاص والعام، واشتهر في سائر البلدان، وقد ظهر[27] باطلهم للصغير والكبير لا يحتاج الى بيان، ومن اعظم أباطيلهم[28] أن من رأوه تاب الى الله وأناب الى الخير، واشتغل بتعليم فرائضه، ومايلزمه من توحيده وغير ذلك مما يصلح به صلاته، وترك الفواحش والمحارم، واشتغل بما ينفعه في آخرته ودنياه، فكل من رأوه على هذه الصفة رموه عن قوس العداوة بسهام الغل عدوانا وظلما، وقالوا له ضللت وخرجت من الدين، نسبوه الى البدعة ليسدّوا بذلك باب الثوبة[29] ويقطعوا طريق الآخرة ويصدّوا عن سبيل الله، وقد أهانوا كثيرا من الناس وعذّبوهم على أديانهم، ومنهم من قتلوه على دينه بعد التعذيب، ليعتبر به غيره حتى لا أحد يتوب الى الله ولا يرجع اليه، وقطعوا طريق الله وأبواب الخير والتوبة ليبقى/ لهم السحت، ويدوم لهم الحرام[30] يتقلّبون فيه ويتنعمون، فحملهم ذلك على عناد الحق وإنكاره بتعذيب الناس وقتلهم عليه و لم نسمع بهذه الافعال ولا نظن انها تكون بعد الجبابرة والفراعنة الذين يعذبون الناس على الحق بأنواع العذاب ويقتلونهم عليه، حتى جاء هؤلاء الكفرة، فاذا هم اشد طغيانا وعنادا ؛ فهذا فعلهم بكل من حفظ دينه وتوحيده، وايقن بلقاء ربه ووعده، وحسبوا ان ذلك كله هدى، وزّين لهم سوء اعمالهم، ورأوا أن جميع افعالهم سنة ودين، وكل من خالف افعالهم خارج عن الدين ، وضال عندهم، فاذا رأوا مجسِّما سفيها مضيعا، على الفجور والخمور مصرّا، او قاطعا للطريق سفاكا، أو عاصيا فاجرا، أو متهاونا بالدين، مستخفا بالحق، قربوه ورفعوه وأكرموه، لفعله مثل افعالهم وسلوكه لسبيلهم، ونسبوه الى الهدى والسنة، واعطوه السحت والخبيث ليتقوى به على قطع طريق الآخرة وسفك دماء أهل التوحيد.

فهذه[31]صفة المؤمن عندهم الذي تمسك بسنة رسول الله ﷺ واعتصم بدين الله، وهذا اجتراء على الله، واستهزاء باياته، وتلاعب بدينه، حجبهم الله عن الحق، وحال بينهم وبين الاقرار به، عصمنا

---

(25) في الأصل : واستبعاد الخلق.

(26) كتبت في الأصل : وتمالوا.

(27) الكلمتان (وقد ظهر) كتبتا في الاصل بحروف غليظة.

(28) في الأصل : اباطلهم.

(29) كذا في الأصل بالثاء الثلاثية.

(30) في الأصل : مصححة من كلمة (الخير).

(31) الكلمة بخط غليظ في الأصل.

الله من بليتهم، وسلّمنا مما نزل بهم، وأعاذنا من فتنهم[32] ومصيبتهم، حرمهم الله الآخرة، ووسع عليهم في الدنيا حتى افتتن كثير من حزب الشياطين، وجنوده من أبناء الدنيا المذبذبين، **والبرابر المفسدين، والملبّسين من الطلبة المكّارين،** وغيرهم من أولياء الشياطين **وأعوان الكفرة الملثّمين.**

فهذه الطوائف الثلاثة الذين شمروا وتجرّدوا لهدم الدين واماتته، أعني أهل التجسيم الملثمين والبرابر المفسدين والمكارين الملبسين من الطلبة وهم شر الثلاثة تسمّوا باسم العلم، ونسبوا انفسهم الى السنة، وتزينوا بالفقه[33] والدين، وتعلقوا بالكفرة، وانحازوا الى جَنْبِهِم، واستفرغوا مجهودهم في معونتهم وفي طلب مرضاتهم، لما رأوا الدنيا في جنبتهم، وتركوا دينهم وراء ظهورهم، واعانوهم على باطلهم، فصوّبوا لهم ضلالهم عن الطريق وحَيْدَهم عن السبيل، وقالوا لهم انهم على الحق المبين والطريق المستقيم، انتم انصار الحق واوتاد الدين، فزادوهم ضلالاً على ضلالتهم وعنادا على عنادهم حتى/ ظنوا انهم في الطريق المستقيم، وعلى الطريق المبين كما قالوا، واذا هم في ضلال وخسران، غرّوهم ولبّسوا عليهم ليتحيّلوا بذلك على ما في ايديهم، وليصونوا بذلك دنياهم، فغرتهم الدنيا حتى جحدوا ما استيقنته أنفسهم من الحق لينالوا بذلك الحظ العاجل، ويجمعوا به الحرام، «وَلَبِيسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[34]. فلولا ان رسول الله ﷺ عيّن الدجاّل بصفته لقلنا : ان هذا هو الدجّال وهؤلاء أتباعه، لما ظهر منهم من الميل الى الدنيا وتبرّئهم من الدين وانكارهم الحق واتباعهم الباطل، ويقطعون الناس عن الحق ويردّونهم الى الباطل، لينالوا مرضاة[35] الكفرة بسخط الله وطاعتهم بمقت الله، فلبسوا على الناس بالزور والغرور، وظنوا ان الأمر كما قالوا، وحسبوا أن ذلك هو الحق، وإذا هو تلبيس وحيلة يردونهم بها إلى الباطل، وطاعة أهل التجسيم والفساد والانحياز إلى جنبتهم لينالوا بذلك ويصلوا إلى بغيتهم، وقالوا لهم : طاعتهم لازمة، والانقياد اليهم واجب عليكم، مع علمهم بعناد الظلمة للحق وخروجهم عن السبيل، وقالوا لهم : عليكم السمع والطاعة في كل ما امروكم به، مع علمهم بانهم لا يأمرون الا بالباطل والفساد والضلال، وهلاك الحرث والنسل، وقالوا لهم تلزمكم طاعتهم في ذلك كله، اتباعا لأهواء الكفرة وافترا(ء)ا[36] على الله، فبغضوا اليهم اهل التوحيد، وحذروهم من الرجوع اليهم وسلوك سبيلهم، ولبّسوا عليهم بتبديل الكلام، وتحريف القول بالزور والبهتان، وتقوّلوا علينا ما لم نقل (تنحيا)[37] وتبغيضا للحق عند العوام حتى لايستمعوا اليه ولا يقبلونه[38] ، وعدوا لهم جملا من الأبواب، ونسبوا ذلك كله الينا ليقرروا به بغض الحق في قلوب الناس ودلسوا عليهم بهذه[39] الابواب ليكون ذلك تنفيرا لهم عن سماعها فضلا

---

(32) كذا في الأصل بالجمع.

(33) كلمة (الفقه) مطموسة جزئيا بمداد او بوسخ.

(34) من الآية 101 من سورة البقرة.

(35) في الأصل : مرضات.

(36) في الاصل : وافترا.

(37) كذا بالاصل، وصححها عمار الطالبي : تهجينا.

(38) كذا بالاصل والأصح : ولا يقبلوه.

(39) في الأصل : بهذا.

عن قبولها الناس، فمنها انهم قالوا : هذا رجل يكفر المسلمين، ويمتنع من الصلاة على أهل القبلة، ويقول : ان من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة[40] والصيام وغير ذلك من العبادات، ويرد المطلقة ثلاثا الى زوجها، والمناكر والفساد في الأرض[41]، والاعتداء على الناس في اديانهم وانفسهم واموالهم، والاعتداء[42] هو أدنى مراتب/ أباطيلهم، فجهادهم عليه فرض لقول رسول الله ﷺ : «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» (الحديث)، ولا شك انهم بغوا على الناس في أديانهم وانفسهم وأموالهم، فمن قتِل من المجسمين والمفسدين فهو في النار ومن قتل من الموحدين المجاهدين فهو شهيد.

فحسّنوا نياتكم واخلصوها، وَقَوُّوا[43] انفسكم، واعلموا أن الله لا يخلف وعده، ولا بد ان ينصر الحق كما وعد، ويبطل الباطل كما وعد، فخذوا بحظكم من الجهاد على الحق ونصره، فحزب الله هم الغالبون، والعاقبة للمتقين، واصبروا على دينكم في البأساء والضراء، فانكم على الحق المبين عنه تدافعون، وعليه تقاتلون، فأيقِنوا بثواب الله وصدِّقوا بما ورد في الجهاد، واعتصموا بالله، هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير، جعلنا الله واياكم من عباده المخلصين، ومن حزبه المفلحين[44].

---

(40) في الاصل : قضا الصلاة.

(41) كلمة (الارض) تأثرت بالأرضة، ويبدو ان هذه الجملة تنقصها كلمة مثل : (وينشر) المناكر...

(42) الهمزة في الاصل ناقصة.

(43) في الاصل : (وقوا) وتم تصحيحها في الهامش بمداد وخط مغايرين.

(44) بعد نهاية رسالة المهدي تمّم عبد المومن رسالته إلى كزولة، وقد عبّر عن ذلك جامع كتاب «أعز ما يطلب» كما يلي : ومن كلام أمير المومنين رضي الله عنه فإذا وصلكم كتابنا (الفقرة الأخيرة من الرسالة الرابعة).

الرسالة الثالثة :

رسالة عبد المومن بفتح تارودانت

تقديم .

كانت وفاة المهدي سنة 524 على أغلب الروايات، وأعلنت البيعة العامة لخليفته عبد المومن سنة 527 أو سنة 529[1] وعززها ببعض العمليات العسكرية، فأوصل نفوذ الموحدين الى «هسكورة الجبل» «وصنهاجة الجبل»[2]، أي تمديده الى شرقي تنملل، كما كان يحاول مده الى غربها بحيث استطاع سنة 529 فتح مدينة تارودانت كبرى مدن السوس وهو الاقليم الذي كان يوجد به احدى اهم القبائل المدعمة للمرابطين وهي جزولة زيادة على اهمية الاقليم الاقتصادية[3]. ولا يتضح ما اذا كان فتح تارودانت 529 نهائيا ام انه مجرد عمليات للغنائم وللضغط على السكان للتخلي عن المرابطين وبالخصوص قبيلة كزولة[4]، وقد ورد ضمن احداث سنة 529 بنظم الجمان ذكر رسالة نسبها (ابن الراعي) الى عبد المومن فرأى ابن القطان اثباتها هنا ليتبين كيفية فتح السوس[5].

نص الرسالة :

وذلك ان فيها فتح السوس وان الموحدين أعزهم الله تعالى لما استولوا على بلاد السوس من أوله الى آخره، من فوقه الى أسفله[6]، فقتل اهله، وانجلى من لم يقتل منهزمين الى كل افق مما حواليه من هنكيسة وجزولة، وبعضهم قد انحصر مع الملثمين بتيونوين[7]، فكان آخر هزائمهم التي هزمهم الموحدون أعزهم الله فيها هي الهزيمة التي قتل فيها توجين، ثم قنطوا من سوس ويئسوا منه، فانقبضوا

---

(1) التاريخ الأول ذكره البيذق في اخبار المهدي،، ص 95 والثاني ذكره ابن القطّان (209 — 210)، ومن الواضح هنا سهولة الخلط عند النساخ بين كتابة رقمي سبع وتسع .

(2) نظم الجمان 210.

(3) لعل هذا من اهم ما جعل المرابطين يكثفون جهودهم في هذه الفترة لابقاء السيطرة على السوس ومنع الموحدين من النزول اليها من الجبال، هذا بالاضافة الى امكانية تطويق الموحدين للمرابطين.

(4) انظر غزوة عبد المومن الأولى لجزولة مع تاشفين و «الشنيور» البيذق 45، وسيرد ذكر دخول الموحدين الى سوس سنة 534 أو 535 وغنم بعض بلادها، (البيان 98/4)، اما ارض كزولة فيجعلها ابن سعيد المغربي تمتد فيما بين سهل سوس ومشارف سجلماسة» (كتاب بسط الأرض 58)، وحاضرة كزولة هي الكست التي لا يسافر اليها الا اهلها (اي محدودة النشاط التجاري) المعجب 361، انظر ايضا عن كزولة في الفصل الأول خصائص الرسائل 2، 3، 4 والفقرة الثالثة من الدراسة العامة.

(5) لم يرد في الرسالة الحديث عن فتح ايغلي، وانما ذكره ابن القطان قبيل ايراده للرسالة في نظم الجمان ص 210.

(6) انظر عن بلاد السوس : الادريسي (39 — 40) ن بيريس، الاستبصار 211 وما بعدها، الروض المعطار (329 — 330). وردت كلمة سوس في النص تارة معرفة وتارة نكرة.

(7) تيوينوين : احدى مدن السوس الكبرى، الادريسي (39 — 40) ن بيريس.

بتيونوين في ذل وخزي ورعب، لا يستطيعون حيلة، ولا يقدرون على حركتهم والحمد لله الذي اظهر ضعفهم واخذهم بسوء فعلهم.

ولما بلغوا هذا المبلغ زادهم الله تعالى استدراجا ومكرا، فقام المخذول العلج الأعرج[8] من «أجرفرجان»، فاقتحم بنفسه في طريق إيغيران تطوف[9] في حالة غفلة من الموحدين أعزهم الله تعالى الذين عليها[10] حتى جاز عليهم، ولم يشعروا به حتى فاتهم بمن معه هاربين، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا الى بلاد السوس، ولاشك في ان الله تعالى قد علم في ذلك خيرا، اذ هو المدبر لهذه الامور ولم يكلها الينا والحمد لله رب العالمين.

ولم يصل العلج الا بنحو اربعمائة برذون، فلما وصل الى تيونوين تسامع به من فرَّ الى الاطراف من بقية اهل سوس، فكان هو معبودهم ومُتَّبَعَهم، فاتكلوا عليه ونسوا ربهم، وجهلوا امر الله تعالى، واغتروا بقدومه، فرجعوا الى أوطانهم، وحسبوا انه يمنعهم من بأس الله **مع انهم لم يجدوا في الدنيا مهربا ولا ملجأ**، فبادروا الى النزول في بلادهم[11]، فميزنا عسكرا مباركا من خيل ورجل، فخرجوا الى ناحية تارودانت[12]، وبعثنا تلك الليلة سرية الى أسفل السوس، فوجدوا بلاد المجسم معمورة قد سكنوا بأهاليهم ومواشيهم، فقتلوهم وغنموا اموالهم بقرا وغنما ودوابًّا[13] وعبيدا وسبوا ذراريهم واهاليهم، ورجعوا سالمين غانمين ؛ ثم بعثنا سرية أخرى في الليلة التي تليها إلى بقية تلك الناحية اعني أسفل السوس، فقتلوا مقتلة أكثر من الأولى، وغنموا اكثر مما غنم[14] أصحابهم.

وأما العسكر فقصدوا الى تارودانت حتى دخلوها، فوجدوا البقية/ التي رجعت اليها هاربين قد بعث اليهم الملثمون المحصورون بتيونوين حين عاينوا عسكر الموحدين اعزهم الله تعالى قد اقبل اليهم فقالوا لهم : انجوا بأنفسكم، قد غشيكم عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى، فهربوا الا بعض من كان في أطراف البلد مثل تاجندويت ورقالة[15]، فقتل الموحدون من وجدوا.

ثم نزل الموحدون في وسط تارودانت، واستقروا بها ساكنين وهزموها وحرقوها وأطلقوا النار في القصب[16]، اذ لا يقدر عليه من كثرته الا بالنار، ونحن ننظر[17] الى الدخان قد علا وارتفع

---

(8) العلج هنا قد يكون هو الربرتير رئيس فرقة النصارى المرتزقة، وهو الذي يسميه البيذق (الشنيور (ص 45).

(9) أو ايغارن يطوف وهو طرف جبل درن الكبير الداخل في البحر (كتاب بسط الأرض 57).

(10) في الأصل : الذين عليهم.

(11) لم يتضح هل ما سبق من نص الرسالة أم تصرّف فيه ابن الراعي أو ابن القطّان ؟.

(12) تارودانت مدينة صغيرة او قرية كبيرة هي حاضرة السوس، وهي اكثر البلاد قصب سكر، ومنها يجلب الى جميع بلاد المغرب والاندلس وافريقية (المعجب 361، والاستبصار 211 — 212).

(13) كذا في الأصل (المحقق).

(14) في الأصل : غنموا.

(15) تاجندويت ورقالة : موضعان لم نتمكن من التعرف عليهما.

(16) يبدو ان المقصود هنا قصب السكر الذي تشتهر به المنطقة، انظر الادريسي 39 (ن بيريس) الروض المعطار، مادة السوس، والهامش 12 سابقا.

(17) في الأصل : ننظروا.

في الهواء[18]، وتألف فصار كالسحاب المتراكم، والكفرة بتيونوين لا يقدرون على أكثر من النظر الى الدخان، والنيران تضرم في منازلهم وأوطانهم، وهم مع العلج لم يزدادوا بقدومه عليهم الاشدة هول وحصار وخوف وجوع ؛ ولما أيقن البربر وغيرهم بعجز العلج انكسرت قلوبهم، واستمرت الهزيمة عليهم، والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم[19]، وانتقم منهم بحربهم[20].

---

(18) الهمزة ناقصة في الأصل.

(19) يتضح من هذا ان الموحدين لم يستولوا على تيوينوين.

(20) للمزيد من الوضوح حول هذه الرسالة انظر خصائصها في الفصل الأول.

الرسالة الرابعة :

رسالة عبد المومن إلى كزولة
(وجه معها «الرسالة المنظمة»)

تقديم :

كانت كزولة احدى اهم القبائل المدعمة للدولة المرابطية وستظل ايام الموحدين موطنا للثوار عليها كما سنرى فيما بعد، وفي خلال تصاعد الحركة الموحدية تعرضت كزولة لضربات من اهمها تلك التي حدثت سنة 533 او 534 اثر هزيمة جيش الأمير تاشفين المرابطي[1]، فخضعت كزولة او قسم منها للموحدين، فرأى عبد المومن أن يوجه اليها رسالة يحثها فيها على التخلي عن المرابطين ومعها رسالة قديمة عن المهدي يظهر فيها «تلبيسات» هؤلاء لمنع الناس عن اتباع الدعوة الموحدية وقد وردت الرسالتان ضمن «اعز ما يطلب»[2]، ورسالة عبد المومن غير مؤرخة، غير ان الاستاذ عمار الطالبي يرجح لها تاريخ 537، وهذا نصها كما وردت في «أعز ما يطلب»[3].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم ( )[4]/ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه ورسوله[5]، والذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه.

كتبنا اليكم هذا الكتاب نصيحة وتنبيها وتذكرة وتأكيدا في تبليغ الحجة، لحسن ظننا بكم، وقوة رجا(ئ)نا[6] فيكم ورغبتنا في الخير، ونيل الحظ الأوفر عاجلا وآجلا، وان العز في الدنيا والآخرة لا ينال الا بطاعة الله وتقواه، ولما اعتقدنا في ذلك من الاحتساب واغتنام الأجر في النصح، والدعاء الى الله والدار الآخرة، وأمضينا في ذلك عزيمة لا تنثني ولا تمل، ولا ينقطع بها رجاؤنا، وهو كان سبيل امامنا رضي الله عنه، وعليه يكون[7] الى يوم القيامة — باذن الله — تنبيه الغافل وتعليم[8]

(1) البيان ج 96/4، و ج 11/3 (طبعة تطوان).

(2) انظر تقديم رسالة المهدي (رقم 2).

(3) مخطوط الخزانة العامة بالرباط ق 1214.

(4) ورد في المخطوط بعد البسملة والتصلية : رسالة أمير المومنين أيده الله الى كزولة.

(5) هذه حالة شاذة في الرسائل الموحدية حيث لا توجد الترضية عن المهدي، الا اذا كان هذا سهوا من الناسخ.

(6) في الأصل : رجانا.

(7) في الأصل : نكون.

(8) في الأصل : وتعلم.

الجاهل، ولو يعلم الناس ما اردنا بهم من الخير لسارعوا، وهذا مرادنا لأهل الدنيا كافة، لما تعيّن من فرض اداء النصيحة وتبليغ الحجة، مع ما سمعنا عنكم وبلغنا عنكم ـــ معشر كزولة ـــ من القصد وحسن النية، وصحة المذهب وصفاء المودة والقيام بحسن الصحبة.

وقد تعجّبنا منكم كل العجب، والتبس علينا امركم، ولم ندر من أين أوتيتم ابغضاً منكم للحق ام جهلا بمنافع انفسكم، ام تعامٍ عن رشدكم، وليس هذا من حكم العقلاء ولا افعال الاحرار، ولو لم تكن الا الحمية والخروج إلى الحرية من عبودية الاشرار، اللُّثُم، الغُتم، الصم، البُكم، العراة، الحفاة، اهل الجهل والجفاء، الذين لا يرضى بصحبتهم من له أدنى عقل ومَيْز، فكيف بعبوديتهم، والكون تحت ايديهم وفي خدمتهم، واعانتهم على جورهم وجهادهم[9]وكفرهم وطغيانهم بالاموال والأولاد والانفس، ولو لم يكن الا ترجيح المنافع في الدنيا، واختيار منزلة الحرية عن منزلة العبودية فكيف اختيار خير الدنيا والآخرة، والعز الدائم في الدنيا عن الذل والهوان في الهوان، والعذاب الاليم في الآخرة «ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»[10]، فما عذر من سمع قيام المهدي في المتخلف عنه[11]، ولو كان ببلاد الصين والهند[12] حتى يلحق به ويلتجىء اليه وينجو[13] في سفينته من الغرق العام، فكيف بقوم بعثه الله / فيهم وقام بين أظهرهم، ودعـ(ـاهم)[14]الى طاعة ربهم، وقاتل على[15] من عاند وكفر بطائفته المؤيدة المنصورة الى أن لحق الله بعد ايضاح الحق وإقامة برهانه، ثم لم تزل بعده طائفته قائمة بامره، متمسكة بمذهبه الى ان اقام امره ثلاثا وعشرين سنة، فلم يزدد اهل الدنيا الا التعامي والتمادي الى ماهم عليه والعناد للحق والعتو والطغيان، ولكن حرموا التوفيق «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَا(ء)»[16] فإن من الانصاف اذا ذكر الحق ان يصل اليه كل من تشرع بشريعة الاسلام، وادعى أنه من امة محمد عليه السلام، فليسمع باذنه ويرى ببصره، ويميز بعقله الذي أعطاه الله للميز بين الحق والباطل، وبين منافعه ومضاره من منافع دنياه وآخرته، فإن الحق عليه نور لا يخفى على احد، فإن وجد الحق فلا عذر له في تركه، وان وجد خلافا فلا يضره وصوله اليه، وان لم يفعل هذا فلا حجة له عند الله.

ولما وصل بعض عسكرنا الى تلك الجهات، فهاجر اليه بعض اخوانكم، وعرفنا بما تحقق عنده من احوالكم في الخير وصحبة اهل التوحيد، والانحياز[17]الى جنبتهم، واثنى عليكم بكل خير، فازداد رجاؤنا فيكم، وتأكد حسن الظن بكم، فأوجب ذلك مخاطبتكم، وقد علمنا ما لبّس به

---

(9) كذا في الأصل، والظاهر ان الكلمة فيها خطأ.

(10) من الآية 14 من سورة الزمر.

(11) الصواب : التخلف عنه.

(12) كلمة (الهند) نالت الارضة من وسطها

(13) في الأصل : وينجوا (بالالف).

(14) لم ينج من فعل الأرضة غير حروف : ودع.

(15) يبدو هنا نقص كلمة مثل (الحق) او (التوحيد).

(16) الهمزة ناقصة في كلمة يشاء وهذه الآية هي رقم 55 من سورة القصص.

(17) في الأصل : والانحيار.

الملبسون على الناس وما صدّوهم به عن سبيل الله، فرأينا ان نبعث اليكم كتابا من كتب المهدي رضي الله عنه الى بعض اهل التوحيد في اول هذا الامر، بين فيه بعض تلبيساتهم وما صدوا به عن سبيل الله ربهم، لتقفوا عليه وتعرفوا به تلبيسهم، وكيف اضلوا الخلق عن طريق الاخرة، وبغّضوا إليهم هذا الامر ؛ فإذا وقفتم عليه وتأملتموه بيّن لكم ــ ان شاء الله ــ وجه تلبيسهم وإضلالهم الخلق بتحريف القول والافتراء على الله ورسوله[18].

فإذا وصلكم كتابنا هذا فتأملوه وتفهموه، فان كلام المهدي ــ رضي الله عنه ــ نور وضياء ورحمة وشفاء لما في الصدور، وهو كله حكمة وعلم وموعظة فاذا تأملتموه ينفعكم الله به، وتجدون بركته ان شاء الله عز وجل، فاشكروا الله عز وجل الذي خصّكم [19] به، واعرفوا نعمة الله عليكم فقد خصصناكم به لقوة رجائنا فيكم، وطمعنا لكم في الانتفاع به في الدنيا والآخرة، ولم نخص به احدا قبلكم، فتأملوه فان معانيه[20] عظيمة، وحكمه[21] بليغة، فأقبلوا عليه بأفهامكم، وتأملوا حكمته بعقولكم، فانكم لا تخيبون من بركته ان شاء الله بفضله ورحمته، ونرجو[22] لكم خير هذا الكتاب والانتفاع به ونحن نحب لكم ما نحب لأنفسنا من الخير، ولا نريد لكم الا الخير والعز الدائم في الدنيا والآخرة ان شاء الله فكونوا عند الظن بكم، وانظروا لانفسكم واعلموا ما يراد بكم، ولا تتركوا حظكم من الخير، وهذه تذكرة ونصيحة، فقد ذكّرناكم فتذكّروا ونهيناكم فانتهوا، ونصحناكم فاقبلوا، ودعوناكم فاجيبوا ؛ زوّدنا الله واياكم بالتقوى وختم لنا واياكم بالحسنى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير[23]، (كملت الرسائل بحمد الله وعونه وصلى الله...).

---

(18) بعد هذا وردت رسالة المهدي رقم 2 ثم بعدها أكملت رسالة عبد المومن بالفقرة اللاحقة هنا. قارن ماسيأتي مع تعليق لعبد المومن على احدى رسائل المهدي في الصفحة 10 من «أخبار المهدي» بروفنصال.

(19) في الأصل خلصكم.

(20) في الأصل توجد نقطة على العين.

(21) في الأصل : وحكمة.

(22) في الأصل : ونرجوا (بالالف).

(23) بعد (النصير) توجد علامة نهاية الرسالة.

الرسالة الخامسة :

رسالة الشيخ أبي حفص الهنتاتي
عن مقتل الثائر الماسي

تقديم :

تمكّن الموحدون بعد حملتهم الطويلة ضد المرابطين من فتح عاصمتهم مراكش سنة 541، وخلال هذه الفترة او بعدها بقليل اندلعت الثورات ضد الموحدين، منها ما اتخذت طابعا مذهبيا وسياسيا كتلك التي تزعّمها محمد ابن هود المعروف بالماسي الذي ادعى الهداية[1]، فوجّه اليه الموحدون حملات متوالية الى ان تمكنّوا من القضاء عليه. وأهمّ هذه الحملات تلك التي تزعّمها الشيخ ابو حفص الهنتاتي[2] في اواخر سنة 542 على الأرجح، وبعد انتصاره اهتدى الى اكتشاف الكاتب المرابطي ابي جعفر ابن عطية[3] متسترا ضمن جنده، فكتب عنه رسالة النصر الى الخليفة عبد المومن وهي الرسالة التي اوصلته الى مرتبة الكتابة ثم الوزارة لدى الخليفة :

هذه الرسالة اوردها جماعة من المؤلفين الذين ترجموا للكاتب ابن عطية كنموذج لانتاجه في فن الرسائل، فهي عند :

المقّري	:	في «نفح الطيب» ج 5 (187 ــ 188)، دار صادر، بيروت.
ابن الخطيب	:	في «الاحاطة» ج 1 (269 ــ 270)، القاهرة 1973.
الحميري	:	في «الروض المعطار» (مادة : ماست)، تحقيق احسان عباس، ص 522.
ابن الأبار	:	في «اعتاب الكتّاب» (227 ــ 229)، دمشق (وهي أقل أخطاء ولهذا اعتمدت عليها مع الاشارة الى المصادر الأخرى للمقارنة).
الناصري	:	في «الاستقصا» ج 2 (111 ــ 112)، الدار البيضاء 1954.

رموز المصادر : (ن) : نفح الطيب، (ح) : الاحاطة، (ر) : الروض المعطار، (س) : الاستقصا.

العلامات : (( )) للاضافة ــ ( ) للحذف

---

(1) انظر الفصل الأول من الدراسة العامة.

(2) أبو حفص احد اعضاء الجماعة او العشرة انصار المهدي، انظر الفصل الثالث من الدراسة العامة.

(3) انظر ترجمته في اول الفصل الثالث من الدراسة العامة.

نـص الرسـالـة :

كتابنا[4] هذا من وادي ماسة[5]، بعدما تجدّد من أمر الله الكريم، ونصره المعهود المعلوم[6]، «وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم»[7]، فَتْحٌ بَهَرَ الأَنْوَارَ إشراقا[8]، واحدق بنفوس المومنين احداقا، ونبّه من الأماني[9] النائمة جفونا واحداقا، واستغرق غايات[10] الشكر استغراقا، فلا تطيق الألسن لِكُنْهِ[11] وصفه ادراكا ولا لحاقا. جمع اشتات الطلب والارب[12]، وتقلب في النعم اكرم منقلب، وملأ دلاء الآمال[13] الى عقد الكرب.

«فتـحٌ تفتّـح أبـواب السمـاءِ لـه وتبرز الارض في أثوابها الـقُشُبِ»[14].

وقد تقدّمت[15] بشارتنا به جملة، حين لم تعط الحال بشرحه مُهْلَةً[16]،

كان أولائك الضالون المرتدّون ((من اهل ماست))[17] قد بطروا عدوانا وظلما، ((وارتكبوا إفكا وجرمًا))[18]، (اقتطعوا الكفر معنًى واسما، وأملى لهم الله[19] ليزدادوا إثما)[20] وكان مقدَّمهم الشقي قد استمال النفوس بخزعبلاته، واستهوى القلوب بمهوّلاته، ونصب له الشيطانُ من حبالاته[21] فأتته المخاطبات من بُعْدٍ وكَثَب، ونَسلت[22] إليه الرسل من كل حدب، واعتقدته الخواطر

---

(4) في (ح) : كتبنا.

(5) كان في ماسة رباط مشهور هو مأوى للصالحين منذ ما قبل العهد الموحدي، انظر البكري ص 161 (ط 1965) الروض المعطار ص 522، اليعقوبي 110، ابن سعيد في «بسط الارض» ص 57.

(6) في (س) : كلمة (المعلوم) ناقصة، وفي (ح) : بعدما تزحزح امر الله الكريم ونصر الله المعلوم، وفي (ن)... ونصر الله تعالى المعلوم...

(7) الآية 126 من سورة آل عمران.

(8) في (ح) : فتح بمسرى الأنوار اشراقا.

(9) في (ن) و(ح) و (س) : ونبه للاماني.

(10) في (ن) و(ح) و(س) : غاية.

(11) في (ح) : كنه.

(12) في (ح) : والادب.

(13) في (ن) و(ح) و(س) : الامل.

(14) البيت من قصيدة لأبي تمام مطلعها : السيف اصدق انباء من الكتب.

(15) في (ن) و(ح) و(س) : وتقدمت.

(16) من هنا تبدأ الفصول التي وردت في الروض المعطار : كان أولئك.

(17) اضافة من (ر)، وفي (س) : الضالون قد بطروا،،،.

(18) اضافة من (ر).

(19) في (ن) : واملى لهم الله تعالى، وفي (س) : وأملى الله تعالى لهم.

(20) ما بين هلالين ناقص في (ر).

(21) في (ر) : ونصب به الشيطان ما شاء من حبالاته، وفي (س) : ونصب له الشيطان من حبلاته.

(22) في (ر) : ونسل، وفي (س) : وانسلت.

((الزائغة))[23]. أعْجَبَ عَجَب.

(وكان الذي قادهم الى ذلك، وأوردهم تلك المهالك، وصول من كان بتلك[24] السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام، واشتغل على زعمه بالقيام والصيام[25]، آناء الليل وأطراف الايام[26]. لبسوا الناموسَ أثوابا، وتدرّعوا الرياءَ جلبابا[27]، فلم يفتح الله ((تعالى))[28] لهم للتوفيق[29] بابا)[30].

((كان للناس هناك موقف أخذت الحربُ فيه حقوقَها، ونَهَجت به طريقها، وعرفت به رجالها وفريقها، وكنا نحن بخاصتنا في الساقة فحملنا على من يلينا من الأعداء، وحملت كل قبيلة على من يليها على الولاء، فكانت هناك كرّات شهيرة، وحملات كثيرة، وظهر لأعداء الله تجلدٌ لم يُرَ قَطّ لأمثالهم، ولا تُخيِّل من أفعالهم، وذلك انهم كانوا يعاينون غويّهم لا تنقله الحملات ولا تحرّكه، ولا تزيله المنية عنه ولا تتركه، فكانوا ينظرون اليه ويظهرون الجلد والاجتهاد لديه، فلما عاينه الموحدون واقفا بمكانه، مقبلا على بهتانه، قصدوا بعون الله لاطفاء ناره، وكفّ عنانه.[31] فصرع (بحمد الله)[32] لحينه، (وبادرت اليه بوادر منونه)[33] وأتته وافدات[34] الخطيات عن يساره ويمينه، ((وعاد لوقته طريحا، تقلب منه المنايا قلبًا قريحا))[35]. وقد كان يدّعي أنه بشرّ بأن المنية في هذه الاعوام لاتصيبه، والنوائب لا تنوبه[36]، ويقول في سواه قولا كثيرا، ويختلق على الله ((تعالى))[37] إفكا وزورا، فلمّا عاينوا هيأة اضطجاعه، ورأوا ما خطّته الأسنّة على أضلاعه[38]، ونفذ فيه من

(23) اضافة من (ر).

(24) في (ح) : من بتلك.

(25) في (ح)... على رغمه بالصيام والقيام.

(26) في (ح) : آناء الليل والأيام، وفي (ن) : آناء الليالي والأيام.

(27) في (ر) : لبسوا للناس أثوابا وتدرعوا للرياء جلبابا...

(28) اضافة من (ن) و(س).

(29) في (ح) :...الى التوفيق.

(30) ما بين قوسين احاديين ناقص في (ر)، ونجد في الاعتاب بعد هذا : «ومنها في ذكر الدعي : فصرع بحمد الله...وفي (ن) : ومنها في ذكر صاحبهم الماسي المدعي للهداية : فصرع بحمد الله تعالى»، وفي (ح) : ومنها في ذكر صاحبهم الماسي : فصرع والحمد لله لحينه»

(31) ما بين هلالين مزدوجين اضافة من (ر).

(32) ناقصة في (ر).

(33) ناقص في (ر).

(34) في (ر) : نوافذ وفي (س) : وافدات الخطايا.

(35) اضافة من (ر).

(36) في (ح) : هكذا : «وكان يدعي ان المنية في هذه الاعوام لا تصيبه ويزعم انه يبشر بذلك والنوائب لا تنوبه».

(37) اضافة من (ن) و(س).

(38) في (ن) و(س) : فلما رأوا هيئة اضطجاعه وما خطته الاسنة في أعضائه واضلاعه... وفي (ح) : ماخطته الاسنة في اعضائه.

أمر الله (تعالى)[39] ما لم يقدروا على استرجاعه، انهزم ما كان لهم من الأحزاب، وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب[40]، (وأعطوا عن بكرة أبيهم[41] صفحات الرقاب)[42]، ولم تقطر كلومهم إلا على الأعقاب، (فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم،[43]، وآذنت الآجال بانقراض آمادهم[44]، وأخذهم الله[45] بكفرهم وفسادهم، فلم يعاين منهم إلا من خر صريعا، وسقى الارض نجيعا، ولقي من الهنديات[46] أمرا فضيعا)[47]. ودعت الضرورة باقيهم الى الترامي في الوادي، ((ودام الموحدون في الاصرار على قتلهم والتمادي))[48] فمن كان يؤمّل الفرار منهم ويرتجيه[49]، ويسبح[50] طامعا في الخروج الى ما ينجيه، اختطفته الاسنة ((هناك))[51]اختطافا، واذاقته موتا ذعافا، ومن لج في الترامي على لججه، ورام البقاء في ثبجه[52] قضى نحبه شرقه، وألوى بذقنه غرقه[53] ((وكان دخولهم في أول مده الى حين ابتداء الوادي في جزره ونقصانه[54] وكفّه من حملاته وطغيانه))[55] ودخل الموحدون الى البقية الكائنة[56] فيه يتناولون قتلهم طعنا وضربا[57] ويلقّونهم (بأمر الله)[58] هؤلاً عظيما وكربا[59] حتى انبسطت[60] مراقات الدماء على صفحات

---

(39) ناقصة في (ح).

(40) في (ن) و(س) : هزم من كان له، وفي (ر) : انهزم من كان، وفي (ح) : هزم لهم من كان لهم كتساقط قط الذباب.

(41) في (س) : واعطوا بكرة...وفي (ح) : صفحة.

(42) ما بين هلالين ناقص في (ر).

(43) في (س) : باجسامهم... وهي غير مناسبة للسجع الذي بعدها.

(44) في (ح) : آمالهم.

(45) في (ن) و(س) : الله تعالى.

(46) في (ن) و(س) : ولقي من امر الهنديات فضيعا، وفي (ح) : ولقي من وقع الهنديات امرا فضيعا.

(47) مابين هلالين ناقص في (ر).

(48) اضافة من (ر).

(49) في (ن) و(س) : فمن كان يؤمل الفرار ويرتجيه... وفي (ر) : فمن كان منهم الفرار ويرتجيه...

(50) في (ر) : وسبح.

(51) اضافة من (ر).

(52) في (ر) : بتبجه، وفي (ح) : في ثجه.

(53) في (ر) : قضى لحينه شرقه ولوى بدينه غرقه... وفي (ن) و(س) : قضى عليه شرقه والوى بدقنه غرقه.

(54) قد يكون تأثر النهر بمد البحر وجزره دليلا على ان المعركة لم يكن ميدانها بعيدا عن البحر، انظر عن وصف النهر الحسن الوزّان ص 90 ط الرباط 1980.

(55) اضافة من (ر).

(56) في (ح) : البقية الباقية.

(57) في (ر) : ينالونهم طعنا وضربا، وفي (ن) : يتناولون قتالهم طعنا وضربا.

(58) ناقصة في (ر)... وفي (ن) و(س) : بامر الله تعالى...

الماء، وحكت حمرتها على زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء[61]، (وظهرت العبرة للمعتبر في جري الدماء مجاري[62] الأبحر)[63] ((فمن لم تدركه منيّته بسنان، أدركه الغرق بشرّ مكان))[64].

---

(59) في الاعتاب : هونا عظيما.

(60) في (ح) : بسطت.

(61) في (ر) : فحكت حمرتها على زرقه... في زرق السماء... وفي (ح) : وحكت حمرتها على زرقه حمرة الشفق على زرق السماء.

(62) في (س) : وجزت العبرة،، وفي (ن)... في جري ذلك الدم جري الابحر... وفي (ح) : في جري الدماء جري الابحر.

(63) ناقصة في (ر).

(64) اضافة من (ر).

تقديم :

بعدما فتح الموحدون مراكش لم يكن ذلك فتحا نهائيا للمغرب، وإنما كان عليهم أن يواجهوا الثورات خاصة ثورة قبائل الجنوب تحت قيادة الماسي، وبعد مقتله قام عبد المومن بحملة عبر المنطقة لتقدم او ـــ تجدد ـــ له القبائل الطاعة، وعندما وصل الى تينملل وجّه منها رسالة مؤرخة بسادس عشر ربيع الأول سنة 543 تحمل أوامر الى ولاته وعماله منها ما يهم تنظيم البريد والحرص على المخازن، ومنها ما يهم الرعية مباشرة كالحث على العدل بين الناس دون تمييز، ومنع تنفيذ أحكام الإعدام قبل استشارة الخليفة،،، وقد اورد صاحب نظم الجمان نسخة من هذه الرسالة[2] وجهت الى الاندلس، وهي من إنشاء ابي جعفر بن عطية[3]، وقد حذف منها البسملة والتصلية[4].

نص الرسالة :

56/ب من أمير المؤمنين[5] أيده الله تعالى بنصره، وأمده بمعونته، الى جميع الطلبة الذين بالاندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة، وفقهم الله تعالى واستعملهم بما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد، فالحمد لله وهو اللطيف الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي بعدله قامت السماوات والأرض وبه تقوم، وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم، ولأمته المخلصة

---

(1) حسب تعبير صاحب نظم الجمان (انظر الهامش 2 بعد).

(2) نظم الجمان لابن القطّان تحقيق الدكتور محمود مكّي (ص 150 ـــ 167) وهي تمتد على صفحات المخطوط الذي اعتمده من 56 ب إلى 65أ، وقد اعتمدتُ في نص الرسالة على القطعة المحققة لعدم تمكّني من الاطلاع على الاصل. هذه الرسالة نشرها أيضا علام في «الدولة الموحدية بالمغرب...» ضمن ملاحق الكتاب، ونشرها ايضا عنان ضمن ملاحق تاريخه عن المرابطين والموحدين(ج 1).

(3) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب في مقدمة البحث.

(4) هل لم يستعمل عبد المومن «العلامة» في اول رسائله الا ابتداء من هذه ؟ مع انه يذكر وجودها هنا في هذه الرسالة دون ان يحدد ما اذا كانت في أولها او في آخرها.

(5) انظر حول مدلولي (أمير) و (المومنين) المعجب 188 و 196.

في علّيّين كتابها المرقوم، والرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم،[6] الذي بعثه رحمة للمومنين يُنيلهم[7] به الروح والنعيم، ويريهم رحيقها المختوم.

وكتابنا هذا ــ كتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة، وسوَّغكم من اليمن والأمن أنعم نعمة، وجعلنا وإياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه ــ من الحضرة العلية بتنملل ــ حرسها الله تعالى ــ في سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة[8] ؛ وقد وصلنا ــ والحمد لله ــ وجناح الرحمة مخفوض،[9] وطرف المكاره / مغضوض[10]، وفيض العدل والبذل[11] منتشر مستفيض، وشأن الظلم ــ بإذن الله تعالى ــ مكفوف مقبوض، والحق أبلج لا كناية ولا تعريض[12].

57/أ

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرّم المهدي رضي الله تعالى عنه لتجديد عهدٍ به تَقَادَم، وشفاءِ شوق إليه لَزِمَ ولازم، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعا ببركاته، ورجاءً في تضاعف الأجر بكل لبنة من لبناته،[13] وحرصا على ان يتوافر به حظ التوفيق وقسمه، ويعلو في الملإ الأعلى ذكره ورسمه، ورغبته في بيت من أفضل البيوت التي امر الله عزّ وجلّ أن ترفع ويُذكَرَ فيها اسمُه، ولِتَنْعَمَ الجوارحُ بمشاهدة هذه المشاهد المنعَّمة والمواسم المعظمة، وتتزوّد بالتطوف على معاهدة ما عهدته العوارف المتممة، كل ذلك غرضها في ذات الله تعالى غرضه، وأمر يستحب المرء إليه طلب ذلك الخير ويستنهضه[14].

وقد تمَّ ــ بحمد الله تعالى ــ هذا الوطر[15]، واقتضى الاياب الى النظر في المصالح والرأي الجميل النظر، وتَفَجَّرت ــ بحمد الله تعالى ــ منابع الخير وفاضت، وعادت روابط الأمر إلى اشرف حالاته وآضت، وانبعثت موارد البركات بعدما غارت في غير هذا الزمن المذكور وغاضت، ونسأل

---

(6) **العصمة** عند المهدي هي العصمة من الخطأ فيما يدعو إليه، وان يكون معصوما من الكذب والباطل والجور والجهل (أعز ما يطلب 246 ط الجزائر)، فهي ليست مغالية كما كانت عند مهدي الفاطميين (علاّم : الدعوة الموحدية 294).
والامامة عند المهدي هي اقرب الى القيادة فمعناها كما حدّدها بنفسه : «الاتّباع والاقتداء والسمع والطاعة والتسليم وامتثال الأوامر» (أعز مايطلب 254 ط، الجزائر)، (علام : الدعوة الموحدية 294).

(7) في الأصل بنيلهم (المحقق).

(8) في الرسائل الأولى التي كتبها ابو جعفر ابن عطية عن عبد المومن يتوسط التاريخ نص الرسالة، وابتداء من الرسالة الرابعة (من م ر م) لبروفنصال نجد تواريخ الرسائل توضع في نهاياتها، راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(9) في الأصل منفوض.

(10) في الأصل معضوض.

(11) في الأصل : والبدل.

(12) في الأصل : ولا تعويص.

(13) في الأصل : لبانه.

(14) في الأصل : وتستنهضه.

(15) في الأصل : الوطن.

58/ب الله تعالى عونا على شكر **هذه** النعم التي عمت ملابسها،/ ووعت[16] الأفئدة نفائسها، وخاب عن رحماها خاسر الكلمة وبائسها.

وإن الله تعالى قد قضى بأن يكون شرف صاحبه به وامتساكه، وبين العدل والجور حياة العالم وهلاكه، فالسعيد من لقي ربّه مبرّءا من اتّباع الهوى سليما، والشقيّ من اتى مليما باكتساب الكبائر ملوما، «وَمَنْ يَكْسَبْ إثْماً فَإنَّما يَكْسِبُهُ على نَفْسِهِ، وكان الله عليماً حكيماً»[17]، والله سبحانه يَهَبُ الرحمة للمسترحمين، ويحب الرفق ويحل به كنفه الأصين، وفي الحض على ذلك يقول وهو أصدق القائلين : «واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ من المؤمنين»[18]، وبرحمته سبحانه بسط لعباده النعماء، وبرأفته كشف عنهم الغمّاء، قال النبي ﷺ : إنَّمَا يَرْحَمُ الله من عباده الرُّحَمَاء.

وقد اتَّصل بنا ـــ وفقكم الله تعالى ـــ أن من لا يتقي الله تعالى ولا يخشاه، ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتغشاه، ولا يؤمن بيوم الحساب فيما اذاعه[19] من المنكر وافشاه، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار[20]، وينتشرون بالقتل بأعراض الناس اقبح الانتشار، يستحلون[21] حرمات المسلمين من غير حلها[22]،ويسارعون الى نقض عقد الشرع وحلها، ويصفون الشدة والغلظة بَطرًا ورياء في غير محلها، ويبتدعون من وجوه المظالم/ ما تضعف شواهق الجبال عن حملها، ويستنبطون 58/أ من فواحش الآثام ما تذهب نفوس المؤمنين لأجلها ويتسبّبون الى قتل المسلمين فضلا عن استباحة اموالهم واعراضهم بتلبيسات ينشئونها، ومزورات يضيفونها إليهم وينسبونها، وينظرون الى اهتضام حق الله تعالى فيهم بأباطيل يعدّونها ظلما ويحسبونها، ويسعون في استئصال نفوسهم بكل قاطعة موجعة، ويعيثون[23]فيهم بكل غاصبة للقلوب منتزعة، والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول : «من قتل عصفورا بغير حق عبثاً جاء يوم القيامة وله صراخٌ عند العرش يقول : يارب سل هذا فيم قتلني عبثاً من غير منفعة». ولا يلتفتون الى عاقبة ولا ينظرون، ولا يمرّون باذانهم ما يفعل تعالى بأمثالهم ولا يحذرون، «يخادِعُون الله والذين آمنوا وما يُخَادِعون إلا انفسَهم وما يَشْعُرون[24]»، هيهات ! هيهات ! إنهم ساء ما كانوا يعملون، تالله ليأتينهم من العقاب الأليم في أقرب أمدٍ ما يهدّهُم هَداً[25]، ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهَلَكَة سَداً، ويستأصلهم[26]

(16) في الأصل : ونعت.

(17) الآية 110 من سورة النساء.

(18) الآية 215 من سورة الشعراء.

(19) في الأصل : أداعه.

(20) لعله يقصد أخوي المهدي وابن عمهما يصلاتن واعوانهم وربما أيضا الاشارة إلى بعض العمال المفسدين انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(21) في الأصل : يستحبون.

(22) في الاصل : حليها.

(23) في الأصل : ويعبثون.

(24) الآية 8 من سورة البقرة، وفي المطبوع،،، الى انفسهم،،،

(25) في الأصل : هدى.

بصواعق الانتقام، فقد جاءوا شيئا إداً[27].

58/ب أما / علموا ان الله تعالى يطّلع على نجواهم، ويوقعهم في مهوي بلواهم، ويلبسهم اردية سرائرهم فيما استهواهم الشيطان به واستغواهم ؟ اما علموا ان امر المهدي رضي الله تعالى عنه تساوى في الحق به أضعف المسلمين وأقواهم ؟ ألم يقل رسول الله[28] تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : «المسلمون تتكافأ[29] دماؤهم ويَسْعَى لذمَّتهم أدناهم، وهم يَدٌ على من سواهم»[30] ؟ لقد أمنوا مكر الله جرأة عليه وإقداما، وأعمت الشهوات بصائرهم اذهابا لنور الحق من نفوسهم وإعداما، وتالله لو تعيّن لنا فاعل ذلك وتَشَخَّص، لمَا خَرَج من حبالة مكره ولا تخلَّصَ، ولسارع اليه من اسرع عقابِنا ما يمحو رسمه محو الفنا، ويكتب يديه بما قدمتا من الخنى[31].

ولقد ذكر لنا فيما ذكر من تلك المظالم، المستغرقة لأنواع المآثم، الموبقة لأهلها حين يقرع سن الندم النادم، أن أولئك الخائضين في غمرات أبحرها، المثيرين لأسباب منكرها، الصارمين لعلق الشريعة القاطعين لأبهرها، يَمُدُّون أيديهم الى ضرب الناس بالسياط إبلاغا في الانتهاء بكثرتها وإمحاشا[32]، 59/أ ويتسببون بذلك الى اخذ اموال الناس إيغاراً للصدور وإيحاشاً[33]، وذلك / امر معاذَ الله أن يرضى به مؤمن بالله، أو يتجه اليه حق بنوع من الاتجاه، ما أبعد العدل أصلحكم الله تعالى ـــ عن هذه الامثال والاشباه، وقد علمتم ان عادتنا فيمن يستوجب الضرب اويستحقه، ممن يظلم الأمر الشرعي او يعقّه، حدود معلومة، دون افحاش ولا انتهاك، ومواقف مرسومة، تقابل كلا بمقتضى جرمه من اثيم أو أفّاك.

ولقد ذكر لنا في امر المغارم والمكوس والقبالات[34]وتحجير المراسي[35] وغيرها ما رأينا انه أعظم الكبائر جرما وإفكا، وأدناها إلى من تولاّها دمارا وهَلْكاً، وأكثرها في نفس الديانة عيثا وفتكا، «فانا لله وإنا اليه راجعون»[36] ! هل قام هذا الامر العالي الا لقطع أسباب الظلم وعلقه، وتمهيد[37]

---

(26) في الأصل : ويتأصلهم.

(27) الإدّ : المنكر، اقتباس من الآية 90 من سورة مريم «لقد جئتم شيئا إدّا».

(28) كذا بالاصل المعتمد، والاصوب : رسول الله صلى الله تعالى...».

(29) في الأصل : تتكفى، (المحقق).

(30) سنن النسائي 151/2 ـــ 152، وسنن ابي دواد 249/2 مع اختلاف في ترتيب الالفاظ.

(31) *في الأصل : الغنى، (المحقق) والخنى : الفحش في الكلام، وعن دوافع توجيه عبد المومن للرسالة راجع* خصوصياتها في الفصل الأول.

(32) في الأصل : ايحاشا (المحقق). آمحش : أحرق وألهب.

(33) في الأصل : وايجاشاً (المحقق).

(34) القبالات : ماكان يؤدّيه التجار والصناع على سلعهم من ضريبة فالغاها عبد المومن، انظر خصوصيات الرسالة، والإدريسي ص 45 (هـ، بيريس).

(35) في الاصل ؛ المراصي (المحقق).

(36) من الآية 155 من سورة البقرة.

(37) في الأصل : وسد (المحقق).

سبيل الحق وطرقه، وإجراء العدل[38] إلى غاية شأوه وطلقه، اللهم انا نشهدك ان سبيلنا سبيلك، وإنا نستعيذك مما استعاذك منه محمد رسولك، روي عنه ﷺ انه قال: «اعوذ بالله من المَغْرَم والمأثم»[39] تنبيهاً على ما في إغرام الناس من الظلم المظلم؛ ولئن نقل الينا — والله الشاهد — ان نوعا من هذه الانواع المحرمة، أو صنفا من تلك الاصناف المظلمة، يتولاّه احد هنالك من البشر، او يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر، لنعاقبنه بمحو اثره عقابا يبقى/ (عظة)[40] لمن اتّعظ، وعبرة لمن تنبّه لزاجر الحقّ واستيقظ. 59/ب

وإن من ذلك الرأي الذميم، والسعي المنقوم، ما ذكر لنا في امر المسافرين الذين يريدون الرجوع الى أوطانهم وعمارتها، والطوائف المارّة على البلاد لمعنى تجارتها يتسبب اليهم قوم من هؤلاء الظَّلَمة الدّخلاء الذي يضعون الغِشَّ طَيَّ ما يوهِمون به من النصيحة، ويستبطنون[41] المكر في تصرفاتهم القبيحة، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كَيتَ وكيتَ، وان للمخزن جميع ما به أتيتَ! ويقرنون بهذا من الوعيد والاغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله، ويعتقد[42] السلامة من ذلك الظالم الغاصب اعظم مناله؛ وإنها لداهية[43] عاقرة، قاصمةٌ للظهر فاقرة، ويا عجباً لكم — معشر الطلبة والشيوخ وكافة الموحدين — فإنكم بذلك مطلوبون، وما حُجَّتكم وما أنتم على حق كيف تتكيف هذه الكبائر وأنتم للأمور هناك رصد[44]! كيف تجري هذه الظلمات[45] وقد قام للحق أَوَدٌ! ام كيف تكون الدماء على هذه الصورة تسفك، والحرمات تنتهك، ولا يمتعض لذلك منكم احد! كلا لَيُعَاقَبَنَّ كلٌّ من[46] جنى، وليظهرن ما قصد القاصد وما عَنَى، وإن وراء قولنا / لتتبُّعاً يبحث[47] عن ذلك ويُمَحِّص، ونظراً يفرق بين المشكل منه ويخلّص! 60/أ

ولا شك — والله اعلم — في أن أسباب تلك المنكرات، ودواعي تغيير تلك الاحوال المتغيرات، قوم يتوسطون بينكم وبين الناس، ويقولون ما لا يفعلون ذهابا الى التدليس عليكم والإلباس، ويجعلون النفير بالظلم والعدوان بدلا من العدل والقول الجميل والايناس، وذلك لغيب المباشرة ومباينتها، وبُعدكم عن مشاهدة الامور ومعاينتها، والتحجب عن مطالعة الامور داعية كبرى لفسادها واختلالها،

---

(38) في الأصل: وأجزاء الحق العدل الى غاية شهوة (المحقق).

(39) سنن النسائي 57/3. (المحقق).

(40) غير واضحة في للاصل (المحقق).

(41) في الأصل: ويستبطون (المحقق).

(42) في الأصل: ونعتقد (المحقق).

(43) في الاصل: لذاهية (المحقق). في هذه العبارة ما يوضح سوء سلوك العمال وأعوانهم في هذه الفترة من تأسيس الدولة الموحدية، انظر خصوصيات الرسالة في (الفصل الأول).

(44) الجملة مكررة في الأصل (المحقق).

(45) كذا في الأصل: ولعلها: الظلامات (المحقق).

(46) في الأصل: ما (المحقق).

(47) في الأصل: يحث (م).

وسبب[48] قوي في انتقاضها وانحلالها، وفرصة لوسائط السوء بانهمالها في البواطل واسترسالها ؛ فلا تكلوا النظر فيها الى احد سواكم، ولا تبعدوا بغلظ الحجاب[49] عما قصدكم من الخير ونواكم، وباشروا الاحكام هنالك مباشرة المتعهد المتفقد، وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المتنقد، وتحفظوا في جانب المسلمين من كل خفيف المقال، كثير الاضطراب في الباطل والانتقال، فقد نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال، وتثبّتوا[50] ــ وفقكم الله ــ في الاحكام التي لابد لكم من النظر فيها تثبت البحث عن حقائق الامور والاستقصاء، وتعهّدوا الناس بالتحذير من اللّدد في الخصام وبالغوا في الايصاء، ولا تظنوا أن الاجتهاد في الامور يؤدي الى الهجوم عليها والاقتحام، ويخرج النظر عن التثبيت في القضايا والاحكام، فاذهبوا فيها / مذهبا وسطا، واقصدوا الاعتدال مقصدا مقسطا، ولا تجتهدوا في شيء لا تعلمون فيه حكما، وشاورونا فيما يخفى عنكم وجهه لنرسم لكم فيه رسما، فليس كل مجتهد مصيبا برأيه، ولا كلُّ هاجم على رأي منجّحا في سعيه، وبين طرفي الاحوال واسطةٌ جميلة فيها معقد السياسة ومناطها، وخير الامور ــ كما قال عليه الصلاة والسلام ــ اوساطها.

60/ب

وعليكم ان تبحثوا بغاية جدّكم عن أولئك المسبّبين لتلك القبائح، الساعين في صدّ ما يرضاه الله تعالى من المصالح، وتُعَرِّفونا بهم بعد تثقيفهم لنُشرِّد بهم من خَلْفَهُم، ونكفّ بعقابهم نوعهم الظالم وصِنفَهم، وقد استخرنا الله في سدّ تلك الذريعة، وصد تلك الافعال الشنيعة، فرأينا أنْ ترفعوا إلينا احكام المذنبين للكبائر، وتعلمونا بنبأ كل من ترون انه يستوجب القتل بفعله الخاسر، دون أن تقيموا الحدّ عليه، أو تبادروا بالعقاب إليه، ولا سبيل لكم الى قتل احد من كل من هو في بلاد الموحدين وانظارهم، ومَنْ هو معهم وداخلٌ في مضمارهم، وكلُّ من ترون انه يستوجب القتل، ممن يريد المكر في أمر الله والختل، فعرِّفونا بجليَّة امره[51] وتصحيحه، وخاطبونا بميز امره ومشروحه، لينفذ فيه مِن قِبلنا ما يوجبه الحق ويقتضيه، ونمضي في عقابه ما ينفذه الشرع ويمضيه، فاياكم من مخالفة امرنا هذا في قتل احد ممن/ ذكرناه كائنا من كان، كبُرَ ذنبه عندكم أو هان، ولتبادروا إلى اعلامنا بذنبه بعد سجنه وتثقيفه لنقابله بما نراه، ونجري الحق فيه مجراه[52].

61/أ

وإنه أُعلِمنا بأن من يرضى من تلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه، ولا يبالي احسن الفعل فَعَلَه أم قبيحه، يبتاع المرأة، يبيعها دون استبراء[53]، ويعبث في ذلك بكل إقدام على الله تعالى واجتراء، ولا يتحفّظ من مواقعة الزنا المحض، ومخالفة الواجب مع الفرض، وإن في ذلك من اطّراح ما أمر الله تعالى به من اتباع الشرع، وإفساد الاصل من السنة والفرع، ما لايحل سماعه[54]، ولا يستقر

---

(48) في الأصل : ونسب (م).

(49) في الاصل : بغلط الحجاب (م).

(50) في الأصل : وثبتوا (م)، وما أثبت يتناسب مع المفعول المطلق بعده.

(51) في الأصل : سجلية أمره (المحقق).

(52) راجع في الفصل الأول خصوصيات هذه الرسالة والفقرة الاخيرة من الفصل الأول م

(53) في الأصل : استتار (م).

(54) في الأصل : ما لا يحمل سماعه (م).

بنفس مؤمنة استطلاعه ؛ فلا سبيل لأحد ممن هنالك ان يبتاع شيئا منهن او يبيع حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع، ولتقدّموا للنظر في اسواقهن من ترضون دينه وامانته، وتتحققون ثقته وصيانته، فمن ابيح له البيع والابتياع احضره الأمين المذكور ليرتفع بشهادته الشك والنزاع، وتجري السنة مجراها ويمتثل الأمر المطاع ؛ وكذلك فليتوقفوا[55] عن بيع النساء في جميع من تغنمونه منهن في تلك الأرجاء، حتى تخاطبونا بأصل أمرهن وكيفيته، وتعلمونا من ذلك بجليته، لنرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم، ويجري إليه اقتصادكم[56].

والله الله في البحث على الخمور ! وتقديم النظر في امرها فهو من اهم الامور، فانها مفتاح الشرور، ورأس الكبائر والفجور، وهي رابطة اهل الجرم، وجامعة/ اشتات الظلم، قال النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : «الخمر جماع الإثم»[57]، فخذوا في طلبها في المواطن المتهمة بشأنها، واجتهدوا في إراقتها وكسر دنانها، واعمدوا الى السبب الذي يؤدّي الى التمكن منها فارعوه والحظوه، واطرحوا الإغفال لذلك والفظوه، وقدّموا أمناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب، يكون بالمحافظة على ذلك محل الكالىء الرقيب، ولا يكن منهم الا من يفرق بين الحلال والحرام ويميز، ويعرف ما يجوز شربه وما لا يجوز، ومروهم بالتعهد لمواضع بيع الرُّب واعتصاره[58]، وخذوهم بتوقف جدّهم على ذلك واقتصاره، فما حلّ منه أباحوه، وما كان غير ذلك قطعوه أصلا وفرعا واراقوه، «الحلال بيّن والحرام بيّن»[59] ولقضايا الشرع نظام، قال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه : «ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام»[60].

61/ب

وإن ممن[61] يسعى في نوع من انواع الفساد، ويستصحب الإضرار بالمسلمين في الإصدار[62] والإيراد، هؤلاء الراقصين[63] الذين يردون بالكتب ويصدرون، ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون، فانه ذُكِر لنا انهم يأخذون الناس بالنظر في كُلَفهم، ويُلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلَفِهم، وهذا فعلُ كل فرقة منهم في سيرها، وسوء رأيهم[64] بذلك / في المخازن وغيرها ؛ وان من جملة ما حكي عنهم انهم يتألفون في الطرق جموعاً، ويحلّون بأفنية الناس حلولا شنيعا، يكلفونهم

62/أ

(55) كذا في الاصل المعتمد، ولعل الأنسب فلتتوقفوا.

(56) ملاحظة هامة فيما يتعلق بمراقبة الدولة لبيع الاماء، ولعل هذا يدل على نشاط هذه التجارة النسبي آنذاك بالاندلس على الخصوص.

(57) هذا الحديث غير وارد بهذا اللفظ في سنن ابن ماجة 327/2، ولا وجود له في كتب الصحاح الاخرى (م).

(58) الرّب : شراب يتناوله سكان الجبال بالخصوص لمواجهة برودتها (الاستبصار 211)، ونظرا لعدم تقيّد بعض الناس بالتمييز بين ما هو منه حلال وما هو حرام سيتمّ منعه فيما بعد.

(59) صحيح البخاري 20/1 وغيره من الضحاح (أ. م).

(60) معنى الحديث يوجد في الصحاح مثل سنن ابن ماجة 332/2.

(61) في الاصل : من (م).

(62) في الأصل : الاصرار (م).

(63) الرقاص : حامل البريد الرسمي في المصطلح المغربي الاندلسي.

(64) في الاصل :وسواء رأيهم (م).

مؤناتهم تكليف المجرم[65]، ويتحكمون عليهم بحكم المغرم، حتى انهم لا يرضون في ضيافاتهم الا بأسمن الجزر ؛ وناهيكم بهذا الاجتراء العظيم الضرر ؛ فسارِعوا ــ وفقكم الله تعالى ــ الى حسم[66] هذه العلة من أصلها، وبادروا الى قطع تلك العادة الذميمة وفصلها[67]، وتخيروا لرسائلكم أرسالا، وانتقُوا من اهل المقدرة على ذلك والثقة[68] رجالا، وادفعوا اليهم زادا يقوم بهم في المجيء والانصراف، ويقطع شأنهم عن التكليف والالحاف، وارسموا لهم اياما معروفة العدد، معلومة الامد، لينتهوا بها الى مواقف رسائلهم، ويوزعوها على مسافات مراحلهم، وحذِّروهم من تكليف احد من الناس ولو مثقال ذرة، وأوعدوا من تسبب منهم إلى مسلم بمساءة أو مضرّة، والله تعالى المستعان على دفع أسباب الجَوْرِ، ونستعيذ به سبحانه من الحَوْرِ[69].

وكذلك ذكر لنا ــ وفقكم الله تعالى ــ من التحكم في الأموال، وقلة المبالاة بالتفريق بين الحرام منها والحلال، ان اولئك الذين ذكرت خدَعهم، ووصفت غرضهم الذميم ومنزعهم، يفعلون في أموال الناس ما تقدم ذكره وشُرِحَ مكره، وتمتد ايديهم الى **المخازن** هنالك فيعيشون[70] فيها ويتحكمون، ويجرؤون في التعدي عليها ملء شأوهم/ وأنفسَهم يظلمون[71]، فاتقوا الله تعالى فيها، فإنها أمواله المخزونة في أرضه، وبادروا الى كف كل معتدٍ وقبضه، ولا سبيل لكم أن تنفذوا منها قليلا ولا كثيرا إلا بعد استئذاننا[72] وتعريفنا بالدقيق والجليل مما هنالك[73]، وهذا امر منا لكم ولكل من وقف على كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ والموحدين كافة، أمْراً دائما لازماً، سنته بالاستمرار مستظلة، وصحته بفضل الله لا تدخلها تعلّة. 62/ب

وقد خاطبْنا بمثل ما خاطبْناكم[74] به جميع الطلبة والموحدين وكافة البلاد التي هي بالدعوة المهدية معمورة، وبكلمة الايمان مشرقة منيرة، فأمرنا بجميع فصول كتابنا هذا اليكم ولسواكم شامل، وفي كافة اقطار الموحدين نافذ عامل، فمن خالفه بوجه من وجوه الخلاف فقد تبيّن عنادُه، وساء في العاجل والآجل مآله[75] ومعاده، ومن لم يمتثله بواجب الامتثال، ويكفَّ يده عما رسمناه في

---

(65) في الأصل : المحترم (م).

(66) في الاصل : تحسيم (م).

(67) في الأصل : وفضلها (م).

(68) في الأصل : واثقة (م).

(69) في الأصل : الجور (م)، والحور يعنى النقصان، ويقال «هذا الحور بعد الكور» اي النقصان بعد الزيادة، وقد تعني هنا الفساد، فعبد المومن اعطى في هذه الرسالة الانطلاقة لتصحيح نظام البريد.

(70) في الاصل : فيعيشون.

(71) ان التفحص في «أشغال المخزن» باشبيلية سيؤدّي الى قتل اثنين من المسؤولين (انظر خصوصيات الرسالة في الفصل الأول).

(72) في الأصل : استداننا (م).

(73) هذا تقليص آخر لسلطة عمال الولايات.

(74) ذلك أن نص هذه الرسالة موجّه الى الاندلس.

(75) في الأصل : فاله (م).

كافة الاحوال، فقد تعرّض لأشد العقاب وأوحاه[76]، واستقبل من ارتكاب النهي ما يصدّه الانتقام به عن سوء منحاه، فاستصحبوا حدّنا هذا استصحاباً مؤيداً. واتخذوه في كافة احوالكم مستَنَداً ومعتَمَداً، وعلى كل من الى نظركم من اهل تلك البلاد المنتظمة في سلك التوحيد[77]، الآخذة بالمذهب الرشيد، عون الامير[78] — ايده الله تعالى — على بسط / العدل وإفاضته على الكلّ، ورفع لعبءِ ثُقَلٍ وكَلٍّ،[79] : ان يسلكوا في جميع تصرفاتهم سبيل الاستقامة، ويستمروا على استعمال الحقائق والمواصلة على ذلك والاستدامة، ويتجافوا عن مواقع الظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة، وينقادوا[80] للواجبات بِداراً إليها واسراعا، ويكونوا[81] في التساعد على الصلاح كالنفس الواحدة تألّفاً واجتماعاً.

63/أ

ولما كان هذا الأمر عندنا — وفقكم الله تعالى — اهمَّ امرٍ وأوجبه، واحق ما أدناه الحق وقرّبه، وكان اهتمامنا به قد جعله على كل حالة مقدّما، وأنفذه بأمر الله تعالى إنفاذاً ملتزما، رأينا ان نجعل في كتابنا هذا **علامةً بخط يدنا**[82]، وهاهي قد رفعت الاشكال رفعا بَيِّناً، وأرتكم فرط اهتبالنا حقا مبينا، فبادروا إلى تلقيها بالامتثال والمسارعة، وصلوا ابتداء شأنها بالمواصلة له والمتابعة، وأحضروا للاجتماع على هذا الكتاب جميع من في تلكم البلاد من «الطلبة» و«العمال»، وكافة المقدّمين للأعمال، ولا تقدّموا امراً من الأمور على إنفاذ جميع ما تضمنه، والاعتمال بكل ماشرحه وبيّنه، ولا تشتغلوا بشغل قبل الاشتغال بمعانيه، وبما امركم به على قواعده ومبانيه، ومخاطبتنا بما يكون منكم في تلقّيه، واتباع ما ينهيه إليكم ويُلقيه، واقرأوه على الكافة أعالي المنابر، واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والحواضر، واسمعوا به افصاحاً وإعلانا، وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحدانا، وأحسنوا ايصال أغراضه[83] إليهم فإن الله تعالى يجزي الإحسان إحساناً ؛ فإذا تفرغتم من قراءته على الجماهير/ وبلّغتم حجته بواجب التبليغ والتقرير، فاكتبوا منه نسخا الى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر، وكلّ كورة من تلك الكور[84]، واكدوا عليهم فيما اكدنا عليكم فيه، من تقديم العمل فيه على كل الوجوه وامتثال مُضمَّنه على ما يحبّه الله تعالى ويرتضيه، وحذّروهم من التعرض لمخالفته فلا عذر

63/ب

---

(76) الأوحى : الاسرع، يقال «القتلُ بالسيف أوحى»

(77) البلاد الخاضعة آنذاك للموحدين بالاندلس هي اشبيلية بالخصوص وما جنوبها، اما الغرب فكان مضطربا (البيان، مخطوط خ الحسنية رقم 336/3 ص 22 وما بعدها).

(78) كان حكم اشبيلية آنذاك بيد اخوي المهدي والناظر على أشغال المخزن أبي إسحاق برّاز المسوّفي، (المصدر المذكور).

(79) في الأصل : ورفع العبد المثقل وكل (م).

(80) في الأصل : وينقاد (م).

(81) في الأصل : ويكون (م).

(82) راجع الهامش 4 في هذه الرسالة و«مستودع العلامة» لابن الاحمر ص 20، وانظر خصوصيات الرسالة في الفصل الأول.

(83) في الأصل : إعراضه (م).

(84) اي ان رسائل الخليفة لا توجّه الا الى عواصم الولايات، وهناك تنسخ منها نسخ توجّه الى النواحي.

لمن لا يقصده على الفور ويأتيه، ونحن بمرصد التطلع والتسمّع لما يكون منكم ومنهم، لنقابل بالواجب ما يصدر عنكم وعنهم.

وقد علم الله تعالى ان غرضنا بجميع المسلمين إشفاق وحنان، وجانبنا لهم دَعَةٌ مستمرة وامان، ولدينا من التراؤف بهم والرفق بجانبهم شأن لا يقاربه[85] من فضل الله تعالى شان، وقد علمتم ذلك منا وخبرتموه، وجربتموه على مر الزمان وصبرتموه ؛ فلتتلقّوا كل من استرعاكم الله امره بكل طلاقة ويسر، ولتنشروا[86] عليهم جناح الرحمة أكمل نشر، ولتعلموا — رعاكم الله — ان من شملته كلمة التوحيد، في العهد القريب او البعيد، في مضمار واحد من العدل محمولون، وأنكم عن كل من هنالك مسئولون، ولفظ الموحدين بيننا وبينهم جميعا، والحقُّ يسلك بينهم من التناصف مسلكا مشروعا، وقد أُلِّفت الكلمة بينهم، فبعضهم لبعض في الخِيَرَة أسوة[87]، وقد قال الله تعالى «إنما المؤمنون إخوةٌ»[88] ؛ فاعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد الجميل قصدا / الى مرضاة الله تعالى وإتيانا، 64أ وكونوا عباد الله إخوانا، وأحسنوا بهم — رعاكم الله — ظنا، وعوّدوهم الخير لفظا ومعنى، وتخلّقوا معهم بمحاسن الأخلاق وقولوا للناس حسنًى، واستألفوا الناس بالتي هي أحسن، وابذلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يُتَمَكَّن، وانهجوا لهم من المبرّات منهجا يبدو به مضمركم الجميل ويتبين، وسرّوا بصالح عملكم وبشّروا، ويسّروا — كما قال عليه الصلاة والسلام — ولا تعسّروا، وسكّنوا ولا تنفّروا[89].

واعلموا ان السعي في هذا الغرض الواجب، والاعتمال في رفع ذلك المانع الحاجب، لا يتأتى لكم جملة واحدة، حتى تكون نفوسكم متآلفةً عليه متساعدة، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاونا يجمع في الصلاح آراءكم، ويضمن النجح التام لكم ولمن وراءكم، فعليكم بالمظافرة والمناصرة والمؤازرة، فهي سواعد السعد، وقواعد الودّ، وشيم الكرام الحافظين للعهد، وبها يعمر محلُّ الرضى ونَدِيُّه، وبه اوصى الله تعالى ورسوله ومهديُّه.

وقد نصحنا لكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها، وذكرناكم بهذه التذكرة فاستقبلوا رشدها، ونبهناكم تنبيها / بالغاً وللحال ما بعدها ؛ جعلنا الله تعالى وإياكم ممن امتثل امره 64/ب المطاع بخالص نيته، وأفرغ الرحمة على قالب سجيته، وحفظ ما استرعاه الله تعالى، فكلّ راع مسؤول عن رعيته.

وكان مما بعثنا — وفقكم الله تعالى — على تنبيهكم وإذكاركم، وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح وإشعاركم، ما ألفيناه بحضرة مراكش[90] — حرسها الله — من بعض تلك الانواع مما أحدثه فيها

(85) في الأصل : لا يفارقه (م).

(86) في الأصل : ولينشروا (م).

(87) يبدو ان المسألة هنا تهمّ وضعية الناس امام الشرع فقط، فالموحدون القدماء كانت لهم امتيازاتهم.

(88) الآية 10 من سورة الحجرات.

(89) الحديث : «يسّروا ولا تعسّروا، وبشروا ولا تنفّروا «فيض القدير للمنّاوي 361/6 (م).

(90) انظر عن مراكش البيان المغرب 19/4 — 20 ط، بيروت، الادريسي 43 — 45 (بيريس)، وبسط الأرض 59 والاستبصار (208 — 210)، الروض المعطار 540.

بعض أهل الابتداع، كنوع القبالة[91]، وما يجري مجراها في وجوب الإزالة والإحالة، فإنا كنّا لا نبحث عن ذلك، لتخيُّلنا أنه لا يجرؤ أحد ان يسلك في هذا الأمر الذي أظهره الله تعالى تلك المسالك، فلمّا كان الحث عما يجب، وزال[92] عن وجه المشاهدة ما كان يحتجب، اطّلعنا على ذلك فأنكرنا ما كان نكيرا، وأنزلنا بعون الله تعالى ما كان محذورا بالشرع محظورا، حتى تطهّر ثوب الأمن من دنسه، وتجلي الوجه الخالص عن ملتبسه، واقتبس نور الحق من مقتبسه، وجرت الامور على ما عهدناها عليه من الاعتدال والقوام، بحكم ما أحكمه الإمام المهدي، — رضي الله عنه في القضايا والأحكام، واذا كان الافتيات في شيء من هذا ونحن على اقتراب، فكيف الأمر فيمن هو في حكم / بُعْدٍ عنا واغتراب ! 65/أ

فانظروا هذا — وفقكم الله تعالى — نظر أولي الألباب، ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب، ولتذهبوا الى اظهار امر الله سبحانه على موجب الكتاب، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(91) راجع الهامش 34 في هذه الرسالة.

(92) في الاصل : وازال. (م).

الرسالة السابعة :

رسالة الشيخ أبي حفص
الهنتاتي إلى أهل مالقة

تقديم :

بعدما تمكن الموحدون من فتح مراكش والقضاء على الثورات الأولى في المغرب الأقصى اخذ اهتمام الخليفة عبد المومن يتزايد بالاندلس التي كانت تشهد حركات انفصالية منذ السنوات الاخيرة للحكم المرابطي بها، وخاصة تحت الزعامات الدينية : منها اسرة بني حسون القضائية بمالقة التي كان يتزعمها في هذه الفترة القاضي ابو الحكم الحسني الكلبي المعروف بابن حسون الذي جمع بين القضاء والإمارة، يساعده اخوه ابو الحسن علي. إلا ان بقايا المرابطين في الجنوب الاندلسي ظلوا يضايقونه بالغارات، فلجأ الى استعمال جيوش المرتزقة من النصارى مما اضطره الى ارهاق السكان بالضرائب لارضائها... فوقعت ثورة ضده شارك فيها بعض المقرّبين اليه وانتهت بمقتله، وذلك في 11 ربيع الأول سنة 548 بينما كان جيش الموحدين بقيادة الشيخ ابي حفص الهنتاتي غير بعيد من مالقة وذلك «بفج قامرة» شمالها، فاستدعاهم اهل المدينة، فوجه اليهم الشيخ ابو حفص الرسالة الاتية[1] يشكرهم على عملهم ويعطي الامان لجميعهم، ثم وصل الى مالقة وبقي بها اياما ثم غادرها فيما يبدو الى المغرب. وقد سبق للموحدين محاولتان فاشلتان لفتح مالقا : الاولى مذكورة في الرسالة الخامسة في «مجموع رسائل موحدية» لبروفنصال، والثانية قام بها الشيخ ابو حفص نفسه، وقد فك حصاره عنها بعد استنجاد ابي حسون بملك طليطلة[2].

مصدر الرسالة :

مخطوط مصور بالخزانة الحسنية رقم 11055 في الصفحتين 173 و 174، عنوانه «فقهاء مالقة

---

(1) لعل صاحب «فقهاء مالقا» عندما اورد هذه الرسالة ضمن ترجمة ابي حفص، كان يقصد انها من انشائه، على عادة النماذج الادبية التي توضع لبعض المترجمين، خاصة وان هذه الرسالة تمتاز باسلوب بسيط على عكس رسائل الادباء المشهورين.

(2) ورد في اول ترجمة الشيخ أبي حفص «... وجّهه أمير المومنين أبو يعقوب (كذا) إلى مالقا حين كان ابن حسون بها فاقام عليها اياما، ثم اقلع عنها بخطاب ابن حسون ملك طليطلة، فلما تم امر ابن حسون كتب اهل مالقا الى ابي حفص وكان بمحلته بفج قامرة ليصل اليهم فشكرهم على ذلك وكتب لهم كتابا نسخته : باسم الله الرحمن الرحيم...» وورد في اخر الرسالة : «ثم انه وصل اثر كتابه هذا الى مالقا واقام بها اياما ثم انتقل عنها، والحمد لله رب العالمين». انظر خصائص هذه الرسالة في الفصل الثالث (الفقرة الاولى منه).

وادباؤهم» (كذا) وهو مبتور. وردت الرسالة ضمن ترجمة ابي حفص الهنتاتي باعتباره احد الداخلين الى مالقة، وهذا نص الرسالة.

نص الرسالة :

173 بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

من عمر بن يحيى[3] الى الشيوخ والاعيان والكافة بمدينة مالقا[4]، أكرمهم الله واعادها[5]، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله الا هو، ونشكره على آلائه، ونصلي على محمد نبيه ورسوله[6]، ونسترضيه للإمام المعصوم[7]، المهدي المعلوم، ونستديمه عادة النصر المكين، لسيدنا أمير المومنين[8].

كتابنا من مضرب المحلة بفج قامرة[9]، وقد كان كتابكم الاثير وصل صحبة جماعتكم الكريمة من أهل البلد والجند ــ حفظكم الله ــ فأدى الكتاب والجماعة ما سنّاه الله تعالى لكم ويسّره 174 بفضله/ عليكم من القيام على النصارى وخزيهم ــ اخزاهم الله ــ وكيف اخذتهم صيحة واحدة قطعت دابرهم، واعدمت صاغرهم وكابرهم، ولم ينج منهم الا من يحدث عن المَثُلاث[10]، ويندب نجماً تصلّل بالاثلاث، بركة من بركة[11] هذا الامر عمّتكم، وانقذتكم من ظلمات وضلال طالما[12] عمتكم، وصدقت موعدكم الحسنى ومَحفَلةٌ منّا قصدتُكُم، بمنونها الجميلة وأمّتكم، فاشكروا الله كثيراً على ما هداكم اليه، واعانكم بحسن معتقدكم لهذا الامر العزيز عليه، فهذا منٌ الله تعالى من استعصم به عُصِم، ومن ناوأه قُسم، ومَنْ أثَره جلّ، ومن كاثره قلّ وذلّ، وكانت عاقبته في الدنيا عاقبة الذين عذبهم الله بأيديكم، وشفَى صدوركم منهم، وكيف لا يدرك الله من

---

(3) انظر الهامش رقم (2) على تقديم الرسالة الخامسة.

(4) مالقا مدينة ساحلية تقع بين جبل طارق والمرية فكان فتح مالقا على يد الموحدين ضروريا قبل فتح المرية، انظر عنها وصف الجغرافيين مثل صاحب الروض المعطار (517 ــ 518) تحقيق احسان عباس، ومعجم البلدان 43/5، الادريسي 565 (النشرة الايطالية).

(5) صيغة (اعادها الله) تستعمل للجهات والمواقع التي سقطت من يد المسلمين فيرجى استعادتها.

(6) لاحظ اقتباس الحمدلة والتصلية والتوصية من رسائل المهدي، مثلا الرسالة الثانية.

(7) انظر الهامش 6 على الرسالة السادسة.

(8) هو عبد المومن كما يدل على ذلك تاريخ الرسالة وترتيب الدعاء له بعد المهدي.

(9) أشار ابن حيّان الى وجود (حصن قامرة) في منطقة مالقا (المقتبس 184 طبعة مدريد 1979)، ويوجد شمال مالقا منطقة جبلية تقع بها مدينة كولمنار في فج على الطريق بين مالقا وقرطبة قد يكون هو المقصود هنا.

(10) كذا بالاصل بالثاء المثلثة مرتين ولعل الأصح : المثلات جمع لمَثُلَة اي عقوبة وتنكيل.

(11) كذا بالمفرد، والاصح : بركات.

(12) في الأصل : وظلال طال ما.

بني حسون[13] وأمثالهم ثأر اسلام البلاد لأعدا(ء)[14] الاسلام، أو كيف تسرف[15] العقوبة من رضي بالتثليث من التوحيد بدلا، لَشدّ ما عميت ابصارهم، وصار إليه صائرهم.

ورأينا من كتابكم الاثير شدة الرغبة في ألا نستنيب في الوصول اليكم لتطهر بذلك قلوبكم وتستقرّ انفسكم، فتركنا لإسعافكم غير ما وجه من وجوه البرّ والله ينفعكم بما نويناه اليكم واتيتموه من ابواب الخير، ويجعلنا واياكم من الذين يتمسكون بالكتاب وعروة هذا الامر. **وانتم كافة مؤمنون وجندكم وغيرهم** بتأمين الله تعالى وبفعلكم المشكور والمرضي، والله يعينكم على طاعته ويوفقكم لمرضاته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب ظُهر السابع عشر من ربيع الاول سنة ثمانٍ واربعين وخمسمائة[16]، «فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به»[17] وبصفقتكم الرابحة، « والله لا يضيع اجر من احسن عملا»[18] وكتب في التاريخ المذكور، وبالله التوفيق[19].

---

(13) المقصود هنا بالخصوص الامير ابو الحكم (القاضي سابقا) ومساعده اخوه ابو الحسن، ويظهر ان المقصود من (امثالهم) : ابن مردنيش المتعاون بدوره مع النصارى للحفاظ على امارته بالشرق الأندلسي.

(14) في الأصل : الاعدا (بدون همزة في آخره).

(15) سرف يسرف : أغفل.

(16) انظر حول هذا التاريخ خصائص هذه الرسالة ضمن الفصل الثالث والفقرة الأولى من الدراسة التاريخية.

(17) الآية 112 من سورة التوبة.

(18) اقتباس من الآية 30 من سورة الكهف.

(19) قد تكون هذه الجملة علامة خاصة بالشيخ ابي حفص، فقبل كلمة (وكتب) نجد في المخطوط علامة النهاية. ونجد في بعض الرسائل الموجهة عن الولاة علامات خاصة بهم (رقم 36 ــ 52 ــ 53 م ج).

الرسالة الثامنة :

رسالة عتاب من ابن عبد الحميد[2]
إلى ابن توندوت حول تمرده

تقديم :

استغرق الموحدون ربع قرن في الصراع مع المرابطين منذ ظهور الدعوة الموحدية الى فتح مراكش، وبعد هذا الفتح ثارت معظم القبائل المغربية وبعض المدن على حكمهم، ومن القبائل ما هي مصمودية عرقا او مجاورة مثل هسكورة. وبعد هدوء موقت تحركت قبائل الجنوب مستغلة النزاع بين عبد المومن ومعارضيه بشأن تحويل الخلافة الموحدية الى ملك في بنيه، ومن الذين ثاروا ضده قبيلة هسكورة او بعض بطونها، في وقت تجددت الحركة المرابطية في الجنوب يقودها يحيى الصحراوي الذي تلقى الدعم من قبائل صنهاجية ومن بعض قبائل المصامدة ومن هسكورة في ما يبدو، ولم تهدأ الاوضاع الا حوالي سنة 552 قبيل رحيل عبد المومن لفتح افريقية والمهدية، ومن الراجح ان ثورة هسكورة او بعض بطونها في هذه الفترة كان يقودها ابو بكر ابن توندوت : وبعد الحملات العسكرية التي تزعمها الشيخ ابو حفص الهنتاتي ثم الجولة التي قادها عبد المومن بنفسه بين قبائل الجبال الجنوبية الغربية سنة 552 تراجعت هسكورة عن موقفها مع تراجع القبائل الاخرى الثائرة. ويبدو ان الخليفة عبد المومن هو الذي اوعز الى الكاتب ابن عبد الحميد أن يوجه عتابا الى ابن توندوت يحثه فيه على التخلي عن دعم الحركة المرابطية والعودة الى الصف الموحدي وقد وردت رسالته ضمن الفصل الخاص برسائل العتاب في مخطوط «العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل» بالخزانة الحسنية في الصفحتين 46 و 47 وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

ع/46 الى ابي بكر[2]، ايقظ الله بصيرته من نَوْمَةِ ضلاله، وفاء ب(ه)[3] الى كنف التوحيد وظلاله، من المبتهل الى الله في صلاح حاله وسلامة مآله : ابن عبد الحميد.

اما بعد، فياليتك لم تُخْلَق بشراً سويّا، فقد صرت للشيطان وليّاً، تركت ما كان عليه الشيخ

---

(1) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب في المقدمة وانظر الموضوع الثاني من الفصل الأول للدراسة التاريخية (ثورة هسكورة).

(2) راجع الفقرة الثالثة من الفصل الأول من الدراسة العامة.

(3) ما بين هلالين في الرسالة غير واضح في المخطوط بسبب الكشط او الأرضة.

المرحوم[4] من الاغتباط بهذا الامر العزيز[5] الذي لم يزل به حفيّاً، وقد مهد فيـ(ـه لـعـ)ـقبه صراطا سويّا، «فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا»[6]؛ نكثت بيعة ونقضت عهدا، وصرت بعد الإ(مـ)ـارة **لأهل اللثام** عـ(ـبـ)ـدا[7]، واستبدلت من علو القدر وسموّ المكان تحتاً، ومن الرشاد ضلالةً ومن المال حراما وسحتاً، فازددت عن الله بعداً ومقتاً، وما مَثَلُكَ الا «كمثل العنكبوت اتّخذت بيتا»[8]، قد تبرأت منك **هسكورة**[9]، اعزز بها شرفا كفيلا، يسألون عن أ(نـ)ـبائكم ولو(كا)نوا فيكم ما (قا)تلوا الا (.../...)[10]سوء عمله فرآه حسنا[11]، (.....)[12] من نعم الله سبحانه، ثم من نعم هذا الأمر العزيز خلده الله (.....)[13]عريقا وبوأكم التوفيق في مناصحة هذا الامر وخدْمته (.....)[14] وتلحظك بعين الا(غـ)ـتباط الابصا(ر)[15]، تحل لمكاتبتك (.....)[16] الشامخة والربا، تقطُّ الرقاب قطا[17]، والمهابة قد بسطت إليك (في) القلوب بسطاً، تجيش الجيوش للجهاد، وتخلفهم بخير في الأهلين والأولاد، وقد نظمتك عناية هذا الأمر ــ خلده الله ــ في مراتب العلية الجلة من **أولاد أهل الجماعة**[18]، ليوث البسالة والشجاعة، الوارثين عن آبائهم مناهج البر المستبينة، المتمسكين بعروة الحق المتينة، المقتفين سبل هذا الأمر وسننه، «الذي يستمعون القول فيتّبعون أحسنه»[19].

ع/47

فخلعت من عنقك ربق الاسلام[20]، ولما دعاك الشيطان الى الضلالة أظهرت له الاستسلام،

---

(4) انظر الفقرة الثالثة المذكورة.

(5) اي الدعوة الموحدية والجهاز الحاكم وعلى رأسه الخليفة.

(6) الآية 59 من سورة مريم.

(7) انظر في الفصل الأول الفقرة الثالثة.

(8) من الآية 41 من سورة العنكبوت.

(9) هسكورة احدى القبائل الكبرى الفاصلة بين المجموعة المصمودية غربا والمجموعة الصنهاجية شرقا، وتمتد أراضيْها ما بين منطقتي تادلى ودرعة انظر الفقرة الثالثة المذكورة.

(10) الكلمة الاخيرة من الصفحة 46 غير واضحة وكذلك معظم كلمات السطر الأول من الصفحة 47 (حوالي 13 كلمة من هذا السطر).

(11) من الآية 8 من سورة فاطر «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا»...

(12) قدر كلمتين غير واضحتين.

(13) قدر كلمتين غير واضحتين.

(14) قدر ست كلمات يبدو انها على الشكل الآتي : (مذهبا،،، وطريقا تكفل عقبك الاحرار).

(15) في الأصل : الانصار.

(16) قدر ثلاث كلمات غير واضحة.

(17) تقط : بمعنى تقطع.

(18) «الجماعة» الموحدية يعرفون احيانا بالعشرة انصار المهدي الأوائل، انظر المقتبس 30 ــ 32، المعجب 188 نظم الجمان 77، الحلل الموشية 108، القرطاس 176.

(19) الآية 17 من سورة الزمر.

(20) في رأي الموحدين ان من كان على مذهبهم فهو المسلم الموحّد لله حقيقة، ومن كان على غير مذهبهم فهو مجسم ومشرك بالله، والمقصود هنا بالخصوص الخروج عن السلطة والثورة عليها.

ومَحَوْتَ بكبير سيئاتك ما كُتب في صحيفتك من اخلاص ونصيحة، وخدمةٍ مشكورة وآثار صحيحة، فعُوّض اسمك من ديوان التوحيد (بالشــ)ــقوة والعِناد، وآثرت الحياة الدنيا بما أظهرت من طغيان وفساد، ورفعت راية الغدر والارتداد، «ومَنْ يُضْلِلِ الله فَمَالَهُ من هَاد»[21]. فانت بأخبار رسول الله ﷺ مع الشيطان تركض، ولعرى الدين ومعالمه تنقض، كفرت ايادي سيدنا امير المومنين وآلاءهم[22] ، وبسطت يدك في المسلمين تقتلهم وتفرق أشلاءهم[23] «أفَمَنْ كان على بيّنة من ربّه كَمَنْ زُيّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم»[24]. ويا عجباً كيف ركنتَ **لأهل اللئام**[25] وأهل البغي في الفجور، واستبدلت الفيافي عوضا من مشيّدات الدور، واقترفت كبار الكبائر ورفضت ادّخار الاجور ! «وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور»[26]، ولقد رِكِبتَ بنفسك الغَرَرَ والخطر، واستولى عليك الأشَرُ والبَطَر، وآثرت العاجلة على الآجلة ففاتك الرأي الحميد والوطر[27]؛ «وكل صغيرٍ وكبيرٍ مستطَرّ»[28].

فاصرفْ نفسك عن الفساد والظلم، ولا تَكُ ممن «اتخذ إلهه هواه وأَظَلَّهُ الله على عِلْم»[29]، واعْلَمْ أن الله بالمرصاد، واقرأ لقرآنه من سورة صاد، وبادر مبادرة مُنيب، وتُبْ من قريب، وسارع مسارعة مُخْلص بتوحيده ومَتابه، وأْتِ الامر من بابه، قبل ان تَلْمَعَ لك السيوفُ بَوارقَها، وتبعث اليك الحتوف رواشقَها، فقد نهض الموحدون ــ أيّدهم الله ــ ونفوسهم الزكية عليك وعلى أولئك الأشقياء حَنِقة، وقلوبهم التّقية النقية للمنايا معتنقة، فكأنْ قد ضاق بك البَراحُ، ونقض عزيمَتَك الكفاحُ، ورفضتك الروابي والبطاح، وتحكمت فيك المناصل والرماح ؛ فاتخِذِ الرجوعَ الى الله سبيلا، واحذرْ ممن قال الله فيهم «إنّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً»[30]،فعجّل باسترضائك الحضرة الامامية قبل ان يَفجأك الحِمام، فتكونَ مَيْتَتُكَ مَيْتَةً جاهليّة، «فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»[31]، كيف أشْمَتَّ بنَفسِكَ وإِخْوَانكَ العِدا، وعرّضت للمحنة أهلاً وولدا، وركبت هوى نفسك فكنت «أضْعَف ناصِراً وأقَلّ عددا»[28].

---

(21) الآيات 22 و35 من سورة الزمر و 33 من سورة غافر.

(22) لعله الخليفة عبد المومن (541 ــ 558).

(23) لاحظ بعض ضغوط الثوار مثل ايت يبغز (من هنتاتة) على تازاكورت وقتل عاملها قبل ان يعلنوا توبتهم مع الصحراوي الى عبد المومن (البيذق 85). فهل هناك علاقة مابين الثورتين ؟

(24) الآية 15 من سورة محمد.

(25) من الذين ثاروا مع الصحراوي : كزولة والكست وغيرهم، راجع الفقرة الثالثة من الفصل الأول.

(26) الآيات 19 و 20 و 21 من سورة فاطر.

(27) الاشر : البطر والمرح، البطر :عدم شكر النعمة، الوطر : الحاجة. استطر : المستطر هو المكتوب.

(28) الآية 53 من سورة القمر.

(29) من الآية 22 من سورة الجاثية «افرأيت من اتخذ الهه...»

(30) الآية 27 من سورة الأنسان.

(31) من الآية 155 من سورة البقرة. (يصور الكاتب للثائر ان موته محقق ان لم يتب بسرعة).

(32) من الآية 24 من سورة المزمل : «حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف...»

فـــدَاوِ داءَك والاسبـــــابُ ممكنــــــةٌ وإذ طَبِيبُكَ قـد ألقـى عليك يـــدا.

فان بادرتَ الإنابة، ألفيتَ عند سيدنا أمير المؤمنين جميلَ العفو وكريم الاستجابة، فقد تقدمت لك خدمة مشكورة، فشفّعْـ(ـهـ)ـا الان بتوبة مبرورة، لكنِ الهفوةُ بينهما بمشيئة الله مغفورة، فالسعيد من بادر بالمتاب واعترف، وترك الباطل رغبة عنه واقترف، ففي قول الله النعم السالفة والزُّ(لف)، «قُلْ للَّذين كَفَروا إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَر لَهُمْ ما قد(سـ)لف»[33] ؛ بلّغني الله في إنابتك الاملَ، وأصلحَ مني ومنك القول والعملَ، والسلام على من أخلص في حب هذا الامر العزيز واستقام، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

---

(33) من الآية 38 من سورة الانفال : «... ما قد سلف».

الرسالة التاسعة :

رسالة عن الخليفة عبد المومن من ظاهر قسنطينة إلى إشبيلية مخبرة بانتهاء حملته الافريقية وبأهم نتائجها

تقديم :

اتم الخليفة عبد المومن فتح مملكة بجاية سنة 548 ثم شغلته احوال المغرب الأقصى عن فتح ما شرقها، فلما استقرت له الأحوال تحرك لفتح افريقية التي كانت موزعة بين سيطرة النرماند في الساحل وعيث الاعراب في الداخل، وكانت حصانة المهدية فرضت عليه مداومة حصارها بينما تعمل بعوثه العسكرية على إخضاع الجهات الأخرى. ويبدو ان آخر هذه الجهات خضوعا هي قابس وقفصة، فوجه عبد المومن ــ وهو محاصر للمهدية ــ رسالة الى غرناطة في هذا الموضوع[1] أتبعها برسالة اخرى في 2 ذي الحجة 554[2]، وفي 10 محرم 555 تم فتح المهدية من يد النرمند الصقليين فوجه منها في نفس اليوم رسالة الى اشبيلية مبشرة بهذا الفتح وبهزيمة عرب افريقية المترددين بين الطاعة والعصيان اكتفى صاحب المن بالاحتفاظ بابيات شعرية وردت في آخرها[3]، فرد عليها امير اشبيلية، السيد ابو يعقوب يوسف برسالة استنجادية وبأبيات شعرية ايضا فاكتفى صاحب المن مرة اخرى بذكر الابيات الشعرية[4]. ولما وصل عبد المومن الى ظاهر قسنطينة قاصدا المغرب خاطب ولده ابا يعقوب برسالة ــ هي الآتي نصها ــ مشيراً الى قهره لعرب افريقية وتحركهم معه قصد الغزو بالاندلس، وقد اورد صاحب المن هذه الرسالة كاملة مع الابيات الشعرية التي تتخللها، بينما اكتفى ابن عذاري بنقل مقطع منها معتذرا عن الباقي، وهذا نص الرسالة كما وردت في المن (11 ــ 15) المخطوط[5] او (131 ــ 135) المطبوع، والمقطع في البيان (39 ــ 40 من طبعة تطوان)[6].

---

(1) مجموع رسائل موحدية (م ر م) لبروفنصال : الرسالة رقم 19 المؤرخة ب 20 ذي القعدة 554.

(2) الاشارة في «المن» (120 ــ 121 من المطبوع)

(3) المن (121 ــ 125)، وذكر هذه الابيات أيضا ابن عذاري (41) ط، تطوان.

(4) المن 128 ــ 129، ونقل نفس الابيات ابن عذاري 42.

(5) المخطوط الأصلي باكسفورد، وتوجد منه نسخة مصورة بالخزانة العامة بالرباط، وهي المشار اليها في هوامش رسائل المن بحرفي (م. م)، وهذا المخطوط هو المنشور بمطبعة دار الاندلس ببيروت، وهو محقق من طرف الاستاذ عبد الهادي التازي، ونظرا لازدواجية ترقيم صفحات المصور ونقص او خلط بعض اوراقه فقد اعتمدت على الترقيم الذي اورده الاستاذ التازي على اساس انه للمخطوط الأصلي، واعتمدت في نصوص الرسائل على المصور دون الاشارة إلى بعض الاخطاء المطبعية الواردة في طبعة بيروت المذكور.

(6) سيوجّه عبد المومن رسالة اخرى من احواز بجاية بتاريخ 24 ربيع الآخر سنة 555 (انظر م ر م عدد 21).

نـص الرسـالـة :

م م/11 (بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد[7] لله وحده)[8]، أعزكم الله، وجعلنا واياكم من الشاكرين لنعماه ؛ ان من الواجب الحتم، والمفترض الحزم[9]، على من لزمه شكر النعم لمسديها (بمهد الآلاء لمهديها)، ان يقدّر[10] اولاً النعمة بكاملها، ويَغْمُرَ خَاطِرَهُ[11] بتفصيل اجمالها، ويُحضر في ذهنه بهجة جمالها، (ويسرّح عين اعتباره في مناقل احوالها) حتى (يفيض) على باطنه[12] نور اشراقها، وتهمي ينابيع مقوله بهاطل[13] غيداقها، وتتبارى له نفحات الشكر في ميدان استباقها[14]، وهو الفتح الذي برز في الاعجام والأعراب[15] وأضحى نسيجَ وحدِهِ في الاشباه والاتراب، (وعَقِمَ عن مِثله الزمنُ السالف، وخلت عن وصف نظير له الكتبُ والصحائفُ)، يتأكد بمحله وجوب[16] الاعتبار، ولا يزال موقعه يعظم بزيادة الاستيضاح والاستبصار[17]. وقد ابرزت لكم صوره، وتليت عليكم آياته وسوره، ووراء ذلك من تفاصيله مطلعات لا تنتهي اليها الأوصاف، وغايات لا تحيط ببعضها الاكناف[18] ؛ فاجعلوا لأنفسكم حظاً من الاعتبار في وزنه بميزانه، وقدره على حقيقة كنهه وكيانه، واعلموا أن هذه الجمرة التي أطفأ الله تعالى لهبها، والجمهرة التي اباده**ا**

م م/12 الله وأذهبها، وقطع بحبله القوي وسببه المتين حولها وسنمها[19]، هي شوكة الامة التي لم تزل/ للأمم صاليةً بنيرانها، والجن والانس مستعيذين من شيطانها، ومردة كل طائفة متحيرةً من تمردها وطغيانها

ملاحظة : سأقتصر على الاشارة في الهوامش الى نسخ الخزانة الحسنية من البيان المغرب كالتالي :

النسخة رقم 336 رمزها : خ ح 1	النسخة رقم 777 رمزها : خ ح 2
النسخة رقم 6158 رمزها : خ ح 3	النسخة رقم 334 رمزها : خ ح 4
النسخة رقم 2150 رمزها : خ ح 5	النسخة رقم 5212 رمزها : خ ح 6

(7) انظر خصائص الرسالة رقم 6 حول «العلامة» الخليفية ضمن الفصل الأول من الدراسة العامة.

(8) ( ) ما بين هلالين ناقص في البيان.

(9) في البيان : المحتم والمفرض الحزم.

(10) في البيان : ان يقرر.

(11) في البيان المطبوع ونسخ الخزانة الحسنية : خاطرها.

(12) في البيان المطبوع ومعظم نسخ الخزانة الحسنية : على بطنه.

(13) في البيان المطبوع : ويهمي ببادع مقوله هاطل... وفي خ ح 1 و3 : بيانع... وفي 2 و4 بباقع...وفي خ ح 6 بياقع كاهل غيداقها

(14) في البيان : اشتياقها.

(15) في البيان : في الاعجاز والاغزاب. وما في «المن» أصحّ، فالمقصودون هم النورماند وعرب افريقية.

(16) في المن : تتأكد بمحله وجوب... وفي ط بيروت : بمحلة وجول...

(17) في البيان : والاختبار. وهنا توقف صاحب البيان معتذرا لطول الرسالة.

(18) ستأتي التفاصيل في رسالة اخرى (هي رقم 21 م ر م لبروفنصال).

(19) في الأصل : (وسنمها) او (وسنها)، وكلاهما غير مناسبة للسجع، ومن المحتمل انها : (وسلبها)، انظر المعاجم اللغوية.

قد دوخت الملوك والممالك، واستحقت المسارح والمسالك، واقتحمت بأسها المتالف والمهالك[20]، ومرت عليها قرون لم يَهِض لها جناحٌ، ولا رِيعَ لها صباحٌ، ولا قارنها في مطالبها الغوية إسجاحٌ، حتى ظنت ان الحتوف تهابها، وامر الله لايطرقها ولا ينتابها، اغتراراً بعددها وعديدها، وثقة بان الأيام لا تنتقل فيهم عن معهودها ؛ وقد خبأ الله لأوليائه الموحدين من الفتح فيهم صنعا اختصهم به من بين الأنام، وأجراه عدّة لهم في مأثور كلام نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، فلما حقت عليهم كلمة عذابه، وأراد الله انفاذ حكمه فيهم بما تقدم من أسبابه، ((طويل)).

تصدّى[21]لأهـل الحقّ نيـلُ مُرادهـــم — وطـاب لهم فيمـا يرومونـه الـورِدُ
ويُسّرت الأسبـابُ فاختـيرت المُنـى — وأحكِمت الآمـال فانـتضِي الجِـدُّ
ودُبّــر رأيٌ فالتــقت عزماتــه — على حكم ما قد احمكت ضربه الهندُ
فسار بامــر الله جــيشٌ عرمــرمٌ — يقـود بـه سعـدٌ ويحدو بـه سعـد
بكـل بسيـط الشأو منقـبضِ الـنسا — يصول عليـه في الوغــى اسدٌ وِرْدُ
سروا، وريـاح الـنصر تحرد بـينهم — فـأضحت ريـاحٌ مـا لها منهم حَـرْدُ
م م/13 بضرب يزيـل الهامَ عـن سكناتـه — وطعـنٍ شتيتـات القلـوب بـه سرد/
شفـى كل صدر نـوّر الله قلبـه — وأشقى صدورا ما لها بالهدى عهـد
وطُهّـرت الآفـاق مـن كل كافـر — فحصحص حقّ الله واستُحكم العقـد
ولما طغتْ جهـلا ريــاحٌ وصرصرت — دهتها بأمــــر الله داهيـــــة إدّ
فلم تُغْنِ عنها اللات شيئا ولا حمى — نفوسهـــــم عنها سواعٌ ولا ودّ[22]
وقـد مُزّقــوا في الأرض كل ممزّقٍ — فمـن فاتـه قـدٌّ احاط بـه قِـدُّ
وهـذا هـو الفتـح الـذي بكمالـه — تكَامَـلَ امـر الله وانتُجـز الوعـدُ
بـه تُفتـح الدنيـا بـه يُبلَـغ المنـى — به يُسجَح العاصي به يقرب البعد
لقد جلّ قـدرا أن يحيـط بوصفـه — لسانٌ وأن يحصي معانيـه عَــدّ
ولله سرٌّ فيـــه لابـــدّ يُجتلَـــى — بآثــاره في كل مفتتَــــح بُعْــدُ
ستلقَـى بـلاد الـروم منـه حتوفَهـا — ويَغْشى أُولي الالحاد من ذكره جهدُ[23]
وما كان هذا الغزو إلا مـن أجلـه — فلمـا تجلى صبحـه كمُـلَ الـقصد
وقـد صُرفت نحو المغـارب عزمـةٌ — يَـبين لها في كل ناحيـة[24] وَقــد
معـــوّدة ألاّتهـــمَّ بمطــــلب — فيُلفَـى لها مـن دونـه ابـدا بُـدُّ
وجـدٌّ لاهـل الحق أوبٌ معجَّـلٌ — فللـه ذاك الـرأي والمذهبُ الجِـدُّ

(20) الحديث هنا عن عرب افريقية وسيطرتهم الحقيقية سابقا على اراضي مملكتي الزيريين والحماديين منذ اواسط القرن الخامس الهجري.

(21) في ط بيروت : تتسنى.

(22) اتهام بالكفر لكل من يقف في وجه الموحدين، وكلمة (عنها) الثانية هي في الاصل : (عنا).

(23) سينقل العرب فعلا الى الاندلس لمحاربة الاسبان وابن مردنيش.

(24) في الاصل : داحية.

وحاجاتهم بالشرق قد قضيت لهم ... فآمالهم نحو المغارب تمتدّ
إلى الأفق الغربي صُرنا صدورها ... خفافا كما طارت بجرعاتها الرُّبد
فيا معشر **الأشياخ** من كل **طالب** ... ومن **حافظ** للذكر الفاظه صَرْدُ
نبشركم انا اهتممنا بأمركم ... فلبّتكم منا المسومة الجرد
وَيصحبنا من خالص العُرب[25] معشرٌ ... انابوا فما ردّوا وتابوا فما ارتدّوا
رأوا في ذويهم عبرةً فتيقّظوا ... وكان لهم في غيّ غيرهم رشْد
ستغزو بلادَ الروم منهم عصائبٌ ... وتحمي حمى التوحيد من خيلهم جند[26]
فطوبى لأهل الغرب ماذا يرونه ... لقد جلّ قَدْراً ان يحيط به حدّ
جيوش بنصر الله تهمي عليهم ... يروق بها وهْدٌ ويزهَى بها نجد
ويشجَى بمرآها الاعادي كأنما ... عليهم بها صمٌّ الشوامخ تنهدّ
ستَعلم ارضُ الروم ايَّ فوارسٍ ... على ظهرها منهم اذا وَفدَ الوفد
وأيَّ رجالٍ للحروب اذا بدت ... أسودَ شرى يخشى ترائِبَها الأسْد
وانا وإياهم لحتمٌ غِلابُنا ... لهم وكلام الوحي ليس له ردّ
وانا لنرجو الله في كل حالة ... فيوسعنا فضلا له الشكر والحمد[27].

وهذه الفتوح التي تفتحت لها ابواب السماء، وأشرقت بأنوارها دياجير الظلماء، إنما صُلي بنيران سيوفها، ودارت أرحية حتوفها على **الرّيّاحيين** ومن انضاف إليهم من الذين خلعوا عن أعناقهم ربقة الايمان، ونبذوا وراء ظهورهم اسباب الأمان، وآثروا ناعق الشيطان على داعي الرحمان، واما سائر الاعراب فالرجاء فيهم متمكنّ، وطريق احدى الخطتين لهم متبيّن، والقصد إليهم بحسب نفيرهم أو نفورهم متعيّن، لا محيص لهم عن احدى السبيلين، ولا بدّ لهم من ركوب احدى الطريقتين[28]، فأما من ظلم نفسه، واعتزل الحق وأهله، فسيذوق من العذاب الأدنى مرّا، «ثم يردّ إلى ربه فيعذّبه عذاباً/ نكراً، واما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى، ونقول له من أمرنا يسراً»[29]، الموعد م م/15 بفتحهم ومَلْكِهم سابق، وخبر الوحي لا محالة صادق، والنظر في امرهم متدارك متلاحق، والعمل على شاكلة الصواب بحسب ما يكون منهم متناسق ؛ فاستبشروا وفقكم الله لما تستقبلونه من المواهب الجسيمة والفتوح العميمة، فإنها لهذه التي بين اليد ــ وإن عظم خطرها، وجلّ في النفوس اثرها ــ بمنزلة الجملة للعنوان، أو الروح من الجثمان، والله تعالى يجعلنا وإياكم ممن شكر انعمه، وآثر العمل الصالح وقدّمه، بمنّه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(25) هم بنو رياح وبنو جشم وبنو عدي (المن 144) انظر ايضا الرسالة 21 (م ر م).

(26) هل المقصود استعمالهم ايضا لحماية النظام داخليا ؟

(27) يفهم من المن (124 ــ 125) و135 و البيان 23 ان القصيدة من انشاء عبد المومن.

(28) انظر ص 119 في (م ر م).

(29) الآيتان 87 و88 من سورة الكهف.

الرسالة العاشرة :

رسالة حول الانتصار في
معركة بحرية قرب مدينة تَنس

تقديم :

تصف هذه الرسالة الموجهة من «الطلبة» الذين «بفلانة» ! الاصطدام في معركة بحرية بين قطعتين موحدتين من بجاية وبونة وقطعتين نصرانيتين من طرطوشة وبرشلونة قرب مدينة تَنَس بالمغرب الاوسط، حدث ذلك اثناء تحرك القطعتين الموحديتين في اتجاه تنس فتمكنتا من إحراز النصر على القطعتين النصرانيتين بعد قتال استمر من الفجر الى قرب الزوال من يوم الجمعة 7 رجب سنة 567 ! (حسب الرسالة)[1] وتم الاستيلاء على احدى هاتين القطعتين وفُكَّ اسرى المسلمين من أيدي النصارى، وبعد تسعة أيام من تاريخ المعركة اي في اليوم الذي وصَلت القطع الثلاث الى «فلانة» ! وهو يوم 16 رجب وجّه «الطلبة» الرسالة الآتية الى الأمير «السيد ابي فلان» مخبرين بالحادثة[2].

هذه الرسالة وردت في مخطوط «العطاء» ضمن زوائده على الصفحتين 18 و19 وهي من إنشاء القاضي أبي موسى[3]، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

ع ز/18 • حضرة سيدنا المعظم الأسنى أبي فلان[4] بن سيدنا ومولانا امير المومنين — أيد الله أمرهم، وأعز نصرهم — من الملتزمين لأمرهم، المديين لحمدهم وشكرهم، الطلبة الذين بفلانة[5] سلام على السيد المعظم الأسنى ورحمة[6] لله تعالى وبركاته.

---

(1) هذا التاريخ مشكوك فيه وأرجّح ان يكون تاريخ الرسالة بين سنتي 555 و 558، وهذا ما دفعني الى تقديم ترتيب الرسالة-زمنيا، انظر ترجمة القاضي ابي موسى ضمن تراجم الكتّاب، وراجع ايضا خصائص هذه الرسالة ضمن الفصل الثاني من الدراسة العامة.

(2) انظر خصائص الرسالة ايضا.

(3) توجد ترجمته في المقدمة ضمن بقية التراجم.

ملاحظة : ما بين هلالين (   ) في الرسالة : كلمات أو أجزاؤها مكشوطة أو مأروضة، ويتمم احيانا اجتهادا.

(4) من المرجح أنه السيد ابو محمد عبد الله ابن الخليفة عبد المومن والي بجاية (557 — 560)، انظر تحليل هذه الرسالة في الفصل الثاني من الدراسة العامة،

(5) راجع التحليل المذكور.

(6) في الأصل : ورحمت.

أما بعد حمدِ الله الذي يَسَّرَ الفتح الجليل آية لأمره شاهدة، ونعمةً بأعلى منها واعدة، والصلاة على محمد نبيه ورسوله، وعلى صحابته[7] التي عكفت على إعلاء دعوته ونصر كلمته جاهدة مجاهدة، والرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي ردّ بالسيف والحجة القاطعين قلوباً نافرة وأفئدة شاردة، والدعاء لسيدنا ومولانا أمير المومنين[8] بإمداد جيوشه بجيوش من الرعب تسير بين أيديها ناهدة، وتغادر فرق الكفر والضلال حيث كانت حصيدا خامدة، وللأمير الأجل الأفضل **أبي عبد الله، باسعاده ببركة سيدنا ومولانا الخليفة سعادة على مر الأيام مساعدة.**

فالكتاب ــ أعلى الله قدركم، وأدام تأييدكم ونصركم ــ وقد فتح الله ــ جلت قدرته وعظمت منته ــ ببركة سيدنا ومولانا أمير المومنين ــ أيدهم الله ــ في غزوة بحرية عظيمة الاثر، كريمة الخُبْرِ والخَبَرِ، قرّب الله فيها مرامات متبعّدة، وسهّل مسالك متوعّرة، وشفى صدور قوم مؤمنين كانت على الكافرين متغيّظة مستعرة، وصورتها الحسنى ان القطعتين المباركتين[9] اللتين تقدم الاعلام بتوجُّهِهما لانتهاز غزو إن اتفق، ولتشييع المركب الذي وُ (سـ)ـقَ فيه من ثياب المخزن[10] المعمور ما وُسَق، وكانت الجماعتان اللتان في القطعتين احداهما من أهل بجاية[11] والثانية من أهل بونة[12] ومقدماهما[13] حسن وأبو بكر ــ اكرمهم الله ــ نهضوا وشعارهم التوحيد واستنصارهم بيمن الخلافة التي لا ينجو هاربها ولا يحيد، فوافوا مرسى تنس[14] ــ حرسها الله ــ عند طلوع الفجر من يوم الجمعة السابع (من) رجب الفرد، وإذا فيه غرابان[15] اثنان احدهما من طرطوشة[16]

(7) سنلاحظ في رسائل الخلفاء الموحدين الأواخر اغفال الصلاة على صحابة الرسول والاكتفاء بالصلاة عليه وحده.

(8) المقصود هنا الخليفة عبد المومن على الأرجح، وأبو عبد الله هو ابنه محمد ولي عهده فيما بين حوالي 550 و 558، وهذه الولاية هي السبب في الدعاء له بعد ابيه في المراسلات الرسمية وخطب الجمعة. راجع الفقرة الاخيرة من الفصل الأول.

(9) القطعة : جمعها قطائع، وهي فيما يبدو السفينة الحربية عموما، انظر الجانب العسكري في الفصل الخامس.

(10) كلمة (المخزن) : لازال مدلولها هو بيت المال وهذا ماسيتضح أكثر في رسائل اخرى.

(11) بجاية : عاصمة بني حمّاد الصنهاجيين الى سنة 547، وهي تتميز بكثرة تردد التجار عليها : انظر الإدريسي ص 63 ــ 64 نشر هـ. بيريس، المعجب 352 الاستبصار 128، ابن سعيد في «كتاب بسط الأرض» 76 (يحدد المسافة بينها وبين طرطوشة بثلاث مجار بحرية)، عنوان الدراية ص 45، الحميري في مادة بجاية، صبح الاعشى 109/5.

(12) بونة : مدينة بينها وبين تونس ست مراحل، وتعتبر من افريقية، وهي بلد زراعة وتجارة، انظر المعجب 351 ــ 352، الروض المعطار 115، وصبح الاعشى 106/5.

(13) المقدم : في هذه الرسالة هو صاحب رتبة عسكرية بحرية.

(14) تنس : مدينة بالمغرب الأوسط ناحيتها كثيرة القمح ومنها يحمل الى افريقية و الاندلس بينها وبين البحر ميلان، الاستبصار 133، المعجب 353 بسط الأرض 76 الروض المعطار 138.

(15) الغراب : نوع من القطع الحربية. انظر الجانب العسكري في الفصل الأخير.

(16) طرطوشة : مدينة على الساحل الأرغوني تبعد عن حد بلاد المسلمين (زمن الموحدين) بمرحلتين او اكثر لها أهمية فلاحية وتجارية، المعجب 396، معجم البلدان (طرطوشة)، الروض المعطار أيضا، الادريسي 555 (النشرة الايطالية).

والثاني من برشلونة[17] ــ فتحهما الله ــ و لم يكن عند واحد من الفريقين علم بالثاني وإنما كانت مفاجأة لم يتقدم لها مقدمة إلا أ(....)[18] والا (تكـ)ـال على فضل الله وبركات هذه الدعوة العلية، فلم يكن بين المعاينة وصدق المخالطة زمان، ولا شَغل قِرْناً عن منازلة قِرن شان، ووقفت كل قطعة بازاء صاحبتها فتناطح القوم هناك وتراموا بالسهام، وتداعسوا بالرّماح، وتماصعوا بالسيوف، وتصارعوا بالأيدي والأيد، وتعاملوا (...)[19] وتضامّوا حتى لو يلقى الماء بين اثنين لم يكد يتسرب، ودامت الحرب، واختلط الطعن والضرب، الى ان تحطّم كثير من المجاذف والعيدان، وتثلّمت اجزاء من المراكب لفرط التداني على سَعة الميدان، وامتد القتال من الوقت المذكور الى قرب الزوال، حتى كاد اليأس يحصل، وخضاب الرجاء ينصل، والناس ينظرن من البرّ لا يقدرون لإخوانهم الا على الابتهال في الدعاء، والضراعة الى رب الأرض والسماء، فعند ذلك أهبَّ الله ريح النصر لأوليائه، ومكنّهم من ظهور أعدائه، وحكّم فيهم سيوفا تتقبّض وتنبسط، وتُقـ(ـسـ)ط ولا تَقسط[20]، وتغلبوا على إحدى القطعتين،/ وكان القتلى من أهلها شطرا والمأسورون شطراً، وجملة المأسورين نحو ع ز/ 19 (ثمـ)انين فيهم من (.....)[21] وأفلتت القطعة الثانية بجريعة الذقن عند الاشتغال باختها بعد ان قتِل من (كفـ)ـارها نحو الأربعين، و (....)[22] الثانية في البحر، واستنقذ الله من كان عندهم من المسلمين في ربقة الاسر، فسُرِّيَ عن اهل السواحل، (فسـ)ـرّوا وفرحوا واستبشروا، وعاينوا آية عظيمة في مقابلة قطعتين لا عهد لهما مع الانفراد (...)[23] ذلك الجهاد والجلاد لقطعتين ليس فيهما الا (...)[24] **ـرطة الكفار** الذين عُرفوا بالنجدة ووُصِفوا بالشدة، **واتخذوا هذا البحر جملا ذلولا يركبون جنابه، ويضربون عبابه، عرضا وطولا**[25] ؛ واعتقد الموحدون ان هذا الفتح فرع من فروع الفتح الاعلى بالمهدية ــ كلأها الله ــ [26] ــ فقد ابقى بحمد الله في الكفار سُنة قد استقرت، واطردت واستمرت، وهي ان يجعل الله مصارعهم بحيث يراها الجالس على الشط، ويعاينها من لم يعاينها قط.

وفي تاريخه وصل الغزاة[27] المفتوح على ايديهم ــ بارك الله فيهم ــ بقطعهم الثلاث، مجموعا

---

(17) برشلونة عاصمة مملكة اركون فينسب احيانا ملوكها اليها كما في المصادر العربية، سفنها كثيرة الحركة للتجارة والغزو، بها عدد مهم من اليهود. المعجب 368، الروض المعطار 86 ــ 87.

(18) كشط قدر كلمة.

(19) كشط قدر كلمة او كلمتين.

(20) يُقسط إقساطا : اي يعدل عدلا، يَقسط قِسطا ؛ يجور جوراً.

(21) الماروض قدر كلمة.

(22) يرجح ان الكلمة الماروضة هي (نجت).

(23) الكلمة المناسبة هي (بمثل).

(24) ينقص هنا جزء من كلمة.

(25) راجع خصائص هذه الرسالة والملاحظات عن البحرية الاسلامية في الفصل الثاني للدراسة العامة.

(26) كان ذلك في مطلع سنة 555.

(27) انظر في الفصل الاخير ما يتعلق بالجانب العسكري مصطلح الغزاة.

لهم بين الأجر والمغنم، مسموعا منهم الاعتراف بأنها احدى (برك)ات هذا الامر الأعظم، ليس لهم فيها إلا حظ المستعمَل المسخَّر، وإنه لَلحظُّ الغبيط المقدم غير المؤخر، لم يمسَسْهم سوء، ولا فُقد منهم إلا شخص واحد[28] من عرض الناس، شَهِد له اصحابه من حسن البلاء وعظم الغَناء، ما ترجى له به الشهادة، وتنال بمثله السعادة، والحمد لله رب العالمين حمدا يكون كِفاءاً لِنعمه، وإزاءاً لِقسمه، ومدعاة لفيض جُودة وَكَرمِهِ، وإياه نسأل أن يورد (مع الساعات والأوقات على حضرة الخلافة النبوية المهدية فتوحاً تَتْرى، وتدن[29]) شانيها بُتْراً، ويملأ طيب أحاديثها برا وبحرا وبدوا وحضرا.

والرغبة في دعاء سيدنا المعظم وابن سيدنا ومولانا المنعَّم ــ ايدهم الله ــ تتأكد، وملازمته **للمجلس الأعلى** ومشاهدته للنير الأسمى مما تتزين به هذه الرغبة وتتزيد[30]، لا زلتم مستمدين من بركته، مجدودين بسعادته، والسلام الأبر الأزكى الأعطر الأذكى على السيد المعظم الأرفع الأسنى ورحمة الله وبركاته.

كتب في السادس عشر من رجب الفرد سنة سبع وستين وخمس مائة[31] .

---

(28) هذا غير مطابق لوصف المعركة ومع استعمال الاسلحة المختلفة زيادة على طول مدة القتال من طلوع الفجر الى وقت الزوال، ومثل هذا الادعاء مألوف عند الموحدين (مثلا انظر الرسائل 27 و 28 و 34).

(29) كلمة حرفها الأخير غير واضح ولعلها كما أثبتناه، والمعنى : يقصّر وينقص، ماضي الفعل هو : وَدَنَ.

(30) لعل المقصود بالمجلس الاعلى هو مجلس الخليفة، راجع المن 237 و 285 و 429.

(31) راجع خصائص هذه الرسالة في الفصل الثاني حول الشك في صحة هذا التاريخ وترجيح غيره.

الرسالة الحادية عشرة :

رسالة تقريع من انشاء ابن مبشر[1]

تقديم :

في احدى المعارك الغير المعروفة تعرضت إحدى فرق الجيش الموحدي للهزيمة فوجّه الوالي بالمنطقة فيما يبدو رسالة تقريع لهذا الجيش، ويبدوا أن ابن مبشر هذا هو نفسه صاحب رسائل الشكايات في عهد الخليفة يوسف[2]، فالبلوي يسميه في الحالتين بنفس الاسم اي ابن مبشر، فلو كان هذا غير ذاك لَمَيَّز بينهما ؛ ولا يمكن ان تكون الرسالة ـــ نظرا لعدم ذكر المهدي ـــ مكتوبة في عهد المأمون، فالبلوي صاحب العطاء جمع كتابه بين 610 و 613 وهكذا نظرا لصعوبة التأكد من تاريخ الرسالة فقد فضلت وضعها بين أواخر عهد عبد المومن وعهد ابنه وخلفه يوسف.

نص الرسالة :

ع/44 الى أُمَّةٍ نَجَهَت أفئدتُهم وقلوبُهم، وركَنت الى الخفَض ولَيان العيش جُنوبُهم، وظهر عُدولُهم عن سَنَن الرجال والأشدّاء ونُكوبُهم، الذين ارتسموا من الجُبْن والفشل بأقبح النعوت والأوصاف، وتشبّهوا بفزعهم وخَوَرهم بنبات الماء او حُمْرٍ لَصَاف[3]، صرفهم الله عن طريق رعبهم وفزعهم، وتاب عليهم من سوء منحاهم الذميم ومَنزعهم، سلام على من جاهد الله حق جهاده، ولم يَنكِس بعد الاسلام الى ارتداده[4].

أما بعد حمد الله الذي ميَّز بين الرجال والنساء، والصلاة على محمد المصطفى صلاة نرددها عليه في الصباح والمساء، مقوّي الشرع بالتثبيث له والإرساء، الذي فضّل سائر الملوك كفضل البحر الملتحّ على الحسا(ء)[5]، والدعاء لسيدنا أمير المومنين[6] في أن يغفر الله ببقائه ذنب الدهر المستقبح المستساء.

---

(1) راجع ترجمته في المقدمة ضمن تراجم الكتّاب.

(2) يوجد بعضها ضمن ملاحق قسم الرسائل.

(3) اللصاف : نوع من العشب تأكله الابل، وهو أيضا اسم موضع في منازل بني تميم، قال الشاعر أبو المهوس الاسدي :

«كـــنت أحسبهم أسود خفيـــةفـإذا لصافِ تبـيض فيـه الحمـر»

(لسان العرب، لابن منظور).

(4) اشارة الى كون الجهاد فرض في عقيدة الموحدين، ومن تخلى عنه أو تراجع منهزما فقد ارتد عن الاسلام.

(5) الهمزة ناقصة في الأصل، والسجع ــ قبلُ وبعدُ ــ يفرض وجودها.

(6) يبدو هنا عدم وجود الدعاء للمهدي في اصل الرسالة، فالسجع المتتابع لا يشير الى وجود بتر في الرسالة الاصلية ربما لأن موضوعها وهو العتاب لم يكن داعيا لاتباع الأسلوب الرسمي التقليدي بحيث لا يجعلنا هذا نعتقد ان الرسالة كتبت زمن المأمون الذي تخلى عن «رسوم» المهدي.

فإنا كتبناه ـــ كتب الله لكم بصائر لا تعمى عن مراشدها، وسرائر لا ينحل مُبرحُ معاقدها. ونقلكم من خجل الغواني والقيان الى مجال الضراب والطعان، واخرج قلوب الثعالب من أحناء ضلوعكم، وعصمكم من نكوصكم على الاعقاب ورجوعكم، وجنّبكم فراراً عن الزحف والكفاح، وجعل وخزَ الإبر عندكم اهون من طعن الرماح ـــ عندما تبيّن لنا من اللؤم الذي أوفضتم الى نَصبه، والعارِ الذي اكثرتم من اقتنائه وكَسبه، والذِّكرِ الذي طَبَّق الخافقيْن سوءُ حديثه، وأتى سببُه الأقصى بسريع شره وخبيثه، وامتلأت المعمورة بقبيحه الذميم وخبيثه، يَعجز عن حمل اوزار الحرب انتهاضُكم، ويهزمكم وانتم الكثيرون أبعاضُكم، فلا ازدجارُكم يبعثه شرعُ الاسلام ولا اتّعاظُكم، ولا الحميّة يستثار بها ذِمارُكم وحِفَاظُكم، كأنَّ نِفَارَكم عن أعدائكم ينسا[7] آجالكم، وكأنَّ الحربَ قد حرمكم منها سِجالُكم. فَلِمَ تمسحون لِحاكم، وقد سبّكم الوحي ولَحاكم، ولِمَ تحملون العمائم، وانتم اوهن من (...)[8] التعاوذ والتمائم.

فانزلوا ـــ حطكم الله ـــ من الفرس النهد الى صهوة المهد، وكونوا كبارا في الخِلقة صِغارا، والحَقُوا بالخوالف والقواعد، **واخظَبوا بالحِنّاء بطون الأكُفّ وظهورَ السواعد**، واتركوا الطعان للتجشّي عند التنائر والموائد، ولا تطمحوا الى ان تجتنُوا من سود (المصا)ئب بيض الـ(ـعـ)ـوائد

ع/45؛ فعليكم/ (....واجراء الخيول...)[9] بلقاءِ حين كَرهتم (...اللقاء... وتعزّيتم بفرار...)[9] والشقاء، قد مدّ الله لكم الدوام والبقاء، واياكم (....فعالكم...)[9] بل والله نُنْزلكم (....)[10] منزلة المومسات (...)[10] بالموحشات (....)[10] على ثياب الرجولة لا الكُساةُ، إلا ان يَستيئس عَزْ(لـ)ـكم، ويُدَال بالقوة عجزُكم. فحينئذ يرتفع عنكم (...)[10] وذلك رَجزُكم، وما بيننا وبينكم الا ان تَحمي وطيس، وتتعاطي للمنية (الـ)ـكؤوس، وتحلَّ من الحرب وهي شِمطى[11] عروس، فإن فعلتم عندّ ذلك كما فعلتم أولاً، ورأينا لكم على الأجفان نبتاً ومُعَوّلاً، أخذتْكم سيوفُنا أخذةَ أسف، وعاقبناكم على ما حضر وعلى ما سلف، وسقناكم وقد هربتم من التّلف الى التّلف ؛ فاختاروا اي السيفين شئتم أسيف الإقبال ام سيف الإدبار، وأقدموا او انكصوا على الأدبار، وقد خيرناكم فانظروا (أحسن) العواقب في الخيار، وهذا وعيد وانذار، وامهال قليل وانظار، وستكشف الرغوة عن الصريح (...من ...)[12] التصريح، وبعد هذا «فإمْسَاك بِمَعْروفٍ أو تَسْرِيحٌ»[13]، والله تعالى يشُدُّ أَزْرَكُمْ على خُلق الذكور، ويَرجِع بكم عن المذموم المنكور، ويجعل لكم حنينا الى خُلق الرجال كحنين الطير الى الوُكور، والسلام على من رَبط على قلبه، ولم يفرّ عن الزحف يوم حربه، ولا فَلّ الرُّعبُ حَدِيدَ غَرْبِهِ، مُعاداً مُرَدّداً...

---

(7) كذا في الأصل : ينسا (بدون همزة) ومعنى نسأ : أخّر.

(8) كلمة غير واضحة يمكن ان تقرأ : تخاذ، فعل (تخذ) : بمعنى اخذ،

(9) هنا يظهر تأثير الرطوبة في الاسطر الخمسة الأولى من الصفحة 45 بالمخطوط.

(10) غموض قدر كلمة بسبب امتداد الرطوبة.

(11) في الأصل : شمطا (بالالف الممدودة).

(12) اربع كلمات غير واضحة يمكن ان تقرأ هكذا : وأجمجم ! من ـــ ـرح هذا).

(13) الآية : «فامساك بمعروف او تسريح باحسان» ضمن الآية 229 من سورة البقرة.

الرسالة الثانية عشرة :

رسالة عن السيد أبي حفص وأبي سعيد حول هزيمة ابن مردنيش في موقعة الجلاب وانحصاره داخل مرسية

تقديم :

عندما بدأت السيادة الموحدية تتسرب الى الاندلس كانت بلاد الشرق منها تحت سلطة محمد بن سعد ابن مردنيش وقد فشل عبد المومن في استمالته الى طاعته سنة 548[1]، بل استغل ابن مردنيش وصهره حليفه ابنُ همشك انشغال عبد المومن بفتح افريقية فاشتدت منهما الضغوط على قرطبة واشبيلية[2]، ومنذ نهاية فتح افريقية أخذت الامدادت تقوى الى الاندلس من الموحدين والعرب، فأخذت وضعية ابن مردنيش تسوء تدريجيا وخاصة منذ اصطدامه مع الجيوش الموحدية في ذي الحجة 560 بفحص «الجلاب» بين مرسية ولورقة وتراجعه الى مرسية حيث ابتدأ الموحدون حصاره بها، وعندئذ وجّه المشرفان على هذه الحملة السيدان ابو حفص وابو سعيد ولدا الخليفة عبد المومن رسالة من ظاهر مرسية حول هذا الانتصار الى اشبيلية (والى الخليفة يوسف بمراكش) هذا نصها كما وردت في المن بالامامة (276 — 282 ط بيروت) وهي من انشاء ابي الحسن ابن عياش[3].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم، من عمر وعثمان ابني امير المومنين الى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية أدام الله كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد، فالحمدُ لله القاهر الغالب، ناصر جنده ومنجز وعدِه في المشارق والمغارب، والصلاةُ على محمد المبتعث وسيطا في ذؤابة[4] لؤي بن غالب، وعلى آله وأصحابه الماشين على سَنَنه وسنته على أوضح المسلك الواجب، والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، الناهض بأمر الله تعالى قياماً بالواجب للحادّ المحادّ والمجانب، والدعا(ء)[5] لمولانا وسيدنا أمير المومنين حامل لوائه/ والملة م م/129

---

(1) الرسالة العاشرة من (م ر م) لبروفنصال، وسيجدد الخليفة يوسف 564 دعوته اليه : الرسالة رقم 24 (م رم).

(2) المن (المطبوع) ص 115 وما بعدها.

(3) انظر ترجمته في المقدمة ضمن كتّاب الرسائل.

(4) غير واضح في الأصل، والتصحيح من طبعة بيروت.

(5) الهمزة ناقصة في الأصل.

على منهاج الحق الناسخ لمفترقات المذاهب، ممشي الدعوة الامامية والكلمة الموحدية في شعاع نوره المجلّي للغياهب، ثم لفرعه الأنمى ونجله الأزكى الأمير الأجل، الملك الأسعد الأعدل، أبو يعقوب[6] ذو الحسب المحلّى بالمناقب، المسامي للنجوم الثواقب، المختار مذخوراً لأمر الله تعالى المخصوص بغرائب الرغائب.

فكتبناه — أكرمكم الله بتقواه، وأوزعنا وإياكم شكر نعماه — من مضرب محلات الموحدين — انجدهم الله — بظاهر مرسية يسرّها الله، وصنع الله الجميل، وفتحه الجزيل، قد وضح نهارا، وفهق أنهارا، وعلت كلمته العليا جهاراً، وبركة الإمام المهدي وسعادة سيدنا ويمن الأمير الأجل — أيدهم الله — قد سوغت طائفة الحق نصرا وإظهارا، واعتضاداً في ذات الله واستظهارا، والحمد لله رب العالمين.

وقد خاطبناكم قبلُ بما كان من صنع الله تعالى في فتح اندوجر وتوحيد الحصون التي تليها[7] — عمرها الله — وتجدد بعد ذلك من صنع الله وحده من مطّرد الفتح الموعود، المحفوف بالمناجع والسعود، ما جل عن نعت الناعت، وشذّ عن الشاذّ الفائت، وكبر عن وصف الواصف، ونثر الناثر ورصف الراصف، وأظهر من آيات الله تعالى ما فاق بيان ذوي المعارف من صنع لم يُر مثله في كثير من الحقب، ويوم كيوم ذي قار[8] انتصف فيه الموحدون والعرب من العجم[9]، ولمن/ سار لهم في الزي والكَلِم، وتمسّك منهم بسبب. م م/130

(فتح الفتوح تعالى ان يحيط به نظمٌ من الشعر او نثر من الخطب)[10] وذلك ان عساكر الموحدين استقبلت هذه البلاد الشرقية[11] — فتحها الله — تتوغل في أرجائها، وتحول بحول الله بينها وبين رجائها، فكلما مر الموحدون بمدينة من مدائنه او حصن من حصونه انجحر الاشقياء الذين يضبطونها فيها انجحار الثعالب، وانزواء المغلوب بعزة الغالب، وأجال أولياء الله على الأرزاق الموجودة في نواحيها ينتسفون رغدها، ويلحقون بيومها غدَها، حتى كثرت نِعم الله بالمحلات المؤيدة من الأطعمة والأعناب وضروب الفواكه من الرطبة واليابسة[12]، وفي كل ذلك

---

(6) ظل يوسف مكتفيا بلقب الامير الى سنة 563، انظر الرسائل في هذه المجموعة تحت ارقام : 22 و23 و24 و25 (م ج).

(7) فتح الموحدون برئاسة السيدين ابي حفص عمر وأبي سعيد عثمان ولدي الخليفة عبد المومن حصن اندوجر عنوة في ذي القعدة سنة 560 في بدء الحركة الى مرسية. انظر تفاصيل الحملة في المن (269 — 276) وفي البيان (63 — 65) مختصرا عن المن.

(8) معركة ذي قار انتصر فيها العرب على الفرس في جنوب العراق في السنة الثالثة من البعثة النبوية قبل اسلام عرب المنطقة : العبر 2/ 366 و (558 — 559).

(9) اول اشارة في الرسائل المعروفة عن وجود العرب ضمن جيش الموحدين في الاندلس فيتاكد بهذا ما ذكرته بعض المصادر مثل اخبار المهدي للبيذق (88 — 89) والمن 273.

(10) بيت من قصيدة لأبي تمام قالها في فتح عمورية مطلعها : «السيف اصدق انباء من الكتب».

(11) انطلقت هذه الحملة من اشبيلية بقيادة السيد ابي حفص في فاتح قعدة 560، المن 271، البيذق 88.

(12) الاشارة الى الأهمية الفلاحية للمنطقة الجنوبية الشرقية والتسابق مع العدو لجمع المؤونة.

لا تعرض لبلدة بقتال احتقارا لها ولمن بها، وتصميما لغزو غيرها، ولأنها الناظم لنثرها، الى ان وصلت العساكر جهات بسطة[13]، فنزلوا منزلا يصاقبها يسمى وادي القشتالي[14]، واقتضى النظر اقامة بعض الأيام هناك لانتظار العسكر والحشد والرماة الواصلين من أغرناطة[15]، وفي خلال مقام تلك الايام بعثت خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن الغارة في الميمنة والمسيرة من تلك الأقطار والجهات، فاستاقوا من الغنائم من جهة غَلّيرة وقَرباقة، وبسطة وجبال شقوره[16] عددا جما وسوائم كثيرة من الدواب والبقر وعشرات آلاف من الغنم، / فملأت الوادي، واشتملت على كريمتها الأيادي، وتقلب الموحدون في نعم لا تحصى عدة تتناسق منها نِعَم فنِعم، والشكر لله على ما أولاه. م م/131

ولما وصل العسكر المنتظر من أغرناطة أخذنا في الحركة الى ان انتهينا الى حصن قلية[17]، فساعة الإطلال عليه نزل أهله من ذروته تائبين آيبين، موحدين مستجدين، نظرا لانفسهم وأخذاً لحظّهم، ثم حللنا بجهة بلس[18] ـــ عمرها الله ـــ من سَقْعٍ كثير القرى والعمائر، ونظر معدوم النظائر، وفي حصون وقلاع، سمت مبانيها باليفاع[19]، وتناسقت[20] الأعيان في الارتفاع. فعندما عاينوا من أمر الله وجنوده ما ضبر عيونهم، وملأ قلوبهم نزل قائدهم الشرقي[21] وأصحابه الرعية مستأمنين مذعنين، فأمنوا تأمينا، وأضحوا نذرا لعشائرهم يسارا ويمينا، وقُدّم في حصونهم من تقدم لضبطها، وتشمّر ـــ بحول الله ـــ في حوطها، وهنالك استوضح أن الشقي ابن مردنيش وأصحابه النصارى[22] ـــ دمّرهم الله ـــ قد خرج بجملته الذميمة من مرسية الى لورقة[23] خائفاً عليها، بعد ان استوثق خروج اهل مرسية وشيوخها، وأهل التعين فيها مع كثير من لفيفها، لما أوقع الله في قلبه من الرعب الذي تقدّم اليه جيشه، حتى خفّ به طيشه، فلم يزد أولياء الله الا عزما مجدّا في التصميم الى جهته، والتعويل على غزوه في عقره/ اذلالاً له ولفئته، وأقاربه وحوزته، الى م م/132

---

(13) انظر عن بسطة الادريسي ص 568 (ن الايطالية) والروض المعطار (مادة بسطة).

(14) كلمة غير واضحة في المصوّر ما عدا الحرف الأخير.

(15) أغرناطة، انظر الادريسي (569 نفس الطبعة)، المغرب 2/ 108، المن 270 (عن عسكر اغرناطة).

(16) غليرة : انظر المقتبس لابن حيان 362/5 (ط، مدريد)، قرباقة : انظر الروض المعطار (قرباكة)، شقورة : الادريسي 100 (نفس الطبعة).

(17) قلية : المعجب 370 و المغرب 2/ 87، ويذكر المراكشي الحُصون التي بين مرسية وأغرناطة مثل حصن لرقة وبلس وقلية ثم بسطة ثم وادي آش ثم غرناطة.

(18) بلس : راجع الهامش قبل هذا وكذلك الهامش 1 على الصفحة 279 من «المن بالامامة».

(19) اليفاع : كل ما رتفع من الأرض.

(20) في الأصل : وتناصقت.

(21) عبارة (القائد الشرقي) تكررت ايضا في الصفحة 403 من المن (المطبوع) للدلالة على احد قواد ابن مردنيش فيما يبدو.

(22) اشارة الى اهمية المرتزقة لدعم ابن مردنيش.

(23) لورقة : انظر التعريف بها عند الادريسي ص 561 النشرة الايطالية، والروض المعطار 512. حاول ابن مردنيش الدفاع عنها ومنع الموحدين من تجاوزها نحو الشرق، إلا أن هؤلاء غيروا مسلكهم (المن 272). وستظل بيد ابن مردنيش الى سنة 565 (المن 403 ـــ 405).

ان قارب الموحدون جانب لورقة، وأمُّوا البسيط السهل المعروف بالفندون على مرأى من الأشقياء والكفرة، وإظهار آيات امر الله العزيز وأعدا(ء)(*) الله لا ينبس لهم نابس، ولا يظهر منهم راجل ولا فارس، وفي كل ذلك تخونهم آمالهم الخائبة وظنونهم الكاذبة، أن الطريق تناكب عنه تياماناً إلى الساحل وتعريجاً بالمراحِل والرواحل، إلى ان استوضحوا ان القصد مرسيَّتهم مرسى الوفود والورود، فسُقط في ايديهم حيرة وتبارا، ثم ابدوا قرب بلدهم تجلدا، فأقلع الخاسر عن لورقة آخر النهار، إقلاع الصَّغار، آخذاً بحزن الجبل، والموحدون بسهل البساط ؛ فساير الموحدين مرحلتين ملاحظا ما نفخ فؤاده، وحقّر اعداده واجناده، وفي كل يوم من مسايرته تنتشر مواكب الموحدين على ترتبهم وتأهبهم رجاء ان يغرّه العجب، والأشر المعطب، فينجز فيه وعدُ الله المرتقب.

فلما كان يوم السابع من ذي الحجة في حين الزوال، استخار اللَّهَ الموحدون على أن يأخذوا بينه وبين الثنايا التي تحول بينه وبين مرسية[25]، فتميزوا شعوبا وقبائل[26]، «وصدقوا ما عاهدوا الله عليه»[27] من اخلاص التوبة وامحاض النية، فرأى الأعداء ما هالهم وأهالهم، واحال حالهم، هذا على احتداد شوكتهم، وكثرة عدّتهم، وتردّدوا[28] / م م/133 بسفح الجبل زهاء ثمانية آلاف فارس أكثرهم ارغون[29]، وقفوا يتشاورون ويتنازعون، و لم يجدوا مَحِيداً عن الطريق التي ضمّتهم، ولا منفذاً إلا في الساقات التي حفّت محيطة بهم وعمّتهم، وضربوا قليل أخبية في الجبل الذي به ابادهم، وهو فيما دبّروا مصادُهم ومَعَادُهم، وعوّلوا ان في مشارهم ان تكون ملجأ يأوي اليها الفلّ ، ويجدها منهم البعض ان لم يجدها الكُلّ، فأبدوها يعلوها القتام ويبدو عليها الذّل، وصافّهم جنود الله من ضحى النهار الى ان نودي للصلاة من يوم الجمعة في ايام يُقْبَلُ فيها التوب، ويُغْفَرُ فيها الذنب، ويخشع القلب، ويُعْبَدُ الرّبّ ؛ فلما كان وقت الصلاة اختار الله للموحدين ان ناشبوهم القتال، وقد كثر الذكر والإهلال، فزحفت العساكر اليهم حتى دنا السواد من السواد، وتشوّفه بالكَلم والطّراد، وحملت الروم حملتهم المعلومة المعهودة[30]، وصمدت جملتهم اذ صمدت قبيل رياح من العرب، فَأَفَر جوّالُهم والتفّت عليهم قبائل الموحدين واحتدمت الحرب، وحمي الوطيسُ، وثارت سماء النقع دون الجو كواكب الظُّبا والأسنة، وثبّت الله اقدام الموحدين، وزلزل (الله)[31] أقدام

(*) الهمزة ناقصة في الأصل.

(25) مرسية : عاصمة ابن مردنيش في هذه الفترة، انظر عنها المغرب لابن سعيد 2/ (250 — 251).

(26) يذكر صاحب المن تفصيل هذه الشعوب والقبائل (ص 273).

(27) من الآية 23 من سورة الاحزاب.

(28) هنا بتر للرسالة في مصور المخطوط بسبب خلط في أوراقه، ولذا فإن ما بقي من نصّها اعتمدت في نقله على طبعة بيروت.

(29) أرغون : يذكر صاحب المعجب بعض مدن هذه المملكة وحدودها مع بلاد المسلمين في منطقة بلنسية ص 368 و369، الروض المعطار، بسط الأرض لابن سعيد 113.

(30) يوضح صاحب المن اندفاع النصارى آنذاك بهذه العبارة : «دفع ابن مردنيش... بأصحابه النصارى اولا ثلاث دفعات : دفعة اولى في العرب ودفعتين في الموحدين» ص (273 — 274).

(31) كذا، ويبدوا انها زائدة.

الملحدين[32] وثبّت الساقة التي فيها الأعلام، كأنها الجبال الراسيات والأعلام، وانبرى الموحدون م م/134 الأول من اهل تينملّل وهنتاتة[33] فصبروا صبر امثالهم / ، وخوهم الله إقبالا في استقبالهم، وأجفل الكفرةُ منهزمين، وولّوا الأدبار مدبرين، والسيف يأخذ منهم فوق ما يدع، وحزب الله يتقدم غالبا فيصرع ويصدع، وقتل رجال الشقي ومشاهيره، والروم اكثر القتلى فيهم فخرّوا «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ»[34]، وعجّل الله بأرواحهم الى ناره الحامية، وسقطوا من مهواهم الى الهاوية، ولاذ الشَّقِيُّ الفليل في العدد القليل إلى الأخبية التي أعدّها للفرار، لا للقرار[35]، وقد خبر منْ حد السيوف وأنبائها ما أغناه عن الأخبار، وشفى الله صدور المومنين من اعدائهم الكفار، وصاروا بين ايديهم جزرا، قد افترشوا فناءا في مقتلهم هذا وعقراً، ونفل الله من خيلهم ومطاياهم وأدراعهم وسائر اسلحتهم ما جلَّ قدره وعمّ كُثْرُه، والحمد لله رب العالمين، جاعل العاقبة للمتقين. وبعدما تبعهم الحسام الى الأصيل، وصرعهم بكل مُسيل، وقف الخاسر خائفا يترقب وقوف الذليل، وسُلب قتلاهم من ملابسهم بكل واد ومَسيل، بادر الموحدون في غدهم على مهلهم الى فناء مرسية، فضربت بساحتها المضارب والأبنية، بازاء حدائقها المعروشة، وبسائطها وبساتينها المشيدة المفروشة، فكان م م/135 سباق الموحدين اياه الى ناحيتها من أشقّ ما أخزاه الله به[36] ؛ ونقرت الطبول تصُكّ/ أسماعهم، فمكنت الزلازلُ في جوانبه وركب الليل جملاً، واحتلّ البلد ــ ولم يكد ــ تسلُّلا، وانبسط تبّاع الموحدين على تلك الحدائق محصّلين لأنواع الفواكه، وعادت مباني تلك البساتين، وأعواد الأشجار والرياحين، محتطباً ومتاعا للمُقْوين من الجنود، وصار سعد الأخبية سعد السعود، وأقام الموحدون للتعييد[37]، وقد جمع الله لهم الأعياد في عيد، والله تعالى يوزع شكر هذا الفتح العظيم، ويفضي لناديه بأكرم عواقب التتميم، إنه منعم كريم[38].

وأعلمناكم ــ وصل لله سرّاءكم ــ بهذه البشارة العظمى التي هي نادرة المسارّ النعمى، لتأخذوا بما وفر حظُّكم من شكر الله عليها، وتتسوّغوا آلاء الله السابغة باجتلاء ما لديها، فهو فتح الأندلس واذلال عدوّها المتمرّد المتصحب، مسلّط الروم عبدة الأوثان والصلبان، على اهل الإسلام والايمان، والله يشفع ذلك بأمثاله، ولا يخلي من ينصر الحق من عَضْدِهِ وإقباله ؛ وقد بُهتَ هذا العدو الخائن محصورا، ودُهش مذموما مدحورا، ونظر بعين الحسرة حسيرا، وهلك بعين الحسرة بالمعنى المحسوس إلا يسيرا ؛ عرّف الله للموحدين بركة مقاصدهم، وتولاهم بمعهود إظهارهم في مصادرهم م م/136 ومواردهم، بعزته وقدرته وطَوله، لا رب سواه، والسلام عليكم ورحمة الله/ وبركاته ؛ كتب في العشر الوسط من ذي الحجة عام ستين وخمس مائة.

(32) تهمة معتادة عند الموحدين لكل من يعارضهم.

(33) بعض هذه القبائل استوطن بالمنطقة بعد الاستيلاء عليها مثل اهل تينملل في لورقة (البيذق 89).

(34) من الآية 7 من سورة الحاقة.

(35) انظر توضيحا عن ذلك في المن ص 274.

(36) انظر الهامش 12 في هذه الرسالة.

(37) يقصد بذلك عيد الاضحى لسنة 560 الذي كتبت الرسالة بعده.

(38) بعد هزيمة ابن مردنيش في ظاهر مرسية تمكنت سرايا الجيش الموحدي من التحرك شمالها الى اريولة والش، وستكون الهزيمة بداية لتراجع نفوذ ابن مردنيش (البيذق 88 ــ 89).

الرسالة الثالثة عشرة :

رسالة الخليفة يوسف إلى الولاة بعدم تنفيد أحكام القتل قبل استشارته

تقديم :

سبق للخليفة عبد المومن ان حد من سلطة ولاته في موضوع احكام القتل فجعلها خاضعة لاستشارته[1]، وعندما خلفه الأمير يوسف في الحكم بعده لم يحصل الاجماع عليه وخاصة من بعض اخوته، فظل اخوه ابو حفص يتقاسم معه السلطة، بحيث ظل يوسف مكتفيا بلقب الأمير الى سنة 563. الا ان هذه المعارضة اخذت تتراجع بينما يتقوى سلطانه تدريجها، ومن مؤشرات هذا التطور وضعه بيده «العلامة» على رسائله[2]، وأولى هذه الرسائل تحمل اوامره الى الولاة في جميع البلاد بعدم تنفيذ احكام الإعدام الا بعد استشارته، وهذه اولى درجات تقوية السلطة المركزية على حساب الولايات في عهده، وقد وجهت نسخة من هذه الرسالة الى والي قرطبة اخيه السيد ابي سعيد، وكانت آنذاك لا تزال عاصمة الأندلس، وهي مؤرخة بيوم الجمعة 3 رمضان سنة 561، ورد نصها في «المن بالامامة» (155 — 161) من المخطوط (توافق في المطبوع الصفحات من 302 الى 307) من انشاء الأديب الكاتب ابي الحسن بن عياش[3].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده[4]، من أمير المومنين[5] يوسف بن أمير المومنين — ايدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته — الى الشيخ الأجل اخينا الأعز علينا الأكرم لدينا، ابي سعيد وأصحابه الطلبة الذين بقرطبة أعزهم الله، وأدام كرامتهم بتقواه، سلام عليكم/ ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا إلاه الا هو، ونشكره م م/156

(1) الرسالة رقم 6 في هذه المجموعة ورسالتا (م ر م) رقم 18 ورقم 23.

(2) انظر الهامش رقم 4 فيما بعد.

(3) توجد ترجمته في المقدمة.

(4) «العلامة» عند الخلفاء الموحدين هي عبارة : (والحمد لله وحده) انظر خصائص الرسالة رقم 6 في الفصل الأول وانظر الرسالة رقم 9 في هذه المجموعة، والمغرب لابن سعيد 2/ 138 ضمن ترجمة حفصة الركونية...

(5) كذا في المخطوط والمطبوع، مع ان يوسف لم يتسم رسميا بأمير المومنين الا سنة 563 (الرسائل 22 و 23 و24 و 25 من هذه المجموعة) كما ان الرسالة التالية لهذه زمنيا (14) يتسمى فيها فقط بالأمير يوسف، فهل هو خطأ من النساخ ام محاولة لجس النبض بينت ضرورة التريث في اتخاذ لقب الخلافة ؟

على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، (ونرضى)[6] عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، نجله وسليله، ونوالي الدعاء لسيدنا امير المومنين القائم بأمر الله والداعي الى سبيله[7].

وانا كتبناه اليكم ــ اكرمكم الله بتقواه، وكلأ جانبكم وحماه ــ من حضرة مراكش[8] ــ حرسها الله ــ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وموالاة شكره على ما هدى اليه اولياء امره وانصار دعوته وحماة كلمته من صرف أعنَّة المحبة والاهتمام، وإحكام مرائر الأحكام فيما وكله اليهم من امور الاسلام، إلى أن تجري على السداد، وتتّسق على سبيل الرشاد، وتستقيم على المهيع، وتمضي على المنهج، وتسير في الواضح، وتهدي على اللاحب، ويُسلَكَ بها في الجَددْ الذي من سلكه أحمِدت منه الآثار وأمِن عليه العِثار، وارتُضي له الايراد والاصدار، فيكون العمل فيها على اليقين الهادي الى الصراط المستبين، المأمون في سلوكه من المزلة والضلال، المرجوّ في الاهتداء به حسن العاقبة وصلاح الحال ؛ فنسأله ــ تعالى جدّه ــ عونا مِن قِبله على هذا الغرض العام الجدوى يصاحب، وتوفيقا من لدنه في هذا النظر الشامل المنفعة يجاوز[9] ويصاقب.

م م/157 وانه ــ ادام الله/ كرامتكم ــ لمّا كانت مباني هذا الأمر العزيز ــ ادامه الله ــ على التقوى مؤسسة، وأوامره ونواهيه على امر الله ورسوله جارية مترتبة، واليه في الأخذ والترك مستندة، وبمقتضياتها في جميع الاحكام آخذة عاملة، اذ هي نور الحق وسراجه، وعمود الصدق ومعراجه، وسبيل الفوز ومنهاجه، ورائد الثواب وبشيره، وقائد العقاب ونذيره، ممن ائتم بكتاب الله الذي هو الامام الهادي، والحق الواضح البادي، وسنة رسوله ﷺ التي جعل العمل بها كالعمل بكتابه، والوقوف عند حدّها كالوقوف عند حدّه[10]، أمن من الغوايل في العاجل والآجل، وبلغ من السلامة في الحالين الى اقصى امل الآمل، ولم يوجد للباطل اليه سبيلا، ولم يتمكن للشيطان ان يجد في تضليله واستهوائه صرفا ولا حويلا، فتوفرت الدواعي على الدعاء اليها، وحمل الكافة عليها، واخذ الجميع بما يقفهم لديها ؛ وقد امر الله تعالى من امر الناس بطاعته ان يحكموا بالعدل، ويضعوا للعباد موازين القسط، فلم يكن بدّ من امتثال أمره، والاستناد إلى حُكمه، وكانت الوجوه التي تُفضي إلى الحق في فصل قضايا العباد متنقبة، والطرق المؤدية الى معنى الصدق ومعناه ملتبسة م/158 ومتشعبة، فخرج فيها بنيات تخطيء الصراط المستقيم وتضل الضلال البعيد، فصار/ امضاؤها من غير استناد الى هذا الهدي المتبوع، والعلم المرفوع، خطرا على ممضيها، وإنفاذها على غير هذا السَّنَن

---

(6) في الأصل : (ورضي)، وهي غير مناسبة للسياق والمعنى.

(7) المقصود هنا الخليفة عبد المومن.

(8) انظر عن مراكش : الادريسي (235 ــ 236) النشرة الايطالية، والاستبصار 208 ← والروض 540 وانظر الهامش 90 على الرسالة السادسة.

(9) كذا بالمخطوط والمطبوع (بحرف الزاي).

(10) راجع الفصل الأول.

غرراً على منفذها ؛ ولما كان الامر كذلك تعيَّن ووجب، وثبت وترتّب، أن نخاطب جميع عمال[11] بلاد الموحدين اعزهم الله شرقا وغربا، وبعدا وقربا، خطاباً يتساوى فيه جميعهم، ويتوازى في العمل فيه كافتهم، بألاّ **يحكموا في الدماء حكماً من تلقائهم**، ولا يهزيقوها[12] بادٍ أو برأي من آرائهم، ولا يقْدموا على سفكها بما يظهر اليهم، ويتقرر فيما يرونه لديهم، **الا بعد ان ترفع الينا النازلة على وجهها**، وتؤدى على كنهها، وتُشرح حسب ما وقعت عليه، وتُنهَى بالتوثق والبيان إلى ما انتهت اليه، وتقيّد بالشهود العدول، المعروفين في مواضعهم بالعدل والرضى الموجبيْن للقبول، وتكتب اقوال المظلومين وحججهم واقرارهم واعترافهم، وحجج الطالبين في مقالاتهم، واستظهارهم في بيّناتهم، معطى كلّ جانب حقه، موفّى كل قائل قوله[13]، فتكون مخاطبتكم ـــ أعزكم الله ـــ مخاطبة من يتناوله هذا الكتاب، وتوجّه اليه هذا القصد، خطاب من تحمل الشهادة ويؤدي فيها الامانة، على ما يجب من البيان الذي لا يعتوره التباس ولا يطمس وجهه إشكال، ويتوثقون في المطلوبين بالدماء بسجنهم وتثقيفهم، ويتوكفون ماتصلكم به المخاطبة فتقفون/ عند مقتضاه، ولا تعدلون عن شيء من معناه، مراقباً كلٌّ منكم الاهه ومولاه، عالما بانه يعلم سره ونجواه، وانه يسمعه ويراه ؛ واعلموا ـــ وفقكم الله واسعدكم ـــ ان هذا الحكم عامٌّ في سائر النوازل التي اطلقت السنة فيها القتل وسنّته، وحكمت به وشرّعته، كمن قتل نفسا وأقر بالقتل، او شهد العدول عليه به، ومن بدّل دينا وارتدّ عنه، ومن اتى الفاحشة بعد الإحصان باعتراف او دليل أو شهادة مقبولة، وماخير الائمة فيه من قتل المحاربين والساعين في الأرض بالفساد، والمتأمّلين أمر الله بالاستهزاء والعناد، سواء سن ذلك كله او وقع فيه ضرب بشكله، فمجراه واحد في التوقف عن امضائه والتأخر عن تنفيذه الا بعد المطالعة، وتعرّف وجه العمل من المجاوبة ؛ وكذلكم ـــ وفقكم الله ـــ يكون التوقّف فيما عدا المذكور من النوازل التي تكون احكاما دون النفوس من قتل الخطأ وديّات الشجاج، وعقول الاعضاء وأروش الجراحات، ووجه القصاص، والقطع في السرقات الى غير ذلك من القضايا المشكلة في الأموال واطلاقها واستحقاقها، وفي الرقاب وإعتاقها واسترقاقها، وملتبسات المناكحات والمعاملات، وما أشبهها من الأمور التى الإقدام على الحكم فيها تهجّم، والعمل فيها بغير استناد الى ما يجب تسوره، فتوقفوا ـــ أعزكم الله ـــ عن جميع ما فسر لكم ولواحقه توقف الساعي/ في نجاته، العامل لدنياه وآخرته، فقد ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام من الحظر الوكيد، والوعيد الشديد، في اراقة الدماء، واستباحة الأموال، واستحلال المحرمات، إلا بوجه صحيح لا يسلم الا من طريق العصمة، ولا تهتدي اليه الا انوار الحكمة، ما يزع العقلاء، ويكف الألبّاء، ويحذّرهم من سطو الله تعالى وعقابه، ويخوّفهم من اليم عذابه.

م م/159

م م/160

فعوّلوا على ما رسم في هذا الكتاب من التعريف بما يطرأ وإنهاء كل ما ينزل ليصلكم من التوقيف، والبيان والتعريف، لما يظهر لكم به بركة الاقتداء، وتشرق منه عليكم انوار الائتمام والاهتداء، ويتراءى لكم به الحق في صوره الصادقة ومثله المطابقة ومناظره الموثقة ومطالعه المشرقة بفضل الله ورحمته،

---

(11) يبدو ان مصطلح (العمال) هنا عامٌّ بحيث يعني الولاة ايضا.

(12) هَرَاق، يُهَرِيْقُ الماء : صبّه والمصدر هِراقة وكذلك أهراق يهريق إهراقة.

(13) في الأصل : وقوله.

وملاك ما يسدد مقاصدكم في جميع احوالكم، ويوجب لكم الرضى في كافة أقوالكم وافعالكم تقوى الله في السر والجهر، وخيفته في الباطن والظاهر، وقدع النفس عن هواها، وكبحها بلجام النهي عن الركض في ميدان رداها، وطاعة امره العظيم، والجري على سَنَنه المستقيم، فذلك عصمة من الزلل، وتوفيق في القول والعمل بفضل الله.

وقد وجب ـــ اكرمكم الله ـــ لهذا الكتاب بما انطوى عليه من الاغراض الشاملة المنفعة العامة المصلحة، ان يعطى حقه من الاشاعة والتشهير[14]، وينهض[15]مقتضاه / الى الصغير والكبير، م م/161 ويجمع الناس لقراءته وتلقّي مضمّنه، ويساوَى فيه بين الغائب والشاهد، والبادي والحاضر، بإسماع من حضر ومخاطبة من غاب ممن يتعلق بنظركم، ويدخل تحت عملكم، فتوجّهون بنسخ منه الى كل جهة من جهاتكم، وعملٍ من اعمالكم ليأخذ الجميع بقسطه من المسرة به وتعرّف بركته، واستشعار عائدته، وأنسه بما امر به هذا الأمر العزيز من افاضة العدل، وبسط الدعة والأمن، واقامة امر الله تعالى على وجهه المتعيّن، وسَنَنه الواضح البيّن ان شاء الله تعالى، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة احدى وستين وخمس مائة.

(14) هذه هي عادة بعض مهام حكام الولايات فيما يتعلق برسائل الخلفاء حيث يجب نشرها على رعايا ولاياتهم شفويا او كتابيا.

(15) لعل الصواب : ويُنْهى.

الرسالتان 14 و15 :

رسالتان عن الأمير يوسف واخيه ابي حفص إلى غرناطة حول انهاء ثورة غمارة

تقديم :

بعد موت عبد المومن تحركت الثورة من جديد بالمغرب الاقصى وهذه المرة بجبال الريف حيث ثارت قبائل صنهاجة وغمارة بقيادة مرزدغ الغماري[1]، وبعد مقتله انتقلت الزعامة إلى سبع بن منخفاد متحصنا بجبال غمارة، فوجه الأمير يوسف بعوثاً عسكرية لتطويقها، ثم تحرك بنفسه بالقوات الرئيسية نحو «جبل الكواكب» الذي يتحصن به زعيمها، واستغرق جيش الأمير في هذ الزحف وتصفية الثورة حوالي شهر ونصف على الاقل[2]. فوجه من جبل الكواكب رسالة النصر من انشاء ابي الحسن بن عياش[3] مؤرخة ب 14 شوال سنة 562 أورد صاحب «المن» نسخة منها الى غرناطة مصحوبة برسالة اخرى من السيد ابي حفص في نفس التاريخ ونفس الموضوع ومن انشائه الى والي غرناطة الشيخ ابي عبد الله[4].

وفيما يلي نص الرسالتين على التوالي كما وردتا في المن ص 164 ـ 179 (310 ـ 321 في المطبوع) وص 180 ـ 182 (322 ـ 323 في المطبوع)[5].

نص رسالة الامير يوسف : (الرسالة الرابعة عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما والحمد لله وحده.

من الأمير[6] يوسف ابن امير المومنين ايدهم الله بنصره وامدهم بمعونته، الى الطلبة والموحدين

---

(1) انظر عنه البيذق في اخبار المهدي 86، والقرطاس (209 ـ 210).

(2) نفهم هذا من الفرق بين المعركة التي جرت في ثالث رمضان كما في الرسالة وبين تاريخ الرسالة وهو 14 شوال.

(3) توجد ترجمته في المقدمة.

(4) كان والده الشيخ ابو ابراهيم اسماعيل الهزرجي من «الجماعة» اصحاب المهدي، وهو الذي فدى عبد المومن حين دبرت المؤامرة ضده بالمغرب الأوسط، وان كان المراكشي ينفي ان يكون له غير ابنه يحيى (المقتبس 31، المعجب 233 و 338)، فاصبح ابنه ابو عبد الله محمد ينال تقدير الخلفاء انظر المن (293 ـ 295 و 297.

(5) حول الثنائية في هذه المراسلة الى الشيخ ابي عبد الله، انظر خصائص هاتين الرسالتين ضمن الفصل الأول.

(6) هذا قبل ان يتخذ سنة 563 لقب الخلافة وهو «امير المومنين».

والشيوخ والاعيان والكافة بمدينة غرناطة[7]، امدهم الله بتوفيقه، ووصل كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اما بعد، فإنا نحمد الله الذي لااله الا هو اليكم[8]، ونشكره على آلائة ونعمه، ونمتري بالمحافظة على ذلك سنيِّ عطاياه وجزيل قِسمه، ونعترف له بعوارفه الجميلة في اظهار امره العزيز واعلاء قدمه، ونصر لوائه في كل مقام ورفع علمه، وإن له مع كل متعرض بالمحادّة والشقاق، منطوٍ على المداجاة والنفاق، من وشيك اخذه، وعاجل نقمه، ما يوطئه ممتطّ انفه وممتدّ قممه، ويقف به مما جنى من ثمرة غرسه، وجنى بعمله الذميم على نفسه، مواقف حيرته وندمه، كما ان من صدق في الاعتلاق بحبله والتمسك بعصمه، وركن الى ذراه وآوى الى حرمه، فقد اخذ بالوثيق من عهود ذممه، وارتقى في مرتقى فوزه في سببه المتين وسلّمه ؛ ونصلي على محمد رسوله ونبيه الذي ابتعثه بباهر حكمه، ومعجز كلِمِه، فهدى الى نهج الحق وأُممه[9]، ودلّ على سمته ولُقَمه[9]، وأنار برسالته/ الجامعة ما غطّى من غياهب الضّلال وظُلَمه، وابلغها حنيفيةً سمحة الى عرب الانام وعجمه ؛ ونسأله الرضا عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، شافي الدين من وَصَبِه[9] وأَلمه، ومبريه من عِدد دائه وسقمه، وهادي كل حائر وسادم من حيرته وسدمه، ونوالي الدّعاء لسيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين بمحكم ذلكم المبدأ الشريف ومُبرَمه، وضامّ شمله ومنتظمه، ومكمّله بما يجب ومتمّمه، ومنهي دعوته العالية الى نُجُد العالم وتِهمه، وواسع البرايا بعلمه وحِلْمِهِ وكرمه، والحمد لله عَودا بعد بدء، مُوَلّي[10] اوليائه ما وعدهم من نصر وتأييد، ومولاهم على الظهور والاستيلاء في القريب والبعيد، ومؤويهم من مظاهرته الى الوزر المنيع والركن الشديد، حمدا ينال به من مواهبه كل خير عتيد، ويوفي على استمداد المستمد واستزادة المستزيد، وله الشكر على ان لم يزل يُنهض حماة امره العزيز متى حاولوا فصل قضية، أو نهضوا في سداد ثغر وسِداد رعية، بعزم لا يطرف طرفه بدء ولا يثني يده يد مشوبة تعريفا بما لأمره العزيز الذي هو ذخيرة الوجود، وسر البناء المقصود، ومعنى المقام المحمود، ومفهوم الخير المنتظر والوعد الموعود، والذي علم به التوحيد والايمان، وعرف منه العدل والأمان، وتعلم من تعليمه في اي جانب الربحُ، وفي اي جانب الخسران من الفلح،/ في كل مقام، والظفر بكل مرام، والتوفيق الى ما يعود بالانتظام والالتئام، وحفظ دينه من عيث المهج الطغام، وحماية سرحه من ضعفاء العقول وسفهاء الاحلام، (فمن)[11] دان بدينه، واستبصر بيقينه، وأسرى بضوءه، واستسقى بنوءه، فقد فاز قِدْحه، وأورى قَدَحه، واهتدى قائده ودليله، وانتفع صداه وابتل عليله، ومن أَلْحَدَ في آياته، وكذّب ببراهينه وبيناته، فإلى التباب مآله، وفي الخيبة والخسار حاله، ومقاله وفعاله، أعانكم الله على القيام بما له من واجب الحق، ووهبكم الإقبال على قبول ما جاء به من الصدق، بمنه.

م م/165

م م/166

وانا كتبناه اليكم ــ كتب الله لكم يسرا ونجحاً، واسمعكم مدى الأيام نصرا لأولياء امره العزيز

---

(7) كذا بالمخطوط المصور، والعادة ان تكتب بالهمزة : أغرناطة .

(8) كذا بمصور المخطوط (م م) والعادة ان تكتب هكذا : فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره...

(9) الأَمة ج أَمم : الطريقة. اللَّقم واللُّقم : واضح الطريق، الوَصَب : المرض أو الوجع الدائم.

(10) في مصور المخطوط هكذا : (في تولّي اوليائه).

(11) يمكن ان تقرأ في الأصل : (ممن).

وفتحا ــ من منزل الموحدين اعزهم الله بداخل جبل الكواكب[12] ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله، والعمل بطاعته، والاستعانة به، والتوكل عليه، وقد كنّا ــ وفقكم الله الى مايرضاه، وأسبغ عليكم نعماه ورحماه ــ بما لله علينا من عهد القيام بحقوق هذا الإمر العزيز والحياطة لأرجائه، والذّب عن جوانبه، وتجديد العَناية لتصفية مشارعه من الاقذاء، وتحلية المحوّمين عليها من أهل الأهواء، والقصد لما يراد من تذكير الغافل، وتبصير الجاهل واقالة العاثر، وهداية الحائر ــ توجهنا بهذه الحركة م م/167 المباركة بنية خلص لله عقدها، وصفا له ــ تعالى جدّه ــ قصدها، وارتبط/ للجهاد في سبيله ميثاقها المؤكد وعهدها، وانبنت على حسم الأدواء النازلة بهذا المغرب من هذه الفرق التي فارقت الجماعة، فتفرقت بها السبل والاهواء، ورمت بها في مساقط الفتن الأفئدة الهواء[13]، واستولى عليها بعمى البصائر والابصار التلدّدُ والالتواء، فظلت من عدم الفهم، كسائمة البهم تبشراً بدداً،لا تميز من غيّ رشداً، ولما صدقت[14] لها العزائم وشدت اليها الحيازيم، ووقع على قصدها التعويل والتصميم، قايسنا بين جهة المرتدين من صنهاجة وغمارة[15]، فرأينا شر عمارة، أوفى سَراية، وأبلغ نكاية، وأفصح عن استصحاب الجهالة والغواية، وانهم قد فشا ضرهم، وساء اثرهم، وتعدّى أذاهم، وسرت عدواهم، وانهم أوْلَى من تُقدِّم اليه واعتزِم عليه، فنظرنا عند ذلكم في تجهيز عسكر مبارك سعيد من الموحدين ـ أعزهم الله ـ صحبة الشيخ ابي سعيد يخلف بن الحسين ــ أكرمه الله بتقواه[16] ــ يتوجه به الى بلاد صنهاجة من جهة القلعة[17] ــ حرسها الله ــ وكان الشيخ الأجل ابو حفص ــ ادام الله كرامته ــ [18] بمن معه من عساكر الموحدين ــ اعزهم الله ــ في جهة اخرى من بلادهم،ورسم لهم من العمل في تلك الجهات ما يندرج في طيّه بمشيئة الله تعالى من النصر والفتح، والفلح والنجح، واستخرنا الله تعالى على قصد بلاد غمارة لتوقّل جبالهم، م م/168 ودوس/ منازلهم وحِلالهم،وجوس خلالِ ديارهم، فنزلنا بالموحدين ــ اعزهم الله ــ وسط بلادهم، فاجلى منه الذين يلونه لائذين بالأوعار، ومستعصمين بقُنن الأحجار، متوقّلين في الشعاب ؛ وكنا

---

(12) جبل الكواكب لعله هو نفسه جبل تيزران كما في القرطاس (210)، ويوصف جبل الكواكب بانه «منيف على كل مكان» (الرسالة 15) وقد سبقت هذه الثورة ثورة اخرى تزعمها مرزدغ الغماري : البيذق 86 المراكشي (251 ــ 252) صاحب القرطاس (209 ــ 210) الادريسي (ص 532) النشرة الايطالية، والمراكشي يجعل اسم الثائر سبع ابن حيان، انظر الفقرة الثانية من الدراسة التاريخية خلال الفصل الثالث.

(13) كذا بالأصل المصور وفي معاني الهواء (جمع ومفرد) : الجبان.

(14) في مصور المخطوط : (وصدق).

(15) غمارة : قبائل كثيرة بارضهم جبال لحقت عنان السماء وحصون كثيرة «تمتنع فيها غمارة وتنفق على الولاة ؛ بذلك عرفوا حتى كسر الأمر العزيز شوكتهم (الاستبصار 190)، وساحل غمارة يسمى بالريف (بسط الأرض 74)، واخر بلادهم شرقا هي مدينة بادس (الادريسي 531 ــ 533) ن الايطالية، وقد اشترك في الفتنة مع غمارة جيرانهم صنهاجة (العبر 498/6)، راجع عن غمارة ايضا مقالا بمجلة البحث العلمي عدد 31 سنة 1980 والادريسي 532 ــ 533 (نفس الطبعة) والاستبصار 136.

(16) سبق لهذا الشيخ قيادة الجيش الموحدي في المعارك بنواحي غرناطة حوالي 560 (المن 270).

(17) لعله يقصد قلعة مهدي بفازاز (قارن مع ذكر القلعة عند البيذق في صفحات 50 و 51 و 71 و84)

(18) راجع خصوصيات رسالته الى اهل مالقة ضمن الفصل الثالث.

عند وصولنا إلى أوائل بلادهم، قدّمنا إليهم من المكاتبة ما رجونا به هدايتهم، وأمّلْنا فيه فَيْئتهم الى الحق وانابتهم، فلم يعرّجوا على نصيحة، ولا اذعنوا لدعوة، ولا أرعوا سمعا الى موعظة ؛ وحين قامت الحجة عليهم، وسقط العذر عنهم استخرنا الله تعالى على قصد الجبل المعروف بودكه[19] لاحتلال من كان احتله من غمارة، واثقين بانه عصمتهم المنجية، وذروتهم المؤوية، فتركنا الحمولة والاثقال في المنزل الذي كنا فيه وهو المعروف بالمنزان، وسرنا اليهم بالموحدين اعزهم الله متوكلين على الله تعالى، مستعينين به، مخلصين له، فأجرى الله اولياءه من النصر والتمكين، على ما عوّدهم، وعرّفهم من عونه وإنجاده ما لم يزل يعرفهم، فاقتحموا عليهم في منعاتهم، ودخلوا اليهم في موضع اعتصامهم، فلم يكن الاّ كلاّ ولا حتى خلصوا في الجبل اليهم، واقتحموه ــ بحمد الله تعالى ومشيئته ــ في جملة واحدة عليهم، فأُشرِب المرتدّون ارتياعا، وتفرّقوا في تلك الأوعار شَعاعاً، لم م م/169 تمنعهم حصونهم، ولم تنفعهم معاقلهم، الى ان استولى الموحدون أعزهم/ الله باعلى شواهقه واعظم منعاته، واعلنوا هنالك بالتوحيد، واظهروا بإعلاء كلمة الحق، واقبلوا على جمع الأنفال، وضمّ الغنائم والأموال، وتسنّى فيه من الفتح الميسّر، والنصر المؤزّر، وغزوٍ من غلب عليه الشقاء واستولى عليه الحرمان، الى ما نفلهم الله فيه من الغنائم الكثيرة والارزاق الواسعة، ماعظُم مقداره، وجلّت مواقعه وآثاره، وبشر بأن الذي يتلوه مما في ضمن الوعد وكفالة السعد، أبهى مطلعا، وآنق مرأى ومسمعا ؛ واقام الموحدون اعزهم الله باعلى ذلك الجبل يومين يتقرّون بقاياهم ويتتبعون قلالهم، ويجمعون اسلابهم، وينكؤون فيهم متنسّمين من عوائد الله الجميلة نواسم تكميل الفتح، ومستروحين منها استرواح تعميم النصر، واثقين به ومستندين اليه، لارب غيره ؛ وكان ذلك كله في الثالث من شهر رمضان المعظم من سنة اثنتين وستين وخمس مائة.

ولم نزل ــ بعدما فتح الله من هذا الفتح المذكور، الذي أظهر الله فيه آياته المؤذنة بالتأييد، القاضية باستمرار النصر الراهن العتيد، الموقظة للنائمين والمنبهة للغافلين ــ نستأني بالضالين من غمارة مواقيت اعتبارهم، ومحالّ تَثبُّتِهم وادّكارهم، وأن يأخذوا لتحوّب[20] أمثالها، وترقبِ احتلالها، أهبة م م/170 حذرهم واستشعارهم، وان يكونوا ممن اتعظ بغيرهم، فكانوا بنجوة / من سبلهم في الهلكة، وآثارهم مع ما آثرناه من راحة الموحدين وإجماعهم، وتفرغهم لوظايف صيامهم وقيامهم، وان يكون غزوهم بعد الفطر على قوة ووفرة، ونشاط متمكن، وتنتقل بهم مناقل تتخلل بهم تلك الأوعار بالرفق والهوينى، وتتدرج الى قطعها وتخليقها بالتؤدة والأناة، وتتقدم الى حيث القى الشيطان بَرَكه وحطّ رَحله ؛ وفي اثناء ذلك كانت قبائل منهم تُظهر المثاب، وتبدي الفيئة والاياب، وتلوذ بأكناف العفو، وتستمسك بأسباب الصفح، وتمدُّ يدَ الضراعة الى الاستقالة، فنقابلهم بعوائد هذا الامر العزيز من اقالة العثرة، وتجاوز الزلة والسقطة، وتقريب الأسباب المؤدية الى الاستيلاف، الآخذة بالايدي بالتلافي عن مقاحم التلاف، قد حل[21] منهم قبائل كثيرة في هذا الأمر العزيز، وتداركهم من رحمته ما أمَّن خوفهم، ومكَّن أمنهم ؛ وكان بنو نال وبنو يال[22] من قبائل غمارة المختصون بملْكة الجبل

(19) انظر «قبيلة بني زروال «لمحمد البشير الفاسي الفهري ص 15 ــ 17.

(20) تحوّب : اجتنب.

(21) يمكن أن تقرأ بالمخطوط أيضا : فدخل (بنقطة أعلى الفاء).

(22) بنو نال وبنو يال : بنو نال ذكر البيذق وجودهم في جبل تيزران أو قربه أي من بطون غمارة 54، ورد =

المشهور بالمنعة المعروف بجبل الكواكب الذي هو اشهرها جبلا، واوعرها مرقى، قد استحكم فيهم الفساد، وتمكن منهم الارتداد، واستشرى ذلك فيهم بغويّ منهم يعرف بسبع بن منخفاد، اشرب وتمكن منه الارتداد قلبُه، وخالط ايثار السوْرة نفسه، ثقة بهذا الجبل الصعب الموالج، المبهمَ المناهج، م م/171 المستغلق المداخل والمخارج، الذي زاحم بمنكبه/ وتطاول بأنفه، فلمنكبه العَمم الذي لا يُفرع، ولأنفه الشّمم الذي لا يُقرع ولا يُقدع، قد أغواه هو وإخوته، ولفّ قومُه من يليهم، واستهووا على مقاصدهم الغويّة مُماليهم ومُحالفيهم، وحسبوا ان ما اعتصموا به يعصمهم، وما امتنعوا به يمنعهم، وأنّ باب الحوادث عنهم نابٍ، وطرفَ الحوادث في مَحَالّ التوصّل اليهم كابٍ، فلجّوا في طغيانهم واستمروا على غُلَوائهم، وقرعوا مع ذلك ابواب المماكرة، وسلكوا في سبل المخادعة ؛ ولما تحققوا دنوّنا اليهم ومزاحمتنا لهم، اقبلوا يخلطون بالكدر الصّفوَ، ويُسِرّون في الارتغاء الحسوَ[23]، ويتصرفون في اقوال يُمرّون بها حبل المطاولة، ويرفعون بها اسباب المراوغة، ليحوزوا بها مأمولهم من الاستبداد، وغرضهم من الافتراء باقوال لا محصول لها، ولا فائدة وراءها، مكشوف فيها سرّهم، متبيّن فيها مكرُهم، ويظنون ان ذلك يُقنِع منهم، ويَصرف عنان العزيمة عنهم ؛ وما علموا ان هذا الامر العزيز لا يجوز على نقده الزائف، ولا يستقر على تقويم عدله الجاير الحايف، وأنه على ثقة من الله تعالى بعقبِ الايام، وتيسّر المرام، وتوفيق النقض والإبرام، وان من اضطمر فيه على خبيئة ضغن، او انطوى فيه على كنينة م م/172 غش، فالعصمة له من كل ذلك واقية، والعزة له دايمة باقية ؛ ومما اعملوه من حيل المخاتلة أن سَعى في الوصول الينا جملة من اشياخهم مع اخ لغويّهم، ومُوقد نارهم يعرف بعمران بن منخفاذ[24] فوصلوا على تأمين يُسِّر لهم مُدرَكُه، وسُهّل عليهم مسلكُه، فلقُوا من التطمين والتسكين، والتأنيس والتأمين، وقبول التوبة، والاغضاء عما فرط من الحوْبة، ما يَعقِل العقول بعقل وفائها، ويوفّر على الغرائز ماء حيائها، وعرِّفوا بما لهذا الأمر العزيز من ارادة الخير التام، والبر الشامل العام، وان يكون نهج البرية قاصدا، وداعيهم الى النجاة والحياة واحدا، لا تتفرق بهم السبل، ولا تتطرق بهم الى بنياتها الطرق، وضمنوا عن من وراءهم من غويّهم الشقي واتباعه السلوك على مدارجهم، والجري على مناهجهم، وانهم يقتادونهم بزمام الارتجاع، الى الانقياد والانطباع ؛ فمضوا على ذلك، وقد حسن فيهم التأويل، والظن الجميل، وعزائمهم على النكث مبنية، وضلوعهم على الغدر مطوية محنية ؛ وكان انفصالهم على ان يحضروا هم وجميع من وراهم من تابع ومتبوع معنا عيد الفطر بالمحلات المنصورة، فكان وعدهم كذبا وبرقهم خُلّباً، وانكشف بعد ذلك في الغدر قناعهم، وأبدت ما تكنّه من العداوة جوانحهم وأضلاعهم، واتضح عندنا ما كانت تمتد اليه آمالهم، وتُسرع نحوه أطماعهم[25]، وعند

= ذكرهم ضمن فروع غمارة في العبر 436/6، انظر أيضا البحث العلمي العدد 31 ص (33 — 34). وفي مصور المخطوط كلمة (بنو بال) بنقطة واحدة سفلية

(23) من المثل العربي. «اسرّ حسوا في ارتغاء».

(24) لا تذكر المصادر التاريخية المعروفة اخا للثائر بهذا الاسم، وان كان صاحب المعجب يجعل الثائر مرزدغ الغماري أخا للثائر سبع بن حيان (250 — 251)، العبر 498/6. ويبدو أن مرزدغ ثار قبل سبع بل إن الأول ضرب السكة باسمة فهو رئيس وليس مرؤوسا، فهو اذن غير عمران المذكور في الرسالة (البيذق 86، القرطاس 209 — 210).

(25) هل كان هناك انقسام للغماريين بين تائبين ومسترسلين في الثورة ؟ أم هنا تخوف لدى زعماء غمارة من إمكانية الغدر بهم اذ حضروا بين يدي الخليفة رغم التأمين المقدم لهم ؟

م م/173 ذلك جَدَّ بنا في ذلك، في توجيه/ الموحدين الى جهاتهم الجدّ، ولم يك لنا من فضل هذه القضية فيهم بد ؛ فاستخرنا الله على ان وجّهنا لغزوهم أخوينا ابا حفص وابا سعيد ابني سيدنا امير المومنين[26]، ـــ ادام الله علاءهم ـــ مع الموحدين ـــ اعزهم الله ـــ وسألناه جل وعلا ان ينجز لأوليائه ما وعدهم، ويجريهم من الظفر باعدائه ما عوّدهم، وتوافقنا معهم على الارتقاء اليهم لذلك الباذخ الشاهق، والشامخ السامق، والمرتدّون قد وثقوا به، وبرؤوا من حول الله وقوته اليه، واودعوا مع نفوسهم جملة أهليهم وأموالهم، وبنوا منه ـــ بما بدا من أحوالهم ـــ أنهم يجدّون في المحاولة ويصدُقون في المكافحة، ولا يبغون جهدا في المكاثرة والمكابرة، كاشفين قناع المباداة[27]، مبدين صفحة المعاداة، فأجمع الموحدون ـــ اعزهم الله ـــ امرهم، واخلصوا لله تعالى سرهم وجهرهم، لا يجعلون ملجأ سندٍ الى كثرة عَدَدٍ ولا عُدَدٍ، بل فوضوا امرهم الى الله تعالى الذي وعدهم الفتح، وعودهم النصر، فأنهدناهم اليهم يوم الاثنين الخامس من شوال يسلكون اليهم في مسالك حرجة، لا يسلكها السالك (الا)[28] بين غيضة وحرجة، قد التفّت بشعرائها، واحتف بشجْرائها، ذات حدب وآكام، لا ثبات فيها للحوافر ولا للاقدام، فاتصل مشيهم على ما اخذوا من اهبتهم، وأعدوه

م م/174 من عدتهم، وكتّبوه من كتائبهم، ورتبوه من رتبهم، في هذا السفح/ الموصوف، والمرتدون قد اخذوا عليهم أعاليَه، وارتكبوا دونهم قنّته، سادّين لأنقابه، معولين لمسالكه مخلّقين للانصباب[29] من ذراه، والانقضاض من علاهُ، واستمر بالموحدين ـــ اعلاهم الله ـــ اليسر، ونهضت بهم العزيمة، واستقلّ بهم التصميم والتوكل يقودهم، والثقة بالله تحدوهم، الى ان شارفوا حدّ التسنّم، وافضوا الى باب التوقل، وهناك تقف الاقدام عن الإقدام، وقد اضطروا الى اوعار لا تمكّن من ترقيها، ومقابلة اعداء لا يدرَى كيف تَوقّيها، ومشاهدة احوال على الجملة لا عهد بتلقيها، والاعداء يتربصون بهم وقوعهم في مثل هذه الحال، وحصولهم في مثل هذا المقام، ويرون انهم بما حازوه من علوّ مكانهم، واستحقوه من ذروة وعرهم، وأمّلوه من التصوّب على من مدّ اليهم يد محاولة، أورام منهم يسير مناولة، انهم رابحوا الصفقة، مرتفقوا الخطة، ولله تعالى من العناية بامره ما يسهل الصعب، ويذلل الوعر، ويلين الشديد، ويقرِّب البعيد ؛ ولما انتهى الامر الى هذا الموقف، ووصل الى هذا الموصول، ورأوا صدق العزيمة، ومضاء[29] الصريمة، وفي الصعود اليهم، والترقي نحوهم، غير مترقّب مكرُهم، ولا متخوِّف وعرهم، جَهِد الاعداء في اللقاء جهدهم، وبذلوا من المكافحة جميع ما عندهم، لم يبقوا نكاية الا

م م/175 ابدوها، ولا غاية الى استوفوها، من كل / فن وعلى كل وجه، فأفرغ الله على اوليائه الصبر، ومكن لهم العزم وثبت اقدامهم، وربط على قلوبهم، وحرّف الفشل والرعب عنهم، وأيدهم بروح منه، أوطأهم به مسالك بعيدٌ في العادة ان تثبت بها قَدم، أو تسعى فيها رجل. وكان من أغرب الآيات ان صارت الخيل فيها انفذ من الرجل بل من الطير، فأضحوا قلائد في أجيادها، وأطواقا في اجسادها، واهب الله لهم ريح النصر، ومنحهم اكتاف العدو، واخذهم الله هنالك اخذا تنّوع فيهم العذاب

---

(26) سبق للاخوين ان قادا حملات بالاندلس ضد ابن مردنيش بالخصوص (انظر الرسالة 12).

27) في مصور المخطوط : (المبادلة)

(28) في الأصل :الى.

(29) كلمة غير واضحة الا جزئيا.

وتيقن به فيهم الانتقام، فمن بين مُضرَج بدمه، ومتردٍّ في مزلّةَ قدمه، وفارّ الى حيث لا معتصم ولا ملجأ، الى حيث لاوزر؛ واستولى الموحدون ــ اعزهم الله ــ على الجبل كله[30]، واستحقوه على اهله، وضربت به خيامهم، ورفعت في أعلاه اعلامهم، واقتفوا آثار الفارّين في كل شِعب، يقتلونهم قتلا، ويشلونهم شلاًّ، لا ناصر لهم ولا مانع منهم، قد اسلمتهم ذنوبهم، واخلفتهم ظنونهم، وافضوا الى جميع ما أعدوه فيه معهم، وكان في العزة عليهم مثل انفسهم من حُرمهم وفنون اموالهم، الى ما كان آوى اليهم من حُرم غيرهم وأموالهم، ونفله الله اياهم مغنما كريما جليلا، وعطاء[31] جسيما جزيلا رحمة منه وفضلا، واحسانا منه وطوْلا ؛ وخلا هذا الجبل المذكور من اهله واضحى يبابا بلقعا كأن لم يغنَ بالامس عبرة للمعتبرين/ وذكرى للذاكرين ؛ وخاطبونا ــ اعزهم الله ــ بهذه البشرى لحين وقوعها، مبادرين الى ذلك لقرب المسافة التي كانت بيننا وبينهم، فإن مشيهم الى هذا الغزو الكريم وحركتهم له وتصرفهم فيه، كان منا بمرأى ومطلع، لم ينكتم عن عياننا، كيف كان ارتقاؤهم اليهم، وتسنُّمهم نحوهم، وعرفونا انهم في اليوم الثاني من هذا الفتح الكريم يوالون تفتيش زواياهم ؛ والتنقيب عن خباياهم، ففعلوا ذلك وحصلوا منه ما وجدوه، وأضافوه الى ما غنموه، ولم يسمع بعد هذا التعقيب في التنقيب، دعاء داعٍ هنالك ولا اجابة مجيب ؛ وهؤلاء القوم ومن انضاف اليهم ممن وقعت به هذه الواقعة ودارت عليه هذه الدائرة، هم مقدموا غمارة ومستتبَعوها، ومغووها ومضلّوها، وهم كانوا شوكتها الناكية، وثورتها النازية[32]، وكان قطب رحاهم، ومدير حربهم، وقائدهم في يومهم، والذي انتهى اليه عنوان امرهم، ذلك الغوي الشقي سبع بن منخفاد[33]، وهذا الجبل هو الذي كان أبلقهم الفرد، الممتنع على من رامه، المستصعب قديما على من كاده، فقد استفتح ممنوعه، وخلت من الظّالمين ربوعُه، وهدّت ــ بفضل الله عز وجل وبركة هذا الأمر العزيز اصوله وفروعه، كان فلّهم وقُلّهُم قد انحجزوا الى احجار لا تستقل بمنعتهم، ولا تفي بحمايتهم، وكان هذا الشقي/ المذكور فرَّ يوم الفتح برأسه ناجيا من ذلك المأزق بحشاشة نفسه وقد استبيح اهله وماله، فسلك سبيل الانجحار، وامعن في زوايا الاختفاء والاستتار.

م م/176

م م/77

ولما اتى امر الله تعالى على هذا الجبل واهله بما ذكرناه[34] تنقلنا بالموحدين ــ اعزهم الله ــ من المنزل الذي منه توجّههم إلى الفتح، ونزلنا بهم هذا المنزل الذي خاطبناكم منه، واتصل تتبعُ هذا الفلّ وأخذُ المراصد عليهم، وتمادى ذلك وكل الجهات المجاورة لهذا الجبل المذكور ممن كانت اعينهم ناظرة، وآذانهم الى ما يقع اليه مصغية، قد رغبوا في الاقالة واعلنوا في التوبة، وسعوا في احراز دمائهم واموالهم، وتسويغ بُرد العافية لهم، وكل من قرع هذا الباب فهو لهم مفتوح، ومن استمنحه فهو على عوائده مبذول ممنوح ؛ وفي خلال ذلك وافى من صنع الله الجميل الذي لم يزل يصاحب هذا

---

(30) يلاحظ كالعادة ذكر خسائر العدو دون ذكر خسائر الجانب الموحدي رغم صعوبة الجبل واشتداد القتال فيه.

(31) في المخطوط المصور بدون همزة.

(32) في الأصل : التازية.

(33) يسميه البيذق سبع بن منغ فاد بن حيان (86)، ويسميه ابن ابي زرع : سبع بن منغفاد وكذلك ابن خلدون (القرطاس 201 والعبر 498/2).

(34) في الأصل : (بما ذكرناه من تنقلنا) والسياق يقتضي ما أثبت هنا.

الأمر العزيز في كل مقام، ويتكفّل له في كل مبدأ من مبادىء ظهوره بافضل خاتمة واشرف تمام، ما جعله الله لهذا الفتح العظيم كالاً، واستوفى به مقاصده العلية استيفاءا، وذلك ان الشقي الغويّ لما لم يجد نفقاً يؤويه، ولا مدخلا يجنح اليه، آوى الى بعض تلك الجبال، واطمأن الى بطانة له من غمارة وثق بإيوائهم له واشتمالهم عليه، موليا عن امر الله تعالى، مكايداً له، مصمما على الاعراض عنه ومتربصا/ به من الدوائر ما أوقعه الله به، فلعناية الله بهذا الأمر العزيز وفق الله تلك البطانة، م م/178 واراهم رشدهم بالتقرب الى هذا الأمر العزيز به، والتفادي منه والتعدي عن شؤمه، والانتزاح عن شره، وما تحققوا من سوء عاقبته، فوثبوا عليه واستوثقوا منه ووصلوا به مقتاداً برمته، مشهراً بفضيحته، مقلداً بعاره، آية لمن ابصره، وعبرة لمن نظره ؛ ومكن الله الموحدين منه فغزي غزواً شفى صدور المومنين، وأقر عيون الموحدين، وبتّ في اعضاد المارقين، وأطفأ الله به نار الفتنة وأخمد به ضرمها، فانه كان الحاطب لها والمسعّر لوقودها، وكمل به هذا الفتح العظيم، والصنع الجسيم، ومقدار هذا الفتح المصنف والنصر المفنن اذا وَفَر عليه حقّه، وحقق له قسطه، وزن بميزانه ما لا تقوم به اقوال القائلين، ولا يبلغ حقيقته إطناب المطنبين، لأنه جاء من نفحات رحمة الله تعالى التي يصيب بها من يشاء من عباده، والحمد لله الذي جعل اولياءه ممنوحين من نفحاته، وعظيم عناياته، بما يعرّفهم اختصاصهم بفضله، وتميّزهم بتأييده ونصره، وله الحمد كثيرا[35]

وعرّفناكم بذلك مشروحا لتحمدوا الله تعالى عليه وتأخذوا بحظكم منه، وتعطوه حقه من الاشاعة، وتوفّوه واجبه من النشر والاذاعة، فقد انحسمت به ادواء كانت في حد الإعضال/، واخمدت نيران م م/179 كانت من الفتن في اضطرام واشتعال، وستكون آياتها منبّهة وعبرها مذكّرة، يصلح بها الفاسد، ويستقيم بها المائل، ونسأل الله تعالى ان يوزع شكر آلائه، وينهض بما حمّل من اثقال امره العزيز واعبائه، بفضله وكرمه ؛ والذي نفّل الله الموحدين اعزهم الله من ضروب المغانم والأنفال، وذلك من البقر اثنا عشر الفا، ومن الغنم سبعة وعشرون ألفا وثلاث مائة، ومن السبي ثلاثة آلاف وست مائة وسبعة واربعون، ومن الدوابّ ستمائة وسبعة عشرة، وهي الآن متصلة متتابعة[36]، فله الحمد على ما اولى اولياءه من الخير الواسع، والنصر الكريم المتتابع، لارب غيره، والسلام العميم الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته، كتب في الرابع عشر من شوال سنة ثنتين وستين وخمس مائة[37].

---

(35) لم تذكر الرسالة مصير عمران اخي الثائر والذي سبق له الاتصال بالخليفة، فهل هذا يؤكد انه كان ممن التزم بطاعته منذئذ فنجا من مصير كمصير أخيه ؟ انظر ايضا الهامش 7 في الرسالة اللاحقة.

(36) هذه الارقام تدل على اهمية المنطقة في ميدان تربية الماشية.

(37) لما كان تاريخ الرسالة هو 14 شوال من منزل الموحدين بجبل الكواكب، ولما كانت اولى المعارك المذكورة في الرسالة بهذه المنطقة يوم 3 رمضان، الا يدل طول المقام على صعوبة التغلب على هذه الثورة ؟.

الرسالة الخامسة عشرة :

نص رسالة السيد أبي حفص[1]

م م/180 بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، من عمر بن امير المومنين الى الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي ابراهيم[2]، ادام الله كرامته بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد حمدِ الله والثناء عليه، والصلاةِ على محمد رسوله وعلى آله، والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، والدعا(ء)[3] لسيدنا امير المومنين ولولي عهده الامير الأجل الملك الأسعد ابي يعقوب[4]بدوام التمكين، والفتح المبين ؛ فالكتاب اليكم، كتب الله لكم نعما ثرّة واعمالا بَرّة، من منزل الموحدين أعزهم الله بجيل الكواكب[5]، وفتوح الله لأوليائه متصلة النظام، مؤيدة الأعلام، آخذة بمجامع الكمال والتمام، فإنه تبارك وتعالى يسر للموحدين فتح هذه الجبال الصعبة، والمعاقل الاشبة، التي كان اهلها قد بطروا الحق واشروا النعمة، وشقّوا عصا الجماعة، واجابوا ناعق الفتنة، فوصل الموحدون اليهم واستأنوا بهم آخر الأجل في التبصرة والتذكرة والاستنابة، فكان منهم من راجع الحق وتلافاه الله واخذ بحجزته عن النار، فاولئك نجحوا ونجوا[6] واحرزوا اموالهم وعيالهم «ومن يهد الله فهو المهتدي»[7]واستمر سايرهم على اللجاج والعناد، وظنوا ان معاقلهم ما نِعتُهم م م/181 من أمر الله[8] «ومن يضلل الله فلن تجد له / سبيلا»[9]ومازال الموحدون يستنزلونهم من هضابهم، ويستخرجونهم من شعابهم، حتى أتوا عليهم قتلا وسبياً، وكان من آخر ذلك هذا الجيل العظيم الشأن، المنيف من هذه الأرض على كل مكان[10]، وكان فيه رأس غوايتهم، وعميد ضلالتهم سبع بن منغفاد[11] الشقي مدار قومه، ألحقَ الله به امثاله، وكان قد ضم إليه امة عظيمة من الأشقياء،

---

(1) يبدو ان هذه الرسالة من انشائه كما يفهم من صاحب المن «وكتب السيد الأعلى ابو حفص عن نفسه... (321 — 322) (من المطبوع) وهذا لا ينفي ان يكون له كاتب خاص (انظر الهامش 11 للرسالة رقم 23).

(2) كان على ولاية غرناطة فيما بين 562 و566 (المن 297 — 298).

(3) في الأصل الهمزة ناقصة.

(4) راجع الهامش رقم 6 على الرسالة السابقة.

(5) راجع الهامش 12 على الرسالة السابقة.

(6) في الأصل : (نجوا ونجوا)، فاما ان يكون هنا تكرار، أو يكون خطأ صوابه هو ما أثبته الاستاذ الغازي أي (نجحوا ونجوا).

(7) من الآية 178 من سورة الأعراف، وفي هذه العبارة اشارة الى انشقاق في صفوف الثوار بين تائب ومسترسل في الثورة، راجع الهامشين 25 و35 من الرسالة السابقة.

(8) اقتباس من الآية 2 من سورة الحشر.

(9) من الآية 28 من سورة النساء،

(10) في هذا تلميح الى تطويق الجبل وتأخير المعركة النهائية مع ثواره.

(11) كذا في الأصل بحرف الغين وذكر سابقا بحرف الخاء.

زاعمين انهم يعتصمون من الموحدين فيه، ولا عاصم من امر الله الا من رحم[12]، فاستعان الموحدون بالله، وصمدوا اليهم وقاتلوهم على مصعده قتالا شديداً اجهض الأشقياء عنه وردّاهم منه، وفر الشقي المذكور، وافلت من ذلك الهول، وآوى إلى بعض قبائل غمارة، فشرح الله صدورهم ببركة هذا الأمر العزيز وسعده، فاخذوا الشقي وجاءوا به اسيرا موثوقا فغزِي فيه ورفِع جذعه، وعفي اثره، وكمل امر الله في هذه الجهة، وانجلت عنها غيابة الكفر، وفاض عليها نور العدل، وانسكب فيها غمام الاحسان، والحمد لله رب العالمين، وهي نعمة عظمى وفتح أعظم يجب أن يعرف قدره، ويوفّى شكره ؛ فخذوا بحظكم من المسرة بما منح الله اخوانكم الموحدين وخوّلهم من الخيرات وأفا(ء)[13] عليهم من المغانم التي جل قدرها، وعظم خطرها، حسب ما جرت به عوائد الله لهذا الأمر وأهله ؛ جعلنا الله ممن شكر/ نعماه ونصر حزبه، بمنه وكرمه ؛ ووصل ـــ اعزكم الله ـــ كتابكم البرّ ووقفنا عليه، وشكرنا اهتبالكم، واستعنّا الله لكم، واستوهبناه لكم الكرامة والامداد بالتوفيق، فكذلك توالون المطالعة، وتستمرون على أعمال الخير والبر، والله وليّ عونكم، والسلام الجزيل عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب في الرابع عشر من شوال سنة ثنتين وستين وخمس مائة.

م م/182

(12) اقتباس من الآية 43 من سورة هود.

(13) في الأصل الهمزة ناقصة.

الرسالة السادسة عشرة :

رسالة جوابية صادرة عن الأمير (الخليفة) يوسف حول ابعاد قوات ابن مردنيش عن أحد الحصون شرقي غرناطة

تقديم :

يسمى هذا الحصن حصن لبسة يتوسط المسافة بين مدينتي وادي آش وغرناطة، كان محمد ابن مردنيش وضع فيه قوة عسكرية من المرتزقة النصارى لتنظيم الغارات على اطراف غرناطة. فقاد اليه الشيخ ابو عبد الله ابن ابي ابراهيم عسكرا من غرناطة فأجلى منه النصارى وهدمه، فوجه البشرى بهذا الى الأمير يوسف فردّ على الشيخ بالرسالة الآتية كما وردت في المن (183 ـــ 184) أو (324 ـــ 325 في المطبوع) وهي مؤرخة ب 9 ذي الحجة 562[1].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد رسوله وعلى آله[2]، من الامير يوسف بن امير المومنين ايدهم الله بنصره، وامدهم بمعونته، الى الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي ابراهيم[3] والطلبة والموحدين بأغرناطة أكرمهم الله بتقواه ووفقهم لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، اما بعد : فإنا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه ورسوله، ونسترضيه عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بامر الله تعالى والداعي الى سبيله، ونصل الدعاء لخليفته سيدنا امير المومنين المنتهض بتتميم امره تعالى وتكميله ؛ وكتبناه اليكم ـــ أتمّ الله نعمته عليكم ـــ من حضرة مراكش[4]، حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه ؛ وقد وصلت الينا مكاتباتكم ووقفنا منها على / ما ذكرتم من استبشاركم بما سنّى الله تعالى لأولياء امره من الفتح والنصر وبما سنّاه الله تعالى للموحدين

---

(1) كاتب الرسالة غير مذكور ومن المرجح ان يكون هو ابو الحسن عبد الملك بن عياش حيث كتب عن الأمير يوسف منذ ولايته باشبيلية الى سنة 568 وهي تاريخ وفاة ابن عياش، انظر ترجمته ضمن كتّاب الرسائل.

(2) يلاحظ هنا عدم وجود «العلامة» مع انها موجودة في رسالة مؤرخة قبل هذه (الرسالة 13).

(3) انظر الهامش 2 للرسالة 15.

(4) عن مراكش ؛ راجع الهامش 90 في الرسالة السادسة.

هناك من غزو المجسّمين[5] واستنقاذ ما كانوا غنموه، وانتظام اموركم كلها على الخير والصلاح، وتمكن اسباب الأمن والدعة، والحمد لله على ما منح من صنعه الكريم، وفضله العميم ؛ فجَدّدوا شكر الله تعالى على آلائه، وتوكلوا عليه، واستمدوا بالشكر المزيد من فضله، والمعتاد من رحمته، وهو الكفيل تعالى بإنجاد اوليائه وإعزاز حزبه وجنده.

والذي ذكرتموه من اختلال احوال المجسّمين الشرقيين وتبدّد شملهم، فتلكم عادة الله تعالى فيمن ناوى[6] امره واعرض عن جانبه، والله ينجز فيهم وعده، لا رب غيره، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله ؛ كتب في التاسع من ذي الحجة سنة ثنتين وستين وخمس مائة.

---

(5) تعبير أطلقه الموحدون في البداية على المرابطين ثم عمّموه على الثوار على الدولة ومن هؤلاء بنو مردنيش بشرق الأندلس «المجسّمين الشرقيّين».

(6) المعنى ناوأ.

الرسائل 17 و18 و19 و20 :

أربع رسائل بين اشبيلية وغرناطة من جهة والخليفة يوسف من جهة ثانية حول موضوع تجديد البيعة له باتخاده لقب أمير المومنين

تقديم :

ظل يوسف بن عبد المومن يحمل لقب «الأمير» منذ ان خلف اباه في الحكم نظرا لعدم حصول الاجماع عليه آنذاك، وبعد حوالي خمس سنوات استطاع ان يفرض نفسه ويتلقب بلقب الخلافة وهو «امير المومنين» فجددت له البيعة بمراكش في اوائل سنة 563[1]، فوجه رسائل الى عواصم الولايات يطلب تجديد البيعة له، وارسلت من الرسالة الواصلة الى اشبيلية نسخ الى الجهات الأخرى ومنها غرناطة. ومن رسائل تجديد البيعة الأندلسية رسالة بيعة اهل اشبيلية وجهاتها[2] يحملها وفدها الى الخليفة وهي من انشاء احمد بن محمد[3] كما وردت في «المن» على الصفحات 340 الى 342[4] كما عمل والي غرناطة الشيخ ابو عبد الله بن ابي ابراهيم على جمع البيعة من اهل ولايته وتوجيهها مكتوبة الى الخليفة مع رسالة شخصية من الشيخ الى الخليفة، وتحمل هاتان الرسالتان نفس تاريخ سابقتهما وهو منتصف جمادى الآخرة 563 وتقعان في كتاب المن على الصفحات (342 ــ 344) و (344 ــ 346)[5]، وبعدما أدى الوفد الغرناطي البيعة بمراكش انصرف إلى بلاده، وكتب الخليفة يوسف بذلك رسالة إلى الشيخ والي غرناطة مؤرخة ب 12 شوال 563، وردت في كتاب المن على الصفحتين 346 و 347[6] وهذه نصوص الرسائل الأربعة على التوالي :

---

(1) «المن» المطبوع (338 ــ 339).

(2) والى اشبيلية في هذا الوقت هو السيد ابو ابراهيم اسماعيل ابن الخليفة عبد المومن منذ شهر ذي الحجة 561 (المن 297)، ويبدو ان اشبيلية اصبحت عاصمة الاندلس كما يفهم من المن (339).

(3) هكذا سماه صاحب المن بدون توضيح اكثر فهل هو ابو العباس احمد بن محمد الرعيني الاشبيلي (الذيل س/1 الترجمة رقم 537) ؟

(4) تقابل في المخطوط المصور (198 ــ 200).

(5) تقابل في مصور المخطوط (201 ــ 203) و (204 ــ 206).

(6) تقابل في مصور المخطوط (207 ــ 208).

رسالة بيعة اهل اشبيلية : (الرسالة السابعة عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم ؛ الحمد لله الذي جعل الامامة قواما للحق ونظاما للخلق، وتماما على الذي احسن برعاية العدل والرفق، واوجب الاعتصام بطاعتها والانتظام بجماعتها، والصلاة على محمد نبيه المبتعث بنور الحق الساطع الأضواء، المبلّغ/ عن الله سبحانه بأكمل وجوه التبليغ والانهاء، وعلى آله وأصحابه الذين والَوه بالنصر والإيواء، والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، المخصوص بأثرة الاصطفاء والاجتباء، والدعاء لسيدنا ومولانا امير المومنين الخليفة المرتضى متمّم انوار الهدى ومجلّي غياهب الظلْماء، وللإمام الأعدل الأهدى سيدنا ومولانا امير المومنين ابي يعقوب بن امير المومنين بدوام النصر والاستيلاء، واستصحاب الظهور والاعتداء. م م/199

اما بعد، فإنه لما اجتمعت طائفة التوحيد، وهم الذين تحضرهم من الله حاضرة التوفيق، وينظر اليهم نظر الاقتداء والاهتداء من وراءهم من اهل الحق و التحقيق، على **تجديد البيعة المباركة** لسيدنا ومولانا امير المومنين ابي يعقوب بن امير المومنين ــ خلد الله امرهم وأعز نصرهم ــ بالاسم المبارك الكريم، الذي اول من دعي به الفاروق رضوان الله تعالى عليه[7]، فعرف الله من يُمنه ما فتح لملة الإسلام شرقا وغربا، واحال الدلو بيد ساقيهم فاستحالت غربا، حتى ضرب الدين بجرانه، والقى الناس بعطن[8] بين يُمْنه وامانه، فجددنا من بيعته على الاسمية المباركة فرضا اوجبه الشرع وجوب الالزام، واقتضى الوفاء بشروطه المؤكدة على الكمال والتمام، فبايعنا على السمع والطاعة بيعة ايمان وامانة، وعدل/ وعبادة، والتزمناها في اليسر والعسر، والمنْشَط والمكْرَه، واعتقدناها عصمة ديننا وذخر معادنا، وتمسكنا منها بالعروة الوثقى والعصمة التي من تعلق (بحبلها) وآوى الى ظلها فقد اعتصم بالجانب الأمنع الأوق، علما انها البيعة الرضوانية[9]، والدعوة التي تتكفل بنصرها وإعلاء امرها العناية الربانية ؛ علينا بذلك عهد الله الأوكد الألزم، وميثاقه الأغلظ الأعظم، وذمته التي لايقطع حبلها على مرور الزمان ولا يُصرَم، مستبصرين في هذه البيعة الكريمة بنور الاهتداء، سالكين في التزام الطاعة على المحجة البيضاء، عارفين ما أمر الله سبحانه من طاعة الخلفاء ؛ والله سبحانه يحفظ بها أكناف الاسلام، ويجعلها كلمة باقية على مرور الأيام، بفضل الله ويمنه. م م/200

وعلى مضمن ما نص فوق هذا التزام اهل اشبيلية كافة، وكتبوا على ذلك شهاداتهم، في النصف من جمادى الأخيرة سنة ثلاث وستين وخمس مائة.

---

(7) الاشارة الى عمر ابن الخطاب الذي اتخذ لقب امير المومنين وهو الخليفة الثاني للرسول (ص) فقلده يوسف وهو الخليفة الثاني للمهدي، انظر الرسالة، اللاحقة أو (م م/202).

(8) العطن : مبرك الابل ومربض الغنم حول الماء.

(9) الاشارة فيما يبدو الى بيعة المسلمين للرسول (ص) في الحديبية والتي سميت بيعة الرضوان، وقد شبّهت بها بيعة الموحدين للمهدي تحت شجرة خرّوب بتنملل (البيذق 34).

رسالة بيعة اهل غرناطة[10] : (الرسالة الثامنة عشرة)

م م/201

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم.

الحمد لله الذي جعل الأمامة عصمة للدين، ونعمة سابغة منه تعالى للمسلمين، ورحمة اراد الله[11] بها ــ جل جلاله ــ هدي المهتدين وقوام المومنين، نظم بها عِقد الأنام، وتمّم بارتباطها عقد الاسلام، وأظهر بالتزامها بركة تمامها وانتظامها، والصلاة على محمد نبيه ورسوله الذي ابتعثه برحمته، وايده بقدسه وقدرته، وأعانه على إعلاء امره وكلمته، وعلى آله وصحابته الذين آمنوا به ونصروه، وآزروه وعزّروه، إذ اصطفاه إمامهم، وقدّموه أمامهم، وأخلصوا لله تعالى في طاعته ومناصحته أفهامهم، وأعملوا في نصرته وحمايته إقدامهم وأقدامهم. والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، الذي أظهر الحق بعد دروسه، وأطلع للايمان ساطع اقماره وشموسه، والدعاء[12] لسيدنا ومولانا امير المومنين خليفته المرتضى الذي أشرقت به أنواره، وظهرت على يديه بركاته المكنونة وأسراره، وبمثله لسيدنا ومولانا الامام الأعدل، الخليفة الصالح الأتقى لله عز وجل، امير المومنين ابو يعقوب[13] بن امير المومنين / بنصر تستقبل منه بركاته المضمونة، وتتمهد بسعده الأسعد حوزته المصونة، وتنهض عزماته في الزلاء[14] فما دونه.

م م/202

أما بعد، فإنه لما اختص الله تبارك وتعالى طائفة التوحيد، بما هم عليه من العمل السديد، والسبيل الحميد، والسعي السعيد الرشيد، اجتمعت نفوسهم بعد توفيق من الله تعالى لهم، ومستقبل سعد يدّخرون فيه عملهم، **أن يجددوا البيعة المباركة** لسيدنا ومولانا الامام الخليفة امير المومنين ابي يعقوب بن الخليفة امير المومنين ــ جدد الله لهم السعود، وامد لأمرهم العزيز التأييد الكريم والخلود ــ بالاسم المبارك العظيم الذي اول من نُطق له فيه **عمر بن الخطاب، فأقر** ذلك لنفسه لقبا واسما، وسمةً لمعنى الخلافة ورسما، حين علم تحقيق ما به خوطب وبه كوتب، فحمد الله تعالى وشكره، واستحسن لمخاطبه بذلك ما سماه به وذكره[15]، جددنا الآن من بيعة سيدنا ومولانا امير المومنين ابي يعقوب بن امير المومنين ــ ادام الله تأييدهم ــ على الاسمية المباركة العظيمة الموسومة فرضا اوجبه الدين والاسلام، وحقا اقتضاه شرع محمد نبينا عليه السلام، واتباعا لما فعله اصحابه البررة الخيار الأعلام، الصحابة العشرة، فبايعنا سيدنا ومولانا على السمع والطاعة ومنهج الجماعة، بيعة إيمان (وامانة، وعدل وعبادة، تبركا بأمرهم)[16] / واستنجاداً بالله تعالى على ما يجب فيها من

م م/203

---

(10) كاتب الرسالة غير مذكور وان كان الآمر بها هو والي غرناطة.

(11) في الأصل : اراد من الله.

(12) الهمزة ناقصة في المصوّر.

(13) كذا بالاصل عوض (ابي يعقوب).

(14) كذا بالاصل.

(15) الاشارة هنا الى تخلي الخليفة عمر بن الخطاب عن لقب «خليفة خليفة رسول الله» إلى لقب «أمير المومنين» فاعتبر هذا التطور في اللقب مبرّرا ليتسمى به الخليفة يوسف ايضا.

(16) ما بين هلالين مكرر في الأصل.

طاعتهم ونصرهم، اقتداءا فيها ببيعة الشجرة[17]، وبأصحاب رسول الله المومنين البررة، التزمناها في كل الأحوال، وأخلصنا لها الضمائر في كافة الاعمال، واعتقدناها شرعة ودينا، وبادرنا اليها حقيقة ويقيناً، فهي ذخيرتنا في المعاد، وزادنا الى يوم التناد، وسعادتنا ونجاتنا يوم الوعيد والإيعاد، علينا بالوفاء بعهودها، وكمال شروطها وعقودها، عهد الله الأصح وعقده الأنصح، وذمته التي لا تضيع ودائعها، ولا تُبخس بضائعها، متمسكين فيها بحبل الله الوثيق، وامره الحقيق، سالكين في التزامها، وابرامها وتمامها، ما يجب من شروطها وصحة ربوطها، عارفين بما فيها من مبهمها ومبسوطها، والله تعالى يعيننا على أداء واجباتها ومفروضاتها بفضل الله تعالى[18]،

وعلى مضمن معناها، والتزام مبناها، التزم الطلبة والشيوخ والكافة من الموحدين بقصبة أغرناطة ومدينتها، وكتبوا على ذلك شهاداتهم وخطوط ايديهم على انفسهم، وذلك في النصف من جمادى الآخرة من عام ثلاثة وستين وخمس مائة[19].

م م/204 رسالة الشيخ ابي عبد الله والي غرناطة[20] : (الرسالة التاسعة عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم
الحضرة السامية الامامية حضرة سيدنا ومولانا الامام الأعدل، الخليفة الصالح المنصور بالله عز وجل، أمير المومنين بن امير المومنين ــ ايدهم الله بنصره وامدهم بمعونته ــ ملتزم اوامرهم العلية، المتبرّكُ بمعاليهم السنية ؛ الطائع[21] السامع فيما يجب عليه من حقهم في كل ثنية : محمد بن ابي ابراهيم، سلام على حضرة سيدنا ومولانا امير المومنين بن امير المومنين ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد حمد الله على اعلاء هذا الامر العزيز المكين، واجراء سره القائم على افضل الأساليب والقوانين، وامضاء[22] آراء اهله الموحدين في صوب الاسعاد والتيمين، والصلاةِ على محمد رسوله ونبيه الصفي الأمين، المبلّغ الرسالة على اكمل حالات البيان والتبيين، والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم لإقامة الحق في المفروض والمسنون، ولصاحبه وخليفته أمير المومنين المؤيد لإظهار أسراره وأنواره بأتمّ التأييد المضمون، وللإمام الأعدل، الخليفة الصالح المنصور بفضل الله عز وجل، سيدنا ومولانا امير المومنين ابو يعقوب[23] بن امير المومنين بنصر يختصه في كافة الأحوال والشؤون.

م م/205 فكتبه خديمكم من أغرناطة ــ حرسها الله ــ عن /التزام امركم الكريم، والاعتلاق بحبلكم الذي

(17) انظر الهامش 9 سابقا.

(18) الملاحظ هنا ذكر الشروط المفروضة على المبايعين دون المبايَع.

(19) قدم صاحب المن لهذه الرسالة بقوله : «...كتب اهل غرناطة بيعتهم، وفيها اشهادهم على انفسهم بخطوط ايديهم وبمحضر الشيخ الأجل الحافظ المرحوم ابي عبد الله بن الشيخ المرحوم ابي ابراهيم.

(20) كاتب الرسالة غير معروف.

(21) في الأصل : (الطالع).

(22) الهمزة ناقصة في الأصل.

(23) كذا في كثير من الرسائل لا يخضع اسم الخليفة للقاعدة النحوية.

هو حبل الله العظيم، شاكراً لله تعالى وحامدا على ما افضى به من امره الى سيدنا امير المومنين بخلافته، واختصه في ارضه بفضل امامته وحمل امانته، وحباه بكرامته حين علم فيه الاستبداد بكفايته، فلله قِبَل عبدكم في ذلك نِعَمٌ متظاهرة، وآلاء مترادفة متكاثرة، ارغب من الله تعالى ان يلهمني حمدها وشكَرها، وإعمالها ونشرها، بعزته،

وانه وصلني كتاب السيد الأسنى ابي ابراهيم بن امير المومنين الخليفة ــ رضي الله عنه ــ [24] ومعه نسخة الكتاب المبارك العزيز الكريم، المبدي من البشائر ما اربى على التكميل والتتميم، بما كان فيه من اجماع الرأي السعيد، والفعل السديد، الذي اجتمعت (عليه)[25] آراء الموحدين، وكانوا من الله تعالى في ذلك على توفيق وحق مبين، من **تجديد البيعة الكريمة** والاسمية المباركة الموسومة لسيدنا ومولانا امير المومنين، أدام الله لهم السعد والتمكين، والفتح المبين، الى ما اعلموا فيه مما اسبل الله أثرها على الموحدين وطائفة المومنين من توالي الفتوح، واتصال الخير الممنوح، وترادف الامطار، ورخص الاسعار[26]، مما يقل لذلك شكر الشاكر، ووصف الواصف وذكر الذاكر ؛ وعند وصول الكتاب الكريم الى الخديم الطالع عليه بعجائب الفتوح والسرور، بادرنا الى التيمّن/ بعقد البيعة الرضوانية التي هي كمال ديننا وذخر معادنا، فعقدناها على مايجب من مفروض البيعة لأمير المومنين، على الزم شروطها في الدين، وحمدنا الله تعالى على التزامها، ودعونا الله في التوفيق بالعمل على نظامها، انه القادر على ذلك لا إله سواه.

م م/206

وفي حين ذلك وصلنا ايضا على الخصوص كتابهم الكريم الثاني[27] المتمّم لتلك المباني، مما كان من امرهم الحفيل، ونظرهم لهذه الجزيرة ــ حماها الله ــ على اتم الرأي الجميل، بوصول العساكر المنصورة والاجناد الموفورة اليها وحمايتها الى ما خصصوا به عبيدهم ــ ادام الله امرهم واعز نصرهم ــ من الامر المفصل بالبركة[28] التي مازالت بركاتهم ونعمهم علينا تترادف، وتتوالى قِبلنا وتتعارف، مع ما عرفوا به من الخير الذي يصلح بلادهم، ويخص اجنادهم ؛ والله تعالى نسأله ان يعين الكلَّ من عبيدهم على اداء شكرهم، والتزام امرهم بعزته وقدرته، والسلام الأجزل الأحفل، الأتم الأعمّ على الحضرة السامية الامامية العلية، ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في النصف من جمادى الاخيرة عام ثلاثة وستين وخمس مائة.

---

(24) انظر (م ر م) لبروفنصال الرسالة رقم 24، والمن 296 (المنشور)، وكان السيد ابو ابراهيم اسماعيل بن الخليفة عبد المومن آنذاك واليا على اشبيلية منذ ذي الحجة 561 وتجددت ولايته لها سنة 565. المن 296 و339 و396 والبيان 83.

(25) الكلمة ناقصة في الأصل المصور.

(26) محاولة للربط بين تجديد البيعة وشمول الخيرات بالمغرب !

(27) يلاحظ هنا التغير المفاجىء في صيغة مخاطبة الخليفة من استعمال الكاف للمخاطبين الى ضمير الغائبين بسبب التحول من حالة الامارة الى حالة الخلافة.

(28) البركة : نوع من الرواتب المقدّمة لموظفي الدولة وخاصة العسكريين (انظر الفصل الخامس عن الجانب العسكري.

الرسالة العشرون :

رسالة الخليفة يوسف إلى والي غرناطة حول انصراف وفد البيعة[29]

م م/207

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده. من امير المومنين بن امير المومنين[30] ايده الله بنصره وامده بمعونته، الى الطلبة الذين بأغرناطة ــ اكرمهم الله بتقواه ــ سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، اما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بأمر الله والداعي الى سبيله، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام أمير المومنين ممشي امره العزيز الى غاية تتميمه وتكميله.

فانا كتبناه اليكم ــ اكرمكم الله تعالى بتقواه ــ من حضرة مراكش حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه ؛ وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من أغرناطة ــ حرسها الله ــ والموحدين ــ وفق الله جميعهم ــ ووقفنا عليه، ورأينا ما تحمّلوه عن الموحدين بأغرناطة وجيرانهم من انعقاد اجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ اهل التوحيد واعيانهم من الأمر الذي اوجبوا على انفسهم المبايعة عليه، واعطاء صفقة اليد فيه[31]، وقد وفقهم الله لما وفق اليه اهل امره وذوي العصمة من طائفته ؛ والله تعالى يتقبل منهم/ عملهم، ويعرّفهم م م/208 بركة ما التزموه، ويعينهم على القيام بواجبه والوفاء بحقه ؛ وقد انصرف هؤلاء الأشياخ المذكورون، بعد اقامتهم بهذه الحضرة ونيلهم بركاتها، بما يجدون اثره في احوالهم وسريان الانتفاع به في أقوالهم واعمالهم ؛ فاعرفوا لهم حق وفادتهم، ومكان زيادتهم، واحملوهم وكافة جيرانهم على الرعاية المتصلة، والمبرّة الحافلة المشتملة ان شاء الله تعالى؛ والله ولي عونكم وصونكم لارب غيره، والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ كتب في الثاني عشر من شوال عام ثلاثة وستين وخمس مائة.

---

(29) كاتبها غير مذكور، ولعله ابو الحسن بن عياش كاتب الخليفة يوسف آنذاك.

(30) يقول صاحب الحلل الموشية عن الخليفة يوسف انه «تلقب بأمير المومنين بن امير المومنين» (157).

(31) تلميح الى انّ تقديم البيعة يتمّ بالأيدي رفعا او مصافحة.

الرسالة الواحدة والعشرون :

رسالة عن الخليفة يوسف تبرز نيته في الجواز إلى الأندلس لمواجهة ابن مردنيش والنصارى

تقديم :

بعد تجديد البيعة للخليفة يوسف وجّه رسالة الى والي غرناطة الشيخ أبي عبد الله مؤرخة ب 22 جمادى الاخيرة سنة 563 يخبره فيها بتعيين اخيه السيد ابي اسحاق ابراهيم على ولاية قرطبة[1] صحبة جيش ضخم استعدادا لمواجهة الأعداء النصارى واتباع ابن مردنيش او «الروميين والمجسمين» حسب تعبير الرسالة ويأمره بالتنسيق مع بقية الولاة بالاندلس، «وهذه كلها مقدمات بين يدي ما ينوى من الغزو الاعم...» من طرف الخليفة، وتوجد في الرسالة ايضا الاشارة الى تنظيم «دفع الارزاق للعساكر»، وردت الرسالة في المن (215 ــ 218) أو (354 ــ 356 من المطبوع) بدون ذكر كاتبها[2].

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده، من امير المومنين بن امير المومنين ايدهم/ الله بنصره، وأمدهم[3] بمعونته الى الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي ابراهيم[4] م م/216 والموحدين الذين بأغرناطة ادام الله كرامتهم، ووصل توفيقهم، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بامر الله والداعي الى سبيله، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام امير المومنين مُمْشي امره العزيز الى غاية تتميمه وتكميله.

وإنا كتبناه اليكم ــ كتب الله لكم آمالا مبلغة، واماني في صلاح أحوالكم مهنأة مسوّغة، ــ من حضرة مراكش حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به،

---

(1) ستجدد ولاية السيد ابي اسحاق بن عبد المومن على قرطبة سنة 565 (المن 396 والبيان 84).

(2) قد يكون الكاتب ابا الحسن بن عياش او ابا القاسم عبد الرحمان القالمي فكلاهما كتب عن الخليفة يوسف (انظر ترجمتيهما في مقدمة الدراسة العامة).

(3) في المصور : وأمده.

(4) انظر الهامش 1 لتقديم الرسالة 14، ونصوص الرسائل 15 و16 و19 و23 و26.

والتوكل عليه، والثقة بأنه تعالى ناصر هذا الامر العزيز ومؤيده، ومعينه ومنجده، ومتولّيه بما يظفر بكل جاحد لحقه، عمٍ عن نوره، عادل عن سبيله معرض عن داعيه تمضي سنة الله في انتشار دعوته، وامتداد شعته[5] وظهور كلمته، وانجاز ما وعده من الاستيلاء على الأدنى والأبعد، وضمن له من البقاء الدائم السرمد ؛ وإنّ أمْر تلكم الجزيرة ـــ مهدها الله ـــ لَمِن آكد ما توجّه اليه نظرنا، م م/217 وتوكّل به اعتناؤنا واشتغل به فكرنا، لمصاقبة الاعداء الروميين والمجسمين[6]/ لبلاد الموحدين بها والحاحهم على جنباتها، واسترسالهم في سبل الاغترار وطرق الانهمال عمّا يَدهمهم من امر الله تعالى الذي يأخذ فيهم لدينه بحق الانتصاف، ويكيل له من ادراك الثأر بالكيل الواف(ي) ؛ وقد اتفقنا في هذه الأيام على ان يتوجه اليها أخونا أبو اسحاق ابراهيم[7] بن سيدنا امير المومنين وفقه الله في عسكر مبارك من الموحدين والعرب ـــ وفرهم الله ـــ ليكون بقرطبة ـــ مهدها الله ـــ ورجونا من تعاونه مع اخوانه الذين باشبيلية[8] ـــ حرسها الله ـــ وتعاضدهم جميعا، وتوازرهم على الجهاد، وحماية البلاد، والنظر في المصالح ؛ وكافة ما وصيناهم به في هذه الاغراض، أن تظهر عليهم بركة سيدنا امير المومنين وآثاره، وما اخذنا عليهم من عهود التقبل لها والاقتداء بها، وان ينفع الله بهم، ويعرّف عن اجتماعهم، وأن يُسعدهم ويُسعد بهم، وعلى ذلك فالنظر مستتبّ، والغوث مطّرد، وهذه كلها مقدمات بين يدي ما ينوى من الغزو الأعم، والجهاد الأتم، الذي يمحق الله به الباطل، ويعفّي اثره ويعدم عينه، على ما وعد، إنه لا يخلف الميعاد.

فاشكروا الله على ذلك، واستبشروا وبشروا اخوانكم بجميع جهاتكم وانظاركم باقبال هذا الخير، وتوالي النظر، وأنّسوا به القلوب وسكّنوا به النفوس وثبّتوا به الأقدام، وأجِدّوا في الجهاد بنيات م م/218 خالصة/ وعزمات صادقة، وكونوا على اتم التعاون وأوفى التعاضد، واستشعروا الاقبال، وصلاح الأحوال ان شاء الله ؛ وقد خاطبنا الطلبة الذين باشبيلية أن يدفعوا للموحدين الذين بأغرناطة من البركة مثل ما أخذه اهل قرطبة[9]، وكذلك خاطبناكم ان يستمر لكم النظر في الآلات والاسلحة التي تحتاجون للقصبة حماها الله، فاعلموا ذلك، والله تعالى وليّ عونكم بمنه، والسّلام العميم الكريم عليكمْ ورحمة الله ؛ كتب في الثاني والعشرين من جمادى الآخر عام ثلاثة وستين وخمس مائة.

---

(5) كذا بالأصل المصور.

(6) المجسمون هنا هم بنوا مردنيش الممتنعون من الخضوع للموحدين.

(7) ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة عبد المومن سبق ان ولاه ابوه على افريقية بعد فتح المهدية (حسب الزركشي ص 8)، وعينه اخوه الخليفة يوسف كما في هذه الرسالة على قرطبة (انظر البيان 75 والعبر 6/497) وسيتعرض للنكبة من طرف المنصور بتلمسان سنة 584 (البيان 170 ـــ 171، والعبر 6/ 510) والفقرة الخامسة من الفصل الثالث.

(8) والي اشبيلية آنذاك هو اخوه السيد ابو ابراهيم اسماعيل (انظر الهامش 24 على الرسالة 19).

(9) هذا دليل على كون اشبيلية اصبحت عاصمة الاندلس.

الرسالتان الثانية والعشرون والثالثة والعشرون :

رسالتان عن الخليفة يوسف
واخيه أبي حفص إلى والي غرناطة حول انتصاره
على قوات جراندة (جيرالدو)

تقديم :

منذ القضاء على ثورة غمارة تزايدت الامدادات الموحدية الى الاندلس، لمواجهة تهجمات ابن مردنيش ولاضعافه، وفي هذا الوقت ايضا كانت الجماعات النصرانية تحت قيادة القائد الجليقي «جراندة» (جيرالدو) تُغير على الاراضي الموحدية، فوصلت مرة الى وادي آش[1]، فاعترضتها عساكر من غرناطة وافتكت منها الغنائم، فكتب الشيخ ابو عبد الله والي غرناطة الى الخليفة ــ وربما ايضا الى اخيه وزيره السيد ابي حفص[2] ــ مخبرا بهذا «الانتصار»، فأجابه الخليفة مهنئا له برسالة وردت في المن (219 ــ 223 في المخطوط او 357 ــ 359 في المطبوع) مؤرخة ب 3 رمضان 563، وفي نفس الموضوع ونفس التاريخ كتب اليه السيد ابو حفص رسالة وردت في المن (222 ــ 223) في المخطوط او 359 ــ 360 في المطبوع)[3]، والرسالتان معا مجهولتا الكاتب، وهذان نصاهما على التوالي :

نص رسالة الخليفة يوسف[4] :(رقم 22)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده، من امير المومنين بن امير المومنين ــ أيدهم / الله بنصره، وامدهم بمعونته ــ الى الطلبة الذين بأغرناطة ــ اكرمهم الله بتقواه ــ سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، م م/220

اما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على الائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم القائم بأمر الله تعالى

---

(1) لا توجد في الرسالتين اية اشارة الى اعتبار هذه الجماعة من حلفاء ابن مردنيش، وكانت هذه الجماعة قد غنمت منطقة رندة قبل الوصول إلى جهة وادي آش (المن 357، البيان 76).

(2) استنادا الى كون جواب ابي حفص ورد فيه : «وصلنا كتابكم المبرور...».

(3) حول هذه الازدواجية في المراسلة انظر خصوصيات الرسالتين 14 و 15 في الفصل الأول.

(4) ربما يكون ابو الحسن ابن عياش او ابو القاسم القالمي هو منشئها (انظر ترجمتيهما).

والدّاعي الى سبيله، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام امير المومنين ممْشي امره العزيز الى غاية تتميمه وتكميله.

وانا كتبناه اليكم — أكرمكم الله بتقواه — من حضرة مراكش[5] حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه، وان تشكروه على ما يوالي به هذا الأمر العزيز وأهله من مواهب النصر وموانح التأييد التي يعلي بها كعبه، ويظهر بها حزبه، إمضا(ءً)[6] لسنّته وطردا لعادته، والحمد لله.

وقد وصلنا كتابكم من أغرناطة — حماها الله — بما سنّاه الله في الأعداء الكفرة الذين كانوا بوادي آش[7] — فتحها الله — من الفتح الذي عرّفهم به قدر اغترارهم ومكان جهلهم، وموضع الإملاء لهم بما كانوا اعتادوه من التّسحّب على اطراف تلكم الجهات بالاختلاس والاختطاف[8] على ما ذكرتم، فيسّر الله لكم من اسباب العون عليهم، ومكيفات الانجاد في الأخذ بالثأر منهم ما م م/221 شرحتموه في كتابكم، وبينتموه/ بإعلامكم مما وقفنا منه على ما سر موقعه وحسن مطلعه، وجرى على معلوم هذا الأمر في نصرته وتأييده، والصنع الجميل له، واخزاء اعدائه وادحار معانديه ؛ والذي منح الله الموحدين في هذه الغزوة المباركة خير كثير، وأثر جميل، وله في تمهيد تلكم الجهات وتأنيس اهلها وبسط آمالهم وتسكين نفوسهم ومثابة[9] من فت اعضاد الكفرة وتوهين امرهم، وإشعارهم الإدبار في احوالهم، والارتكاس في حويلهم مواقع ظاهرة الآثار، بيّنة المنافع، مع ما جبر الله في تلك الحال من الغنائم التي اغتصبوها اهلها، واقتطعوها من أربابها، فأحق الله الحق وأبطل الباطل ولو كره المجرمون.

فاشكروا الله تعالى على توفيقه الذي يمّنَ قصدكم وانهض عزمكم وسدد رأيكم، وقابلوا ذلك بما يقتضي له المزيد من فضله والمضاعفَ من احسانه، وبشّروا الموحدين والغزاة[10] بنعمة الله عليهم في الظهور على أعدائهم والنصر لدعوتهم، وان لهم عند الله مع هذه العطية الثواب المدّخر، والاجر الأجزل الأوفر، وليستديموا ذلك بالاعمال الصالحة والقلوب الطاهرة والأحوال المستقيمة، والله وليّ العون على ما يُقرّب منه ويزلف عنده بمنّه، والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ م م/222 كتب في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وستين وخمس / مائة.

---

(5) انظر الهامش 90 في الرسالة السادسة.

(6) الهمزة ناقصة في الأصل المصور.

(7) وادي آش : مدينة متوسطة المقدار،، ورصيف يجتمع به طرق كثيرة وهي تقع شرقي غرناطة (انظر الادريسي 567 — 568) ن الايطالية.

(8) في هذا اشارة الى ان هؤلاء النصارى كانوا تعوّدوا على مثل هذه الجولات في الأراضي الاسلامية.

(9) في الأصل : وبمثابة.

(10) الغزاة : راجع هذا المصطلح في الهامش 3 للرسالة 25 والفصل الأخير عن الجانب العسكري.

رسالة السيد ابي حفص[11] : (رقم 23)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، من عمر بن امير المومنين الى الشيخ الحافظ ابي عبد الله محمد بن ابي ابراهيم[12]، أدام الله كرامته بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ اما بعد حمد الله تعالى، والصلاة على محمد عبده ورسوله المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المرتضى، والدعاء لسيدنا امير المومنين خليفته الاكرم الأهدى، وبمثله لأمير المومنين ابي يعقوب بن امير المومنين بدوام النصر الأحفل الأحفى.

فكتبناه اليكم — ادام الله توفيقكم — من حضرة مراكش حرسها الله، ولا جديد الا نعم الله المتوالية، وآلاؤه الرائحة والغادية، وتَعَرّف بركة هذا الامر العزيز في كل ظعن[13] وإقامة على اتمّ الأحوال المستدامة، والحمد لله ؛ وقد وصلنا كتابكم المبرور مضمّنا من البشائر بجهادكم في الكفرة واجتهادكم ما أجرى الله به عادة هذا الامر في تيسّر اسبابها، وانفتاح ابوابها، والمامها على الدوام وانتيابها، واستوضحت من اعلامكم جلية، وأتت على وفق الارادة حميدةً مرضية ؛ فاشكروا الله على ما سناه لكم منها،/ ومنحكم من أجر التعريف بها، وامضوا على ما انتم بسبيله من الاجتهاد في اموركم، والعكوف على أشغالكم، ووالوا الإعلام بما يتجدد عندكم ان شاء الله، والله وليّ عونكم وصونكم، والسلام الكريم العميم عليكم ورحمة الله وبركاته، كتب في الثالث من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وستين وخمس مائة، (م م/223)

---

(11) كاتبها مجهول ولكن صاحب الذيل يذكر ان ابا القاسم محمد بن ابراهيم ابن المواعيني استكتبه ابو حفص بن عبد المومن فنال جاها عريضا وثروة واسعة وتوفي بمراكش سنة 564 (السفر الأول، الترجمة رقم 91) فهل يكون هو منشيء هذه الرسالة ؟

(12) انظر الهامش 4 للرسالة 21.

(13) في الأصل : ظغن.

الرسالة الرابعة والعشرون :

رسالة عن الخليفة يوسف إلى ولاة الأندلس بشأن توجيه طليعة عسكرية في انتظار جوازه

تقديم :

سبق للخليفة ان وجه رسالة الى والي غرناطة يخبره بعزمه على الجواز الى الاندلس[1]، غير ان ظروفا طارئة استلزمت بقاءه مدة اخرى بالمغرب تتمثل في بعض الثورات كما جاء في رسالته المقدّم لها هنا، ويبدوا انه ايضا كان ينتظر الامدادات العربية من افريقية، غير ان استمرار هجمات النصارى بزعامة (جراندة)، وضغوط ابن مردنيش فرضت ارسال قوة عسكرية الى الاندلس بزعامة الشيخ ابي حفص الهنتاتي، تكون تقدمة لجواز جمهور الموحدين ومؤذنة بما عزم عليه الخليفة من الجواز بجمهور اهل التوحيد كما ورد في الرسالة، والهدف واضح منها وهو مقاتلة الأعداء «مجسمين وروم» ويُقصد بالمجسمين بنو مردنيش، وهذا نص الرسالة كما وردت في المن (237 — 241) في المخطوط او (376 — 380) في المطبوع، وهي مؤرخة ب 21 ربيع الآخر 564، ومن انشاء ابي الحسن بن عياش[2].

م م/237 **نـص الرسـالـة :**

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده، من امير المومنين بن امير المومنين ايده الله بنصره وامده بمعونته، الى الطلبة والموحدين الذين بجزيرة الاندلس، ادام الله توفيقهم وكرامتهم، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، اما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا الاه الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، القائم بامر الله تعالى والداعي الى سبيله، ونوالي الدعاء لصاحبه وخليفته الامام امير المومنين ممشي امره العزيز الى غاية تتميمه وتكميله.

وانا كتبناه اليكم — وصل الله توفيقكم وكرامتكم بتقواه — من حضرة مراكش حرسها الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وهذا الأمر العزيز بما وعده الله من النصر، وضمن له من التأييد وتكفّل له من التمكين، واراد من تبسطّه وامتداد غلوائه، واتصال مضماره، وخلوصه الى كافة الارجاء، وتغلغله في كل الانحاء، لإكمال دينه واتمام نوره وبث دعوته، وتصديق وعده، لا تزال موا(ده)[3] الحافظة لصوره، المبقية لأثره، المثبتة لأركانه،

(1) الرسالة رقم 21.

(2) ترجمته في المقدمة.

(3) حرفان مأروضان.

م م/238 الممكنة لقواعده، تشيع/ من الاسباب المقوية واللطائف المنهضة، والمعاني المعينة على سريانه، المزعجة لتسربه وجريانه، بما يوذن له بانجاز موعوداته وتتبع مضموناته، حتى يستولي على مداه الذي لا غاية بعده[4]، ويقف على منتهاه الذي لا مطلع وراءه، يقينا اطمأنت بمقدمات العلم به القلوب، وقرّت على ظهور براهينه النفوس، وعضدته الآيات البينة، ونطقت به الآثار المفصحة، وناقدت شواهد احواله لمن «القى السمع وهو شهيد»[5].

ومازلنا ــ وفقكم الله على اتمّ العناية بتلكم الجزيرة ــ مهدها الله ــ والحرص على غوثها والانتواء لنصرتها، والعمل على قصد ذلك بالمباشرة والمشاهدة، اشفاقا على ما استضام منها جيرتُها الأعداء وأبناؤها الأعقّاء مجسمين وروماً، وما كادوها به من التكلف والتحيف والتنقص وفغر الأفواه، وكشر النيوب والارصاد لغيض ما فاض فيها من نور التوحيد، وخفض ما نصب من اعلام هذا الامر، والمناصبة للمنحاشين اليه، المتعلقين بأسبابه، المستذمين بذمته ممن صح ولاؤه، وصدقت طاعته، وخلص على السبك، ((ونصع على السبر، ونجعل لها من الفكر حظاً يستحق الصّدر[6]على ما سواه من الافكار))[7]، ويأخذ السبق على غيره من معنيات الأمور، ونراه من الاهم/ الأعنى، والأول م م/239 الأوْلى، قياما بحق الله في جهاد اعدائها ومكابري (مناويها)[8]، ومن لم تنفعه العبر على مرورها على بصره، وتواردها على مشاهدته واهابتها به، ولم يرع سمعا دعوة الحق التي ملأت الخافقيْن، وقرع صوتها مسامع الثقليْن، وتمكن اسباب التفرغ لذلك والتوسع فيه والنظر في احكامه، **فتعترض من اهل هذه المغارب شواغب** يثيرها الجهّال[9]ويبعثها النعقة الضُّلاّل، فلا يسع اهمالها ولا يسوغ الإضراب عنها، قياما بحق الدين، وتوقياً من استشراء الشر، وتوفر اسباب الفتنة فينصرف اليها من الالتفات والقصد لحسم عللها وابراء ادوائها، ما يقشع غياباتها، ويطحر[10] اقذاءها ويفضي إلى المقصود الأول من التفرغ للجزيرة ــ مهدها الله ــ والتوطئة لأمرها، وما فتىء الاشتغال بهذا الغرب يلظ[10] بأرجائه، ويشتمل على جوانبه ويتخلل زواياه، وينتظم اوعاره وسهوله حتى صفّى الله مشاربه، وخلصّ من الشوْب مشارعه، ووقف باهل الانتزاء من اصناف مشغبيه على تائب اناب بقلبه[11]، وندم على ما فرط من ذنبه، وعلى شقي تمادى في غلوائه، ولجّ في تمرده، فولي كلٌّ ما استحق، وسِيمَ حطة ما رضي ووجد التائب بُرد الامان، وتَبَوّأ كنف الاحسان، وحقت على العاصي

(4) الفكر التوسعي عند الموحدين ولو نظريا لدعوى احقيتهم وحدهم بالخلافة في العالم الاسلامي.
(5) الآية 37 من سورة (ق).
(6) في الأصل : الصدق، والتصحيح من ط بيروت.
(7) ما بين هلالين مزدوجين مكرر في المصور مع اخطاء.
(8) بالكلمة كشط في الأصل في اولها.
(9) الاشارة الى ثورة غمارة بالخصوص، انظر الرسالتين 14 و15 والفقرة الثانية في الفصل الثالث.
(10) طحر الأقذاء : رمى بها.
(10) ولظّ بالشيء : لزمه.
(11) هل كان عرب افريقية ممن تلمّح اليهم الرسالة انتظارا للجواز بهم الى الاندلس ؟.

م م/240 كلمة العذاب، واخذه التباب، والصيرورة الى سوء المآل وشر المآب[12]، وما ربّك / بظلام للعبيد»[13].

ولما تولى الله هذه الجهات منة التمهيد، وبسط لها نعمة التسكين والتوطيد، انعطف النظر الى محل مثاره، وسال سيل الاعتناء الى قراره، وتوجّه حفل الاشتغال الى الجزيرة ـــ مهدها الله ـــ **وتوفرت دواعي الاستعداد لنصرتها** وجهاد عدوها، ورأينا في اثنا(ء) ما نحاوله من مَروم هذه الغزوة الميمَّنة المَبَاشرِ **ان نقدم بين ايدينا عسكرا مباركا من الموحدين** ـــ اعانهم الله ـــ **صحبة الشيخ الأجل ابي حفص** ـــ أعزه الله ـــ **يكون تقدمة لجواز جمهور الموحدين، وموذنا بما عزمنا عليه** والله المستعان ـــ **من التحرك بجملة اهل التوحيد**، والقصد لهذا الغزو الميمون الذي جعلناه نصب العين وتجاه الخاطر، فتتعاونون مع اخوانكم الواصلين ـــ على بركة الله ـــ اليكم على جهاد اعدائكم، الى ان يوافيكم ـــ ان شاء الله ـــ هذا العزم، ويلمّ بكم هذا القصد، ويعتمدكم هذه الحركة المحكمة اسبابُها، المبرمة أمراسُها التي انعقدت بها النية، واحتدمت[14] لها في ذات الله الحمية، واستعانت بتوفيق الله في تأصيل اصولها الفكرة الموجهة والروية، وانا لنرجو[15] من المبلّغ لآمال القلوب، المتفضّل بادراك كل مطلوب، ان يهب فيها من العون ما يتمّم مبدأها، ويكمّل منشأها، وتشفى به صدورُ اوليائه بالنقمة في اعدائه، وإن فضله تعالى ليسمح ببلوغ هذه الامنية، والاطلال م م/241 منها/ على كل شرف[16] وثنية، فما ذلك على الله بعزيز[17].

واذا طالعتم ـــ وفقكم الله ـــ هذه الانباء، واستعملتم ما في ضمنها من البشائر وعنوانات الفتوح وآثار هذه القصود، وحملتم ذلك على الثقة بما وعد الله هذا الامر والتلفّت الى ما عوّده، رأيتموها نعمى تخوّلتكم، ورحمى انتحتكم واتتكم، وشرحتم لها صدوركم، وعمّرتم بها احنا(ء)كم[18]، وشغلتم بها مشاهدكم، وسررتم بها غائبكم وشاهدكم، واذعتموها اذاعة تثلج بها صدور الأولياء، وتحرج منها صدور الأعداء، ويكون للمومن منها مطلع امل، وللكافر مطلع هول ووجل ؛ عرّفكم الله شكر النعمة بها، وأعانكم على اداء واجبها، وبلّغكم الفائدة الجميلة منها، بمنّه ويمنه ؛ واذا وصلكم هذا الكتاب فأشيعوه قراءة على من حضركم من اصناف الناس ؛ وإرسالا بنسخه إلى من نأى عنكم[19] حتى يجد اثر الاستبشار به ويترقب بمودعه الغائب والشاهد، والحاضر والبادي ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ كتب في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة اربع وستين وخمس مائة.

---

(12) الاشارة واضحة للقضاء على زعيم ثورة غمارة بالخصوص (انظر الرسالتين 14 و 15)

(13) من الآية 46 من سورة فصّلت.

(14) في مصور خ ع : واحتذمت.

(15) في المصور المذكور : لنرجوا.

(16) الشرف : مصطلح تضاريسي اندلسي مغربي، ومنه شرف اشبيلية، انظر عنه الادريسي ص 541 (ن ايطالية).

(17) الآية 20 من سورة ابراهيم.

(18) الهمزة الثانية ناقصة في المصور.

(19) هناك صنف من الرسائل الموجّهة الى رجال السلطة بالولايات لا يطلب منهم اذاعتها على الجمهور مثلا الرسالة رقم 25 الموجهة الى «الطلبة الغزاة» بإفريقية.

الرسالة الخامسة والعشرون :

رسالة عن الخليفة يوسف إلى الطلبة الغزاة[1] بإفريقية

تقديم :

انتهت عمليات الموحدين من اجل فتح افريقية سنة 555، وظل المسؤول الرئيسي عن شؤون المنطقة هو صاحب بجاية السيد ابو محمد عبد الله ابن عبد المومن الى وفاته سنة 560، وفي السنة التالية عين عليها الامير يوسف (قبل بيعته بامرة المومنين) اخاه السيد ابا زكرياء، وسيظل بولايته الى 566 حين قدم الى مراكش بالعرب الراغبين في «الجهاد»، وسيتحركون مع الخليفة الى الاندلس حركته الأولى في عهد خلافته، ومن جملة ما كان مكلفا به السيد ابو زكرياء واعوانه مواجهة اعمال النهب التي كان يقوم بها البدو من عرب افريقية، وحاول استمالتهم للمشاركة في العمليات العسكرية مع الخليفة وهي المحاولة التي بدأت منذ الانتصار عليهم في سطيف 548، بل انهم استنفروا خلال سنتي 557 ـــ 558 لكنهم تفرقوا بسبب وفاة عبد المومن. وكان السيد ابو زكرياء يخبر الخليفة بنتائج اعماله، ويتوصل منه برسائل جوابية ومنها فيما يبدو هذه الرسالة التي تعتبر تذكيرا بما سبقها من رسائل، وهي من انشاء الكاتب ابي القاسم القالمي[2]، وقد وردت ضمن زوائد «العطاء» على الصفحات 16 و 17 و 18، وهذا نص الرسالة.

نــص الـرسـالـة :

من امير المومنين بن امير المومنين ايده الله بنصره وامده بمعونته الى الطلبة الغزاة[3] بافريقية ادام/ الله عزّهم وكرامتهم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ اما بعد ((الى آخر الصدر ع ز/16 ـــ 17

---

(1) كذا في الأصل : «الغزاة» صفة «للطلبة».

(2) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتاب.

هوامش الرسالة :

ملاحظة : ما بين هلالين منفردين غير واضح في المخطوط بسبب الأرضة او الكشط

(3) ذكر صاحب الحلل (109) طبقة «الغزاة» اثناء حديثه عن طبقات الموحدين كما وضعت ايام المهدي فجعلها الطبقة الاخيرة : «الغزاة وهم الرماة». انظر الرسالة العاشرة ايضا فهل كلمة «الغزاة» في الرسالة الحالية صفة «للطلبة ام نسي الناسخ اضافة واو العطف بين الكلمتين ؟ انظر ايضا هذا المصطلح في الفصل الأخير من الدراسة العامة.

المعهود))[4].

(فـ)إنا كتبنا(ه) إليكم ـــ ادام الله عزّكم وكرامتكم بتقواه ـــ من حضرة مراكش ـــ حرسها الله ـــ والذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه والدُّؤُبُ على المساعي الحميدة المزلفة لديه، والجدّ في الاعمال الصالحة المقرّبة منه المدنية اليه، المقتضيةِ استصحاب (إفـ)ـضاله وامتنانه، المديمةِ ما ارتهن لديكم من جميل عوايده وجزيل احسانه، الموجبةِ لكم رضاه عاجلا وآجلا، المستدرّةِ عهاد كرمه وابلا فوابلا، المفضيةِ بكم إلى سَنن الهدى ونهجه، الحاملةِ لكم على كاهل السداد وثبجه، الصاعدة بكم في مراقي النجح ودَرَجه ؛ والله تعالى يُصحبكم توفيقا يهدي ويرشد، ويسنّي لكم اعتناءً منه يعين ويُنجـ(ـد)، بمنه وكرمه.

وقد وصلت مكاتبتكم الأثيرة، ومخاطبتكم المبرورة من منزل الموحدين ـــ اعزهم الله ـــ بظاهر قسنطينة[5] ـــ حرسها الله ـــ متضمنة امتداد ظل السلامة عليكم، واتصال البشائر والمسرّات لديكم، ووصول المخاطبة اليكم بالفتوح الإلهية والتيسيرات الربانية التي تسنت في الاندلس[6] وغيرها من بلاد الموحدين[7] ـــ حماها الله ـــ على ماشرح لكم، وفصلت وجوهه واصنافه لديكم، وقراءتكم ما كُتب به اليكم على كافة مَن قِبلكم وبعث الكتب بها الى سائر (أنظاركم)[8]، وما كان عند ذلك من انبساط الامال وعموم الجذل والابتهاج الى اخر ما قررتموه من ذلك وبينتموه، واوضحتموه منه وشرحتموه، والحمد لله الواجب له على ما آتى من نُجحٍ، وأتى من يُسرٍ ومنحَ من فتح، واسدى من فضل، وهو المسؤول اسباغ نعمه واكمال فواضله واجراء اولياء امره على ما عودهم من الإنجاد، وعرفهم من التوفيق والإسعاد، فيما يُظهر دينه ويعلي كلمته وينصر حزبه ويؤيد امره، فله الحمد الدائم والشكر المتصل، لاربّ غيره.

وذكرتم انباء تلك الجهات ـــ حاطها الله ـــ وما شمل اهلها من الامَنة والهدون، واسترسل عليهم من الدعة والسكون، وما غمرهم من وفور الخيرات، وظهور البركات، وإرسال الرحمة التي آذنت بالاقبال والخصب، وبانصرام المحل والجدب، واشتغالهم بمصالحهم، واقبالهم على مراشدهم، وبما يعود بصلاح عاجلهم وآجلهم[9]، فوالُوا حمد الله تعالى على (ما) والى من رحمته، وأوْلى من نعمته،

---

(4) كذا في الأصل، وللتعرف على الصدر الذي يستعمله القالمي لرسائله تقريبا يمكن الرجوع الى رسالتيه في (م ر م) لبروفنصال رقم 21 و22 وهذه الاخيرة هي نفسها رقم 28 في المجموعة الجديدة.

(5) قسنطينة : مدينة على حدود افريقية مما يلي المغرب، وهي تتمع بحصانة موقعها، انظر عنها : الاستبصار (165 ـــ 166) والمعجب (255 و357)، ومعجم البلدان 349/4، ابن سعيد في بسط الأرض 76 الروض المعطار (480 ـــ 481) صبح الأعشى 110/5.

(6) انظر خصائص هذه الرسالة ضمن الفصل الثاني.

(7) لعله يقصد الانتصارات الاخرى بالمغرب مثل ما يتعلق بثورة غمارة بالخصوص، وبعض الاضطرابات الأخرى، انظر الرسالتين 14 و 15 وكذلك الفقرة الثانية ضمن الفصل الثالث من الدراسة العامة وانظر خصائص هذه الرسالة في الفصل الثاني.

(8) في الأصل : (الانظاركم)

(9) انظر خصائص الرسالة في الفصل الثاني.

وافاض من منته، واشكروه شكر من يرغب في مزيده، ويحرص على دوام صنعه الجميل وتجديده.

وذكرتم — ادام الله عزتكم وكرامتكم — اعتادَكم على ما رُسم لكم من توجه الموحدين الذين قِبلكم[10] — وفقكم الله — الى افريقية[11] — حماها الله ومبادرتكم الى ذلك، وعملكم في حملهم والرفق بهم على (ما) رسم لكم، وانهم انتقلوا بجملتهم إلا من حُدَّ لكم مُقامه بتلك (البلاد)[12]، وانهم قطعوا تلك الطرق على حال تيسير وتسهيل، وعون من الله تعالى وتوفيق، مستشعرين يمن (حركتهم)[12] وبركة تنقلهم، وهذا الذي ذكرتموه حسن مِن فِعلكم، وسَداد مِن قصدكم، ستعرفون بركته وتجتنون (ثمرته[12]) وتحمدون مغبّته، ومَن استند إلى أمر الله تعالى واستضاء بنوره، واستقام على طريقته، واهتدى في ايـ(ـرادهِ)[12] وإصداره بهديه، فتجارته رابحة، ومساعيه ناجحة، ودلائل الرشدَ عليه بينة واضحة ؛ فليكن جـ(ـدّكم[12]) ودأبكم وهمكم وطلبكم في اتباع اثره، والوقوف عند حده، والجري على سَننه، والله يتولى عونكم بمنه، (وقد[12]) تقدمت المكاتبة اليكم بما ترتبون به سكناهم، وتمكّنون به قرارهم[13] عند حلولهم بافريقية ان شا(ء الله)[12].

وذكرتم — اعزكم الله واكرمكم — ما فعلتموه في امر بني عدي وما تفعلونه مع بني رياح[14] اذا وصلتم (اليهم)[12]، وتنجيزكم كل ما أُمِر به من الاشغال، فذلك كله مشكور من قصدكم، ومضاف الى سديد نظركم ؛ والله تعـ(ـالى)[12] (يجزيكم و.......)[15] الدقيق والجليل من مقاصدكم ومناحيكم بعزته، والسلام الطيب المبارك (يخـ)ـصكم ورحمة الله وبركاته، وكتب غرة رجب الفرد من عام اربعة وستين وخمس مائة.

ع ز/18

---

(10) انظر الهامش 5 على الرسالة الثانية.

(11) افريقية : اختلف في تحديد حدودها، ويبدو ان العامل السياسي كان مهما في تمديد او تقليص هذه الحدود انظرالبكري 21، الاستبصار (111 — 112)، المعجب(354 — 355)، معجم البلدان (مادة افريقية) صبح الاعشى 5/ 99 العبر 6/ 204 ويبدو من الرسالة ان المخاطب كان خارج افريقية، ولعله كان ببجاية عاصمة الولاية انذاك.

(12) كلمة مغطاة بورق اللصاق في اخر السطر بالمخطوط.

(13) هذا الاقرار يتعلق بحاميات من الجيش النظامي الذي يتقاضى رواتب محددة (قارن مع الرسالة الواحدة والعشرين حول دفع البركة)، اما رؤساء العرب بافريقية فقد تمتعوا بالاقطاعات (المعجب 224 — 225).

(14) كان عبد المومن عند عودته من فتح افريقية جلب معه اعداداً من عرب بني رياح وبني جشم وبني عدي (المن 114) ويذكر صاحب المعجب ان «العرب الذين كانوا ببلاد يحيى بن عبد العزيز (آخر ملوك بني حماد) هم قبائل هلال بن عامر «ص 224» وبنو رياح وبنو عدي من قبائل بني هلال. والرسالة هنا تشير الى اتصال الموحدين ببني عدي قبل الوصول الى بني رياح، وبما ان الرسالة المجاوب عليها كتبت من ظاهر قسنطينة فهل كان بنو عدي يستوطنون منطقتها ام كانوا هناك مؤقتا في اطار رحلاتهم الرعوية ؟ فصاحب مفاخر البربر (خ ع/ ك 1275 ص 94) يشير الى سكنى بني عدي بالحامة، وهي ببلاد الجريد الشرقية، اذن يصعب تحديد مواطن القبائل الرعوية.

(15) اربع كلمات مطموسة لم نهتد الى قراءتها وتبدوا كأنها (يجزيكم و... من فضله على) الدقيق...

الرسالة السادسة والعشرون :

رسالة من والي قرطبة إلى والي غرناطة
حول دخول ابن همشك في الطاعة للموحدين

تقديم :

كان ابن همشك صهرا لابن مردنيش وحليفا له في منطقة جيّان قبل ان يستولي عليها الموحدون، ونظم الغارات على المدن الموحدية بالاندلس، غير ان ارتباط ابن مردنيش بالنصارى وسوء علاقته وعلاقة هؤلاء بالمسلمين في امارته، وتزايد نفوذ الموحدين كانت من العوامل التي ادت الى تخلي انصاره عنه تدريجيا[1] ومنهم صهره ابن همشك الذي اتصل شخصيا بالشيخ ابي حفص بقرطبة وبواليها السيد ابي اسحاق مؤكدا التنازل عما بيده من اراضي لخدمة الدولة الموحدية، فكتب السيد الى حكام الجهات الأخرى معلما بذلك، وقد اورد صاحب المن نص الرسالة الموجهة من السيد الى الشيخ ابي عبد الله والي غرناطة بتاريخ شهر رمضان سنة 564 من انشاء ابن مصادق[2] على الصفحات (251 ــ 252) في المخطوط او (390 ــ 392) في المطبوع، وهذا نصها.

م م/251 **نص الرسالة :**

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم ؛ الشيخ الاجل الحافظ الأعلى ولينا في الله تعالى ابو عبد الله محمد بن ابي ابراهيم، ادام الله عزه وكرامته بتقواه، وليكم في الله تعالى ابراهيم بن امير المومنين، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد حمد الله على ما اولى ومنح، والصلاةِ على محمد نبيه الذي تبين به دين القيّمة ووضح، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، معيد دِين الله بعدما عفّى رسمه ومصح[3]، والدعاء لسيدنا امير المومنين خليفته الذي طهر بعدله البلاد وفتح، ولسيدنا امير المومنين بن امير المومنين الذي اثمر سعيه وانجح، وكمّل بيمن خلافته الامور الدينية واصلح.

فكتبناه اليكم ــ ادام الله كرامتكم بتقواه ــ من قرطبة[4] حرسها الله ــ ، ولا جديد الا ما

(1) انظر سوء علاقته مع مساعديه الاقربين في المن 388 والمعجب 249

(2) لم نتوصل الى معرفة ترجمته.

(3) مصح : معناها ذهب وانقطع وفي الاصل المصور : (ونضح)، والتصحيح من ط، بيروت.

(4) كانت قرطبة عاصمة الاندلس قبل العهد الموحدي وتضررت كثيرا بالفتن منذ اواخر الدولة المرابطية انظر التعريف بها في نزهة الادريسي (574 ــ 579) ن الايطالية، والمغرب لابن سعيد 57/1، والروض المعطار (456 ــ 458).

عود الله بركة هذا الامر العزيز من فتح لا تزال تفتح ابوابه، وتتصل اسبابه وترفع قبابه، ويُتعرّف مع كل حين انهلال مائه وانسكابُه، والحمد لله على ذلكم حمدا كثيرا يصفو به سِربال احسانه وجلبابُه، وان من النعم التي ببركة هذا الامر العزيز (ما والى)[5] جديدَها، واقتضى بسعادته مزيدَها، وأتبع بطريفها[6] تليدَها، وانجز فيها لأولياء الامر العزيز الموعودَ، ووافقهم فيها الجد المصحب المسعدَ، وإن الشيخ أبا اسحاق ابراهيم بن همشك[7] وفقه الله — كشف له عن وجه هداه، وحُلّي عن موارد/ رداه، وتبيّن له ان هذا الامر العزيز هو المركب المنجي، السائق الى السعادة الباقية المُزْجي، الذي لا يؤخّر عثارَ من صدف عنه ولا يرجِي ؛ فبادر إلى الدخول فيه بِدَارِ مَن خلُصت سرائره، وطويت على مودته ضمائرُه، ورأى ان ذلك تُمحى به خطاياه وتغفر جرائرُه[8]، واذاع الدعوة المهدية في جميع بلاده[9]، واعلن بها، وابدى الاعتلاق بعصمتها والتمسك بسببها، ولقي الموحدين — ايدهم الله بتقواه — ملاقاة اللائِذ بظلهم، المتمسك بحبلهم، المستنيم المستسلم، المنطوي على الولاء الأخلص والود الأسلم، والحمد لله على ذلك حمدا تتوالى به فتوحُه، ويتصل به مبذول احسانه وممنوحُه[10] .

م م/252

وخاطبناكم بذلك — ادام الله كرامتكم — لتجددوا شكر الله تعالى على ما أسبع من نعمة وأُولى ؛ وتسلكوا منه سبيلا يكون احرى بازديادها مَا مَنّ بها ووالى ؛ والله تعالى يوالي لديكم آلاه[11]، ويسبغ عليكم ظاهرة وباطنة نعماه، والسلام الأتم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في شهر رمضان المعظم عام اربعة وستين وخمس مائة،

---

(5) ناقص في الأصل، والسياق يفرض هذه الاضافة.

(6) في الأصل المصور : بطريقها.

(7) راجع الهامش رقم 8 بعده.

(8) كان ابن همشك حليفا لابن مردنيش لمنع الموحّدين من الاستقرار بالاندلس او توسعهم في شرقيها فاشتدت ضغوط ابن همشك على جهات قرطبة واشبيلية وغرناطة منذ عهد عبد المومن : المن (116 — 117) و (126 — 127) و 145 و186 وما بعدها، و192 فما بعدها، العبر 6/(495 — 496).

(9) كانت منطقة نفوذه تشمل بالخصوص جيّان مقر اقامته وبياسة وابذة، وربما كانت اندوجر قاعدة متقدمة له على الوادي الكبير : انظر المن ص 201 و 271، والعبر 499/6 وعنان (عصر المرابطين والموحدين) ج 1/ (346 — 347) و 387 و390 وج 2/ 39 — 40، الحلّة السيراء ص 230 (ضمن ترجمة وزيره ابي جعفر احمد بن عبد الرحمن الوقشي).

(10) قطع ابن همشك صلته نهائيا بابن مردنيش عندما كتب الأول الى الشيخ ابي حفص بالدخول في طاعة الموحدين ثم حضر بنفسه لديه ولدى والي قرطبة السيد ابي اسحاق في رمضان عام 564 كما كتب الى الخليفة عن نفسه في نفس الموضوع فقبل طاعته، المن 338 فما بعدها، الاحاطة ج 1/ 310 الحلة السيراء 230 فما بعدها.

(11) كذا في الأصل المصور، والاصح : آلاءه اي نعمه ومفردها الإلْي والإلَى والأَلى.

الرسالتان 27 و28 :

رسالتان عن الخليفة يوسف من اشبيلية إلى أهل مراكش حول معركة بفحص هلال

تقديم :

لم يتدخل الموحدون بشكل فعال في الأندلس الا ابتداء من عهد الخليفة يوسف، فقد مات عبد المومن وهو يستعد للجواز الى الاندلس ولما خلفه ابنه يوسف سرّح الحشود ريثما يستقر له الأمر، وفي سنة 566 وصلته الحشود بما فيها العرب بعد استدعائهم وجاز بهم الى الاندلس حيث بقي هناك الى سنة 571، وكانت الاندلس انذاك تعاني من الضغط على جبهتين : جبهة الغرب من طرف البرتغاليين، وجبهة الشرق من طرف ابن مردنيش الذي كان يهدد احيانا قرطبة واشبيلية غير ان نفوذه بدأ يتراجع منذ هزيمته في اخر سنة 560 خارج مرسية، ثم تخلي اعوانه عنه تدريجيا الى ان مات سنة 567 فانضم شرق الأندلس إلى الموحدي، وبعدما استراح الخليفة من مشكل ابن مردنيش قام بحملة لفتح مدينة وبذة أواخر سنة 567 انتهت بالفشل، ثم سرح الجيوش واستقر باشبيلية، وفي هذه الاثناء وصلت مجموعة من النصارى الى جنوب الوادي الكبير، واسرت عددا من الناس واختطفت الماشية وعادت في اتجاه قلعة رباح (بفحص هلال) جنوب طليطلة، فوجه الخليفة مجموعة من فرسان الموحدين والعرب ادركتهم بفحص هلال قرب قلعة رباح وهزمتهم وقتلت زعيمهم الذي حمل رأسه الى الخليفة، وبعد وصول خبر النصر وجه من اشبيلية رسائل اخبارية منها هاتين الرسالتين الاتي نصّاهما : الأولى من انشاء ابي الحكم ابن عبد العزيز (المرخي)[1] وردت ضمن الزوائد الملحقة بمخطوط العطاء الجزيل من ص 1 الى ص 3 والثانية من انشاء ابي الحسن ابن زيد[2] وهي ضمن الزوائد المذكورة من ص 19 الى ص 21 والرسالتان معا مؤرختان ب 24 شعبان سنة 568، وهذان نصّاهما :

---

(1) انظر التعريف به ضمن تراجم الكتّاب في المقدمة.

(2) انظر نفس المقدمة والصفحة. ان الرسالة المنسوبة إلى ابن زيد في مخطوط العطاء الجزيل هي نفسها المنسوبة إلى ابي القاسم القالمي في (م ر م) لبروفنصال تحت رقم 22، وسنختصر الاشارة الى هذه الرسالة (لبروفنصال) بحرف (ب) في الهوامش.

ملاحظة :

مابين هلالين منفردين في النص (   ) كتابة غير واضحة كلا او بعضا بفعل الأرضةعبالخصوص او لتغطيته بورق اللصاق، ويملأ الفراغ احيانا اجتهادا، اعتمادا على فك قراءة بعض الحروف.

ع ز/1 الرسالة السابعة والعشرون : (وهي رسالة ابي الحكم ابن المرخي) :

من امير المومنين بن أمير المومنين[3] — ايده الله بنصره، وامده بمعونته — الى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان[4] والكافة بمراكش[5] — ادام الله كرامتهم بتقواه، وأوزعهم شكر نعماه — سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، ونشكره على آلائه ونعمه[6]، والحمد لله الذي جعل لأولياء امره وحماة دينه عقبى الدار، وشرف الإيراد والإصدار، وايد بهم دينه (المظهر) على الدين كله برغم المشركين الكفار، وشفى صدورهم من عبدة الصُّلبان حَصَبِ النار[7]، وانجز لهم وعده فيمن ناوى امره واخذ لهم فيه بالثأر، والصلاة على محمد مصطفاه ونبيه المبتعث بالحِكم والانوار، المبشِّر بان مُلك امته يبلغ مشارق الأرض ومغاربها الفسيحة المضمار، وعلى آله وصحابته[8] المصطفيْن الأخيار الأبرار، الباذلين في الله انفسهم النفسية المقدار، والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، وارث مقام النبوة والعصمة بالاستحقاق والاستيثار، المجرِّد في الذب عن دين الله سيف النصر له و(....)[9] الداعي الى سبيل ربه على بصيرة استمدَّت من مشكاة الأنوار، وعن صاحبه وخليفته وحواريّه (....)[10] امير المومنين منوّر البصائر والابصار، وممشي امره العزيز الى غايته من الاعلاء والاظهار.

فانا كتبناه اليكم — كتب الله لكم بشائر يعزّ بها جانب الايمان، ويشعر بانتجاز وعد الله الصدق في عبدة الصُّلبان، وتعرف من آيات هذا الامر العالي ما تقوم آثاره مقام العيان — من حضرة اشبيلية (....)[11] الله، والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه،

---

(3) اي الخليفة يوسف بن عبد المومن.

(4) هذا تعبير عن الفئات الاجتماعية العليا والادارية بالحواضر الكبرى، والرسالة هنا موجهة بالاساس الى السيد ابي عمران بن عبد المومن النائب اٍنذالك بمراكش «وهو من اولاد عبد المومن النجباء الطلبة الادباء» (البيان 99).

(5) عن مراكش انظر الهامش (90) في الرسالة رقم 6.

(6) انظر الفصل الثالث حول هذا التقديم.

(7) حصب النار : كل ما يرمى فيها كالحطب (لسان العرب)، وحمة النصارى : شوكتهم السامة (المصدر نفسه).

(8) نلاحظ في رسائل الموحدين الأوائل ذكر صحابة الرسول قبل ذكر المهدي، ومنذ عهد الناصر نلاحظ عموما الانتقال المباشر من ذكر الرسول إلى المهدي إلى الخلفاء «الراشدين» (الموحدين)، قارن بين رسائل ابن عياش زمن المنصور ورسائله زمن الناصر (مثلا 26 و27 في م ر م)، قارن ايضا رسائل المجموعة الجديدة الى عهد المنصور مع رسائل العهد الذي يليه.

(9) كلمة غير واضحة في نهاية السطر.

(10) كلمة غير واضحة في آخر السطر يحتمل ان تكون (الامام) بالمقارنة مع رسالة نفس الكاتب من قفصة الآتي نصها قريبا وهي رقم 30.

(11) كلمة مأروضة قد تكون : (حرسها).

وأن تعلموا ان (هذا)[12] الأمر العظيم هو أمر الله الذي اختصه بشرف الكمال، ووعده بالاستيلاء على اهل الكفر والضّلال، (....)[13] طائفتَه المنصورة بجنود منه تخدمهم في جميع الاحوال، قرَ(نه) بالنصر، وحفَّه بكرم الصنع وبسط (.....)[14]/ في الأرض وأرسل بين يديهم سوابق الرعب وقوادم السعد، وقضى أنّ لهم عاقبة الظفر والفلح، وإن ظهرت للكافرين مخيّلة انبساط وقرينة إمهال او إملاء، فلله سرٌّ طـ(ـوى)[15] لأمره العزيز الخيرة فيه، ولكل أجل كتاب يبلغه ويستوفيه، إنما يملي لهم سبحانه ﴿ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾[16].

ع ز/2

وقد كان اهل آبلة[17] من الروم ـــ دمرهم الله ـــ الشوكة التي لا تُخْضَد، والشباة التي لا تُفَلّ، والشررة[18]التي لا تُطفأ، والحد الذي لا يُكسَر، عتوّاً على الله واستشراء[19]، واغترارا بامهال الله لهم وطغيانا ؛ وكانوا للاسلام واهله الجار المصاقب، والعدو المناصب، يميلون على جوانبهم بالغارات، فلا يجدون من يصرف تطاول اعتدائهم[19] ولا من يردع أعنة استشرائهم[19] قد (نامت)[20] عنهم الحوادث وأمهلتهم الأقدار، وأرْخت في طِيَلهم الايام، فظنوا أنْ لا مطمع في جلادهم، ولا مُقارِع لأعدادهم، إلى أن أذن الله تعالى في استئصال شأفتهم، وخضْدِ شوكتهم، ونحتِ أثلَتِهم، وانجعافِ أرزتهم[21]، فالتفّوا على رجيم من شياطينهم كان قد عسا في الكفر عودُه[22]، وطال في الضلال انتزاؤه، وجمعوا ممن انضاف اليهم من اهل إلبَه[23] وطَلَبيرة[24] والإفْرَيْرِيّين[25] وغيرهم جمعا كثيفا من الفرسان والرجالة، كان جميعهم للسيوف نُهُباً، وللرماح أُهُباً، وقصدوا هذه الجهات ـــ حماها الله ـــ وهم يظنون ان الموحدين مفترقون في مواضع إسكانهم، ومقرّ استيطانهم[26]، وأنه لا يُشعر بهم إلاّ وقد تمت فتكتهم، وحقت اوبتهم.

---

(12) كلمة مغطاة.

(13) كلمة مغطاة ما بعدها مفعول به، ولعلها (ونصَر)

(14) كلمة مغطاة قد تكون : (لهم).

(15) كلمة ناقصة بفعل الأرضة قد تكون : (طوى).

(16) من الآية 178 من سورة آل عمران.

(17) آبلة AVILLA :مدينة في جنوب شرقي مملكة ليون، فهي ضمن هذه المملكة (حسب المن 380)، واهلها مشهورون في الغزوات (حسب ابن سعيد في بسط الأرض 113).

(18) كذا في الأصل.

(19) في الأصل بدون همزة.

(20) الميم في الكلمة مأروض، وما أثبته ارجح، بمعنى غفلت عنهم الحوادث.

(21) الاثلة : نوع من الشجر خشبه صلب. انجعفت الشجرة : انقلعت.

(22) عسا : غلظ وصلب، والمقصود هنا سانشوخمينو المسمى ابو برذعة، انظر الفصل الثالث.

(23) البه : كتبت في مصادر اخرى ألبة، انظر نفح الطيب 1/ 337 و 338. البيان 2/ 98 و 99.

(24) مدينة حصينة مشهورة في الغزوات (بسط الارض 112، الادريسي 551 ن الايطالية، (م ر م) ص 234.

(25) من مراكز الافريريين ايضا «القلعة المسمّاة ببطربونة» : (م ر م) ص 239، انظر عن الافريريين مجلة هسبريس 1941 ص 53 وعنان 528/1.

(26) لعله يقصد المستقرات التي ذكرها البيذق في اخباره (89).

وقد كنا ـــ بتوفيق الله ـــ عندما سمعنا باقترابهم من بلاد المسلمين، وتحقق قصدُهم لها، طيّرنا الى مَن خف وقرب من الموحدين والعرب[27]، ـــ أعانهم الله ـــ فبادروا مسرعين، ولبّوا مهطعين، وارصدنا لهذه الشرذمة الذميمة منتظرين عادة الله لأمره العزيز من الفتح الموعود والنصر الموجود ؛ وانتهى اعداء الله الى الوادي الكبير ما بين اشبيلية وقرطبة، فـ(ـألفـ)ـوا هناك ممن آسروه[28] مَن أعلمهم ان الموحدين ـــ أعانهم الله ـــ قد نَذِروا بقدومهم، وأعدّوا (ل)طروقهم و(قَدُ)ومهم، فانصرفوا عن مقصَدهم[29]، ونكّبوا عن وجهتهم، وخافوا وبال امرهم، وجدّ جِدُّهم الى جهات قرطبة ـــ حماها الله ـــ فاجازا الوادي الكبير هناك، ومروا على الحصون التي على الوادي من ضفة الكتبـ(انـ)ـية، واستمروا الى مابين استجة وقرطبة، فألْفوا هناك غنايم مجموعة وشاءاً كثيرا، فاكتسحوا جميعها[30]، ثم عكفوا على قِبلِّي قرطبة في كنبانيتها[31] ليجعلوا ذلك طريقهم الى الجهات الشرقية منها مما يلي مُنتور، فكان ذلك، وغنموا ما وجدوا في طريقهم، واجازوا الوادي قرب مُنتور منصرفين، وقد طمعوا في الإفلات من يد الله المدركة، واسباب أخذهِ المهلكة[32].

وقد كنا عند وصول اخبارهم بإجازة الوادي والتوجه الى قرطبة قد أتبَعْناهم من كان استنفر للغزو من الموحدين والعرب صحبة اخواننا واشياخ الموحدين والحفاظ[33] ـــ اكرمهم الله ـــ وامرناهم بالجد في جهادهم، واتّباعهم ولو الى بلادهم، فجدّ اعداء (الله) يوم أجازوا الوادي الكبير قاصدين جهات قرطبة ومن (غـ..)[34] فقطعوا مسافة لا يطمع في مثلها بالسير (...ـلها)[34] إلا أجنحة الطير، وجدّ الموحدون الذين انفذناهم لاتّباعهم ـــ أعانهم الله ـــ جداً رأى الله فيه (...هم)[34]، وأيّد به امرهم، ووصلوا قرطبة على اثر مرور العدوّ ـــ دمّره الله ـــ في قبليّها مستبصرين فيما (ارد)ناه لهم من ان لا يتراخوا في اتّباعهم، ولا يفشلوا عن قِراعهم ومِصاعهم، حتى ينجز الله فيهم (وعده) المسئول، وأَخْذَه المأمول، واتفقوا هناك مع الشيخ الأجل ابي حفص[35] ـــ اعزه الله ـــ على سلوك (طريق) غير طريق العدوّ تيسّر عليهم لَحاقه وتخرجهم أمامه،

---

(27) هم عرب جشم ورياح وبني عدي (المن 144).

(28) عدد الاسرى يفوق 150 أسير (المن 519)، ولكنه لم يبلغ المئات كما ذكر ميلتشور ونقل عنه بروفنصال (هسبريس 1941 ص 53).

(29) كان صاحب آبلة يقصد جهات اشبيلية «على ما عهد في زمانه وحالة طغيانه» (البيان 98

(30) في المن (519) : 000 50 رأس من الغنم و200 رأس من البقر، وفي البيان المطبوع (ص 98) : 000 2 رأس من البقر، 000 50 من الغنم وهذا في نواحي استجة.

(31) في رحلة ابن جبير (231) وفي مقتبس ابن حيان (259/5) : قنبانية قرطبة، ويكتبها ميراندا La campina (التاريخ السياسي 1/ 268)، ويجعل الادريسي قرطبة واستجة ضمن اقليم «الكنبانية» (537 ن الايطالية).

(32) تقع منتور شرقي قرطبة فيما بينها وبين اندوجر، انظر هذه العمليات في المن (518 ـــ 519) ط بيروت، والبيان (98 ـــ 99)، والقرطاس 212.

(33) راجع الفقرة الثانية من الفصل الثالث.

(34) قدر كلمة مأروضة.

(35) اصبح مسؤولا عسكريا عن قرطبة منذ توجهه اليها على رأس قوة عسكرية سنة 564 (الرسالة 24 والمن 522).

ع ز/3 فكان ذلك، (ومشوا) جميعا والسعادة/ تخدمهم، والخِيَرة تتقدمهم، ونفذوا على جبل قرطبة يوم الاثنين السابع عشر من شعبان المكرم[36]، وواصلوا سيرهم يوم ذلك ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء، وطلائعُهم على العدوّ تساير ممشاهم[37]، وتعرف مغزاهم، وفي يوم الأربعاء المذكور تقارب الجمعان، وتراءت الفئتان، فاعتصم اعداء الله بجبل هناك في آخر فحص يعرف **بفحص هلال**[38]، مطلٍّ على جهات قلعة رباح، ليلوذوا بقُنّته ويتمنّعوا في اعاليه، ومعونة الله لأوليائه تهوّن عليهم الصعب وتيسّر لهم الوعر، فتسنّموا تلك القنن الى الاعداء، واثقين بمولاهم الذي لا تزال آثار نعمته عليهم قائمة، وصنائع رحمته لديهم راهنة، وصعدوا عليهم مستسهلين في ذات الله وعره، مستشعرين من الله سبحانه نصره ؛ وكانت للأعداء هناك شدّات وحملات كادت تَحطم الجبال، وتزلزل الأبطال[39]، لاكن وجدوا اولياء الله اصدقَ أسِنّة، وافسحَ في ضنك المجال اعنّة، وأمد الله اولياءه بما عودهم من عوائد صنعه وكريم جنده، فولى الاعداء الدُّبُر يتساقطون في الأوعار، ويموتون قِعْصاً تحت ظلال الأسنة والشفار، فحُطُّوا من ذلك المرتقى مصغَّرين، وانزِلوا منه مقتَّلين ومكسَّرين، وتمشَّى القتل فيهم كذلك من عصر يوم الاربعاء الى نصف ليلة الخميس، حتى قدر انه لم ينج منهم الا من ستره الليل او اخّره الحِمام[40]، وشفى الله منهم الصدور شفاءاً اذهب وَحَرَها[41]، وطيَّبَ لها ظفرها، وتمّم بذلك على المومنين النعمة فكمّلها ووفّرها، واطلق الله اسرى المسلمين المضطهدين من يد إسارهم، وقسرِ اقتهارهم، وقد عظّم منّة هذا الأمر عليهم، وأظهر آياته الكبر لهم، وكذلك جميع غنائمهم توفرت لهم، حتى رجعت عليهم محوطة بحياطة هذا الامر العظيم، مكلوّة بصنع الله الكريم[42].

واخذ الموحدون في الإياب، وقد وفّر الله أجورهم، وذخر لهم كريم مَقامهم في المِصاع[43]عن دينه والجهاد في سبيله، واظهر سبحانه باهر الآيات في سلامة جميعهم مع لقاء هذا الجمع الكبير، والجمّاء الغفير، والشّوكة الحديدة[44]، والفرقة الشّديدة، فلم يصب منهم احد[45] والحمد لله رب

---

(36) وصلوها ضحوة يوم الاحد 16 شعبان والنصارى قد جازوا بالامس الوادي الكبير عند القصير (المن 519).

(37) كانت الطليعة التي تساير العدو بقيادة الحافظ ابي عمران موسى بن حمو الصنهاجي صاحب يابرة الخبير بشؤون الثغور (المن 520).

(38) له اسم اخر هو فحص كركوي (المن 520).

(39) هل هذا اعتراف بشدة المعركة ام هو مجرد تهويل ؟ يقول الكاتب محمد الحلبي : «لا باس بتهويل امر العدو ووصف جمعه واقدامه، فان في تصغير امره تحقيرا للظفر به» (حسن التوسل الى صناعة الترسل ص 335).

(40) انظر نتائج المعركة في الفقرة الثانية من الفصل الثالث.

(41) الوحر : الغيض والحقد.

(42) افتك الاسرى المسلمون واعيدت الغنائم لأصحابها (المن 522).

(43) المصاع : القتال.

(44) الحديدة : المجاورة أو القاطعة.

(45) ادعاء يوجد مثيل له عادة في رسائل اخرى (مثل رقمي 10 و 68).

العالمين ؛ وطيَّروا[46] بهذا الفتح الخطير قبل استيفاء جمع دوابّهم، وتحصيل اسلابهم[47]، وانفذوا الينا راياتهم المنكوسة، وصلبانهم الكاذبة تعجيلا للبشرى، وتعظيما لهذه المنة الكبرى.

وقد عَنون هذا الفتح الجسيم على ان وراءه للموحدين ــ اعانهم الله تعالى ــ فتوحا تطّرد[48]، واياما على الاعداء تنسرد، وبشائر من اخواتها تتّحد[49] ولا تنفرد، فهذه كانت رحى الأعداء، وجلّ الدّاء، واذ قد اذن الله بمحو اثرهم (وإطفاء) شررهم، فما بعدهم ــ بحول الله ــ ايسر، وجانب الأعداء على الموحدين اهون، ومرام الفتح فيهم بعدُ اسهل واقرب، والروم كلَّ يوم يُلقون الى هذا الامر العزيز بيد الاستسلام، ويضرعون في التمسك بحبل من اهل الاسلام[50]، وسيقبل ذلك ممن ظهرت مخايل الخير عليه، وتوجهت رحمة من الله اليه، ويُتفرغ الى غير(هم) فيُمال عليهم ميلة تَحطِم الرقاب، وتلِج عليهم الأنقاب[51]، حتى ينجز الله فيهم وعده الصادق، ويظهر دينه على الدّين كله ولو كره الكافرون[52].

والله سبحانه يُسمعكم مسرات تتجدد على الآذان مع الاحيان، ويُعْلقكم من طاعته بما يؤدي الى رضى الرحمان، بمنه ؛ ولْتَـ(ـذكروا) ــ وفقكم الله ــ هذه النعمة الخطيرة بواجبها من الحمد والشكر، والإذاعة والنشر، والله يجعلكم من الحامدين الشاكرين بمنه، لا ربّ غيره، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الرابع والعشرين من شعبان (المكرم) سنة ثمان وستين وخمس مائة.

---

(46) المسؤول عن حمل خبر النصر هو يحيى بن الوزير ابي العلاء بن ابي اسحاق ابن جامع (المن 522 ــ 523، البيان 59).

(47) شملت الغنائم « الدروع والبيض والخيل والبغال والحمير» (المن 522، البيان 59).

(48) ستتوجه فعلا حملات نحو الغرب وطليطلة وسيضطر النصارى لطلب الصلح (المن 525 ــ 527 والرسالة 29).

(49) في الأصل : لا تتحد ولا تنفرد.

(50) انظر الرسالة 29.

(51) في الأصل : الانفاب (بالفاء).

(52) اقتباس من الآية 33 من سورة التوبة «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

ع ز/19 الرسالة الثامنة والعشرون (من انشاء ابي الحسن بن زيد) :

((1) من امير المومنين بن امير المومنين — ايده الله بنصره وامده بمعونته — الى الطلبة والموحدين والشيوخ والاعيان والكافة بمراكش — ادام الله كرامتهم بتقواه، واوزعهم شكر نعماه سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على نبيه المصطفى محمد رسوله، و))[2] الحمد لله الذي قدم لأولياء امره[3] فيما يرومونه من كبت العدو[4] وقهره يوما على الكافرين عصيباً، وصنع لهم في ابراز الكفرة الى مضاجعهم وَسَوْقهم على قدم الاغترار ((إلى مصارعهم)) صنعاً عجيباً، ووعد القائمين بدعوته ((و)) الناصرين لملته فتوحا آزفة يفتحونها ومغانم كثيرة يا خذوها «فجعل[5] من دون (ذلك) فتحا قريبا»[6]، وصلى الله على نبيه المصطفى[7] الهادي الى سبل السلام ترغيبا وترهيبا وعلى آله وصحبه ومن لبّى دعوته الى ربه سامعا مجيبا، ساميا في مقام النصرة ومحل الأثرة اغرّ[8]، نجيبا، ونسأله الرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجدد لدينه عندما عاد غريبا كما بدأ غريبا، وذهبت به الاهواء المتبعة والاضاليل المبتدعة تصعيدا وتصويبا، وعن صاحبه وخليفته الامام امير المومنين مؤازره (ومظاهره) توسيعا لأكناف الدعوة العلية وترحيبا، ع ز/20 ووارث مقامه الكريم واهلية القيام بامره العظيم من(صورا ومفتوحا/ له) ومصيبا.

وإنا كتبناه اليكم — كتبكم الله ممن احسن تلقّي البشائر، ووفّى النعمة حقها من شكر الشاكر، وجعلكم من الذين اشرقت بهم[9] انوار الهداية فائضة على الابصار والبصائر — من حضرة اشبيلية[10] — حرسها الله ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وان تعلموا ان لله في هذا الأمر العالي وما ناط به من اظهار الدين ونصر الملة واعلاء الكلمة افعالا خافية وعالنة، وآثاراً ظاهرة وباطنة، واسراراً متجلية[11] ومحتجبة، ولطائف

---

(1) *ملاحظة : ما بين هلالين مزدوجين (( )) غير وارد في الرسالة رقم 22 من (مجموع رسائل موحدية) لبروفنصال وما بين هلالين منفردين ( ) غير واضح في العطاء كلا او بعضا.

(2) هذا البتر في اول رسالة (م ر م) جعل بروفنصال ينسبها الى عبد المومن، بغير انه استدرك خطأه في تحليل الرسالة (هسبريس 1941 ص 53).

(3) في (ب) : لأوليائه.

(4) في (ب) : ...«من تدويخ العدو».

(5) في (ب) : فعجل.

(6) الآية 27 من سورة الفتح.

(7) في (ب) : المصطفى محمد الهادي.

(8) في (ب) : اعز.

(9) في (ب) :لهم.

(10) في (ب) : فلانة.

(11) في (ب) : محتلية.

مـ(ـشـ)ـهودة ومتغيبة، فمهما انسي لعداته في (امل)[12] الامهال ((وأرخي لهم في طول الاملاء،)) فليساق لأولياء الله الفتح فيهم بالمساق العجيب، وليترتب لهم حال القطع لدابرهم والاستيصال لشافتهم في اجمل صور الترتيب، اشارة للعناية ودلالة على الاثرة وتنبيها على الارتقاء في الاسباب، وتبصرة ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[13].

وقد كان مُقامنا[14] بهذه الجزيرة ـــ مهدها الله ـــ لتتميم المقصود فيها من اظهار الدين ونصر الملة ومرابطة في مصاقبة العدو ـــ قصمه الله ـــ وفي مهلة النظر في حسم دائها، واجتياح[15] اعدائها، ((الى ان)) بلغنا ان جملا ذميمة من النصارى ـــ لعنهم الله ـــ اهل آبلة[16] وما أخذ إخذها، ومن انضاف اليهم من الفِرَّيْرِيّين[17] وغيرهم[18] ـــ كبت الله جميعهم ـــ قاصدون قصد هذه الجهات[19] كلأها الله ؛ وقد وقعت الاستفاضة وحصل العلم بان اهل آبلة حُمة النصارى وحماتهم، وبؤساهم[20] وكماتهم، وجمرتهم الملتهبة وجمهرتهم[21] المتغلبة، والشوكة التي لم يخضدها قبل خاضد، والشجرة الملعونة التي لم يعضُدها على النار عاضد[22]، وانهم بما خبأ الله ((من الفتح)) فيهم لأولي امره واولياء نصره سولت لهم انفسهم الحائنة الخروج للغارة[23] بهذه الجهات ـــ كلأها الله ـــ تخيلا منهم ان جيوش الموحدين[24] قد تفرقت ذاهبة، وسرِّحت قافلة[25]، ((و)) وانتهازا منهم ((في))[26] زعمهم للفرصة قبل احتفال الجنود، والاحتشاد لوقت الغزو ((المعهود)) ؛ فاستمروا مصممين، وتهوّروا مقْدمين؛ ومازالوا يتقدّمون الى حتفهم، وتُضرَب[27] أُسداد الغي من

---

(12) يمكن ان تقرأ في المخطوط (امد)، وهي في (ب) : اجل.

(13) من الآية 54 من سورة غافر.

(14) كان جواز الخليفة الى الاندلس سنة 566 حيث دخل اشبيلية في شوال (المن 298)، انظر الفصل الثالث.

(15) في (ب) :استباحة.

(16) في (ب) : ان رجالا من ذميمي النصارى وقمهم الله من اهل آبلة «راجع الهامش 17 في الرسالة السابقة.

(17) في (ب) : الافريرين، راجع الهامش 25 على الرسالة السابقة.

(18) الرسالة السابقة تذكر بعض من انضموا الى اهل آبلة وطلبيرة وغيرهم : انظر الهامش 99 في ص 42 من «رسائل ديوانية» (تحقيق د. الهيلة) حول الافريريين.

(19) في (ب) : الجهة.

(20) في (ب) : ورؤساؤهم...

(21) في (ب) : وحوزتهم.

(22) في (ب) : والشوكة التي لم يحصدها قط حاصد، والشجرة الملعونة التي لم يقصدها على مرّ الدهر قاصد، انظر المن (518) عن حملات الاحدب صاحب ابلة على بلاد المسلمين والفقرة الثانية من الفصل الثالث.

(23) في (ب) :الحائنة الخروج الى الغارة.

(24) في (ب) : ان جنود الله الموحدين.

(25) كانت اكثرية العساكر قد سرحت في مطلع 568 بعد فشل حصار وبذة (البيان 97).

(26) في (ب) : منهم بزعمهم.

(27) في (ب) : وتنضرب.

بين أيديهم ومن خلفهم، مغالطين بالجرأة، متخمطين بالبسالة، خارقين لحجاب المهابة، ناكبين عن سمت الاصابة، الى ان بلغوا هذه البلاد ـــ حماها الله ـــ وأجازوا الوادي الكبير بين قرطبة واشبيلية، واكتسحوا جملا من الغنم[28] بجهة استجة[29]، ثم عطفوا على الموضع ((الذي يقال له)) الكنباتية من قبلي قرطبة[30]، وجعلوا ذلك طريقهم الى منتور[31].

ولما اتصل بنا نبؤهم[32] الذميم، وتوجه فيهم الصنع الكريم، استخير[33] الله تعالى على تمييز العساكر المنصورة، وتسريبها اليهم مع الطلبة وأشياخ الموحدين ـــ اعانهم الله[34] ـــ فاتبعوهم مجدّين ((مستعينين بالله (...)[35] مستنجدين))، واجتمعوا بالشيخ الأجل ابي حفص[36] ـــ اعزه الله ـــ ومن هنالكم[37] من الموحدين ـــ اعانهم الله ـــ وعرَّفوا بمتجدد[38] حالهم، وما انكشف لهم من صور الاحوال في حلهم وترحالهم[39]، واستمدوا الأوامر التي عادة الله تعالى اسعادُ مطيعها، وتوفيق المسندِ إليها، فأُمِروا بصدق لقاء العدو ـــ قصمهم الله ـــ واخذهم[40] على بركة الله الذي سبقت كلمته ان ينصر من ينصر دينه ويبذل في مجاهدته اخلاصه ويقينه ؛ فاستمروا في جد الاتباع على وجههم الميمون، و ((الى)) نصرهم المضمون ؛ ودرجت ايامٌ قدرَ ما يوصَل الطالب الى المطلوب، ويتمخض بمكروه الكفرة[41] (فـ)ـهو عين المحبوب[42]، الى ان هتفت البشائر مالئة الأسماع، طالعة من احسن ثنايا الاطلاع، وورد الفتح الجليل، والصنع الجميل، ووصل من اعيان الموحدين[43] ـــ اعانهم الله ـــ من شهد ((ذلك)) اليوم الذي اخِذ فيه للإسلام منهم الثار، وعرّف الكافرين[44] لمن عقبى الدار، معهم اعلام الروم المنكوسة فيها تماثيلهم وصلبانهم، (وافتـ)ـراؤهم على

---

(28) في (ب) : الغنم كثيرة.

(29) انظر الهامش 30 على الرسالة السابقة.

(30) في (ب) : الموضع المعروف بالكنبانية، راجع الهامش 31 على الرسالة السابقة.

(31) راجع الهامش 32 على الرسالة السابقة.

(32) في (ب) : نباؤهم الذميم.

(33) في (ب) : استخرنا.

(34) في (ب) : مع اخواننا واشياخ الموحدين اعزهم الله.

(35) حرف ماروض وقد يكون : (و).

(36) راجع الفقرة الثانية من الفصل الثالث والهامش 35 على الرسالة السابقة.

(37) في (ب) : ومن هنالك.

(38) في (ب) : بمجرد متجدد حالهم.

(39) في (ب) : وارتحالهم.

(40) قصمه الله وأخذه.

(41) في (ب) : ويتمحص،،، الكافر.

(42) وهو غير المرغوب.

(43) راجع الهامش 46 على الرسالة السابقة.

(44) في (ب) : للاسلام بميلم النار، وعرف الكافر،،،.

ع ز/21 الله وطغيانهم، ورأس شيخهم الذميم، وشيطانهم الرجيم، (واتِر) اهل الايمان، واشدّ الكفرة/ عُتيّا على الرحمان[45] ؛ فذكر الواصلون ان الموحدين ـــ اعانهم الله ـــ اتبعوهم مغذّين[46]، وارهقوهم مشمّرين، في الركض مجدّين الى آخر فحص هلال[47]، وقد طمع الاعداء بالنجاة، (فتـ)ـهيأ هنالكم اللّحاق والادراك، وتراءى الايمان والاشراك، فرأى الكفرة من بأس الله الذي لا يُردّ، وجنده الذي لا يُصدّ، ما هالهم وراعهم، وأنساهم جلادهم ومِصاعهم، وعلى ذلك فطمعوا في الدفاع، وارتفعوا إلى اليَفاع، وحملوا حملات قاصرة، وكرّوا كرّات خاسرة، إلى أن حقت عليهم[48] الـ(ـكلمـ)ـة، وحاقت بهم النعمة[49]، وأخذتهم السيوف المستلحمة، وانصبّت عليهم الجيوش من كل جانب، وصيرتهم الحماة[50] كأمس الذاهب، وأولياء الحق وأنصار الله وأهل طاعة أمره[51] قد هبّت لهم ريح النصر[52]، وطلعت عليهم شراقات الفتح[53]، لم يُنَل منهم نَيْل، ولم يَقُمْ للكفرة في جانبهم مَيْل، الى ان ولّى اعداء الله الأدبار، وابتدروا الفرار، وخَلّوْا عن غنائم كانوا استاقوها، وأُسارَى من المسلمين غلّ الله عن قتلهم أيديَهم[54]، وكفاهم تعدّيَهم، وتمت على اعداء الله الهزيمة، والوقعة[55] العظيمة، والتقِطوا في بقية تلكم الأناء، وقُتِلوا قتل الفَناء[56]، حتى صَمّت حصاةٌ بدم، ولم يكد ((ان)) يبقى بين القتلى محطُّ قدم، ((و)) اقتُصُّوا كذلك تَلفِظُهم الشواهق، وتُرديهم المهاوي، ويَنمّ عليهم الليل وهو كاتم[57]، ويَكلَحُ[58] لهم الصبح وهو باسم، ولا تُذِمُّ عليهم غيضة ملتفة، ولا شجْراء محتفّة[59]، بل يقول الحجر : يا مؤمن، هذا الكافر خلفي فاقتله، وإلى سواء الجحِيم فاعتُله، أينما ثُقِفوا أُخذوا وقُتّلوا تقتيلا سنّة الله [التي خلت][60] من قبلُ ولن تجد لسنّة الله تبديلا[61] ((ولن

(45) في (ب) : عتوا على الرحمان.

(46) في (ب) : معدين.

(47) راجع الهامش 38 على الرسالة السابقة.

(48) في (ب) : ...زحفت عليهم...

(49) في (ب) : النقمة.

(50) في (ب) : ورأوا الحياة.

(51) في (ب) : وأولياء الله وانصار الحق اهل...

(52) في (ب) :رياح النصر.

(53) في (ب) : شارقات الظفر.

(54) في (ب) : أيديهم عن قتلهم.

(55) في (ب) : والواقعة.

(56) في (ب) : العناء.

(57) فالمعركة جرت أولا بالسهل ثم انتقلت إلى الجبل وامتدت من النصف ليوم الاربعاء 19 شعبان إلى الليل (لمن 521).

(58) في (ب) : ويلكم.

(59) في (ب) : غيطلة ملتفة ولا شجرة محتفة.

(60) في الآية : سنة الله في الذين خلوا من قبل...

(61) الآية 61 من سورة الأحزاب.

تجد لسنة الله تحويلا[62]))، فالحمد لله على هذا الفتح العظيم خطْره، الجليل قدْره، الذي له مابعده، وانسياق ما يُنجِز الله فيه ((وعده)) حمداً يبلغ رضاه، ويوجب زلفاه، ويمتري المزيد من نعماه.

وهذا الفتح ــ وفقكم الله واعانكم ــ وان كان عظيما في نفسه، عاليا في جنسه، فانه للفتوح الآزفة مفتاح[63]، وبين يدي السعي فيها مصباح، فإنه[64] رائد الفتوح المنتظرة، وعنوان الخيرات الميسرة، ((ومثبت السعادة وان كانت ثابتة مقررة)) ونازل من الفتوح الآزفة[65] بمحل الباكر من الثمرة، لما أُشرِبَ فيه أولياء الله وأنصار الحق وجنود الأمر، وحماة الاسلام واحزاب الدّين من ريح الظفر، ووجدوا[66] من عز الغلب واستحْلَوا من مُذاقة[67] النصر، وتوطأ لهم من طريق الفتح المَروم[68]، وتذلل لهم من مركب الروم، اذ عرفوا ذوقهم، وساقوهم سَوقهم[69]، ولم يبق لهم في نفوسهم قدر مقاومة ولا محل مراقبة، ولما خامر الروم ــ قصمهم الله ــ من الرعة والروع وانفتح عليهم من ابواب الخطوب، وتوجه اليهم من جنود الرعب، وباءوا به من ذل الغلَب وسوء المنقلَب، وفقدوه من مُنكِب الدفاع، ورِدء الامتناع، وفرسان الجِلاد والمِصاع فانهم بعد اولئك الهلكى المطوَّحين[70] بمنزلة الرمح بعد السنان، والجسد بعد الجَنان ؛ فهذا الفتح العظيم قد عظمت به النعمى، ((والمنة العظمى)) وكثرت فيه العوائد، واستمرت منه في الحال والمآل الفوائد ؛ فوفُّوه حقه وأعطوه قِسَمه[71] (شكرا) ونشرا وإشاعة واذاعة يمتد مداها، ويبلِّغ أقصاها[72] ؛ والله تعالى يشفّعه بامثاله، ويُردفه بمُنهال الفتح ومُنثاله[73]، ويتولى توفيقكم لما يرضيه[74]، وعونكم على ما يزلف[75] لديه، بمنه ويمنه، ((وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولنا بكل خير كفيل، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الرابع والعشرين من شعبان المكرم سنة ثمان وستين وخمس مائة)).

---

(62) كذا في الأصل، وهو في غير سنورة الأحزاب.

(63) قد يدل هذا على وجود مخطط لتوجيه عمليات اخرى ضد العدو (انظر المن 525 ــ 527). يذكر صاحب القرطاس غزو الخليفة إلى كركونة (212).

(64) في (ب) : وانه.

(65) في (ب) : الاتية.

(66) في (ب) : ... الفتح وجدوا..

(67) في (ب) : من مدامة.

(68) في (ب) : من طريق الظفر الروم.

(69) في (ب) : وساقوا.

(70) في (ب) : المطرحين.

(71) في (ب) : قسطه.

(72) في (ب) : ولا يبلغ اقصاها.

(73) في (ب) : بمنهل الفتح ومنثاله...

(74) في (ب) : لما يحب ويرضاه.

(75) في (ب) : وعونكم لما يزلف لديه في أخراه بمنه ويمنه. وهنا انتهت رسالة (م ر م) لبروفنصال.

الرسالة التاسعة والعشرون :

رسالة الخليفة يوسف من اشبيلية إلى مراكش بشأن توقيع هدنة مع النصارى

تقديم :

في فترة استقرار الخليفة يوسف بالأندلس (566 ــ 571) كان الضغط الموحدي مستمرا على النصارى بالقضاء أولا على حليفهم ابن مردنيش، ثم محاولة فتح مدينة وبذة، ثم الانتصار في «فحص هلال» على «صاحب آبلة» المذكور في الرسالة السابقة، وتوجيه حملات تدعم مراكز الحاميات على الثغور مع البرتغال، وتضرب جنوب قشتالة التي كانت تعاني من عدم الاستقرار الداخلي ومن توتر العلاقات مع جارتيها نفارا وليون... وهكذا رغبت البرتغال في الهدنة مع الموحدين، كما رغبت فيها قشتالة فوجهتا إلى اشبيلية من يعقد «السلم» مع الخليفة، وكان هذا على الأرجح في مطلع سنة 569، واعتبر الخليفة ذلك «فتحا» لأنه في مصلحة تدعيم الثغور عمرانيا واقتصاديا وبالتالي عسكريا، وهو امر كان ضروريا بسبب الخراب الذي اصاب المنطقة بحملات البرتغاليين وجماعة فرسان القائد جيرالدو العامل لصالح الملك البرتغالي، فوجه الخليفة بعد توقيع هذه الهدنة رسائل إلى العُدوة منها هاته التي كتبها الكاتب أبو الحسن بن زيد الاشبيلي[1] إلى مراكش، وهذا نص الرسالة.

نص الرسالة :

ع ز/21 من أمير المومنين بن أمير المومنين ــ ايده الله بنصره وامده بمعونته ــ إلى الطلبة[2] والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمراكش ــ ادام الله كرامتهم بتقواه ــ سلام عليكم ((إلى آخر الصدر))[3].

(و) الحمد لله الذي صنع لأولياء امره والقائمين بدعوته ما كنف به حماة الأمة وانصارها، ع ز/10 (وكف/[4] عنها) ايدي الكافرين بعد أن أظفرها عليهم واعز نصرها وإظهارها، والصلاة على نبينا

(1) انظر التعريف به ضمن تراجم الكتّاب.

(2) كان اولاد عبد المومن يعتبرون من الطلبة ومن هؤلاء السيد ابو عمران النائب بمراكش في غياب ابيه بالاندلس (البيان 99)، ويبدو ان الرسالة موجهة اليه بالاساس.

(3) ما بقي من صدر الرسالة حذفه الناسخ مكتفيا بهذه العبارة، ويمكن الاطّلاع على مثال من الصدر الذي يستعمله ابو الحسن بن زيد في الرسالة السابقة (28).

(4) يبدو هنا بوضوح صحة التعديل الذي قمت به في اعادة ترتيب بعض صفحات المخطوط، حيث وقع الاضطراب في جمع بعض اوراقه ربما بسبب تفككه أو تجليده بحيث تختلف الرسالة التي توجد بدايتها في =

المصطفى محمد الناهج في هذه المقامات العظيمة والمرامات الجسيمة سننا أوضح للمقتفين آثارها، ورفع لهم منارها، وعرّف منهم أولي الأيدي والأبصار متناولها ومُشارَها، ورضي الله عن إمامنا المعصوم المهدي المعلوم مُعيد الملة ومُفيد الصحيح من الأدلة حتى قرّت قرارَها، واستمرت على السُّنن القويم والامر الحكيم استمرارَها، وعن خليفته ووليه وصاحبه وحواريّه الامامِ أمير المومنين الممشّي لدعوته العالية العالنة والمتمم انوارَها، والممكّن لها في الأرض حتى عمّت نِجادها واغوارَها.

وإنا كتبناه اليكم — كتبكم الله ممن عرف النِّعم حق عرفانها، وأقام النظر في عواقب الأمور الحميدة ومناقل الأحوال السعيدة مقام عِيانها، واستبشَر بما فتح الله للناس من رحمة وأفاض على الخليفة من نعمة في تمكين إيمانها وامانها — من حضرة اشبيلية — حرسها الله — ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعملِ بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وان تشكروا الله تعالى بواجب شكره على عظيم نعمته بهذا الأمر العزيز وما القي إلى كفالته، وأسند إلى ايالته، من حفظ الملة وحماية الحوزة والحياطة للامة والاكتناف لأرجاء الدعوة والاحيا(ء)[5]. لميْت البلاد، واجراء روح الأمن في العباد، والاستيصال للشأفة أهلَ الكفر والعناد، واعلاء كلمة الله الصالحة الباقية إلى يوم التناد والحمد لله رب العالمين.

وقد كان رباطنا[6] — وفقكم الله — بهذه الجزيرة — كلأها الله — بعد اجماعها من التوحيد على كلمة السواء، واستقامة الأمور بها بعد اعوجاجها وأمْتِهَا على سمت الاستواء، وما الَّف الله بِهذه الحركة السعيدة من القلوب وجَمَع من الأهواء[7] ؛ ودأبنا في إعمال نظر واطالة تأمل وادارة مَحالةٍ فيما فيه حسم دائها، واجتياح اعدائها[8] ؛ وبمقتضى ذلكُم تُحفِّل في امتداد الجنود، واستُظهر على المَرام المقصود، وجُمع إلى وقت الغزو المعهود، والرعبُ اثناء ذلك يسير بين يدي أولياء الله يَصرع الاقتال[9]، ويكفي المومنين القتال، وجنود الله التي لا يعلمها إلا هو تفعل في عُداته الأفعال، وتعمل فيهم الأعمال، إلى أن تسابقت وتلاحقت وفود الروم لبأس الله راهبين، وفي أخذِ حبل من الله ومن أهل دينه راغبين، قد بَخَعوا بالضراعة وتدوّخوا بالذلة وتأيّسوا بالصَّغار[10]،

= اواخر الصفحة 21 من صفحات زوائد المخطوط عما في الصفحة التي تليها من حيث المضمون ومن حيث الجهة التي صدرت عنها والجهة المستقبلة لها، وكذلك من حيث اختلاف السجع، بل وحتى الاشكال الناتجة عن الأرضة على الصفحتين 21 و 22....

ملاحظة : ما بين هلالين منفردين ( ) غير واضح في المخطوط كلا او بعضا.

(5) الهمزة محذوفة في الأصل.

(6) الخليفة يعطي صبغة دينية جهادية لحملته الى الاندلس.

(7) لا شك انه يقصد هنا «الحركة» التي وضعت حدا نهائيا لانفصال شرق الاندلس بزعامة بني مردنيش، وهي «الحركة» التي امتدت فيما بين 566 و 571، وستكون له حركة اخرى، (579 — 580).

(8) الى جانب ضم شرق الاندلس هناك الانتصار على فرسان آبلة بفحص هلال (568) والحملات الى نواحي طلبيرة وطليطلة في نفس السنة.

(9) الاقتال : (جمع قِتل) اي الاعداء.

(10) بخعوا : خضعوا، وتدوخوا : استذلوا.

وخلعوا حمية الجاهلية خلع الحذاء ونزعوا عن الزعم إلى الاستكانة والاستخذاء، وكان اولهم في ذلك ملك برتقال ونصارى الغرب[11] باذلين من انفسهم الطوع بردّ أسارَى[12] المسلمين، وشروط اعطوها مسلمين مستسلمين، وتمسّك ابن السُّلَيْطين المسمي فرّانده[13] **بعهد منا كانت بُلّت به يداه، ورأى أنه استصرف به رَاده**[14]، ثم ردفت ضراعةُ ملك طليطلة وما والاها[15] والسواد الأعظم من روم الجزيرة **على ما بينهم من تأكد فُرقة وشتات**، واختلاف في ذات بينهم وانبتات[16]، فجاءوا متطارحين متضائلين مفصحين بأن الاضطرار أجاءهم، وأن التأميل في سَعة فضل هذا الأمر العظيم (بعث) رجاءهم، وذاكرين ان لهم في الخدمة المنابَ الحميد، والغَناء الشديد، وانهم **يتضمون حفض ما بين بَطَلْيوس إلى قاصية ثغور مرسيةَ من بلاد الاسلام**[17]، ويختدمون انفسهم في ذلك باجهد الاستخدام، آيةً لهذا الأمر ما كانت الأوهام تسوِّغها، والآمال تُبلِّغها ؛ فوقعت المذاكرة في ذلكم والمفاوضة مع شيوخ الموحدين[18] — أعانهم الله — ونُظِر بحسب (التّـ)ـصْبة[19] حال الجزيرة — كلأها الله — وضعف اطرافها، واستيلاء الضنك والأزْل على ثغورها[20]، وهي التي كانت هذه الحركة السعيدة في اغاثة مستصرخيها وجبر مضطهَديها ؛ فوضَح وبان أن تلكم الأطراف — مهّدها الله — يُحتاح (إلى) جبرها (وما) يُعمَر به خرابها ويُسْكَن خاليها، ع ز/11 وانها وحـ(ـالتها) تلك لا تَحمِل وطء الجيوش الحافلة، ولا/ يُتمكَّن بمناوشة العدو صلاحُ احوالها الحائلة[21]، وانها بمهادنة العدو تصلح (.. .. ..)[22] لأمن مسالك تجارتها ومتصرفات عمارتها، والاتساع في اقواتها، والتوصل لما تخرج الأرض من ثمراتها، وانها بذلك يتمكّن بناء معاقلها، وَيترتب الدخول إلى بلاد العدو منها، وتتكثف اعداد حُماتها، ويعود اليها بالأمن روحُ حياتها ؛ وتقرر أن

---

(11) ملك البرتغال في هذه الفترة هو الفونسو هنركيز مؤسس المملكة المتوفى سنة 1185/ 581 هـ (اشباح ص 283، عنان 1/ 528، 609/2، وراجع الفقرة الثالثة من الفصل الثالث).

(12) في الأصل بالياء.

(13) السليطن هو الفونسو ريموندیس ملك قشتالة وليون المتوفّى سنة 1157 م/ 552 هـ وابنه فرّانده وهو فرناندو الثاني ملك ليون (552/1157 هـ — 583/1188 هـ) وتسميه الرواية العربية : البيبوج (البيان 103)، (عنان 1/ 502 — 514).

(14) راجع خصائص هذه الرسالة في الفصل الثالث.

(15) ملك طليطلة انذاك هو الفونسو الطفل الملقّب بالنبيل (1158/ 553 — 1214/ 611) وهو الذي سينهزم في الأرك وينتصر في العقاب.

(16) راجع الفقرة الثالثة من الفصل الثالث.

(17) ثغور هذه المناطق هي التي لها علاقة بممالك البرتغال وليون وقشتالة، فتمّت الهدنة مع هذه الممالك اما اركون فلم تحضر المفاوضات بل ظلت في حالة حرب مع الموحدين كما ستذكر الرسالة ذلك.

(18) مسألة الاستشارة في الرسالة يتناقض معها كلام اشباخ في وصف الخليفة يوسف بالاستبداد برأيه (ص 326).

(19) كلمة مأروضة البداية لعلها (النصبة) بمعنى العياء والعناء.

(20) الأزْل : الشدة.

(21) الحافلة : الكثيرة و الحائلة : المتغيرة.

(22) كلمة مأروضة الوسط.

ذلك هو الأنجع في علاجها والأوقع في مداواتها ؛ ونُظر في ان ذلك من الالتفات إلى المصالح مما سنه رسول الله ﷺ في صلحه للمشركين، على حينِ أنكرَ المنكِرون وأكثر في ذلك المكْثرون، فسماه الله سبحانه فتحا مبينا، ومكّن لهم في الأرض تمكيناً، واظهر دينه الذي ارتضاه دينا، وانزل السكينة عليهم وزادهم هدًى ويقينا، وكفى بالله هاديا وبرسوله على الغيب أمينا[23].

ولما ظهرت ــ وفقكم الله ــ ظواهر المصلحة، وكثرت دواعي الاصابة، واضاء وجه الرأي وشَهِد شاهدُ الشرع، استخير الله تعالى على القبول لما ضرع فيه الروم من ذلكم وبخعوا به **وعُقد لكل جهة منهم العهدُ إلى مُدد مختلفة قدرَ ما ينجبِر فيها ما يليه من الثغور**، ويتسق فيه نظام الامور[24]، فاستثمرت بحمد الله من ذلكم العوائد، واستجزلت منه الفوائد، وانبثت في الأطراف حياة السكن والامن، وعظُم بذلك مقدار الانعام والمن، ولم يبق من روم الجزيرة الا شرذمة بازاء بلنسية الخطبُ فيها بحول الله يسير، والله عليها ظَهير، والفتح فيها قريب/، والرأي في قطع دابرها واجتياح غابرها مصيب، والحمد لله رب العالمين[25]. ع ز/12

طالعناكم ــ وفقكم الله ــ بهذا الفتح الكريم اثره، الحميد خُبْرُهُ وخَبَرُه، العائِد على اهل الاسلام بالخير العام التام مستفادُه ومستثمَرُه، لتنظروا الى اسراره وحميد آثاره بعيون قلوبكم، وتشكروا الله على صنعه فيه بالاخلاص من سرائركم وغيوبكم، فانه بتيسر اسبابه وانفراج بابه تنتعش الجزيرة ــ مهّدها الله ــ بعمارة اطرافها، وانفساح اكنافها، وارتفاع شدائدها، واتساع مرافقها ومرافدها، وامر العدو بعد ذلك احقر، وشأنه اصغر وأدحر، ووجه الاستعلاء عليه والاستيلاء على ماالديه اجلى واظهر، فاستبشِروا بما استقبلكم من هذه البشائر السارة، والنعم الدارّة، وتبينوا مواقعها الكريمة، وخيراتها العميمة ؛ والله سبحانه يجعلكم ممن قبل البشرى، ويُسِّر لليسرى، ويكتـ(ـبكم) في الذين لهم البشرى، في الأولى والاخرى، بفضله ورحمته لارب سواه، ولا نرجو الا إياه، والسلام.

---

(23) الاشارة هنا الى صلح الحديبية الذي نظر اليه عدد من المسلمين آنذاك على انه في غير صالحهم ثم كان العكس بعد ذلك، في هذه المقارنة تبرير لعقد الهدنة لضرورة اعادة تدعيم الثغور ماديا وبشريا.

(24) يذكر ميراندا ان البرتغال وقشتالة طلبتا هدنة لمدة خمس سنين (الموسوعة الاسلامية) 1/ 165 بالفرنسية، ويذكر صاحب المعجب ان الخليفة بعد فشل حصار وبذة هادن قشتالة لمدة سبع سنين (251)، وصاحب المن يعمّم بقوله عن المفاوضين : «وصُرفوا على حد مرسوم والى اجل معلوم» (527)، والرسالة هنا ايضا تعمّم ولكنها تخالف كلام ميراندا في شأن مدة الهدنة فهي «مدد مختلفة».

(25) الكلام هنا عن مملكة اركون التي بقيت في حالة حرب مع الموحدين.

الرسالة 30 و31 :

رسالتان عن الخليفة يوسف ابن عبد المومن حول فتح مدينة قفصة

تقديم :

في سنة 571 عاد الخليفة يوسف من الاندلس الى المغرب بعد غياب دام منذ سنة 566، وكانت عودته هذه بعد توقيع هدنة مع قشتالة والبرتغال (انظر الرسالة السابقة). الا ان مراكش وربما مدنا اخرى عرفت خلال سنتي 571 و 572 اجتياح مرض الطاعون لها، وقد مرض منه الخليفة وفقد اربعة اخوة والشيخ ابا حفص الهنتاتي وغيرهم، هذه الظروف استغلها النصارى لنقض اتفاقات الهدنة، فاشتد ضغطهم على الثغور اولا (سقوط قوينقة 573) ثم اخذوا يهاجمون قلب الاندلس الجنوبية. وفي هذه الفترة كانت امور افريقية تزداد اضطرابا على يد جماعة قراقوش مملوك تقي الدين ابن اخي صلاح الدين الأيوبي مدعما بعرب سليم ورياح الخارجين عن طاعة الموحدين في اقليم طرابلس، فاحتل كثيرا من مدن افريقية، فكانت الفرصة مناسبة لواحد من عائلة بني الرند الحكام القدماء لقفصة للتمرد على الحكم الموحدي مؤيدا بعناصر من عائلته ببجاية، ومحاولا استمالة العرب والغزّ اليه، وقد ابتدأ التمرد سنة 572 حسب رأي ابن الاثير. وهكذا تحرك الخليفة يوسف نحو افريقية لاعادة سيطرته عليها وخصوصا قفصة، ولاستمالة العرب من اجل استنفارهم للغزو بالاندلس... وبعد مدة من حصار قفصة استسلمت له، فكتب الخليفة منها «كتبه» الى المغرب والاندلس ومنها الرسالتان اللتان وردتا في مخطوط العطاء الجزيل الى اشبيلية احداهما من انشاء ابي الحكم ابن عبد العزيز، والاخرى من انشاء ابي علي ابن نارار وهذه هي نفس الرسالة الواردة في (مجموع رسائل موحدية) رقم 20 والمنسوبة فيه لأبي الحكم ابن المرخي، وهذا نص الرسالتين :

الرسالة الاولى من انشاء ابي الحكم ابن عبد العزيز ابن المرخي[1] : (رقم 30)

ع ز/4 من امير المومنين ابن امير المومنين[2] — ايده الله بنصره وامده بمعونته — الى الطلبة[3]

(1) ترجمته ضمن كتّاب الرسائل.

(2) هذا لقب الخليفة يوسف (الحلل 157).

(3) على رأس «طلبة» اشبيلية السيد ابو اسحاق بن الخليفة يوسف والى اشبيلية في هذه الفترة ومنذ وفاة واليها السيد ابي علي الحسين سنة 574، وستتجدد له الولاية عليها سنة 579 (البيان 113 و 129)

والموحدين والاشياخ والكافة بمدينة اشبيلية اكرمهم الله بتقواه، وعرّفهم عوائد حسناه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فانا نحمد اليكم الله الذي لا إله الا هو ونشكره على آلائه ونعمه[4]والحمد لله مذلّل المستصعب، ومُسَهِّل دَرَك المطلب، فاتح باب المعقِل الاشب، ومانح ضروب الخير المحسِب، ومعرّف اوليائه من عوائد نصره ويسره ما يصل سببهم من الفتوح باكرم السبب، ويوذن ان مُناوىء هذا الامر العزيز مصروع لليدين وللفم ولو ابتغى نفقا في الأرض او سلما الى الشهب، والصلاةُ على محمد نبيه المصطفى من اكرم الحسب، المبتعث الى العجم والعرب، الآخذ بالحُجَز عن مهاوي الضلال المؤدية الى العطب، وعلى آله واصحابه الباذلين في نصرته وطاعته جد الصابر المحتسب، الفائزين من رضى الله تعالى بأشرف الرتب ؛ والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الصادع بنور ظلمات الجهل المسدَلة الطُّنُب، القائم بامر الله مجاهدا اهل الكفر والزيْغ والرِّيَب، المالىء الأرضَ قسطا وعدلا وقد ملئت جورا الى عَقد الكَرَب، والدعَاءُ لسيدنا ومولانا الامام المنصور الناصر لدين الله امير المومنين[5] قسيمه — رضي الله عنه — في شرف النسب، الممشّي امر الله تعالى الى غايته البعيدة المَذهب، حتى يستولي بمعونة الله تعالى على ما زوي لنبينا — صلى الله عليه وسلم — مما بين المشرق والمغرب،

وانا كتبناه اليكم — عرّفكم الله من البشائر المتتابعة والمسرات الجامعة ما يملأ قلوبكم وأسماعكم، ويعم بالهشائر انديتكم واجتماعكم، ويعقد على طاعته المشرِّفة وخشيته المقرّبة إليه المزلفة إصفاقَكم واجماعَكم — من داخل قفصة حرسها الله[6] ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، واليقين بان هذا الامر العظيم هو امر الله الذي جعله الله الحرم الآمن لمن تمسك بسببه المتين، وآوى الى رُبوته ذات القرار والمَعين، وان من أعرض عنه فقد اهدف نحره لأسنة الحق المناضلة عن الدين، وتبرأت منه ذمم النجاة والعصمة والتأمين ؛ والله سبحانه يجعلكم ممن عرف هذا الامر العزيز معرفة الحق اليقين، ويمد عليكم ظله الوارف وفضلَه المتعارَف الى يوم الدين.

وقد كنا اعلمناكم — وفقكم الله — بما عرّف الله في هذه الحركة السعيدة من نُجْح المطالب ويسر المذاهب، وخرق العوائد في تقريب البعيد من املِ الآمل ورغبة الراغب، وانِ الله هدى بنور هذا الامر العزيز من كان عنه نفرَ، وردّ اليه من كان عن رحمته الواسعة قد اعرض وادبر، فبصّر الجاهل وصرف الى الطاعة الشاردَ، وجمع على التقوى الغافل والجاحدَ، وعرّفناكم بوصول من وصل من **اشياخ العرب**[7] — وفقهم الله — ملقين الى هذا الامر العظيم بيد التفويض والتسليم، مادّين يد

---

(4) يلاحظ هنا غياب التصلية الأولى على غرار رسالة ابي الحكم السابقة (رقم 27).

(5) المقصود هنا الخليفة عبد المومن فهو دائما يدعى له بعد المهدي.

(6) هذه العبارة من بين العبارات التي تشير الى خضوع الموقع للسلطة الموحدية. اما التعريف بقفصة وواحتها فوارد بعضه ضمن الرسالة نفسها، وينظر ايضا في الاستبصار (150 — 151) والروض المعطار (477 — 479) ومعجم البلدان 4/ (382 — 383) وصبح الاعشى 5/ 107

(7) يذكر صاحب البيان ان الخليفة يوسف عندما اقترب من قفصة بادر اليه « جميع اشياخ العرب من قبيل=

الاستقالة الى عادة رافته وصفحه الكريم، وبعدَ ذلك صُرفوا الى منازل هذه البلاد أنزِلوا فيها لتجتمع كلمتهم، وتنتظم أُلفتهم، الى ان يستنفروا بعون الله الى الغزو الذي يعز الله به كلمة الايمان، وينشر لواء النصر على عبدة الاوثان وعُداة الرحمان، بحول الله تعالى لا رب غيره وهو المستعان؛ وكانت هذه القرية الظالمُ اهلُها طال ما صَمَّتَ عن داعي الله فعتت عن أمر ربها، وركِبت الجامحَ من مراكب غيّها، فلم تلتفت الى رشد مرشدٍ، ولم تَصرِف عنانا الى طاعة (مهتدٍ)، ولم تنته عن عمل باغٍ مفسد[8]، اغترارا بمنعة مكانها، وضخامة شأنها، وحصانة بنيانها، وانها قد اكتنفتها صحراء تُعطش الضبّ، وتُنشف الرّطب، فلا يجد مُنازلها مُعينا على المقام، ولا مرتفَقاً من مرافق الانام ؛ وكان جُلُّ هذه الحركة المباركة بسببها (...)[9] اللّهُ هذه البلاد من ضرِّها وعُدِّها، فقد كان باضَ فيها **الشيطان** وفرَّخ ؛ ودعاهم الى محاربة الله/ وامره فما منهم الا من أصرخَ، وتجمّع له فيها مع ذلك أشتات من اهل الفساد، وشُرّادٌ من ذوي العناد[10]، كلٌّ قد خلع ربقة الاسلام من عنقه، ورأى سبيل الغيّ فأتاها من أقرب طُرقه، فشاقّوا الله والايمان، وحالفوا البغي والعصيان، وصار من في قلبه مرض من منافقي العرب وغيرهم بهذه البلاد وما اتصل بها لا ينظر الا اليها، ولا يعتضد الا بمكانها، هي مأواهم ومولاهم، وبسبب فتنتهم الذي أضَلَّهم وأضواهم[11] ؛ فعزمنا بعد استخارة الله تعالى أن نجعل اليها قصد الاعتنا(ء)، ونَجهد في استيصال ذلكم الداء، فقدّمنا اليها عساكر هذه البلاد مع طلبتهم[12] — أعان الله جميعهم وانجدهم — وأمرناهم أن يتقدموا اليهم بالنذير، ويُحذّروهم محادّة الله وأمره أشدّ التحذير، حتى تقوم عليهم الحجة، وتتضح لهم المحجة، وإذا بهم عن دواعي الرّشد معرضون، وفي الفتنة مستبصرون، قد لجّوا في طغيانهم، وتمالأوا على عصيانهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، متمسكين بالبغي بأديانهم، معتضدين بالشياطين أخدَانِهم ؛ ووصل الينا كتاب الطلبة المذكورين — اعانهم الله — معلمين باحوالهم المنكرة، وبإعراض قلوبهم العاتية المستكبرة، ونحن حينئذ قد انتهينا الى القيروان[13] في طريقنا الى هذه القرية، فتممنا على عزمتنا المباركة مستعينين بالله تعالى متوكلين عليه، مستنجدين في النصر والعون وعده وعادته ؛ وعرف الموحدون ان الطرق الى المقصد الميمَّم متعذرة المسالك على مثل هذه العساكر، لعدم الماء فيها في

ع ز/ 5

= رياح بالبدار والمسارعة الى الطاعة طالبين للامان في دورهم وانفسهم» ص 112، ويحدّد ابن سعيد مجالات رياح بين قسنطينة وبجاية (بسط الارض 79).

(8) يقصد هنا ابن الرند الثائر بقفصة، وتوضح الرسالة اللاحقة (31) من التفّوا حوله وهم «ذؤبان الاعراب واوباش الأكراد».

(9) كلمة مطموسة لعلها (وقى)

(10) توضح الرسالة اللاحقة اصناف هؤلاء.

(11) اضوى : امال اليه.

(12) توضح الرسالة اللاحقة (31) ان هذه الطليعة تمثل عساكر بجاية و «طلبتها» اي قادتها الملقبون ايضا بالحفّاظ، كما تبيّن نفس الرسالة ان الحركة الخليفية من بجاية الى قفصة كانت عبر القيروان بعد خروج الطليعة من بجاية مباشرة الى قفصة.

(13) عن القيروان انظر الاستبصار (113 — 117)، والروض المعطار (486)، وبسط الارض (78) ويذكر حولها مجالات عوف من العرب شمالها، وفي جبالها بربر نفزاوة وهوارة.

مثل الفصل الذي سُلكت فيه، وعدم المرافق من الأقوات والمراعي، لما ذكر من وضع هذا القُطر، ولما تقدم في هذه البلاد من احتباس القَطر ؛ وذلك مما أطغى أهل هذه القرية فسوّل لهم بذلك وأملَى، ودلاّهم من الغرور بما دلّى ؛ لكن الله سبحانه يسّر على اوليائه فمهّد لهم السبيل، وعرّفهم العون الجميل، وأولاهم في محاولتهم البركة والتسهيل، فوجدوا من الماء بما كان تقدم من المطر بين يدي حركتهم السعيدة ما قام على مراد الله في هذا الامر العزيز برهانا، ولاح للمستبصر عِياناً، غُذرانٌ تَفْهَق، وصُنْعٌ كريم يتقدم بين ايديهم تارة وتارة يَلحق، وتَسرَّب اليهم من الأقوات من جميع الجهات ما رغّد الاسعار، ومهّد على هذه البلدة القرار.

ولما كان الوصول اليها على بركة الله تعالى اعيد على اهلها الانذار، وكرّر لهم الأعذار وأفصَحَ[14] لهم بالتأمين التام لو اصاخت منهم الأسماع او أنارت منهم الابصار ؛ فتمادى من جميعهم الإعراض والإنكار، ولج منهم العصيان والإدبار، وبرزوا اول يوم بجمع لهم ذميم، وجند منهم رجيم خارج بلدهم، لتظهر قوة بصائرهم في الكفر وجَلَدهم، فاشتغل جميع الموحدين ـــ اعانهم الله ـــ بشغل نزولهم، وترتيب حلولهم، وخف اليهم من العساكر من (....)[15] نازيَهم، وردَّ طاغيَهم، فلما كان في اليوم الثاني ترتب الموحدون ـــ اعانهم الله ـــ على جهاتهم، واخذوهم من جميع جنباتهم، ونهدوا اليهم (بعزم) كسر الله به من حدِّ الطغاة وَشَباتِهم، واوهن كيد عزماتهم، فانجحروا وراء اسوارهم، واشتملوا بخِزيهم وعارهم، وتمكن الموحدون ـــ اعانهم الله ـــ من حصارهم، واستعانوا مولاهم ونصيرهم فكان وليّ إنجادهم وانتصارهم، وانتقلوا من منازلهم الى منازل بقرب الأسوار بقدر غَلوة السهم ليأخذوا بمخنّق محصورهم، ويُظهروا الجدّ والقوة في جميع امورهم، فتم ذلك ومعونة الله تَصحبهم، والتوفيق الى كل سعادة يقرِّبُهم، واشتُغل مع ذلك بعمل آلات حربية يُستظهر بها على الحصون المَهيدة، وتكون مزيدا في الحرب والمكيدة، مثل **المجانيق والدبابات والابراج**[16]، فيسّر الله بذلك ما ضَمِن دَرَك المطلب، وسهَّل احوال الغلَب ؛ ولما كملتِ الآلات، وبُلغت من الحزم الغايات، وأشرف **البرج المبارك** على جذُراتهم[17]/ (وتمكنت) ع ز/6
المجانيق من هدْم بيوتهم، اخذ الموحدون (في قتا)لهم، وبلغوا الغاية في نِكالهم، فيسّر الله لهم هدم بعض الستائر التي امام الاسوار[18]، وقد كانت من الامتناع في حد لا تناله الظنون، ولا ترتقي اليه العيون، واتصل الشغل بردم الخندق بينهم وبين البرج المبارك حتى يتصل الموحدون بالاسوار

---

(14) كذا بالاصل، والصواب وكرِّر لهم الإعذار، وافصِح...

(15) كلمة مأروضة.

(16) قال صاحب الروض المعطار عن الخليفة يوسف : «نصب عليها آلة الحرب وعمل للعجل الحاملة للالات قلوعا ضربتها الريح فمشّتها فرعب اهل قفصة... (479).

(17) ان الوصف الذي اعطي لهذا البرج قد يجعله من صنف الابراج التي استعملها النصارى المحاصرون لمدينة عكّا سنة 586 والتي تتكون من خمس طبقات مملوءة بالعتاد والمقاتلين (الكامل 9/ 205) خاصة وان العود المصنوع منه هذا البرج مستورد من جزر البحر بواسطة النصارى كما في الرسالة والراجح انها الجزر الايطالية.

(18) الستارة هي سور خارجي يحيط بسور المدينة ويكون الاول اقصر من الثاني (التجاني 240 في وصفه لطرابلس).

من أمَم، ولا يمتنع علي كفّ متناولٍ ولا (قدم) ؛ فلما رأى المحصورون ما اتاهم من امر الله من فوقهم ومن تحتهم وأَلِيمَ عقابه، وعاينوا الموت حتى كشّر لهم عن نابه، وقد تبرَّأ حينئذ منهم الشيطان[19] وأسلمهم إلى حِمامهم اللجاجُ والعصيان، ندموا على ما أسلفوا، وعرفوا قدر ما وطّنوا في جنب الله واسرفوا، فهتف جميعهم بدعاء الاسلام، واعلنوا بالاستعطاف والاسترحام، ورددوا ارسالا يخبرون عنهم انهم قد القوا بأيديهم، ورجَوا رحمةً تنجيهم، وتوبة من الله تُرشدهم وتَهديهم، فرحين ان يتقبل الله متابهم، ويصلَ بالخيرات اسبابهم، واخذناهم بما ظهر اذ كان الله سبحانه يتولى حسابهم ؛ وبُذل لهم الامان في (رقابهم) واهليهم وذراريهم[20]، واستُنزلوا من صياصيهم، وأُخرج معهم نافِخ نار الفتنة، ومدير رحى المحنة : **ابن الرنك**[21] صاغرا ذليلا، «فَنُبِذَ بِالعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ»[22]، وذاق وبال امره وعلم ان مرتع البغي وخيم، فان صحّ متابه، وكان الى طاعة الله مآبه، فقد ختم بالحسنى عمله، وادرك ما أمّله ؛[23] وجُمع سائر من كان بالموضع فعُلّموا ما لا يَحل جهله ولا يَسع، وأُسمع منهم من كان يَسمع، ثم صُرِف جميع الرعايا الى اوطانهم، وأخذوا بعمارة مياههم وجنانهم ؛ وحُدَّ للاجناد الانتقال الى بلاد التوحيد، والجريُ على غرض هذا الامر الرشيد.

وخلُصت للموحدين ـــ اعانهم الله ـــ هذه المدينة العتيقة، والقاعدة الوثيقة، التي جمعت من جمال الوضع، وحصانة الصنع، واتساع الخِطة، وشرف البقعة، واعتلاء الذروة، وامتناع الصهوة ما لا يوجد الا فيها، لأنها مع عتاقة البناء، وسَعة الفِناء، قد عُمِر خارجها من جميع الجهات بسواد يجمع النخيل والاعناب والزيتون والرمان، وفواكه ذات ألوان [24]، «صِنْوَانٌ وغيرُ صِنوان»[25]، تتفجر عليها عيون مستبحرة تخرج من داخل البلدة[26] فتسقي كل جنة بقسط مقسوم، وشِربٍ معلوم، وأُنبِط خلال سوادها مياهٌ تسقي ما ارتفع عن مجاري العيون، وتعمّ بالرِّيّ ما ارتفع من الظهور على البطون، وامتد ذلك اميالا يجري سوادها على هذا الوزن الموزون[27] ؛ ومع هذا الحسن الجامع،

---

(19) يذكر ابن الاثير اتصال ثائر قفصة مباشرة بالخليفة وسراً من اهلها وطلبه العفو منه (احداث 576)

(20) هل يفهم من هذا ان فتح المدينة كان صلحا وان هذا ما سبب عفو الخليفة عن اهلها ومنهم زعيم الثورة ؟ لكن لا أمان في الأموال وانما في الانفس.

(21) كذا في الاصل والصحيح انه ابن الرند واسمه : على ابن المعزّ المعروف بالطويل من اعقاب بني الرند ملوك قفصة (البيذق في اخبار المهدي 86، والمعجب 252، البيان 113، والاستبصار 150، والروض المعطار 479، والقرطاس 212، والعبر 6/ 339 و 502).

(22) من الآية 49 من سورة القلم.

(23) نقل بعدّ ذلك الى ولاية سلا الى ان توفي بها (المصادر المذكورة في الهامش 21، ما عدا صاحب القرطاس الذي يذكر مقتله بقفصة عند فتحها).

(24) تحدد الرسالة هنا بعض المنتوجات الهامة لواحة قفصة.

(25) اقتباس من الآية الرابعة من سورة الرعد.

(26) يتفق هذا مع وصف الجغرافيين الذين يؤكدون وجود عيون خارجية واخرى داخلية وهذا مما يساعدها على الصمود للحصار (انظر الهامش 6 في هذه الرسالة).

(27) يتضح هنا ان الري يتم بالمياه النابعة وبمياه الآبار، انظر عن نظام الري الاستبصار 151 والروض المعطار 477 وما بعدها...

والمرفق الواسع فان هذه البلدة بشرف وضعها قد عُدّت متوسطة بين بلاد افريقية وبلاد الجريد، جامعة بين تساوي النسبة الى القريب والبعيد، مطلة على عرب هذه الجهات وما اتصل بها الى طرابلس بالقهر الشديد[28]، آخذة بحَظ وافر من الصحراء والارياف، تَجمع الاشتات، وتَقمع المفتات ؛ واذ قد صرفها الله الى طاعة هذا الامر العزيز ومِلكه، فسيوجد عظيم منابها في هذه الاصقاع، وشرف غَنائها في هذه البقاع، (في) ضروب منافعها الجمة الانتفاع، وتنقطع بها خواطر المنافقين التي كانت قد سولت لهم وساوس من الاطماع، ويتفرغ بعد ذلك الموحدون ــ اعانهم الله ــ الى اصلاح امر العرب، وترتيب احوال الأبعد منهم والاقرب، وتتميم الغرض في هذا الغزو السعيد والمطلب، بحول الله تعالى وهو المستعان.

وعرَّفناكم ــ وفقكم الله ــ بهذه البشرى، والنعمة الكبرى، لتبثّوها في انديتكم واقطاركم، وتجعلوا حمد الله تعالى عليها دَأب علانيتكم وإسراركم، وَنَصْبِ هواجس خواطركم، واعتباركم، وتتلقّوا بالشكر لله تعالى وافِدَها الذي زاركم في دياركم، (وعاد) عليكم بتوفير حظوظكم من الرعاية وايثاركم، بحول الله تعالى لا رب غيره، وهو حسبنا ونعم الوكيل،/ والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب يوم (الخمـ)ـيس عقب رجب الفرد سنة ست وسبعين (وخمس مائة)[29]. ع ز/7

---

(28) يبدو ان ذكر طرابلس هنا لدافع «استراتيجي» اي ان فتح قفصة من ورائه امل فتح طرابلس من يد قراقوش وحلفائه من عرب سليم على الخصوص الذين يراقبون معظم المجال بين بلاد الجريد وطرابلس وهذا ما يمكن ان يفهم من الكلام اللاحق.

(29) ما بين هلالين مأروض في معظمه، ويوم الخميس في نهاية رجب يتفق مع يوم 27 أو 28 من الشهر، ويطابق يوم 18 دجنبر 1180 : (T.C).

الرسالة الثانية من انشاء ابي علي بن نارار[1] : (رقم 31)

ع ز/7 من أمير المومنين ((بن امير المومنين)) أيده الله بنصره، وامده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان والكافة باشبيلية[2]، ادام الله كرامتهم بتقواه، وعرّفهم عوارف حسناه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ اما بعد، فإنا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على ((محمد)) نبيه المصطفى ورسوله ؛ والحمد لله الذي ايد هذه الدعوة العلية ونصرها، واعزها واظهرها، ورفع مقامها واعلى مظهرها، ووهب لطائفتها المنصورة وصحابتها المبرورة من إنجاده واسعاده ما سهّل مراماتهم ويسّرها، ((وابهج نفوسهم وبشّرها))، وساوى[3] في تحقق نَجاز[4] وعوده وتيقن اتصال نصره العزيز على احسن معهوده مُضمرَها ومُظهَرَها، وكتب في اعلاء دينه وتمهيد امره ((وتمكينه)) أمدَها الممتدَّ وأثرَها، وجعل كلمتها الظاهرة ومَلَكتها الغالبة القاهرة فأسماها[5] وأظفرها، وأرى[6] الفئة المعاندة والأشابةَ النافرة عن[7] الله الشاردةَ من عزَماتها المظفّرة ومحاولاتها[8] الميسرةِ ما راعها وبهرها، واذلها وقهرها، وادّاها بعد الاباء والعناد الى الاذعان والانقياد وصيّرها ؛ والصلاةُ على محمد ((عبده و)) رسوله المبتعث وقد اظهرت الجهالةُ مُنكَرها، وعبدت الجهلة طاغوتها وصُوَرها، واتبعت في خبط عشوائها[9] وسَحِب فضول اهوائها عَمايتها المضلة وسَدَرها، فأزهق[10] الله بحقه باطلها واخمد شررها، واخذ على[11] النار ومزالق العثار بحُجَزِها[12] وبشّرها وانذرها، وعلى آله وصحبه الذين بوأتهم القرابة محلها وخوّلتهم الصحبة أثرها ؛ والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المظهر لشريعة جده عليه السلام[13] بعدما اخفاها الضلال

ملاحظة : ما هو داخل العلامة (( )) غير موجود في الرسالة رقم 20 من (م ر م) لبروفنصال ونرمز لهذه الرسالة الاخيرة بحرف (ب)، وما هو داخل العلامة [ ] ناقص في زوائد العطاء واضافي من (ب) وما هو داخل العلامة ( ) غير واضح كلا او بعضا في المخطوط، وتصحيحه من (ب).

(1) لم نعثر له بعد على ترجمة بهذا الاسم، مع ان بروفنصال ينسب هذه الرسالة الى ابي الحكم ابن المرخي، انظر تحليله للرسالة في هيسبريس 1941 تحت رقم 25 مكرر.

(2) في (ب) : بقرطبة.

(3) في المخطوط : (وساوي).

(4) في (ب) : انجاز.

(5) في (ب) : واسماها.

(6) في (ب) : وارأى.

(7) في (ب) : على امر الله.

(8) في (ب) : ومحاولتها.

(9) في (ب) : عشواها.

(10) في (ب) : فارهق.

(11) في (ب) : عن.

(12) في (ب) : بحجرها.

(13) الادعاء هنا رسميا بشرف نسب المهدي.

واضمرها، وأشعرها الباطل[14] من تبديله وتغييره ما أشعرها، فقام بأمر الله يصدع بنور((ه)) داجيَها ويجلو معتكَرها[15]، ويوضح سبلها الطامسة فيحيي داثرها ويميت مُدثَرها[16] حتى اعادها[17] على جادتها اللاحبة البينة وقررها ؛ وعن مظاهره ومؤازره وخليفته وصاحبه وناصره الامام امير المومنين الذي بث كلمته الهادية ونشرها، ورقّاها[18] في مراقي النماء ومدارج الاكتمال والانتهاء[19] مبينا اغراضها ومظهرا غُررها، ووصلها الى غايتها من الارتقاء والاعتلاء[20] فأوضح معالمها واطلع نيِّرها.

فان كتابنا اليكم — عرفكم الله من بشائر هذا الامر (العزيز) المتواردة وفتوحه المتناصرة المتعاضدة ما يملأ اسماعكم، ويعمُر بوافد المسرات ووارد المبهجات المبشرات ارجاءكم واسقاعكم، ويجعل في شكر نعمه والتحدث بآلائه الجمة وقِسمه تلاقيَكم واجتماعكم — من داخل قفصة[21] — مهدها الله — وقد فرج النصر العزيز مُبهَمها، وانار الفتح المبين مُظلِمها، واعادها [الله] الى مَلكة هذا الامر العظيم[22] ونظمها، وألهم اهلها رشدهم وهُداهم، وصرفهم عن غيهم الذي استهواهم بعد ان امتد في الضلالة مداهم، واتخذوا جهلا وعناد الاههم[23] هواهم، فتلافاهم برحمته وآواهم الى حَرم هذا الامر العزيز وعصمته، ومد عليهم رواق منّه وظلّ امنته، وانتاشهم وقد أشفوا على جُرف العطب وهوته.

وقد علمتم — اعلمكم الله رشادكم — ما كان من **المنتزي**[24] فيها من الايضاع[25] في الفتنة، والمروق من الطاعة والولوج في غيابات الارتداد[26] والمعصية، وانه استدعى من **ذؤبان الأعراب**[27] **وأوباش الأكراد** أشباهه في الضلالة، ونظراءه[28] في الغي (والجهالة)، فشن الغارات

---

(14) في (ب) : بالباطل.

(15) في (ب) : بنور... معتركها.

(16) في (ب) : ويحيى اثرها ويميت مدبرها.

(17) في (ب) : حتى اعادها الله.

(18) في (ب) : وارقاها.

(19) في (ب) : الاكمال والانهاء...

(20) في (ب) : والاعلاء.

(21) في (ب) : انظر عن قفصة الهامش رقم 6 في الرسالة السابقة.

(22) في (ب) : الامرالعزيز ونظمها.

(23) في (ب) : واتخذواجبلا وعنادا لالههم.

(24) المقصود من ذلك : علي ابن الرند الثائر بها وقد سمي بالناصر لدين النبي (المعجب 252).

(25) في (ب) : الايضاح.

(26) في (ب) : الارتياد.

(27) ذؤبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم.

(28) في (ب) : شباهه في الضلالة ونظائره.

بهم ؛ وقطع السبل معهم، وتوصل الى السعي في الأرض بالفساد بسببهم، وتراكضوا[29]جميعا في ميدان العيث واستنوا[30] في حلبة الاعتداء، وأجروا مِلاء أعنّتهم بالخلاء[31]، وغرّهم ممتد الامهال/ والاملاء[32]، فـ(ـازد)ادوا إثما، وانهملوا[33] في استحلال المحارم جرأة على الله وبغيا، فتعيّن[34] حسم دائهم، ووجب (توجـ)ـيه النظر الى إطفاء نارهم. ع ز/8

وكنا ــ وفقكم الله ــ عند احتلالنا بافريقية ــ حاطها الله[35] ــ عرّفناكم بموجب هذه الحركة المباركة، وأنها لم يتقدمها قصد ولا أُعمِل فيها فكر، ولا مُهِّد لها تعويل عليها ولا عزم، وأن محرّكها القدر المسعِد، والباعث عليها لفور الأَخذ فيها صنع الله المؤازر وعونه المنجد ؛ وأعلمناكم ببعض ما انطوى فيها[36] من الخيرات المتصلة والبركات التامة والارادات المتيسرة[37]، وما كان فيها من وصول أشياخ العرب وأعيانهم[38] واهطاعهم الى داعي هذا الامر وبِدارِهم ؛ وكان من قصدنا فيها وارادتنا بها النظر في أمر هذه المَدَرَة وإزاحة علتها، وتطهير هذه الاسقاع[39] من درنها، اذ كانت شجىً في صدور اهلها وقذىً في عيون قُطّانها، لكونها أضحت مركِزاً للمفسدين ومأوىً للمتلصّصين[40] المتمردين ؛ وكنا نتحقق أن الدواء الأنجع في دائها، والأَمر الانفع في محاولتها، وصول جميع الموحدين ــ أعزهم الله ــ اليها ونزول جملتهم عليها، وكان مما خدع الفساق الذين كانوا بها وغرهم، واستقادهم الى التمادي على الاصرار واستجرهم، حصانة بلدهم وشهوق اسوارهم، ووعورة موالجهم وحرجُ مداخلهم، واحاطةُ الصحراء من كل ناحية بهم، وعدمُ الاقوات في البلاد المجاورة لهم، وتعذرُ جلبها من المواضع النائية عنهم، وان كل عسكر ينازلهم من جميع هذه الجهات يستقلون بمقاومته وينهضون بمدافعته، وان العساكر الكبيرة[41] والجمل العديدة لا يتهيأ لها المُقام عليهم، ولا يمكنها مطاولة حصارهم، لكثرة ما يُحتاج[42] اليه من الأَقوات ونزارة ما يعمها في طريقها اليهم من المرافق والمياه ؛ وهيهات ان تحصّن من هذا الامر العزيز الشواهِق، او يعصم منه

(29) في (ب) : وتراكضوا.

(30) في (ب) : واستبقوا.

(31) في (ب) : ...الاعتداء ملء اعينهم...

(32) ربما في هذا تلميح الى انشغال الخليفة بامور الاندلس والمغرب، على الاقل منذ ظهور الطاعون سنة 571.

(33) في (ب) : وانهمكوا.

(34) في الاصل : فيعين.

(35) في (ب) : حرسها الله.

(36) في (ب) : فيه.

(37) في (ب) : الميسرة.

(38) انظر الهامش 7 في الرسالة السابقة.

(39) في (ب) : الاصقاع.

(40) في (ب) : مركز المفسدين، المتلصصين.

(41) في (ب) : الكثيرة.

(42) في (ب) : ما تحتاج.

السوامقُ، او تمنع[43] من استيلائه الأسوار والخنادق، او تحول دون مرامِه ((المهامهُ)) الفِيَح والسمالقُ، فهو امر الله العزيز جانبه، المكبوتُ مناوئه ومُجانبُه، المأخوذ بيد[44] القهر والقسر مقاومُه ومغالبه.

فقدمنا بين ايدينا طلبة بجاية — وفقهم الله — مع من كان معهم من عساكر اهل التوحيد التي ببجاية وافريقية[45] — وفرها الله — تقدمة للإعذار، وأخذاً بالحجة والاستظهار، لينتبهوا من سنات الاغترار، ويثوبوا الى الارعواء والاستبصار، ويقرعوا بالبخوع والطاعة[46]، والرجوع الى الانتظام في سلك الجماعة، باب المتاب[47] والاستغفار، فتقبل توبتهم وتقابَل بالصفح الجميل اوبتهم، ((وتقال عثارهم وتغفر زلتهم)) ؛ فأبى لهم شيطانهم، وغلبت عليهم شِقوتهم، وتمادوا على بغيهم، واستمروا على ضلالهم القديم وغيهم، وكنا بعد انفصال الطلبة — اعزهم الله — عنا نهضنا بجملة الموحدين — اعزهم الله[48] — نؤم القيروان — كلأها الله[49] — ليكون طريقنا عليها ؛ (و) قبل وصولنا اليها، وافتنا كتب الطلبة المذكورين معرفين بان الاخسرين [أعمالا] اوقدوا للعصيان ناره، واستشعروا (اشـ)ـعاره، ورفعوا للدفاع اعلامه، واتخذوا له اوزاره، فاستخرنا الله تعالى في النهود اليهم[50]، وامضينا العزائم المؤيدة على الحلول بساحتهم والاطلال عليهم، ونهضنا بالموحدين — اعزهم الله — ودلائل النجح بادية، (و) مَخايل الفتح لائحة، وعلامات الظفر متضحة ظاهرة، ومعونة الله تعالى بتسهيل المطلب وإدناء المرام (كفيـ)ـلة ضامنة، ولم يَعدم الموحدون — اعزهم الله[51] — في طريقهم مرفِقا ولا لقُوا — والحمد لله — من سفرهم نَصَبا، وأخذوا على طرق بُعَد العهد بسلوكها، واستبهمت على عَمَرة هذه الأسقاع[52] مناهجها وسبُلها، وألفوا بها من المرافق الواسعة والمياه المَعينة ما لم يحتسبه أحد، ولا خطر على بال ولا دار في خَلِد، وتيقن (اولوا) الألباب، وتحقق اهل الاعتبار ان هذا الامر مصنوع له ومؤيد عزمه، ومكتنَف بعون الله مراده/ ورَوْمُه، وان العناية[53] الالهية والمعونة (الربـ)ـانية تنجدان عزائمه وتيسران[54] اغراضه ومطالبه. ع ز/9

---

(43) في (ب) : او تمنع منه السوابق او تعصم.

(44) في (ب) : بين.

(45) في (ب) : من عساكر الموحدين الذين ببجاية وافريقية.

(46) في (ب) : بالنجوع بالطاعة.

(47) في (ب) : في تلك الجماعة باب المناب.

(48) في (ب) : اعانهم الله.

(49) في (ب) : انظر الهامش .13 للرسالة السابقة حول القيروان

(50) في (ب) : النهوض اليهم.

(51) في (ب) : وفقهم الله.

(52) في (ب) : واشتبهت الاصقاع.

(53) في (ب) : وان الغاية.

(54) في المخطوط : وييسّران، والتصحيح من (ب).

واستمر سير الموحدين — اعانهم الله — *على هذه الحالة*[55] *الموصوفة والصورة المجلوة، الى ان* وصلوا اليها واناخوا بفنائها ؛ فلأول اشرافهم علينا[56] ارتبك الأشقياء في مهاوي المعاطب[57]، وأبدوا صفحة المُناصب المُطالب[58]، وكشفوا عن ساق المُجاهر[59] المُحارب، ظانين ان هذا الامر العظيم تَعُـ(ـز)ه سامقات المعاقل[60] وطامحات المرا(قب)، ولو أُحصنت البواذخ واكنّت[61]، ودَفعت الشوامخُ عن المسند اليها وأجـ(ـنَّـ)ـت[62]، لَمنعهم هذا الحصن الذي تُصاقبُ النجمَ هَضَبَاتُه، وتُزلّ العُصْمَ قُذفاتُه، وتتلَفَّع بنسج الغمام[63] بروجُه وشرفاتُه، لكنّ أمر الله لا تُصَدّ[64] عزماته، ولاَ تقاوَم[65] بطشاته القاهرة وسَطَواته، واشتغل الموحدون بترتيب نزولهم، وهيأة مُروسهم[66] واضطراب محلاتهم بافنيتهم، فلما اصبحوا زحفوا اليهم[67]، ونصرُ الله يؤازرهم، وصنعه الكريم يظاهرهم، فنازلوهم اشد نزال، وصالوا عليهم اعظم مَصال، واروهم من هول المِصاع وصدق القتال ما قصّرهم عن الاسترسال، وصيّرهم بعد التبسط والإقدام الى الانقباض والانخزال، فانكمشوا في احجارهم، ولاذوا بقُننهم المنيفة واسوارهم، واجرَوا طَلْق شَدِّهِمْ[68] في مضمار انخداعهم بمعقلهم واغترارهم.

وكانت حول البلد غروس وبناءات وعّرت المسالك وضيقت المنافذ، وأشَّبت المداخل اليهم والمخارج، فاخذ الموحدون — وفقهم الله — في هدمها ونظروا في ازالتها، وجدّوا في تعفية رسومها، ونقلوا مضاربهم بحيث يسمعون سِرارهم، ويتعرفون مع اللحظات احوالهم، وأحدقوا بهم أتم إحداق ؛ وأحاطوا بمدينتهم إحاطة الاطواق بالأعناق ؛ وشدّوا عليهم أُنشوطة الحصار والعِناق[69]، وسدّوا دونهم خَصاص الأنقاب والانفاق، ولم يوجدوهم[70] مَنفَساً لانسراب ولا مَذهباً لإرتفاق، وأشفوا

---

(55) في (ب) : في الحال.

(56) في (ب) : فأول إشرافهم عليها.

(57) في (ب) : المعاصب ؛ والمعاطب هي مواضع العطب والهلاك.

(58) في (ب) : المناصب المصالب

(59) في (ب) : المجاهد.

(60) في (ب) : الامر العزيز تعزه سامكات.

(61) في (ب) : وأجنّت.

(62) في (ب) : وأكنت.

(63) في (ب) : وتتلفح بنسج الغمائم.

(64) في (ب) : لا ترد.

(65) في الاصل : (ولا تقام)، والتصحيح من (ب).

(66) في (ب) : وتهيئة.

(67) في (ب) : رجعوا اليهم.

(68) في (ب) : شرهم.

(69) في (ب) : والخنادق.

(70) في (ب) : ولم يؤخذوهم.

بهم من ضنْك النَّكال وضيق المجال على شفى[71] الأرماق، ونصبوا عليهم مجانيق بلغت في نِكايتهم المبالغ، وأحلَّت بهم القواضم والدوامغ، ونهكت اسوارهم، وهدّمت ديارهم وعفّت آثارَهم، وأصْلتهم بباغت[72] الحِمام، ووحِيِّ الموت الزؤام أمّهم الهاوية ونارَهم ؛ وهم مع ذلك لا تسعى بهم الى منجاتهم قَدم، ولا يهديهم الى استنزال الامان[73] وتطلّبِ العفو والغفران، نزوعٌ [74] عن العصيان ولا ندم، ولا زادهم ما نزل بهم من أمر الله إلا لَجاجا في تهوّرهم، وتتابعا على عَمَمهم[75] وتحيّرِهم، واستيطاء[76] لمركب الاستنامة الى قريتهم المحصنة وجُدرهم ؛ فرأينا — والمستعان الله — أن مقاتَلَتهم بآلات تعلو عليهم[77]، ويَتعجل معها مَرام أَخذهم أصلحُ للموحدين[78]— أعزهم الله — وأصوَن لهم، وأوْفق لما نوثره من الشحّ بهم والاحتياط عليهم[79]، مع ما في ذلك لهذا الامر من فخامة التناول وعزة القهر وظهور القوة وإرهاب العدوّ ؛ وإن كنا نتحقق أنّ وعد الله لأمره العزيز ناجز، ونصره لحزبه المفلح لا يحجبه حاجب ولا يحجزه حاجز ؛ فالنظر في الاسباب لا يناقض هذا العقد المتمكّن ولا ينافي الثقة باطّراد فتحه لأوليائه على سَننه الألحَبِ[80] ونهجه البيّن، فأُخِذ في عمل ما يصلح لذلك[81] من الآلات والأشكال، وصُرف الى التهمم بها والعكوف عليها وجه القصد والاشتغال فتيسَّرت — والمحمود الله — في أقرب ما يمكن من الآماد والآجال، واتَّفَق بيمن[82] هذا الامر السعيد وبركاته وبراهينه الواضحة وآياته أن جلب النصارى العود الموافق لذلك، ولم تجرِ عادتهم بجلبه، ولا سبق لهم في غير هذا العام الخروج الى سواحل افريقية به، وما تهيَّأ من توصيله الى هذه الصحراء مع عِظم أجرامه وتفاوتِ خشبه ؛ وذلك معدود من خوارق العادات، ومضاف الى ما سلف لهذا الامر السعيد[83] من مظاهرة الاقدار ومساعدة السعادات، صنعٌ من الله كريم ومنّ جسيم، (وعون)[84] منه سبحانه لا يبرح ولا (يريم)[85] ؛/ وكان من قصدنا في هذه المحاولات ان ع ز/14

(71) في (ب) : على شفر.

(72) في (ب) : بناعب.

(73) في (ب) : الايمان.

(74) في (ب) : تروع من...

(75) في (ب) : غمهم.

(76) في الاصل : استوطاء، والتصحيح من (ب).

(77) لعلها من نفس نموذج الابراج التي صنعها الفرنج لحصار مدينة عكا سنة 586، وطول كل برج خمس طبقات مملوءة بالمقاتلة والاسلحة، وخشب هذه الابراج جلب من جزر البحر (المتوسط) : ابن الاثير 9/ 205، وايضا العود الذي صنعت منه آلات حصار قفصة حمله النصارى الى افريقية كما سيأتي في هذه الرسالة.

(78) في (ب) : بالموحدين.

(79) يمكن ان نستنتج من هذا تلميحا للخسائر البشرية التي لحقت بالموحدين قبل استعمال الـ«آلات» القتالية.

(80) في (ب) : على سننه الانجب، والالحب : الواضح.

(81) في (ب) : ما يصلح ذلك.

(82) في (ب) : بين.

(83) في (ب) : الامر العزيز.

(84) في (ب) : جسيم يرعون منه.

يزدجروا (ويذّكروا)، ويراجعوا عقولهم العازبة[86] ويستبصروا، ويكفوا عمّاهم[87] عليه من الغواية (ويقصُروا)، فرانت الجهالة[88] على قلوبهم، واعمت الضلالة ابصارهم، واصمّت العِماية[89] آذانهم، فلم يَطُوروا بجانب[90] التوبة، ولا يسرّوا للفَيئة الى امر الله والأوبَة ؛ والموحدون في خلال ذلك تتحرك حفائظهم لغزوهم، وتتلمظ شفارهم[91] لإبادتهم ومحوهم ؛ وعندما قرب كال الآلات وتمامها[92]، ودنا اتساقها على الغرض المقصود منها وانتظامها، وكاد يُحرِق جوانحَ الغزاة ــ اعانهم الله ــ احتدامها لإبادتهم واضطرامها[93]، رأينا ان نكرر الإعذار اليهم، ونزيد تمكينا وتوكيدا قيامَ الحجة عليهم، فارسلنا اليهم اشياخا من الموحدين والطلبة والعرب ــ وفق الله جميعهم ــ فعرّفوهم انا نرفع عنهم[94] السيف ان تابوا، ونبذل لهم الامان[95] ان رجعوا الى الامر العزيز وانابوا، فعتوا واستكبروا واشِروا وبَطِروا، وجحدوا نعمة الله عليهم في هذه المنة العظمى وكفروا، وفُتحت لهم ابواب الرحمة فنكصوا عن دخولها وقهقروا ؛ فعرف الموحدون ــ وفقهم الله ــ بانهم[96] عمُوا عن النِّذارة وصمّوا، وتردّوا برداء جهالتهم واعتمّوا، واستمروا على عنادهم واتمّوا، فازدادت حفائظهم التظاءاً، ونياتهم خلوصا في جهادهم وصفاءً، وعزائمهم تصميما على غزوهم ومضاءًا، فأذنّا لهم في مناجزتهم وحضضناهم على الجد في نزالهم واغتنام الأجور العظيمة في قراعهم، فنصبوا لهم الحرب مستعينين بالله متوكلين عليه، راجين جسيم[97] ثوابه منتجزين كريم وعده في من حادّ امرَه[98] وعَنَد عن سبيله، واباح محارمه «واتخذ الهه هواه»[99]، فشاهدوا من جدهم وشدهم ما زلزل اقدامهم، واذهب جرأتهم وإقدامهم، وأظهر نكوصهم وإحجامهم، واكذب املهم في الاحتماء ومرامَهم.

(85) في (ب) : كلمة مأروضة في الاصل، والتصحيح من (ب)،، بعد هذا نجد خلطا في ترتيب اوراق المخطوط فتكون تكملة الرسالة على الصفحة 14 وما بعدها في زوائد المخطوط، وهذا ما تؤكده رسالة بروفنصال، انظر خصوصيات الرسالتين في الفصل الثاني.

(86) في (ب) : العارية.

(87) في (ب) : اعماءهم.

(88) في (ب) : ويقصروا ممن لقت الجهالة...

(89) في (ب) : الغواية.

(90) في (ب) : بجناب.

(91) في (ب) : وتتملط شفارهم.

(92) في (ب) : قرب كمل... وتوضح الرسالة السابقة هذه الآلات.

(93) في (ب) : احتداما... واضطراما.

(94) في (ب) : عليهم.

(95) في (ب) : الامن.

(96) في (ب) : اعزهم الله انهم.

(97) في (ب) : جزيل ثوابه.

(98) في (ب) : حاد عن امره.

(99) في (ب) : من الآية 22 من سورة الجاثية.

وتمادى الشغل في الآلات المباركة إلى أن تمت على المراد ((منها)) وتهيأت حسب القصد بها، ثم استخير الله تعالى[100] في ادنائها إليهم وتقريبها منهم، فقدِّمت ـــ ونصرُ الله يَقدُمها، وتأييده يكنُفها، وعونه يمهّد ويطرِّق لها ـــ فانتهت إلى حفيرهم، واستعلت على اسوارهم، وتضاءلت لها مُنيفات جُدُرهم، وصَبّت عليهم سوط عذاب، ورمتهم بالصيْلم الصمّاء والداهية [النآد]، ومناهم الله بما[101] لا قبل لهم به، ولا استطاعة على مقاومته ودفعه ؛ واستمرت الحال في التوطئة ((لها)) وردم الخندق ((امامها)) أياما[102]، والحرب تكلُمهم، والحيْن يُبرزهم إلى مصارعهم ويقدُمهم، وكانوا قد بالغوا في تأشيب الخندق وتحصينه، بمجاوزة الحدّ في توعيره[103](وتوسيعه)[104]، فاشتغل الموحدون اعزّهم الله ـــ بتسويته وردمه[105]، وناوشتهم القتال طائفة منهم لم يتوفّر (106) استعدادها، ولا تكثرت بسبب اشتغال ((سائر الموحدين)) بالخندق أعدادها، فأهب الله ريح النصر لأنصار الحق وحُماته، واوليائه الذّابّين عن حُرماته، المجاهدين لإعزاز أمره وإعلاء كلماته، فاقتحموا الستارة (عليهم)، ودخلوها عنوة على صدورهم، وهدموا برجا من ابراجها ومسافة ممتدة منها، وقتلوا عندها جماعة من جلدانهم[107]، وجملة من نُخب[108] شجعانهم وأشدائهم، وعضّتهم الحروب[109] هناك بأنيابها، ومَدَّت الحتوف اليهم[110] بأسبابها، ودخلت المنايا عليهم من جميع أبوابها وأنقابها، فأدهشهم ما عاينوه[111] من ذلك وهالهم، وأوهن كيدهم واضعف محالهم، وأضاق عن المصابرة ذرعهم وتقصّر فيها مجالهم ؛ وتيقنوا أن لا وَزَر من امر الله ولا منجَى لهم[112]، وعلموا أنهم ان تأخروا فُواق ناقة أو استأنوا ارتداد لحظة دارت (بهم) الدائرة[113] ونزلت عليهم القاصمة الفاقرة ؛ ودخل الموحدون المدينة عليهم، واستباحوهم من (فورهم)، فألقوا يد الخضوع (والقياد)، وألظّوا بالاستغفار والمتاب، وبادروا بإرسال أشياخهم/ وأعيانهم وأهل الحل والعقد منهم باخعين[114] ع ز/15

---

(100) في (ب) : الله سبحانه في ...

(101) في (ب) : والداهية الناد، ورماهم الله منها بما...

(102) في (ب) : الخندق لها اياما.

(103) في (ب) : بالغوا في ترتيس... ومجاوزة الحد...

(104) في (ب) : كلمة مأروضة في الاصل والتصحيح من (ب).

(105) في (ب) : الموحدون اعانهم الله في تسويته وردمه.

(106) في (ب) : لم يتوفوا.

(107) في (ب) : من جلدائهم.

(108) في (ب) : من نجب.

(109) في (ب) : الحرب.

(110) في (ب) : عليهم.

(111) في (ب) : عاينوا.

(112) في (ب) : لاوزر لهم من امر الله ولا منجأ لهم.

(113) في (ب) : ان تأخروا فراق... واستانوا... دارت بينهم الدائرة.

(114) في (ب) : منهم اجمعين بالطاعة.

بالطاعة، مستقيلين من العثرة، مستصفحين عن سالف الجريرة والزلة، راغبين في قَبول الانابة والتوبة، مادين لطلب الامان ايديَ الاستخذاء[115] والضراعة مستنزلين من فضل هذا الأمر ما لم يزل يعهد من العفو بعد الغلب ((والقدرة))، فقبل متابهم، ووُصلت بسبب التجاوز أسبابهم، وكان إلى حميد العاقبة وسعيد الخاتمة مآلهم ومآبهم، وبذل لهم من التأمين ما رجوه، وبلّغوا من الصفح الجميل ما امّلوه وبغَوه، وان كانت سوابق ذنوبهم وسوالف جُرْمهم وحَوبهم تقتضي رد رغباتهم، وأيباقهم بما اكتسبوا من سيئاتهم[116]، لكن رحمةُ الله وسعتهم، ومغفرته تغمدتهم، وسابقة الحسنى هدتهم إلى التوبة ويسّرتهم، والمنة المعلومة لهذا الأمر[117] عمتهم وشملتهم، فأضحوا[118] للنعمة مستشعرين، وبما وُهبوه من السلامة في الأنفس والأهْلين مستبشرين، ولله تعالى على ما تداركهم به من إعلاق أيمانهم[119] بحبل القبول وسببه حامدين وشاكرين[120] ؛ وخرج زعيمهم عن البلد صاغرا، وسارع إلى امتثال الأمر ضارعا داحرا[121]، جَذِلا بما مُنح من الإبقاء عليه في نفسه وأهله، معترفا بالنعمة في التجاوز عن سالف ذنبه وقبيح فعله[122]، واستولى الموحدون ــ أعزّهم الله «تعالى» على المدينة أتم استيلاء، واجراهم الله[123] في اظهار رايتهم وإحراز امرهم من النصر وغايتهم على متعارف الإسماء والإعلاء، سُنّةً منه سبحانه لا يُنسخ حكمُها[124]، ولا يتبدل رسمها، ولا يعدل عن سَمْته السديد[125] وأثره الحميد قصدُها وأَمُّها ؛ فله الحمد سبحانه على ما أولاه، والشكر على ما يسره من إعزاز امره وسنّاه.

وكان المنتزي فيها[126] قد استهوى جماعة من طَغام[127] الفتنة واستغوى حُثالة من اراذل[128] العامة قهر بهم سواهم، واستولى بهم على غيرهم، وتسبب الى استمالة نفوسهم، وتوسل الى استخلاص نياتهم بإباحة المحرمات لهم، ورفع الحدود فيها عنهم، يرتكبون من الكبائر ما شاؤوا، ويسترسلون

---

(115) الاستخذاء : الانقياد، وفي (ب) : الاستحذاء.

(116) في (ب) : وحربهم تقتضي... وايثامهم مما اكتسبوا،

(117) في (ب) : لهذا الامر العزيز.

(118) في (ب) : فاصبحوا.

(119) في (ب) : من اغلاق إيمانهم.

(120) في (ب) : حامدين شاكرين.

(121) في (ب) : داخرا.

(122) في هذا تأكيد على ان الامان لم يشمل الاموال، وهذا يتفق مع الرسالة السابقة، راجع الهامش 20 على الرسالة السابقة (رقم 30) عن الثائر.

(123) في (ب) : الله تعالى في اظهار...

(124) في (ب) : لا ينتسخ.

(125) في (ب) : الشديد.

(126) في (ب) : بها.

(127) في (ب) : عظام.

(128) في (ب) : من ارذال.

من الجرائم والمآثم فيما اسْتهووا[129] واحبوا، ولا وازع يزعهم، ولا مانع يمنعهم، ولا قادع يَقدعهم ويزجُرهم[130]، فتسرب اليه لأجل ذلك دعّار اللصوص وأبَاق العبيد[131] واخابث اهل الحِرابة، والشرور، وجاؤوه[132] من كل اوب، واتوه من كل فج، ونسلوا اليه[133] من كل حدب، فاتخذهم جنده وصيرهم بطانته، ووافق شنٌّ[134] منهم طبقَهُ، فأمِر بهم أمْرُه واشتدت شوكته، وثقُلت بسببهم على أهل البلد وطأتُه، وملأت نفوسَهم ذعرا وفَرَقا هيبتُه وسطوته ؛ فلم يتمكنوا من نظرٍ فيما ينجيهم، ولا توصّلوا إلى إراغة أمرٍ يقرّبهم من هذا الأمر ويُدنيهم، لإذكائه العيون عليهم (وأخذِه) الثنايا دونهم وبثه الأرصاد فيهم، وبحثه[135] عن أخبارهم وإصاخته لأنبائهم، فمن عُثر منه على ما يريبه أو سمع عنه ما ينكره أحلّ بهِ عقابه، وأنهَب أوباشَه مالَه، ونَوّع عقوبته لهم بحسب أحوالهم وعلى[136] قدر مراتبهم : فقتيل أو طريد أو حبيس، وتجاوز ذلك إلى أخذ الولي بوليّه، وقتل الحميم بحميمه، وتعدّى[137] معاقبة الرجال، إلى التنكيل بربّات الحجال، فتحامى الناس شرّه وصدّهم عن كل محاولة خوفُه، واستر(ا)ب الابن بابيه، ولم يثق[138] الاخ إلى اخيه ؛ ولما تقرر ذلك عندنا وتُحقق لدينا أمّنّاهم امانا عمّهم فضله، وكنفَهم كهفُه، وغمرهم إحسانُه، وأواهم ركنُه[139]، فأحرزوا السلامة في أنفسهم وأهليهم، واستقرت الدعة والامنة في عِراصهم ومغانيهم.

وكان الموحدون ــ اعانهم الله ــ طول مُقامهم عليها ومدة[140] حصرهم لها تترادف الأرفاق عليهم، وتنساق[141] الأرزاق اليهم، وتعتمدهم الخيرات من كل جهة، وتجلب اليهم من كل ناحية، على **ما كان بافريقية في هذا العام من قلة إصابتها وخلو مخازنها**[142]، فوضع الله البركة فيما سيق ع ز/16 لهم وأُتي (به) اليهم[143] فعمّهم الخير، وشمِلهم/ الرفق واليسر، عونٌ من الله سبحانه بهم وإنجاد

(129) في (ب) : فيما اشتهوا واحبوا.

(130) كذا بالاصل وفي (ب) : (...يزجرهم ويقعدهم)، ولعل هذا اصوب حيث يتناسب مع السجع.

(131) في الاصل : (فتسرب اليهم) والتصويب من (ب)، وفي (ب) ايضا : فتسرب اليه من اجل ذلك ذعار...

(132) في الاصل : وجاءوا، والتصحيح من (ب).

(133) في (ب) : وتسلوا.

(134) في (ب) : نثير.

(135) في (ب) : على.

(136) في (ب) : احوالهم على قدر...

(137) في الاصل : وتعدي.

(138) في (ب) : واسترب...ولم يثن.

(139) في (ب) : وكنه.

(140) في (ب) : ومد.

(141) في (ب) : وتساق.

(142) كيف يمكن التوفيق بين هذا التناقض بين قلة الاصابة وفراغ المخازن من جهة، وتنعُّمِ الموحدين بالخيرات التي تصلهم وهم على حصار قفصة ؟ وهل لهذه الحالة علاقة بقضية المركب البيـ[illegible] الذي استولى عليه حاكم طرابلس وكان حاملا للقمح من صقلية حسب الرسالة رقم 32 ؟

(143) في (ب) : اليهم واتي به نحوهم.

على تتميم مرادهم[144]، وحفظ لعوائده الكريمة عندهم.

وهذا القطر[145] ــ اكرمكم الله ــ قديم الاشتهار، معترف بشرفه على هذه البلاد والاقطار، معروف فضله وشفوفه على سالف الازمان والاعصار، وله من المزايا والمحاسن ما يُرْبي خُبْره على الإخبار، ينبعث من داخله الماء المَعين، وتحيط بخارجه الضِّياع المغِلة والبساتين، ويروق النواظر[146] مرآه المعجِب، ولا يستغرق الوصف مفاخره ولا يستوعب، ووضعه من الانتهاء في الحصانة، والتجاوز في المَنْعة والوَثاقة، بحيث لا يُصحِب مصعبُه، ولا يتمهد الا لهذا الامر العظيم[147] مركبُه، وهو روح هذا الاقليم ومعناه، وقطبه الذي تدور عليه رحاه[148]، وكان شذّاذ العرب وشُرّادهم يلوذون بذَراه[149]، ويسندون فيما يريغونه من عنادهم ويحاولونه من اضرارهم وافسادهم الى جنابه ويأرَزون (الى حماه)[150] وقد قمع الله بأخذه كل متطلع الى الفتنة وفلّ شباه، وكان الاشتغال به قد صَرف النظرَ اليه، ووقف المحاولة عليه ؛ وقد تفرغ بفضل الله النظر في مصالح هذه الارجاء، وخلا التقويم لإماطة ما ظهر فيها من نواشي الاعتداء، وانصرف التسديد لطحر الشوائب عن مشارب اهلها والأقذاء، وبالله نستعين في ما نحاوله من اقامة الحق وتمكين الدين، وافاضة المعدِلة ونشر الخير، وتسكين الدهماء واصلاح الخلل، وهو المنجد المعين، لارب غيره.

وكنا ــ وفقكم الله ــ اعلمناكم ان العرب ــ اصلحهم الله ــ يرجى لهم ان يتلافوا زللهم، ويستدركوا خطلهم، بغزو في جزيرة الاندلس ــ حاطها الله ــ يكفّر الله ((بها)) خطاياهم ويصلح عملهم ؛ والنظر في ذلك متوال، والاخذ فيه متصل[151]، وعون الله عليه مرتقَب، ووعده الكريم منتجَز، وهو ــ جلّت قدرته ــ متمّمٌ امرَه ومنجزٌ وعدَه، وهو المستعان، لارب سواه[152].

وظهر من نتائج هذه الحركة السعيدة وآثارها الحميدة، ان الله تدارك بها هذه الجهات بعد ان أشْفت على تلافها، وقَبضت عروقُ النفاق في اوساطها واطرافها، واومضت بوارق الفتنة من

(144) في (ب) : ..سبحانه لهم وايجاد على تتميم مرادهم.

(145) في (ب) : القصر.

(146) في (ب) : الناظر.

(147) في (ب) : الامر العزيز.

(148) في (ب) : راجع الهامش رقم 6 في الرسالة السابقة حول اهمية قفصة.

(149) في (ب) : وكان اباق... يلوذون بدراه.

(150) في (ب) : ويسندون فيما يزيغونه... وافسادهم الى منيع حماه، وقد قمع...

(151) يبدو ان هؤلاء العرب هم عرب رياح كما يتضح من الرسالة رقم 20 (م ر م) التي تتحدث عن اجتماع الخليفة برؤسائهم واستنفارهم للجهاد فتحركوا نحو الغرب على طريقي الساحل والداخل وان سليم بجهات طرابلس هي التي بقيت معها المحاولة للطاعة والاستنفار.

(152) تتحدث المصادر عن تزايد ضغط النصارى على الاندلس في اواسط السبعينات فكان هذا ــ الى جانب قضية قفصة ــ مما دفع الخليفة الى الحركة الى افريقية، فعاد منها بجيش عظيم من العرب وفيهم الشيخ ابو سرحان مسعود الرياحي على رأس قبيلته وقد كان خارجا عن سلطة الموحدين. انظر الرسالة رقم 26 (م ر م) والبيان 113 والقرطاس 212.

جميع[153] ارجائها وأكنافها، وكانت احوالها تنقل الينا ((على)) غير صورها، وتحكى على غير حقائقها، وتهوّن من امر هذه المدَرَة ما ليس بهيّن، وتضعِف من حال غويّها[154] ما ليس بضعيف، فكذّب الخُبْرُ الخبرَ، وشهدت المشاهَدةُ بتحريف النقل، وأبانت[155] الحقيقة ان هذه المدينة من الحصانة والامتناع، والسموق والارتفاع، بحيث لا تُنال في المُدد القصيرة[156]، ولا يُتسنى مَرامُها الا بالمحاولة الصعبة والمطاولة المديدة[157] وأن تيسرها[158] على الوجه المذكور، [والمعنى المروي المأثور]، في هذا الامد القريب لمن بركات هذا الامر (المعهودة)[159] وسعوده المطردة وعوائد الله ((له)) الجميلة ؛ فاشكروا الله تعالى على هذه النعم الجمة[160] والآلاء المتتابعة، وعَضّوا بالنواجذ [على] التمسك بغرره[161]، ((واستديموا)) الدعة بركوب سفينته، وتملأوا النعمة بالإيواء الى ركنه، وتيقنوا انه امره الذي تكفّل بعَضْده، وأبى الا إتمام نوره وإعلاء حزبه، وانشروا هذه الفتوح المبِينة[162] والبشائر المبهجة وبُثّوها في أملائكم، وتحدثوا بها في نواديكم، وخاطِبوا بشرحها جميع جهاتِكم، وأذيعوها في كافة أرجائكم،[163]، (...) يشترك جميعكم في المسرة ((بها))، ويتساهم كلكم في شكر الله عليها، ويتجدّد الاخلاص لكافتكم بهذا المسموع ((السارّ منها، وهو تعالى جدّه يتابع عليكم نعمه، ويوالي قِبلكم مِنحه ومِننه، بجوده وكرمه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب عقب رجب الفرد سنة ست وسبعين وخمس مائة)).

---

(153) في (ب) : في جميع.

(154) في (ب) : ويَهون من امر... ويضاعف من حال.

(155) في (ب) : واتانة.

(156) في (ب) : المدة القصيرة.

(157) في (ب) : ولا يتمشّى مرامها الا بمحاولة الصعبة.

(158) في (ب) : وان تيسيرها.

(159) في (ب) : هذا الامر العجيب.

(160) في (ب) : هذه العطايا الجمة.

(161) في (ب) : كلمة (على) غير واضحة في الاصل، والتصحيح من (ب)، وفي (ب) : التمسك بعروة.

(162) في (ب) : الفتوح البينة.

(163) في (ب) : واذيعوها في اكنافكم وارجائكم.

الرسالتان رقم 32 ورقم 33 :

رسالتان من حكومة بيشة (بيزا)
إلى أمير المومنين يوسف بن عبد المومن
للتذكير باحترام العهود بين الطرفين

تقديم :

ابتداءا من الان تأتي رسائل المستشرق الايطالي أماري ميشيل التي تهم موضوع البحث، مرتبة ترتيبا زمنيا مع بقية رسائل المصادر الاخرى[1]، وسيرد في هوامشها تعبير «الاصل المعتمد»[2] والمقصود به مجموعة رسائل اماري مادمنا لم نتمكن من الاطلاع على الاصول الأولى، ومن الرسائل التي تهمنا الآن من هذا المجموع الرسالتان رقم 2 ورقم 3.

فالاولى منهما (اي رقم 2 عند اماري) مؤرخة ب 23 ابريل 1181[3] وتحمل شكوى الى الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المومن من اعتداء والي طرابلس على سفينة بيشانية محملة بالقمح الصقلي حيث انتهبت السفينة وسُجِن تجارها، والمطلوب هو احترام «العهد» الذي يؤمّن البيشانيين في الانفس والاموال ولا يفرض عليهم غير اداء العشر «المعتاد» أخذه منهم.

والرسالة الثانية منهما (رقم 3 عند أماري) مؤرخة بفاتح يوليوز 1182[4] وتحمل ايضا شكوى الى الخليفة يوسف من تجاوز المشرف المالي ببجاية حدود «العهد» المكتوب المجدد بين الطرفين، وتذكّر بما يتضمنه هذا العهد من التأمين للبيشانيين في الانفس والاموال برّا وبحرا، وبعدم مطالبتهم بغير العشر، وهذان نصا الرسالتين على التوالي :

---

(1) Amari Michel = Diplomi Arabi Dell Archivio Fiorntino 1863 T.1.

(2) يمكن ان نعوض احيانا عبارة «الاصل المعتمد» بالرمز (ام).

(3) حسبما في الترجمة الايطالية للرسالة، وهذا يقابل بالهجري تاريخ 6 من ذي الحجة 576 (T.C).

(4) هذا حسب ما في النص العربي وهو يقابل 26 صفر 578 هـ، غير ان الترجمة الايطالية تحمل تاريخ 1181م (Diplomi p 13).

ملاحظة : هاتان الرسالتان ادمجتا ضمن المجموعة بكيفية استثنائية حيث انهما غير صادرتين عن السلطة الموحدية، وكذلك الرسالتان 38 و 39 والهدف من هذا الادماج اضافة بعض التوضيحات للعلاقات مع بيشة والايوبيين.

ملاحظة : في جميع رسائل اماري كتبت الألف المقصورة منقوطة كالياء فكان لابدّ من تصحيح ذلك هنا.

الرسالة الثانية والثلاثون :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده[5].

الى امير المومنين ايد الله امره واعز نصره، معظمون مقامه، وملتزمون اعطايه(*) أبْلُدُه[6] أُركُ بشه(*)وصاحب كرسقة(*) وسردانية وقناسلتها(*) وقمامستها وشيوخها واهل الحل والعقد فيها، سلام كريم حفيل على الحضرة المعظمة ورحمة(*) الله تعالى وبركاته.

اما بعد، فالحمد لله على العلم والايمان له انه الحكيم العليم، الأول القديم، الذي لا تدركـ(ـه)[7] الابصار، ولا تحيط به الاقدار، ولا تقف على كنه عظمته[8] الاخطار، الموجود بكل مكان، الخارج عن كل زمان، كان بلا ابتداء، الدائم بلا فناء، نحمده جل وتعالى، ونسأله بعزته وعظمة قدرته[9] ان يديم العزة الى امير المومنين موفور الجملة، متواصل النعمة، منصور الرايات[10]، منجح الطلبات، ملأ الله ايامه سعدا ونجحا، واوسع[11] جنده نصرا وفتحا بمنه وطوله، وحوله وقوته.

كتابنا اليكم[12] ــ ايدكم الله ونصركم ــ من مدينة بيشة[13] حرسها الله ؛ ان مركبا[14] من تجارنا، واهل قطرنا وانظارنا، اوسق[15] بالقمح من جزيرة سقلية[16]، واقلعوا يريدون[17] مدينة اطرابلس ــ [18] ــ حماها الله ــ فاسقطهم الريح في احوازها، وكان الماء قد عجزهم، فنزلوا الى البر ليستقوا، فلم يتركهم اهل الموضع الا حتى باعوا[19] منهم من القمح قليلا، فلما كان في أثر هذا وصل من مدينة اطرابلس غراب معمّر[20] من عند واليها ومقدمها، وقبض على القوم وأنبهم،

---

(5) هذه العبارة (والحمد لله حق حمده) اتخذها ايضا غليام ملك صقيلية علامة في رسائله (ابن جبير 226).

(*) كذا في الأصل المعتمد (ا.م).

(6) يسمى في الرسالة اللاحقة : ابلده مطران بيشة.

(7) في الاصل المعتمد : (لا تدرك)، وفي الرسالة اللاحقة : (لاتدركه).

(8) في (ام) : (ولا تقيف على كنة عظامته) قارن نفس العبارة في الرسالةاللاحقة.

(9) في الاصل المعتمد : (ونسألوا بعزته وعظامة..) قارن مع نفس التعبير في الرسالة اللاحقة.

(10) في (ام) :الريات.

(11) في (ام) : وواسع. قارن مع نفس الكلمة في الرسالة اللاحقة.

(12) في (ام) : (كتابون اليكم).

(13) بيشة : انظر عنها ابن سعيد في «بسط الارض» ص 102.

(14) في (ام) : انا مركب.

(15) في (ام) : اوسقا.

(16) عن صقيلية : انظر ابن سعيد في بسط الأرض (101 ــ 102).

(17) في (ام) : يردون.

(18) كذا في الاصل المعتمد وعن طرابلس انظر الاستبصار (110 ــ 111) والروض المعطار ص 389.

(19) في (ام) : (بعوا) وصححها الماري : بيعوا (ص 397).

(20) في (ام) : غرابا معمرا.

وقبض على الذي وجد في المركب من التجار، ونجا بعض منهم في العشاري وقذّفوا حتى وصلوا الى اطرابلس وهم (...)[21] بصاحبها فقبض على جميعهم وأنهب[22] جميع ما وجد عندهم من قمح ومال، وهم في سجنه وتحت[22 م] أسره حتى الآن.

فرغبتنا جميعنا الى فضل سيدنا امير المومنين — ايده الله — لينفذ امره العلي بتسريحهم بجملتهم وجميع مالهم، ويسرّحوا[23] على التي هي احسن[24] الى اوطانهم، اذ هم وسواهم مِن مَن[25] شملهم هذا الامر الملتزم، والعهد النافذ المحكم، مؤمّنين في انفسهم[26] واموالهم في جميع بلاد الموحدين لا نائبة تنوبهم، ولا ضريبة[27] تلزمهم سوى العشر المعتاد اخذه منهم، والله بعزته يجعلنا ممن وفّى[28] بعهده، وحافظ[29] على عقده، بمنه وفضله، والسلام الاعظم الاكرم على الحضرة العليا ورحمة(*) الله تعالى[30].

أمير المومنين ابو يعقوب يوسف
بن امير المومنين ايد الله امرهم واعز نصرهم

---

(21) في (ام) : منتسوين، ولعل الاصح مستأنسين.

(22) في (ام) : وانهـ...

(22 م) في (ام) : وتحتي.

(23) في (ام) : ويصرحوا.

(24) في (ام) : التي هيا.

(25) كذا في (ام).

(26) في (ام) : انفوسهم، والاشارة هنا واضحة الى اتفاق سابق مع الموحدين.

(27) في (ام) : لا نائبة تنوبهم، ولا ضريبة (بدون نقط على الكلمات الثلاثة).

(28) في الاصل م : يجعلنا ممن وفيا.

(29) في (ام) وحافض.

(30) اورد اماري في آخر الترجمة الايطالية للرسالة تاريخ 22 ابريل 1181، وهذا يوافق 6 من ذي الحجة 576 (T.C).

الرسالة الثالثة والثلاثون :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده[1]، الى امير المومنين امام الموحدين ابي يعقوب يوسف بن امير المومنين، ايد الله امرهم واعز نصرهم، معظمون مقامه وملتزمون اعطايه[2] أُبْلُذْ مطران بيشة[3] وكرسقة وسردانية وقناسلتها وقمامستها واهل العقد والحل فيها، سلام كريم حفيل على الحضرة المكرمة ورحمت[4] الله تعالى وبركاته،

وبعد حمد الله على العلم والايمان به انه الحكيم العليم، الاول القديم، الذي لا تدركه الابصار، ولا تحيط به الاقدار، ولاتقف على كنه عظمته[5] الاخطار، الموجود بكل مكان، الخارج عن كل زمان، كان بلا ابتداء، الدائم بلا فناء، نحمده جل وتعالى ونسأله بعزته وعظمة[6] قدرته ان يديم العزة الى امير المومنين موفور الجملة، متواصل النعمة، منصور الرايات[7] منجح الطلبات ؛ ملأ الله ايامه سعدا ونجحا، واوسع جنده نصرا وفتحا، بمنه وطَوله، وحوله وقوته،

كتابنا[8] الى الحضرة المؤيدة — ادام الله عزها واعز نصرها — من مدينة بيشة حرسها الله، ونحن واقفون على التزام رسوم العهد المكرم وحدوده[9]، والجري على مراسمه المتعارفة في إطلاقه وتقيده[10]، ومثل ذلك عهدنا عن الامر العزيز في هذه المدة السالفة عهد شديد الاحوال، بعيد فيما علمنا عن الوهن والاختلال، حافظ[11] عهدته لما يحفظه العهد المؤكد من النفوس والاموال، والآن وصلنا — ايد الله أمركم واعز نصركم — على ألسنة تجارنا الواردين[12] من بجاية — عمرها الله — ان ابا عمرو بن علي بن حسون متولي إشرافنا[13] فيها انهى اليهم، وانفذ امره اليهم ان لا يبيعوا ولا يشتروا[14] من امتعتهم وانواع سلعهم التي كانت عادتهم شراءه، والتصرف به الا ان

---

(1) انظر الهامش 5 على الرسالة السابقة.

(2) كذا في الأصل المعتمد (ام) قارن مع الرسالة السابقة.

(3) قارن مع الرسالة السابقة.

(4) كذا في (ام).

(5) في (ام) : لا تقيف على كنة عظمته.

(6) في (ام) : ونسالوه بعزته وعظامة.

(7) في (ام) : الريات.

(8) في (ام) : كتابون.

(9) اشارة واضحة للسلام والتجارة بين بيشة والموحدين.

(10) في (ام) : ويفيده. وصححها اماري هكذا : (وتنفيذه) ص 397، ولعل الاصح ما اثبتناه.

(11) كذا، والصواب : عهدا... بعيدا... حافظا.

(12) في (ام) : الوردين.

(13) عن مصطلح الإشراف انظر الفقرة الثالثة من الفصل الخامس.

(14) في (ام) : ان لا يبعون ولا يشترون. وصححها اماري في ص 397 : ان لا يبيعون..

يجلب كل واحد منهم ممن تبلغ بضاعته خمسمائة دينار درعا كبيرا[15] جيدا وهذا امر ليس يقتضيه[16] العهد المحكم، ولا الامر النافذ الملتزم الذي لا نقض لعهده ولا حل لعقده، فهو[17] عندنا وعندهم عهد ملتزم مؤكد، ورسم مكتوب مبرم مجدد بالامن والامان، لا نائبة تنوبهم ولا ضريبة تلتزمهم سوى العشر المعتاد اخذه منهم[18].

فرغبنا الى الحضرة المكرمة ــ ايد الله نصرها ــ ان ينفذ امرها العالي الى العمال[19] والمتصرفين في انظارها ان يحملوا تجارنا ومسافرينا على ماجرت[20] به عادتهم في ما تقدم من الاقبال والايراد، ولا يطلبون[21] منهم خلاف ما عاينوه من المألوف[22] منه والمعتاد، ولا يهوبهم[23] فزعا، ولا يندهونهم باذاية برّا وبحرا ؛ والله بعزته يبقي ما بيننا على ما يرضاه موصولا، ولا يجعل للغير عليه سبيلا، بمنه ويمنه وحوله وقوته، وسلام الله الاعم الأكرم على حضرة سيدنا الاعظم ورحمة الله تعالى وبركاته، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وكتب في اول شهر يوليوه سنة الف و مائة واثني[24] وثمانين لالتحام المسيح السيد[25].

(أ)مير المومنين وامام الموحدين
(أ)يد الله امره واعز نصره.

---

(15) في (ام) : عادتهم شرايه والتصروف... يجلبون كل واحدا... تبلوع.. ديناراً درعا كبرا جيدا.

(16) في (ام) : ليس يقتضه.

(17) في (ام) : فهوا.

(18) التاكيد هنا على تجديد اتفاق سابق مكتوب، راجع في الفصل الثاني العلاقات مع الايطاليين.

(19) عن هذا المصطلح راجع الفقرة الثالثة من الفصل الخامس.

(20) في (ام) : جرات.

(21) كذا في (ام) : ولعل الأصح : ولا يطلبوا.

(22) في (ام) : الملوف.

(23) كذا في (ام).

(24) كذا في (ام)، راجع الهامش 4 على التقديم للرسالة حول تاريخها.

(25) في (ام) : السايد.

الرسالة الرابعة والثلاثون :

رسالة السيد محمد بن الخليفة يوسف من ظاهر يابرة إلى أهل مرسية بشرق الأندلس[1]

تقديـم :

عندما عاد الخليفة يوسف من الاندلس الى مراكش سنة 571 كان قد عقد هدنة مع كل من ملكي البرتغال وقشتالة[2]، الا ان انشغاله بامور المغرب وخاصة افريقية[3] شجعهما على نقض هذه الهدنة : فاحتل القشتاليون كونكة (572) واشتدت الهجمات البرتغالية على جنوب الاندلس (575 ــ 576)، ثم وصلت قوات قشتالة الى قرب اشبيلية والقوات البرتغالية ايضا الى غربها خصوصا سنة 578، وكان الخليفة آنذاك منشغلا ببعض احداث المغرب الأقصى[4] ثم استعد للحركة الى الاندلس فجعل على ولاياتها ابناءه ومنهم ابو عبد الله محمد على مرسية وامروا بالاستعداد للغزو[5]، ثم وصل الخليفة الى اشبيلية في صفر 580 ومنها تحرك نحو شنترين، وفي طريقه اليها التحقت به عساكر الاقاليم الاندلسية[6] ومنها عساكر شرق الاندلس، واشتركت في المعارك عند شنترين وما حولها. واثناء الارتحال عنها بشكل مضطرب تعرضت ساقة الجيش ــ التي يوجد بها الخليفة واهل الشرق مع غيرهم ــ لهجوم مفاجيء من فرسان شنترين حيث استطاعوا ان يطعنوا الخليفة ويقتلوا عددا من اعيان جند الشرق ومن معهم، وبعد الارتحال وضياع المؤونة تفرقت العساكر في المنطقة لجمع الاقوات[7] وصل بعضها شمالا الى حصن طُرُش، وذلك قبل موت الخليفة في 18 ربيع الثاني 580، وفي طريق عودة الحركة وقرب مدينة يابرة وجه والي الشرق السيد محمد الى اهل ولايته بمرسية رسالة مؤرخة ب 21 ربيع الاخر سنة 580 يخبر فيها بما قام به الموحدون

ملاحظة : (   ) ما بين هلالين غير واضح كلا او بعضا في المخطوط : مأروضا او ممحيا او مغطى بورق التصليح، فملأنا الفراغ احيانا اعتمادا على وضوح بعض اجزاء الكلمات مع المطابقة للمعنى.

(1) كاتب الرسالة هو ابو الحسن القلنّي، انظر ترجمته رقم 13 ضمن تراجم الكتاب في المقدمة.

(2) انظر الرسالة رقم 29.

(3) انظر الرسالتين 30 و 31 حول فتح قفصة.

(4) مثل توجيه حملة الى معدن زكندر، والانشغال بالثائر الجزيري، وتأديب عدد من العمال (البيان المغرب ص 120 و 128 وما بعدها).

(5) انظر البيان ص 129.

(6) البيان ص 133.

(7) البيان 137.

خلال هذه الحركة ولكن بشكل معمم، ولعله قصد بذلك التمويه لإخفاء فشل حصار شنترين واخفاء موت الخليفة الى حين عودة الحملة الى اشبيلية[8]، وهذا نص الرسالة كما وردت في زوائد العطاء الجزيل.

نص الرسالة :

ع ز/31 من محمد[9] بن سيدنا أمير المومنين بن سيدنا أمير المومنين — ادام الله تأييد امرهم — إلى الطلبة والشيوخ والاعيان والكافة من أهل مر(سـ)ـية[10] وجهاتها، اطلع الله عليهم كواكب الفتوح نيّرة الاشراق، واجناهم ثمر البشائر المعسولة حلو (المذاق)، وهز اعطافهم سرورا من اهتزاز السُّمر والبيض الرقاق، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي جعل امره عاليا، وضاعف النصر له متتابعا متواليا، وجعل الجنة تحت ظلال السيوف فيا بشرى من كان عن الاسلام ذابًا ولحوزته حاميا ؛ والصلاةِ على محمد المصطفى الذي اختاره الله لدينه الحنيفي داعيا، وجعله لهذه الأمة عند تكاثف الظلمة نورا هاديا، وبعثه إلى الأحمر والأسود (والأدنى) والأبعد بقوله الفصل وحكمه العدل آمراً وناهيا، وسماه لفضل كرامته عليه عاقبا وحاشرا (ومرحيا ؟) صلى الله عليه صلاة تفر[11] له من الكرامة (...)[12] حظا جسيما وافيا، وحياه تحية طيبة ترفع له في المقام المحمود على حكم انتجاز الوعود محلا (...)[12] ؛ والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي اعلن بتوحيد الله مناديا، واخذ بحُجر من كان في (حاجـ..)[12] التجسيم متهافتا وفي هوته هاويا، وجاهد في الله تعالى حق جهاده ليعز كلمة الحق ويذل من كال (...)[12] قاليا وشانيا، رضي الله عنه رضىً يورده مَنهل الكرامة نميرا صافيا، ويلبسه بُرد الامَنة سُبوغ (الأذ...)[12] ضافيا، ويلقيه (...ـير)[12] العصمة وبريدَ الرحمة مطالعا له موافيا ؛ وعن صاحبه الأكرم، وعاضده الألزم، (ومؤازره) الأقدم، وخليفته المقدّم، سيدنا أمير المومنين المستودع من براهين حِكمه وأنوار علومه ما لم يزل (....)[13] الجهلة صاقلا جاليا، والمعيدِ شرْع الاسلام إلى شرخه القشيب الجديد وقد كان (داثرا)[12]، والمصيِّر له بعد العَطل (مزدانا) بالعوْد الأحمد حاليا ؛ وموالاة الدعاء لسيدنا أمير المومنين بن (سيدنا أمير) المومنين[14] بعزّ نصرٍ (يدرّ صبيبه)[12] على أكناف البسيطة هامرا هاميا، وتوالي فتح ينظِم له آفاق (الأرض[12] منها قاصيا أو

(8) انظر خصوصيات هذه الرسالة مع الدراسة التاريخية في الفصل الثالث.

(9) تولى محمد ابن الخليفة يوسف، على مرسية سنة 579 خلفا لعمه ابي يوسف ابن عبد المومن في الوقت الذي تولى اخوانه ابو زيد الحرضاني على غرناطة وابو يحيى على قرطبة وابو اسحاق على اشبيلية (البيان 141 والحلل 159).

(10) انظر عن مرسية المغرب لابن سعيد 250/2 — 251.

(11) يمكن ان تقرأ في المخطوط ايضا : (تفد)، غير ان المعنى يفرض ما اثبتناه حيث ان : وفر، يفر تعني كثّر.

(12) قدر كلمة مطموسة بفعل الارضة او التصليح.

(13) كلمات غير واضحة يبدو انها هكذا : (أبدا لريـ...ثوب).

(14) يقصد هنا الخليفة يوسف بن عبد المومن، مع انه توفي قبل كتابة الرسالة، انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الثالث.

دانيا ؛ فإنا كتبناه إليكم ــ كتب الله لكم بشائر تتناسق تناسق الجمان، (وتجمع)[12] نيل الاماني والامان، وتتكفل بعزة التوحيد وبكسر مضروب النواقيس ومعهود الصّلـ(ـبان[12]...)[15] الموحدين ــ اعزهم الله ــ بظاهرة يابرة ــ فتحها الله ــ [16] وكواكب النصر العزيز تشرق وتزهر، وإياة (...)(*) تأتلِقُ وتَبهر، وسعود التأييد المقترن بالتأبيد تعتلي وتَظهر، ولله في سرّ هذا الأمر (العزيز من ؟)(*) المثلات، وصروف العبر والآيات، ما طار مثله السابق في الآفاق، وجرت لَطائفةَ لِطائفة الحق (على)[12] المراد وغاية الوفاق، وابدى (شمسه) ضاحية في غاية الانارة والاشراق، ع ز/32 وآطلع قمرَه التمام (يستجـ...)[12]/ الإبدار و(الاتسـ)ـاق، لا (جـ)ـرم انه امره العالي الذي عزّت انصارُه واشياعه، وطبّق الخافقيْن نورُه الساطع وشعاعُه، وغمر القلوبَ الموقنة والانفس المومنة تصوُّرُه فيها وانطباعه ؛ والحمد لله على ذلك كثيرا حمدا يقتضي المزيد من آلائه والتحدث بباهر نَعمائه.

وإلى هذا ــ ادام الله توفيقكم، ونهج إلى ما يعود عليكم بالعارفة الحسنى في الدنيا والآخرة سَنَنكم وطريقَكم ــ فإنه لما فارقنا ذلكم الصقع[17] على ما كان الأمر العالي ــ ادام الله علاءه، وأنار بنجوم السعد سماءه ــ حدَّه لنا من التأهب للجهاد، والنظر في ضَمّ الأجناد[18] رحلنا عن تلكم الحِلّة بمن صحِبَنا من الكُماة، ومشاهير الحُماة، وذِكرُ الله تعالى شعارُ ألسنتنا، واستشعار خوفه جلّ جلاله منفّرُ سِنَتنا ؛ ولم نزل ننطي الرواحل، ونطوي المراحل، ونستعين الله تعالى ونسترفده، ونستهديه ونسترشده، ونسأله أن يعز كلمته العالية، وأن يجعل طائفته الغالبة الباقية، وأن يحل بالكافرين نقمتَه[19]، ويهبَ لطائفة التوحيد عصمتَه، حتى التحقنا بالموحدين ــ أعزهم الله[20] ــ وبالسواد الأعظم والجمّاء الغفير من جماهير العساكر[21] المؤيدة المنصورة على مقربة من وادي تاجُه[22] فانتظمنا بهم، ووصلْنا سببنا بالمتين سببِهم ؛ وارتحل الجميع والوعد الصادق يخبر عن وشيك

---

(15) يمكن ان تقرأ هكذا : الصلبان، من منزل الموحدين.

(16) يدل هذا التعبير على عدم خضوعها آنذاك لسلطة الموحدين، فقد كان ابن وانودين قام بحملة اليها في محرم 577 فغنم ما حولها ثم عاد الى اشبيلية (البيان 117 العبر 6/ 503) ومدينة يابرة تبعد غربا عن بطليوس بمرحلتين (الادريسي ص 544 ــ 545 ن الايطالية).

(*) قدر كلمتين مطموستين في آخر سطرين.

(17) كتابة (الصقع) بالصاد في هذا المخطوط من الامور الشاذة، فهو عادة بحرف السين، وللكلمة نفس المعنى في الحالتين.

(18) ان الاوامر الاولية من اجل الاستعداد «للجهاد» اعطاها الخليفة لابنائه عند تعيينهم على قواعد الاندلس في شعبان 579 (البيان 129) ولعل هذه الاوامر تجددت بعد جواز الخليفة من المغرب الى اشبيلية.

(19) يبدو ان المقصود هم البرتغاليون ما دامت الحركة موجهة اساسا نحوهم.

(20) يقصد هنا على ما يبدو جيش الخليفة.

(21) العساكر التي ضمتها حملة الخليفة يوسف آنذاك : قبائل العرب، زناتة، المصامدة، غمارة صنهاجة، اوربة، واصناف البربر وجيوش الموحدين والاغزاز والرماة (القرطاس 213) وعساكر اهل الاندلس زيادة على العبيد و الدائرة، وجعل الخليفة على العرب ابنه السيد ابا حفص (البيان 132).

(22) كان خروج الحملة الموحدية من بطليوس في اتجاه وادي تاجه يوم الخميس 10 ربيع الأول (البيان 133)، =

انتجازه، وينبىء أن على متقدّم صدوره متأخّرَ أعجازه، وسار الموحدون ـــ أعزهم الله ـــ بجد عازم، وسعد محالف ملازم، يقطعون السباسب (والموامي)[23] ويسددون إلى اعداء الله واعوانهم المرامي، ويدسّون لهم تحت التراب الدواهي، حتى احتلوا بحبوحةَ بلادهم، ووطِئوا على رغم الكفرة عاليَ شرفِهم[24] ومنخفِض وهادهم، مِن أرض طال ما باض الشيطان فيها وفرّخ، ومُذْ ألقى[25] كَلْكَلَه عليها ما أفرج عنها ولا أفرخ[26]، وحفائظ الموحدين ـــ أعزهم (الله ـــ تغور)[27]، ونفوسهم على اعداء الله تكاد تتميز وتفور، وعيونهم إلى اراقة دمائهم المطلولة تتطلع (وتمور) ؛ وكلما دنا الموحدون ـــ اعزهم الله ـــ من الكفرة ـــ احانهم الله ـــ تقدّم الرعب اليهم نذيرا، واوسعهم من مقاومة حزب الله تعالى تخويفا وتحذيرا، وأومأ النصر الى غلبة طائفة الحق معْلما ومشيرا، وأطلع عليهم من طوالع السعد ما كان دليلا على الفتح المبين وبشيرا[28]،ولم يزل اعداء الله تعالى (يأرزون) الى المعاقل والقنن، ويوفضون الى الكهوف الموذنة منهم بضَعف (المُنن) ويتسربلون الخوف بدلا من واقي الجُنن، والموحدون ـــ اعزهم الله تعالى ـــ يصلون في بلادهم (....)[29] ويجمعون في السير الحثيث الى مظانهم (..ـن)[30] الخبّ والتقريب، ومهما نزلوا بساحة احد (منهم) ساء صباحه، وبدا بحزازة قلبه وسَخنة (عينه) عليه (إمساؤه) وإصباحُه ؛ فلم يزالوا يوسِعون عامرهم وغامِرهم اقامة وتنقلاً، ويجوسون خلال ديارهم (....)[31] معقلا معقلا، يحيطون بهم احاطة الدائر بالمركز فيصرّوهم إلى حالة الأوهن الأعجز، (...)[31] وأسْرا، فيتملّكون أقواتهم تغلبا عليها وقسرا، واذا سروا الى قرية من قراهم (....)[31]ـراهم، وفصموا للكفرة منها موثق عراهم ؛ ولم يرتحلوا عنها ألا وقد خسفوها خسفا، (...[31].الأ)عداء الكفرة (...)[12] الاغترار والاملاء هدما ونسفا، وأضرموا النيران في كل سُوَيحة (... غادروها)[31] كحريق مستطير بالبُوَيرة، تنعق فيها ناعبات

= ويذكر صاحب البيان في نفس الصفحة : انه في حصن العرجة بين اشبيلية وبطليوس تكاملت «العساكر من كل أفق» بينها الرسالة هنا تؤكد ان قوات الشرق على الاقل لم تلتق ببقية العساكر الا في وادي تاجه اي بعد الاقلاع من بطليوس نحو شنترين (انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الثالث، وكذلك الدراسة التاريخية الفقرة، الرابعة من نفس الفصل.

(23) الميم الأول في الكلمة غير واضح، ويبدوا ان صحتها كما اثبتناه، فالموامي هي جمع لموماء وموماة بمعنى المفازة الواسعة او الفلاة التي لا ماء فيها.

(24) عن مصطلح الشرف انظر الادريسي (541) ن ايطالية.

(25) في الأصل : القي.

(26) لعله يقصد ارض شنترين واشبونة وما حولهما والتي كان استولى عليها البرتغاليون منذ سنة 542 واخذوا يتوسعون انطلاقا منها.

(27) حرف الغين مأروض، وقد يكون الاختيار مناسبا ما دام احد معاني كلمة (غار) : اشتد.

(28) لعله يقصد الضغط الأول على شنترين بالحصار وهدْم ربضها وتزايد آمال الناس في فتحها (البيان 133 ـــ 134)، انظر خصوصيات الرسالة والدراسة التاريخية الفقرة الرابعة من الفصل الثالث.

(29) كلمتان مطموستان جزئيا، ولعلهما تقرآن هكذا : الآساد بالمآويب.

(30) قدر كلمة مكونة من حرفين الى ثلاثة.

(31) قدر كلمتين الى ثلاث مغطاة في اوائل بعض اسطر الصفحة 32 من المخطوط.

الطير، وتوحش ايحاش (.... ـطعوا)[31] عامة ديار اعداء الله (ويسا...)[12] على غير تراضيهم، وخيموا بسيف الهجر (.....ـيهم)[31] ؛ والغارات من خلال (....)[32] فيما افاء الله عليهم من (....)[33] والموحدون ــ اعزهم الله/ (....)[34]نفائس[35]، وعين الله تعالى ترعاهم وتلحظهم، وكلاءته الواقية تصونهم وتحفظهم، حتى احتلوا في قفولهم بالعدوة القصوى من وادي تاجه[36]. ع ز/33

وعندما ارتحل الموحدون ــ اعزهم الله تعالى ــ من مضرب معسكرهم المبارك به، ذَمِر الكفرة اعداء الله نفوسهم، واعتقلوا ذوابلهم واجتابوا لبوسَهم، واجتمعوا بالقضّ والقضيض، ونزلوا عن عرعرة معقلهم[37] الذي ابقى عليهم دماءهم الى الحضيض، وتألّبوا وتكتّبوا، وذهبوا الى مخاتلة اهل التوحيد وبيسما ذهبوا، وراموا ان ينتهزوا في الموحدين ــ اعزهم الله تعالى ــ من الفرصة ما يُذهب عنهم بعض مضض الغصة، وان يصيبوا من شِذاذهم ومفترِق افذاذهم ما يجدون به الى العزاء سبيلا، ويقيمونه عند رهبانهم الضَّعَفة الوُهُن على جلَدهم وأيدِهم دليلا ؛ وهيهات ! لا تُعارَض صولة الاسد بانتفاخ الهرّ، ولا يقاس خيط العنكبوت بالحبل (الممدود) المِرّ، فوَشكانَ ما نَذِر بهم من حزب الله تعالى ــ وهو المفلح ــ مِقْنَب فيه اخوانكم اهل الشرق وسرية من الغرب[38] كانوا في ساقة الموحدين ــ اعزهم الله ــ عطفوا عليهم، واشرَعوا قبل رماحهم اليهم ؛ وتراءى الجمعان، وسَقط العشى باعداء الله تعالى على سرحان، فشدّوا عليهم شَدّة وجدوا ريح الموت من تلقائها، وقضت بذهاب نفوسهم الخبيثة لا ابقائها، واوردوهم حياض المنايا والحتوف، واتوا عليهم قَعصا[39] بالرماح وهبرا بالسيوف، فلاذت الشرذمة الذميمة والأشابة اللئيمة من فرسانهم بالفرار والاجحام[40]، ونجوا برأس طِمِرّة ولجام، بعد ان عُرِكوا عرك الرحى بثِفـ(ـالها)، وتُركوا اشردَ من النّعام في إجفالها ؛ وانصاع الى الحصن منهم من نجا، وما كان طمع في الحياة ولا (رجا،) فكم من ابن هناك اسلمه ابوه، واخ لم يعطف عليه اخوه، وذي صاغية وحاشية فرّ عنه (ذووه،) خرج في غير ضِمْنَ الكِلاءة، فَخَرّ ولم يوسَّد على الألاءة، وكان لهم[41] يوم كيوم جفر (...)[42] وفُقِدَ (في) ذلك المعترك من

(32) قدر كلمتين مطموستين.

(33) قدر كلمتين مطموستين في آخر السطر وقدر ثلاثة مغطاة في اول اللاحق به.

(34) اكثر من نصف السطر الاخير من الصفحة بالمخطوط كلماته مطموسة ومغطاة.

(35) كلمة مأروضة البداية.

(36) الملاحظ هنا تجنب الاشارة بوضوح الى شنترين لأن حصارها كان فاشلا، بينما العمليات الاخرى ضد المعاقل التي فيها حاميات محدودة ورد الحديث حولها في مثل : «واذا سروا الى قرية من قراهم...» ولو ان هذه العمليات لم تكن كلها ناجحة مثلا هزيمة جيوش شرق الاندلس في احدى هذه العمليات (البيان 135، والدراسة التاريخية في الفقرة المذكورة سابقا).

(37) يبدو ان المقصود هنا حصن شنترين الذي كانت مناعته من العوامل الاساسية لفشل الحصار.

(38) مقنب : جماعة من الخيل تجتمع للاغارة. واهل الشرق اي شرق الاندلس واهل الغرب ربما يقصد بهم اهل غرب الاندلس او المغاربة وهو الراجح.

(39) في الاصل قعضا، ويبدو ان الاصح هو ما اثبتناه.

(40) اجحم عن الشيء : كفّ عنه.

(41) في الاصل : (له) وهي غير مناسبة.

أعيانهم وذوي آرائهم وأسنانهم عصبة (....)[42]مائةٍ أو حدُّها، و(ربما) تجاوز القَدْر عدُّها، وأما ما لا يعرف من لفيفهم، ومن ضمَّه الى مصرعه خوفُ لومهم وتعنيفهم، فالعدد (الجم)[43]، والجمهور الأعم طوائف طالما ضلت واضلت، وأُذلت بعدها رقابُ المشركين فذَلّتَ ؛ فآب الموحدون ـــ اعزهم الله تعالى ـــ بعد هذه الوقعة أحسن إياب، وأحلّوا اعداءهم دار البوار، وآذنوهم على غابر الدّ(هر) بموبق (الإحشار،) ووسموهم يد المسند بميْهَم الذلة والصَّغار[44]، وأقروا عيونهم بإدراك (المقيم...)[45] ؛ فالحمد لله الذي قهر الشرك وأذله، وحمّله عبء هذا الأمر العزيز وكلّه، وشهر عليه (سيفه) وسلّه، وأراق به دم اهل التثليث فهدره وطلّه.

وخاطبناكم ـــ وفقكم الله ـــ بهذه الفتوح لتأخذوا (...)[46] من هذا الخير الممنوح، ولتعلموا أن هذا الصنع الجميل في خرق العوائد محسوب، وأن (...)[47] معزوٌّ ومنسوب، وان هذا الشرق المبارك قد امدّ لأهل الشرك والصليب ما (....)[47] مَن خالف هذا الامر العزيز وشقاقُه، وابتهج لسَماعه شامُ المعمور وعراقُه ؛ فخاطِ(ـبوا...)[47] وأصقاعِكم، واجعلوا على التحدث به مجتَمع تفرقكم ومفترَق اجتماعِكم ؛ والله عز وجل (...)[47] مثالَه، ويبوئكم فيءَ الامن وظلالَه، ويتحفكم بُرد الخفض والسّعة، ويسربلكم سربال (....)[47] لارب غيره، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام الطيب المبارك عليكم ورحمة الله تعالى و (....)[47] (الحادي)[48] والعشرين من شهر (...)[49] الآخـ(ـر) سنة ثمانين وخمس مائة[50].

---

(42) كلمة مطموسة.

(43) يذكر ابن ابي زرع مبالغا ان قتلى النصارى عند شنترين في المعركة قبيل انسحاب الموحدين بلغ 000 10، ومن المسلمين جماعة ! (ص 214).

(44) هل يقصد هنا الغارات على المعاقل بعد فك الحصار عن شنترين كالغارة على حصن طرش الى الشمال منها (البيان 137) ؟

(45) كلمتان غير واضحتين الأولى منهما يمكن ان تقرأ ايضا : المنيم...

(46) كلمة مأروضة قد تكون هكذا: (حظكم).

(47) كلمة او كلمتان مغطاتان في آخر السطر بالصفحة 33.

(48) كلمة شبه مطموسة.

(49) كلمة غير واضحة يبدو انها : (ربيع).

(50) حول هذا التاريخ راجع خصوصيات الرسالة في الفصل الثالث.

الرسالة الخامسة والثلاثون :

اتفاقية للسلام والتجارة بين المنصور وحكومة بيشة

تقديم :

في اوائل عهد المنصور وخلال حركته الى افريقية طلبت حكومة بيشة تمديد معاهدة السلام والتجارة بين الطرفين، فوافق المنصور على اتفاقية صالحة لمدة 25 سنة تحدّد شروط التعامل بين البلدين، وهي مؤرخة باوائل رمضان 582، وهذا نص الاتفاقية كما وردت عند اماري تحت رقم 5 :

نص الاتفاقية :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلّم تسليما، والحمد لله وحده[1].

الحمد لله المتعالي عن الانداد والقرناء، المتقدّس عن الصواحب والاحباء، [2] المحيط علمه سبحانه بما[3] يلتج في الارض وما يعرج في السماء،[4]، والصلاة على محمد رسوله المصطفى ونبيه الاكرم المجتبى[5]، خاتم الرسل والانبياء[4]، المبتعث بالحنيفية السمحة المجلّية لغياهب الكفر المتراكمة[6] الظلماء[4]، الناسخ برسالته الخاتمة وشريعته الدائمة كل ملة ونحلة الى يوم الدين والجزاء[4]، الموعود وعد الحق بلوغ ملك امّته ما زوي له من المشارق والمغارب والاكناف والارجاء[4]، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم محيي رسم الدّين بعد الدروس والعفاء[4]، ومعيده الى حالته الأولى من الوضوح والجلاء[4]، ومظهر معالم الشريعة بعدما تناولها الجهل بيد الاضمار والاخفاء[4]، وعن خليفته الاهدى وحواريّه الارضى سيدنا الامام امير المومنين ناشر علومه الباهرة الاضواء، وممشي دعوته العلية الى غايتها من الاظهار والاعلاء، ومرقيها من درجات الكمال ومراقي التّمام والاستقلال الى ارفع حالات السّموّ والنّماء، والدعاء[4] لسيدنا الامام امير المومنين[7] بن سيدنا الخليفة امير المومنين مقتفي اثرهما الصالح ببالغ الاقتفاء[4]، والمقتدي بهديهما والمهتدي بنهجهما اتمّ الاهتداء[4] واكرم الاقتداء[4]، بوفور الانصار وظهور اللّواء وعزّ الأولياء وكبت الاعداء[4]، وفتوح تتناسق، ووعود يتسابق نجازها ويتلاحق، على مرور الأوقات وتعاقب الاناء.

---

(1) العبارة (والحمد لله وحده) هي علامة الخليفة الموحدي.

(2) في (ام) : والاجنباء.

(3) في (ام) : سبحنه ما.

(4) الهمزة ناقصة في الاصل.

(5) في (ام) : المجتني.

(6) في (ام) : المتراكة.

(7) هو الخليفة يوسف.

هذا ما امضاه امير المومنين بن امير المومنين[8] ايدهم الله بنصره وامدّهم بمعونته — من الصلح للقناصلة والاشياخ والاعيان[9]، والكافة من اهل بيشة وجهاتها من بلد العتيق الى قاب قرب[10] والجزائر التي هي سردانية وقرصقة[11] وابلنيزة والبة وقبرارة ومونت اقرشت وجلْيُه وقرقونة[12]، وكل من فيها — هداهم الله — بعدما ارسلوا من زعمائهم واعيانهم «اطروان بن تدسك»[13] — وفقه الله —، واصحبوه مخاطباتهم، واستنابوه في العقد لهم وعليهم، واحالوا عليه في انهاء رغباتهم والإعلام بما عندهم، فعرّف رسولهم المذكور برغبتهم في ادامة المدنة لهم[14]، وحرصهم على امرار ما عمّهم من نعمة الاعتلاق بذمة هذا الامر العزيز وشملهم، وقرر ما عندهم من الضراعة في حفظ عادته الجميلة عندهم، (ورب... الاحراق...)[15] لهم، وانهم ملتزمون لكل شرط يشرط عليهم، ومنهون إلى جميع ما يحلّ لهم، فأسعف — اعلى الله مقامه ونصر اعلامه — رغبتهم[16]، واجاب مسألتهم، وأمر لهم صلحهم على عادتهم وهدنتهم، وعقد لهم[17] السلم إلى مدة من خمسة وعشرين عاما من تاريخ هذا الكتاب، على الأمنة التامة، والمعدلة الشاملة العامة ؛ وأذِن لهم — أعلى الله إذنه، ووصل إنعامه ومنّه — في الوصول إلى بلاد الموحدين اعزهم الله للتجارة فيها والتجهز منها، وقصرهم على أربعة بلاد من جملتها وهي سبتة ووهران وبجاية وتونس[18] — حماها الله — ولم يبح لهم النزول بغيرها ولا الاحتلال بسواها الا لضرورة من صعوبة البحر تُلجئهم إلى الإرساء[4] بساحل من السواحل دون أن يبيعوا فيه شيئا[4] أو يشتروه، أو يكلموا احدا من اهله في ذلك أو يخاطبوه، حاشا ألمريّة[19] — حرسها الله — فان لهم ان يتزودوا منها ويصلحوا

---

(8) الانسب هنا اضافة (ابن امير المومنين) للمرة الثالثة قارن مع صدور الرسائل 27 و 28 و 29 و 30 و 31 (م ر م).

(9) هل هذه اشارة الى الحكم الجماعي في بيشة ؟

(10) Capo corbo.

(11) في (ام) : قرصفة، وكتبت احيانا (كرسقة). «واهل كرسيكة اكثر الروم سفرا» الروض المعطار (554 — 555)، انظر بسط الارض (101)، وعن سردينيا انظر نفس المصدر والصفحة وكذلك الروض (314 — 315).

(12) حسب الترجمة الايطالية :
Pianosa, Elba, Capraia, monte cristo, Giglio, Gorgona انظر أيضا Diplomi p 399.

(13) في النص اللاتيني : At...r... Wann Figlio di Tedesco.

(14) لاحظ الرسالتين السابقتين 32 و 33.

(15) جملة غير واضحة بسبب ما يتخلل كلماتها من بتر.

(16) سقط حرف الغين في (ام)

(17) في (ام) : وعقد له.

(18) عن هذه المدن انظر الادريسي (57/ ن بيريس) وايضا (63 — 64)، والاستبصار (137 — 138) و (133 — 134) و (128 — 131) و (120 — 121)، وصبح الاعشى (5/ 157 — 160 و 109 — 110 و 102 — 103).

(19) عن المرية انظر الادريسي 562 (ن ايطالية) : والروض المعطار (537 — 538)، والمغرب لابن سعيد 2/ 198).

ما اختل من مراكبهم فيها لا غير، متى احتاجوا إلى ذلك ؛ ومتى تعدى احد منهم هذا الحد المحدود، فدمه وماله مباحان لأهل هذا الأمر العزيز لا ذمة تمنعه، ولا عهد لتعدّيه يحجزه.

ومتى نجم من اهل بلادهم الذين هم في هذا التاريخ قاطنون بها وساكنون فيها ناجم لاغتيال او مجاهرة، او خرج منهم ممن يتعين عندهم خارجٌ كان خروجه من بلادهم او من غير بلادهم لقطع سبيل أو حرابة، أو تعرض منهم متعرض للمسلمين ـــ عصمهم الله ـــ بنوع من أنواع المضرّة والاذاية، فعليهم أخذه بجريرته، ومعاقبته بما يوجبون على من جنى عليهم مثل جنايته، دون مسامحة في ذلك ولا مساهلة، ولا مساعدة في شيء[4] منه ولا مداهنة، وعليهم الا يحملوا احدا من المسلمين معهم ولا يسافرونه[20] في مراكبهم ومن فعل ذلك منهم فقد نقض عهده، ووجب لهذا الامر العزيز ان يمضي فيه بما شاء حُكمَه، وكان له ان يتملك رقبته ويستبيح ماله ودمه،

وعليهم ان يؤدوا ما جرت العادة باخذه منهم من العشر على العادات المعروفة والشرائط المعلومة، دون زيادة عليهم، ولا إحداث أمر لم يكن يلزمهم الا في ما صرفوه من سلعهم، وفي ما تَبايعوه بينهم من مراكبهم، فان العشر ساقط عنهم في هذين الوجهين لا يُطلبون به في شيء[4] منهما[21] ؛ ومتى وصلوا الى بلد من البلاد المأذون لهم في الوصول اليها ولم يريدوا ان يفرغوا فيه مراكبهم ولا يبيعوا به سلعهم، فليُتركوا في ذلك لاختيارهم، ولا يُكرَهوا فيه على خلاف مُرادهم، ولهم أن يُحفَظوا في بلاد الموحدين ـــ أعزهم الله ـــ على عادتهم، ويُجروْا من العدل والحماية على رسمهم، ويُمنعوا من كل من يريد اذاهم او التسبب بمكروه اليهم ؛ واذا لقيتهم في البحر اساطيل الموحدين ـــ نصرهم الله ـــ فلا سبيل لهم الى تعرضهم، ولا الى اذايتهم في نفوسهم ولا اموالهم، ولا في شيء[4] من شؤونهم او احوالهم وفاءاً بذمتهم، وامضاءا لأحكام سلمهم وهدنتهم.

فعلى هذه الاصول المقررة والفصول المفسرة انتظمت هذه المهادنة، وانعقدت هذه المسالمة والمصالحة، وبالله التوفيق في كل حل وعقد، وعليه التكلان في كل حرب وعهد، لارب غيره، ولا خير يرجى الا خيره ؛ وجعل ـــ ادام الله تأييده وظاهَرَ سعوده ـــ هذا الكتاب خمس نسخ يمسكون منها واحدة في بلدهم، ويستظهرون بباقيها في البلاد المأذون لهم في الوصول اليها توسعة عليهم واكمالا للمنة لديهم ؛ وكتب في اوائل شهر رمضان المعظم عام اثنين وثمانين وخمس مائة[22].

---

(20) كذا في (ام).

(21) يعتبر هذا استمرارا لما كان بين بيزا وبني خراسان بتونس حسب رسالة اماري رقم 1 المؤرخة بجمادى الأولى 552 (ص 4 Diplomi).

(22) يوافق هذا التاريخ في الترجمة الايطالية 13 نوفمبر 1186 غير ان المقارنة في (T.C)تجعل اول رمضان يوافق يوم 15 نوفمبر وعلى هذا الاساس فان اوائل رمضان تطابق اوائل النصف الثاني من نوفمبر وليس اواخر النصف الأول منه كما ورد في النص المترجم، وبالنسبة لكاتب الخليفة في هذا الوقت نجد بالخصوص ابا الفضل ابن محشرة (راجع ترجمته في مقدمة البحث).

الرسالة السادسة والثلاثون :

رسالة عن السيد ابي زيد والي تونس إلى تجار بيشة مشجعا لهم للتردد على البلاد

تقديم :

تولى السيد ابو زيد عبد الرحمان بن ابي حفص بن عبد المومن شؤون افريقية من سنة 583[1] الى ما بين 588 و 590[2]، ويبدو ان تردد تجار بيشة على افريقية ضعف خلال هذه الفترة[3] رغم الالتزام المكتوب لهم بامر الخليفة المنصور[4]، فاضطر الوالي الى تقديم ضمان جديد مؤكدا لهؤلاء التجار على امانهم بافريقية «برها وبحرها»، وهذا نص الرسالة كما وردت عند اماري تحت رقم 7 :

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

كتاب امان وتأكيد احسان، امر بكتبه عبد الرحمان بن سيدنا ابى حفص ابن سيدنا الخليفة الامام امير المومنين، الى جماعة تجار نصارى بيش ـــ هداهم الله ـــ امّن به سِربهم، واعذب شِربهم، وأنّس[5] وحشتهم، وسكّن نافرهم، وأحمد[6] مواردهم ومصادرهم، وأجراهم على ما تعوّدوه[7] من إحسان سيدنا الخليفة الامام أمير المومنين ـــ أيدهم الله ـــ ووثيقِ عهدهم، ومعهودِ رفقهم[8]،

---

(1) هذه السنة واردة في البيان.

(2) يشير التجاني الى وجوده واليا بافريقية سنة 586 حيث اتصل به قراقوش (ص 103) وورد في البيان (ص 188) والعبر (6/ 511) ذكر وصول السيد ابي زيد بن ابي حفص سنة 588 بهدية الى مراكش ومعه عرب افريقية، وعاد الوفد دون ذكر عودة ابي حفص معه، ويذكر صاحب البيان ايضا ان الشيخ ابا سعيد وردت مخاطباته من افريقية سنة 590 باستفحال امر العدو (ابن غانية) مع العرب (ص 191)، ومن هنا يتضح ان ولاية ابي زيد انتهت خلال المدة بين سنتي 588 و 590.

(3) لعل هذا من انعكاسات ظهور بني غانية بافريقية وتهديد طريق التجارة الصحراوية وبعض مدن الساحل.

(4) انظر الرسالة السابقة (رقم 35).

(5) في (ام) : وانسر، ثم صححها اماري (وانشر) ص 401 في Diplomi.

(6) في (ام) : احمد (بدون واو العطف).

(7) في (ام) : ما يعودوه.

(8) في (ام) : الكلمة بدون نقط، ثم صححها في ص 401.

ومعروف عدلهم، وجميل مذهبهم في مُعاهَديهم، اجراءا تاما حائزا[9] لفوائده، آخذا[10] بعوائده، مقتديا بمقاصده، بالغا فيه الى الغاية التي تؤكد لطالبه الثقة به، والاستنامة له والسكون اليه بحول الله.

فليصلوا الى بلاد افريقية ــ حاطها الله ــ محمولين على سَنن الرعاية والعناية، مَحوطين بكانف الكفاية والحماية، ملحوظين بهذا المنزع الأوزع، والمقصد الارشد، والمذهب الأصوب ان شاء الله، وحيث حلّوا من معاقلها وسواحلها، وبرّها وبحرها، في مسالك تجاراتهم، وترددهم بها ومتصرّفاتهم، لا يعترضهم في شيء[11] منها معترض، ولا ينعضب[12] لهم هذا الحبل المتين ولا ينغرض[13] ان شاء الله تعالى.

فمن وقف عليه مِن قِبلهم من المسلمين ــ اعزهم الله ــ فليعاملهم بمقتضاه، ولا يعدل عن منحاه، ان شاء الله تعالى لارب غيره ولا معبود سواه.

وبالله التوفيق[14]

---

(9) في (ام) : حايرا، ثم صححها في ص 401.

(10) في (ام) : اخذا، ثم صححها في ص 401.

(11) في (ام) : بدون همزة.

(12) في (ام) : ولا ينغضب، ثم صححها : ولا ينعضب (401)، والمعنى، لا ينعضب اي لا ينقطع.

(13) لا ينغرض، اي لا ينكسر او لا ينثني.

(14) يبدو ان هذه العبارة هي علامة خاصة بالسيد ابي زيد والي افريقية.

الرسالة السابعة والثلاثون :

رسالة السيد عبد الرحمان والي مرسية إلى الفنسو ملك قشتالة

تقديم :

بعد موت الخليفة يوسف وتولية المنصور (580) حاول بنو غانية استغلال ظروف هذه التولية، فنقلوا ميدان الصراع مع الموحدين الى المغرب الأوسط وافريقية مما استلزم قيام المنصور بحملة الى المنطقة (583)، ولم يحصل جيشه على الانتصار الا بعد هزيمة منكرة، فشجعت احداث افريقية بعض القرابة من عائلة المنصور على التمرد في المغرب الأقصى وكذلك في مرسية حيث كان الوالي اخوه ابوحفص عمر الرشيد يهيء للثورة[1]، وربما كان ذلك بتدبير مشترك مع ملك قشتالة، فلما انكشف امر الرشيد وقتل، عين المنصور على مرسية اخاه السيد عبد الرحمان سنة 584 فحاول الفونسو ملك قشتالة — فيما يبدو — ان يتبع معه نفس سياسته مع الوالي السابق بتحريضه على التعامل معه والثورة على المنصور. غير ان السيد عبد الرحمن خيّب آمال الفونسو بهذه الرسالة التي وجهها اليه في منتصف ذي القعدة سنة 584 كما وردت في العطاء الجزيل ومن انشاء الكاتب ابي بحر صفوان بن ادريس[2].

نص الرسالة.

ع/33 من عبد الرحمن بن امير المومنين بن امير المومنين — ايد الله امرهم — الى اذ فونش[3] بن شنجة ملك قشتالة وطليطلة[4] وفقه الله وهداه وأراه وجه رشده،

انظر بعقلك إن العين كاذبةٌ واسمع بحسّك ان السمع خوّانُ
ولا تقل كلُّ ذي عين له نظرٌ ان الرعاة ترى ما لاترى الضّانُ

ملاحظة : ( ) ما بين هلالين في النص غير واضح كلا او بعضا، وما بين هلالين مزدوجين (( )) يمثل الأسطر الاولى من الصفحة 34 حيث طمست معظم الكلمات في هذه الاسطر بسبب الرطوبة والارضة، وقد تمكنا بعد عناء من قراءة بعض الكلمات المطموسة.

(1) راجع الفقرة الخامسة من الفصل الثالث.

(2) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(3) هو الفونسو الثامن الملقب بالنبيل (1166 — 1214م) ابن الملك سانشو الثالث ابن الفونسو ريموند يس (السليطن، في المصادر العربية)، انظر عنان ج 1/ (502 — 517).

(4) انظر عن طليطلة الادريسي (551 — 552) ن ايطالية وبسط الارض (112) والروض المعطار (393 وما بعدها).

كتبناه من مرسية[5] ـــ حرسها الله ـــ ونحن نحمد الله الذي حفّ الجنّة بالمكاره والنار بالشهوات، وامر بالتزام طاعة اولي الامر فيما انزل من آياته البيّنات، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله من جميع الحدود والجهات، فقال تعالى : «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم[6]» فطاعة الائمة المهتدين من آكد الواجبات ؛ ونصلي على محمد نبيه الكريم الصادع بنور الحقائق ظُلَم المشكلات، المسوّي بين الضعيف والقوي في مجالس الحكومات، المنتصف من نفسه لأُولي التشكّي والظُّلامات، كحكاية عكاشة عنه حين اشعِر بورود منهل الوفاة[7]، وعنه روينا : «من فارق الجماعة واستذل الامارة لقي الله ولا وجه له عنده في صحيح المسندات ؛ ونسأله الرضى عن الامام المعصوم من المَبنات والزلاّت، (المهدي المعلوم) بصحيح الدلالات وثبوت العلامات، وعن خليفتيه الذين تألقت بارشادهما انوار (الهدايات)[8]، وجريا على تلك السبيل النبوية الى منتهى الآماد/ والغايات، ونـ(ـوا)لي ((...[9] لسيدنا الاجل ابن الامامين المحيي ما درس من عظام الرفات))[10]، المتّصف بتلك ((....))[11]، الجامع بواسطة عدله في المنهل بين الاسد والشاة، الذي لو جنت احدى يديه على الاخرى لانتصف منها كما ((ينتصف من الجُناة))، ويساوي في الحق بين الاخ الشقيق والاجنبي السحيق مساواة تحكم له بجميل ((....))[12].

ع/34

وبعد فأول ما ينبغي ان نقدم في هذا الكتاب ما تنبني عليه اصوله، وترتبط به قوانينه (البرهانية) وفصوله، من ان المِلِك ـــ ارشده الله ـــ في نهاية الاحتياج الى تطبّب يصلح من دماغه ما فسد، وينفّق من مواد عقله ما تزيّف وكسد، حتى يَميز بين العقد والحلّ، ولا تصدُر عنه مخاطباته ضُحْكَةَ التَّرحال والحَل، ككتابه الذي صدر عنه الينا، وورد به رسوله الفَسْل علينا ؛ فمن مضمّنه أنّا أنزلنا غير منزلنا في أن سُووِي في مجلس الأحكام بيننا وبين خصمنا، واعتقد الملك ـــ هداه الله ـــ ان ذلك من تدنيسنا في الناس ووصمنا، وذلك منكَر من القول، وخلاف لأمر ذي القوة والحول، فإن إمامنا من الجري على السُّنن السَّويّ في رتبة يساوي بها بين الضعيف والقوي، ويقيم (....)[13] المحِقّ ويقطع دابر الغويّ، قد رفع الله عن الميل رتبته ومقداره، وقرن بالتوفيق التام والتسديد العام ايراده واصدارَه، وجعله كما كان الفاروق لا يبالي على من دار الحق فاداره، والله تعالى قد امر بذلك

---

(5) انظر عن مرسية الهامش (المغرب لابن سعيد 250/2 ـــ 251).

(6) من الآية 59 من سورة النساء.

(7) هو عكاشة بن محصن احد الصحابة قتل في حروب الردة في السنة 12 للهجرة (الزركلي 4/ 244 بيروت 1980).

(8) الخليفتان هما عبد المومن ويوسف، اما المنصور فسيأتي الدعاء له بعد هذا.

(9) قد تكون الكلمات المناسبة هي (الدعاء في الآناء والاوقات).

(10) يلاحظ غياب صفة «المنصور» في هذه الرسالة، ولعله لم يتخذ هذه الصفة الا بعد انتصاره في الأرك، قارن مع الرسائل 40 و 41 و 42 ومعنى الرفات : الحطام وكل ما تكسر وبلى.

(11) لعل ما بين الهلالين هو (الحلى المهدية والصفات)

(12) قدر كلمتين قد تكون اولاهما (المثوبة و).

(13) كلمة مأروضة.

عباده المقرّبين فقال : «كونوا قوّامين لله شهداءَ بالقسط»، «ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين»[14]، فالمساواة بيننا وبين خصمنا في الحق تنويهٌ لنا وتشريفٌ، واستخدام في ما يرضي الله تعالى وتصريف، ومن مضمنات كتابك أنّا إن مشينا إليك وخلعنا الطاعة عليك، مكّنْتَنَا من الرجال والبلاد وشاطرتَنا بزعمك في الطّارف والتّلاد ؛ وهيهات ! انما روّيتَ ان تُذكِي بنا على المسلمين حَرّ الجِلاد، فامتننتَ كما ظننتَ، وأنعمت فيما زعمت، ولكنك تحيّلتَ في الذي خيّلتَ، ومكرتَ فيما ذكرتَ، ولنفسك يابن البغيّ بغيْتَ، وأسررتَ الحسوَ حين ارتغيت[15]، رويدك، لا تصرف علينا كيدك، وعلى رِسْلك فلا حاجة لنا الى امتراء رُسْلك، وحنانيْك، إن كنت ذا طِبٌّ فطُبّ لعينيك، ديننا والحمد لله أمتن وأقوى، وسجيتنا أشد انقيادا للتقوى، ولبيسما ندبتَنا أن نبتدر إليه ونتغنّم، ويا قُبحَ ما دعوتنا ان نَركب من الغرور ونتسنّم، فنكونَ كمن أسّس بنيانه على شفا جُرُف هارٍ فانهار به في نار جهنم، وهل تتساوى الاسنة والزّجاج، او تتماثل العقِب والحِجاج، أو عمر بن عبد العزيز والحجّاج، ومتى تطابقت اللصوص في الحَرَم والحُجّاج، «وما يستوي البحران هذا عذب فراتٌ سائغٌ شرابُه وهذا مِلحٌ أُجاج»[16] ؛ وهذا قول يليق بكم ـــ معشر النصارى من جهة انحلالكم، واستباحتكم لمحض الحرام واستحلالِكم، لأنكم ـــ معشر الاعلاج الاجلاف ـــ مستسهلون لما نستصعب من التقاطع والاختلاف ؛ ونحن اذا بايعنا رجلا واحدا لا نَزورُّ عنه ولا نَميل، ولا يَطمح بنا الى الخلاف عليه رجاءٌ ولا تأميل، وانما نحن بولاة الحق مقتدون وباثواب الاتفاق مشتملون ومرتدُون، وعن أسباب التقاطع منقلبون ومرتدّون، «إنّا وجدنا آباءنا على أُمّة وإنّا على آثارهم مهتدون»[17] ؛ ومِن بين تخلّفِك وفسالتِك، ما شهد به عليك تناقضك أثناء رسالتك، حيث وصفتنا اولا بالعدل والدين، ونعتّنا بالسياسة للرعية والتهدين، ثم دعوتنا ان نخلع عن الطاعة يدا، وما نراك اعتقدتَ ذلك علينا الا نعمة ويدا.

أعِدْ نظرا يا عبد قيسٍ لعلّما   أضاءت لك النارُ الحمار المقيّدا

فيا لِلناس لِلعَجب العجاب ! هذه غاية (...)[18] الذي ليس بمنقشع ولا مُنجاب، اجل ، فإنّك في تلك الرسالة من الامتنان والإنعام كآلِ السَّقْبِ مِن رأل النّعام[19]، (....)[20] إلا إفْكٌ جاء بزُوزه ومَيْنه[21]، واراد ان يَصِمنا بدَرَنه/ وشيْنه، وهذا هو الصَّغار بعينه، «قد ضعف المطلوب ع/35

(14) هناك آيتان : الأولى ﴿كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم﴾، من الآية التاسعة من سورة المائدة، والثانية ـــ ولعلها هي المقصودة هنا مع بعض التحريف وهي «كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين»، من الآية 134 من سورة النساء.

(15) من المثل العربي : اسر حسوا في ارتغاء.

(16) من الآية 12 من سورة فاطر، وايضا الآية 53 من سورة الفرقان.

(17) الآية 21 من سورة الزخرف.

(18) كلمة مأروضة.

(19) السقب : ولد الناقة، والرأل : ولد النعامة.

(20) قدر كلمتين مأروضتين.

(21) المين : الكذب.

والطالب، (...)[22] علينا الثعالب.

والى هذا ايها الفاجر المغرور، الذي جرى منه مجرى (الدهر) شيطانه الغَرور، ﴿فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[23]، هي سجن المومن وجنة الكافر، فانما يُخيِّل في فاسد (.....)قلنا من[24] (.....)[25] الى (.....)[26] ومن جنتنا (...)[27] فنكونَ كما قال تعالى وهو اصدق القائلين : خسر الذين (....ألا) ذلك هو الخسران المبين»[28].

فقفْ في حالتي وِردك وصَدَرك وقفة العيْر، وغُضَّ الطرف إنك (من....ن)[29] لك بباهلة بَلْهَ غُمَير، لسنا والحمد لله ممن يُقعقَع له بشِنان، ويقاد الى ميدان الباطل بـ(زمام من) الغُرور وعِنان ؛ ومن أوجب ما نصرِّح لك به الآن، أنّ هلاكَك قد أزِف وآن، لأننا إذا أخبرْنا سيدنا الامامَ بكتابك الذَّميم، وذكرنا لهم جُرمَك على فساد ذاتِ بيننا بالجِدّ الصميم، أمدّونا لغزوك بجيوش تَرجع عنه خاسيئةً عيونُ الناظرين، فاذا نزلنا بساحتكم «فساء صباح المنذَرين»[30]؛فتنبّهْ ونبِّهْ مَن وراءك وجمّع مَحاشَك يايزيد[31]، ونادِ في قومك هل من مَزيد لِمَنْ نَفع المزيد، فكأنك بجيوش الله تُبادرك مبادرة (الشبل) الجَدور في التسرع والتصميم، «ما تذرُ من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم» ؛[32] فاجعلْ هذا الكتاب حاجزا بيننا وبينك، واطوِ عنا زُورَك ومَيْنك، فلولا ان الرسل لا تُقتل لصلَبنا رسولك في جذوع النخل، ولأريناك فيه بطشة أبي الاشبال بالسَّخل[33]، ولكن إن عادت العقرب عُدنا لها ، ونالها من النعل ما يَحُلّ عقدها إذا قالها، وقد أعذر من انذر ؛ وكُتب في منتصف ذي قعدة عام أربعة وثمانين وخمس مائة[34].

---

(22) قدر ثلاث كلمات قد تكون آخرها (...جالت) علينا...

(23) اقتباس من الاية 185 من سورة آل عمران.

(24) قدر كلمتين كأنهما (ظنك ان نقلنا).

25) قدر كلمة غامضة.

(26) قدر كلمة لعلها (جَنّتك).

(27) قدر كلمتين لعلهما : (الى محقك).

(28) من الآية 14 من سورة الزمر وهي : «قل ان الخاسرين الذي خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة، الا ذلك هو الخسران المبين».

(29) قدر كلمتين مطموستين.

(30) من الآية 177 من سورة الصافات.

(31) اسم رمزي ليطابق السجع بعده.

(32) الآية 42 من سورة الذاريات.

(33) السخل، السخل من القوم : الرذيل.

(34) يوافق بالميلاد 5 يناير 1189 م (T.C).

الرسالتان 38 و39 :

رسالتان من صلاح الدين الأيوبي
إلى الخليفة المنصور مستنجدا ضد النصارى

تقديم :

تكاثر الضغط الايوبي على النصارى الصليبيين منذ هزيمتهم في معركة حطين وخاصة بعد اجلائهم عن بيت المقدس سنة 583، وتقوقع هؤلاء في بعض المدن الساحلية حيث كانت الامدادات تصلهم من اوزبا وخاصة من البحر، ونظرا لضعف البحرية الأيوبية على عكس البحرية الموحدية استنجد صلاح الدين الأيوبي[1] سلطان مصر والشام بالموحدين من أجل توجيه قطع من اسطولهم إلى سواحل الشام أو عرقلة تحرك أسطول صقلية الذي كان يلعب دورا مهما في الحرب الصليبية كما جاء في الرسالة التي اوردها القلقشندي في صبح الأعشى 6/(527 ــ 530) من انشاء القاضي الفاضل[2]، وجعل تاريخها سنة 585.

ولعل صلاح الدين كرر طلبه[3] من أجل المساعدة بأي وسيلة من الوسائل، وذلك برسالة مؤرخة بشعبان سنة 586 حملها الأمير ابن منقذ، فاتصل بالمنصور في أواخر ذي الحجة وهو منشغل آنذاك بالغزو في الأندلس، وردت هذه الرسالة الأخيرة في كتاب الروضتين لأبي شامة الدمشقي[4] ج 2 (171 ــ 173) طبعة القاهرة 1287 هـ، وهذان نصا الرسالتين :

ملاحظة : اعتمدت في أكثرية الهوامش على ابن الأثير، اذ كان حاضرا في بعض الاحداث ــ ان لم يكن في معظمها ــ فيعطي تفاصيل عنها نقلها عنه غيره كصاحب الروضتين، كما ان ابن الاثير يعلّق على بعض الاحداث مما يزيد في قيمة كتابته. انظر الملاحظة على هامش تقديم الرسالتين 32 و 33

(1) هو يوسف ابن ايوب الملقب بصلاح الدين، وضع حدا نهائيا للدولة الفاطمية بمصر واليمن وحول الدعوة الى الخلافة العباسية منذ سنة 567 هـ، واستمر سلطانا لمصر الى سنة 589، انظر ابن الاثير 9/ 111 ــ 226.

(2) القاضي الفاضل هو عبد الرحيم البيساني صاحب ديوان انشاء آخر الخلفاء الفاطميين، وقد ساعد صلاح الدين على انهاء الدولة الفاطمية فظل وزيرا له ولمن بعده الى وفاته سنة 596... وفيات الاعيان 2/ 334 ــ 337، وخطط المقريزي 2/ 366، انظر ايضا ترجمته عند حسن ابراهيم حسن في تاريخ الاسلام السياسي 4/ 508 ــ 510 طبعة 1967 القاهرة.

(3) هذا ان صح ان هناك رسالتين، انظر خصوصيات هاتين الرسالتين في الفصل الثاني من الدراسة التاريخية.

(4) هذه الرسالة ايضا منسوبة للقاضي الفاضل اوردها ابو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي المقدسي المتوفى سنة 665 في «كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية»، وهو جزآن في مجلد واحد، وله ذيل نشر تحت عنوان «تراجم رجال القرنين السادس والسابع» (المصادر العربية لتاريخ المغرب ج 1/ عدد 113 و119، للاستاذ محمد المنوني).

رسالة صبح الأعشى (رقم 38)

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المومنين، وسيد العالمين، وقسيم الدنيا والدين، أبواب الميامن، وأسباب المحاسن، وأحلّه من كفايته في الحرم الآمن، وأنجزه من نصرة الحق ما الله له ضامن، وأصلح به كل رأي عليه الهوى رائن، ومكّن له في هذه البسيطة بسطة، وزاده بالعلم غبطة، حتى يكون للانبياء بالعلم وللارض بالعزم وارثا، وحتى يشيّد بحادث قديما من مجده الذي لا يزال بغضّ الحديث حادثا، كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية[5] مفاتحة دولة سيدنا، وأن نتيمّن بمكاتبتها ونتزين بمخاطبتها ؛ وتُنهضَ اليها أماثل الأصحاب، ونستسقيَ معرفتها استسقاء السحاب ؛ وننتجعها بالخواطر ونجعل الكتب رسلها، وأيديَ الرسلِ سُبُلَها، ونمسكَ طرفا من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفُه، ونمسحَ غرّة سبقٍ وارثُها ووارث نورها سلفُه ؛ ونتجاذبَ أعداء الله من الجانبين، لا سيما بعد أن نُبنا عنه نيابتين في نوبتين : فالأولى تطهير الأرضين المصرية واليمنية من ضلالة أغضت عيون الأيام على قذاها، وأنامت عيون الأنام بائعة يقظتها بِكَراها[6] ؛ ونيابة ثانية في تطهير بيت المقدس[7] ممن كان يعارض برجسه تقديسَه، ويزعج ببناء ضَلَالِهِ تأسيسَه ؛ وما كان إلا جنة اسلام فخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنّة، وأعقبهم فيها إبليسُ الكفر وما أجارته مما اعقبه اللّعنة، وما كانت لنا بذلك قوة بل لله القوة، ولا لنا على الخلق مِنّة بل لله المنّة.

ولمّا حُطّت لدين الكفر تيجان، وحُطِّمَت لذويه صلبان ؛ وأخرس الناقوسَ الأذان، ونَسخ الانجيلَ القرآن، وفُكّت الصخرة من أسرها، وخفّ ما كان على قلب الحجر الأسود بخفة ما كان على ظهرها، وذلك أن يد الكفر غطتها وغمرتها، فلله الحمد أن أحرمت الصخرة بذلك البنيان المحيط، وطهّرها ماطِرٌ من دم الكفر وما كان ليطهّرها البحر المحيط، فهنالك غُلب الشركُ وانقلب صاغرا، واستجاش كافر من أهله كافرا، واستغضب أنفارَه النافرة، واستصرخ نصرانيته المتناصرة ؛ وتظاهروا علينا وان الله مولانا، وطاروا الينا زُرافات ووُحدانا ؛ فلم يَبق طاغية من طواغيهم، ولا أُثفيّةٌ من أثافيهم ؛ الا ألجم وأسرَج ، وأجلب وأرهَج، وخَرج وأخرج، وجاد بنفسه أو بولده، وبعدَده وبعُدده، وبذات صدره وبذات يده، وبكتائبه برا، وبمراكبه بحرا، وبالأقوات للخيل والرجال، والاسلحة والجُنَن لليمين والشمال، وبالنقدين على اختلاف صنفيهما في الجمع، وائتلاف وصفيْهما في النفع، وأنهضَ أبطال الباطل، من فارس وراجل، ورامح ونابل، وحافٍ وناعل، ومُواقِف ومُقاتل، كلٌّ خرج متطوعاً، وأهطع مسرعا، وأتى متبرعا، ودعا نفسه قبل أن يُستدعَى، وسعى إلى حتفها قبل أن يُستسعى، حتى ظننّا أن في البحر طريقا يَبَسا، وحتى تيقّنّا ان ما وراء البحر قد خلا وعسا[8]، وقلنا كيف

---

(5) اي منذ استيلائه على السلطة من يد الفاطميين.

(6) يقصد ايضا انهاءه للدولة الفاطمية الشيعية من هذه الجهات، وقد كانت ظهرت بمصر في اواسط القرن الرابع الهجري.

(7) تم تحرير بيت المقدس من يد الصليبيين سنة 583 (الكامل 9/ 182 ــ 183) بعدما انهزم الصليبيون في معركة حطّين في نفس السنة (الكامل 9/ 177 ــ 197)، وفتحت بعدهما مواقع اخرى اهمها مدينة اللاذقية المصدر ص 191.

(8) انظر ابن الاثير في وصفه لهذه التحركات الصليبية بعد استرداد بيت المقدس من طرف المسلمين (9/ 207).

نُترَك، وقد علم أنه يُدرَك، وزادت هذه الحشود المتوافية، وتجافت عنها الهمم المتجافية، وكثرت إلى أن خرجت من سجن حَصْرِها، ومستقرِّ كفرها، وبقية ثغرها ـــ وهو صور ـــ، فنازلت ثغر عكّا في اسطول مَلَكَ بحَرَه، وجمعٍ سلَكَ بَرَّه[9] ؛ فنهضنا إليه، ونزلنا عليهم وعليه، فضَرب معنا مصافّ قتّلت فيها فرسانُه، وجدِّلت شجعانه، وخُذلت صلبانه، وساوى الضربُ بين حاسرِ القوم ودراعِهم، وبَرز الذين كُتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم ؛ فهنالك لاذوا بالخنادق يحفرونها، وإلى الستائر يَنصبونها، وأخلدوا إلى الأرض متثاقلين، وحَملوا أنفسهم على الموت متحاملين، وظاهروا بين الخنادق، وراحوا بين المجانق، وكلما يُجنُّ القتل من عددهم مائة أوْصَلَها البحر ممن يصل وراءه بألف، وكلّما قلّوا في اعيننا في زحف قد كَثُروا فيما يليه من الزحف ؛ ولو أن دُربةَ عساكرنا في البحر كدُربتها في البرّ لعجّل الله منهم الانتصاف[10]، واستقل واحدُنا بالعشرة ومائتُنا بالألف.

وقد اشتهر خروج ملوك الكفار[11] في الجمع الجمّ والعدد الدهم، «كأنهم الى نَصب يوفضون»[12]، وعلى نار يُعرَضون ؛ ووصولهم على جهة القسطنطينية ـــ يسر الله فتحها ـــ على عزم الائتمام الى الشام في متسلخ الشتاء ومستهل الصيف، والعساكر الاسلامية لهم تستقبل، والى حربهم تنتقل، فلا يؤمَن على ثغور المسلمين ان يتطرق العدو اليهم واليها، ويَفرغَ لها ويتسلط عليها، «والله من ورائهم محيط»[13]، واذا قسمت القوة على تلقي القادم وتوقّي المقيم، فربما أُضر بالاسلام انقسامها، وثلَمَه والعياذ بالله انثلامها.

ولما مَخَض النظر زبده، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده، لم نر لمكاثرة البحر إلا بحرا من أساطيله المنصورة، فإن عددها وافٍ وشطرَها كافٍ، ويمكنه ـــ ادام الله تمكينه ـــ ان يمدّ الشام منه بعدٍّ كثيف، وحدّ رهيف، ويعهد الى واليه ان يقيم الى ان يرتبع ويصيف، ويمكنه ان **يكف شطرا لأسطول طاغية صقلّيّة** ليحصَّ جناح قلوعه ان تطير، ويعقل عباب بحره ان يغير، ويعتقله في جزيرته، ويجري اليه قبل جريرته[14] فَيَذهبَ سيدنا وعقِبُه بشرف ذكرٍ لا تُردّ به المحامد على عقبها، ويقيم على الكفر

---

(9) احتل النصارى مدينة عكا في العقد الأول من القرن السادس، وهي مدينة تجارية هامة (ابن جبير 211) حررها صلاح الدين من يد الصليبيين سنة 583 (الكامل 9/ 179) فعاد النصارى لحصارها في صيف 585 (غشت 1189) : الكامل 9/ 179 وما بعدها، بروكلمان في «تاريخ الشعوب الإسلامية» ص 357.

(10) اعتراف بضعف القوات البحرية الايوبية امام البحرية الصليبية.

(11) الاشارة هنا إلى الحملة الصليبية الثانية، فالجموع المتحركة برّا في هذه الفترة هي جموع الالمان بقيادة ملكهم فريدريك الأول (باربا روسا) وكان عددهم ازيد من اربعين الف حسب ابن الاثير (9/ 207) أو 200 الف حسب صاحب الروضتين (2/ 177)، وسيصل الى الشام بحرا ملك فرنسا فليب اغسطس وملك انكلترا ارتشارد قلب الاسد، وستسقط عكا بيد الفرنسيين في 17 جمادى الثانية 587 : ويلز في «معالم تاريخ الانسانية» ج 3/ 879، طبعة القاهرة 1961، بروكلمان في «تاريخ الشعوب الاسلامية» 357، انظر ايضا الكامل 9/ 213 ـــ 215.

(12) من الآية 43 من سورة المعارج.

(13) من الآية 20 من سورة البروج.

(14) كان دور صقيلية مزدوجا في دعم الحرب الصليبية مباشرة من جهة، ومن جهة ثانية اخرى في الهجوم على =

قيامة يُطلع بها شمس النصر من مغربها ؛ فاذا نفذ طريقه وعلم الناس بموفده، اوردُوا واصدَروا في مورده، وشخَص المسلم والكافر : هذا ينتظر بشرى البدار، وهذا يستطلع لمن تكون عقبى الدار، وخاف وطأة من يصل من رجال الماء مَن وصل من رجال النار ؛ ولو بزقت عليه بازقة غربية لأغرقهم طوفانها، ولو طلعت عليهم جارية بحرية لنعقت فيهم بالشتات غِربانها[15].

وما رأينا اهلا لهذه العزمة الا حضرة سيدنا ادام الله صدق محبة الخير فيه، اذ كان منحه عادة في الرضى به وقدرة على الاجابة، ورغبة في الانابة، ولايةً لأمر المسلمين[16]، ورئاسة للدنيا والدين، وقياما لسلطان التوحيد القائم بالموحدين، وغضبا لله ولدينه، وبذْلا لمذخوره في الذب عنه دون ما عوَّده ؛ والآن فقد خلا الاسلام بملائكته لما خلا الكفر بشياطينه، وما أُجِّلت السوابق الا لإطلاقها، ولا أُثِّلَتْ الذّخائر الا لإنفاقها ؛ وقد استشرف المسلمون طلوعها من جهته المحروسة جاراً من الاساطيل تغشى البحار، وليالي من المراكب تركب من البحر النهار ؛ واذا خفقت قلوعها خفقت للقلاع قلوب، واذا تجافت جنُوبُها عن الموج تجافت من الملاعين جُنوب، فهي بين ثغر كفرٍ تعتقله وتحصُره، وبين ثغرِ اسلامٍ تفرّج عنه وتنصره، يكون بها مصائب عند المسلمين[17]! وتُظل قلائد المشركين لغربان بحره طرائد[18]، ويمضي سيف الله الذي لا يعدم في كل زمان فيُعلَم معه ان سيف الله خالد ؛ أعزّ الله الاسلام بما يزيد حضرة سيدنا من عزها، فيما مدّ عليها من ظلها، وبما يسكنه من حرزها فيما يَبسط على الاعداء بها من بأسها، ويُنزل بهم من رجزها، وبما يجرّده من سيوفها التي تقطع في الكفر قبل سلِّها وهزها

وقد أوفدناه على باب حضرة سيدنا، وهو الداعي المُسمِع، والمبلِّغ المقْنع، والمجْمِع المستجمِع، علمناه أمرا يسرا، وبوّأناه الصدر فكان وجهاً، وأودعناه السرّ فكان صدراً...

= الشواطىء المصرية مثلما حدث في آخر سنة 569 وأول 570 بتآمر مع بعض العناصر الشيعية انظر الكامل 9/ (123 — 124) والروضتين 1/ (234 — 235)

(15) الغربان، جمع غراب (انظر الهامش 18 بعد).

(16) نلاحظ في اول الرسالة ذكر «سيدنا امير المومنين» وهنا «ولاية أمر المسلمين» فهل العبارتان اصليتان في الرسالة ام تعرّضتا للتغيير فيما بعد ؟

(17) لعل هنا بتر بعد (المسلمين).

(18) الغربان والطرائد : نوعان من السفن الحربية (انظر الفصل الاخير حول الجوانب العسكرية).

رسالة كتاب الروضتين[1] : (رقم 39)

بسم الله الرحمن الرحيم، من الفقير الى رحمة ربه يوسف بن ايوب، .اما بعد، فالحمد لله الماضي المِشية، الممضي القضية، البرّ بالبرية، الحفيّ بالحنفية، الذي استعمل عليها من استعمر به الارض، واغنى من اهلها من سأله القرض، واجزل احر من اجرى على يده النافلة والفرض، وزان سماء الملة بدراري الذراري التي بعضها من بعض ؛ وصلى الله على سيدنا محمد الذي انزل عليه كتابا فيه الشفاء والتبيان، وبنى الاسلام بامته التي شبهها صاحبها بالبنيان ؛ وعلى آله وصحبه الذين اصطفاهم وطهرهم، فنصروه وظاهروا رسوله ﷺ فنصرهم واظهرهم، ويسر بهم السبيل «ثم السبيل يسرهم»[2] وان الله بهم لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم (....)[3] «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم»[4] ؛ وهذه التحية الطيبة الكريمة الصّيبة الواجبة الرّدّ[5]، الموجبة للقصد، العذبة الوِرد، المتنفسة عن العنبر والوِرد، وقّادة على دار الملك ومَدار النّسك، وجلّ الجلالة، واصل الاصالة، ورأس الرئاسة ونفس النفاسة، وحُكم الحكم وعِلم العِلم وقائم الدين وقيّمه، ومقدَّم الاسلام ومقدّمه، ومقتضى ديْن الدين، ومثبت المتقين على اليقين، ومعلي الموحدين على الملحدين، ادام الله له النصرة، وجهز به تيسير العُسرة، وردّ له الكرّة، وبسط له باع القدرة، وأوثق به حبل الالفة، ومهّد له درجات الغرفة، وعرّفه في كل ما يعتزمه صنعا جزيلا جميلا، ولطفا حفيا جليلا، ويسّر عليه في سبيله كل ما هو «اشد وطأً واقومُ قيلا»[6] تحية استنير منها الكتاب، واستنيب عنها الجواب، وقد حفز لها حافزان : احدهما شوق قديم كان مَطّل غريمه ممكنا الى ان تتيسر الأسباب، والآخر مَرامٌ عظيم ما كره اذا استفتحت به الابواب.

وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبة هناءه بفتح البيت المقدّس[7] وسكون الاسلام منه الى المقيل والمعرَّس، وما فتح الله للاسلام من الثغور، وما شرح لاهله من الصدور، وما انزله عليهم من النور، ولم يَخلُ المسلمون فيه من دعوات آسرار ذلك الصدر، وملاحظات أنوار ذلك البدر، ومطالعات

---

(1) انظر الهامش (4) على «تقديم» الرسالتين، هذه الرسالة وردت في الكتاب ضمن فصل عنوانه : «فصل في نسخة الكتاب الى ملك المغرب والهدية، العنوان : بلاغ الى محلّ التقوى الطاهر ومستقر حزب الله الظاهر اعلى الله به كلمة الايمان، ورفع به منار البر والاحسان، بسم الله الرحمن الرحيم...» وذكر صاحب الاستقصا ان عنوان هذه الرسالة : «من صلاح الدين الى امير المسلمين وفي اوله : الفقير الى الله تعالى يوسف بن ايوب، وبعده : الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض... بعضها من بعض» الاستقصا ج 2/ 182 ط 1954.

(2) اقتباس من الاية 20 (عبس).

(3) من الاية 60 (يونس) : «...ولكن اكثرهم لا يشكرون»

(4) الاية 10 من سورة الحشر

(5) انظر خصوصيات الرسالتين في الفصل الثاني.

(6) من الآية 6 من سورة المزمل.

(7) انظر الهامش 7 في الرسالة السابقة.

تلك الجهة التي هي وان كانت غربية فان الغرب مستودع الانوار، وكنز دينار الشمس ومصب انهار النهار، ومن جانبه يأتي سكون الليل ومستروَح الاسرار، وعنه يقلب الله الليل والنهار «ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار[8]»، ولم تتأخر المكاتبة الا ليتم الله ما بدأ من فضله، وليفتح بقية ما لم ينقطع بتقطع يد الشرك من حبله ؛ والمفتَتَح بيد الله من الشام مدن وامصار، وبلاد كبار وصغار، وثغور وقلاع كانت للشرك معاقل، وللاسلام معاقر، ولبني الكفر مَصانع، ولبني الاسلام مَصارع، والباقي بيد الكفر منها ثغرا طرابلس وصور ومدينة انطاكية يسّر الله امرها، وفك من يد الكفر أسرَها ؛ واذا امَّن المؤمن على هذه الدعوة رُجي ايجابها، وما يتأخر من الله سبحانه جوابُها، فالدعاء احد السلاحين، ومع النية يطير الى وكره من السماء بجناحين، بعد ان كُسر العدو الكسرةَ التي لم يُجبَر بعدها، وألجيء الى حصونه التي للحصر اعدَّها[9] وكان يومها كريما، ولطف الله فيها عظيما، قضت كل حاجة في النفس وأغنت المسلمين، فاما العدو بعد يومها فكأنْ لم يَغنَ بالامس، وكانت على اثر غزوات قبلها فما الظن بالمجهزة بعد النكس، ولم يؤخر فتح البلاد بعدها إلاَّ أن فزع الكفار بالشام استصرخ بأصل الكفار من الغرب فأجابوهم رجالا وفرسانا، وشيبا وشبانا، وزرافات ووحدانا، وبرا وبحرا ومركبا وظهراً، وركبوا اليهم سهلا ووعرا، وبذلوا ماعوناً وذخرا، وما احتاجوا ملوكا ترتادهم، ولا أرسانا تقتادهم، بل خرج كل يلبّي دعوة بَطْرَكِه، ولا يحتاج الى عزمة مَلِكِه[10] وخرجت لهم عدة ملوك أقفلت العُجمة على أسمائها، واتت العزيمة بحمد الله على اشخاصها عند لقائها، ومنهم ملك الالمان خرج في جموع برّية، من الله تعالى برية، ملأت الفجاج، وازدحمت فانفذها العَجاج، ومنهم من ركب ثبج البحر فركب الأجاج العَجاج، وامتطى من البحر مشية الرِّجاج، لينصر دينا شبيه الزجاج، يقبل الكسر، ولا يسرع اليه الجبر، وراكبُ ذلك الدين كراكب البحر، بلا ساحل سلامة والى قاع كفر[11].

وجلب الكفار الى المحصورين بالشام كل مجلوب، وملأوا عليهم ثغريهم[12] من كل مطلوب، ما بين اقوات واطعمة، وآلات واسلحة، وشلة وجنة، وحديد مضروب وزبرة، ونقدي ذهب وفضة،

---

(8) من الآية 13 من سورة آل عمران.

(9) تساقطت في يد المسلمين الحصون والقلاع تباعا بعد الهزيمة الكبرى للصليبيين في حطين سنة 583 ثم تحرير بيت المقدس، وصمدت مدينة صور لحصانتها وتجمّع فلول الصليبيين المنهزمين اليها، ولم يمنع طرابلس من السقوط بيد المسلمين غير تدخل الاسطول الصقيلي بقيادة الملك وليم (بروكلمان 357)، وظلت انطاكية ايضا تحت سيطرة الصليبيين.. انظر عن المعاقل المحررة الكامل ج 9/ 176 وما بعدها، والعبر 5/ (649 — 694).

(10) ساعد سقوط بيت المقدس بيد المسلمين على اذكاء واستغلال الحماس الديني باوربا حيث تدخل البابا لاصلاح العلاقات بين ملوك اوربا الكبار : ملوك المانيا وفرنسا وانكلترا، الكامل 9/ 201 بروكلمان 357، وان كان «ويلز» يرى ان دور البابوية كان في تناقص خلال هذه الفترة من الحروب الصليبية (معالم تاريخ الانسانية 3/ 879).

(11) راجع الهامش 11 على الرسالة السابقة.

(12) لعله يقصد طرابلس وصور بالخصوص، انظر ذكر طلب المعونة لحصار عكا وصور طرابلس في العبر (6/ 514).

الى ان شحنوا بلادهم رجالا مقاتلة، وذخائر للعاجلة من حربهم والآجلة، لاتشرق شارقة الا طلعت على العدو من البحر طالعة، تعوض من الرجال مَن قتِل وتخلّف من الزاد ما أكِل، فهم كل يوم في حصول زيادة ووفور مادة، وقد هان عليهم موقع الحصر واعطاهم البحر، ما منعهم البر[13]، وبطروا لما كثروا ونظروا، فانهم لا يستطيعون ان يلقوا ويُصحِروا، ويستطيعون ان يَحصروا على ان ينحصروا ؛ ونزلوا على عكا بحيث يُمدهم البحر بأمداده، ويصل الى المقاتل ما يحتاجه من اسلحته وازواده، وبمن يكثر به من مقاتلته واجناده، فانقطعت مادة عكّا من البحر[14]، وحصرنا منازلهم من العدو[15] من جهة جانب البر، فخندقوا على انفسهم، وحثّوا التراب على رؤوسهم، وعقدت عدّتهم مائة الف او يزيدون، كلما افناهم القتل اخلفتهم النجدة، فكأنهم قبل الممات يعودون ؛ فاتممنا بعمارة بحرية لقينا عمارتهم بها فنفذت عمارتنا الى الثغر، واوصلت اليه الأقوات التي حمل منها البحر ما لا يحمله الظهر، والاسلحة التي امضاها الله عز وجلّ بيد الاسلام في صدور الكفر، وما لقينا عمارة العدو بأوفر منها عُدة، فعدد مراكبهم كبير، ولكن لقيناهم باصدق منها عَزمة، والقليل مع العزم الصادق كثير، واستمر مقام العدو محاصرا للثغر، محصورا منا اشد الحَصر، لا يستطيع قتال الثغر لأنا من خلفه، ولا يستطيع الخروج الينا خوفا من حتفه، ولا نستطيع نحن الدخول اليه، لأنه قد سوَّر وخندق، وحاجَزَ من وراء الحجرات واغلق ؛ ولما خرج ملك الالمان بحشده وسمعته التي هي منه احشد، وعاد جيشه الملعون على رسم قديم الى الشام[16] فكان العود لأمة احمد ﷺ احمد، قويت به نفوسهم وجمحت به رؤوسهم، وظنوا انه يزعجنا من مخيمنا، ويخرجنا من خيمنا، فبعثنا اليه من يلقاه بعساكرنا الشمالية[17]، فسلك ذات الشّمال متوعّراً فيها محتجزا عن لقائها، مظهرا انه صريع داء وما به غير دائها، وكان ابوه الطاغية ملك الألمان شيبة اللعن اللعين، قائد جيشه الى سجن سِجّين، قد هلك في طريقه غرقا[18] وخاض الماء فخاضه الماء شرَقا، وبقي له ولد هو الآن المقدم المؤخر، وقائد الجمع المكسَّر، وربما وصل بهم الى عكا في البحر تهيّباً ان يسلك البر، ولو سبق اصحابنا الى عساكر الالمان قبل دخولها الى انطاكية لأخذوه اخذا سريعا، وسبق

---

(13) يشير الى تأثير حصار جيش صلاح الدين برا للفرنج المحاصرين لمدينة عكا.

(14) كان هذا بين بداية حصار الفرنج لعكا في منتصف رجب 585 (صيف 1189) وبين بداية وصول الحملة الصليبية البرية في صيف 586 (1190).

(15) كذا في الروضتين.

(16) في هذا تذكير باشتراك الالمان في الحملة الصليبية الثانية سنة 1147 بزعامة الامبراطور كنراد الثالث الذي وصل الى عكا آنذاك... بروكلمان (348 ــ 349)، معالم تاريخ الانسانية (3/ 878) تاريخ الاسلام (4/ 249) (حسن ابراهيم حسن).

(17) يشير ابن الاثير الى ارسال صلاح الدين عساكر لاعتراض الالمان في اعمال حلب (الكامل 9/ 208).

(18) غرق الامبراطور الالماني فريدريك في نهر انطاكية وكان معسكره قد انتشر فيه الوباء، كما حدث الاختلاف بعد موته حول من يخلفه (الكامل 9/ 207)، انظر ايضا مصير هؤلاء الألمان بعد وصولهم الى عكا في نفس المصدر (ص 208)، وستسقط هذه المدينة بيد الفرنج عند وصول الحملة الصليبية البحرية الفرنسية بالخصوص وذلك في جمادى الثانية 587 (الكامل 9/ 209 ــ 215، والروضتين 2/ 177 العبر 5/ 694 ــ 705) انظر أيضا الهامش 9 على الرسالة السابقة.

بحر سيوفهم الى ان يكون الطاغية فيه لا في النهر صريعا، ولكن لله المشيئة في البرية، والطاغية انما يمشي الى البلية، فانه لولا احتجاز مقيمهم بالخنادق، واجتياز واصلهم بالمضايق، لكان لنا ولهم شأن، وكان ليومنا في النصرة الكبرى بحول الله ثان لا يثنيه من العدو ثان[19].

ولما كانت حضرة سلطان الاسلام[20]، وقائد المجاهدين الى دار السلام، اولى من توجه اليه الاسلام بشكواه وبثه، واستعان به على حماية نسله وحرثه، وكانت مساعيه ومساعي سلفه في الجهاد الغرّ المحجّلة، المؤمّرة الكاشفة لكل معضلة، الكاسفة لكل مشكلة، والأخبار بذلك سائرة والآثار ظاهرة، والصحف عنه باسمة، والسيَر به معلمة وعالمة، وكل بجهاده قد سكن الا السيوف في اغمادها، وقد امن الا كلمة الكفر في بلادها، لا يزال في سبيل الله غاديا ورائحا، ومواجها ومكافحا، ومماسيا ومصابحا، يجوز لجة البحر بالمجاهدين ملوكا على الاسرة، وغزاة تصافح وجوهها السيوف فلا يخمد نور الاسرة، يذود الفِرق الكافرة ولو ترك سبيلها لملأ قراره كل واد، وكلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ولولاه لأخمد شرارة كل زناد، كان المتوقَّع من تلك الدولة (العالية)[21]، والعزمة الغادية مع القدرة الوافية، والهمة المهدية الهادية، ان يمد غرب الاسلام المسلمين، باكثر مما امد به غرب الكفار الكافرين، فيملأها عليهم جواري كالاعلام، ومُدناً في اللُجج سوائر كأنها الليالي مقلعة بالايام، تطلع علينا معشر الاسلام آمالا، وتطلع على الكفار آجالا، وتردنا اما جملة واما ارسالا، مسوّمة تمدها ملائكة مسومة ومعلّمة، تقدم حيازيمها اقدام حيزوم تحت اصحابه وانما هي منه عزمة، كانت تعين اصحاب الميمنة على اصحاب المشأمة، وكلمة كانت تنفخ الروح في الكلمة، ولما استبطئت ظُنَّ انها توقفت على الاستدعاء فصرخنا به في هذه التحية[22]، فقد تحفل السحاب ولا تمطر الى ان تحركها ايدي الرياح، وقد تترك النصرة فلا تظهر الى ان تضرع إليها ألسنة الصفاح.

وسُيِّر لحصن مجلسه الاطهر، ومحلّه الانور، الامير الاجل المجاهد الامين الاصيل شمس الدين، نفير الاسلام والمسلمين، سفير الملوك والسلاطين : ابو الحزم عبد الرحمن بن منقذ[23]، كتب الله سلامته واحسن صحابته، وما اختير للوفادة الا من هو اهلها، ولا حمل الوديعة الامن هو محلها، ولا بعث لنهج الصلة الا من هو مفتاحها، ولأداء الامانة الا من هو قُفلها ؛ ومهما استُوضِح منه وسئل عنه فانه على نفسه بصيرة، ومن البيان ذو ذخيرة وفي العربية ذو بيت وعشيرة، والمشاهدة له أوصف،

---

(19) يتضح من هذا ان الرسالة كتبت في الفترة بين وصول الحملة البرية الالمانية سنة 586 ووصول الحملة البحرية الفرنسية والانجليزية في السنة اللاحقة.

(20) لم يخاطب المنصور هنا بلقب امير المومنين على عكس ما حدث في اول الرسالة السابقة.

(21) في الروضتين : الغالية.

(22) في هذا تلميح الى مراسلة سابقة.

(23) الامير عبد الرحمن بن منقذ من بقية امراء شيزر من حصون الشام، خرج من الاسكندرية في 13 رمضان 586 مبحرا غرباً نحو طرابلس التي وصلها في 25 شوال واقلع منها في ثامن ذي القعدة واجتمع بالوزير الموحدي ابي يحيى ابي بكربن محمد بن الشيخ ابي حفص في سابع ذي الحجة وتقابل مع المنصور في العشرين منه، وانفصل عن مراكش في العاشر من محرم 588 ووصل الى الاسكندرية في 28 من جمادى الاخرة (الروضتين 2/ 173 — 174، البيان 183 — 184 العبر 513/6 — 514).

على أن تلك الجلالة ربما ذعرت البيان فاخلف، وما أجدره بان يصادف بسطة على بساطه، ونظرا يأذن له في القول على اختصاره وتوسطه وافراطه، فكلٌّ هو به وافٍ، وكلٌّ هو للفهم الكريم كاف، والله تعالى يجعل هذه العزمة منا في استنهاض العزمة منه بالغة مبلغا يسرّ اهل دينه، ويوزعهم بها اقتضاء ديونه من الذين اتخذوا الاها من دونه ؛ والسلام الصادر عن القلب السليم، والود الصميم، والعهد الكريم، على حضرة الكرم العلية، وسدة السيادة الجلية، سلام مودة ما وفد الغربَ قبلها مثلها، ورسالة ما خطرت الى ان انفذت وراءها المحبة رسلها، وليصل السلام رحمة الله وبركاته، ورضوانه وتحياته، ان شاء الله تعالى، وكتب في شعبان سنة ست وثمانين[24] وخمسمائة، والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامُه[25].

---

(24) في الروضتين : وثمان

(25) يذكر صاحب الروضتين بعد هذه الهدية الموجهة الى المنصور وهي تشمل «ختمة كريمة في ربعة مخيشة بمسك، ثلاثمائة مثقال عنبر عشر قلائد عددها ستمائة حبة، عود في سفط عشرة امنا دهان بلسان مائة درهم وواحد قسي باوتارها مائة وقوسان، سروج عشرون نصول سيوف هندية عشرون، نشاب ناسج خاص مريش كبير ومتوسط ضمن صندوقي خشب مجلدة سبعمائة سهم».
ويصف ابن خلدون الهدية هكذا : «تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين، ووزن مائة درهم من دهن البلسان، وعشرين رطلا من العود، وستمائة مثقال من المسك والعنبر، وخمسين قوسا اعرابية باوتارها، وعشرين من النصول الهندية، وسروج عدة ثقيلة» (العبر 6/ 514).

الرسالتان الأربعون والواحدة والأربعون :

رسالتان من قرطبة إلى الخليفة المنصور حول ولاية العهد لابنه محمد (الناصر)

تقديم :

بعد حركة الخليفة ابي يوسف يعقوب الى الاندلس خلال سنتي 586 و587 والتي واجهت فيها جيوشه القوات القشتالية والبرتغالية لتخفيف ضغطها على البلاد خاصة باعادة فتح بعض مدن الغرب مثل شلب وقصر أبي دانس وتوقيع المدنة مع النصارى، بعد ذلك عاد الخليفة إلى المغرب الأقصى في النصف الثاني من سنة 587، ومرض مرضا طويلا، فعقد البيعة بولاية العهد لابنه ابي عبد الله محمد في آخر هذه السنة أو بداية السنة التالية، وعرّف بذلك القرابة في الولايات ليأخذوا البيعة عمن في ولاياتهم، وتوجهت الوفود اليه بينما تأخر وفد اهل قرطبة بالبيعة الى أواخر سنة 588 وهذا نص بيعتهم مع نص رسالة «طلبة» قرطبة، وقد ورد النصان ضمن مخطوط الاسكوريال رقم 488 (درانبورغ) الورقات (158 ــ 163) ونشرهما الدكتور حسين مؤنس مع تقديم لهما بمجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول عدد ديسمبر 1950[1].

نص البيعة :

159/أ بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم (عقد البيعة المباركة السعيدة الأولى بولاية العهد لسيدنا ومولانا امير المومنين ادام الله علو امرهم وسمو ذكرهم عن اهل قرطبة وانظارها من الموحدين والعرب والاجناد واصناف الرعية، وفق الله جميعهم وذلك في العشر الأوائل من ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة)[2]

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونومن به ونتوكل عليه ونشكره ولا نكفره، ونشهد ان لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد ان محمدا عبده الذي اصطفاه، ونبيه الذي اجتباه، ورسوله الذي ارسله ؛ والحمد لله[3] الذي رضي الاسلام دينا، وثبّت قواعده تمكينا، وأوضح معالمه

---

(1) اعتمدت في نقل النصين على شريط خاص مكنني منه احد الاصدقاء مشكورا صوّره عن مخطوط الاسكوريال المذكور، وسأرمز لتعاليق الدكتور حسين مؤنس على هاتين الرسالتين بالرمز (ح م).

(2) يبدو ان هذا التقديم وضعه او تصرف فيه جامع الرسالة في التسعينات كما يلمح لذلك في نهاية الرسالة الثانية، ولذا يذكر ولي العهد محمدا (الناصر) تحت اسم امير المومنين في هذا التقديم.

(3) تتكرر الحمدلة والتصلية في هذه الرسالة كما في بعض الرسائل الاخرى مثل رقم 27 و 28 و 30 و31.

تبيينا، وقدّر فيه الامامة النبوية[4] والخلافة المهدية العصمية، علماً أظهره من أعلامه، وحُكما أوجبه من أحكامه، حصّن بها امور الملة الحنيفية تحصينا، وجعلها لمن ضمه حبلها الشديد وانسدل عليه ظلها المديد معقلا أشِباً وحصنا حصينا، لتتّسق بذلك مصالح الامة في نظام، وتطّردَ سياسة الملة على قوانين مقدّرة وأحكام، تدبيرا أُوسِعَ به المعالم الدينية إتماما وتحسينا، والمعايش الدنياوية/ إحكاما وتزيينا، وأوجب للقائم بها بحقها والمستولي عليها بشرطها طاعة بطاعته تعالى موصولة وحقا بحقه مقرونا، وأتم إنعامه عليه وظاهرَ إكرامه لديه، فأورثه اولا من مقام النبوة وآخرا من مقام الهداية ارثا مطيّباً وحقا مستوجبا لا ممنوعا ولا ممنونا ؛ نحمده حمد مَن أنعم عليه بالنظر الى براهينه الواضحة، والتدبّر لآياته البينة اللائحة فأبصرها بعين قلبه حقا يقينا، ونشكره شكر من لجأ اليه، وعوّل في جميع أموره عليه، فأحله من كنف حماه، وأباح له من نطف نعماه (حصنا)[5] منيعا ومُعينا؛ ونصلي على محمد رسوله وعبده الذي اصطفاه وليّاً وابتعثه نبيا وأرسله أمينا[6]. طهّره تشريفا من العيب، واظهره تعريفا على الغيب، فما كان على غيبه ضَنِيناً ولا به ظنينا، بل أبلغ في الرسالة، ونصح في الهداية والدلالة، واستنقد من الغواية والجهالة، واسترد عن التيه في العماية والضلالة، بما شرعه بأمر ربه مفروضا ومسنونا، واطلعه مما جاء عنه به برهانا قاطعا وفرقانا ونورا مبينا ؛ ولم يزل — ﷺ — يصدع بنور الحق مِن ظُلَمِ الباطل دجُونا، كلما رفع من الاسلام شأنا وضع من الإشراك شؤونا، وكلما أقر للايمان عينا أسخن للكفران/ عيونا، حتى أتم الله نعمته بكمال الدين، وأقر عيون عباده المهتدين، فجاءته البشرى من ربه اذ (انتقل)[7] الى جُواره الأعلى، وقرّبه فأرقاه مرتقّى عَلِياً، وأحلّه مكانا مكينا، وخيّره فاختار الرفيق الاعلى مرافقا ومصاحبا وخدِيناً، ورأى الصدّيق — رضى الله عنه — خليقا بالقيام مقامه في الصلاة وقَميناً، وراده أهله القولَ في ذلك فردّهم، بعد أن علم — ﷺ — باعتذارهم قصدَهم، وقال : «مروا أبا بكر فليصلّ بالناس» تخصيصا له بالكرامة وتعيينا، واقتدى المسلمون به في فعله — ونعم القدوة — فرَضُوه لدنياهم، إذ كان قد رضيه دينهم، فسكنوا اليه سكونا، ووضعوا أيمانهم في يمينه الكريمة بُوركت على الاسلام يمينا ؛ فصارت هذه سنة العقد بالاجماع امرا مبرما وحبلا متينا[8] ؛ واستخلف — رضي الله عنه — الفاروق قويا في دين الله امينا، فأطلع منه على آفاق الاسلام بدرا منيرا وغيثا هتونا، وتلقّى الامر بالقوة وخلوص النية فلم يُرَ إلا مُعانا او مُعينا، ودوّن الديوان ووضع الخراج ومصّر الامصار وفتح الفتوح شِمالا ويمينا، وصارت هذه ايضا سنة العَقد بالاستخلاف قصدا أمَماً ميمونا ومركبا أمونا[9]، صلى الله

159/ب — 160/أ — 160/ب

(4) راجع حول الامامة والعصمة الهامش رقم 6 على الرسالة السادسة. في الأصل اضافة في الحاشية مع الملاحظة على خطأ، فتصحيح الجملة هكذا، «النبوية الشرعية والخلافة».

(5) ناقصة في المخطوط، والتصحيح من (ح م).

(6) كذا في المخطوط، وقد جعلها (ح م) : اميا، معترفا بهذا التغيير، ولعل الاصل هو الاصح (لاحظ القافية).

(7) غير واضح في المخطوط.

(8) هنا تشبيه لطريقة استخلاف عبد المومن للمهدي بطريقة استخلاف ابي بكر للرسول (ص) رغم «معارضة» القرابة في كلتي الحالتين، اليس في هذا تلميح لكون قرابة المهدي لا زالوا الى هذا العهد يطالبون بحقهم في الخلافة ؟

(9) هنا اشارة إلى شرعية نص الخليفة على من يخلفه، وهذا تبرير مطابق لمضمّن الرسالة (ح م بتصرف).

على (سيدنا محمد وعلى آله)[10] وصحبه الأكرمين الأرشدين الذين عمَّروا ببيعة الرضوان[11] من معاهد الايمان صفّاً وحُجونا، واشتروا ببيعهم الذي بايعوا عليه حظا لا مبخوسا مشتريه ولا مغبونا، واعتاضوا من النفوس والاموال عوضا لا معدولا بعظيم من أمر الدنيا ولا مثموناً، وعلم الله تعالى ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم الفتح قريباً[12]، ووعدهم أضعافه كالياً مضمونا

ورضي الله عن الامام المعصوم المهدي المعلوم سر الوجود وبشارة جدّه ـــ ﷺ ـــ الظاهرة لوقتها الموعود كنزا كان مذخورا وجوهرا من نور النبوة مكنونا، وذلك عندما انسحبت اذيال الضلال، وطلعت نجوم الدين كاسفة مما انسدل عليها من أغطية المُحَال، واشتعلت أقطار الأرض فتونا، واستولى الولاة الطغاة ومَلك الاملاكُ البغاةُ يتسارعون في سبلِ الغي سباقا ويتنازعون من أحاديث النكر شجونا، فيستبيحون ما كان محرّما ويُهينون ما كان معزّزا ويذيلون ما كان مَصونا، فأحيى الله به من معالم الدين ما قد كان ظل دَفينا، وعادت الحنيفية السمحة الى قويم مجراها وشِيدت وشُدَّت/ (...بعد ان كانت[13]...) وعن الخليفتين الاكرمين[14] الطاهرين العلَمين اللذيْن ورثا من أنواره العلمية وأسراره الحِكمية علما كان لهما مخزونا، فأوسعا الدين والدنيا نظرا، كان بالنجاح كفيلا وللصلاح والاصلاح ضمينا، وأمدّ الله من استرعاه عهدهما واستخلفه في الأرض بعدهما سيدنا ومولانا الامام الاهدى الخليفة العدل المرتضى، نور الحق المشهور وسيف الله المنتضَى أمير المومنين أبو يوسف[15] ابن سيدنا ومولانا الإمام امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الخليفة امير المومنين ـــ أعز الله امره وفسح للاسم وأهله عمره ـــ بما مده من ظلال العدل والأمان، وبثه من أنوار الهدى والايمان، بصنع يَجنيه من ثمر النصر والفتح فنونا، ويجعل سعيه الكريم للتوفيق لَزيماً ولليمن عقيدا وللسعد قرينا.

161/أ

وبعد، فهذا ماأجمع عليه الملأ بقرطبة وأعمالها ـــ حرسها الله ـــ من الطلبة والموحدين والعرب والاجناد، والوجوه من الاشياخ والاعيان والقواد[16]، والخواص والعوام من الرعية مِن حاضرٍ منهم ومِن بادٍ، أجمعوا ـــ بتوفيق الله العظيم وعونه واحسانه العميم ومنّه ـــ على المبايعة للامير الاجل الملك/ السعيد السيد الاوحد الاكمل (المرجو لعهد امير المومنين)(*) المؤهل المؤمل الحائز لشرف

161/ب

---

(10) جزء من السطر الاعلى غير واضح.

(11) هي البيعة التي تمت في الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة قبيل الصلح بين الرسول (ص) وكفار قريش.

(12) الجملة مقتبسة من الآية 18 من سورة الفتح، وباضافة ما في الحاشية نجد : «.... قريبا، ناجزا ميسورا ووعدهم...

(13) السطر الأول في صفحة المخطوط غير واضح.

(14) أي الخليفتان عبد المومن ويوسف.

(15) نلاحظ هنا عدم تسمية يعقوب بالمنصور (راجع خصوصيات الرسالتين في الفصل الأول).

(16) الاشارة الى الفئات الادارية والعسكرية الموحدية باحدى عواصم الاندلس، ويمكن القياس عليها بالنسبة للعواصم الاخرى.

(*) غير واضح بفعل الرطوبة على الصفحة.

الانتساب، الموفي بحسبه الكريم ومجده الصميم على الأحساب، فرع الشجرة المباركة الطيبة الانتماء، التي أصلها في مقر الهدى ثابت وفرعها في السماء، نجل الخلافة الأطهر، ونور الإمامة الأزهر، الذي نشأ في حجر العلى مربوبا بثدي الندى والهدى، حتى وافى مترعرعا مستوليا على كل غاية من الفضل ومدى، أبو عبد الله محمد ابن سيدنا الامام المنصور الناصر لدين الله تعالى الخليفة المرتضى امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين، — اعلى الله امرهم واسماه — كما أعزّ بهم جانب الاسلام وحَماه، وذلك عندما ورد عليهم وصحّ لديهم ما كان مِن إجماع مَن بالحضرة الامامية العلية — كرم الله آثارها وأعلى منارها — من اخوانهم الموحدين الذين هم طائفة الحق وانصار الدين، على سؤال سيدنا ومولانا امير المومنين، والرغبة اليه وإعادة الطلب له ثقة بما رجوه من الإسعاف لديه في أن يُعْلِق أيمانهم مِن هذا الامير السيد السعيد بيمين، ويحمّله عهده الكريم بتخصيص له لذلك المقام العظيم وتعيين[17].

162/أ وإن سيدنا ومولانا امير المومنين / (أعلى الله أمره وشريعته، بما جعل الله إليه من قبض)(*) الامور وبسطها، وملّكه اياه من امضاء العهود وربطها، وأوجب عليه من النظر للامة في يومها وغدها، والتحصين[18] لها وعليها في اقرب الآماد وأبعدها، وبما علمه من صدق نيات الطالبين في مطلوبهم، وخلوص غيوب الراغبين في مرغوبهم، وأنهم مع ذلك هم الطائفة التي مَطالبها خليق أن يصاحبها التوفيق ويكانفها، وآراؤها جدير وحقيق أن تلازمها العصمةُ ولا تخالفها، رأى اسعاف رغباتهم وتيسير طلباتهم[19] وكمّل لهم إراداتهم، وأسعدهم على الامر الموذن بكمال سعاداتهم، لما اجتمع في ذلك من اسباب الصلاح، واقترن به من لوائح النجاح، فبايعوه بمقتضى امره العلي، وبنصه الواضح الجلي[20]، بيعة مباركة سعيدة، استقبلوا بها آمالا فسيحة مديدة، واعمالاً من البر والتقوى جديدة، انسكبت عليهم شآبيب الرحمة والامان، وانسحبت فواضل الإنعام والإحسان، وازدادت بهاءاً وجمالا

162/ب معالمُ الاسلام والايمان، فانعقد بها الاجماع،/ ووجب البِدار الى التزام حكمها والاسراع، وبادر جميع مَن ذُكِر في صدر هذا الكتاب من اهل قرطبة واعمالها من الطلبة والموحدين والعرب والاجناد، والوجوه من الاشياخ والاعيان والقواد، والخواص والعوام مِن الرعية من حاضر منهم ومِن بادٍ — وفقهم الله أجمعين — بادروا الى التزام عهد هذه البيعة المباركة عهدا، وإحكام عَقدها السعيد عقدا، فبايعوا للامير الاجل السيد السعيد الاوحد الاكمل الافضل ولي العهد الكريم، وذي المجد الصميم، ابو عبد الله محمد ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين بيعة اخوانهم الموحدين على صفاء من قلوبهم، وخلوص من غيوبهم، وصحة من عقائدهم وضمائرهم،

---

(17) الادعاء هنا بان تعيين ولي العهد كان بطلب من الاعيان وليس رغبة من المنصور. انظر ما ورد عند ابن عذاري ص 187 و 207 وخصوصيات الرسالتين في الفصل الأول، وقارن مع رسالة عن يوسف بن تاشفين حول تقديم ابنه علي لولاية العهد ورد مقطع منها في صبح الاعشى 161/5 وفي الحلل الموشية (78 — 79) وفيه اعتراف صريح بانه هو الذي اقترح ابنه لهذ المهمة واشترط عليه شروطا يلتزم بتنفيذها.

(18) في الاصل : التحسين (ح م).

(19) عند حسين مؤنس : طلبتهم وفي المصور ما اثبتناه.

(20) الاشارة واضحة الى الصفة الالزامية لتقديم البيعة، اي الخضوع لما تم الاتفاق عليه في عاصمة الخلافة.

وتوافقِ من بواطنهم وظواهرهم، وعلى أوفَى عهود البيعة وشروطها، واكملِ عقودها وربوطها، من السمع والطاعة في السر والجهر، والمنشَط والمكرَه والعُسر واليسر، وعلى اعتقاد النصيحة والموالاة الصريحة، أعطوه بذلك عهد الله المؤكد، وميثاقه المشدد، وأعطوه به صفقة قلوبهم وأيمانهم، وعهدة اسلامهم وإيمانهم، وخالصة سرِّهم واعلانهم، لا يحلون/ (... ولا يتحولون عما اعتقدوا)[21] منه 163/أ
ابدا، معتقدين انها ــ ان شاء الله ــ بيعة رضوان، وجُنة أمان، وعارفة حسن واحسان ؛ أشهدوا الله على انفسهم بمضمونها طائعين، وكتبوا (عليها)[22] خطوط ايديهم على احوالهم الموصوفة مبادرين ومسارعين، والله يعرّفهم خير ما أبرموه، ويمن ما احكموه، انه على كل شيء قدير، وبالاجابة جدير، واليه المصير، وهو نعم المولى ونعم النصير، وعلى ذلك كتب اسمه في العشر الأوائل من ذي القعدة من سنة ثمان وثمانين وخمس مائة فلان ابن فلان و فلان ابن فلان، (وتتابعت الاسماء حتى كملت اسماء الحاضرين من اهل الحاضرة والمستنفرين من اهل البادية والحمد لله رب العالمين)[23].

---

(21) بياض بقدر نصف سطر اعلى الصفحة وهو مطموس في الاصل.

(22) كذا عند (ح م)، وفي الاصل (عليه).

(23) يظهر هنا واضحا تصرف منشيء أو ناسخ الرسالة في اغفال الأسماء الحقيقية للموقعين على عقد البيعة انظر ايضا الاضافة الملحقة بآخر الرسالة القادمة.

نص الرسالة المرفقة (رقم 41).

163/ب (نسخة الكتاب المتوجه مع البيعة المباركة، وهو الجواب على كتاب الحضرة الامامية ايد الله امرها واعز نصرها).

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما، الحضرة الإمامية العلية، المعظمة المكرمة السنية، الطاهرة القدسية، معلية منار الاسلام، وممضية احكام الخلفاء الكرام، والائمة النصحاء الاعلام، في تحسين النظر لأمة محمد عليه افضل الصلاة واطيب السلام، حضرة سيدنا ومولانا الامام الاهدى الخليفة المرتضى، نور الحق المشهور وسيف الله المنتضى[1] امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الامام امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الخليفة امير المومنين[2]، قرن الله امرهم وعمرهم بالدوام، وزين عقدهم وعهدهم بالاتساق والانتظام، واطلع بدور سعدهم وشموس مجدهم على اجمل احوال الكمال والتمام، كما جعل لهم عواقب الايام، وفرض طاعتهم على كافة الانام، من عبيدهم المتلقّين لأوامرهم العلية بالسمع والطاعة، الممهدين لدينهم ودنياهم بصدق الاجابة والانابة، لما اهيب بهم اليه وحضوا عليه من الالتزام لقوانين الشريعة والانتظام في سلك الجماعة[3]، المبادرين 164/أ لاغتنام حظوظهم من الخيرات المشاعة والمسرّات المذاعة، الذين/ (نشأوا في حجور الخلافة السعيدة وتحت اروقة عزها المديدة ولدانا)[4] يُربَّبون، وهاهم متكهلين في فواضل نعمها العميمة وطوائل كرمها الجسيمة يترددون ويتقلبون[5] : الطلبة الذين بقرطبة[5] : سلام طيب مبارك كريم عميم، رَوحه نسيم وورده تسنيم، تتجلى بالبشائر غُرَرُه، وتتصدى في اجمل المناظر صوره، على الحضرة الامامية العليا، والمثابة التي اشرقت بانوار هديها القويم وآثار سعيها الكريم اقطار الدنيا، ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد حمدِ الله الذي اعلى كلمة التوحيد، ورفع مبانيَها المؤشبة المحصنة ومغانيَها المنجَّدة المحسَّنة على قواعد التمكين والتمهيد، واختار لطائفته السعيدة لما امضى عزائمهم وجمع قلوبهم على ابتغاء الحظ الذي يعمهم بنفعه، وسؤال الامر الذي يضمهم بجمعه اختيار الموفّق[6]، فعصم آراهم فيه بنور التحقيق من ظلم التشكيك والترديد، وشد ازرهم فيه وايد امرهم بالظافر الميمون والنيّر السعيد، وافضى بعدهم منه الى الكفيّ الكفيل والوليّ الحميد، والصلاةِعلى سيدنا محمد رسوله وعبده المخصوص من بين الانبياء باولية السبق المعنوي والشرف التليد، فقد كان ﷺ نبيا وآدم بين الماء والطين، يتردد من اطوار الخِلقة بين تصويب وتصعيد، ثم ارسله لما كملت بفضل الله تصفيته واعقبت دعواتِ الرسل دعوتُه مؤيدا بالبرهان الباهر والقرآن المجيد، حائزا بقَبول الشفاعة وإيجاب

---

(1) نلاحظ هنا ان لقب «المنصور» لازال غير رسمي فيما يبدو فيستعاض بغيره.

(2) يذكر ابن عذاري (141) ان نقش خاتمه : «امير المومنين بن امير المومنين بن امير المومنين»

(3) راجع الهامش 20 على الرسالة السابقة.

(4) السطر الاعلى من الصفحة متأثر بالرطوبة لا يظهر منه احيانا غير كلمة او كلمتين.

(5) فراغ بسيط بين الكلمتين.

(6) بعد هذا في الحاشية اليسرى من الاصل كلمتان، الأولى (المصيب) والثانية غير واضحة.

164/ب الوسيلة لعاقبة الشرفين/ (الاولوي...) وصحبه الاكرمين الذين جلّت مناقبهم عن الاحصاء والتعديد، وأعطوه صفقة أيمانهم مبايعة على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشَط والمكره[7]حازوا بها من سوابق الفضائل، وسوامق الرتب الجلائل، ما ليس فوقه من مزية ولا بعده من مزيد، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم بأوضح الدلائل وأصح الاسانيد، الصادع بالحق والقائم بالصدق هادماً من أركان الباطل كل ركن مَشيد، منتهضاً بأمر الله ذا عزم ماضٍ، وأيْدٍ شديد، فأعاد الحنيفية السمحة إلى مَهْيَعِها القويم ومنهجها السديد، وعن الخليفتين الاكرمين الطاهرين العلَمين اللذين سارا يهتديان ويهديان بمنار هديه اللاّحب ويَقتفيان ويُقفيان لآثار سعيه الصائب، مستألفين على أمر الله كل نافر شريد، ومناضلين عن دين الله كل باغ عنيد، تارة بالقول السمح السهل وآونة بالسطو المُبير المُبيد، والدعاء لوارث مقاماتهم وحائز كراماتهم مستوليا من غايات السبق والتبريز، وإحراز خصال المؤهل

165/أ المرتضى لحمل أمانة هذا الامر العزيز،/ (... والامام الاعدل)[4] الخليفة المنصور المؤيد المعان الموفق المسدّد[8] امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الامام امير المومنين ابن سيدنا ومولانا الخليفة امير المومنين المتلقي لأمر الله اذ أصار خلافته اليه وجمع القلوب في التخير لها والانتقاء عليه بالذراع الرحب والباع المديد، بصنع يتكفل له بدوام النصر والتأييد، ويعرّفه في نعم الله التي قِبَلَه ومِنَحِه التي خوّله صلة السالف منها بخالف والقديم بجديد، وللأمير الاجل السيد السعيد الأكمل الافضل سليل مجده الصميم، وولي عهده الكريم، ابي عبد الله[9] بما يبلغ به من مزايا الرضى والتنفيذ للأقدار على وفق ارادته والامضا(ء) ما لم يبلغه أمُلُ آملٍ ولا إرادة مُريد.

فكتب عبيد الحضرة الامامية العلية، والمثابة الطاهرة القدسية ـــ كتب الله لها يمن المساعي والمقاصد، وأمدّها بالسعد المساعد في المصادر والموارد، وأبقاها ولديها من دلائل صنع الله لها في شد أزرها وعضْد امرها أدل الدلائل وأعظم الشواهد ـــ من قرطبة ـــ حرسها الله ـــ والبشائر قد

165/ب شدّت/ (....)[10] والتأمت شواردها في اتصال واتساق، وأنوار الهدى وأسرار الامر الاعلى قد تبلجت في ظهور وإشراق، والنفوس قد تملّكها من الأفراح وسرى فيها من الاهتزاز والارتياح ما لا تبلغ صفته بإطناب في الشرح ولا إغراق، والحمد لله رب العالمين على ما نظمه من اسباب الائتلاف، وتممه من مضاء العهد الكريم والاستخلاف، وأبرزه للعيان مِن ما كان في كفالة الوعد الالهي والضمان مؤقتا له وقته الذي قدّر كونه فيه على احمد الاحوال وأجمل الأوصاف، حمدا تستغرق حمد الحامدين صدورُه واوائله، وتدلي بسبب متين الى رُتب المصطفيْن المقربين تواليه وفواضلهُ، ويكون لكل نعمة مستفادة وان عظمت عديلا وكفيا، وبكل زيادة مستزادة وإن كبرت مَليّاً ووفيا.

وان الكتاب الكريم ـــ كتاب سيدنا ومولانا الامام امير المومنين شكر الله إنعامه، ووصل بالسعد أيّامه ـــ وصل الى العبيد مبشرا بما اجمع عليه الكافة من اخوانهم الموحدين، طائفة الحق وانصار

---

(7) يشير الكاتب الى بيعة المسلمين للرسول (ص) ـــ ربما مبايعة الحديبية ـــ مادام الموضوع هنا هو موضوع بيعة على سبيل المقارنة.

(8) نلاحظ هنا عدم تخصيص الخليفة بلقب «المنصور» راجع خصوصيات الرسالتين في الفصل الأول.

(9) هناك رسائل اخرى يذكر فيها ولي العهد بعد ذكر ابيه الخليفة مثل الرسائل ارقام 10 و 41 و 42 و 44.

(10) السطر الأول من الصفحة مطموس في الأصل كليا اوجزئيا بفعل الرطوبة.

الدين، وخلاصة عباد الله المهتدين ـــ اعزهم الله وادام كرامتهم بتقواه ـــ من الرغبة في البيعة المباركة
166/أ السعيدة، واخلاص الطلب لعقد شرائطها الموثّقة الاكيدة،/ (.... فان امير المومنين وولي رب العالمين)[10]، ايد الله أمره وأعز نصره ـــ بما أطلعه الله عليه من صدق نياتهم، وأراه اياه من خلوص ضمائرهم وطويّاتهم، وهم الطائفة المرضية المتخيرة، والجماعة المهدية المستبصرة، وبما جعل الله تعالى ايضا لسيدنا ومولانا امير المومنين من امور العقد والربط، وملّكه من أحكام القبض والبسط، رأى إسعاف رغباتهم، وتيسير طلباتهم وتكميل اراداتهم، وإسعادهم بالحظوة الموجبة لسعاداتهم[11]، فبايعوا للأمير الأجل الملك السعيد السيد الافضل النّير الاتم الاكمل سليل الخلافة الاطهر، ونور الامامة الاظهر، ابي عبد الله محمد ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين ابن سيدنا امير المومنين الكريم عرقا ونسبا، العالي نِجاراً ومنصبا، المستولي على غايات الشرف التليد والطريف، العلم المعروف قبل دُخول أدوات النعت والتعريف، بسط الله ظله على العباد والبلاد، وشدّ امره واعز نصره بالعَدد من عالم أمره الالهي والأعداد، وبلغ به افضل ما يؤمله ويؤمله المخلصون له من أمل ومراد، وحفظ من نوره الباهر الذي أشرق، وغصنه الناضر الذي أثمر بالبركة وأورق[12]، ما
166/ب هو سامٍ في اعتلاء ونامٍ في ازدياد، بايعوه/ (....)[10] وصحة من البصائر على أكمل عقود البيعة وشروطها، واتم حقوقها الواجبة وربوطها، وأهِيب بالعبيد الى ورود مناهلها السائغة المعِينة، والادّراع لجُنتها السابغة الحصينة، والاعتلاق بحبالها القوية المتينة، والاستضاءة بانوارها المشرقة المبينة ؛ فلِحينِ ورود هذه المسرة العظمى عليهم، وحلول وافدِ البشرى بها لديهم أجابوا على الفور مهطعين، ولبّوا في الوقت مسرعين، وأعطوا صفقة قلوبهم وأيمانهم مستبشرين، لجميع ما التزمه اخوانهم الموحدون من شروط هذه البيعة المباركة ملتزمين، وللوفاء بعهودها والقيام بحدودها مستشعرين، وما تقدّمهم في هذا المضمار الكريم مَن تقدمَ فيه بنية سبقت عقودها عليه، ولا بهمَّةٍ طمحت قديما طوامحُها اليه، اذ كان هذا هو مرغَب العبيد ومبتغاهم، ومطلبهم ومتمناهم، ومودودهم ومؤمَّلهم، ومجملهم من انواع الرجاء ومفصَّلهم، اليه كانت هممهم ابدا طامحة، وفي رياض الأمل له كانت قلوبهم قديما
167/أ سارحة، **فأخّرهم عن إظهار التقدم بالفعل اليه سابقُ الأقدار، وما مُنُوا به**/ (..[10]..)[13] قد أكمل الله تعالى من ذلك ما اعظم النعمة به على جميع المومنين فالحمد لله رب العالمين،

ذاك الـــذي كنـــا نؤمّـــل أن نـــرى لاح الصبـــاح لنـــا فأحمدْنـــا السّرى

ثم إن العبيد تقدموا لإشاعة البشرى باتم ما تكون به الاشاعة، وإذاعة خبر النعمى على أوفى ما تترتب عليه الاذاعة، أكمل بشرى سَفَر عنها سفير، وأعظم نُعمى أخبر بها خبير، تهللت لها الوجوه والأسرّة، واهتزت لذكرها المنابر والأسرة، واعتز بها ركن الاسلام وجانبه، وذلّ شانيه ومُجانبُه، واستظهر بها الامر الاعلى على عِداه، وأشرق نوره الأجلى وانفسح مداه، وما كان الله ليعدل بها

---

(11) تأكيد الادعاء مرة اخرى بان تقديم محمد لولاية العهد كان تنفيذا لرغبة «الكافّة» من الموحدين، انظر الهامش (17) على الرسالة السابقة.

(12) كلمة مطموسة في الاصل بسبب نقطة مداد سقطت من قلم الناسخ.

(13) طمس قدر سطر، ضيّع علينا المبرر الذي يقدمه «طلبة» قرطبة لتأخرهم عن تقديم البيعة بعد مبرر «الاقدار».

عن من[14] أهّلهُ لها في الازل وارتضاه، وأنفذ له بها حكمه السابق وأمضاه، فهو كان أحق بها وأهلها،

ولم تك تصلـــــح إلا لـــــه ولم يك يصلـــــح إلاّ لها

ثم إن العبيد تقدّموا في اخذ العهد الكريم على كافة مَن قِبَلَهم وفي جهتهم من الموحدين ــ اعانهم الله ــ والعرب والقواد والاجناد وسائر طبقات الناس والخاصة والعامة والحاضر والباد، وعقدوا بذلك عليهم عقدا مباركا[15] توثّق مبناه، وحسُن ان شاء الله / (....)[16] لداعيه، وسارعوا من كل قطر الى كتب اسمائهم واثبات شهاداتهم فيه، وأبكارُ المسرات تؤكد عقدها، وخواتمُ البشائر تؤدي ما عندها، وكؤوس التهاني تدور، ووجوه الآمال لها سُفور، وتَمشّى العمل في ذلك اياما، ودّ العبيد ان لو كانت اعواما، رغبة في الاستمتاع بما ابدته من محاسن صور الجلال والجمال، وحرصا على الاستزادة بما اهدته من طرائف ثمر الاحسان والإجمال، فكأنما كانت ايام اعياد العمر قد نُظمت لهم في عقد، ونُسقت فيما قبلهم على سَرد ؛ فالله تعالى يعرّف سيدنا ومولانا امير المومنين ــ اعلى الله امره واعز نصره ــ وولي عهده الكريم ــ انمى الله سعده واسمى جده ــ بركة هذاالعقد الكريم ويمنه، ويسبغ به على كافة المومنين إنعامه الجسيم ومَنَّه، وجزى الله سيدنا ومولانا امير المومنين افضل جزاء من نظر للامة الاسلامية والملة الحنيفية بأحسن النظر لليوم والغد، وشفع اليد السالفة العظمى عندهم بمثل هذه اليد، وله بعد بفضل الله وكرمه.من طول البقاء، واتصال العلو في درجات الكمال والارتقاء، وحراسة/ (....)[17] العظيمة، وادرار البركات الجسيمة مايربي شأوه الكريم فيه على السابقين الاولين، ويوفي عمله فيه على اعمال المحسنين المجلين ان شاء الله، وله في فعل مَن فعل مثل فعله من الخلفاء الراشدين والائمة المهتدين افضل قدوة آثر الاقتدا بها اسعافا عند الرغبة والسؤال، واكرم إسوة تأسّى بها افاضةً للاحسان والاجمال.

167/ب

168/أ

والعبيد، بعدُ مُنتهون الى ما أُمِروا به من ربطِ امور مكانهم، ومبادِرون الى الباب الكريم في جماعة اخوانهم[18] تهفو بهم هبات المسرة والارتياح، ولو تمكن لهم لركبوا اسراعا اجنحة الطير او متون الرياح، والله تعالى يوردهم من باب الحضرة الامامية العلية افضل مَورد، وينيلهم من قبولها واقبالها كل حظ مسعد، ويجعل بيعتهم المباركة التي احكموا عقدها والتزموا عهدها بيعة رضوان، وجُنّة أمان، وعارفة حسن وإحسان، بمنّه وفضله، وجوده وطَوْله...

(وكان بعد هذا دعاء للحضرة الامامية يليق بمقامها العظيم لم يثبت في المبيضّة، ولم اذكره عند نقل المبيضة الى هنا لبعد العهد بذلك التاريخ، اذ كان نقل المبيضة في شهر رمضان المعظم من سنة تسعين وخمسمائة، ولم اذكر شيئا من الدعاء الثابت في آخر كتاب البيعة)[19].

(14) كذا بالاصل، وكتبها (ح م) : عمّن.

(15) هذا العقد هو الرسالة السابقة.

(16) طمس بقدر سطر في اعلى الصفحة.

(17) طمس بقدر سطر في الأصل تقرأ ثلاث كلمات في آخره هكذا (... وفتح الفتوح) العظيمة...

(18) العبيد هم «الطلبة» حكام قرطبة، والمقصود هنا توجّه وفد من حكومة قرطبة لتقديم البيعة.

(19) ما بين هلالين تعليق من منشىء الرسالة او ناسخها الاصلي مع اعترافه بالبتر في كتاب البيعة السابق.

الرسالة الثانية والأربعون :

رسالة أهل مراكش إلى المنصور جوابا على رسالته

تقديم :

خلال الثمانينات وبعد ان اقر المنصور الأمور بافريقية نسبيا، كانت احوال الاندلس مضطَربة بسبب ضغوط القوات البرتغالية والقشتالية التي كانت تصل أحيانا الى الوادي الكبير، فكان هذا عاملا اساسيا لتهييء المنصور لحملة كبرى الى الاندلس استغل خلالها النزاعات بين الممالك الاسبانية ليوجه ضربة قوية لجيش قشتالة في موقعة الارك حيث كانت تتركز الحاميات التي تغير على المسلمين، وكانت المعركة سنة 591، وعلى اثرها وجه المنصور رسائله الى عواصم الولايات مبشرا بالنصر، فرد المسؤولون بمراكش على رسالته بجواب من انشاء الكاتب ابي الحسن القلنّي[1]، وهذا نص الرسالة الجوابية كما وردت في الزوائد الملحقة بالعطاء الجزيل[2] :

نـص الـرسـالـة :

ع ز/12 الحضرة الامامية العالية، المعظمة المكرمة المقدسة الطاهرة السامية، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام المؤيد المنصور الناصر[3] لدين الله امير المومنين بن سيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين بن سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المومنين[4]، وصل الله لها ما عوّدها من النصر والتأييد والتمكين، وايدها واعلى يدها أنّى حلت وحيث وجهت بالفتح المبين والسعد المكين ؛ العبيدُ المعتصمون بحبل عصمتها، المذِمّون بذمامها، المخصوصون من سابغ نعمتها بإكمالها عليهم وإتمامها، الفاخرون بجوارها الكريم على عراق البسيطة ويَمنها وشامها، الداعون الى الله تعالى بنصر ألويتها وظفر أعلامها ؛ المبتهلون اليه (سبحانه) في اعتلاء جدها ومجدها ومقامها : أهل مراكش ؛ سلام كريم طيب مبارك عميم، على حضرة الامامة ومثابة الخلافة ومقر الرحمة ومعهد النعمة من (ندوتها ؟) القدسية الطاهرة، ورحمة الله تعالى وبركاته.

ملاحظة : ما بين هلالين (   ) غير واضح بالأصل ــ كلا أو بعضا ــ بسبب الأرضة على الخصوص.

(1) انظر ترجمته في المقدمة .

(2) حدث خلال تصليح المخطوط خلط في ترتيب بعض اوراقه، ولهذا نجد الجزء الأول من الرسالة على الصفحتين 12 و 13 والجزء الثاني منها على الصفحتين 30 و 31.

(3) هذا اللقب من جملة ما لقب به ايضا الخليفة عبد المومن (مثلا في الرسالة 30).

(4) نقش خاتمة «امير المومنين بن امير المومنين بن امير المومنين» البيان 141.

اما بعد حمدِ الله تعالى على ما منّ به علينا وعلى الامة من جزيل احسانه وحفيل امتنانه، والصلاةِ على نبيه المبتعث بحجته البالغة وبرهانه، وعلى آله وصحبه[5] المتسابقين الى مضماره والجارين على (...)[6] والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم بحسبه ونسبه ومكانه وزمانه، وعن الخليفتين الامامين الراشدين المرشدين سيديْنا اميري المومنين القائمين بامره والمعظمين لشأنه، وموالاة الدعاء لسيدنا ومولانا الخليفة الامام المؤيد المنصور الناصر[3] لدين الله امير المومنين المجاهد في الله تعالى حق جهاده معتقِدة التثليث وعبدة صلبانه، ولنجله الاطهر الازكى الامير الاجل المبارك الميمون المظفر الاسعد ابي عبد الله[7] بن الخلفاء الائمة الراشدين المهديّين بعزة سلطانه وغلبة جموعه وظفر أعوانه.

فكتب العبيد (الـ)ـثاوون[8] من الحضرة الامامية ادام الله علوها وسموها في الحرم الآمن والبلد الامين، الآوون من نعمتها وذمتها الى الرُّبوة ذات القرار والمعين، كتب الله لها من الفتوح المتوالية المتواترة والسعود المتوافية الوافرة ما يشرق على الارض ذات الطول والعرض انوارُه، ويتضح فيها فجره الساطع ونهارُه، ويعز الاسلام واهله والتوحيد وحزبه بسطته الغالبة واقتدارُه، ويرفع بعدلها الشامل وسعدها(الباهر) الكامل ركنه ومرقبه ومناره، من مدينة مراكش — حرسها الله — وامرها العزيز العالي — ادام الله (...)[9] وعلاء — ما عوّده الرب سبحانه من إعزاز المجاور والمصاحب، ع ز/13 وإذلال المُوَارِب والمُجانِب، وتعرّف الخير/ (والخِيَرة) واليمن والبركة في كافة الانحاء وجميع المذاهب، واطّراد (الفوز) والنجح (والسعد الذي) يأتي كفلق الصبح مما يَعِنّ من الأغراض ويَسنح من المطالب ؛ ولله تعالى بكم ياسيدنا عناية ربانية قد ظهر على العالم سعودها، وانتُجز لهم بيمن نقيبتكم وبركة سيرتكم وعودُها، ووفد على البلاد واهلها والاقطار ومَن حلّها بنيل المرغوب وبلوغ الامل المحبوب بريدُها، وبدا (لهم) على تعاقب الازمان وتغاير الاحيان نموها المتغنَّم ومزيدُها ؛ فالخيرات بكم ظاهرة[10]، والبركات بجميل مذهبكم شاهرة، والمسرات بعالي نظركم راهنة، والبشارات بحميد اثركم واعد(ة إ)حراز الاماني ضامنة، لا جرم ان تلك عادة الله عندكم المعروفة، وسنته لكم المعهودة المألوفة، التي بهرت آيتها، واستوى سرها لديكم وعلانيتها، ووسِعَ الجمهورَ فضلُها، (وأحسبَهم)[11] على العلات طَولها وبذلُها، وأراهم عينَ اليقين أن ايامكم — فسحها الله — اجمل الايام، ومدتكم — مدّها الله وامدها — (أطولُ المُدد)، وسياستكم — حاطها الله وحفظها — أفضل السياسات، وأنكم المنصورون المغلَّبون، والمظفَّرون الظافرون، بتأييد الله القاهرون، بنصر الله المعتلُون، بمنّ الله المستولون على كل من عاندكم وكايدكم، بفضل الله (....)[12] عمَّ عدلكم، وتم

---

(5) لازال الدعاء لآل الرسول وصحبه، وسينقطع هذا الدعاء لهم في الرسائل اللاحقة.

(6) قدر كلمة غير واضحة لعلها (اسانِه)، والأسان جمعها أُسُن اي البقايا والآثار.

(7) هو ابو عبد الله محمد (الناصر)، اخذ له ابوه البيعة بولاية العهد في اواخر 587 أو 588، انظر الرسالتين 40 و 41.

(8) في الاصل : (التاوون) مع تعرض (ال) للارضة ومعنى ثوى : اقام.

(9) قدر كلمة غير واضحة مثل (علوّه).

(10) استعمال حرف الكاف للمخاطبين للدلالة على الخليفة حالة استثنائية، فغالبا ما يخاطب بضمير الغائبين.

(11) حرف الباء ماروض ولم يبق منه غير الفتحة عليه، هذا ان كان الحرف باءً.

(12) قدر كلمة غير واضحة

على الكافة فضلكم، وشُهِـ(ـد)إحسانكم، وبهر امتنانكم، وظهر اشفاقكم على (....[12] حا)طهم الله ــ بنظركم المبارك وحنانكم، والله تعالى يجازيكم عن الامة افضل الجزاء، ويؤيدكم ويعلي يدكم على كافة الاعداء، ويعيننا معشر عبيدكم على الائتمار بهديكم والاقتداء.

وقد وصل الى العبيد ــ وصل الله الحضرة الإمامية مدةَ التأييد والنصر، وضاعف (لها) مزيد الظفر المؤذن باعتلاء الامر واشتداد (...) ــ الكتابُ الإمامي العزيز، والخطاب الذي له الشفوف على الحقيقة والتبريز، مضمَّناً المسرة الكبرى، والبشارة التي هي من كل بشارة أعلى وأسنَى (واسرى)[13]، بما فتحه الله للاسلام واهله على الكريمتين يدي سيدنا ومولانا الخليفة الامام المؤيد المنصور الناصر لدين الله امير المومنين، ونخبة الخلفاء المحسنين، خلد الله ملكه، وصيَّر سبعة الاقاليم مِلكه[14]، (على) اللعين المدْبِر الإذفونَش[15] طاغية النصارى أركسه الله كما وكسه، وصلمه كما وقمه، واخزاه وأذله (كما)[16] أذحره وأقلّه، وفي شيعته النصرانية أنزل الله به وبهم نكالَه، كما أذاقه واياهم بسعيكم المنصور (وب ....)[17] ووبالَه، وأحل به وبهم هُونه وخِزيه، كما أضل بهديكم سعيهم الخاسر وسعيه، وما صنعه الله للمسلمين في جموعهم التي كانت غصّ بها الفضاء، (وعُرف) منها الغَناء في المواطن الكريمة والمضاء، (و...)[17] بالعُدة والعديد، ويَقِن أنه لم يُعهَد لهم مثلها في الزمن المتقادم والأمد البعيد، من القتل الذريع الشنيع، والهزيمة الفاضحة للجميع، وكيف تقسّمتهم السيوف، وتوزّعتهم الحتوف، وتحكّمت في (رقابهم ؟)[17] وطِلابهم بيضُ الصفاح، (و...ـث)[17] في مجال صدورهم وثُغَر نحورهم أسنّةُ العوالي وسمرُ الرماح، (...)[17] اليه رِعَالُ كُماتهم وصناديدُ حماتهم بحكم الاضطرار من تولية الأدبار، وركوب العار بإسلا(م) الحوزة واباحة الذِّمار، وتسابق (هامِهم)[18] مع أقدامهم في الفرار والانتثار، وما استولى عليه المو(حدون) ــ أعزهم الله ــ في محلتهم المغلوبة المسلوبة من الظهر والكُراع، وحُرِّ السَّلَب وفاخِر المتاع، وحصلوا (عليه) من الاسلحة والأزواد والأقوات، والمضارب والأبنية والآلات، وكل ما ذخروه ووفّروه وضنّوا (وشحّوا) عليه، وتقدّموا في الدفاع عنه بين يديه[19]، وما كان من اسلامهم لأعلامهم المنكوسة[20] وصِلبانهم،

---

(13) الحرف الرابع غير واضح ولعله (ر) ليطابق السجع.

(14) هنا فكرة التوسع في العالم الاسلامي بل المبالغة في الدعاء بملك العالم كله، فالعالم كان يقسمه الجغرافيون انذاك الى سبعة اقاليم من جنوب الصحراء (بالنسبة للمغرب) الى الشمال وكل اقليم يوزع من الغرب الى الشرق.

(15) الاذفونش هو الفونسو الثامن الملقب بالنبيل (552 ــ 612)، خضع للوصاية الى سنة 562، وهو المنهزم في الارك، المنتصر في «العقاب».

(16) كلمة غير موجودة في النص (ربما لكشط في آخر السطر)، والسياق يفترض وجودها.

(17) قدر كلمة غامضة.

(18) في الاصل : هامتهم غير انها في حالة الإفراد غير مناسبة.

(19) لا شك ان افخر المتاع المسلوب هو متاع محلة الفونسو.

(20) اشارة اخرى الى اخذ الموحدين «لعلامات» الطاغية اذفونش المنكوسة بعد هزيمته في «الاركة» نجدها في الذيل س 6/ 24 ــ 25 ضمن ترجمة ابن رشد.

و(....)[17]قرابينهم للحادثة ورهبانِهم، واستوى بَطارقتُهم وأساقفتُهم واسخَلاّرِيَتُهم وزَراوِرَتُهم في القتل و(...)/ والتولي (...)[21] ما استحر بالافرَنْريّين وهم ذوو البصائر في يقينهم، والتشددِ في (دينهم) من الدمار والبوار، المفضي بجميعهم الى هاوية النار وسخط الجبّار، وما افتُكّ بأخِيذتهم في الأركو ــ عمّره الله ــ من اسرى المسلمين[22]، وفُقِد في الناوُرْد والمعترك من محشورتهم الأغفال ومشاهيرهم المعلمين (....)[23] به خرق العادة، وفُهِم بتصوره اقتبال السعادة التي أعزّت الاسلام، ومنحت الشركَ وأهله الاتعاسَ والإرغامِ والانثلام والاصطلام، وأعطت ظهور الكلمة واعتلاء اللُّمّةِ ما عاقب الاصباحُ الإظلامَ والإحلالُ الإحرام.

ع ز/30

وانه سيدنا ــ وصل الله ظفركم، وأحمد في سبيله واعدائه أينما كانوا أثركم ــ الفتحُ الذي أُغرب، وشرَّق وغرَّب، وأعرق وأشأم، وأنجد في معمورِ الارض وأتهم، وقضى عند الوقوف على كنهه، أنه لم يُسمَع في ما سلف بشبهه، ولا تقدَّمَه مثيلٌ يقاس عليه، ولا عُلِم نظير تنضاف صفته اليه، وإن الله تعالى (....)[25] من الاسلام قوةَ المريرة، وأبقى كلمته عالية في تلك الجزيرة، وقصم بوقوعه وسماعه ظهورَ فِرق النصارى ما بين حدّ برتقال فأقصى الارض الكبيرة ؛ وإن مِن أظهرِ الآيات، وأشهر العنايات، حصول المعاقل[26] التي كان الكفرة شدّوا عليها يد الضنّانة وصرفوا اليها همة العناية والصيانة، وتوفّروا على سد ثغرها بغاية جُهدهم، وتقدّموا الى ذلك وفيه بأوفر تهمّمهم وأظهرِ جِدِّهم ؛ والقدَرُ يضحك من ورائهم (...)[27] باحتقارهم في ذلك وازدرائهم، ويذخَرها (المطعَم) النصر أوحدُ الدهر والعصر، ويَعِد الايمان على يديه بالجبر ما كان في تلك المعاقل من الكسر، وقد أصبحت ــ والحمد لله ــ بسعادة سيدنا ومولانا دار اسلام، وأضحت معهد صلاة وصيام، يُسمع من صوامعها نغمة (الأذان)، وتُشرق جوامعها بتلاوة القرآن، وتقام (بها) الجماعات والجُمع، فتظلم بضيائها الكنائسُ المجاورة لها والبِيَع[28]، وأمست قذاةً في عين اللعين وغصّة (في قلبه)، وحزازة في نفسه وكمدا في كبده، وخيفت منها أصقاعُ الشرك ومغاني

---

(21) قدر كلمتين غير واضحتين.

(22) حصن الاركة او الاركو او الاركس حصن فتحهُ المسلمون بعد الانتصار قربه على جيش الفونسو ملك قشتالة، انظر الاستقصا 2/ 189، و(193 ــ 194)، وراجع في الدراسة العامة الفصل الثالث، الفقرة الخامسة.

(23) قدر كلمتين ولعلهما : (ما عُلِم).

(24) يذكر ابن عذاري ان انتصار الارك انسى ما سبقه من انتصار الزلاقة (ص 197).

(25) قدر كلمة او كلمتين غير واضحتين.

(26) ومنها حصن الارك نفسه الذي كان يعمره (000 5) فرد بين كبير وصغير، انظر البيان (195 ــ 196) وانظر عن دور (بيدرو فرانديس دي كاسترو) في تسليم حصن الارك وفي المعركة بجانب المسلمين مقال ميراندا في الموسوعة الاسلامية م 1/ 625 مادة AL ARAK، وراجع الفقرة الخامسة من الفصل الثالث. ومن الحصون الاخرى المستردة قلعة رباح وكركرا (ولعله كركوي) زيادة على الارك (الاستقصا 2/ 194).

(27) كلمة لم يبق منهاغير الحرفين الاخيرين (ـكك) ولعلها : ويضحكك.

(28) اعتراف ضمني بوجود حصون اخرى بالمنطقة بيد النصارى.

الكفر، وآذنت أهلَها بالجلاء والتبدد، (ورمتهم) بالتفرق والتشرد، كما قد امنت بها ثغورُ المسلمين وبسائطهم، وودَعت أطرافُهم ووسائطهم[29] وانتظم تأليفهم، (وأنظم)[30] شملَهم قويهم وضعيفُهم، وانصبّ من مَغبَرتهم على الكفر سوْطُ (العذاب)، وأحسَبَهم من مرابطتهم صيمُ تَبار وتباب، يغادونهم ويراوحونهم بالويل وغارة الصباح وبيات الليل دون إغباب، ويُدخلون عليهم المكارهَ المحْرِقة المغْرِقة من كل باب.

فأما من استشهد من المسلمين رحمة الله عليهم في حُميّى الصدمة واحتدام الملاقاة[31]، فقد قرّت عيونهم بما قدّموا من جسيم الثواب عليه، (....)[32] نفوسهم بما صاروا من كرم المآب اليه، وودّوا لو أنهم أُعطُوا كرّة ورُدّوا الى الدنيا (ولو ؟) مرّة، (أن يعاودوا ؟)[32] بأنفسهم ثانية، ويحدّثوا إخوانهم بما رأوه من النعيم المقيم جهرة علانية، «أولائك الذين صدقوا (وأولائك)[32] هم المتقون»[33]، «الأحياء عند ربهم يُرزقون»[34] أولوا الحماسة والبسالة، والنفوس الأبية والمهج المسالة، (....)[35] والكرم والمجد الأتلد الأقدم، الذين رَبحَ بيعُهم وتجْرُهم، ووقَع على الله أجرُهم، وكَرُمَ مشهدُهم (....)[35] وبُعدَ في سبيل الله تعالى أثرُهم، وبرضى الحضرة الامامية عنهم وصلوا الى الحسنيين، وأحرزوا (.... تين)[36]، وفازوا بخير الدارين، «فمن أحسن منهم مقيلا»[37]، وأكرم عند الله تعالى قيلا، وأوجد الى نيلِ (.... القدسية)[35] طريقا وسبيلا وقائدا هادياً ودليلا، فالحمد لله رب العالمين أولاً وآخرا وباطنا وظاهرا، (كشف) بكم سيدَنا ومولانا الغمّاء، وأتمَّ بإيالتكم وكفالتكم على هذه الأمة النُّعماء، وأخزى بكم وعلى (....[35] كُم)[38] الأعداء، وأعاد الى معهده ومَرقَبه بعد انتزاحه عنه وتغيُّبه الدعوة العلية الحنيفية والنداء،/ وذَخَر لكم أجر هذا الفتح العظيم، وشفى صدور المؤمنين، وأذهب غيضَ قلوبهم (....)[39] وأيّد الاسلام وحزبه، ورفع بنظركم المبارك ورأيكم الميمون عنه (كر)بَه، ودفع حَـ(ر)بَه (....)[40] بكم ندمَه، بل ان شاء الله بَواره وعدمَه،

ع ز/31

(29) في هذا اشارة الى ان منطقة المعركة هي فعلا منطقة الثغور وليست داخل ارض قشتالة.

(30) كذا بالاصل (مع قلة في الوضوح).

(31) لعل المتضررين من الصدمة الاولى في المعركة هم المتطوعة، ومن المشايخ الشهداء ابو يحيى حفيد الشيخ ابي حفص فعرف بالشهيد وابناؤه بابناء الشهيد، وبلغ عدد شهداء المسلمين زهاء 500 (البيان 194 المعجب 282 ــ 283، رفع الحجب المستورة 58 ــ 59 (مجلة المعهد المصري بمدريد عدد 1954).

(32) قدر كلمة في اول السطر مأروضة.

(33) من الآية 177 من (البقرة).

(34) اقتباس من الآية 169 من سورة آل عمران.

(35) قدر كلمتين في اول السطر مأروضتين.

(36) قدر كلمتين اوثلاث يبدو انها كالآتي : واحرزوا (على احدى الجنتين)...

(37) اقتباس من الآية 122 من سورة النساء.

(38) يبدو انها : وعلى (يمن يديكم)...

(39) ثلاث كلمات مأروضة.

(40) قدر ثلاث كلمات مطموسة ومأروضة.

وعرّفكم أن محادّتكم ومشاقّتكم أزلّت قدمه، وصلبت صليبه ونكست عَلمه، وست(ـريـ)ـق وان أمهله القدر بسيفكم القاهر الغالب دَمه ؛ وهنأ الله الاسلام والايمان وسيدنا ومولانا امير المومنين، وعامة المسلمين ما منح الله تعالى ونوّلَ، وأعطى وخوّل، وأنعم فأجزل، ومنّ فأكمل، وشفّع هذا الفتح بأمثاله، وقرنه بأشباهه، وجعله عنوانا على ما يتلوه، ودليلا لما يتبعه، ولا أعدَمَنا ابدا دائما (....)[41] متواليا متتابعا ما يزيد عليه في السمعة ويتقدمه في الذكر وينسيه في الاثر، آمين آمين آمين بحوله وصَوله، والسلام الكريم، الطيب المبارك العميم، على الحضرة الامامية ورحمة الله تعالى وبركاته.

(41) قدر كلمة تظهر هكذا : (واصباً) بمعنى : دائما وثابتا.

الرسالة الثالثة والأربعون :

رسالة المنصور بعد نكبة ابن رشد إلى الولايات يأمر فيها الناس بترك علوم الفلسفة واحراق كتبها

تقديم : قبل حركة المنصور إلى الأندلس، قدم عليه بمراكش سنة 590 جماعة من الأندلسيين يحرضونه ضد ابن رشد[1]، فلم يهتم بذلك حيث كان يهيء لمعركة الارك، كما لم يهتم بذلك أيضا بعد انتقاله إلى الأندلس الا بعد انتصاره في المعركة واستقراره بقرطبة حيث تجددت شكاوى بعض المعارضين لعلوم الفلسفة أو الحاسدين لابن رشد، فكانت «محنته» بمحضر أعيان قرطبة، وطرد من مجلس المنصور، فأمر هذا كاتبه ابا عبد الله ابن عياش بتوجيه رسالة الى مختلف الولايات يامر الناس بالتخلي عن علوم الفلسفة واحراق كتبها، كان ذلك سنة 593[2] حسب صاحب الذيل والتكملة الذي اورد ترجمة لابن رشد وضمنها الفصل الآتي من الرسالة المذكورة (ص 26 ــ 28) السفر 6 نشر احسان عباس.

نص الرسالة :.....وقد كان في سالف الدهر قوم خاضوا في بحور الأوهام، وأقرَّ لهم عوامُّهم بشُفوف عليهم في الأفهام، حيث لا داعي يدعو إلا الحي القيوم، ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم، فخلّدوا في العالم صُحفا ما لها من خَلاق، مسودّة المعاني والاوراق، بُعدها من الشريعة بعدُ المشرقين، وتباينُها تباينُ الثقليْن، يوهمون أن العقل[3] ميزانُها، والحقَّ برهانُها، وهم يتشعّبون في القضية الواحدة فِرقا، ويسيرون فيها شواكل وفرقا، ذلك بأن الله خلقهم للنار، وبعمل أهل النار يعملون. ﴿ليحمِلوا أوزارهم كاملةً يوم القيامة ومِن أوزار الذين يُظلّونهم بغير علم، ألاَ ساء ما يَزِرون﴾[4] ؛ ونشأ منهم في هذه السمحة البيضاء شياطين إنس ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون﴾،[5] ﴿يوحي بعضهم الى بعض زخرفَ القول غُرورا، ولو شاء

(1) هو ابو الوليد محمد بن احمد ابن رشد قاضي الجماعة بقرطبة، انظر ترجمته في التكملة (ت 1378، كوديرا، اوت 1497 ط القاهرة) وفي الذيل س 6/ ص 25 وما بعدها، النباهي في «المرقبة» ص 111، والمعجب (305 ــ 306)، وبغية الملتمس ص 44، وشذرات الذهب 4/ 0 32، والديباج 284، والمغرب لابن سعيد 1/ 104.

(2) الذيل س 6/ 25 وما بعدها، وايضا البيان (ص 202) انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول من الدراسة العامة.

(3) لعل هنا تلميحا الى المنهج العقلي لابن رشد وعلاقته بالفلسفة اليونانية.

(4) الآية 25 من سورة النحل.

(5) الآية 9 من سورة البقرة.

ربك ما فعلوه، فذرهم وما يفترون﴾[6] فكانوا عليها أضرّ من اهل الكتاب، وأبعدَ عن الرجعة الى الله والمآب، لأن الكتابي يجتهد في ضَلال، ويَجدّ في كَلال، وهؤلاء جهودهم التعطيل، وقصاراهم التمويه والتّخييل، دبّت عقاربهم في الآفاق برهة من الزمان، إلى أن أطْلَعَنا الله سبحانه منهم على رجال كان الدهر قد سالمهم على شدة حروبهم[7]، وأغفَى عنهم سنين على كثرة ذنوبهم، وما أملِيَ لهم إلا ليزدادوا إثما، وما أُمهِلوا الا ليأخذهم ﴿الله الذي لا إلاه الا هو وَسِعَ كلَّ شيء علما﴾[8].

وما زلنا ــ وصل الله كرامتكم ــ نذكّرهم على مقدار ظنّنا فيهم، وندعوهم على بصيرة الى ما يُقرِّبهم الى الله سبحانه ويدنيهم، فلما أراد الله فضيحة عمايتهم وكشْفِ غوايتهم، وُقف لبعضهم على كتب مسطورة في الضلال[9]، موجبة أخذ كتاب صاحبها بالشّمال، ظاهرُها موشّح بكتاب الله، وباطنها مصرِّحٌ بالاعراض عن الله، لُبّسَ منها الايمان بالظلم، ويجيء منه بالحرب الزبون في حالة السلم، مزلةٌ للأقدام، وسمٌّ يَدِبّ في باطن الاسلام، أسيافُ اهل الصليب دونها مفلولة، وأيديهم عن ما يناله هؤلاء مغلولة، فانهم يوافقون الأمة في ظاهرهم وزيّهم ولسانهم، ويخالفونهم بباطنهم وغيهم وبهتانهم، فلما وقفْنا منهم على ما هو قذى في جفنِ الدين، ونكتة سوداء في صفحة النور المبين، نبذناهم في الله نبذ النواة، وأقصيناهم حيث يقصى السفهاء من الغواة، وأبغضناهم في الله، كما أنّا نحب المؤمنين في الله، وقلنا اللهم إنّ دينك هو الحق اليقين، وعبادَك هم الموصوفون بالمتقين، وهؤلاء قد صدفوا عن آياتك، وعَمِيت أبصارهم وبصائرهم عن بيناتك، فباعدْ أسفارَهم، وألحقْ بهم أشياعهم حيث كانوا وأنصارهم، ولم يكن بينهم الا قليل وبين الإلحام بالسيف في مجال ألسنتهم، والإيقاظ بحده من غفلتهم وسِنَتهم، ولكنهم وقفوا بموقف الخزي والهون، ثم طردوا من رحمة الله ﴿ولو ردّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾[10].

فاحذروا ــ وفقكم الله ــ هذه الشرذمة على الايمان، حَذرَكم من السموم السارية في الابدان، ومن عُثر له على **كتاب من كتبهم فجزاؤه النار** التي بها يعذّب أربابهُ، واليها يكون مآل مؤلّفه وقارئه ومآبُه، ومتى عُثر منهم على مُجرٍ في غُلَوائه، عَمٍ عن استقامته واهتدائه، **فليعاجَلْ فيه بالتثقيف والتعريفْ**، ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسَّكم النار، وما لكم من دون الله من اولياءَ ثم لا تُنصرون﴾[11] ﴿أولائك الذين حبطت اعمالهم﴾[12] ﴿أولائك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحَبِط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون﴾[13]، والله تعالى يطهّر من دنس الملحدين اصقاعَكم، ويكتب في صحائف الابرار تضافرَكم على الحق واجتماعَكم، انه مُنعِم كريم...

---

(6) من الآية 112 من سورة الانعام.

(7) لعل الاشارة هنا الى ابن رشد والقاضي ابي عبد الله ابن ابراهيم الأصولي «اللذيْن لم يكن في زمانهما من هو بكمالهما ومن سار على دربهما» الذيل 6/ ص 26.

(8) من الآية 98 من سورة طه.

(9) انظر المعجب (305 ــ 306) وخصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(10) من الآية 28 من سورة الانعام.

(11) الآية 113 من سورة هود.

(12) من الآية 22 من سورة آل عمران.

(13) الآية 16 من سورة هود.

الرسالة الرابعة والأربعون :

رسالة والي اشبيلية جوابا على المنصور بشأن الاهتمام بالكتاب والسنة

تقديم :لاحظ صاحب المعجب ان المنصور «تقدم الى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي... وكان قصده... محو مذهب مالك... وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد ابيه وجده... فظهر في ايام يعقوب هذا ماخفي في ايام ابيه، وجدّه» (ص 278 ــ 279)، وذكر انه رأى بنفسه حرق كتب الفروع بمدينة فاس[1]. وهذا الامر وجهه المنصور الى عواصم الولايات ومنها اشبيلية، وكان من عادة الولاة ان يكتبوا الى الخليفة مخبرين بوصول كتابه وتنفيذ اوامره، ولعل الرسالة الآتي نصها هي الجواب الذي كتبه والي اشبيلية على مثل هذا الأمر، اذ انه يذكر ما تضمنته رسالة الخليفة من الامر بالاهتمام بالقرآن والسنة، وهذا نص الرسالة الجوابية كما وردت في المخطوط الخاص (ص 305 ــ 308)[2] ومن انشاء ابن وضّاح[3].

نص الرسالة :

م خ/305 الحضرة الامامية، المعظمة المقدسة العلية، حضرة سيدنا ومولانا الامام الخليفة المنصور الناصر لدين الله[4] امير المومنين ابن سيدنا الامام الخليفة امير المومنين ابن سيدنا الامام الخليفة امير المومنين وصل الله دوام نصرها واعزاز امرها ، عبيدُها الشاكرون لجزيل نَعمائها، المتقلبون في مِننها الجمة وآلائها، الطلبةُ الذين باشبيلية والكافة من اهلها، سلام طيب كريم، مبارك عميم، على مقام الحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله على جزيل ما منح من نعمه وآلائه، والصلاةِ على محمد نبيه ورسوله خاتم رسله وانبيائه، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم محيي رسم الدين بعد دروسه وامّحائه، وعن خليفته الامام امير المومنين الجاري على سَننه الكريم، ونهجه القويم، في هديه واهتدائه، وعن الخليفة

---

(1) يذكر المراكشي اسماء المدونات التي احرقت (ص 278)، وينسب صاحب «بيوتات فاس» حرق «المدونة» الى الخليفة الناصر (19 ــ 20، المطبعة الملكية).

(2) هذه اولى رسائل هذا المخطوط ضمن هذه «المجموعة الجديدة»، وستأتي بقية رسائله مرتّبة زمنيا مع باقي الرسائل.

(3) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب في المقدمة (تر 17).

(4) الملاحظ هنا ان الخليفة يعقوب لم يتخذ بعد ــ فيما يبدو ــ لقب المنصور منفردا وبصفة رسمية، راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

م خ/306 الامام امير المومنين بن سيدنا الامام الخليفة/ أمير المومنين متقبل شرفه العميم ومجده وسنائه، وموالاة الدعاء والاسترضاء لسيدنا ومولانا الامام الخليفة المنصور الناصر... لدين الله[4] امير المومنين ابن سيدنا الامام الخليفة امير المومنين ابن سيدنا الامام الخليفة امير المومنين بالنصر الاعز والفتح الاكمل الاعم على كافة اعدائه، ومواصلة الدعاء بدوام ذلك للامير الاجل ابي عبد الله فرعه الازكى الاتقى الاطيب ولي عهده ونجله الايمن الاسعد الانجب، واستمرار أجمل الصنع وتماديه واستيلائه[5].

فكتبه عبيد الحضرة العلية الامامية المعظمة المقدسة ـــ كتب الله لها اتصال ما عوّدها من طلوع عميم البشائر عليها والمسرات، وانثيال جزيل الفتوحات لديها والخيرات ـــ من مدينة اشبيلية ـــ حرسها الله ـــ على ما يجب على العبيد ويتعين من التزام طاعة أوامرها العالية، وشكر عوارفها المترادفة المتوالية، والربُّ سبحانه يحمل العبيدَ من شكر هذه النعم الجسيمة ((التي الغائب بالحاضر من عبيد الحضرة الامامية اعلى الله مقامها وخلد ايامها، في اخذهم منها بالحظ الأوفر لها قِبلهم بمنه وكرمه))[6] ؛ وان العبيد ـــ ادام الله للحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية اعتلاء مقامها وتخليد ايامها ـــ لم يزالوا ابدا متشوفين[7] الى مايصدر عن مقامها الاعلى ـــ خَلَّده الله ـــ مما عهدوا أن يعتمدهم من الخير ويتوخاهم، مترقبين لما أَلِفوا أن يَرِد عليهم من النظر الجامع لصلاح أحوالهم في دنياهم وأخراهم، موقنين بأنه الهادي المرشد لهم بالوصايا النافعة والحِكم البالغة والمواعظ الناجعة الى ما يُزلِف عند الله تعالى في مماتهم ومحياهم، واثقين بأن نظر المقام الاعلى ـــ خلده الله ـــ لهم لا يزال يلتفتهم ويتعهدهم بكل أمنية من الحفظ والرعاية، ولا ينفك يتحرّاهم ويتفقدهم بكل رغبة في الاحتياط والحماية، وكيف لا يكون التشوّف من العبيد نحو إرشاد المقام الاعلى دائما والترقب له متصلا، والثقة بجميل نظر سيدهم ومولاهم ـــ خلد الله ملكه ـــ متمكنة دائمة مستمرة، وهو ظل الله الظليل عليهم ورحمته الواسعة فيهم، وأمنه وأمانه المتصلان منه في قاصيهم ودانيهم ؛ والله يخلّد أمرهم العزيز تخليد تعاقب الليالي والايام، ويجمع على طاعتهم في المشارق والمغارب قلوب كافة الانام، بقدرته وعزته.

وإنّ ما جمع للعبيد أمرَ دينهم ودنياهم وحواه، وقَرن لهم بين عاجل الخير وآجله بذلك م خ/307 واستوفاه،/ الكتابُ الكريم العزيز الواصل اليهم من مقرّ العلم ومعدن تقبيل أنوار الهداية ومحل الامامة والخلافة حيث لا تُقتَبس الأنوار إلا منها، ولا تهتدي الأفكار إلا بما تأخذ عنها ؛ لقد أشرقت بما تضمّنه من الأنوار الساطعة والآثار البينة الواضحة الأبصارُ والبصائر، وخلُصت له بضرورة العقل من كل **مسلم مومن موحّد**[8] **المعتقدات** والضمائر، واستوى في معرفة صدق ما ألقاه من **البراهين القاطعة للشك البادي والحاضر**[9] ؛ والله تبارك وتعالى يوزع العبدَ[10] شكر المنة العظمى فيه،

---

(5) راجع الرسالتين 40 و 41 وخصوصياتهما وكذلك خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(6) الجملة ما بين هلالين مزدوجين (( )) يبدو انها في حاجة الى التقويم.

(7) في الاصل بحرف القاف، والاصوب : (متشوفين) بالفاء اي مترقبين ومنتظرين، وسترد كلمة (التشوف) بعد قليل.

(8) يتفق هذا التعبير مع عقيدة التوحيد عند الموحدين.

(9) في هذا تلميح الى كون الرسالة الخليفية المجاوب عنها قد تكون متعلقة بموقف الخليفة من ابن رشد وكتب الفلسفة.

وحمدَ النعمة السابغة فيما اقتضته ألفاظه الصادعة بالحق ومعانيه، بمنه ؛ ولما وصل ــ وصل الله للحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية دوام نصرها وإعْزاز أمرها ــ وانتهى الى العبيد خبر ورُوده ووصوله، أُلقِيَ في رَوع كل منهم قبل سماعه أنّ خير الدنيا والآخرة حصَل لهم في مضمّنه ومحصوله، وأن البغية التي يبتغونها من طاعة الله ورسوله، إنما يتوصلون اليها ويحوزونها بقبول ما يلقيه المقام الاعلى ــ خلده الله ــ عليهم وينهيه اليهم، تبادروا نحو سماعه للحين، ملبِّين مهطعين، تطير بهم أجنحة السرور، وتسعى بهم أقدام الابتهاج، ويحدوهم حادي الحرص الذي عندهم على الطاعة المتعينة ؛ ثم لما استوعبوا سماع جميع ما تضّمنه من الفصول التي لا يكون الفوز في الدارين والسعادة فيهما الا بمن اهتدى بأنوارها، واقتدَى بمعالمها النيرة الواضحة وآثارها، تلقَّوْها بالتعظيم والتبجيل، وتَقَبَّلوها بقلوب شرحها الله لقلوب الخير ببركة ورودها عليهم أحسن قبول، وعَلِموا وتيقنوا أن أنوار المقام الاعلى ــ خلده الله ــ هي الهداية لهم بالأملاء الكريم الى **معرفة حقيقة دينهم من كتاب الله وسنة الرسول**(11)، ولم يجعلوا لأحد ممن بلغ التكليف أو ناهزه في غير الاشتغال بدراسته من سبيل، وأخذوا بتحصيله كافة نسائهم وصبيانهم وإمائهم دون تقصير في وقت ولا تعطيل، فهو يُتدارس بالأبرية والأفنية، ويُتلَى حق تلاوته ابتهاجاً به في وهدة او ثنية ؛ قد عمرت بدراسته المساجد والمحاضر، وأعمِلت في انتساخ نسخته الأَمَدةُ والاقلام والمحابر، وتساوَى في ذلك كله القريب والبعيد والبادي والحاضر ؛ والله تبارك وتعالى يوفق العبيد لما فيه رضاه ورضى سيدنا ومولانا الامام الخليفة امير المومنين، ويحسن عونهم على شكر هذه/ النعمة الجسيمة التي أنعموا بها على عبيدهم وعن سائر نعمهم الجزيلة أفضل جزاء الائمة المنعِمين المحسنين، ويمنحهم على ذلك خير مِنح الخلفاء الراشدين المرشدين(12)، ويخلِّدُ أمرهم العزيز العالي الى يوم الدّين، بكرمه وعزته لارب سواه، والسلام الكريم، الطيب المبارك العميم، على مَقام الحضرة الامامية، المعظمة المقدسة العلية، ورحمة الله تعالى وبركاته(13).

م خ/308

---

(10) كذا بالاصل، ولعل الاصح : (العبيد)، حيث وردت الكلمة بالجمع في بقية الرسالة.

(11) راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول.

(12) اي الخلفاء الموحدين.

(13) حول تاريخ الرسالة انظر خصوصياتها.

الرسالة الخامسة والأربعون :

رسالة والي سجلماسة السيد أبي الربيع إلى ملك غانة

تقديم :

وردت هذه الرسالة ضمن كتاب نفح الطيب ج 3/ 105، وهي من جملة مانقل ابن حمويه[1] عن ابي الربيع[2] والي سجلماسة[3] عندما اتصل به خلال ولايته في اواخر عهد المنصور أو أوائل عهد الناصر، وقد تميز هذا الوالي بالحزم فيما يبدو، فهو يعدم قطاع الطرق بين سجلماسة وغانة[4]، كما انه يحمل المسؤولية لملك غانة عن العراقيل التي يعاني منها التجار المغاربة هناك ولا يعاني الغانيون من مثلها في سجلماسة وجهاتها، وهذا فصل من الرسالة التي وجهها في هذا الموضوع الى ملك غانة كما وردت في نفح الطيب.

فصل الرسالة :

....نحن نتجاورُ بالاحسان، وإن تخالفنا في الاديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألّف على الرفق بالرعية، ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة، والجَورَ لا تعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة ؛ وقد بلغَنا احتباسُ مساكين التجار ومنعَهم من التصرف فيما هم بصدده ؛ وتَردّدُ الجلاّبة إلى البلد مفيد لسكانها، ومُعينٌ على التمكن من استيطانها ؛ ولو شئنا لاحتبسنا مَن في جهاتنا[5] من أهل تلك الناحية، لكنا لا نستوصب فعلَه، ولا ينبغي لنا أن ننهَى عن خُلق ونأتِيَ مثلَه، والسلام.

---

(1) هو تاج الدين ابو محمد عبد الله بن عمر... ابن حمويه السرخسي، له رحلة مغربية... اذ سافر الى بلاد المغرب سنة 593 واتصل بيعقوب المنصور، وبقي بالمغرب الى سنة 600 نفح الطيب 3/ 101 وما بعدها دار صادر، بيروت، ووفيات الاعيان (ترجمة يعقوب المنصور).

(2) انظر ترجمته ضمن كتاب الرسائل (تر 18).

(3) حول هذه المدينة واهميتها الاقتصادية انظر الادريسي 37 — 38 (بيريس) الاستبصار 200 — 202 الروض المعطار 305 صبح الاعشى 5/ 163 وما بعدها. هذه الاهمية ستوجه اليها اطماع ابن غانية سنة 605 وستتكرر حركاته اليها، وستتوجه اليها ايضا اطماع ثائر كزولة، وغيره من المنافسين للخلفاء الوحدين (راجع الفقرة الثانية من الفصل الرابع).

(4) انظر نفح الطيب 107/3، وانظر ايضا مقالا عن (العلاقات مع السودان) بمجلة «الاصالة» الجزائرية عدد 1975/26. ومقالات مجلة كلية الآداب بفاس عدد 1989/5.

(5) هذا دليل على وجود الغانيين بالمغرب (الجنوبي على الاقل)، ولكن لايبدو ان عددهم كان كثيرا فالاحتكار التجاري شمال الصحراء كان للمغاربة، ولعل مملكة غانة كانت تحاول عرقلة وصول المغاربة اليها لتحطيم هذا الاحتكار والسيطرة على طريق الملح.

الرسائل من رقم 46 إلى رقم 52 :

رسائل من تونس إلى بيشة حول اعتداء على سفن المسلمين

تقديم :

في سنة 596 تعرضت بعض سفن المسلمين بتونس لاعتداء من قطع بيشانية، فوجهت حكومة تونس عدة رسائل في الموضوع الى حكومة بيشة حول ضرورة معاقبة المعتدين واحترام المواثيق. وردت هذه الرسائل عند أماري تحت ارقام 6 و9 و8 و10 و11 و12 و13 وهي كما يلي وعلى التوالي :

رسالة من عبد الرحمن بن أبي الطاهر الناظر بديوان افريقية (رقم 46) :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما،
الاشياخ الاجلاء[1] الكبراء[1] الكرماء[1] الاثراء[1] الارشفشك والقناسلة[2] والحكام والاعيان من اهل بيشة هداهم الله لرضاه وارشدهم لما يرضاه، مكبركم وموثركم عبد الرحمن بن ابي الطاهر الناظر بديوان افريقية كلأها الله[3]، اما بعد حمدِ الله العلي العظيم، والصلاةِ على سيدنا محمد نبيه الكريم، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، وعن الخلفاء[1] الراشدين[4] الجارين على سَنَن هديه، القويم، والدعاء[1] لسيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين[5] ابن الخلفاء الراشدين بدوام النصر العميم والفتح الجسيم.

فكتب اليكم من تونس ــ كلأها الله ــ سائلا عن انبائكم، وتلقيا لما يرد من تلقائكم ؛ والذي يجب اعلامكم[6] به ــ ارشدكم الله ووفقكم ــ (انه)[7] وصل الى مرسى تونس ــ كلأها الله ــ مسطَّحان للبيشانيين احدهما يسمى الارْكُليوس والآخر يسمى الكُرُناطة[8] ومعهما زوج[9]

ملاحظة : الرمز (ام) يعني الاصل المعتمد وهو : Diplomi. انظر بعض تصحيحات اماري في هذا المرجع ص 401

(1) في (ام) الهمزة الاخيرة ناقصة.

(2) في الرسالة رقم 49 كتبت هكذا : القناصلة.

(3) في الرسالة رقم 48 نجد ايضا تعبير «صاحب ديوان تونس والمهدية»؛ومصطلح (ديوان) تعبير عن ادارة المرسى، لاحظ ذلك في رسائل اخرى لاحقة.

(4) وهم عبد المومن ويوسف ويعقوب المنصور.

(5) وهو الناصر الحاكم آنذاك.

(6) في (ام) : لعلامكم.

(7) في (ام) : ان.

(8) في الترجمة الايطالية للرسالة L'orgogliosa و La Coronata.

قطايع، فوجدوا بالمرسى ثلاثة مراكب للمسلمين، أحدهما[10] تيسّر للاقلاع وفيه جميع وسقِه وجميع التجار (والركاب)[11]، والمركبان فيهما بعض الوسق، فأخذوا ثلاثة مراكب للمسلمين المذكورة بجميع الوسق وجميع التجار والركاب، وقتلوا جماعة من المسلمين سوى من رمى نفسه إلى البحر فمات غريقا، وجرح منهم مالا يحصى، وانتهكوا حرمتهم وفضحوا حريمهم.

فاتفقت بيننا وبينهم مراسلات في رد المراكب، وخوفناهم جانبكم وعقوبتكم لهم على سوء فعلهم، إذ اتصل بنا أنكم أحلفتموهم قبل خروجهم أن لا يتعرضوا[12]أحدا من المسلمين ولا يقصدوه[13] بمضرّه ولا أذية ؛ فبعد الخطب الطويل معهم ما ردّوا المسلمين (الا)[14] على أسوء حالة من الجراح والعري دون أن يتركوا لهم شيئا من رحالهم وأموالهم، وردّوا المركبين الذيْن فيهما بعض الوسق، وأقلعوا بالمركب الثالث[15] ؛ واتفق إثر ذلك وصول الاسطول المظفر، فألفاهم بمرسى رأس الجبل فردّه عن قتالهم وأخذِهم ونكالِهم عقوبةُ الامر[16] العزيز أدامه الله، إذ لم يكن تقدّم اليهم أمرٌ بذلك، فاجتمع الطلبة الذين كانوا بالاسطول المظفر أعزهم الله، باصحاب المسطحات واعيانهم وقبّحوا عليهم سوء فعلهم وخوفوهم عقوبة الامر العزيز ادامه الله وعقوبتكم على ما انتهكوا من حرمة المسلمين وإفسادهم مرسى امير المومنين ادام الله له العزة والمكرم والفتح المبين، فردُّوا المركب دون شيء من البضائع التي كانت فيه والاموال والاثاث الذي كان للركاب والحجاج[17] وقالوا للطلبة المذكورين : جميع ما أخذنا للمسلمين من مال وبضائع يوخذ من اصحابنا البيشانيين الذين بتونس اصحاب مركب الرُّنْدِلَه وغيره من البيشانيين، ونحن نعيد[18] عليهم ما يردّوا عنا للمسلمين عوضا عما أخذنا لهم اذا وصلوا الى مدينة بيش ؛ فرفعت المسألة الى السيد[19] الاجل المعظم الامام الاسعد الكريم ابي زيد بن سيدنا الخليفة امير المومنين ــ ادام الله تأييد امرهم ووصل اسباب ظفرهم ــ اذ كانت النازلة اتفقت عند وصوله الى تونس ــ كلأها الله ــ فأمر ــ اعلى الله امره وأعز نصره ــ أن يحضر القاضي والاشياخ والشهود بالجامع الاعظم، ويستحلفوا اصحاب المراكب والتجار والركاب في مقطع الحقوق منه على ما أخذ لهم البيشانيون اصحاب المسطحات، بعد أن

(9) في (ام) حرف الواو في الكلمة غير واضح، والتصحيح من الرسالتين 50 و 51.

(10) في (ام) : اخذُهم.

(11) في (ام) : الكاف والالف بعدها غير واردتين، قارن مع الجملة اللاحقة.

(12) كذا في (ام).

(13) في (ام) : ولا يقصدونه.

(14) محذوفة في (ام).

(15) هو مركب الرايس مسعود، وكان الحادث في شوال 596، انظر الرسالة رقم 51.

(16) في (ام) : الامير.

(17) يفهم من هذا ان السفن الاسلامية الغربية كانت تتحرك آنذاك بين الشرق والغرب رغم ظروف الحروب الصليبية.

(18) في (ام) : نعيدوا.

(19) هو السيد ابو زيد عبد الرحمان بن الخليفة عبد المومن عينه الناصر على ولاية افريقية سنة 596، انظر البيان ص 214، وتاريخ وصوله إلى افريقية هو شهر شوال أو ذي القعدة من هذه السنة (الرسالتان 47 و51).

يجتهد في البحث عنهم والكشف عن مقدار ما كان عند كل واحد من التجار والركاب، فبولغ في الاجتهاد في الكشف عن ما اخذ لهم، وحلفوا على ذلك في الجامع الاعظم بمحضر القاضي والاشياخ والشهود، وأمر ـــ أعلى الله أمره ـــ ببيع قمح البشانيين بمحضرهم وبمحضر الشهود والكتّاب أيضا من البيشانيين، فلم يفِ ثمن القمح بما اخذ للمسلمين، فبيع[20] قمح اللُّكّين[21] وكمل به المال.

فكُتب لهؤلاء البيشانيين هذا الكتاب لتقفوا منه على صورة الحال كيف جرت، والمدرجة التي في طيته بخط كِينُو الكاتب البيشاني[22] تتضمن ما لكل واحد منهم من المال الذي أُخِذ لجميعهم[23] ليرجعوا به على اخوانهم اهل المسطحات، والغرض منكم حسنُ عونكم ومعاضدتكم لهم على المذكورين ليأخذوا منهم ما اخذ لهم بسببهم ورُدَّ على المسلمين، بعد (ان)[24] تبالغوا في عقوبة اهل المسطحات المذكورة والتنكيل بهم على تعدّيهم أمرَكم، وخروجهم عما حدَدتم لهم، وإفسادهم مرسى سيدنا أمير المومنين وأخذِهم أموال المسلمين وانتهاكهم حرماتهم وقتلِهم لهم، وتنصفوا هؤلاء المذكورين منهم، وتعيدوا اموالهم عليهم لتكوْن عقوبة اصحاب المسطحات المذكورة ردعا لغيرهم، وكفّاً لسواهم، فلا يتجاسر احد بعد ذلك لتعرّضِ المسلمين بأخذٍ ولا مضرة ولا إذاية، حسبما يقتضيه حزمكم وسياستكم، وجريكم على سَنن العدل والانصاف، ومايوجبه ما بيننا وبينكم من مهادنة وصلحٍ وكريم عهد وأذمّة، كما يفعل أشياخ الجنويين فيمن قصد المسلمين بمضرة من اهل بلادهم.

فاجرُوا في ذلك على ما تشكرون عليه ان شاء الله تعالى وتحمدون عاقبته، ومرُوا مَن قِبلكم من التجار البيشانيين واللُّكّيّين وغيرهم مَن أراد منهم السفر الى هذه الجهة ـــ كلأها الله ـــ بالوصول اليها على متقدم عادتهم في الحفظ والرعاية والصون والحماية، آمنين بأمن الله عز وجل حسبما يقتضيه الكتاب الكريم الواصل اليكم صُحب هذا[25] ؛ وما تكون لكم من الحاجات والسباب[26] بهذه الجهات ـــ كلأها الله ـــ فعرفوا بها ليجرى فيها على غرضكم ومقصدكم ان شاء الله عز وجل وهو وليّ الإنجاد على تأدية حقه، والارشاد لما (يقع...)[27] وفقه، بمنه وكرمه، لارب غيره ولا خير إلا خيرهُ، والسلام على من ابصر رشده فوقف عنده، وكُتب لثلاث[28] بقين من ذي قعدة من سنة ست وتسعين وخمسمائة.

للأشياخ الجلة. الكبراء[1] الكرماء[1] الاثراء[1] الأرشفشك
والقناصلة والحكام والاعيان من أهل بيشة
هداهم الله لرضاه وأرشدهم لما يرضاه

---

(20) في (ام) :فابيع.

(21) ولعل الاصح : (اللكيين) نسبة الى مدينة Lucca شمال شرق بيزا، وسيرد ذكرهم بعد قليل،

(22) انظر موضوع رسالته في رسالة لاحقة .

(23) في (ام) : بجميعهم.

(24) محذوفة في (ام)، واضيفت ليستقيم التعبير.

(25) لعله يقصد كتاب الوالي السيد ابي زيد المسجل بعد هذا، اي رقم 47.

(26) كذا في (ام).

(27) حرف العين ناقص في (ام).

(28) في (ام) :... فوقف غده وكتب لثالاث.

الرسالة السابعة والأربعون :

نص رسالة السيد أبي زيد عبد الرحمن إلى حكومة بيشة

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما، من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة امير المومنين[1] الى الارسفسك [2] وحكام بيشة وقناصرة[3] بحرها واشياخهم واعيانهم وفقهم الله ؛ أما بعدَ حمدِ الله، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصّحبه، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، وعن الخلفاء الراشدين أئمة الهدى، والدعاء لسيدنا الامام الخليفة الناصر لدين الله امير المومنين به دام النصر الاعز الاعلى ؛ فانّ كتابنا اليكم من تونس — كلأها الله — وهذا الامر السعيد — أدامه الله — منصور اللواء، عزيز الاولياء، محكوم له بقهر الاعداء، والحمد لله حق حمده[4].

وقد علمتم ما لم تزل الحضرة العلية الامامية — ادام الله نصرها — تأمر به من حفظ تجار النصارى[5] المعاهدين، وإجرائهم على العدل حيث حلّوا من بلاد الموحدين، لا تنالهم مضرة في متصرفاتهم، ولا يُتعدى على أحد منهم في تجارتهم ؛ وقد وصلنا الى تونس — كلأها الله — فوجدنا مسطّحات من اخوانكم[6] أخذوا مراكب المسلمين وقتلوا جملة منهم، واستأصلوا أموالهم، وفعلوا ما لو رفعناه الى الحضرة العلية الامامية — ادام الله تأييدها — لخيفَ على اخوانكم الذين ببلاد الموحدين كلها[7]، لكنْ رأينا أن نصرف عقوبتهم في هذه المرة اليكم لتفعلوا فيهم ما يفعله أشياخ جنوة[8] في من تعدّى على المسلمين من اخوتهم في إخراب ديارهم، والتقرب الى الله وإِلَى خليفته الامام سيدنا امير المومنين — ايده الله — بالبراءة منهم[9]. وقد لقيهم الاسطول المؤيد بعون الله فردّوا أجفان المراكب التي أخذوها فارغة مِن وسقِها، ورغبوا أن يؤدي[10] إخوتهم عنهم المال حتى

---

(1) هو ابو زيد عبد الرحمان بن عبد المومن (المعجب 314) وهو نفسه المذكور في الرسالة السابقة رقم 46 فهو ليس عبد الرحمان بن ابي حفص كما فهم اماري (ص 400) وفي جدول الاعلام في آخر الجزء الأول (ص L/81) الذي كانت ولايته على افريقية في الثمانينات والذي كتبت عنه الرسالة 36.

(2) كتبت في رسائل اخرى هكذا : (الارشفشْك (46) والارشفسْك (50)....

(3) كتبت ايضا : القنصر (62) وكتبت :قناصلة (في 49 و 50).

(4) (والحمد لله حق حمده) مثل هذه العبارة استعملها ملك صقيلية كعلامة لرسائله (ابن جبير 226، واماري في Diplomi/I ص 402) واستعملها حكام بيشة ايضا في رسائلهم الى الموحدين (الرسالتان 32 و 33).

(5) في (ام) : النصرى.

(6) كذا في (ام).

(7) اشارة الى انتشار البيشانيين في مراسي الدولة الموحدية.

(8) و(9) في (ام) : بالبراءة منهم.. وفي هذه الجملة اشارة الى مدى التزام حكومة جنوة باتفاقاتها الدولية وعلى الاقل مع الموحدين.

(10) في (ام) : ان يردي، وصححها اماري هكذا : ان يردّد (402)، وما اثبتناه يبدو انه اصح.

يقضوه لهم في بلادهم ؛ وقد أمرنا المشتغِل بالديوان أن يخاطبكم بذلك ان شاء الله[11]، ونحن نؤكد عليكم في الأخذ على أيدي هؤلاء[12] الجناة وأمثالهم وأن تعاقبوهم عقابا يردَعهم، وتقابلوهم بشيء[12] يقطعهم عن هذه العوائد[12] المكروهة ويمنعهم

واذا وصل الينا تجاركم وسفّاركم فهم آمنون بأمان الله تعالى، وفي كنف خليفته المرتضى سيدنا الامام الناصر لدين الله امير المومنين ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ لا نؤاخذهم بشيء[12] من أفعال المفسدين، وليصل الينا كتابكم بما فعلتم في عقوبتهم التي استوجبوها، وجريرتهم التي جنوْها، وفعلتِهم القبيحة التي أتوْها، والله المعين على ما يرضاه، بمنه وعزته لارب سواه ؛ كُتب عقب شهر ذي القعدة سنة ست وتسعين وخمسمائة[13].

الى الارسفسك[2] وحكام بيشة وقناصرة[3] بحرها
وأشياخهم واعيانهم ألهمهم الله مراشدهم.

---

(11) هي رسالة ناظر الديوان السابقة (رقم 46).

(12) الهمزة الاخيرة محذوفة في (ام)، والوسطى ايضا.

(13) في الترجمة الايطالية جعل التاريخ الموافق هو 11 سبتمبر 1200 م، هذ التاريخ يقابل بالهجري يوم 30 من ذي القعدة 596 (T.C).

الرسالة الثامنة والأربعون :

رسالة صاحب ديوان تونس والمهدية إلى أحد كبار تجار بيشة (حول أحد أسرى الحادثة المذكورة سابقا)

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما، الشيخ التاجر باج البيشاني هداه الله، كتبه اليك يوسف[1] بن محمد صاحب ديوان تونس والمهدية معلما لك أنّي أنفذت الى شيوخ بيشة كتاب أمان إلى التجار البيشانيين من عند سيدنا المعظم المؤيد الأرفع أبو زيد،[2]، أدام الله تأييدهم[3] وأعز أمرهم،

فليصل منكم من يصل في أمان الله تعالى وأمان سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المومنين — اعلى الله أمرهم وأعز نصرهم — لا يعترضكم معترض ولا يكلّمكم أحد، فبهذا نفذ أمرُهم العالي أدامه الله ؛ وكذلك بلغني أن عندكم مهدي اخو[4] وهاب الترجمان، وكان في المركَب الذي أخذه المسطح، فلما أُخِذ المركب طلع معكم، وهو يَعزّ عليّ، فابعثه صحبة من يصل من التجار، او فيصلُ[4] معك اذا وصلت ان شاء الله تعالى، وان لم يكن عندك فتستقصي عنه وتشتريه وتكتب لي بذلك، ولا تفرّط في هذه الحاجة ؛ وتصِلوا فما لكم هنا الا كل خير، والذي سَلِم لأصحابكم هو موقوف عند القاضي يستحقه متى[5](ما)[6] يصل من يأخذه ان شاء الله لارب غيره ولا معبود سواه،

الشيخ التاجر باج[7] البيشاني هداه الله وأرشده

---

(1) لعله هو نفسه الملقب ب (ابو الحجاج) في الرسالة رقم 16 في «دبلومي» التي بعتها عثمان الترجمان الى التاجر (باش).

(2) كذا في (ام)، وهو السيد عبد الرحمان بن عبد المومن (انظر الهامش «1» على الرسالة السابقة)، وذكر ايضا في الرسالتين 47 و52.

(3) في (ام)، تايدهم.

(4) كذا في (ام)

(5) في (ام) : حتى.

(6) كذا في (ام)، وحذفها اصوب.

(7) في الترجمة الايطالية pace.

الرسالة التاسعة والأربعون :

رسالة من سبتة بأمر من الخليفة الناصر إلى حكومة بيشة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما، القناصلة[2] والاشياخ والاعيان الذين ببيجة[3] وفقهم الله تعالى، من مريد الخير لهم ناصح بن عبد السلام[4] سلام عليهم، اما بعد حمد الله تعالى، والصلاة على محمد رسوله المصطفى وعلى آله وصحبه الاكرمين اولي الشرف الاسنى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المرتضى، وعن خلفائه الراشدين أئمة الهدى[5]، والدعاء لسيدنا ومولانا الامام الخليفة امير المومنين[6] بن الخلفاء المبارين الراشدين باتصال النصر الأعز الأوفى وتوالي الفتح الأسنى.

فكتبناه[7] اليكم ــ كتب الله توفيقكم ــ من سبتة[8] ــ حرسها الله، وظلال الامر الاعلى ادام الله ظليله، وعوله[9] وخيراته جزيلة جليلة، وبركات صحبته[10] باتصال الآلاء وتوالي النعماء كفيلة، والحمد لله تعالى ؛ وموجبه ــ وفقكم الله ــ انه وصل الينا من الحضرة المقدسة الطاهرة، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام[11] الناصر لدين الله امير المومنين ــ أعلى الله أمرهم وأعز نصرهم ــ أمر بأن نخاطبكم[12] لتوجهوا من زعمائكم وأعيانكم من ينوب منابكم، ويقوم مقامكم في التكلم عنكم بالحضرة الامامية ــ أعلى الله أمرها ــ فيما يصدر عن الامر العالي ــ أدامه الله ــ [13] من الأوامر المطاعة، وليكن ذلك في أول مركب يصل من هنالكم في هذه الصائفة،

---

(1) قد تدخل هذه المراسلة في موضوع الاعتداء المذكور قبلُ وبعدُ (وربما أيضا في موضوع ابن عبد الكريم الثائر بالمهدية).

(2) كتبت ايضا قناسلة وقناصرة (الرسالتان 46 و 47 و ايضا 49 و50)

(3) كتبت في رسائل اخرى بالشين بدل الجيم

(4) يذكر صاحب البيان ان الناصر عيّن على اسطول سبتة ابا عبد الله بن عبد السلام الكومي سنة 600 (218) فلعله هو ناصح ابن عبد السلام.

(5) هم عبد المومن ويوسف والمنصور.

(6) هو الناصر.

(7) في (ام) : فكتبنا، (قارن مع رسائل اخرى)

(8) عن سبتة انظر الادريسي 528 (ن ايطالية)، والاستبصار (137 ــ 138) وبسط الارض 83 ، والروض المعطار 303.

(9) كذا في (ام).

(10) في (ام) : صحيثه، وصححها اماري : صحبته (1/ 403).

(11) في (ام) : والامام، (بواو العطف).

(12) في (ام) : بان نخاطبوكم.

(13) في (ام) :...الله فيما...

وقد وادعنا الشيخ الاكرم انجُ اسبنولة[14] ـــ وفقه الله ـــ ليتكلم معكم في ذلك، ويؤكد عليكم غاية التأكيد، فلتسرعوا بالبراز الى ذلك، والله سبحانه يعرّفنا واياكم ما فيه الخير للجميع، آمين، بمنه لارب سواه، والسلام عليكم معادا ؛ وكتب في التاسع لشهر جمادى الاولى من سنة سبع وتسعين وخمسمائة[15]

القناصلة والاشياخ والاعيان ببيجة وفقهم الله تعالى

---

(14) في الترجمة الايطالية Angelo spinola.

(15) جعل هذ التاريخ في الترجمة اللاتينية موافقا ليوم 11 فبراير 1201، ولعل الاصح انه يوافق 15 فبراير (T.C)

الرسالة الخمسون :

رسالة من ناظر ديوان تونس إلى حكومة بيشة :
(حول الاعتداء البحري المذكور)

بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما، الشيوخ الكبراء[1] الأرشفسك والقناصلة الكبار وقناصلة البحر والاعيان بمدينة بيش هداهم الله لرضاه، ويسرهم لما يرضاه، مكبرهم ومريد الخير لهم عبد الرحمان ابن ابي الطاهر[2] الناظر بديوان تونس كلأها الله، وبعد حمد الله تعالى، والصلاة على سيدنا محمد نبيه المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبى، وعن خلفائه[1] الراشدين المرشدين ايمة الهدى، وصلة[3] الدعاء[1] لسيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين بن الخلفاء[1] الراشدين[4] بدوام النصر الاعلى والفتح الاسمى،

فالكتاب اليكم من تونس — كلأها الله — ولا جديد الا ناءٍ لهذا الامر العزيز — ادامه الله — من علو الجد ومضاء الحد، والحمد لله كثيرا عن السؤال عن احوالكم، واللّفتِ لما يرد من تلقائكم[1]، والذي وجب اعلامكم[5] به أن كان وصل الى مرسى مدينة تونس — كلأها الله — مسطحان احدهما يعرف الأركليوس والثاني الكرناطة ومعهما زوج قطايع، فوجدوا بالمرسى المذكور مركبا للمسلمين رايِسُه مسعود، فأخذوا المركب المذكور بجميع ما فيه، وقتلوا جماعة من المسلمين، وفعلوا فيهم فعالا قبيحة، فطلع الى المسطحين المذكورين الكتّاب النصارى البيشانيون[6] الذين بتونس وتراجمة الديوان، وقبّحوا عليهم ما فعلوه بمرسى سيدنا امير المومنين — ادام الله تأييدهم — من قتل المسلمين واخذ اموالهم ونسائهم[7]، فبعد الجهد والمراسلات تركوا من بقي من المسلمين بعد القتل واكثرهم جرحى[8] عراة على اسوأ حالة، ثم اقلعوا بالمركب المذكور الى

---

(1) الهمزة ناقصة في الأصل.

(2) في الرسالة رقم 46 سمّى نفسه الناظر بديوان افريقية، ولعل الفرق بين التسميتين راجع الى تقلص نفوذ الموحدين، امام توسع نفوذ ابن غانية والثائر الركراكي بالمهدية.

(3) في (ام) : وصله.

(4) اي الناصر ابن المنصور ابن يوسف ابن عبد المومن.

(5) في (ام) : بعلامكم.

(6) في (ام) : البيشانيين، صححها اماري (403) : البيشانيون.

(7) في (ام) : ونسايهم.

(8) في (ام) : حرحا.

رأس الجبل، فوصل الاسطول المظفر فوجدهم برأس الجبل، وكان قادرا على اخذهم والتنكيل بهم فلم يقابلهم بسوء[1] ولا نالهم منه مكروه لأجل ايصاء سيدنا امير المومنين ـــ ادام الله علاءهم[9] ووصل آلاءهم ـــ بالنصارى ان لا ينالهم مكروه ولا اذية ؛ فاجتمع قواد الاسطول المظفر باعيان المسطحات، وقبحوا عليهم ما فعلوا في مرسى سيدنا امير المومنين ـــ ادام الله امرهم ـــ من قتل المسلمين واخذ أموالهم ومركبهم، فردوا المركب المذكور فارغا، وقالوا لهم : ما أخذنا من الاموال تؤخذ من اموال البيشانيين الذين بتونس ـــ كلأها الله ـــ اصحاب مركب الرُّندِلة وغيرهم، وقالوا : نحن نعيد عليهم ما أخذ لهم من اجلنا، وكان ذلك عند وصول سيدنا المعظم الهمام المكرم ابوزيد[10] بن سيدنا امير المومنين ـــ ادام الله تأييدهم ـــ الى تونس[11] ـــ حرسها الله ـــ فرفع اصحاب المراكب التي اخذها[12] المسطحات المذكورة أمرَهم وما جرى عليهم من الاخذ والقتل اليه، فأمر ـــ اعلى الله امره ـــ ان يؤخذ من اموال النصارى البيشانيين قدر ما اخذوا للمسلمين بعد ان حلف جميعهم في الجامع الاعظم على ما اخذ لهم، واخذوا ذلك من اموال البيشانيين، وكتب لهم (كتبا) اليكم بالمسألة، وكيف جرت واتفقت لتردّوا على هؤلاء التجار المذكورين اموالهم.

ولما وصل هؤلاء المذكورون اصحاب مركب الرنداه، ذكروا انكم لم تنصفوهم من اصحاب المسطحات المذكورة و لم تعيدوا عليهم اموالهم، فعجبنا من ذلك غاية العجب، اذ انتم انما جلستم لإنصاف المظلوم من الظالم ؛ والغرض منكم الآن انصافهم وردّ اموالهم عليهم من اصحاب المسطحات، وعقوبتهم على ما جنوه من اخذ المسلمين وقتلهم حتى يكونوا (نكالا) لغيرهم، ولئلا يعتدي احد من اصحاب المسطحات على فعلة اخرى بعد هذا، فاعلموا ذلك ان شاء الله عز وجل، والله ولي العون على تقواه ؛ وكتب في الحادي والعشرين من شعبان المكرم من سنة سبع وتسعين وخمس مائة ؛ ونعلمكم ان الكتاب الذي وصل اليكم قبل هذا بخط كينو الكاتب البيشاني ووجدتموه بغير طابع صحيح، نحن[13] امرناه بكتبه في مسألتهم خاصة، والتعريف والعقد الذي يصلكم في اثناء هذا الكتاب بشهادة عدول الديوان وكاتبه وشهادة التراجمة وشهادتي فيه تأكيد[14] لصحته، وكتب في التاريخ المذكور[15].

الشيوخ الكبراء[1] الأرسفسك[16] والقناصلة الكبار وقناصلة البحر والاعيان بمدينة بيش هداهم الله لرضاه ويسرّهم لما يرضاه...

---

(9) في (ام) : علامهم.

(10) كذا في (ام) : والصواب لغويا : ابي زيد، راجع الهامش 2 على الرسالة السابقة.

(11) نلاحظ في الرسالة اللاحقة مباشرة تاريخ الحادثة وبالتالي نتعرف تقريبا على تاريخ وصول السيد ابي زيد واليا على تونس اي شهر شوال او ذي القعدة من سنة 596.

(12) كذا في (ام) : ولعل الاصح : اخذتها.

(13) في (ام) : ونحن.

(14) في (ام) : تأكيدا.

(15) هل هذه الجملة هي علامة خاصة بالسيد ابي زيد ؟ قارن مع الرسالتين اللاحقتين 52 و 53.

(16) وردت كلمة (الأرسفسك) في أول الرسالة هكذا : الأرْشفسك).

الرسالة الواحدة والخمسون :

شهادة اثبات باعتداء المراكب البيشانية على مركب للمسلمين في شهر شوال سنة 596

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ؛

يقول شهداء هذا العقد : الذي نعلمه ونشهد به ان المسطحات[1] الذين اخذوا مركب الرايس مسعود بوادي مدينة تونس في شهر شوال من سنة ست وتسعين وخمسمائة، نعلم ا ن جميع من كان في المركب المذكور انما هو من اهل مدينة تونس وباديتها وحجاج وصلوا من المغرب[2]، ولم يكن فيه من اهل الاسكندرية الا رجل واحد[3] ولم يكن معه الا شيء يسير، فهذا الذي نعلمه ونشهد به ؛ والذي اشتهر عندنا واستفاض ان المسطحات الذين اخذوا بمركب[4] الرايس مسعود المذكور الاركليوس والكرناطة ومعهما زوج قطايع هما[5] الذين اخذوا المركب المذكور، اشتهر ذلك اشتهارا رفع به العلم، يشهد[6] بذلك من علمه وحققه[7]، وكتب شهادته بذلك (....)[8] في آخر شهر شعبان (المـ...)[9] من سنة سبع وتسعين وخمسمائة، واصلاح الاركليوس على (سر)[10] صحيح، شهد بذلك كله من علمه (وحققه)[11] في تاريخه المذكور : محمد بن ابي

---

(1) كذا في (ام)، ويستقيم النص هكذا : ان اصحاب المسطحات، أو كما صححها اماري : ان المسطحات التي اخذت (ص 404).

(2) رأينا في الرسالة رقم 35 ان المنصور منع البيشانيين من حمل المسلمين في سفنهم، فهل في هذه الرسالة تلميح الى تطبيق هذه السياسة ؟

(3) انظر الاشارة الى موضوع الاسكندرية في رسالتين موجهتين الى مصر (رقم 12 و 13 في «ديبلومي»).

(4) كذا في (ام) : ولعل الاصح : مركب.

(5) كذا في (ام)، والانسب (هم) ليعود الضمير على اصحاب المراكب.

(6) في (ام) :نشهد.

(7) في (ام) :بدون تنقيط.

(8) في (ام) كلمة غير واضحة اقترح اماري ان تكون : لتاريخها (ص 404).

(9) عادة ما يوصف شعبان بالمكرم، ونفس الشيء عند اماري (ص 404).

(10) كلمة غير منقوطة في (ام).

(11) لم يبق من الكلمة غير (وحعـ).

القاسمي[12] الربعي واحمد بن عبد الواحد الرساطي[13]، وعبد الكريم بن عبد المومن اللخمي، وحسن بن علي الترجمان وعثمان بن ابي بكر الترجمان وقاسم بن علي الترجمان، وسفيان ابن هلال الترجمان، وأحمد قطران الترجمان وعبد الرحمان بن ابي[14] الطاهر التميمي[15].

---

(12) كذا في (ام)، ولعل الاصوب : ابن ابي القاسم.

(13) كذا في (ام) ولعله (الرشاطي).

(14) في (ام) : ابن بي.

(15) عبد الرحمان بن ابي الطاهر التميمي هو الناظر بديوان تونس الذي كتبت عنه الرسالة السابقة، وهو هنا يضع اسمه في نهاية هذه الشهادة تأكيدا لصحتها، ويبدو ان الاسمين الاولين هما لعدلي الديوان والاسم الثالث لكاتب الديوان.

الرسالة الثانية والخمسون:

رسالة عن السيد أبي زيد ابن الخليفة وجهها مع الشهادة المذكورة لتصديق أقوال حامليها حول ما غرّموه عن اخوانهم

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة امير المومنين[1] الى الارسفسك[2] وقناصرة البر وقناصرة البحر[3] والاشياخ والكافة الذي ببيشة، وفقهم (الله)[4] ويسّرهم لتقواه،

أما بعدَ حمدِ الله تعالى، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله الكريم المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبى، وعن الخلفاء[5] الراشدين القائمين بأمره الأعلى، والدعاء[5] لسيدنا الامام الخليفة الناصر لدين الله أمير المومنين بن الخلفاء[5] الأيمة الراشدين بدوام النصر الاعز الاسنى، واتصال الفتح الأحفل الأحفى.

فالكتاب إليكم من تونس ـــ حرسها الله ـــ وأمرُ سيدنا الامام الخليفة أمير المومنين ـــ أيد الله أمره وأعز نصره ـــ هو أمر الله الذي يُعِزُّ من والاه، ويُذلّ مَن عاداه، ويحفظ مَن تمسكَ بعهده وذمته، وحافظ على صنائعه الجسيمة ونعمته ؛ والله يصل له ما عوّد من الفتح والنصر، والتسهيل واليسر، بمنه لارب غيره، ولا خير الا خيره.

وإلى هذا ـــ وفقكم الله لهداه ـــ فقد وصل إخوانكم هؤلاء البشانيون أصحاب المركب المعروف بالرندلة الواصلون بكتابنا هذا اليكم على ما سلفت به عوائدهم من التصرف في تجارتهم، والتقلب في بضاعتهم، وعاملناهم في جميع أحوالهم بما توجبه[6] الذمة لهم، ووصينا بان يقابلوا[7] بالخير في

---

(1) هو ابو زيد عبد الرحمان بن الخليفة عبد المومن والي تونس منذ 596، انظر الهامش 19 في الرسالة رقم 46 والهامش 1 في الرسالة 47 والهامش 2 في الرسالة 48 والتجاني ص 350.

(2) راجع الهامش 2 في الرسالة 47.

(3) كتبت ايضا : قناصلة وقناسلة والقناصار (رقم 31 و 32 و 46) وفي الرسالة رقم 50 : القناصلة الكبار وقناصلة البحر، أي أن قناصلة البرّ هم القناصلة الكبار على الأرجح.

(4) الكلمة ساقطة في الاصل.

(5) الهمزة ساقطة في (ام).

(6) في (ام) الكلمة ناقصة (توحـ).

(7) في (ام) كلمة مبتورة البداية، اقترحها اماري هكذا : اقبلوا (ص 404 في «دبلومي».

كافة أمورهم ؛ ولما حضر سفرهم، رغِبوا الينا ان نعرّفكم بما كانوا غرّموه عن إخوانهم البيشانيين أصحاب المسطحات للمسلمين من بلاد الموحدين، على ما نفذ به أمر سيدنا الامام الخليفة أمير المومنين ؛ فخاطبناكم تعريفا بما غرّموه من أموالهم لتنصفوهم من غرمائهم، وتصدّقوهم فيما رفعوه إليكم من أقوالهم، حسبما تضمّنه العقد الذي بأيديهم في ذلك ان شاء الله تعالى ؛ فاعلموا ذلك، وتحققوا ما لِمن يصل من تجاركم عندنا من الرعي ومواصلة الحفظ، ووصّوا كل من يسافر من عندكم بأن لا يعترضوا أحدا من المسافرين إلى بلاد سيدنا الامام الخليفة امير المومنين — أيدهم الله — وأن يقصدوا من الاعمال ما يعود عليهم وعلى جميع إخوانهم[8] خيره ان شاء الله تعالى، وهو المستعان لارب غيره، ولا خير الا خيره.

كتب في مستهل شهر رمضان المعظم من سنة سبع وتسعين وخمسمائة[9].
الى الارسفسك[2] والقناصرة[3] والاشياخ والكافة
من اهل بيشة وفقهم الله ويسّرهم لتقواه.

---

(8) في (ام) : الكلمة مبتورة البداية.

(9) العبارة (كتب في ..) مكتوبة بخط سميك ولعلها علامة السيد ابي زيد، انظر ايضا نهايتي الرسالتين 50 و 52.

الرسالة الثالثة والخمسون :

رسالة من والي تونس إلى حاكم بيشة
محذرا من التعامل مع الثائر بالمهدية ابن عبد الكريم

تقديم :

سبق ان وجهت حكومة تونس الموحدية رسائل الى حكومة بيشة (بيزا) حول اعتداء بعض القطع البيشانية على مراكب للمسلمين قرب تونس منبهة الى ضرورة معاقبة المعتدين واحترام المواثيق، وفي نفس الوقت مرحبة بمن يصل من التجار البيشانيين، فكان جواب حكومة بيشة يتضمن التوصية بهؤلاء التجار، فاجاب الوالي بتونس السيد ابو زيد عبد الرحمان بالرسالة الآتي نصها مرحبا، ولكن ايضا منبها على عدم اذاية المسلمين وعدم التعامل مع الثائر بالمهدية ابن عبد الكريم، حيث ان الاوامر اعطيت لمحاصرته بها، ومشيرا الى ضرورة تحذير حاكم احدى جهات سردنيا من اضراره بالمسلمين (الرسالة تحمل رقم 21 عند اماري)

نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

من عبد الرحمن[1] بن سيدنا الخليفة امير المومنين الى الشيخ الاجل الاثير جراردو ألاسْكُنْت حاكم بيشة[2] والاشياخ والكافة الذين ببيشة، وفقهم الله ويسرهم بتقواه،

اما بعد حمد الله تعالى، والصلاة على سيدنا محمد رسوله الاكرم المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبى، وعن الخلفاء[3] الايمة الراشدين القائمين بامره المحتوم، والدعاء[3] لسيدنا الامام الخليفة الناصر لدين الله امير المومنين بن الخلفاء[3] الايمة الطاهرين، بدوام النصر والتمكين والفتح المبين.

فالكتاب اليكم من تونس — حرسها الله — وهذا الامر العزيز — ادامه الله — منجاة لمن تمسك

---

(1) هو السيد ابو زيد بن الخليفة عبد المومن، وقد اخطأ اماري هنا ايضا في جعله ابا زيد بن ابي حفص بن عبد المومن (انظر جدول الاعلام في Diplomi (L xxx II) وقارن مع المعجب 314 ولهامش 1 على الرسالة 52.

(2) في الترجمة الايطالية : Girardo osconto (Visconti).

(3) الهمزة ناقصة في الأصل المعتمد.

بعروته، واستظهر بعهده الكريم وذمته، (و)[4] الحمد لله رب العالمين على سبوغ[5] نعمته لارب غيره ؛ وقد وصل كتابكم على يدي ابي الطيب الواصل مِن قِبلكم، ووقفنا على ماعرّفتم به من حرصكم على خدمة هذا الإمر العزيز — ادامه الله — ورغبتكم، وتنبيهكم على من يصل من عندكم من التجار البيشانيين[6] ووصيتكم ؛ ونحن لمن يصل من جهتكم على ما تحبون رعيا لهم وحفظا لجانبهم، وتيسيرا لمقاصدهم، وتمشية لأمورهم اكراما لكم فيهم، وايثارا لما يذنيكم[7] من بركة هذا الامر السعيد — ادامه الله — ويدنيهم ؛ فاعلموا ذلكم، وكلّفوا تجاركم بان يصلوا على سالف عادتهم من هنالكم، فهم عندنا محمولون على الاجمال والاحسان، وما تعوّدوه عند سيدنا الامام الخليفة امير المومنين — ايد الله امرهم — من الإفضال والامتنان، ووصّوا المسافرين من جهتكم بان لا يتعرضوا المسلمين الا بالخير، وان لا يُظهروا في بلاد سيدنا الامام الخليفة امير المومنين — ايدهم الله — الا ما يجتنون ثمرته من جميل الفعل، وان يقطعوا السفر الى اللص الذميم الغادر بالمهدية[8] ابن عبد الكريم[9] — اخذه الله — فقد وجهنا من عندنا قطعاً مظفرة لحصاره[10]، وامرنا المقدّمين عليها بان يمتثلوا بما امر به سيدنا الامام الخليفة امير المومنين — اعلى الله امرهم واعز نصرهم — فيمن يجدونه من النصارى[11] قاصدا اليه من قتلهم واستيصال اموالهم ؛ فانهوهم، وقرّروا هذا عندهم ؛ وكذلك سمعنا بان قطعاً وشياطي[12] خرجت من جهة كمنت جوذج[13] صاحب تُطُر[14] من سردانية،

---

(4) ناقص في (ام).

(5) في (ام) : على سبوع.

(6) في (ام) : تجار البيشانين.

(7) كذا بالاصل، وصححها اماري هكذا : يزنئكم، ولعلها اصح بمعنى الجاه وادناه الى ..(لسان العرب).

(8) عن المهدية انظر الاستبصار (117 — 118) الروض المعطار 561، والادريسي (78 — 79) بيريس.

(9) هو محمد بن عبد الكريم الركراكي، كان ابوه من الجند الموحدين المترتبين في المهدية فنشأ محمد بها وظهرت بطولته في مواجهة الاعراب، ثم وقع خلاف بينه وبين والي المهدية الشيخ ابي علي يونس بن الشيخ ابي حفص فاستولى على المهدية وتسمى بالمتوكل على الله وذلك في شعبان من سنة 595 (التجاني 350... والعبر 518/6) انظر الفصل الثاني من الدراسة التاريخية خاصة آخر الفصل.

(10) يذكر التجاني ان ابن عبد الكريم حاصر تونس 596 اثر وصول السيد ابي زيد إليها والياً، وفي اول السنة اللاحقة قام ابن غانية بحصار المهدية وطلب الاعانة البحرية من والي تونس مظهرا المسالمة له فاعانه بقطعتين، وعندما استسلم ابن عبد الكريم احتفظ ابن غانية بالمهدية لنفسه (350 و ما بعدها) فهل كانت الاعانة باكثر من قطعتين ؟ وهل كانت الاعانة اكثر من مرة ولماذا ؟

(11) في (ام) : النصرى.

(12) في الترجمة الايطالية للقطعة : galée، وللشياطي Saettie، انظر رأي اماري حول كلمة : شياطي في الهامش (e) الصفحتان (408 — 409).

(13) في الترجمة الايطالية : Conte Giudge.

(14) ترجم اماري «تطر» ب :Torres (ص 408) وهذه المدينة — ان صح انها طوربس — تقع في الشمال الغربي لجزيرة سردينيا، وان كانت هي طورطولي tortoli فانها تقع في الوسط الشرقي للجزيرة انظر عن سردانيا بسط الأرض 101 والروض المعطار 314 — 315.

فخاطبناه بان ينتهي عما بلغنا عنه، من اعانة المفسدين وممالاتهم في القطع على المسلمين، والا عاملناه بما يستحقه على ذميم فعله عند وصول الاسطول المظفر وحلوله ببلده ؛ فوصّوه[15] بان يرجع عما بلغنا عنه، ويكون مثل غليالم مركيس[16] المجاور له في سردانية، فانه لم يعامل المسلمين الا بالخير والكرامة، وبحسب ذلك اكرمناه فيمن يصل من عنده، ويأتي من جهته ؛ فاعلموا ذلك واعملوا بحسبه ان شاء الله، وهو المستعان لا رب سواه؛ وكتب في السادس والعشرين من رجب الفرد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة[17] كتب في التاريخ المذكور بحول الله[18].

إلى الشيخ الاجل الاثير جراردو الاسكنتُ حاكم بيشة والاشياخ
والكافة الذين ببيشة وفقهم الله ويسّرهم لتقواه

---

(15) يفهم من هذا التعبير ان سردانيا لازالت تابعة بشكل ما لحكومة بيشة انظر ايضا الرسالة رقم 35.

(16) كتبت بالايطالية هكذا : Guglielmo IL Marchese.

(17) هذا التاريخ يوافق 23 مارس 1202 في الترجمة الايطالية، أو 21 مارس في (T.C).

(18) يبدو ان هذه علامة خاصة بالسيد ابي زيد بن عبد المومن وقد ورد مايشبهها في الرسائل 47 و 50 و 52.

الرسالة الرابعة والخمسون :

رسالة جوابية على رسالة الناصر المبشرة بهزيمة «أهل اللثام» ومقتل «الشقي»

تقديم :

وجه الناصر قوات بحرية مهمة من الساحل الاندلسي الشرقي لفتح جزيرة ميورقة وهي اخر ما تبقى لبني غانية المرابطين بالاندلس بعد ان تم فتح جزيرتي منورقة ويابسة. ففتحت ميورقة في آخر ذي الحجة 599 او بداية محرم سنة 600، فوجه الناصر اثر هذا الفتح بالخبر الى الولايات بواسطة رسالته التي كتبها ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز (بن عياش) وهي الرسالة رقم 36 في «مجموع رسائل موحدية» لبروفنصال، فاجاب والي الاندلس من اشبيلية فيما يبدو[1] برسالة من انشاء الكاتب ابي بكر بن عيسى[2] وردت في زوائد مخطوط العطاء الجزيل على الصفحتين 25 و 28 (بسبب اضطراب ترتيب بعض اوراقه) وهذا نص الرسالة الجوابية :

نص الرسالة :

ع ز/25 الحضرة الامامية الخلافية المعظمة العلية الطاهرة القدسية الهادية المهدية، السَّنيّة السُّنية، حضرة الخلافة، ومقر الفضل الباهر والإنافة، وغياث الأنام، ومعتمد الاسلام، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام- الناصر لدين الله امير المومنين بن امير الومنين بن أمير المومنين بن امير المومنين حرس الله جلالها وكمالها، وابقى بهجتها وجمالها، وهنأ الاسلام ما خوّلها من الصنع الجميل وانالها، مماليكُ طاعتها المتقلبون في سابغ نعمتها، الراتعون في ظلال امنها، والمتنعّمون في بركات خلافتها السعيدة ويمنها، والمتضرعون الى الله سبحانه في نصر احلامها، ودوام ايامها، وإمضاء مرادها في من عاند وأحكامِها، عبيدُها وانشاؤها الطلبة الذين باشبيلية، سلام كريم عميم على حضرة سيدنا ومولانا، وعصمة ديننا ودنيانا، ورحمة الله وبركاته.

وبعد حمد الله الذي جبر بأمركم صدع الاسلام، وأبقاه مخلدا على مرّ الليالي والايام، وجعل التمسك به سببا للنجاء والفوز بدار السلام، وحكّم في من عانده أو باعده ميل السمهريّ وجور الحسام، والصلاة على محمد رسوله خير الأنام، ومبيد الاوثان والاصنام، الذي بعثه الله للناس كافة بشيرا ونذيرا، ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾[3] فبيّن شرائعه وحفظ ودائعه، صلى الله عليه وعلى

(1) انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الثالث.

(2) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتاب في المقدمة.

(3) الآية 46 من سورة الاحزاب.

آله وصحبه الكرام[4]، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم ناظم شمل الدين أحسن نظام، ومعزّه بعد الضيم والاهتضام، مبير البغاة وقامع الطغاة الناطق بالحكمة والمؤيد بالعصمة في النقض والابرام، الصادق العزل الموصل للحزم في تطهير البلاد **وإراحة العباد من رِجس أهل اللثام**[5]، وتنزيه الشريعة عن تحكم الطغام واللّيّام، وعن خلفائه الراشـ(ـدين)[6] المرشدين في كل مَرام، المعتصمين بحبله أشد اعتصام، المبلّغين سَننه وسُننه الى غاية الكمال والتمام، و(الدعاء)[6] لسيدنا ومولانا الخليفة الامام الناصر لدين الله أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين (....)[6] فيه الأوهام، وتعجز عن إداركه الأفهام، وتستبقي للعالم بحول الله وقوته (صفحة) زمانه وتُستدام، (فكـ....[7].)[6] الله لها من مساعدة القدر، وتأييد الوِرد والصدَر، وما يتكفل لها في جميع محاولاتها وكافة متصرَّفاتها (.....[6] وتعجيل المرتقب في اعدائها والمنتظر ـــ من اشبيلية التي اهتزت أعطافها ارتياحا، وعاد ليلها (....[6])[8] وكادت تطير من الجذل لو أعيرت جناحا، وأمرُكم الركن الذي يعتمد عليه الايمان، وبه اليمن و(.....[6]) في محبته والتمسك بطاعته الإسرار والإعلان، والله المعين المرشد، والموفق المسعد، (لا... [9]) المعول واليه (....)[10].

ع ز/28 وبعد وصول الكتاب الكريم، الصادر عن محل التشريف والتعظيم يبشر (....[11])/ بأنوار[12] الخـ(لافـ)ـة السعيدة وأضوائها، وبشائر الخلافة السعيدة قد جدّدت مواسمَها وأعيادَها، (....)[13] قد أضحكت مبا(هجـ)ـها و (حـ)ـلّت أجيادَها، وميامن أيامها وسوابغ إنعامها قد ألقت في أيدي محبتها أزمّة القلوب فأعطتها قيادها، وبراهين السعْد قد أطلعت من كواكب النصر على مراقب البصر نيّرها ووقّادها، ونوّرت كافة البصاير بما لها من حسنِ العواقب والمصاير فأكدت يقينها واعتقادَها، والبركات العميمة والالتفاتات الكريمة قد عجزت الأمة عن شكرها ولو اتخذت الأشجار أقلامها والبحار مدادَها، فالدهر تتهلّل صفحاته بِشراً، والجو تتضوع نفحاته نَشراً، والفرح يحـ(ـشـ)ـر الناس

ملاحظة: كما هي العادة في معالجة رسائل «العطاء الجزيل» فان ما بين هلالين ( ) هو كلمات او اجزاء منها غير واضحة يملأ احيانا اجتهادا اعتمادا على وضوح جزئي.

(4) لا زالت في المراسلات الرسمية التصلية على آل الرسول وصحبه، وستنقطع فيما بعد.

(5) ورد في رسالة عن الخليفة الناصر (رقم 36 في م ر م) : «.... علمتم ان الله استأصل شر الانام، ورعاء الابل... اهل اللثام، وطهّر منهم المغربين تطهيرا... ولم يبق منهم الامن كان بجزيرة ميورقة...» فلعل الرسالة الحالية هي رد على رسالة خليفية مبشرة بالانتصار على صاحب ميورقة.

(6) بتر في اواخر اسطر الصفحة بسبب الارضة وترميم الورقة (قدر كلمة فاكثر من الاعلى الى الاسفل).

(7) يكون المناسب هنا كما يلي : (فكتب ـــ كتب) الله.

(8) ما بين هلالين يبدو انه : (من السرور نهارا وضّاحا) وذلك حسب تصحيح على قطعة الورقة المرمّمة.

(9) لعل الاصل هو : (لارب سواه عليه)...

(10) كلمة غير واضحة تبدو مثل (يُصْمَدُ) ومعنى اصمد اليه الامر : اسنده اليه.

(11) في اسفل الصفحة يوجد بتر قدر ثلاثة اسطر وقعت تغطيتها نهائيا اثناء ترميم الورقة.

(12) هذه الصفحة خالية من الفواصل في المخطوط. وقد رتبت في غير محلها اثناء ترميم المخطوط.

(13) قدر اربع كلمات مطموسة جزئيا تبدوا هكذا : (ونتائج البيعة الميمونة... ـعيدة)...

للتحدث بنعمة ربهم في كل جهة حشرا، وكل نفس مومنة قد بلغت مناها، ونالت غَناءها وغِناها، وأشرق لها ضوء السعادة الإمامية وسناها، وشعَرت بأسرار العناية الربانية وفهمت معناها، والحمد لله رب العالمين على هذه النعم التي لا يحصرها العدّ، ولا يضبطها الحدّ، حمدا يكرم مثواها ويقربها حق قِراها، ويحمد بعد (تبلّج) صباح المزيد وتأرج نشر الصنع الجديد سَيرُ ركايبه وسُراها.

وقد ورد على عبد نعمتها — (....[14]) على ما أوجب الله من النصيحة في خدمتها — كتابها المعظم الكريم، الذي أعز الدين وجدد الايمان، وحقق (....[14])حلا) على منصّة السعود، الصادقة بنص الوعود، السابـ(ـقـ)ـة عروس الفتح المبين، وجاء به الصنع المكمل (....[14])ـل) كماله في اوفق ساعة من الجمعة وافضل حين، مضمنا ما صنع الله لأمرها العزيز في **قتل الشقي**[15] (....ـتل)[14] أشياعه من الصنع الجميل، وما عرّفها في ذلك من عواقب التيسير وعجائب التسهيل، الجارية (...[14])ـدنا) الموحدين بالواحد الذي أعلى كلمة التوحيد، وجعل مآل اعاديها ومصير مُناويها ومُحادّيها (.....)[14] الحيْنِ العتيد ؛ فهزّ الأرض بهذا النبأ السارّ طربا، وأنطق بالاقرار بعزة هذا الامر عَجما من الامم (....ـب[16]) النصرانية رعبا ورهبا[17]، فقالت بلسان الحق ﴿لن نعجز الله في الارض ولن نُعجزه هربا﴾[18] وانحشر، (....البعيد...[14])والـ)ـقريب، فللّه يومها العجيب، لقد شبّت فيه ببهجة بشارته الشيب، وخُلع على الارض بُردُها (.....ـب)[14] الألسنة فكل امرىء في مقامه بشكر الله على سعد إمامه خطيب، ولقد غصت الافنية (....[14]) وحولها الابنية من الجامع الكريم، وقال كل سامع اليه ومتقاطر عليه هاهنا حياتي الباقية (...)[14] حضرت ذلك الجمع الوافر، والسرور السافر، (فلاتـ) سمع بإزاء كل لفظة من الكتاب المعظم إلا ضجيج (.....فات)[14]، ولم يَخْلُ نفسَه الا بين الحجيج في عرفات، شَمِلهم الفرح وعمّهم، وصارهم في أحفل جمع (.....[14]) الامر العزيز عقبى الدار، وعلوّ الكلمة في الإيراد والإصدار، (و) إنه أمر الله العزيز الانصار، ومن (....[14]) المخصوص بالبسطة والاقتدار، وأن مَن أطاعه فله في الدارين (.....)[19] الابرار ومْن (...) البوار، وهذا في الاعلى من شرفات الاسوار، وهذا.........[20].

---

(14) قطع في اوائل اسطر الصفحة نتيجة ترميم الورقة بحيث سقط قدر كلمة او كلمتين.

(15) انظر عن فتح ميورقة ومقتل زعيمها ابن غانية الروض المعطار (مادة ميورقة)، والرسالة 36 (م ر م) اما الميورقي الثائر بافريقية فلم يقتل في هذه الفترة فيكون المقصود هنا هو صاحب ميورقة.

(16) لعل الضائع يعوّض كالآتي، «من الامم (وعربا، وارعب)»... او (وعربا، وأرهب)...

(17) رسالة الخليفة عن فتح ميورقة (رقم 26 من م ر م لبروفنصال) تشير الى ان فتح ميورقة كان اشد على صاحب برشلونة من رشق النبل.

(18) من الآية 12 من سورة الجن.

(19) كلمة مطموسة يصعب قراءتها، وما بعد هذا يمثل تقريبا آخر ما تبقى من اسطر الصفحة 28.

(20) بتر باسفل الصفحة قدره سبعة اسطر (عدد اسطر الصفحات عادة 21 سطر) اما ظهر هذه الصفحة في المخطوط فهو خال من الكتابة كليا، وبهذا يصبح قدر كبير من الرسالة في حالة ضياع، أمّا ما على الصفحة 30 فهو في موضوع آخر بل هو تتمة للرسالة رقم 42.

الرسالة الخامسة والخمسون :

رسالة إلى الخليفة الناصر
بشأن عرب المغرب الأقصى

تقديم :

كان العرب الذين دخلوا المغرب الاقصى قد وزعوا على سهوله في بلاد الهبط وتامسنا وتادلى، الا ان بعض القبائل التي وضعت بتادلى نقلت او انتقلت الى تامسنا، واثارت هناك مشاكل مع من كانوا بالمنطقة، فوجّه الناصر جيشه لتأديب هذه القبائل واعادة توطينها في مواضعها السابقة بتادلى، وبعد انجاز المهمة، رغب اشياخ هذه القبائل من الخليفة الاّ يحرمهم من العطاءات «الاحسان» كما كان الشأن في السابق، فوجه المسؤولون عن هذه الحملة رسالة الى الخليفة يخبرونه بما حدث ويرفعون اليه رغبة زعماء هذه القبائل، وهذا نص الرسالة كما وردت في زوائد مخطوط العطاء الجزيل[1]، ومن انشاء الكاتب ابي محمد بن حامد[2] :

نص الرسالة :

ع ز/26 الحضرة الامامية القدسية المطهرة العلية مهبط الرحمة، وملجأ الامة، ومعدن البركة، حضرة سيدنا ومولانا الامام الخليفة الناصر امير المومنين بن سيدنا ومولانا الامام المنصور امير المومنين بن سيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين بن سيدنا ومولانا الخليفة الامام امير المومنين، وصل الله تأييدها وسعادتها، تهيب بالآمال فتلبّيها مطيعة سامعة، وتتكفل لها بالنصر الرباني فتستوي لديها المآخذ الدانية والمرامي الشاسعة وتثير من مكامنها سواكن الفتوحات وبالسيوفُ في خِلَلها وادعة، وتُنهض بما قلدها الله تعالى من اعباء خلافته قائمة بالحق صادعة، قادغة انوف اهل الزيغ والفساد جادعة، دامغة كل من عاند امرها العالي قامعة، وازالت بركاتها لدى عبيدها أنواءً هامعةً وأنواراً ساطعةً ؛ عبيدُها الحائزون بما منّ الله عليهم من العبودية لها شرفي المحيى والممات، المتفيّئون ظلال طاعتها المخرجة الى النور من الظلمات، المهطعون الى مايقرِّب من رضاها صادقي النيات والعزمات، اللائذون بحَرمها لياذَ الهدي

ملاحظة : ما بين هلالين (   ) غير واضح في المخطوط كليا او جزئيا بسبب الارضة او الكشط او تغطية عند ترميم المخطوط.

(1) ان ترميم المخطوط ادى الى خلط في ترتيب بعض اوراقه فاضطررت لاعادة ترتيبها هنا، وهكذا نجد هذه الرسالة على الصفحتين 26 و 27 ثم على الصفحات 22 و 23 و 24. وكان اهم مساعد على اعادة هذا الترتيب تشابه المضمون في جزءيها معا زيادة على مقارنة اشكال الارضة والابعاد فيما بينها.

(2) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتاب في المقدمة.

بمقامها السامي عند اعتلاج الشبهات المظلمات، الفارجون ببركة الانتماء الى رق ولائها مبهمات الازمات ؛ مماليكُ مَقامها وارقّاء إحسانها، سلام كريم عميم على الحضرة الامامية القدسية، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد حمد الله تعالى الذي رفع منار الحق على أيدي أولياء أمره العالي فظهر، وتكفَّلَ بحفظه الى آخر الزمان فلا يضر(....ـذَلة)[3] أسرَّ أو جهر، والصلاةِ على محمد نبيه المصطفى الذي خصه الله من اجتبائه بما غلب وبهر، (...معارج)[4] اختصاصه حيث ينقطع دونه كل أبهر، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي سل سيف الهداية وشهر، وقمع الزيغ والباطل وقهر، وأطفأ نار الفتنة بعد أن صخد[5] الامة لفحُها وصهر، وأحلّهم بدعوته المنجية وكفالته الواسعة «مع المتقين في جنات ونهر»[6] وعن الأئمة الخلفاء الراشدين المرشدين أعلام الطهارة والهدى، ومتّبعي سَننه الألحب الأهدى، ومقتبسي أنواره التي ملأت البسيطة نجدا ووهْداً، فتلألأ بهم الزمان وزهر، وهجع في كنف عدلهم ملء عينيه وقد (نحلتا ؟) لطول السهر، والدعاء لسيدنا الامام الخليفة الناصر امير المومنين بن سادتنا الأئمة الخلفاء (امراء) المومنين بنور تسير تحت لوائه الاقدار، ويقضي له (بالعزم ؟) في هذه الدار وتلك الدار، وتناديه (الفروحات) بألسُن البشائر : بَدارِ بدارِ، فتعاجلَ ان يستعد لها (ويُستَظهر)، او يسدد نحوها خَطّي أو يُعطَفَ لها أبهر.

فكتب عبيد الحضرة الامامية المقدسة، كتب الله لمقامها (من) ظفرِ الفيالق ونَصر الاعلام، ما تضيق عن وصفه بطون المهارق وتكِلّ (عنه) ألسنُ الأقلام، وتكفّل لعزمها (ما يجدع[7] ؟) أنوف الشرك راغمة ويفترس في عِرِّيسه ضراغمه، ويعمر خيلا (وخـ...)[8] مَراقبه ومراقدَه، (.....[7]) الحِمام تحت لوائه والآجال راقدة، وبركات الحضرة الإمامية تغادي عبيدَها وتراوح (....[7]رف)، وتلألُؤ أنوارها لا تُكِنُّه أغساق الشرف، وآيات آثارها لا تحملها اوراق الصحف، ومتعرَّف (....[7]) عوارفُها الفرادى والتؤام، ويمنُ مَقامها المقدّس مُوضِحٌ لاحباتِ المراشد، حاشرٌ شواردَ (....ـياويه[7]) حاشد، فلا يضل مستمسكٌ بهديه أنّى وهديُه الناشد، قد أبان منار الحق (....)[9]/ [10] منقلَب، والسعادة التي ما عداها فبرقٌ خُلّب، والحمد لله الذي أحلَّ العبيد من خدمة الحضرة المطهرة[10] بحيث تصـ(ر)خ بشكر آلائها، وتنتسب الى رق ولائها، فانها منة أصفى الله على العبيد (...)[11] ما لنصّها تأويل، وأمنية لأقلام الشكر في بحور مواهبها سبحٌ طويل ؛

ع ز/27

(3) قدر كلمتين مطموستين.

(4) قدر ثلاث كلمات مطموسة.

(5) صخد : احرق وصهد.

(6) من الآية 54 من سورة القمر.

(7) قدر كلمتين الى ثلاث ساقطة من بدايات الأسطر الستة الاخيرة من الصفحة بسبب الارضة وتصليح المخطوط.

(8) كلمة مأروضة الوسط كانها : (وخولا).

(9) لنفس السبب المذكور سقط السطران الاخيران من الصفحة.

(10) ما بين هاتين العلامتين (10...10) يمثل السطر الأول من الصفحة وهو مكتوب بمداد اقوى ومغاير لما بعده.

(11) قدر كلمة مأروضة الوسط.

فحسبُ العبيد أن يُقرّوا بالعجز عن شكر نعمائها، ويعترفوا بالتقصير عن القيام بحق آلائها ؛ والى الله يضرع عبيدها أن يُجري طوع ارادتها الاقدار، ويصرّف وفق اختيارها الايراد والاصدار، ويضفي على الزمان بايالتها المهدية أسنى لباس، ويؤيدَ بنصر مؤزر من عنده «في البأساء والضرّاء وحين البأس»[12]، ويجعَلَ نورها الساطع باقيا في عقِبها لا ينقصه كثرة الاقتباس ؛ واياه نسأل ان يجعلنا جميع العبيد ممن عرف بهذه النعم فقدَرها قدرها، وأطلع في أفق الاخلاص بدرَها، وقابلها من الشكر عَودا على بدء بما يقضي له بازدياد الحظ، ويحكم تصديقا لقوله تبارك وتعالى «ولئن شكرتم لأزيدنكم»[13]

وان العبيد لما وصلهم الكتاب العزيز قبلُ، فاجتلَوا منه بعد لثم البسملة المباركة والعلامة المنصورة[14] ما ألقاه الله في الروع الطاهر، ويسر (لهم) الرأي السعيد، واقتضاه الامر العالي من **النظر في أشغال العرب** اللذين بهذه الجهة[15] ومباشرة أحوالها، والانتهاء إلى ما رسم من ذلك والوقوف عند حدّه، تضرَّعَ العبيد الى الله تعالى ان ينجدهم ويرشدهم إلى ما يُحضي لدى الحضرة ويُيَسِّر لهم من تلك المحاولة ما يزلف عندها ويدني منها، وينهضهم الى القيام باعباء خدمتها وأداء أمانتها، ويثبت لهم رسما في ديوان أوليائها، وبادروا الى امتثال أوامرها العالية مهطعين مطيعين، وبركة الحضرة القدسية تُرشدهم وتُمدّهم، والتزام طاعتها المفترضة نور يسعى بين أيدهم ؛ ولما حُلَّ بهذا الموضع[15] ــ عمره الله ــ حسبما تقدمت به مخاطبة العبيد، شُرِع للحين في تنفيد الاوامر السعيدة المؤسس على تقوى الله تعالى مَنشؤها ومَبناها، المتسندِ الى ما (يرضي) الله سبحانه ويتكفّل بصلاح المسلمين أمته مغزاها ومعناها، المؤيد بتوفيق الله عز وجل مبدؤها ومنتهاها، المخصوصُ بسعادة الجمهور ظاهرها وفحواها، وأُحضِر لذلكم أشياخ جُشَمَ مع حفّاظهم[16] ــ وفقهم الله ــ وأُنهِي إليهم ما تلقّاه العبيد من الكتاب العزيز في شأنهم، فحَمِدوا الله تعالى على ماخصّهم به من عظيم النعمة وجزيل المنة، وذخره لهم من السعادة بمرورهم على الخاطر الطاهر، وذكراهم لديه واختصاصهم بهذا الاعتناء الرباني الذي جعل مصالحهم تَسفِر ما بين يديه، وقدَروا قدر مامنّ الله عليهم به وأنعم، وتلقّوه بشكر الله تعالى وليس سواه كِفاءً (....)[17]، وأُمِروا ان يكونوا مع مَزاوِرَتهم[16] يدا واحدة في ما قلّدوه، وأن يَتركوا الهوينَى في ما اعتمدوه، ويولُوا (....)[17] على مشغّبي أوباشهم وذئاب هِراشهم، وأن يأخذوا عليهم مهاوي الوهاد، وأعالي الجـ(ـبال، ويقتـ...)[17] مكامن الاساود واغيال (الأ...)[17] وأن يقعدوا لهم بكل مَرصَد، ويقفوا لهم على كل مَقصَد، ويفتحوا

---

(12) من الآية 177 من (البقرة).

(13) من الآية 7 من سورة ابراهيم.

(14) العلامة هي (والحمد لله وحده) وهي عادة في اول الرسائل الخليفية بعد البسملة والتصلية، لاحظ ذلك مثلا في الرسالتين رقم 35 ورقم 126

(15) يبدو ان المقصود بلاد تامسنا بدون امكانية معرفة الموضع بالضبط، اما اشارة ابن خلدون الى ان سفيان كانوا يحلون باطراف تامسنا مما يلي اسفي، فهي بدون تحديد تاريخ ذلك (العبر 6/ 62).

(16) لعل الفرق بين الحفاظ والمزاورة هنا ان اولائك موظفوا الدولة وهؤلاء من ابناء القبيلة.

(17) قدر كلمة تعرضت للكشط والارضة.

(....)[17]الفِتَكات كلَّ باب موصَد، حتى تلفِظَهم البيدُ السمالق، وتقذفهم الجُرد الشواهق، وتنقطعَ (....)[18] فمن عثَر به انتزاؤه، وقبض عليه فهو جزاؤُه، ومن فرّ به أجله وانطبق عليه مَجهَله (....)[18] استباحةِ ماله كسرا لا يرجو له عَثْماً، وأصبح داخلا تحت قوله تبارك وتعالى : «انما (....)[18]»

واستنفر العبيدُ جميعَ أشياخ جُشَمَ ــ انجدهم الله ــ وأعيانِهم ليتعاونوا مع مَزاورتهم[16] على (.....)[19]/ (تتناولها ؟) بيض القوا(ضـ)ـب، وتنقصف صُمُّ الانابيب، وتبادروا الى الموضع مواكب تتلوها مواكب، وطلعوا في أفق اجتهادهم كـ(واكـ)ب تر (دِفـ)ـها كـ(وا)كب، وأوضعوا الى ما يَحمدون فيه بركة الحضرة الامامية القدسية طريقهم المثلى ووتيرتهم، متسارعين الى استيصال شأفة من حادّ الله ورسوله ﴿ولو كانوا آباءَهم او ابناءَهم او اخوانَهم او عشيرتَهم﴾[20]، ونهدوا صحبةَ مَزاورتهم مع مَن لدى العبيد من الموحدين ــ اعزهم الله ــ والاجناد، ونورُ الحضرة الإمامية قائدهم، وهُداها أيَّةَ سلكوا رائدُهم، وبركتها تَفتح لهم مهماتِ المغالق، وتيسّر لهم ما تعجز عنه أشتات الكتائب والفيالق ؛ وقد كانت **قبيلة الكُرَيز من سفيان** يتصل عنها ماهم عليه شِرارُهم من بَطْر النعمة، والتّعَرّض بارتكاب الجرائم بحلول النقمة، فطال ما أوضعوا في ميدان الضلالة، وأوْفَضُوا في مجاهل الجهالة، قد استهواهم شيطانهم واستغواهم جَذْلانهم، ولم يعلموا أن الغيَّ وإن أُمهِل مجتثٌّ فرعه وأصلهُ، وأن البغْي وإن اُهمِل ممحوٌّ نوعه وفصلُه، حتى حَلّ بهم من نقمة الله تعالى مَا أمْسَكَ بمخنَّق تنفسهم، ﴿انَّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[21] ؛ فقُدّم النظر في تطهير هذه القبيلة المذكورة من أدناسها، وغسلها بجداول السيوف من ارجاسها، وجُعل مفتتَحَ الشغل لكونها لرأس الفساد مَسقِطا، ولحرب الضلال مأقِطاً[22] ؛ فخرجت الجملة الناهدة اليهم وقد وَرّت عنها أول النهار بغيرها[23] حتى إذا أضفى الليل سدوله ثنت اليها أعنّة سَيرها، وأدلجت اليها سواد ليلها مشْيَ الغضنفر في حمي العرين، وأشرفوا على حلالهم مع الصباح «فساء صباحُ المنذَرين[24]»، فتشطّت قناةُ شقاقِهم شَقَقاً، وسُقط في أيدي فِرقهم فَرَقاً، واستبيح لهم حريم عرّضته جرائمهم أن يستباح، وتشاءموا بسُرى الصباح، ولولا ضلالهم لحَمِدوا سُرى ذلك الصباح ؛ وانتهِب جميع ما ألفِي لهم ونسِب اليهم، وسُلِبوا النعمة التي قامت بها حجة الله تعالى فيهم وعليهم، وقُبض على فِتَتهم الباغية إلا شُذّاذا منهم مَجاهلَ، وأفذاذا أسافل، هاموا على وجوههم حيث لا يسلكه سالك، ولَفَظَتهم المهامهُ الفِيَح الى مهاوي المهالك، وتقطَّعت بهم الاسباب فقيل هالك في الهوالك، واستؤصل جميع

ع ز/22

(18) قدر كلمتين او ثلاث تعرضت للكشط او الارضة على الخصوص فوقعت تغطيتها عند الترميم.

(19) ضاع حوالي ثلاثة اسطر من اسفل الصفحة بفعل الارضة والترميم.

(20) من الآية 22 من سورة المجادلة.

(21) من الآية 12 من سورة االرعْد.

(22) المأقط : أقط يأقط مأقطا : المصْرع، وموضع القتال، والمضيق في الحرب (لسان العرب).

(23) هناك إذنْ قبيلة اخرى نالها التأديب غير الكريز ولكن لم يذكر اسمها، وقد تكون من نفس المجموعة الجشمية.

(24) من الآية 177 من سورة الصافات «فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين».

مالَهم فأضحت معالمهم بَلاقع، وكم كانت مصا(ق)ـع[25]، يمرحون في ظلالها ويرتعون، «فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[26]، ولأعيانهم في هذه الحطمة التي حُطِمَتها عشائرهم الأثَرُ المحمود، والغناءُ المشهود، وحُقّ لهم، فقد كانت جرائم مفسديهم طأطأت من رؤوسهم، وساوت في الاتّهام (بين) رئيسهم ومرؤوسهم، حتى سهّرهم الانتقاد، وَجَلا شُبَهَهم من نور الحضرة الامامية كوكب وقّاد، تَبيَّن (...)[27] من الصَّيِّب، وميّز الله تعالى الخبيث من الطّيب.

ولما فُرِغ مِن وطء هذه الشرذمة الباغية، وحَلَّ بهم (....)[27] فأخذهم الله أخذة رابية[28]، طار الرعب مطارَه بقلوب ذوي التهم، وسُقط في ايديهم فخَرُّوا لليدين (... «ضاقت)[27] عليهم الارض بما رحبت»[29]، سواء التَّنوفةُ الفَيفَى والمُشْمَخِرُّ الأيهم، فرمت بهم مرامِيَها ايدي الصَّغار (.... وقذفتهم)[27] شَعوب[30] في شعاب كل مُتَيهة مُضلة ؛ لا جَرَم أنَّ **بعض عوْفٍ**[31] من الخلط ايضا قد كانت استولت (....)[27] وانتهت بها في الشقاوة غايتها، فلا يُصيخون الى موعظة سمعا، ولا يثيرون الا في ميدان جهالة[32] (...ـون)[27] الا في نَدِيّ ضلالة جمعا، ولما تمرّد شيطانها[33]، وامتدت في قلب عصيانها أشطانها، (....تِهِ)[27] بما لا يَسكن له روع ولا خَبْلٌ، وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل، وثُنيت (...)[27]، وقَصدت الجملةُ من الموحدين — اعزهم الله مع من انضاف اليهم من العرب والاجناد — انجدهم الله — قصْدَهم (...ماء)[27] يخوضون لجج غياهبها بسفن الركائب، ويهتدون في مجاهل حَنادسها[34] من نور الحضرة (....)[35] ثواقب،(....)[35]/ وهم في (....)[36] قفر (....)[36] صِفرٍ، فواصلوا السير بالسُّرى، وأحالوا عليه صدر (...)[36] تنفخ في (...[36]) الى ان حَلّت الشمس كبدَ السماء، وتوسطت

ع ز/23

---

(25) يمكن ان تقرأ ايضا (مصانع).

(26) الآية 112 من سورة النحل.

(27) قدر كلمتين الى ثلاثة غير واضحة.

(28) اقتباس من الآية 10 من سورة الحاقة.

(29) من الآية 118 من سورة التوبة.

(30) التنوفة : البرية لا ماء فيها ولا انيس، الفيفَى ج فيافٍ : المفازة لا ماء فيها، المشمخر الايهم : الجبل العالي، والمعنى : استوى في ذلك الفيافي والجبال، شَعوب : اسم للمنية.

(31) عوف من الخلط: هناك عوف من سليم ايضا فيما يبدو، قارن مع الرسالة 61 والعبر 6/ 586 وانظر عن الخلط العبر 6/ 63 وما بعدها ضمن فصل عن الجشميين بالمغرب.

(32) ربما الامر ليس مجرد عصيان، وانما قطع الطرق وخاصة طريق الحركتين التجارية والعسكرية مثل بلاد تامسنا.

(33) لم نتعرف على زعيم هذه القبيلة او احدى بطونها ممن تتوفر له العصبية والاشياع.

(34) الحنادس : جمع حِندِس أي الليل الشديد الظلمة.

(35) السطر الاخير من الصفحة اصابته الارضة ثم التغطية اثناء الترميم، فلم يبق منه غير كلمة (ثواقب).

(36) كلمة مأروضة.

درجة الاستواء، فهي «لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء»[37]، فاذا شرارُ عوف قد نَذِروا بهم فتسنّموا بجملتهم رُباوة[38]، واستلأموا لحماية ذِمارهم (جهالة) وغباوة، ونَعمُهم عن مسارحها معكوفة، وهممهم الى الطعان دونها مصروفة ؛ فَتقدَّم اليهم سَرعانُ الخيل من عشيرتهم[39] ليَخضِدوا شوكة انتزائهم، ويكتسحوا ما بإزائهم، فألفوْهم قد تحالفوا على البَسالة في الفسالة[40]، وحاكموهم الى البيض القواضب والسمر العسّالة، وشيطانهم يدلّيهم بغرور فلا يتماروْن، «فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه فقال إني بريء منكم إنيَ أرى ما لا ترون»،[41] فلاقت هبّةُ ريحهم إعصارا، وعاد تَعاطي جرأتهم إقصارا، وفرّوا على وجوههم «كالحُمرِ المستنفَرة فرّت من قسوة»[42]، فطارت بهم أجنحة آجالهم، ونجت بهم منجى الذّئاب شعابُ سباسبهم ورمالهم، قد وَسمهم الرعب بسمات يُحَلّؤون[43] بها عن الموارد والمناهل، وتَلفظهم لها صدور المعالم الى بطون المجاهل، فهم أموات الاحياء، وعنوانٌ باقٍ لما مُحي من صحيفة الاشقياء، قد اكتنفتهم الذلة والصَّغار، «فلو استطاعوا لابتغوا نفقا في الارض او سلما في السماء»[44]، فسُلب جميع ما ألفي لهم وحصِّل على أتمّ الاستيفاء، إلا ما تطعَّمه أتباع الموحدين وخدّامهم، وأضيف ذلك الى ما تقدم من سَلَب الكُريْز حسبما تقدمت به خدمة العبيد قبلُ.

ثم أخذت الجماعة من الموحدين — اعزهم الله — ومن معهم في الاياب الى هذا الوضع، وبركة الحضرة الامامية القدسية قد ملأت أيديَهم، وأفعمت بالخيرات واديَهم، ولهم من نورها الساطع في كل مَوماة[45] قائد ودليل، وفي كنف سعادتها الكاملة مُعرَّس ومَقيل ؛ وتعرَّفَ العبيد من اجتهاد اعيان العرب في هذه المحاولة وحسن الغَناء وظهور الجد وبذل النصح ما اطلق لهم اللسان بالشكر، وعرّفهم بما لهم بذلك لدى المقام الامامي المقدس من كريم الصيت وجميل الذكر، ولم يبقَ بعد هذه الشرذمة التي استؤصلت من سفيان والخلط لشرٍّ مَشْعبٌ ولا لِغَواية مَشْعَب[46]، فإنها كانت شوكة الفساد وقد (خُضدت)، وداعية الضلال وقد بُهظت — ببركة امره العالي — واضطهِدت، إلا ما يكون في سائر القبائل من أتباع ربما تَطرَّقَ اليهم اتّهام، واحتَمل أن يكون لهم باقتراف جناية إلمامٌ ؛ فضَمِنَ أشياخهم وحفّاظهم كشف أحوالهم، وإلحاقَهم بأمثالهم، ونهضوا (لذلكم) وقد عيِّنَ لهم من الاجناد من يستعينون به[47]، وعَزائمهم صادقة، ونياتهم في جيّد الاخلاص متناسقة، ثم

(37) من الآية 143 من سورة النساء.

(38) رُباوة : الرابية، ج رواب.

(39) اي حدوث انشقاق وسط القبيلة بين طائع وعاص.

(40) الفسالة : الضعف والجبن او الرذالة.

(41) في المصحف : «...على عقبيه وقال إنّي بريء...» من الآية 48 من سورة الانفال.

(42) اقتباس من الآيتين 50 و 51 من سورة المدثر.

(43) يُحلّؤون : يمنعون ويطردون.

(44) اقتباس من الآية 35 من سورة الانعام.

(45) الموماة والموماء : (جمعها موامي) : المفازة الواسعة او الفلاة التي لا ماء فيها.

(46) كذا بالاصل.

(47) هل كان توجيه الاجناد مع هؤلاء الاشياخ والحفاظ لكون العصاة كثيري العدد ؟ ام لكون قادة الحملة من الموحدين لا يثقون في تصرف هؤلاء الاشياخ والحفاظ مع ابناء قبيلتهم ؟.

انصرفوا وقد قضوا ما توجهوا عنه وقبَضوا على من عثَروا عليه، واجتمع لدى العبيد من شِرارهم جملة عوجِل بمشاهرهم، وشرِّدَ بهم مَن خلفَهم، وأذيقوا وبال مكرهم، وجرِّعوا بيد الرّدى كؤوس غدرهم.

ولما شمل البحث جميع هذه القبيلة الجشيمة بطنا وظهرا، واستُكشفت احوالهم سرا وجهرا، حتى لم يَبق فيها لشبْهةٍ مجال، ولا لقائلٍ مكانُ رويّة وارتجال، ومَيَّز الانتقادُ عامّتها فخلَصت إبريزا، وامتحن الاختبارُ أعيانَهَا في هذه المحاولة فبرَّزوا (في) ميدان المناصحة تبريزا، وتصفّت من أقذاء شِرارهم مشاربُ غُمارهم، أُمروا بالانتقال عن جهات تامسـ(ـنا الى)[48] محالّهم الأُول من بلاد تادَلَى[49]، والارتحالِ بجملتهم حسبما اقتضاه الامر العالي ــ ادامه الله ــ فبادروا الى ذلك (....)[48] امتثالَ ما أمِروا به، ورحلوا عن هذه الجهات بقُلِّهم وكُثْرِهم، وثاغيتِهم وراغيتِهم، وصاهلهم وشا(تهم....)[48] صحبةَ حفّاظهم ليلُمّوا في حلهم وترحالهم شعثَهم، ويَربوا[50] مُعتلِثَهم ؛ فساروا تسيل بهم الاباطح والربا، (....)[48] البيداءُ فتعقِد رِعَانَ شواهقها حُبيً[51]، وبركة الحضرة الامامية تكتنفهم عن اليمين والشمال، وتُنجز لهم (مَوا....)[48] والآمال، وتُريهم النُّجح في صنفي الاقوال والاعمال.

ولما وصلوا بلاد تادَلَى نزلوا منها بمواضعهم قديما (....)[48] وسكنت دهماؤهم، واستقرت احوالهم، وانتقل (مَن) كان بها من بني جابر[52] ــ وفقهم الله ــ الى جهة تافَرْدِيُون[53] (ونزلوا ؟)[48] بها ؛ (وقبل) انتقال الجشـ(ـميين الـ)ـى هذه الجهات، أُمِروا بالتخلص مما بينهم وبين جيرتِهم أ(هل تامسـ)ـنا من مَطالب المعاملات، وسائر التبعات حتى لا يبقى بينهم تَشَبُّثٌ ولا عُلقة، فتخلَّصَ بعضهم من بعض، وانسدّت بينهم مفتّحات (الابواب) و«تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبَعوا وتقطّعت بهم الاسباب»[54]، وضُمِّنت طرقُ هذه الجهات ــ أمنها الله ــ (اشيـ)ـاخ[55] موا(ضعـ)ها، وقُطعت الاعذار بكتْب العقود عليهم (بتلزيمهم) لهم وأَخْذِهم بكل ما يطرأ فيها، ورضاهم بذلك وضمانِهم له ؛ فانتشر الامن والحمد لله ببركة النظر الامامي السعيد بأداني هذه الجهاتِ واقاصيها، وانبثت الدعة في غيظانها وصياصيها، والله يجازي الحضرة الامامية عن عبيدها

ع ز/24

(48) فراغات لتأثير الارضة في اواخر الاسطر الاخيرة من الصفحة 23.

(49) راجع خصوصيات هذه الرسالة في مطلع الفصل الرابع.

(50) الكلمة مشكولة هكذا : يَرْبُوا، ولعل اصلها : ربأ يربأ، ربأ القوم : صار لهم ربيئة اي طليعة، والمعتلث : المنسوب الى غير ابيه.ويبدو ان المقصود من الجملة ان الحفاظ يقودون جموعهم، مهما اختلفت اصولهم، اذ كان ضمن هذه القبائل بطون من قبائل اخرى انتمت اليها فيما يبدو. انظر مثلا العبر 6/ 63.

(51) الحبَى : السحاب الكثيف الذي يدنو من الارض، والحُبى ج حبوة : مايُشتمل به من ثوب او عمامة...

(52) بنو جابر يجعلهم ابن خلدون مع الخلط وسفيان من الجشميين، العبر 58/6 وما بعدها و 66 وما بعدها الاستقصا 2/ 171 (نقلا عن العبر).

(53) تافرديون : لم اعثر على تعريف لهذا الموضع.

(54) الآية 166 من سورة البقرة.

(55) الجملة مشكولة هكذا في الاصل.

خير ما جازى به ايمته الراشدين وخلفاءه المهتدين بمنه ويمنه[56].

وإن أعيان العرب من جشم ومَن حضر بهذا الموضع من أعيانِ سائر هلال[57]، لِما دَهِم عشائرهم من هذا التمحيص ما فيه ببركة الحضرة الامامية سببُ حياتهم، وخامَرهم من الرعب ما هو موجِب نجاتهم، وأصابهم من الاحتياج ما فيه ثراء أموالهم، وأُشرِبوا من القنَط ما فيه درْك آمالهم، رغِبوا في تأنيس دهمائهم، وتسكين رَوع حماتهم، وتلافي باقي ذَمَائهم[58] بأن يُمنّ عليهم بما اعتادوه من إحسان الحضرة الامامية القدسية وعميم إنعامها، ومعهود إفضالها، حسبما أُلِفوه من بركتها وعهِدوه من لطفها وحنانها، لتتم النعمة بذلك على جميعهم، وتسكُن له نفوس كافتهم، وتَفيضَ به المنة على خاصتهم وعامتهم، وليكون كالتباشير لصبح الرضى عنهم، وعنوانا لجميل الغرض فيهم، ودليلا على تتميم النعمة قِبَلَهم ؛ ووالَوا الرغبة للعبيد في مطالعة الحضرة العلية الامامية بما أمّلوه في ذلك واستفتاح أبواب رحمتها لِوُلوجهم، واستمطار صيِّب إحسانها لظمإهم، واستلطافِ رأفة حنانها لضُعفهم، فطالَع العبيدُ بذلك من رغباتهم[59] راجين لهم من بركات امتنان الحضرة الامامية مَقرٌ الرحمة وينبوع البركة ما لا تطمح اليه مُناهم، ولا يبلغه متمنّاهم، حسبما اعتاده جميع عبيدها من فضلها، وعهِدوه من بركة هدْيها؛ وإلى اللّهِ يَضرع عبيد الحضرة الامامية (القدسية) في أن يَبلغ مُلكُها ما زُويَ له ﷺ من أقاصي المشارق والمغارب، ويغنيها بتأييده ونصره عن مناصبة مُناصب أو مُحاربة مُحارب، وأن يتكفل لأعلامها المؤيدة من تيسير الارادات ما لا يَمرّ بخاطر، ولا يَدخل تحت (حصر) حاصر؛ بمنه وكرمه، والسلام الكريم العميم على الحضرة الإمامية القدسية المطهَّرة ورحمة الله وبركاته[60].

---

(56) هم عبد المومن ويوسف والمنصور والخطاب موجه الى الناصر.

(57) هلال : هو الجد الاعلى لمعظم القبائل التي استوطنت المغرب الاقصى من رياح ومن الجشميين (سفيان والخلط وبني جابر وغيرهم) انظر العبر 6/ 27 وما بعدها. والمقصود في الرسالة اعيان هذه الفروع الثلاثة الاخيرة

(58) الذماء : بقية الروح.

(59) لعل هذا هو المقصود الاساسي من الرسالة (بالاضافة على الاخبار بانتهاء المهمة).

(60) حول تاريخ الرسالة انظر خصوصياتها في مطلع الفصل الرابع.

الرسالة السادسة والخمسون :

رسالة من اشبيلية
حول «شقي ميورقة»

تقديم :

هذه الرسالة هي مجرد تقديم موجه من والي اشبيلية الى الولايات الاندلسية ـــ فيما يبدو ـــ وجهه مع نسخ من رسالة للخليفة الناصر مبشرة بالنصر على «شقي ميورقة» قد يكون هو ابن غانية المستقل بميورقة الى ان اخذها الموحدون في مطلع سنة 600 أو قريبه الثائر بافريقية والذي انهزم امام الجيوش الموحدية سنة 602 فتراجع الى الصحراء[1]. فالرسالة التقديمية هنا لا تصرح بمقتل «الشقي»[2] وانما «احانه الله» اي تتمنى له الهلاك، وهكذا يمكن ان تكون تقديما للرسالة الاخيرة في «مجموع رسائل موحدية» لبروفنصال التي هي رسالة خليفية عامة موجهة الى سائر عواصم ولايات الدولة[1]، وقد ورد في ختامها الامر «بنشر هذه المسرات» فربما نفّذ الوالي المذكور هذا الامر بتوجيهه لهذا التقديم الذي كتبه عنه الفقيه ابو الحسن ابن الفضل[3]، وورد ضمن زوائد «العطاء» على الصفحتين 24 و 25.

نص الرسالة

ع ز/24 ....(....[*])[4] إليكم؛ كتب الله لكم من البشائر ما يجدد آمالكم وأمانيَكم، ويعمرُ بالمسرّات المستمرات ربوعَكم ومغانِيَكم، (....)[4] يتقلص ظلها قاصيَكم ودانيَكم ـــ من اشبيلية ـــ حرسها (الله) ـــ عندما وصل كتاب الحضرة الإمامية الناصرية (....)[4] وأكمل في إعزاز الإيمان إرادتَها، تنطق عن ما سنّى الله تعالى لحزبه الموحدين أولياء حضرتها وخُدّما(ئها.....)[4] يختبط في هواه، المعذّب في دنياه وأخراه، شقّي ميورقة ـــ احانه الله ـــ على حسب ما تسْمعونه من (....ـاليكم)[4]

---

(1) انظر الرسالة رقم 37 (م ر م) لبروفنصال، وقد كتبت من ظاهر المهدية حيث كان الخليفة يحاصرها، وكانت جيوشه تطارد ابن غانية.

(2) انظر نفس الرسالة ص 258 على عكس ما ورد في رسالة الناصر بفتح ميورقة (رقم 36 في م ر م).

(3) توجد ترجمته في المقدمة ضمن تراجم الكتاب.

(*) الرسالة هنا ناقصة الصدر، ويبدو ان ما بين هلالين هو : (وانا كتبناه)...

(4) ما بين هلالين ( ) مغطى بفعل الترميم في وائل اسطر النصف الاسفل من الصفحة بمقدار كلمتين (في الاعلى) الى حوالي خمس كلمات (في الاسفل).

الطالعةِ إن شاء الله بالسعادة عليكم ؛ فاحضرُوا ــ أكرمكم الله ــ لسماعها بأذهان حاضرة ونفوس (...ـرة)[4]، وأصيخوا إلى ما يتلى عليكم من آياتها إصاخة تَجمع لكم بين شرفي الدنيا والآخرة، واجتهدوا (....المرتضَى)[4]، وسيفِه المنتضَلِ المنتضَى، فطال ما أسهَر جفنَه ليُنيمكم، وأتعبَ نفسَه ليُكْمِل راحتَكم (.....)[5]/ لا عزيزَ إلا من أعزه (الله)، ولا ذليلَ إلا من اتخذ إلاهه هواه، والله تعالى يحمـ(ـلكم عـ)لى سَنن هداه، (وهو) يجمع قلوبكم (على) تقواه، بمنّه (لا)رب سواه.

ع ز/25

(5) بتر في اسفل الصفحة بسبب الترميم شمل ثلاثة اسطر فيما يبدو.

الرسالة السابعة والخمسون :

فصل من رسالة عن الخليفة الناصر حول فتحه للمهدية

تقديم :

خلال التسعينات، وبينما كانت وضعية الموحدين قوية نحو الاسبان وخاصة نحو قشتالة منذ معركة الارك، كان الوضع بافريقية يميل تدريجيا لغير صالح الموحدين، وخاصة في السنوات الاولى من عهد الناصر، حتى ان بني غانية اصبحوا يسيطرون على معظم افريقية بما فيها المهدية، وبينما سقطت ميورقة بيد الموحدين سقطت تونس بيد بني غانية، فاضطر الناصر لتنظيم حملة لمطاردتهم، وتحرك معه الاسطول نحو المهدية. وبعد تحرير تونس ومطاردة بني غانية من معظم جهات افريقية شدد الناصر الحصار برا وبحرا على عاملهم بالمهدية الى ان فتحها سنة 602، فكتب عنه كاتبه ابو عبد الله بن عياش[1] رسالة مبشّرة بفتحها الى الولايات الموحدية، وقد اورد ابن سعيد المغربي في كتابه «عنوان المرقصات» فصلاً من هذه الرسالة[2]، ونقله عنه ابن الخطيب في «الاحاطة» ضمن ترجمة ابن عياش[3]. وقد اعتمدت على نص ابن سعيد مقارنا بما في الاحاطة التي رمزت اليها بحرف (ح).

نص الرسالة :

....ولما حللنا عُرى السفر بأن حللنا حِمى المهدية، تفاءلنا بأن يكون لمن ألمَّ بساحتها[4] هدية، فأحدقْنا بها إحداق الهُداب[5] بالعين، وأطَرْنا لِمُخْتِلسِ وِصالها غِربان البيْن، فبات بلَيلةٍ نابغية[6] وصافَح يوما صافحته فيه يد البلية[7] ؛ ولمّا اجتلينا منها عروسا قد مُدَّ بين يديها بساط (من)[8] الماء، وتوِّجت بالهلال، وقُرطت بالثريا، ووُشّحت بغيوم السماء[9]، والسحبُ نسجت عليها أرداناً تُبديها[10] تارة متلثمة وطورا سافرة، وكأنما شرفاتها المشرقة[11] أنامل مخضَبة بالدياجي،

الرمز (خ) يشير الى نص الاحاطة.

(1) انظر ترجمته ضمن المقدمة.

(2) وذلك في الصفحتين 12 و13 من الطبعة الحجرية.

(3) المجلد الثاني طبعة 1974، تحقيق عنان (486 ـ 487).

(4) في (ح) : بان تكون لمن حل بساحتها.

(5) في (ح) : الهدب.

(6) في (ح) : فبانت بليلة باسنية.

(7) في (ح) : وصابح ...يد المنية.

(8) كلمة ناقصة في (ح).

(9) في (ح) : وتوجهت بالهلال، وقرطته بالثريا ووجشت بنجوم السماء.

(10) في (ح) : تسحب عليها اردانها فترتديها.

مختمة[12]بالكواكب الزاهرة، تضحي (ضاحكة)[8] عن شنب لا تزال تقبّله أفواه المجانيق[13]، وتمسي باسمة عن لعْس لا تبرح تَرشِفه شفاهُ سهام الحريق، خطبناها فأرادت التنبيه على قدْرها والتوفير في إغلاء[14] مهرها، ومَن خَطب الحسناء لم يُغلِه المهر ؛ فتمنّعت تمنّع المقصورات في الخيام، وأطالت إعمالَ العامل في خدمتها وتجريد الحسام، إلى ان تحققت عِظَمَ موقعها في النفوس، ورأت كثرة ما أُلقِيَ اليها من[15] نِثار الرؤوس[16] فجنحت[17] إلى الإحصان بعد النشور، ورأت اللّجَاج في الامتناع من قَبول الاحسان لا يجوز[18]، فأمكنتْ زمامَهَا من يد خاطبها بعدِ مطاولة خَطْبها وخِطابها، وأمتعته على رغم رقيبها[19] بعناقها ورشفِ رُضابها، فبات[20] بها معرِّساً حيث لا حجالَ إلا من البنود، ولا خلوق إلا من دماء أبطال الجنود ؛ فأصبح وقد تلألأت بهذه البشائر وجوهُ الأقطار[21]، وطارت بمسارّها سوانحُ البراري وسوائح البحار[22]، فالحمد لله الذي أقر الحق في نصابه، واسترجعه من أيدي غُصّابه[23]، حمداً يجمعها بشمل النعم[24]، ويُلقحُها كما تُلقِح البحارُ الدِّيَم[25] ؛ فشنِّفوا الأسماع بهذه البشائر، واملأوا الصدور بما يرويه لكم من أحاديثها كلُّ وارد وصادر، فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء[26]، وعمّ الأمنُ والخير به بسيطيْ الارض والماء[27]، فشكرُ الله عليه فرضٌ، في كل قطر من أقطار الارض....[28].

---

(11) في (ح) : المشرفة (بالفاء).

(12) في (ح) : مختتمة.

(13) من المجانيق التي استعملها الناصر لفتح المهدية «منجنيق كبير لم يعمل مثله عظما يرمي مائة ربع، فرمي البلد به فوقع الحجر من المنجنيق في وسط دفة باب المدينة فطوى وسطها، والدفة من حديد كلها قائمة على قاعدة من زجاج اخضر» (القرطاس ص 232).

(14) في (ح) : اعلاء.

(15) في (ح) : لها.

(16) في الاصل : الرؤس.

(17) في (ح) : جنحت.

(18) في مثل هذه العبارات تلميح الى طول حصار المهدية وكثرة ضحايا الحصار، ولم تستسلم المدينة الا بعد تأكدها من هزيمة ابن غانية في «تاجرا» بنواحي قابس، (انظر الفصل الثاني، الفقرة الأولى).

(19) في (ح) : رقيها.

(20) في (ح) : فبانت.

(21) في (ح) : الافكار.

(22) في (ح) : ... سوائح البرازي وسوانح البحار.

(23) يقصد هنا بالغصّاب ابن غانية وحلفاؤه وكان المكلف من طرفه بشؤون المهدية هو ابن عمه علي ابن الغازي وهو الذي استسلم للموحدين بل دخل في طاعتهم، وكان تاريخ استسلام المدينة هو 27 جمادى الأولى 602، (انظر الفصل الثاني).

(24) في (ح) :...حمداً يجمع شمل النعم.

(25) في (ح) : الرياح.

(26) مقتبس من قصيدة لأبي تمام بعد فتح عمورية : فتح تفتح ابواب السماء له.. وتبرز..

(27) في (ح) : وعم الخير واليمن به بسيطي الشرق والماء.

(28) لعل تاريخ الرسالة هو 22 جمادى الآخرة سنة 602 من منزل ابي نصر بعد يومين من مغادرة الناصر للمهدية اذ وجه من هذا المنزل كتب الفتح الى المغرب والاندلس حسب التيجاني ص 360.

الرسالة الثامنة والخمسون :

رسالة من الجزيرة الخضراء إلى السيد أبي عمران موسى اشتياقا إلى عودته من غيبته

تقديم :

خلال ولاية السيد ابي موسى بن الخليفة عبدالمومن على اشبيلية منذ سنة 601 يبدو ان السيد ابا عمران ابنه كان نائبا عنه بالجزيرة الخضراء ثم تغيب عنها، ولا ندري الجهة التي قصدها[1]. فكتب أبو القاسم بن عذرة[2] عن «طلبة» الجزيرة الخضراء إلى السيد أبي عمران يتمنون قرب لقائه، وقد وردت رسالته ضمن المخطوط الخاص (ص 303 ــ 305) بتاريخ 9 رمضان 602، وهذا نص الرسالة.

م خ/303 **نص الرسالة : (رقم 58)**

م خ/304 حضرة السيد الأجل المكرم الأسنى الهمام الاوحد الامجد المبارك الميمون/ الموفق الاسدى أبو عمران[3] بن السيد الاجل المعظم الارفع الازهد الاطهر المؤيد الاسعد الازكى أبو موسى[4] بن سيدنا ومولانا الامام الخليفة امير المومنين مكن الله سعدها، وخلّد شرفها الباهر ومجدها، وشكر عن الكِل مذهبها الجميلَ وقصْدَها، عبدُها المستندُ الى اعلائها، الشاكر لنعْمائها المستظل بظل لوائها، الراغب في بركة دعائها : عبد الرحمن بن عمر بن عذرة[5]، سلام كريم مبرور على حضرة سيدنا ورحمة الله وبركاته.

وبعد حمد الله تعالى (الى آخر الصدر المعهود)[6].

---

(1) اذا صح الافتراض بان ابا عمران كان نائبا عن ابيه بالجزيرة الخضراء، هل يمكن ان تكون غيبته ضمن حركة الناصر الى افريقية خاصة بمقارنة تاريخ هذه الرسالة مع الفترة التي استغرقتها الحركة ؟

(2) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب.

(3) انظر الهامش 1، وممن كتب ايضا عن السيد ابي عمران موسى الكاتب ابو القاسم البلوي (العطاء ص 90).

(4) عيّن الناصر على اشبيلية السيد ابا موسى بن الخليفة سنة 601 (البيان 219)،

(5) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتّاب.

(6) كذا في المخطوط وقع الاستغناء عما بعد الحمدلة، وفي العادة ان الصدر يشمل الحمدلة ثم التصلية على الرسول و الترضية عن المهدي وخلفائه والدعاء للخليفة الحاكم وهو هنا الناصر، قارن مع رسائل اخرى.

فكتب العبد من الجزيرة الخضراء[7] — حرسها الله — وبركات الأمر العزيز — أدامه الله — متوالية، وبشائره مع الايام رائحة وغادية، والحمد لله على السُّنن الذي أسلُكه — يا سيدنا الاجد — في طاعتكم وخدمتكم والمقصَد الذي أتوخّاه واعتمده من شكر نعمتكم السابغة ومنّتكم، والشوق الشديد الذي أجده الى لقائكم الاسعد ورؤيتكم، والدعاءُ الذي أُردّه الى لله تعالى في أن يزيد في سمو درجتكم، وأن يتفضل عليّ وعلى أهل المكان بتقريب أوبتكم[8]، فقد كان بأنسكم معموراً، وبحلول يمنكم وبركتكم فيه مشهورا مذكورا ؛ وكان أهله كافة يمسون ويصبحون من هديكم وكرم سعيكم في حرم آمن[9]، ويشربون من حسن معتقدكم وجميل مقصَدكم ماءً غيرَ آسن ؛ ؛ وكان «طلبته» يشتملون برداء إحسانكم، ويرِدون الموردَ العذب مِن بِشركم وامتنانكم، (وإنني)[10] لأتذكر معهم بهاء مجلسكم الكريم، وضياء نوركم الذي سرى اليكم من المنصب العظيم، والهدي المستقيم، فيزداد الشوق أضعافا، ويهزّ من الجميع جوانب وأعطافا، ويوقد من الحنين ما نرتشفه ارتشافا، ونعتكف على تجرع وَجْدهِ اعتكافا ؛ فلو تَخيَّل مجدكم — أيد الله امركم — قدر ما بعبيده من الاستيحاش لمغيبكم عنهم ساعة، لأعملَ في تلافيهم بالاياب المأمول أوفَى الجهد والاستطاعة، فما لهم أُنسٌ الا بحضرتكم، ولا بِشرٌ الا في رؤيتكم، ولا حياة الا في محاورتكم ومذاكرتكم[11] ؛ وإنهم لِتلك الأيام المعظمة لحامدون، وبقدر نعمة الله تعالى عليهم فيها لعارفون ؛ هذا في حق الجميع على العموم، فكيف/ — يا سيدنا — في حق عبدكم وإخوته على الخصوص، الذين رُزقوا من المعرفة بقدر تلك الحقوق المكرمة ما رُزقوا، وارتَزقوا من ثمارها العذبة الجنَى ما ارتَزقوا، إنهم لَهم الذين ذهب بهم الشوق كل مذهب، وارتقى بهم كل مَرقب، فهم المتشوقون لإيابكم الأكرم ورحمة الله تعالى وفضله، والمستعطفون مع الساعات والاوقات جودَه العظيم وطَوله، ولو كان القدَر بالاختيار، ما غاب العبيد عن ذلك النور طَرْفةَ عين، ولكانوا منه في كل مكان يَحله رأيَ العين.

(م خ/305)

والله يَنظم بذلك السؤدَد شملَهم، ويصل به حبلهم، ويديم ببركته أُنسهم وظلَّهم، ويصنع لكم — يا سيدنا — في كل مقام ومَرام أفضل من الصنع وأسناه، وأتمه وأعمَّه وأكرمه وأوفاه ؛ والسلام الاطيب الاحفل الأوفى، المعاد المردد الموصول المستوفى، من عبدكم وإخوته المنقطعين الى مقامكم، المتجمّلين بأوقاتكم السعيدة وأيامكم، على حضرتكم السَّنية الزكية ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ في التاسع من رمضان المعظم سنة ثنتين وستمائة.

---

(7) الجزيرة الخضراء : انظر عنها نزهة الادريسي (ص 539 — 540) ن ايطالية والروض المعطار (مادة الجزيرة الخضراء).

(8) انظر الهامش 1.

(9) في هذا تلميح الى المهام السلطوية للسيد المخاطَب.

(10) كلمة شبه مطموسة.

(11) يقتضي هذا ان تكون العلاقة بين الطرفين ايضا علمية وان يكون الطلبة فقهاء وليسوا دائما طلبة اداريين وعسكريين وهذا ما يجعل موضوع الرسالة يحتمل ان يكون ذا صبغة رسمية كما يحتمل العكس.

الرسالة التاسعة والخمسون :

رسالة عن الشيخ عبد الواحد الحفصي بمناسبة انتصاره في «شبرو» على ابن غانية

تقديم :

بعدما استرجع الخليفة الناصر افريقية من قبضة يحيى ابن غانية عين عليها واليا عاما مفوضا هو الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص الهنتاتي احد اصحاب المهدي، وترك معه نخبة من القوات الموحدية اختارها بنفسه، ثم عاد الناصر خلال سنة 603 في اتجاه المغرب[1]. فتحرك ابن غانية من جديد من الصحراء محاولا التوغل في وسط افريقية فاعترضته قوات الشيخ عبد الواحد بنواحي تبسّة حيث دارت المعركة في شبرو[2] واسفرت عن انتصار الشيخ عبد الواحد وذلك في اواخر سنة 604 فكتب عنه كاتبه ابن نُخَيل[3] رسالة النصر التي يورد ابن الابار في «اعتاب الكتاب» بعض فصولها، ونسخ الاعتاب المعروفة هي كما يلي : نسخة الخزانة العامة بالرباط، ونسخة الخزانة الحسنية بالرباط (لم يتيسر الاطلاع عليها لحاجتها الى الترميم) ثم طبعة دمشق لسنة 1961 ص (233 ــ 239) التي استندت على نسخ القاهرة والاسكوريال والخزانة العامة، وقد اعتمدت اصلاً على هذه الطبعة.

فصول من الرسالة :

....[4] وقد انتصر الحق من الباطل[5] ففرَّق جموعَه، واذهب بسطوته الغالبة ودعوته العالية[6] جميعَه، وأيد الله طائفة التوحيد على حزب الشيطان المريد، تأييدا أراق بسيفه القاصل نَجيعَه، وبيّن

---

(1) راجع الفصل الثاني (آخر الفقرة الأولى).

(2) اخطأ محقق (الاعتاب) في قراءة اسم الموقع فكتبه هكذا : «وقيعة شيذو من نواحي سبتة» وعلّق في الهامش ان الكلمتين الاخيرتين غير مقروءتين في الاصل وان ما اثبته هو الاصوب ! انظر الروض المعطار 338 والعبر 6/ 403.

(3) انظر ترجمته ضمن تراجم الكتاب.

(4) صدر الرسالة محذوف، ربما تجنبا لإظهار التبعية للموحدين بمراكش، فابن الابار قضى بقية حياته في ظل الحفصيين ويبدو ان المرسل اليهم هم رعايا ولاية افريقية الموحدية.

(5) في اعتقاد الموحدين دائما ان عدوهم على باطل.

(6) في نسخة (خ ع) : القالية.

لكل ذي بصر سديد وسمع شهيد أن هذا الامر[7] هو أمر الله الذي لا يزال نافذُ الاقدار في الايراد والإصدار مطيعَه، وأن عدوَّه وإن تراخى به الامد فلابد أن يُنزل موعدُه الصادق مَنيعَه، ويحُطّ رفيعه، والحمد لله على ذلك حمدا يستمد وحي النصر المؤزر والفتح المدّخر وسريعَه...[8].

...فحشد من قبائل دباب[9] وزغب ونفات، ومن انقاد اليهم من برابر تلك الجهات[10] من قادهم اليه الحَيْن بزمام الخُدع والتّرهات، وأقبل بمن التف عليه من أولئكم الطّغام، وبقايا الاجتياح والاصطلام[11]، يتقرّى المنازل والمناهل، ويوهم بكثرةِ مَن جمعَه من هذه القبائل، وخرج الموحدون إليهم مستعينين بالله وبما عوده من النصر عليهم، فلما حققوا عزمهم، وصححوا في التصميم نحوهم عِلمَهم، ورأوا أنهم فوّقوا لثُغرهم المثغورة أسهمَهم، طار بهم الفرار، ونبا بهم القرار، وولّوْا سراعا لا يستبدّ بسيرهم دون الليل النهارُ ؛ والموحدون أعزهم الله ينتظرون الوقت الذي لا يبعد مداه في هلاكهم، ولا يُفلتون منه بعدَ إدراكهم ؛ فلما تراءى الجمعان، وضاق متّسَع المجال عن الدماء والطعان، وشِيمَت السيوفُ كالبوارق الخواطف (في اللمعان)[12]، وحَملت الكتائب على الكتائب كالرعان على الرعان[13] جرى الموحدون ــ أعزهم الله ــ على عادة صبرهم، فعرّفهم الله ما أحبوه من عوائده الكريمة مع أميرهم[14]، فلم يكن الا لمحةُ بارق، او خِلسة مُسارق، حتى استلحمت السيوف أحزاب الضلال، وتبرّأ منهم رجيمهم المغرور تبرؤَ مَن كان وعدَهم بالمُحال، فقُتلوا مئين وعشرات وآحادا، وفرّ غويّهم الشقي جريحا[15] لم يَصحَبه من ذلك الجم إلاَّ فُرادى، وامتلأت الأيدي من غنائمهم فهي تُشَلّ[16] في حَزْن وسهل سَوقاً وطِرادا، وكفلت الموحدين عنايةُ الله تعالى فلم ينل العدوّ منهم نيلا، ولم يَمِل الضررُ عليهم ميلا[17]، بل أشوتْ سهامُه[18]، وخاب والحمد

---

(7) اي الدولة الموحدية وعقيدتها.

(8) عبر ابن الابار عن هذا البتر هنا بقوله : «ومنها في ذكر الشقي الميورقي : فحشد من قبائل...».

(9) في (خ ع) : دياب وتتكرر ذكر «دباب» في الرسالة رقم 61، ويجعل ابن سعيد «مجالات دباب من حد قابس الى بئر السدرة من برقة» ، ويذكر بعض بطون قبائل اخرى في هذه المجالات وتحت خفارة دباب، (بسط الارض 79) ويجعل ابن خلدون زغب وذباب (كذا) من سليم، وان مواطنهم ما بين غربي قابس وبرقة (العبر 6/ 168) واما نفات : فنجدها عند ابن خلدون : (نفاث) بالثاء المثلثة، (العبر6/ 76 ــ 77).

(10) هل يقصد بربر صنهاجة عصبيته ؟ انظر الفصل الثاني من الدراسة العامة) ام يقصد مغراوة الزناتية التي كانت حليفة لابن غانية في هذه الفترة ؟ هذا أُرجح، انظر البيان (228 ــ 229)، والعبر 6/ 586، والهامش 34 على الرسالة رقم 61.

(11) الاصطلام : اصطلمه : استأصله.

(12) اضافة من نسخة الاسكوريال وخ ع (المحقق للاعتاب)

(13) الرعان : جمع رعن اي الجبل الطويل.

(14) المقصود الشيخ عبد الواحد الحفصي والي افريقية منذ سنة 603 (البيان 225).

(15) الشقي هو يحيى ابن غانية، وسيتكرر ذكره بعد الرسالة اللاحقة.

(16) في (خ ح) : تستن... والحزن : ما ارتفع من الارض.

(17) ادعاء مألوف عند الموحدين بالنسبة لمختلف المعارك، راجع خصائص الرسالتين 59 و 61 في الفصل الثاني.

(18) اشوت سهامه : اخطأت غرضها.

لله أمله ومَرامه، ولم يبق من هذا العدو إلا ذَماء، ولقد ظل بعد هذه الوقيعة لا تحميه مع العرب أرض ولا سماء، فإنه أتى في هذه الحركة (منهم)[19] بمن لم يَطِر له قبل بجناب، واستهوى بحبالاته الكاذبة وآماله الذاهبة مَن عاد لأرضه بجُريْعة الذقْن ولم يَعُدْ شابّ ولا تابّ[20]، وترك الحلائلَ في المحامل تتوزعها أيدي الناهبين فلا تُدركه حفيظة الانتهاب[21].

وطالعناكم بهذه المسرّة العظمى والموهبة الكبرى عشيَّ اليوم المشهود، والوقت المحمود، لتحمَدوا الله بجميع محامده وتشكروه، وتذيعوا بلاءه الجميل لكم ولكافة المسلمين على ايدي أوليائهم الموحدين وتنشروه....[22].

---

(19) ناقصة في نسخة الأسكوريال (المحقق).

(20) التاّب : الشيخ العجوز، استتبّ الرجل : ضعف وعجز.

(21) للعرب عادة في استصحاب نسائهم في المعارك (انظر ايضا الرسالة 61).

(22) تاريخ الرسالة هو تاريخ يوم المعركة وقد حدّده ابن الابار ــ في تقديمه لهذه الرسالة ــ بمنتصف شهر صفر 604، وجعله صاحب الروض المعطار في آخر ذي القعدة من نفس السنة (338).

الرسالة الستون :

رسالة حول تردد الموحدين على الغرب الأوسط

تقديم :

كان من نتائج ضعط الموحدين بافريقية على تحركات ابن غانية — كما حدث ذلك في شبرو — ان غير اتجاه حركته نحو المغرب الاوسط والواحات الصحراوية، حيث وصل في نهبه الى سجلماسة[1]، كما هزم قوات الموحدين بناحية تلمسان[2] بواسطة دعم قبائل زناتة وذلك سنة 605 غير ان توجيه قوات ضخمة من المغرب الاقصى بزعامة الوزير ابي زيد ابن يوجان الهنتاتي فرضت عليه التراجع نحو افريقية محاولا اقتحامها، ولعل الخليفة بمراكش وجه الى الولايات رسالة تبشر بنجاح حركة الموحدين الى المغرب الاوسط وعودتهم بعد نجاح مهمتهم، وقد تكون رسالة والي اشبيلية من انشاء ابي العباس ابن جعفر[3] (المخطوط الخاص ص 342 — 343) جوابا على هذه الرسالة، وهذا نص الرسالة الجوابية :

نص الرسالة :

م خ/342 ...[4] وإنه ورد على عبد[5] الحضرة الامامية العلية — أيدها الله — كتابها المعظم المكرّم فياله من وارد سَرّ وأبهَج، وهدى السبيل وأوضح المنهج، وبسط الأمل وفسح الرجاء وبشّر بالصلاح التام والخير المستقبَل العام هذه النواحي والأرجاء، فتلقاه العبد تلقّي أمثاله من موادّ نِعمها، ونتائج عطفها وكرمها، وشكرَ الله على ما تضمَّنه من **البشارات العظيمة** والاشارات الكريمة، وعلى ما اقتضاه من الاعتناء الكريم، والإنعام العميم، والفضل الدائم المقيم، وسُرّ بها سرور مَن عَرف فيه حسن الغرض، واعتكف له على الحمد الملتزم والشكر المفترض ؛ وتعرّف من كريم مضمّنه نعمة الله على **الغرب الاوسط**[6] — كلأه الله — بما كان اقتضاه النظر العالي، والرأي الكريم الامامي، مِن تردد

(1) انظر العبر 6/ (403 — 404) و592

(2) انظر البيان (228 — 230).

(3) انظر الحديث عنه ضمن تراجم الكتّاب في المقدمة.

(4) يلاحظ هنا اغفال صدر الرسالة كما هو الشأن في رسائل اخرى من نفس المخطوط.

(5) هذا نموذج من الرسائل التي يذكر فيها «العبد» اي الوالي دون بقية «الطلبة» او «العبيد» كما كنا نجد في رسائل سابقة واذا فرضنا ان هذه الرسالة — كغيرها من رسائل هذا المخطوط — صادرة من اشبيلية فيمكن ان يكون «العبد» هنا هو السيد ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة المنصور في ولايته ما قبل الاخيرة اي بين سنتي 605 و 607 (البيان 230 و 234، والمعجب 308 — 309)

(6) لعله المغرب الاوسط خاصة منطقة تلمسان، (انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع).

الموحدين ــ أعزهم الله ــ فيه لتأنيس رعاياه، والفحص عن شؤونه وقضاياه، وتلك عادة الحضرة الامامية ــ أيدها الله ــ في العناية بمناجح الامور، والرعاية لمصالح الجمهور، والتفقد لأحوال البلاد، والالتفات لمنافع العباد، وما استرعاها الله هذا العالم الا وقد خصّها من العدل والاحسان، والفضل والجود والامتنان، والنظر المبني على السنة والقرآن[7]، بما تحوط به رعيتها المسندة اليها، وتكلأ به البرية التي هي أمانة الله لديها ؛ فهنّأ الله البلاد والعبادَ حسن رعيها، وجميلَ مذهبها في ذات الله وحميدَ رأيها ؛ وجزى الله الحضرة الامامية أفضل ما جزى به خلفاءه الراشدين المرشدين[8]، المجاهدين في حياطة المسلمين، العاملين على ما يعود في البسيطين[9] بمصلحة الدنيا والدين.

وتعرَّف العبد ايضا من مضمّن الكتاب الكريم ما صنع الله من **تيسير اسباب رحلة الموحدين** ــ أعزهم الله ــ **إلى أوطانهم**[10]، وإمكان الاقتراب/ من اوليائهم المشتاقين اليهم م خ/343 واخوانهم، فهنيئا لتلكم الاوطان التي طالت بها الى الموحدين الاشواق[11]، وكادت تزعجها نحوهم فتنزعج وتسوقها اليهم فتنساق، لقد دنت منهم إليها أرواحها، واستقبلتها مسرّات العظائم وأفراحُها، وأظلتها البركات الامامية وطلع عليها صباحُها، وتِلكم نعمة من الله يسّر أسبابها، وفتح ابوابها، ومدّ على عبيد الحضرة الامامية أطنابَها، وشُكرُ الله على هذه النعمة الكبرى متعيّنٌ، وفضلُ الله فيها على العباد والبلاد بيِّنٌ ؛ والحمد لله رب العالمين على ما عرَّف الحضرة الامامية في هذه الحركة السعيدة من التيسير والتسهيل والعاقبة الحسنة والصنع الجميل، وعلى السلامة التي آتاها، **والظفر الذي صاحبها** والسعد الذي واتاها[10]، وتلك عادة الله التي عوّدها، وفضلهُ الذي أمدّها به وأسعدَها، والله يعرّفها في كل محاولة سعادة المبتدأ والختام، وتيسير المحاول(ـة و) المرام، ويصل لها في كل وِرد وصَدَر ما عوّدها من العناية الربانية، والكرامة الرضوانية.

وما أوردته الحضرة الإمامية ــ ايدها الله ــ من الإنباء بذلك كله والإعلام به فمنةٌ منها ــ شكرها الله ــ ونعمى، والتفات كريم واحسان عميم ونعمة عظمى، وأيّةُ ساعة من الساعات أغبَّت بركاتُها، ومتى لم يتملك القلوب اعتناؤها المستصحب والتفاتُها، إنْ هي إلا توالي (سوابغ)[12] الإنعام مختلفة الأنواع والأجناس، وتوابعها مع الأيام بل مع الساع متتابعة الأنفاس، وتجود منها بما ليس شكرُه بالمستطاع قبل السؤال والالتماس ؛ فجازاها الله عن كافة عبيدها بأفضل الجزاء، وتولّى شكرَها عن الخاصة والدهماء...

---

(7) تتكرر مثل هذه الاشارة الى الارتكاز على القرآن والسنة في الاحكام.

(8) يقصد الخلفاء الموحدين السابقين.

(9) لعله يقصد العدوتين ان لم يقصد المشرق والمغرب

(10) راجع خصوصيات الرسالة.

(11) لعل في هذا تعبيرا عما في نفس الوالي ابي اسحاق ابراهيم، حيث نجده يطلب اعفاءه من ولاية اشبيلية سنة 607 (البيان 234).

(12) في الاصل : الا سوابغ.

الرسالة الواحدة والستون :

رسالة الشيخ عبد الواحد الحفصي
بمناسبة انتصاره على ابن غانية بوادي أبي موسى

تقديم :

بعد جولة ابن غانية حوالي سنة 605 عبر المغرب الاوسط ومدن الواحات ومطاردته من طرف جيش الوزير الموحدي ابن يوجان، تراجع الى افريقية محاولا اقتحامها بعد ان تصله امدادات العرب من ناحية طرابلس، غير ان جيش الشيخ عبد الواحد افشل مخططه واشتبك معه في معركة هامة بوادي ابي موسى عند جبل نفوسة سنة 606، وهي المعركة التي شلّت تحركاته لعدة سنوات. فكتب الشيخ عبد الواحد رسالة تبشر بالنصر، من انشاء ابن نخيل[1] اقتبس ابن الابار منها بعض فصولها في كتابه «اعتاب الكتّاب» (ص 240 — 245 من المطبوع).

بعض فصول الرسالة :

... والى ذلكم — وصل الله بالنجاح اسباب آمالكم، وختم بالفلاح صحائف اعمالكم — فان الموحدين — اعزهم الله — لما قفلوا من حركتهم الاولى الى ديارهم، وانصرفوا من تمام اغراضهم في اتباع الاعداء واوطارهم، اقبل هذا العدو الاشقى[2] فيمن التف عليه من غَدَرة بني رياح[3] كفرة النعمى يؤمّون هذه الجهة الافريقية حنينا اليها، وصبابة لم تزل تعطف عليها، ظناً منهم ان هذه العصابة المنصورة، والجماعة المحمودة في سبيل الله المشكورة، قد القت عصا التسيار، واخلدت الى الراحة من طول السِّفار ؛ وكانت قد تلقّتهم باطراف الزاب[4] جماعة بني مالك مزيدة وجموع دياب[5] فقوّنت رجاءهم في الهجوم على البلاد، وصدّقت املهم الكاذب فيما عزموا عليه من الفساد ؛ فاخذ الموحدون — اعزهم الله — في الحركة اليهم، والورود بحول الله وقوته عليهم، بعزائم لا تثنى بالامل، وحفائظ لا ترضى بالقول دون العمل حتى نزلوا القيروان وهي قطبُ منازل الأعراب

---

(1) هو نفسه كاتب الرسالة رقم 59، انظره ضمن تراجم الكتاب.

(2) كان ابن غانية تعرض للهزيمة امام جيوش الشيخ عبد الواحد الحفصي في معركة شبرو (الرسالة 59) ثم تحرك عبر الواحات الى منطقة تلمسان وهدد سجلماسة قبل ان يتراجع نحو افريقية ليتعرض لهزيمة اخرى ساحقة هي التي تتحدث عنها هذه الرسالة.

(3) لعله يقصد الدواودة من عرب رياح الذين سبق ان اقرهم المنصور ببلاد الهبط ثم رجع قسم منهم الى افريقية، انظر الرسالة 26 (م ر م) والقرطاس 212 والعبر 6/ 586.

(4) ربما حدث ذلك عند عودة ابن غانية بانصاره من منطقة تلمسان، وعن الزاب انظر الحموي 3/ 124 والاستبصار (171 — 175) والروض المعطار 281.

(5)«دياب» كانت في هذه الفترة بالزاب، بينما كانت مجالات «دباب» في نواحي طرابلس كما يتضح من الرسالة انظر أيضا الهامش 9 على الرسالة 59 وعن بني مالك بالمغرب الاوسط، انظر العبر 6/ 95 وما بعدها،

ومُراد سوامِهم عند ازدحامهم في مثل هذه الاحوال الصعاب، والاعداء حينئذ نزلوا بظاهر قفصة يرتقبون ورود بقية دباب[5] من طرابلس اجابة لما قدّموه من ندائهم، واهابة بهم الى اعادتهم في الفساد وابدائهم ؛ واقبلت عصابة التوحيد، على استدعاء مَن ألفتْه من عوفٍ والشَّريد، ونَدْبهم الى ان يأخذوا بحظهم من خدمة هذا الامر السعيد[6]، وطُلبوا بان يَحضروا بالاهل المال، ليلقَوا أكفاءهم في مثل تلكم الهيئة والحال، وللعرب عادات في الرحيل جميعا، لا تعطي الخفوف الى المقصود سريعا، فسار بهم الموحدون على هيأتهم في التواني سيرا، و لم يُذعِروا لهم بإخراجهم عن معتادهم طيرا ؛ ولما سمع الاعداء برحيلهم من القيروان[7] رحلوا من قفصة[8] الى الحمّة[9] يُبرقون ويُرعدون، ويهددون باللقاء ويوعدون، ثم عطفوا من هنالكم على نفزاوة[10] ليتقوّتوا من ثمراتها، ويستدرّوا — ريثما تصلهم أمدادهم — أخلاف خيراتها ؛ فلما أبطأ رسولهم، وتقلّص بطول الانتظار مأمولهم، انصرفوا على ادراجهم الى زميط فقطعوا حَزْن دَمَّر[11] مسلمين للدمار، ونزلوا من شعفات الجبال الى قرار البوار، وعجلّ الموحدون إليهم فوردوا قابس[12] والأرض تُحرَق من بأسهم، وذبالات الذوابل أضوأ في سماء العَجاج من شمسهم، وعون الله يحقق عندهم في يومهم ما مَدَّ لهم من النصرة في أمسهم[13]، فلما تجهزوا منها بجهازهم، واستكملوا ما عليه عوّلوا من تمييزهم وتفرغوا لنجازهم، ثنوا للأعداء أعنة الجياد، وأقبلوا وهم من صرائم العزائم أمضى من البيض الحِداد، وقطعوا لهم المراحل شفْعاً لا يذوقون النوم إلا غرارا مثل حسو (الطير) ماء الثماد[14] ؛ فجعلوا يستدرجون عزائم التوحيد، وحادي المنايا يحدوهم الى مضاجعهم : أن انزِلوها، ولسان القضاء المقدور يخاطب المشرفيات الذكور : أن حُطّوا عن منازل الكواهل (رؤوس)[15] رؤساء الباطل[16] واستنزلوها.

---

(6) عندما يتحدث ابن خلدون عن هذه المعركة يشير الى «تحيز بعض الفرق من بني عوف بن سليم» الى الموحدين، ويتحدث ايضا عن انصار ابن غانية وهم «رياح وزغب والشريد وعوف ودباب ونفاث «العبر 6/ 586

(7) انظر الهامش 13 على الرسالة رقم 30.

(8) عن قفصة : انظر الهامش 6 على الرسالة 30.

(9) الحمة : مدينتان صغيرتان احداهما قرب قابس وتعرف بحمة مطماطة، والثانية تعرف بحمة البهاليل او بني بهلول قرب توزر وهي المقصودة هنا، انظر عنها الاستبصار 157 ومعجم البلدان 2/ 306 والتجاني 136 (حيث يميز بين الحامتين).

(10) نفزاوة : من بلاد قسطيلية (الجريد) بها مدن وحصون، انظر عنها الاستبصار 157 — 158 والروض المعطار 158 والحموي 5/ 296.

(11) زميط : لم نتمكن من التعرف على هذا الموضع. الحَزْن : جمعه حزون وحُزُن، ما غَلُظ من الارض وقلّما يكون الا مرتفعا.

(12) قابس : انظر عنها الاستبصار (112 — 113) الروض المعطار 450، معجم البلدان 4/ 289.

(13) الكلمة مضافة من نسختي الاسكوريال والخزانة العامة (محقق الاعتاب).

(14) نثر من البيت : لا نذوق النوم الا غرارا + + + مثل حسوِ الطير ماء الثماد (محقق الاعتاب).

(15) زيادة من الاسكوريال (المحقق).

(16) في نسخة خ ع : الاباطيل.

وكان مرامهم في هذا المطال بالنزال، والوقوف للحتوف، أن تنفذ ازودة الموحدين وعلوفاتهم، ريثما يلحق بهم من استدعوا ليعودوا من الهرب الى الطلب، ويحلوا منزلة الفائز[17] بالغلب وحسن المنقلب، «ويابى اللّهُ إلا أن يُتم نورَه[18]» ويكمل لأمره العظيم في الاعداء أمورَه، ولم يعلموا أن لله بهذه العصابة المجاهدة عن حريم البلاد، الكافة أيدي هؤلاء الاحزاب المرّاد، عنايةً لا يفتقرون بها الى الأزواد، ورعايةً تحميهم من النُوَب الشداد، وتُؤويهم من فضله واحسانه الى أرحب جناب وأرغب عتاد ؛ ولم يزل ذلك دأبهم، وما انفك إعلانهم بالمقابلة بكتم قربهم، حتى حلّوا بمنهل يعرف بوادي ابي موسى من سفح جبل نفوسة[19]، وفيه أتاهم من نفات وآل سليمان وآل سالم،[20] وَجموع وافرة من الاعراب وأحلافها الاعاجم ما سال أتِيُّهم بالدّهم[20 م] الداهم، «وأعجبتهم كثرتهم فلم تُغنِ عنهم شيئا»[21] وكانما اجتمعوا للهزائم، فعاجُوا من هنالكم وقد بيتوا بزعمهم ما لا يرضى من القول، وبرئوا لحولهم من القوة والحَوْل.

وضَمِنَ الغَدرةُ من بني رياح مع شقيّهم[22] لقاءَ عصابة التوحيد، وزعموا له أنهم حديد العرب ولا يُفلَح الحديد الا بالحديد، وتركوا دبابا ومن التف بها لعوف وأحلافها والشريد[23]، وأتوا بربّات الخدور في الهوادج كالازهار في الكمائم، وقدّموا من حُمر النعم وسودِها ماصار الدوُّ[24] بتموجها كالبحر المتلاطم، وجاءوا بزهوهم وبأْوِهم[25] يَزُفون زفيفا، ويُسمعون من رعود الوعيد قصيفا، ومن نيوب الحروب صريفا ؛ واستدعى الموحدون من ربهم نصره المعهود، واستمدّوا طوْله المحمود، وعولوا على حوله وقوته لا على العدد والعديد، واستلأموا غدران الدروع تحت جداول المداوس[26]، وتهللت بالنصر وجوههم فكانوا كالاقمار في شموس القوانس[26]، وتنكبوا من اراقم

(17) في نسخة خ ع : الفائت.

(18) من الآية 32 من سورة التوبة.

(19) يوصف اهل جبال نفوسة بانهم خوارج متمردون على طاعة السلاطين (معجم البلدان 5/ 296 ــ 297)، انظر ايضا الروض المعطار ص 604 (مادة وادي ابي موسى)،

(20) آل سالم من بطون ذباب (دباب) مواطنهم من بلد مسراته الى لبدة ومسلاته، وآل سليمان من بطون ذباب ايضا مجالاتها في القفر الى الشرق (العبر 6/ 171) وذكر صاحب الروض المعطار (604) حلفاء ابن غانية وهم : رياح وزغب والشريد وعوف ونفاث ودباب ومن لا فَهم، وتضيف الرسالة هنا الاعاجم ولاشك انهم بقايا عناصر الغز الذين ضمهم ابن غانية الى جنده منذ هزيمته لقراقوش، انظر مثلا التجاني عند حديثه عن طرّة من نفزاوة.

(20 م)الاتي : السيل، والدهم : العدد الكثير.

(21) اقتباس من الآية 25 (س التوبة).

(22) يبدو ان شيخ رياح هنا هو شيخ الدواودة محمد بن مسعود انظر الهامش 34.

(23) من حلفاء ابن غانية ذباب من سليم والدواودة (العبر 6/ 142 و14 و16)، وانظر الهامشين 21 و34 على هذه الرسالة، ومن حلفاء الموحدين بنو عوف بن سليم (العبر 6/ 144 و 145 و 586).

(24) الدّوّ : البرية.

(25) البأو : الفخر والتكبر.

(26) المداوس : ج مدواس : مصقلة السيوف، والقوانس مفردها قونس : اعلى بيضة الحديد.

القسيّ ألدغَ على البعد من حيّات البسابس، وتأبطوا كل خطّار تطّرد كعوبه، قد ركب فيه نجم ولكن في ثغر البحار غروبه، وساروا لعدوهم كأنهم بنيان مرصوص[27]، وتيقنوا ان نصر الله بالصابرين المحتسبين مخصوص، وكان يوم ضباب، وشمسه من قَوام الغمام في حجاب ؛ فلما تعالت في فلكها، وانقادت في زمام الاستسلام الى مَلكها، ورمقت من خلال غيْمها ظهرت كتائب الباطل سوذاً[28] كقلوب أهلها، وقد مالت الأرضُ طولا وعرضاً بخيلها ورجلها[29] ؛ فحمل الموحدون عليهم حملةً أزالتهم عن مصافّهم فولّى شقيهم منهزما لأول دفعة، ولم يطق وقوفا عندما رآى من بوارق الخوافق لمعة...

...واستحرَّ القتل في كثيرِ من زعمائهم ورؤسائهم، ومات كل مذكور من شجعانهم وحمسائهم، واستحوذت القبائل على أموالهم وولدانهم ونسائهم[30]، ونجا الشقي في نفر قليل الى جهة الإبل فاتخذ حصنا، وجعلها لبناء فراره من زلازل الجحافل ركنا، وحف من حف من الموحدين والعرب به فلم يبرحوا يتنسفون ما اعتصم به من النعم نسفا، وينسومونه في نفسه واصحابه خسفا، ولم يصرفهم عنه إلا إقبال الليل، وما انسحب له على الآفاق من ذيل.... وكانوا قد قدّموا الهوادج أمام الآبال، ودبروا أن تكون لهم حمى يرشقون من يريدها من خللها كالنبال، وقد قيل : النساء أغلال الرجال، والحريم مظنّة الآجال، فكرّوا عندها مستميتين، ودافعوا عنها للنفوس الدنية منها مفيتين، ولم يزالوا في اثناء انهزامهم يعطفون عند خدورهم، وأنامل العوامل تجذب أرواحهم من صدورهم، وبساط ما قدّموه من أموال وعيال يطوى بقبضهم، وجانب الحق يعلو كلما جد الجد (في خفضهم، وقبائل الموحدين على راياتهم تركض في آثارهم[31]،) حتى أسلموا ماكانوا عنه يدافعون قهرا، وأسالت جداول المناصل من دمائهم نهرا....

....ولم ينج عدو الله الا بذَمائه، وغادر في المعترك وجوهَ أهله وقرابته[32] وأصحابه وأحبّائه، فيما راى يوما قط أشد منه عليه، ولا انتهى به الامر مذ كان الى ما انتهى به الآن اليه[33]، والموحدوّن على أولهم في طِلابه، والولوج عليه حيث يمّم من أبوابه[34]....

(27) اقتباس من الآية الكريمة : «ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص».

(28) السواد هو شعار التبعية للعباسيين (ولو اسميا).

(29) في العادة ان العرب فرسان والزناتيين حلفاء ابن غانية فرسان ايضا، فممن يكون الرجالة هل من الغزّ ام من بربر آخرين؟ انظر وصف صاحب البيان للمعركة (231 — 232).

(30) ما بين هلالين اضافة من الاسكوريال (محقق الاعتاب).

(31) في نسخة خ ع : «اهله وقواده...» وكان من قتلى المعركة محمد بن الغازي ابن عم يحيى ابن غانية (الروض المعطار 604.

(32) فعلا فإنّ هذه الهزيمة ستؤخر ظهور ابن غانية لعدة سنوات.

(33) بعد المعركة وفرار ابن غانية منها ستتبعه حملة موحدية إلى شرق طرابلس.

(34) انتهت المعركة بانتصار الموحدين وامتلاء ايديهم بالاسرى والغنائم، ومات في هذه المعركة من معسكر ابن غانية : محمد بن مسعود شيخ الدواودة وابن عمه حركات ابن ابي الشيخ، وشيخ بني قرة، وكبير مغراوة، ومحمد ابن الغازي بن غانية وجمع من اعيان العرب الرياحيين وزغب... وخلق من الملثمين وزناتة... (العبر 6/ 47 و404 و586 والروض المعطار 604).

الرسالة الثانية والستون :

رسالة الشيخ عبد الواحد والي افريقية
إلى حاكم بيشة حول تعاقد مع الموحدين

تقديم .

هذه الرسالة مؤرخة ب 28 ربيع الاول 607 كتبت عن الشيخ ابي محمد عبد الواحد ابن ابي حفص الهنتاني جد الملوك الحفصيين اثناء ولايته على افريقية من قبل الناصر، وهي رسالة جوابية الى حكومة بيشة يذكر فيها توصله ب «كتاب» من حاكمها يؤكد فيه التمسك بما انعقد مع الموحدين من «العهد» وعدم الاضرار بالمسلمين، ولذا يطمئن الشيخ عبد الواحد حاكم بيشة على معاملة رعاياه بالمثل من طرف المسلمين[1]

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما،

إلى القنصر[2] الاجل كُذفِري دَسَكُونْتْ[3] وفقه الله ويسّره لما يرضاه، من عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص[4]؛ أما بعدَ حمدِ الله تعالى، والصلاةِ على سيدنا محمد ورسوله الكريم المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبى، وعن الخلفاء[5] الأئمة الراشدين إلى سَننه الأهدَى، والدعاء لسيدنا الإمام الخليفَة النّاصر لدينِ الله أمير المومنين بن الخلفاء[5] الأيمة الراشدين بدوام لنصر الأعز الأسنَى، واتصالِ الفتح الأتم الاوفَى،

فالكتاب إليكم ـــ وفقكم الله لما يرضاه، ويسّركم لهداه ـــ من تونس ـــ حرسها الله ـــ وبركة هذا الامر العزيز ـــ ادامه الله ـــ بأمره الانوار متعرّفة في الايراد والإصدار[6]، جارية للاولياء

---

(1) وردت هذه الرسالة عند اماري في (ديلومي) تحت عدد 26.

(2) راجع الهامش 3 على الرسالة رقم 47.

(3) في الترجمة الايطالية : «Goffredo de visconti ?».

(4) الشيخ عبد الواحد الحفصي ولاّه الناصر شؤون افريقية تفويضا سنة 603 وذلك لمواجهة مشاكلها وخاصة مع بني غانية، وسيعلن ابناؤه الاستقلال عن الدولة الموحدية (راجع الفصل الرابع، الفقرة «ج»).

(5) الهمزة محذوفة في الاصل المعتمد.

(6) في (ام) : والاحذار.

بموافقة[7] الغرض والاختيار، حاملة كل من تمسك بعهده ووفّى بربطه وعَقده على سبيل الاكرام وستر الايثار:

وقد وصل كتابكم ــ وفقكم الله ــ وعُرف منه ما قررتموه من تمسّكِكُم بما عقدتموه من عهد الامر العظيم، وسلوكِكم في الوفاء به والمحافظةِ له على الصراط المستقيم، وأورد رسولكم ــ جراردو ــ وفقه الله ــ ما أنهيتم من ذلكم، وأبديتم له من محمود أفعالكم في السلم وأعمالكم، وأن كل من يسافر مِن قِبلكم تؤكدون عليه في محاشاة[8] المسلمين (و....)[9]، ومجانبة التصدي لضررهم وتصرفهم وسعيهم، وقد عُلم ذلكم ــ وفقكم الله ــ من أعمالكم، وعُرف من أفعالكم، وظهر من أصحابكم المسافرين ورجالكم، فعهدُكم عند الموحدين مشكور، واستظهارُكم بالوفاء مذكور ؛ وبحسب ذلكم جرى العمل مع كل من يصل من جهتكم، أو ينتسب الى حوزتكم[10] في رعي جانبه، وتيسير مَطالبه وتسهيل مآربه[11]، وحملِه من الحفظ والحماية على الوجه الاحرى به ؛ فاعلموا (أن)[12] ذلكم من جميل الغرض فيكم، وحميدِ النظر لكل من يصل من نواحيكم، إن شاء الله، وكُتب في الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة سبع وستمائة[13] .

القنصر[2] الاجل كدفري دسكونت[3] صاحب
بيش وفقه الله ويسره لما يرضاه.

---

(7) في (ام) : الفاء والقاف غير واضحين.

(8) في (ام) :مخاشاة.

(9) كلمة غير واضحة في (ام)، صححها اماري هكذا : (واموالهم)، ديلومي ص 412.

(10) في (ام) : جوزتكم، وصححها اماري : جورتكم.

(11) في (ام) : مأربه.

(12) كلمة ناقصة في (ام) : اضيفت ليستقيم التعبير.

(13) هذا التاريخ يوافق 19 سبتمبر 1210 م (T.C) بينما وضع في الترجمة الايطالية التاريخ الموافق هو يوم 9 سبتمبر 1211 وهذا يوافق في الواقع 28 ربيع الاول سنة 608 (T.C) فيكون غير مطابق للنص العربي.

الرسالة الثالثة والستون :

رسالة والي جيان إلى ملك قشتالة حول انتهاك الهدنة

تقديم :

منذ اتمام فتح الموحدين للجزائر الشرقية (البليار) ازدادت علاقاتهم توترا مع ارغون وخاصة بعدما ضرب الاسطول الموحدي سواحلها سنة 607، فاستولت على عدد من الحصون بولاية بلنسية وفي هذه الفترة اخذت قشتالة تطمئن الى جاراتها من الامارات النصرانية بعقد اتفاقات ثنائية مما شجعها على خرق الهدنة التي كانت بينها وبين الموحدين منذ سنة 600[1]، فوصلت مجموعة من القشتاليين فرسانا ورجالة يساندهم بعض الارغونيين الى ولاية جيان وعاثت فيها واخذت عددا من الأسرى والغنائم، وذلك سنة 607 فيما يبدو. فكتب والي جيان السيد ابو زيد عبد الرحمن ابن الخليفة عبد المومن الى ملك قشتالة يذكره بضرورة احترام الهدنة ومعاقبة الجناة، والرسالة غير مؤرخة، وهي من انشاء ابي القاسم البلوي[2] في مخطوطه العطاء الجزيل (ص 53 — 54) ضمن الفصل الذي خصصه للرسائل المتعلقة بالتقريع، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

ع/53 من عبد الرحمان بن سيدنا الخليفة امير المومنين[3] الى ملك قشتالة وطليطلة وغشكونية[4]، تولى الله كرامته بتقواه، وألهمه الى ما فيه رضاه.

اما بعد حمد الله تعالى (الى آخر الصدر)[5].

---

(1) انظر البيان 218، وفي الفصل الرابع خصوصيات هذه الرسالة ثم الدراسة العامة.

(2) توجد ترجمته في مقدمة البحث.

(3) كان عبد الرحمان بن عبد المومن واليا على سجلماسة فنقل عنها الى ولاية جيان سنة 607 (البيان 234 والعبر 6/ 521)، وكانت اولى ولاياته على السوس من قبل ابيه عبد المومن (البيذق 77) وتولى على غرناطة سنة 579) ثم عينه المنصور بعد الارك على اشبيلية سنة 594 (البيان 213، والعبر 6/ 513). ولاه الناصر على افريقية سنة 596 (البيان 214 والرسائل رقم 46 و48 و50 و52 و53) ويشهد صاحب الذيل على ان البلوي كتب عن السيد ابي زيد عبد الرحمان بن عبد المومن (الذيل س 1/ 455).

(4) هو الفونسُو الثامن (النبيل) المنهزم في معركة الارك.

(5) كذا في المخطوط وسنرى مثل هذا في الرسالة رقم 90، انظر نموذجا لصدر رسالة اخرى من انشاء البلوي وهي رقم 77.

فالكتاب اليكم — وفقكم الله — من جيان[6] — كلأها الله تعالى — وكلمةُ الحق عالية، ونِعمُ الله سبحانه متوالية، وبركاتُ الامر العزيز ادامه الله — متتالية، والحمد لله رب العالمين ؛ وتعلمون ما بين الموحدين — اعزهم الله — وبينكم من العهود المبرمة، والعقود المربوطة المحكَمة، التي يجب الانتهاء اليها، والوفاء بها والوقوف لديها، ويحق العقاب على من قدح فيها من الرعية واعتدى عليها ؛ وقد طرأ في هذه الايام مابرِح فيه الخفاء، وعظُم فيه مِن فاعليه الجَفاء، وذلكم أن جملة كبيرة من خيل النصارى ورَجْلهم خرجوا من بلادكم، وضربوا أحواز شقورة[7] وغيرها من الحصون الراجعة الى نظر جيان حاط الله جميعها، واحتملوا عددا من أسارى المسلمين ودوابهم، واكتسحوا جملة كبرى من البقر والغنم، وساحلوا خلال هذه الجهات مجاهرين بالمفاتنة، موقدين نار المحاربة، لا يستترون بسِجفٍ من الحياء، ولا يَثنون عنانا من التبسط في الاعتداء، كأنهم لا يرجعون الى ملك يملكهم، ولا يخافون من حاكم يحكمهم، طغيانا منهم وعنادا، وخَترًا بميثاق الموحدين — أعزهم الله — الذي لا يسع لبسا ولا يقبل دخلا ولا يحمل فسادا ؛ وما يُفعل أبدا في حال المحاربة والمفاتنة، أكثر مما فُعل الآن في حال المسالمة والمهادنة، وقد عوينوا وميّزوا، وتحقق قواد هذه الجهات — انجدهم الله — أنهم من رجالكم، وأنهم خرجوا من بلادكم، وأنه كان منهم الدليل فلان بن فلانة[8]، والدليل فلان ابن فلانة[8]، ونكثُ العهود ما لا يرتضيه مِثلكم، ولا يمشّيه لفاعليه قولكم ولا فعلكم، وقد عجبنا من حدوث هذه الكائنة الشنيعة في مدة السِّلم المربوطة، مع المظنة بكم من حِفظ العقود، وايثار الوفاء بالعهود، ولو كانت/ هذه النازلة صغيرة (.....[9])[10] ولكنها من الكِبر واستطارة الشرر (....في أقطار المـ...[9].)[11] النائية عنكم، فكيف عن من الرجالُ الفاعلون رجالُه، والبلاد التي خرجوا منها بلاده، (....[9])[12] المسلمين مقبوضة عنهم (....[9])[13] من المحافظة على شروطهم والوقوف عند عرض إمامهم أيده الله ونصره، وهم يتبسطون هذا التبسط في هذا الاعتداء، وينتهون الى مثل هذا الانتهاء، من ضرب البلاد وإخافة (العباد ؟)، وما كفى ضررُ اللصوص الذين (قلّ)[14] ما انقطعت في وقت من الاوقات مضرتهم للعباد، وقلّ ما خلت منهم أطراف البلاد، حتى يتجاوز ذلك الى المجاهرة، بمثل هذه الفعلة المنكرة، وفي الاغضاء عن بعض هذا القدر، والتسامح

ع/54

---

(6) جيان : يصف الادريسي حالتها الزراعية وحصانتها بقوله : «.... ولها قصبة من امنع القصاب واحصنها، يرتقى اليها على طريق مثل مدرج النمل، «...(ص 568، ن ايطالية، انظر ايضا الروض المعطار ص 183).

(7) شقورة : «حصن شقورة كالمدينة عامر بأهله وهو في رأس جبل عظيم متصل منيع الجهة حسن البنية «(الادريسي ص 560 — 561، ن ايطالية) انظر معجم البلدان ج 3 (مادة شقورة).

(8) كذا في المخطوط، انظر الهامش 17 بعد.

(9) ما بين هلالين اصيب في المخطوط بالرطوبة، فامكن قراءة بعض كلماته بصعوبة.

(10) سطر في المخطوط غير واضح.

(11) حوالي خمس كلمات غير واضحة.

(12) كلمتان غير واضحتين ولعلهما : (ولا تزال ايدي) او (وكانت ايدي).

(13) ثلاث كلمات غير واضحة.

(14) حرف القاف غير واضح.

في مثل هذا الغدر، من الاخلال بحقوق المسالمة والانحلال في ربوط المهادنة ما لا يليق بوفائكم، ولا يحسنُ أن تُقرّوا احدا من رجالكم عليه بوجه من وجوه آرائكم، إما سَلمٌ فَسَلْم يحافَظ عليها، واماحربٌ فحربٌ يجازى بها ويُصرَف النظر اليها[15].

وهذا الذي عرّفناكم به لا جواب عند الفاعلين عليه الا بحثكم عنهم، واشتدادكم في تعجيل الانصاف منهم، فان جريمتهم التي أجرموها ليست مما يدفع بالجحد والانكار، ولا مما يصح أن يُتبرأ منه ويعزَى الى الأغيار، فقد مُيّزوا بأعينهم وأسمائهم، وعُرفوا بقائدهم ودليلهم، وحُفظوا بغدوّهم ورواحهم ومأتاهم ومتقلَّبِهم ؛ وأما قول من يقول ان الفاعلين لهذه الكائنة هم من أرغون[16]، فمحالٌ من القول وغير سائغ في القياس، فإن تلك الارض التي دخلوا عليها أرضُكم، وتلك البلاد بلادُكم، وما يصح أن يجتاز عليها أرغوني الا بتواطؤ مع قوادها، وتوافقٍ من رجالكم الذين فيها، ولو أراد أهلٍ بلادكم تلك ألاّ يُشَاكَ مسلم من أهل هذه الجهات بشوكة من جهة أرغون لما كان ذلك، وقد كُشف بالبحث عن حقيقة الفاعلين وتُحققَ انه لم يكن فيهم من ارغون الا نحو خمسين فارسا خاصة وسائرُ المئين من الرجالة والفرسان الذين كانوا معهم وذلك نحو الفٍ واربعِ مائة راجل ونحو مائة وخمسين فارسا إنما كانوا من بلادكم وإنما كان فيهم من سمّيناه لكم في هذا الكتاب[17]، وما هذا بجائز في حق السِّلْم، فان كان ثَمَّ سَلمٌ فتُحفَظ شروطها، وتُكَفّ العادية فيها، ويُنصف من المخلّين بها ؛ وأنتم ــ بحول الله ــ تفعلون في هذه الكائنة ما يجب فعله في حقوق السلم مما يظهر ولا يخفَى، وتمتعضون منها امتعاض الملك الأوفَى، وتنظرون في تلافيها، وجبرِ جميع ما انتهب فيها، نَظَرَ مَن يغار على عَقده أن يُنقَض، وعلى عهده أن يُخَلّ به ويُرفَض.

ولإهمام الأمر عندنا قد وجّهنا اليكم بهذه المخاطبة أرسالنا ــ سلَّمهم الله ــ ليشاهدوا ما يكون منكم في ذلك، ويروا ما تفعلون فيه هنالك، فتعرّفوننا صحبتهم بما طرأ عندكم في السلم المعقودة، والعهود المعهودة، وهل هي باقية فيوقَفُ عندها ويحافظ عليها، او مختلة فتعرَّف بذلك الحضرة الامامية ــ أيدها الله ــ ويُرفَع الامر اليها ؛ والله يوفّق الجميع الى ما فيه رضاه، ويعين في كل حال على ما تَحمُّل عقباه، ويتولى كرامتكم بتقواه،بمنه لا رب غيره ولا معبود سواه، ولا إلاه حاشاه[18].

---

(15) ورد في البيان : ان وفدا من اهل شرق الاندلس وفد على الناصر سنة 607 يشتكي من تعديات قشتالة، (ص 236) وذكر صاحب المعجب ان المهادنة في هذه الفترة انتقضت بين الناصر والاذفونش (ص 318) انظر في الفصل الرابع خصوصيات هذه الرسالة، وكذلك في الدراسة التاريخية الفقرة الاولى رقم 3.

(16) كانت قشتالة وارغون في هذه الفترة على وفاق بينهما، انظر عنان في تاريخ المرابطين والموحدين 2/ 604 ــ 605.

(17) هذا دليل على أن الأسماء في الأصل كانت مذكورة ثم حذفت فيما بعد وعوضت بفلان ابن فلانة.

(18) التعبير يناسب مخاطبة النصارى المؤمنين بالتثليث.

الرسائل رقم 64 و65 و66 :

والي إشبيلية يخبر الخليفة الناصر بقرب انتهاء الهدنة، ويتوصل منه بالاذن له للورود عليه

تقديم :

في رسالة بالمخطوط الخاص (ص 330 ــ 332) صادرة عن والى اشبيلية إلى الخليفة الناصر، وخالية من التاريخ، ورد الحديث عن قرب انتهاء اجل الهدنة مع النصارى، ولعل المقصود بهذا قشتالة التي استمرت هدنة الموحدين معها الى سنة 607 فنقضتها او رفضت تجديدها، وفي هذه الرسالة ايضا يستأذن الوالي ملاقاة الخليفة، وفي رسالة اخرى على الصفحة 332 بنفس المخطوط توجد الاشارة الى قبول الخليفة لهذا الطلب، وعلى اثر ذلك تحرك الوالي ليلتقي بالخليفة كما تذكر رسالته بنفس المخطوط (ص 332 ــ 333) هذه الرسائل الثلاث صادرة كلها عن نفس الوالي ومن انشاء الكاتب ابي العباس ابن جعفر[1]، والمعروف ان والي اشبيلية السيد ابا اسحاق ابراهيم بن الخليفة المنصور (605 ــ 607) طلب اعفاءه من مهمته فاعفاه الناصر منها، وولى مكانه ابا اسحاق ابراهيم ابن الخليفة يوسف سنة 607[2] وهي السنة التي تحرك فيها الناصر من مراكش نحو الاندلس، ولعل هذ الوالي استأذن في لقاء الخليفة خلال هذه الحركة[3]، وهذه نصوص الرسائل الثلاث على التوالي :

الرسالة الرابعة والستون :

م خ/330 ...[4]وبعدَ حمدِ الله معلي كلمة التوحيد، الفاتح لها الفتح القريب في المكان البعيد، «ذلك فضل الله يوتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[5] والصلاةِ على محمد رسوله بالوعد والوعيد، والمبدي[6] في تبيين الشريعة والمعيد، والهادي بإذن الله الى صراط مستقيم، والرضى عن الامام

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) البيان 234، والمعجب (308 ــ 309) والعبر 6/ 524.

(3) كان من عادة الولاة بالاندلس ان يستقبلوا او يودعوا الخليفة عند نقطة العبور او النزول على المضيق من الجهة الاندلسية.

(4) قارن مع رسائل اخرى لنفس الكاتب حول صدر الرسالة مثل الرسالة رقم 70.

(5) الآية 4 من سورة الجمعة.

(6) كذا في الاصل بدون همزة والاصوب : المبدىء.

المعصوم، المهدي المعلوم بالدليل الواضح والشهيد، مؤنس الدين حين استوحش استيحاش الغريب الوحيد، وطبيبه حين تضاءل في أسمال سقيم، وعن ا لخلفاء الراشدين القائمين بامره الحميد، والقاصمين من عُداته كل جبار عنيد، حتى وضحت معالم الحق بعد طُسوم الرسوم، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الامام الناصر لدين الله امير المومنين ابن الخلفاء الراشدين المرشدين بنصر عتيد، وفتوح لا يزال في مزيد، والله سميع عليم.

فكتب عبد[7] جلالها، وشاكر أفضالها ــ كتب الله لها الظهور على كل عدو مسالم او محارب، وفتحَ لها الفتح الموعود في المشارق والمغارب ــ من اشبيلية ــ حرسها الله ــ وبركات الحضرة الامامية ــ ايدها الله ــ يبهر الالباب ظهورُها، وتزخر في الشرق والغرب عذبةً بحورُها، ويفيض على كافة البلد فيض الشمس على كل مكان نورُها، وبشائرُها الكبر يُبهج سفورُها، وتَروق اعجازُها كما تروق صدورها، ولله عليها الحمد الذي تَنمِي به أقسامها وتُشرق بدُورها ؛ والذي يعتكف عبد الحضرة الامامية عليه، وينصرف باخلص العمل وابلغ النية اليه، من النصيحة في خدمتها، والتضرع الى الله في شكر نعمتها، والعلم بقدر عطفها الكريم، والتفاتها العميم / ورحمتها، وبذل الجهد في ابتغاء مرضاتها، واستنفاذ الوسع في اداء مفترضاتها، والمحافظة على تمشية أوامرها العلية، والسرور بما صنع الله لها من المصنوعات السنية لا يزال يَنمي ويزيد، وينشأ كما ينشأ الوليد، ولا يبرح يتتابه التقرير والتكرير والترديد والتوكيد، تقربا الى الله باداء الواجب من ذلك والفرض، اوعملا يجده مُحضَرا يوم الجزاء والعرض، والله يُنهضه بواجباتها، ويوزعه شكر مِنحها العظيمة وهِباتها.

م خ/331

ومما وجب به إعلام الحضرة الامامية ــ ايدها الله ــ أن أحوال هذه الجهات ببركتها جارية على الصلاح المتصل، والهدنة المستمرة والخير المشتمل، وقد امتد ظل الامان، واقتبل شباب الزمان، وتمكنت طمأنينة القلوب، وقضى بالمومنين للحسنيين الاياب الكريم، والالتفات العميم، كل مرغوب ومطلوب، والنعم وافية والغبطة ظاهرة، وآيات الظهور على الاعداء باهرة؛ والناس مشتغلون بضم زرعهم، شاكرون لله على الخير الذي استقبلهم والاعتزاز الذي اظلهم، **والروم مغتبطون** بسَلمهم لما تقررَ مِن نصر الله (لأمر الله)[8] لأمره العزيز على من حاربه في علمهم ؛ **غير أنّ أمدَ الصلح لم يبق منه إلا نحوُ شهرين** ؛ والله يُجري الاحوال ببركتها في كل مستقبل على أفضل معهود، ويعرّفها الخير والخِيَرة واليمن والبركة في كل مَنويٍّ مقصود،

وقد ورد على عبد إحسانها، وشاكر امتنانها، كتابُها المعظّمُ الكريم المتضمن من عظيم البشارات، وكريم الاشارات ما يُعزّ الله به الآمال، ويُصلح به المساعي كلها والأعمال ؛ فتلقّاه تلقّيَ امثاله، وتضرّع الى الله في أن يجازي المقام الإمامي بأفضل الجزاء على كريم التفاته واهتباله، وأن يُعِين على تمشية غرضه الكريم وتنفيذ أمره المطاع وامتثاله.

فأما ما تضمّن من مُشارَفة الحضرة الامامية ثنايا البلاد[9]، ووعدها بالخير الذي استقبل كافة

(7) قد يكون هو والى اشبيلية السيد ابا اسحاق ابراهيم ابن المنصور (605 ــ 607) حسب المعجب (308 ــ 309) والبيان (230 و 234) وقد يكون هو خلفه السيد ابا اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف المتولي على اشبيلية سنة 607، انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع.

(8) كذا في الاصل ولعلها جملة زائدة.

(9) راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع.

العباد فتلكم نعمة لا يُحصَر السرور بها ولا يُحصى، ولا يزال الشكر عليها ينتهي في الاحتفال والاتصال الى الامد الاقصى ؛ فيالها من مسرّة عظيمة ومنّة جسيمة، وبشارة شاملة عميمة تشرق بها كلُّ جهة نورا، وتكاد تَهُشّ اليها المغاني فضلا عن اهلها بهجة وسرورا، وتَشمَخ بها كل ناحية من نواحي المسلمين عزة وظهورا، ويدعو لها الكافرون حيث كانوا ثبورا ؛ والحمد لله على ما صنع للحضرة الامامية في هذ الحركة السَّنية/ من الصنع الجميل، والحمد لله على ما عرفها فيها من التمكين والتكريم والتيسير والتسهيل. م خ/332

ولعبد الحضرة الامامية — ايدها الله — **صَبابة الى لقائها** وحرصٌ عليه، ورغبة أكيدة فيه وتشوفٌ اليه، ولولا أنه لا يمكنه الإقدام على حركة إلا بإذنها الكريم لَطَوى المراحل شوقا اليها، ولَسابق الارواح في الوفادة عليها، ولكنه يتحصل بَرحُ الشوق في انتظار الاذن الكريم ولو أقام على الجمر، ولا يُقدم على القدوم بغير أمر، وفضلُ الحضرة الامامية — ايدها الله — يسعفه من ذلك بمرغوبه، وييسر عليه في مطلوبه، بفضل الله...

الرسالة الخامسة والستون :

م خ/332

...وبعدُ — وصل الله للحضرة الإمامية ما عوّدها من نصر اعلامها، واعلاء مقامها، واوزع شكر إحسانها العميم وإنعامها — فإن عبد[1] نعمها وآلائها، لم يزل يشتد به الحرص على لقائها ويتصل منه التشوّف الى إحياء النفس، وتمكين الأنس برؤية علائها، وينتهي به الشوق اليها الى غاية منتهاه، ويتجاوز به الكَلَفُ بمشاهدتها حدّه ومداه، ولم تزل رغبته الى الله في تعجيل لقائها شديدة، ويد ضراعتها في تيسير ذلك ممدودة، وثقته بالإسعاف في ذلك بعظيم فضائل الحضرة الامامية وعميم أياديها المعهودة[2]، إلى أن ورد عليّ كتابها المعظم الكريم، بما اقتضاه إنعامها السابغ وفضلها العظيم، من **إسعاف الرغبة في الحركة اليها**، وقبول الضراعة في الاذن بالورود عليها ؛ فكان له ورود الماء على الغليل، والشفاء على العليل، ونزلت به على العبد الرحمة، وكبُرت لديه بوروده النعمة، وعظُم به السرور، وسُرَّ به البشير ؛ وما عسى أن يقرر العبد من سروره بهذه النعمة وشكره عليها وسرورُه بها لا يحيط به حدّ، وشكرُه عليها لا يأخذه حصر ولا يضبطه عدّ، والله يجازيها على أياديها المتظاهرة، وملابسِ نعمها الفاخرة، ويُبّلغها كافة أملها في الدنيا والآخرة[3]...

---

(1) راجع عن هذا الوالي الهامش رقم 7 على الرسالة السابقة.

(2) كذا والصواب معهودة، وقد ورد في الرسالة السابقة ذكر مطلب هذا الوالي بالقدوم على الخليفة.

(3) قارن مثلا مع خاتمة الرسالة رقم 70.

م خ/332

الرسالة السادسة والستون :

....وبعدُ ــ وصل الله للحضرة الامامية أسباب السعود، ويسّر لها إنجاز الفتح الموعود ــ فان عبد نعمتها الباذل جهده في خدمتها **قد وصل هذا الموضع المكرم**[1] ــ كلأه الله ــ **مستبشرا بالقرب من رحمتها**، متبركا بالدنوّ من كرم لحظتها، واثقا من الخير العظيم، والالتفات الكريم، بما يثق به من كانت الحضرة الامامية ــ ايدها الله ــ غايتَه المقصودة/ ،وحرمَه الميمّم وشريعته المورودة ؛ وعَلِمَ الله أنه ما عنده من التشوف[2] الى لقائها الذي هو أعظم البركات، ومِن شكر الله على تأتّي الحركة نحوها التي هي اسعد الحركات، ومن الحرص على تعجيل الوصول، والعمل على الجد في السير مسارعة الى المرجو من لقائها والمأمول ؛ والعبد الآن متوجه في اثر هذا المكتوب، ومنحفز جهده ــ ان شاء الله ــ في بلوغ المطلوب من رؤية الحضرة الامامية ونيل المرغوب، ومتضرع الى الله في أن يجعل تصرّفه في كل حال واقعا بوُفق الحضرة الامامية، جاريا على حسب أنحائها الكريمة وأغراضها العلية، محتظيّاً في الحالين الدنيوية والأخروية ؛ والله ينفعه بما يستصحبه في حقها من العمل ويخلصه في مرضاتها من النية[3]...

م خ/333

---

(1) يذكر صاحب القرطاس ان ولاة الاندلس استقبلوا الناصر عند مدينة طريف في اتجاهه من المغرب الى اشبيلية (ص 234) فهل الوالي كان يقصد هذه المدينة ؟ راجع الفصل الرابع.

(2) الحرف الاخير غير منقوط في المخطوط فيمكن ان تقرأ (التشوف).

(3) بالمقارنة مع بقية الرسائل يتضح ان هذه الرسالة مبتورة الاخير كما هي مبتورة البداية.

الرسالة رقم 67 ورقم 68 :

رسالتان عن الناصر معلما بفتح شلبطرة ثم «بالاعتذار» عن هزيمة «العقاب»

تقديم :

قبل انتهاء مدة الهدنة بين الناصر وقشتالة قامت قواتها بالاستيلاء على حصن شلبطرة القريب من قلعة رباح فاصبح مركزا لتحركات القشتاليين وعيثهم في ولاية جيّان، وبعد جواز الناصر الى الاندلس في آخر سنة 607 (بداية صيف 1211) فضّل البدء بالسيطرة على حصن شلبطرة المنيع الذي استنزف جهدا من القوات الموحدية الرئيسية، ولما تم فتحه خلال سنة 608 وجه الناصر بالبشرى الى ولايات دولته ومنها ولاية افريقية ؛، وقد أورد كل من صاحبي الروض المعطار والبيان المغرب، فصلا من هذه الرسالة التي أنشأها ابن عياش[1] بتاريخ 12 ربيع الأول 608 (حسب صاحب البيان)[2]، غير ان مفعول هذا النصر زال بسرعة بعد ان انهزمت جيوش الناصر امام القوات الصليبية التي كان يسيرها ملك قشتالة، وعرف موقع المعركة في المصادر العربية «بالعقاب» في منطقة الممرات الرئيسية بين طليطلة شمالا وولايتي جيان وقرطبة جنوبا، فكتب الناصر «معتذرا» عن الهزيمة بتاريخ أواخر صفر 609 ومن انشاء كاتبه المذكور ابن عياش، وقد أورد صاحب البيان المغرب[3] بعض فصول هذه الرسالة، وهذان نصّا الرسالتين على التوالي :

الرسالة رقم (67) عن فتح شلبطرة :

....[4] ((وهذا كتابنا اليكم من منزل الموحدين بمنزل أندوجر)) .... [وإلى هذا ــ وفقكم الله وأوزعكم شكر نعماه ــ فان النصرانية لما طال بالقتال عهدها[5]، وكاد ينسى وطءَ الخيول غَورُها

ملاحظة : حول الرموز المعبّرة عن نسخ الخزانة الحسنية (خ ح) راجع الملاحظة المسجلة على هامش الرسالة التاسعة.

ــ بالنسبة للرسالة الأولى : ما بين هلالين مزدوجين (( )) : اضافة من الروض المعطار، وما بين معقفين [ ] : ناقص في الروض المعطار.

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) البيان ص (238 ــ 240) ط تطوان.

(3) البيان (241 ــ 242).

(4) ورد في الروض المعطار قبل هذا : «ولما ملك الناصر حصن شلبطرة نفذت عنه المخاطبات بهذا الفتح فمن فصل من ذلك خاطب به صاحب افريقية حينئذ الشيخ المعظم ابا محمد عبد الواحد : وهذا كتابنا... (344 ــ 345).

(5) كذا في نسخ الخزانة الحسنية (خ ح) ونسخة (ق) الخزانة العامة، وفي خ ح/ 6 وطبعة تطوان : عهده.

ونجدها، وأن السلم الذي كان بين الموحدين وبين صاحب قشتالة حان[6] أن ينقضي اجله وحدُّه، بلغ الينا (أنها)[7] اهمت[8] بأن توقد نار الحرب التي كم أحرقها وقدُه[9] ؛ وكان الموحدون بعد قفولهم من الشرق[10] لا يزالون على النية للغزو والجهاد في سبيل الله بالأعراب ومن يليهم، قاصيهم ودانيهم[11]، فأتت منهم أمم لا يعلمهم الا الله ولا يحصيهم؛ وجاؤوا كأمواج البحار في جيوش لا يطل على مصباحها الساري والله مجازيهم بتظافرهم وتَواصيهم[12] ؛ وكان أئمة الكفر[13]الذين لا أيمان لهم ولا إيمان، ولا حجة على ما يدّعونه ولا برهان، قد وافاهم من رومة رسول إلاههم الأرضَى الذي[14] له يسجدون، وإياه يعبدون يامر باتفاقهم، وخلع بعضهم ما بقي من شروط الموحدين في أعناقهم، «ومَنْ نَكَثَ فَإنمَا يَنْكُثُ[15] عَلَى نَفْسِهِ»[16]، وشرط الله أوثق، وسيف الخليفة أمضى وأصدق ؛ فبينَاهم[17] يَجرون بالخلاء، ويجرّون فضول الخيلاء، ويدبّرون ما لا يتم، ويريدون ما لا يعصم من أمر الله ولا يَرِمّ[18] ، (اذ سمعوا بإجازتنا)[19] التي كانوا يرونها بعيدا ويراها[20] الله قريبا، وحلولنا بالاندلس التي نصرَ الله بها الدين الحنيف نازحَ الدار غريبا، فرأوا أن الحرب قد كشفت[21] لهم عن ساقها[22]، وأجلبت لهم من آفاقها].

ولما كان صاحب قشتالة اقرب من تعيّنت حربُه دارا، واكثرهم مهْما[23] استطاع[24] نكاية

---

(6) في خ ح/ 6 : جاوز. والملاحظة ان هذا المخطوط كثير الاخطاء فلم نشر هنا الى معظمها، وصاحب قشتالة هو الفونسو الثامن (النبيل) المنهزم في الارك (552 — 611/ 1158 — 1214 م).

(7) كلمة ناقصة في خ ح/ 6.

(8) كذا في جميع نسخ (خ ح) اما في ط تطوان : (همت).

(9) عن نقض الهدنة من طرف القشتاليين انظر الرسالة رقم 63 والفقرة الاولى (رقم 3) من الفصل الرابع

(10) يقصد حركة الناصر الى افريقية فيما بين 601 و 603.

(11) في خ ح/ 6 : وادانيهم.

(12) في خ ح/ 4 : نواصيهم.

(13) في خ ح/ 5 : الكفار.

(14) في خ ح/ : 4 الذين.

(15) في خ ح/5 : يمكث.

(16) الآية 10 من سورة الفتح : «فمن نكث...».

(17) في خ ح/6 : فبينما هم.

(18) في خ ح/6 : وردت العبارة هكذا : «فبينما يخرون بالخلاء ويدبرون مالا يتم، ويرون ما لا يعصم، من الله ولا يرم، اذ سمعوا...» والعبارة مضطربة في خ ح/ 5.

(19) في خ ح/3 محذوف ما بين الهلالين.

(20) في خ ح/6 : او يراها انه قريب.

(21) في خ ح/6 : تكشفت.

(22) في خ ح/5 : ساقيها.

(23) في خ ح/1 و2 و6 وط تطوان : مما.

(24) في خ ح/3 و 6 : اسطاع.

وإضرارا، كان اول[25] من نوينا، ووجب تقديم حربه[26] علينا، [وان كنا لم نخلّ بالاندلس الا وفصل الغزو قد ذهب جلّهُ ولم يبق الا أقلهُ ؛ ذلكم مما لقي[27] الناس في طريقهم من المطر المتدارِكِ، والوحلِ المقيِّد للاخامص[28] والسنابك، والسيولِ الخارقة بكل ارض جلد انهارا[29] ترمي غواربها الغدير[30] بالزبد حتى ذهب[31] بالجسور، وامتنع اكثرها من العبور، وفي النية من العزم اثناء هذه المحاولات والأمورِ، ما لا يعلمه الا الله «العليم بذات الصدور»[32]، ولكن ــ وفقكم الله ــ مع ضيق الأناء، وكون الفصل لم تبق[33] منه الا صبابة كصبابة الإناء[34] رأينا أن لا نخلي العام من غزو يذل الكافرين[35] في أرجائهم، ويجدد عهدهم بالسيف الذي لم يجف[36] بعد من دمائهم[37]].

وكان المعقلُ المعروف بشلبطرة[38] قد عُلّقت به حبائل الصلبان، [وتألّم ببقائه وسط البلاد قلبُ الايمان] ((وضجّ من ناقوسه ما في جهاته الاربع من التكبير والأذان[39]، مَرقَبُ الدّوّ،[40] وعُقابُ الجو، العَلَمُ المطل على الأعلام، والنّكتة السوداء التي بقيت في بساط الاسلام، والخبأة الطلِعَة، الذي لا حال للمسلمين معه))، قد جعلته النصرانية الى كل غاية جناحا، وأعدته لأبواب[41] ((المعاقل و)) المدائن مفتاحا، [تهان[42] شعائر الله في سنامه وبطحائه، ودين الحق عن يمينه وشماله وامامه وورائه، تعتقده الكفار حجّها (وجهادها)[43]، وتخدمه ملوكُها ورهبانها وبلادها[44]، وتسرّب اليه

(25) في الروض : اولى.

(26) في الروض : غزوة.

(27) كذا في نسخ خ ح، و في ط تطوان : القي.

(28) في نسخ خ ح : للأحامص (بالحاء).

(29) في خ ح/4 و5 : جلدانها ترمي.

(30) في خ ح/ 1 و6 : الغزير وفي/ 2 العزيز وفي / 3 و4 و5 : الغرير.

(31) في خ ج/ 4 : ذهبت.

(32) اقتباس من القرآن الكريم (المائدة 8 وغيرها).

(33) في خ ح/ 1 و 2 و 3 و ط تطوان : لم تبقى.

(34) في خ ح/ 6 : الانباء.

(35) في خ ح/ 6 : ويذل الكافر.

(36) في خ ح/ 5 : لم يخفى.

(37) في خ ح/ 6 : دنائهم.

(38) شلبطرة : انظر عنها الروض المعطار (344 ــ 345).

(39) هل هي اشارة الى توغل شلبطرة وسط الثغور الى الجنوب ام هي مبالغة ؟

(40) الدّوّ : بمعنى البرية، المفازة...

(41) في الروض : الى ابواب.

(42) في خ ح/ 5 : تهن، وفي / 6 : تهاين.

(43) ناقصة في خ ح/ 5.

(44) كذا في خ ح/ 3 و5 و6. وفي خ ح/4 : بلدانها وفي ط. تطوان : بلادانها.

درهمها وديناَرها، وتزعم انه يعصم دارها ويحط أوزارَها ؛ ومن الاتفاق ان الموحدين كانوا قد جعلوه في غزوة من الغزوات مُعرِّج ركابهم ومستوقف إيابهم، وما عسى ان يبلغ العزم وهم بسبب[45] انقلابهم، وقد قضوا من الغزو نهمتهم، فأقلعوا عنه لضرب من النظر، وأمّلوه الى حين[46] وكل شيء بحكم القضاء والقدر ؛ فازدادت فيه فتنة الكفار، ولولا[47] عادتهم في التشييد[48] مدى الاعصار، لا ستغنوا فيه بمجرد الوهم عن السلاح والاسوار[49] ؛ وما عَلِمَ القوم أن امر الله في مزيد، وأن سعده من جديد الى جديد، وأنهم ينازلون في وقت تكذب فيه ظنونهم، وترى ما لم تعهده عيونهم].

فاستخرنا الله ((تعالى)) في [50] في منازلته، [وشرعنا في الضروري[51] من أسباب محاولاته،] وقلنا هو يمين صاحب قشتالة إن قُطِعت قَعَدَ مَقعدَ الذليل[52]، ومَظنّةُ غيرةٍ[53] إن لم يتحرك لها فقد قام على ضعفه أوضح دليل[54]، [ثم إنّا قدّمنا اليه الأعراب رعيلا فرعيلا[55] ، وأطلقناهم عليه قبيلا (فقبيلا)[56]، وظهر في بسيطه زهاء أربعمائة فارس فقتّلوهم تقتيلا، ثم إنا تحركنا على الاثر في جيوشنا][57] ((ونحن في ذلك نبرأ من القوة والحوْل، ونتوكل على الله ذي الفضل والطوْل)) ؛ فقبْلَ النزول من السروج، ووضعِ المهنّد والوشيج، حيّاهم الناس[58] بكل ضرب وجيع، وموت وحِيٍّ سريع[59]، وملكوا عليهم أرباضهم[60]، وكانت من الذروة الى البطحاء فأضرموها[61] نارا من جميع الأنحاء، ((ونسخوا فيها آية النهار بالظلماء))، [ثم أمرنا بالمجانيق فزُحف بها اليه، تقذف

---

(45) في خ ح/ 4 : بحسب، وكلمة (عسى) ناقصة في خ ح/ 4.

(46) يبدو من هنا ان الموحدين سبق لهم ان حاصروا شلبطرة بدون نتيجة، انظر المعجب 319.

(47) في خ ح/ 5 : ولو.

(48) في ط تطوان و خ ح/ 5 : التشديد.

(59) اعتراف رسمي باهتمام الاسبان بالحصون والقلاع.

(50) في الروض : على.

(51) في خ ح/ 5 : في الضرورية.

(52) كذا في الروض، ووردت في ط تطوان هكذا : «ان قطعت قصد منه هذا الدليل».

(53) و(54) كذ في الروض، ووردت في ط تطوان : «ومظنته عن غيرته...ادلّ دَليل» وفي خ ح/ 5 : «ومظنة غيرته...ادل دَليل»، اي ان الهدف ــ حسب الرسالة ــ من منازلة حصن شلبطرة هو جسّ النبض لدى قشتالة لمعرفة مدى قوتها او ضعفها.

(55) في خ ح/ 5 و6 :...«الاعراب وكيلا واطلقناهم».

(56) ناقصة في خ ح/ 5 و 6.

(57) يبدو ان تأخر وصول الخليفة راجع إلى انه كان مشغولا بفتح حصن آخر هو حصن ألّلج، (الروض 344).

(58) في الروض : حباهم الله.

(59) في نسخ خ ح و ط تطوان : وموت وجيء سريع.

(60) في خ ح/ 1 و2 و3 و4 و5 : ارياضهم.

(61) في النسخ المذكورة وط تطوان : «واضرموها».

حجارة كالجبال عليه، وأنشيء عليهم سحاب[62] مكفهرّ من النبال، تتكسّر منه النصال (على النصال)[63]، فمن نجا من الحجارة أمثال الجبال، لم ينج من السهام أمثال الغمام المُنثال ؛ والسرايا مع الايام تجوس طليطلة[64] وأحوازها، والرعب يملأ أطراف البلاد وأحوازها، والنصرانية قد ضاقت على الرَّحب ساحتُها، وودّت لو يكون في الموت راحتُها]، ((فألقوا يد الاستسلام، وذَلّوا لعزة الاسلام، ورغبوا في أمدٍ يقيمون فيه الحجة على صاحبهم[65]، فأذنّا لرسلهم في التوجه اليه، لعلمنا أن ذلك أشد من وقع السيوف عليه ؛ فحين إذ وافته رسلهم اعترف لهم بالصَّغار، وقلة القوة على الانتصار))، [فخرج أهل المعقل المذكور] وفارقوه ((على تسليم الدار،)) لمن له عقبى الدار، ((فنبذنا اليهم بأنفسهم احتقارا، وساروا الى قومهم يحملون هموماً طوالا وآمالا قصارا)) ؛ وعلى اثرهم طهر الله ((تعالى)) المعقل من الأدران[66]، ((ورَقيت أعاليَه ألويةُ الإيمان))، وبدّل الله[67] فيه الناقوس بالأذان، وعادت الكنيسة مسجدا على تقوى من الله ورضوان[68]، (ورأى المسلمون قرة أعين لم يروا مثلها مذ أزمان[69]....)

---

(62) في خ ح/ 4 : سحائب.

(63) ناقصة في خ ح/ 6.

(64) راجع الهامش 4 على الرسالة 37.

(65) يقصد ملك قشتالة فيما يبدو.

(66) في ط تطوان ونسخ الحسنية : «من الاقذار»... وهي لا تناسب ما بعدها من سجع.

(67) في الروض : وبدل الله عز وجل فيه....

(68) في الروض : «وحولنا كنيسته مسجدا ومنبراً على تقوى من الله ورضوان»، وهنا ينتهي النص في الروض.

(69) في خ ح/ 4 وط تطوان : «مذ زمان». بعد هذه الكلمة وردت الجلمة الآتية : «وخلصت القلعة للموحدين في التاريخ المذكور قبل» وغير واضح ما اذا كان هذا جزءاً من الرسالة، والارجح انه اضافة من المصدر الذي نقل عنه ابن عذاري، وقد ذكر في تقديمه لهذه الرسالة انها كتبت في ثاني ربيع الاخر (سنة 608).

الرسالة (رقم 68) عن الهزيمة «بالعقاب».

...[1] وإلى هذا ــ وفقكم الله وأعانكم على ما يحبه ويرضاه ــ فإن صاحب قشتالة لما كان في العام السالف قد ضعُف عن الانتصار، وكاد يخفى في بلاده حتى عن الأبصار[2]، رأى أن يضرع للملوك اهل ملته ضراعة الاسيف، ويصانعهم على معونته بالتالد والطريف، ويسترحِمَهُم عسى ان يجد عندهم رقة القوي على الضعيف ؛ فبثّ القسيسين والرهبان من برتقال الى القسطنطينية[3] العظمى، ينادون في البلاد من البحر الرومي الى البحر الاخضر[4] : غوثا غوثا ورحمى رحمى، فجاءه عبّاد الصليب من كل فج عميق، ومكان سحيق، فأقبلوا إليه إقبال الليل والنهار، من رؤوس الجبال وأسياف البحار، وكان أولهم سبقا الافرنج[5] المتوغلون في الشرق والشمال[6]، ثم تابعهم البرجلوني[7] بما عنده من العُدد والرجال، وكان صاحب نبرّة متعلقا من الموحدين بذمام[8]، ومنقادا لهم[9] ابدا في أسمح زمام، فسخط عليه صاحب رومة[10] ان لم يكن لقومه معسكِرا، ولسواد أهل ملته مُكثِرا[11]، فلحق بتلك الجموع مُرهِجا، وتوسط بَحرهم المزبد ملجّجا، كل ينادي بالصليب[12]، ونحن ننادي بالسميع المجيب.

وكنا لما تحركنا بالموحدين ومن معهم من سائر المسلمين رأينا أن الامة قد جَدّ جدُّها، وأرهب في ذات الله حدُّها، وعلِمنا أن الامة التي ليس لها في الارض نظير، والعصابة[13] التي وليُّها الله «وجبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير»[14]، حزبُ الله الذي شرف به منقطعُ التراب،

---

(1) يبدو ان المبتور هنا الحمدلة والتصلية والترضية والدعاء والتوصية، انظر نموذجين لرسائل ابن عياش ــ الكاتب هنا ــ في الرسالتين 36 و37 من (م ر م).

(2) صاحب قشتالة هو الفونسو الثامن المشار اليه في الرسالة السابقة، والاشارة هنا واضحة حول استيلاء الموحدين على شلبطرة سنة 608.

(3) في خ ح/ 1 و2 و4 و5 : القسطنطينية.

(4) البحر الاخضر : وهو البحر المحيط، وسمي بالبحر الاخضر «لتلونه غالبا بالخضرة» العبر 6/ 193.

(5) في خ ح/ 4 : «فكان اسبقهم الفرنج....

(6) يقصد بالخصوص الفرنسيين.

(7) البرجلوني او البزشلوني : هو ملك ارغون بيدور الثاني الحاكم فيما بين (592/1196 ــ 1213/ 610) (عنان ج 2 :603).

(8) في خ ح/ 4 : بزمام، انظر عن تحالفه مع الموحدين سابقا الفقرة الاولى (رقم 3) من الدراسة التاريخية (في الفصل الرابع).

(9) في خ ح/ 2 و4 وط تطوان : «ومنقاداً اليهم ابدا».

(10) هو البابا اينوصان الثالث.

(11) في خ ح/ 5 : كثيرا.

(12) في خ ح/ 2 و4 : الصليب.

(13) في خ ح/ 4 : والمصابة.

(14) من الآية 4 من سورة التحريم.

وأعَزّ به الدين الغريب في زمن الوحدة والاغتراب، فسألنا الله أن يوفقنا الى الرشاد، وان يحملنا على جادّة صلاح العباد، وضرعنا[15] (اليه)[16] في الالهام لما فيه الخير والخِيَرة للاسلام.

ووصلنا[17] إلى ظاهر جيان[18]، وأقمنا هُنالك أياما ننتظر عبور الوادي الكبير، إذ كان قد طما تياره، وأمدّته من كل شِمال ويمين آثاره، مع ما كنا فيه من النظر في رعاية الأصلح، والمحافظة على رأس المال الذي هو التجر الاربح ؛ والكفار طولَ هذا ينثالون على طليطلة[19] انثيال الجراد، في الكثرة والإفساد، وصاحب قشتالة يتودد اليهم بالصبر على انتساف بلاده، ويتجرد[20] الى تابعهم (ومتبوعهم)[21] بأموال رعيته وأجناده، ونحن نعلم على القطع واليقين، أنه جمعٌ لا يتأتّى للكفار[22] إلا بعد المئين من السنين ؛ فحين نضَبَ الوادي الكبير زحفنا بالجيوش وتحركت جماهير الكفر[23]، فأرهبوا من كان في طريقهم من حصون الثغر[24]، ثم إن الفئتين قضى بتلاقيها[25] في الموضع المعروف «بالمرشّة»، فكان بين المسلمين وبين أعدائهم يوم ذو كواكب، نازعت فيه المواكب (على المواكب)[26]، وموقف نرجو أن يراه الله لنا، وأن يقبل فيه عملنا، اشتد فيه الكفاح، وأرخِصت فيه الارواح، لكن أراد الله ان يمحّص المومنين[27]، ويُبلي[28] فيه الكافرين، فكانت عاقبة اليوم (على)[29] الخصوص لأهل الصُّلبان، والعاقبة المطلقة هي لأهل الاسلام والإيمان، وتحاجز[30] الفريقان والمسلمون عَزيزةٌ جوانبُهم، محروسة بقدرة الله كتائبهم، لم تُصِب الحرب منهم أحدا، ولا نَقصت لهم عَددا،[31] وهي الحروب قضى الله أن تكون سِجالا، وأن يجعل الله فيها[32] لكل قوم

(15) في خ ح/ 6 : وصرحنا.

(16) (اليه) كلمة ناقصة في خ ح/4.

(17) في خ ح/ 6 : فوصلنا.

(18) جيان : راجع الهامش 6 على الرسالة رقم 63.

(19) طليطلة : (انظر عنها الهامش (4) على الرسالة رقم 37.

(20) في خ ح/ 2 : ويتجدد.

(21) ناقصة في خ ح/ 4.

(22) في خ ح/ 4 : على الكفار.

(23) في خ ح/ 3 و5 و6 : الكفرة.

(24) من الحصون التي استولى عليها الاسبان اثناء اندفاعهم نحو المواجهة في «العقاب» قلعة رباح، القرطاس (237 — 238).

(25) كذا في خ ح/ 1 و2 : وفي/ 3 و4 و5 و6 وط تطوان : بتلاكيهما.

(26) ما بين هلالين ناقص في خ ح/ 3 و4 و5 و6.

(27) في خ ح/ 4 : امير المومنين.

(28) في خ ح/ 4 : يبلغ.

(29) ناقصة في خ ح/ 4.

(30) في خ ح/ 4 و5 : وتعاجز.

(31) هذا من الادعاءات الكاذبة حول نتائج المعارك، راجع هذه النتائج في الدراسة التاريخية (الفصل الرابع الفقرة المحال عليها سابقا).

مجالا، كذلك كانت في زمن النبي ــ ﷺ ــ والوحي غضٌّ نضير، وجبريل من السماء الى الارض في (كل)[33] وقت سفير[34]، ، وكذلك كانت في زمن الصحابة[35] رضي الله عنهم، كل ذلك ليُعلَم الشاكر والصابر منهم.

واذاكانت ــ وفقكم الله ــ الجيوش موفورة، والرايات منشورة، والعزائم باقية، وكفايات الله واقية، فلا تَهِنوا فإنّا لا نَهِن، وانتظروا الكرّة على الكفار والإمدادَ عليهم بجند[36] الله الذين هم خير الأنصار، فما كان الله ليترك المومنين حتى يأخذ أعداءهم أخذا وبيلا، «ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا »[37] ؛ وعرّفناكم لتكون (عندكم)[38] هذه الوقيعة على وجهها، والنازلة على كنهها، ولِتعلموا (انه)[39] لم يَدِرْ للموحدين قتيل، ولا أصيب منهم[40] كثير ولا قليل، والسلام ؛ وكتب (في)[41] أواخر صفر سنة تسع وستمائة[42].

---

(32) في خ ح/ 5 : فيه.

(33) ناقصة في خ ح/ 2 و4.

(34) الاشارة هنا الى هزيمة المسلمين في احد.

(35) في خ ح/ 1 و3 و5 و6 وط تطوان : الخلفاء.

(36) في خ ح/ 4 : بجنود.

(37) من الآية 141 من سورة النساء.

(38) ناقصة في خ ح/4.

(39) ناقصة في خ ح/ 5.

(40) في خ ح/ 4 : منكم.

(41) ناقصة في خ ح/ 4.

(42) هذا التاريخ يوافق اواخر يوليوز 1212 م.

الرسالة التاسعة والستون :

رسالة إلى الناصر في
موضوع «الاستعطاف»

تقديم :

هذه الرسالة أوردها القلقشندي كنموذج للرسائل الموجهة الى الخلفاء الموحدين المبدوءة بوصف الخليفة «بالمقام» ... فجعلها صادرة عن «بعض ا هل الدولة» ومن إنشاء كاتبها (أبو الميمون !) من «موضع كذا حماه الله»، يتشكى من انتزاع «السهام» التي كانت له من قبل، وانقطاع «المواساة» عنه، هذه الرسالة تطرح مشكل إغفال تاريخها والشخص الصادرة عنه وموضع إرسالها، وحتى كاتبها غير معروف فالمسمى (ابو الميمون) لم نتعرف عليه بعدُ ضمن الكتّاب في العصر الموحدي تحت هذه الكنية، وهذا نص الرسالة كما ورد في صبح الأعشى ج 5/ 532 ـــ 533.

نص الرسالة :

المقام الاعلى، المقدس المكرم الإمامي الطاهر الزكي، مقام الخليفة المؤيد بنصر الله، الإمام الناصر لدين الله، كلأ الله جلالهم، وفيّأ ظلالهم، وبوّأ وفود السعادة ووجوه الظهور والصعود مواطئهم المقدسة وحِلالَهم، عبدُهم[1] المتقلب في نعمتهم، المتقرب الى الله عَز وجل بالمناصحة في خدمتهم، المتسبب الى الزلفى عندهم بالتزام طاعتهم، والاعتصام بعصبتهم : فلان[2](...)[3].

كتب عبد المقام الاعلى، والنديّ الذي أُسِّس بنيانُه على تقوى من الله ورضوان واحتوى على الفضائل واستولى، من موضع كذَا ـــ حماه الله تعالى ـــ وجَنانُه لطاعتكم قطب، ولسانه بشكر نعمتكم رطب، فيتلك رجاءُ الفوز، وبها ابتغاء نيل الآمال والحوز ؛ وكيف لا يطاوعه الجنَان، وشكر اللسان مستمد لإدرار الاحسان، وللمقام الاسنى عوارف، لا يتقلص ظلها الوارف، وقطرات بالرحمة

---

(1) ان المكتوب عنه هنا يتحدث عن نفسه باسم «العبيد» (بالمفرد) ونجد في عدد من رسائل المخطوط الخاص يعبر المكتوب عنه بنفس التعبير، مع اننا في الفترة السابقة لهذه كنا نجد اغلبية الرسائل تحمل كلمة «العبد» في صيغة الجمع بدل المفرد.

(2) الرمز (فلان) يبدو انه من وضع جامع الرسالة او ناسخها والمرجح انه يعبر عن اسم الشخص المكتوب عنه مجردا من اية زيادة وهذا على غرار عدد من الرسائل المكتوبة عن والي اشبيلية الى الخليفة الناصر (في المخطوط الخاص).

(3) يبدو ان هنا بترا في صدر الرسالة ففي العادة ان صدر الرسالة الموجهة الى الخليفة عن ولاته او رعاياه يتضمن بعدما ذكر : السلام ثم الحمدلة ثم التصلية والترضية، ثم تأتي بعد ذلك عبارة مثل «كتب عبد المقام» او غيرها.

مسطّرات بمدرار سحابها الواكف ؛ وقد كانت للعبد سهام[4]، فاضت عليه بها من النعمة رهام : ثم جزرَ الماءُ باسترجاعها الان، وسُقي العبد بانتزاعها كأسَ الحزن ملآن، وردت (لك)[5] بهذه الجهة انقطاع المواساة[4]، وامتناع الألسن بالمكابدة لشظف العيش والمقاساة ؛ وإلى المقام الاعلى الأسنى نَفزع حين نَفزع ونذهب حين نرجو ونرهب، ونلجأ فلا تؤخّر طلباتنا ولا ترجأ، وخِدمة العبد هذه تنوب عنه في تقبيل ذلك المقام الاسمى، والتعرض لما عهد لديه من نفحات الرضى، والتضرع في إدرار ما جَزر من تلك المنة وغيضَ من فيض تلك النعمى[6]،وينهي من رغبته في بركة تلك الأدعية، التي هي للخيرات كالأوعية، ما يرجوه بشفاعة تأكد الامتنان، ومجرد عوارف الرأفة والحنان، ان شاء الله تعالى.

والرب تعالى يبقي المقام الاعلى والنصرُ له مظاهِر، والخير لديه متظاهر، والسعد لوليّه نَاصِرٌ ولعدوّه قاهر، بحول الله تعالى وقوته لارب غيره، ولا خير الا خيره، والسلام

---

(4) يبدو ان هذه امتيازات اضافية غير المرتب الرسمي وقد يدعم هذا ما ذكره القلقشندي من كون المكتوب عنه احد خدام الدولة.

(5) كذا في «صبح الاعشى» ويبدو انها خطأ.

(6) لعل في هذا تلميحا يؤكد ما وصف به الناصر من التقتير على خدام الدولة، راجع المعجب ص 322 و الروض المعطار ص 416 (مادة العقاب).

الرسائل من رقم 70 إلى 76 :

رسائل عن والي اشبيلية في أوائل عهد المستنصر حول تحسن الأحوال الزراعية بالأندلس واضطراب احوال الممالك النصرانية

تقديم :

كانت سنة 610 (1213 ـ 1214) وهي السنة التالية لمعركة العقاب سنة مجاعة وغلاء بالاندلس ربما لعدم ملاءمة الاحوال المناخية، وربما ايضا كنتيجة من نتائج الهزيمة (كثرة الموتى، انعدام الامن، الانشغال عن الزراعة...) لكن منذ أوائل سنة 611 (أوائل صيف 1214) تحسنت الاحوال بنزول الامطار في اوقاتها، وبالهدوء الداخلي وتوقف عمليات الاعتداء على المسلمين خاصة منذ موت ملك قشتالة في اكتوبر سنة 1214، وهذا ما تعبر عنه الرسائل «باستسلام الكفار» و «اذعان الاعداء» بل اندلع الصراع فيما بينهم : الحرب الأهلية بقشتالة وتدخل ليون فيها، ويعبر عن هذا بعبارات مثل «الفتنة بين الكفار» «وتفرق شملهم» «وكل منهم اسرج لحرب الاخر وألجم»... هذه الاشارات وردت في رسائل المخطوط الخاص، وخاصة الرسائل التي كتبها ابو العباس ابن جعفر[1] عن والي اشبيلية ابراهيم ابن الخليفة يوسف في ولايته الاخيرة عليها[2] (بين اوائل 611 ومنتصف شعبان 612). وتتميز رسائل هذا المخطوط بانها موجهة الى مركز الخلافة، وان الاخبار فيها متنوعة، ونظرا لعدم تأريخها وبالتالي صعوبة ترتيبها ترتيبا زمنيا اصبح من المفروض تصنيفها حسب اهم اخبارها بحيث يمكن ان تتكرر الاشارة للرسالة الواحدة في اكثر من تقديم دون ان يتكرر نصها وعلى سبيل المثال هناك صنف من الرسائل يصف الحالة الداخلية بالاندلس بالهدوء ووفرة الأمطار في اوائل عهد المستنصر واضطراب احوال النصارى، والرسائل التي تشير الى ذلك هي كالآتي :

ـ الرسالة رقم 70 : (ص 334 ـ 337)[3] موجهة الى الخليفة، ومؤرخة ب 20 صفر 611، ربما بعد وصول الوالي ابراهيم الى اشبيلية، وتتضمن الاشارة الى كثرة الامطار التي تبشر بانقضاء عهد المجاعة والغلاء.

---

(1) انظره ضمن تراجم الكتّاب.

(2) تكررت ولايته على اشبيلية عدة مرات : منها ولايته فيما بين 600 و 601 هـ (البيان 218 و219)، ثم ولايته سنة 607 (البيان 234) و (العبر 6/ 524)، ثم ولايته الاخيرة المذكورة اعلاه، انظر الهامش (1) على الرسالة اللاحقة.

(3) هذه صفحات المخطوط الخاص، وترتيب الرسائل هنا ترتيب زمني تقريبي.

ـــ الرسالة 71 : (355 ـــ 357)[3] الى الوزير، مضمّنها الاشارة الى الهدوء والاستبشار بالحرث، مع خبر موت ملك قشتالة.

ـــ الرسالة 103 : (320 ـــ 322)[3] الى الخليفة، تذكر توالي الامطار واستسلام الكفار مع «تقديم» على بطليوس.

ـــ الرسالة 104 : (353 ـــ 355)[3] الى الوزير، نفس المواضيع في الرسالة السابقة.

ـــ الرسالة 72 : (348 ـــ 349)[3] الى الوزير : هدوء البلاد وانتظار موسم حصاد جيد

ـــ الرسالة 73 : (310 ـــ 312)[3] الى الخليفة : انتظار موسم حصاد جيد، وعلاقات غير حسنة بين قشتالة وليون.

ـــ الرسالة 74 : (337 ـــ 339)[3] الى الخليفة : هدوء البلاد وكثرة الزرع، وتفرق شمل الكفار والفتنة بينهم

ـــ الرسالة 75 : (345 ـــ 347)[3] الى الخليفة : هدوء البلاد، والفتنة بين الكفار.

ـــ الرسالة 76 : (358 ـــ 359)[3] الى الخليفة ؟ تلميح الى الفتنة بين النصارى.

ـــ الرسالة 98 : (325 ـــ 327)[3] الى الخليفة : الفتنة بين الاعداء، وثورة الجزولي.

ـــ الرسالة 94 : (322 ـــ 325)[3] الى الخليفة : المفاتنة بين الاعداء، مع موضوع كومية «وتقديم» على بني رياح.

وهذه هي نصوص الرسائل المذكورة على التوالي ما عدا الرسالتين 103 و104 فهما ضمن رسائل التعيينات، والرسالة 98 ضمن موضوع الجزولي، والرسالة 94 ضمن موضوع عيث القبائل العسكرية بالاندلس.

الرسالة السبعون :

الحضرة الامامية القدسية، المؤيدة المنصورة العلية، الطاهرة الزكية، حضرة سيدنا الخليفة الهديّ
م خ/334 الامام المبارك الأزكى أمير المومنين ابن الأيمة الهادين، الخلفاء الراشدين، ساداتنا أمراء المومنين، رضي الله عنهم أجميعين، وأدام تأييد أمرها وإعزاز نصرها، ووصل تمكين عزها وإسعاد عصرها، ووالى علوها وظهورها، وضاعف بهجتها وسرورها، وأجرى ما يقر العيون، ويصدّق الآمال فيها والظنون، أحوالها كلها وأمورَها، عبدُها الطائف بِحَرمها، العارف بحق فضلها العظيم وكرمها، المتضرع الى
م خ/335 الله في شكر ما فاض عليه من جزيل نعمها، اللائذ بظل أعلامها،/ الداعي بدوام أيامها، والحفظ لعليّ مَقامها، المعتصم بمتين حبلها، المستند الى وارف ظلها ؛ عبدُها إبراهيم[1]، سلام الله الكريم، الطيب المبارك العميم، يخص الحضرة العظمى، والمقام الاشرف الأسمى، كثيرا ورحمة الله وبركاته، وبعدَ حمدِ الله على آلائه العميمة، ونعمه الجسيمة ؛ والصلاةِ على محمد رسوله المخصوص بالدرجة العظيمة ؛ والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم بالدلائل الواضحة والخلال الكريمة ؛ وعن الخلفاء الراشدين الايمة الهادين المرشدين، الذين صمموا في نصر الدين تصميمه، وتولوا تكميل امره العزيز وتتميمَه ؛ وموالاة[2] الدعاء لسيدنا الخليفة السعيد المبارك الحميد امير المومنين ابن الخلفاء الراشدين[3] بنصر يصل بحديثه قديمَه، وفتحٍ يُعجِز الأقلام والأفهام أن تصف عظيمه.

فكتب عبدُ الحضرة الامامية العالية ــ كتب الله لها سعودا متضاعفة متناصرة، وعزة لا تزال الأفهام عنها قاصرة ــ من اشبيلية ــ حرسها الله ــ ولأمرها العزيز أدامها الله ما عوَّد من وفور الخيرات، وظهور البركات، وتعرّفِ الصنع الجميل، والتيسير والتسهيل، في السكنات كلها والحركات، ووجوبِ التعظيم المفروض له على الأمة فرض الصلاة والزكاة، ولله على ذلك الحمدُ الذي يقتضي مزيدَ النعم ودوامَها، ويستدعي جديد القِسم ويضاعف أقسامها ؛ وشكر الحضرة الامامية ــ أيدها الله ــ أوجب ما يُبدأ به الذكْر ويُختَم، و النصيحة في خدمتها أوكَدُ ما يكمَّل من الاعمال ويُتمَّم، والتمشية لأغراضها السَّنية، والامتثال لأوامرها العلية، أهمّ ما يُعتنَى به ويُتهمَّم، وباب رضاها اسعد ما يُقصَد من الابواب ويُتيمَّم ؛ وعبدها من ذلك على اوفى ما يكون عليه مماليك إحسانها، وارقّاء امتنانها، الشاكرون لعطفها وحنانها، العارفون ما اوجب الله لعظيم شأنها وعليّ مكانها ؛ والله يعينه على ما يُحظيه برضاها، وينشر عليه جناح رُحماها، ويوزعه شكر فضلها ونُعَماها.

وقد كان الوصول الى هذا الموضع[4] ببركة الحضرة الإمامية ــ أفاض الله أنوارها، كما ملأ ببهجة

---

(1) هو ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف، ويبدو ان هذه اولى الرسائل التي كتبها بعد وصوله الى اشبيلية واليا عليها، بحيث يمكن ان تمتد فترة ولايته ما بين اوائل سنة 611 ووفاته في منتصف شعبان 612 ومن المرجح ان معظم رسائل المخطوط الخاص، صادرة عنه وخاصة التي تحمل اسم «ابراهيم» وقد وردت الاشارة حول ولايته هذه زيادة على المخطوط الخاص في العطاء الجزيل ص79 و171 والرسائل الواردة فيه هي رقم 77 و 90 و 92 و105 انظر ايضا الهامش 2 على الرسالة السابقة.

(2) الكلمة في الاصل بتاء مبسوطة.

(3) المقصود هنا الخليفة المستنصر ابن الخلفاء الموحدين.

(4) يتضح من هذه الرسالة ان «الموضع» هو اشبيلية التي وصلها واليا عليها، انظر الهامش (1).

التفاتها الكريم نجود الارض وأغوارها ـــ على احسن حال من التيسير، في حالتي الحلول والمسير، تلوح له ولمن معه البركة الامامية بكل سبيل، ويجد بها الخير أجمعه في كل مُعرَّس وحفيل ؛ والله م خ/336 يحرس/ الحضرة الامامية، ويحفظ ما وهب لها من السعادة والبركة الخارقة للعادة، التي هي بفضل الله كل يوم في زيادة.

فقد كانت أصابت الناس شدةٌ ظاهرة في العام، بما كان من غلاء السعر وعدمِ الطعام[5]، الى ان تدارك الله المسلمين ببركة كفالتها الحميدة وايالتها السعيدة، فظهرت على هذه البلاد عموما وعلى هذه الجهة خصوصا بركة الحضرة الامامية وسعادتها، واطّردت لها ـــ والحمد لله ـــ طريقتُها، في الالتفات الإمامي والنظر العلي وعادتُها ؛ فالرخاء هنا الآن والحمد لله كائن موجود، والمقام الامامي مشكور بكل لسان على التفاته الجميل ومحمود، والناس لخليفتهم وإمامهم داعون، ولأمانته وعهده راعوان، وفي مرضاة[2] الله ومرضاته سارعون ؛ وقد منَّ الله عليهم من جملة بركاتها بالهدنة والعافية، وموارِدِ الأَمنة الصافية[6]، فجميعهم مستبشرون، وفي كل ناحية من النواحي منتشرون، يشكرون الله على النعم سِرا وجهارًا، ويشتغلون بضمّ زرعهم[7] آمنين حيث كانوا ليلاً ونهارا، مبسوطة لهم الآمال، منشرحةٌ منهم الصدور، صالحة لهم بفضل الله وبركة الحضرة الامامية ـــ ايدها الله ـــ الاحوال كلها والامور، متساوية في الدعة والسكون المواسطُ من أوطانهم والثغور، قد فاض من الحضرة الإمامية على جميعهم النور، وعمهم ببركتها الفرح المقتبل والسرور، والله تعالى يصل النعم بتخليدها ويُبقيها، ويُجري الاحوال في كل حال واستقبال على ما يرضيها.

وعبدها الآن مشمّر عن ساعد الاجتهاد جُهد الاستطاعة في تمشية اغراضها الكريمة وامتثال اوامرها المطاعة، لا يَغفل عن اداء واجباتها، وشكر هِباتها ـــ بحول الله ـــ ساعة، والله يوزعه شكر نعمتها، وينجده على ما يزلفه من رحمتها، وللمقام الامامي ـــ ايده الله ـــ الفضل العظيم، والطوْل العميم، في الامداد ببركة دعائه الذي هو الموصِل ـــ بفضل الله ـــ الى خير الدارين، والكفيل من الله بنيل الحسنيين، والله يديم ايامه وينصر اعلامه، ويشكر إحسانه العميم وانعامه، ويُمده بمواد النصر والتمكين، والفتح المبين، بمنه ونعماه، لارب سواه ؛ وسلام الله الكريم العميم الاحفل الاصفى على الحضرة م خ/337 الامامية القدسية كثيرا اثيرا ورحمة[2] الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الموفي/ عشرين لصفر سنة احدى عشرة وستمائة.

---

(5) يبدو ان ازمة المجاعة (وما تبعها من وباء) كانت شديدة سنة (610) فالرسالة مؤرخة ب 20 صفر 611 (1/ 7/ 1214) وتتحدث عن مجاعة سابقة، اما هذا العام (611) فهو وافر المطر والزرع، انظر القرطاس 216 والذخيرة السنية 49 (ضمن احداث سنة 610 في المصدرين).

(6) لم يكن القحط خاصاً بالاندلس الاسلامية، وانما شمل باقي اسبانيا حتى انه ارغم قادتها «على ان يلتزموا السكينة حينا، فلا تحدثنا المصادر بشيء من اخبار الحرب في اوائل سنة 1214 م» (أشباخ 386) وهذا التاريخ يوافق اواخر 610 هـ، ويستمر الهدوء بعد هذا كما يتضح من الرسالة ومن رسائل اخرى، انظر الفقرة (1) من «عواقب معركة العقاب» في الفصل الرابع.

(7) راجع في الفصل الرابع الفقرة (أ) من الدراسة التاريخية.

الرسالة الواحدة والسبعون :

م خ/355 ....[1]والى هذا ــ وصل الله سرّاءكم، وضاعف نَعماءكم ــ.فانه قد أفصَح لسانُ الزمان، ونطقت شواهد البرهان، فإن لله[2] تعالى بأمره العزيز ــ ادامه الله ــ عناية تعلو بها مقاماته، وتبدو في كل زمان كراماته، وتتضح بنتائج مقدماتها دلائل سعده وعلاماته ؛ وإن سعادة الحضرة الإمامية ــ وصل الله تأييدها ونصرها، كما اسعد بها عبيدها وعصرها ــ قد ثبتت أصولُها وبسَقت فروعُها، واطّرد في الجمال والكمال مقدورها الالهي ومصنوعُها، وامتدّ شأوُها واتسع باعُها، ورسخ م خ/356 انتقاشها في صفحات الليالي والايام وانطباعها[2 م]، فأثرها واضح ونورها/ مبين، والعلم باطّرادها (واتصال معتادها)[3] يقين، ومَثلها في عكوف فوائدها وتجددِ مألوف عوائدها، ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أُكلها كل حين﴾[4]؛ وعلى الجملة فان البلاغة تعجز عن وصف السعادة الامامية ولو أغربت إغرابا، فليس إلا أن لسان الحال بها في كل زمان أقوم، قيلا وأفصحُ إعرابا.

وما زالت البشائر ببركة الخلافة السعيدة[5] تطلع شموسا في سماء سعدها، وكلما جاءت ايامها المباركة ببشرى جاءت باختها الكبرى من بعدها، والحمد لله رب العالمين ؛ وقد طلعت الآن في سماء السعادة الامامية بشرى من أعظم البُشر، وأكبرِ نعم الله على البَشر، توذن الكفر بانتثار كواكبه وتبددِ شمله وتفرقِ جموعه، واجتثاثِ أصوله الخبيثة وفروعهِ، وقذفِ الرعب في قلبه ونفثِ الروع في رَوعه، كما توذن الاسلام بنصر لوائه، واعتزاز أوليائه على أعدائه، وتمكنِ الامر في ثبوته واستوائه، وتفيّءِ ما مدّ الله على المسلمين في هذه الجزيرة[6] من ظل وارف، وعرّفهم ببركة الخلافة السعيدة من جميل العوارف، وذلكم بما كان من الفتح المبين، والصنع الذي اشرق به وجه الدين، **بموت طاغية الكفار**، المعجَّل بروحه الى النار، صاحب قشتالة[7] كان لا سقى الله له قبرا، ولا عقبَ صدع اهل ملته بعده جبرا، وان ذلك لنعمةٌ من النعم التي ذخرها الله لأيام خليفته الميمونة السعيد، واختص بها دولته التي قضى فيها للإسلام بإنجاز [8]الوعد، وعلى الكفر بإنجاز الوعيد، فبسعادة خلافته يدمّر الله الكفر تدميرا، وببركة إمامته يتبّر أهل الشرك تتبيرا، وقد كان تقدمتْه هذه البشرى مسرّةٌ أخرى كانت لصحيفته هذه كالعنوان، وكالفجر الدالّ على ما بين طلوعه وطلوع الشمس

---

(1) الرسالة مبتورة الصدر.

(2) في الاصل : الله.

(2 م)في الأصل : والأيام انطباعها.

(3) في الاصل : (واتصالها معتاها).

(4) من الآيتين 24 و 25 من سورة ابراهيم.

(5) في الاصل : الخلافة السعادة.

(6) اي جزيرة الاندلس.

(7) هو الفونسو الثامن المنتصر في «العقاب» مات في طريقه الى البرتغال (للتفاوض مع ملكها) في 6 اكتوبر 1214 (29 جمادى الاولى 611) اشباخ 361 و 386 و عنان 2/ 591.

(8) في الاصل : بانجار.

من قربِ الاوان، بهلاك «دِياقُه لُبس»[9] الذي كان عند الطاغية المذكور رئيس الخدام، وزعيم الإقدام، والذي كانت أكثر أمور الطاغية بيده، وكان الكافر يعتدّ به اعتداده بساعده وعَضُدِهِ، ويستظهر بكفايته استظهارَه بالقوي عنده من عدده، فلم يُبقِ الله منهم بسعادة الخلافة المباركة رئيسا ولا مرعوسا، ولا ترك للكفار عَلما بعدهم الا منكوسا،/ وكلما ضاعف للخلافة المباركة سعودا ضاعف[10] للكفار أعدادها نحوسا، وكأن بكلمة الاعداء قد تفرقت، وبأصناف الرزايا اليهم قد تطرّقت، وبالايام قد قلبت لهم ظهرَ المجنّ، وضربت عليهم الذلة بالفضل من الله والمن، وبسعادة الخلافة المصنوع لها وبركة الإمامة التي بسط الله بها للأمة أملَها، فسعادة الخلافة التي أهدت هذه البشائر وأقطفَت ثمرَها، وبركة الامامة السعيدة هي التي اطلعت شمس هذه الافراح وقمرَها، وكذلك تتوالى الفتوح في أيامها وتتناصر، وتأتي الاقدار المسعدة منها بما تتضاءل لوصفه الاذهان وتتقاصر، بفضل الله سبحانه ؛ وأعلمَكم مجلُكم ــ ادام الله سعدكم[11] ــ بما تواترَ من هذا الخبر السار عنده، وهو خبر قد استفاض بحيث لا يُشكُّ في صدقه ولا يُمترَى في صحته، وقد وصلت به المخاطبات من حصون شتى وجهات ؛ فالحمد لله الذي جبّ غارب الكفر وسنامَه، وأعز الاسلام وأعلى مقامَه، وأظهر بركة إمامة خليفته وأسعد أيامَه، والحمد لله الذي ترك سائمة الشرك هملا[12]، ولم يُبنْ لها في الفلاح ولا في الصلاح أملا، والحمد لله الذي أذلَّ كلمة الكفر وأعزّ كلمة الإيمان، وجعل البشائر تتوارد عليها من الأمام والوراء وعن الشمائل والأيمان.

م خ/337

فالاحوال في هذه الجهة معتملة ــ والحمد لله ــ في مناهج الصلاح، مقترنة بالأمنة المقتبلة الشباب والعافية المتبلّجة الصباح، والناس بما جاد الأرض من الحيا[13] أيضا في استبشار، وللحداثة انبساط في كل ناحية وانتشار، وكل ذلك ببركة الخلافة السعيدة وسعادتها ــ وصل الله لها في السعود باطّراد عادتها ــ وقد وثقوا بأن سعادة الخلافة وثيقة المباني، ظاهرةٌ في كل معنى من المعاني، لائحة للقاصي والدّاني، وأن الله لا يزال ينشر أنوارها، ويجري الأمور على ما يوافق اختيارها، ويملأ بالسرور في ايامها السعيدة بلادها وأنصارَها، والله يوزع شكر ما أوْلَى في أيامها من المسرّات وجزيل الخيرات ويعرّفها، ويجعل سعدها كالعَلم الضروري وَالمَثل السائر....[14]

(9) دياقه لبس (ديكو لوبيث) جعله الفونسو في البداية على رأس جيش النصارى المتطوعين الوافدين على قشتالة قبيل «العقاب»، وخلال هذه المعركة كان على رأس قسم من فرق قلب المعسكر النصراني...(اشباخ 361 و 366).

(10) في الاصل : ضاعفت، مع ان الضمير يعود على (الله).

(11) توضح العبارة ان المكتوب اليه ليس الخليفة والراجح انه وزيره ابو سعيد ابن جامع فهو الوصي على الخليفة المستنصر في سنوات حكمه الأولى.

(12) لم يترك الفونسو وليا للعهد بل كان مات قبل وفاة ابيه الفونسو (اشباخ 357)، فتولى العرش ابنه الصبي هنري الأول (اشباخ 387، وعنان 2/ 591 ــ 592)، انظر الفصل الرابع حول «عواقب معركة العقاب»، وسترى قشتالة عهدا من الاضطرابات الداخلية التي تنشغل بها ايضا مملكة ليون مما يساعد على الهدوء بالاندلس الاسلامية (نفس الصفحات).

(13) ومعنى العبارة : اصاب الأرض مطر جود اي غزير، والحيا هو المطر لإحيائه الارض.

(14) يبدو ان الرسالة مبتورة النهاية، وحسب تاريخ موت ملك قشتالة فان تاريخ هذه الرسالة لا يتعدى شهر جمادى الثانية سنة 611 (اكتوبر 1214 م).

الرسالة الثانية والسبعون :

....[1]وبركات الحضرة الامامية العلية — أيدها الله — تنسكب انسكاب الغمام، وسعادتُها م خ/348 تتكفل لمصالح العباد بالكمال والتمام، ولله على ذلك الحمد الذي يرضاه، ويقتضي مزيد نُعماه ؛ وما تعلمون (مُجلُّكم عليكم)[2]، وصل الله عزتكم من اجلالكم واخلاص الود فيكم، والشكر لحميد مقاصدكم، وجميل مناحيكم، فمَهْيَعُه لاحبٌ ومنزَعه على الدوام مُصاحب ؛ والله يصله في ذاته ويبقيه ، ويجعله خالصا لما يرضيه.

واحوال هذه الجهات — وصل الله عزتكم[3] قد ظهر صلاحها، وتساوى في الامنة والدعة ليلها ونهارها، وغدوُّها ورواحها ؛ والبلاد — والحمد لله — ممهدة ساكنة، والرعية هادئة هادنة[4]، والمصالح منتظمة متناسقة، واصول البركة الامامية — حرسها الله — في كل مكان ثابتة وفروعها باسقة، وسعادة الخلافة العلية — ادامها الله ترسِل على العباد من سماء النِّعم كلَّ صيّب، وأغراضها الكريمة — شكرها الله — تثمر في البلاد من ثمرات الخيرات والبركات كل طيّب، فلا عيْنَ لعبيدها[5] المومنين الا وهي بفضلها واحسانها قريرة، ولا نفس لأرقّائها[5] المسلمين الا وهي بسعادة زمانها مبتهجة مسرورة.

م خ/349 وأما الزرع فقد بسط الله الآمال بكثرته وصلاحه في هذا العام بسطا، واعطى هذه/ الجهات منه حظا وافرا وقسطا، فان الناس كانوا قد استكثروا منه في كل مكان، وأنفقوا فيه ما عز وهان[6]، واعتنى أهل الثغور ايضا بالازدراع اعتناء الغير[7] وتنافسوا في الاكثار منه تنافس الواثقين بما تكفَّلت به السعادة الامامية من اليمن والأمن واليسر والخير، فتمَّلأ به السهل والجبل، واتسع فيه للمسلمين الرجاء والامل، وعظُم به السرور والجَذَل، وكان من صنع الله الجميل، الجاري على وفق التأميل، أن جاده في هذا العام من الغيث كل مدرار، واعاده عليه في اوقات احتياجه اليه مَن «بيده الخيرُ وهو على كل شيء قدير»[8]، «وكل شيء عنده بمقدار»[9]، فبدت الارض منه في مُلاءة حسنٍ يسرّ

---

(1) الرسالة مبتورة البداية، وقد وردت في اول فصل خصصه جامع رسائل المخطوط الخاص «لكتب وزراء الخلافة المعظمين»... من انشاء ابي العباس بن جعفر منشيء الرسالتين السابقتين والرسائل اللاحقة.

(2) كذا بالاصل.

(3) مثل هذه العبارة والتي في الهامش (2) سبق — وسيلي — استعمالها بالنسبة للرسائل الموجهة الى وزير الخلافة او غيره من كبار الموظفين والقادة.

(4) انظر الهامش (6) على الرسالة رقم 70.

(5) تستعمل الكلمة احيانا للدلالة على رجال السلطة، ولكن المقصود هنا رعايا الدولة عموما.

(6) انظر الهامش 7 على الرسالة 70.

(7) هذا ما يؤكد هدوء الثغور.

(8) اقتباس من الاية 26 آل عمران.

(9) من الآية 8 من سورة الرعد.

الناظرين جمالُها، ووعدت فيه بفوائد يرجى من الله تمامُها على جملة السلامة وكمالها ؛ وذلك كله ــ والحمد لله ــ ببركة الخلافة السعيدة ــ ادامها الله ــ وبيمن ايامها، وسعادة مقامها، وما وهبه الله للرعية من بركة مولاها وامامها، حرس الله حضرته القدسية وتكفل بنصر اعلامها، فببركة فضله وعدله واحسانه يَأْمَنُ سِربُها، وبرحمته وعطفه وحنانه يصفو ان شاء الله من كل كدر شِربُها[10]...

---

(10) الرسالة مبتورة الاخر.

الرسالة الثالثة والسبعون :

م خ/310 الحضرة العلية الامامية المعظمة المكرمة القدسية المؤيدة المنصورة الزكية، مَطلِعُ الانوار السامية، ومنشأ الخيرات النامية، ومثابة البركة الهامية، أدام الله تأييدها وحرس جلالها، كما مدّ على العباد والبلاد ظلالها، ووصل لها ما عوّدها من علو المقام، ونصرِ الأعلام كما أعلى بها كلمة الاسلام، وعرّفها في كل حال واستقبال عوارف المسرات والبُشر، كما أفاض أنوار عدلها وإحسانها على البَشر، عبدُ مقامها، ومملوك إنعامها، المحافظ على ما أوجب الله من حقوق إعظامها، الداعي بمضاعفة سعودها ودوام ايامها : إبراهيم[1] ؛ سلام كريم طيب مبارك عميم، يخص مقامها الاسنى، المخصوص بالحسنى، كثيرا ورحمة الله وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله (الى آخر الصدر)[2] فكَتب عبد احسانها ــ كتب الله لها[3] علو المقدار، ومطاوعة الأقدار، ونجاح الايراد في كل مقصود والإصدار ــ وبركات[4] الحضرة م خ/311 الامامية ــ / ايدها الله ــ عميمة على العباد بانسكاب غمامها ، وسعادتُها كفيلة لمصالح البلاد بكمالها وتمامها، وأيامُها السعيدة تروق الامة بابترارها عن ثغور السرور وابتسامها، ونعمُها المتوالية ــ شكرها الله ــ تستغرق حمد الحامدين وشكر الشاكرين بترادفها وتضاعفِ اقسامها، ولله على ذلك (الحسن) الذي يقضي بمزيد النعم ودوامها.

وأحوال هذه الجهات ــ وصل الله تأييد الحضرة القدسية ــ جارية من الصلاح الشامل على ما اقتضته البركة الامامية، فالبلاد والحمد لله في تمهيد وسكون، والرعية في استبشار وهدون، والمصالح منتظمة الانواع والفنون، وسعادةُ الخلافة المباركة قد اتضح دليلها واستبان جليلها للقلوب والعيون ؛ فسحاب النعم بها على البلاد تصوُب، وثمرات المصالح بها للعباد تطيب، وشمسُ البهجة والمسرَّة في كل مكان تشرق ولا تغيب، وأما الزرع فالامال بكثرته وصلاحه في هذا العام مبسوطة، وبهذه الجهات بما اعطاها الله منه مغبوطة، فان الناس كانوا قد بذلوا في الاكثار من الازدراع في الثغور وغيرها جُهدهم، وأنفقوا فيه متنافسين ما عزَّ وهان عندهم[5]، ووثِقوا من السعادة الامامية بما يسوغهم بفضل الله أمنهم، وينجح لهم قصدهم، فامتلأ به البسيط غورا ونجدا، واتسع الأمل فيه للمسلمين جدا، ودَرّت عليه أخلافُ السحاب بجميل صنع العزيز الوهاب، فقرّت العيون بحسن صفاته، وامتدت الايدي ضارعة الى الله في ان يخلّصه للمسليمن من جميع آفاته ؛ وذلك كله ــ والحمد لله ــ ببركة الخلافة الميمونة ادام الله ايامها، وحرس مقامها، فببركتها يؤمّن الله البرية، ويصلح نظامَها، وبسعادتها يسعد الله الرعية وييسّر مرامَها.

---

(1) هو نفسه ــ على الارجح ــ المذكور في الرسالة 70، راجع الهامش 1 على الرسالة 70.

(2) لعله لا يختلف بقية الصدر عما في الرسالة 70 ما دامت الرسالتان معا لكاتب واحد.

(3) في الاصل : له. قارن مع مطلع الرسالة اللاحقة.

(4) بمثل هذا ابتدأت الرسالة رقم 72 (المبتورة).

(5) قارن مع نفس المعنى في الرسالة السابقة.

وبعدُ ــ وصل الله للحضرة الامامية ما عوّدها من النصر والتمكين، وأنجز لها ما وعدها من الفتح المبين[6] ــ فان الله سبحانه بما له من العناية المطّردة العادةِ، الجاريةِ على وفق السعادة، لا يزال يسبب لها أسباب المسرة تسبيبا، ويشبّب لها حُلَى النصر تشبيبا، ويُسمعها من غرائب التكييف وبدائع الصنع اللطيف عجيبا فعجيبا، ومن ذلك ــ وصل الله إعلاء أمرها، وإعزاز نصرها، كما باهى العصور بسعادة عصرها ــ أن الواردين من الثغور في هذه الايام قد كانوا يتقولون بارتباط صلح بين النصرانيّين ــ أحانهما الله[7] ــ صاحب قشتالة وصاحب ليون[8] وأمرُ الله في نقض عزائمهما الخبيثة بين الكاف والنون، ﴿انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون﴾[9] ؛ وورد الآن على العبد كتاب المقدَّم بماردة[10] يذكر أن ابن صاحب ليون وابن صاحب قشتالة اجتمعا وقعدا في موضع واحد فظهر لكل واحد منهما من الآخر ما يظهر من المبغِض الشاني، وادعى كل واحد منهما الشفوفَ لنفسه ولأبيه على الثاني، ثم آل بهما التفاخر الى ان تلاطما، وارتفع بينهما عُباب الشقاق وطما، وانتصر لكل واحد منهما فريقه الحاضرون فاقتتل الفريقان للحَيْن والحِين، وعجّل الله من أرواحهم الى النار بنحو خمسين[11] ؛ وهذه مسرة كبيرة، وداعية مبيدة لجمعها الذميم بفضل الله ومبيرة، تُنتج بفضل الله مسرات كثيرة، والمسراتُ والحمد لله ببركة الحضرة الامامية أيدها الله تنساق في أحسن نظام، وتنقاد في أسمح زمام، والله يوالي منها ما يقضي بذِلّة الكفر وعزة الاسلام، ويطلع من أنبائها المبشرات ما تتهلل به أسرّة الليالي والايام، وتخطب به على منائر الانامل ألسنةُ الاقلام، ويطيل بقاء الحضرة الامامية منصورة الأعلام، مصنوعاً لها الصنع الجميل في كل مرام، ويجعل دعوتها راقية وكلمتَها باقية الى يوم الدين انه ولي الاحسان والانعام[12]....

م خ/312

---

(6) الدعاء بعبارة «وصل الله» ابتدأت به الرسالة 71 المبتورة.

(7) في الاصل : خانهما الله.

(8) اذا ثبت ان الرسالة يرجع تاريخها فعلا الى ما بعد «العقاب» فان صاحب قشتالة هو الفونسو الثامن (مات في 6/ 10/ 1214) او ابنه الطفل هنري الأول تحت وصاية «البارو نونيو دي لارا، وصاحب ليون هو الفونسو التاسع، ولم يكن الصلح بين الطرفين غير هدنة مؤقتة غالبا ما كانت هشة، (راجع في الفصل الرابع عواقب معركة العقاب).

(9) الآية 82 من سورة يس.

(10) ماردة : مدينة على نهر يانه قريبة من منطقة الثغور، انظر عنها الادريسي ص (545 ــ 546) ن ايطالية، والروض المعطار (518 ــ 519).

(11) هذا دليل على هشاشة الصلح بين الطرفين، راجع نفس الفقرة من الفصل الرابع.

(12) الرسالة مبتورة النهاية.

الرسالة الرابعة والسبعون :

م خ/337 الحضرة الامامية القدسية المعظمة المكرمة المباركة العلية المؤيدة المنصورة الطاهرة الزكية، مَطلِعُ الانوار والاضواء، وينبوع الخيرات المنسكبة الانواء، حضرة سيدنا الخليفة الامام امير المومنين[1] ابن الخلفاء الراشدين، الايمة المرشدين، افاض الله انوارها، ونصر انصارها وشكر إيرادها في الإنعام وإصدارَها، وبلّغها في الدارين بنيل الحسنيين آمالها واوطارَها، كما عم بمواد فضلها العظيم، وطولها العميم، اصقاعَ الأرض واقطارَها ؛ عبدُ جلالها ومملوك أفضالها، المعتصم بوافر ظلالها، المتضرع الى الله في شكر التفاتها الكريم واهتبالها، الداعي بحراسة ما بهر من كمالها : ابراهيم[2] ؛ سلام الله الكريم وتحيته على الحضرة العلية القدسية ورحمته تعالى وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله على آلائه العميمة (الى آخر الصدر)[3].

فكَتَبَ عبد نُعماها، ومستَرَقُّ عطفها ورحماها ــ كتب الله لها علو المقام، ومطاوعةَ الليالي والايام ــ من اشبيلية حرسها الله ــ وبركات الحضرة الامامية ــ خلد الله ايامها واعلى مقامها ــ تتدفّق شآبيبها، وتضفر برودُها وجلابيبها، والحمد لله رب العالمين حمدا تدعو ألسنة المزيد فيلبّيها ويجيبها، وما ينطوي عبد الحضرة الامامية عليه ويرجع اليه من النصيحة في خدمتها، والاحتفال في شكر الطارف والتليد من نعمتها، والمحافظةِ على تمشية اغراضها الكريمة وامتثالِ اوامرها المطاعة، بغاية الوسع وجُهد الاستطاعة، حكمٌ يلتزم التزاما وعملٌ يغتنم البدار اليه اغتناما ؛ والله يعين من ذلك.كله على الواجب الفرض المحظي عند الله يوم الجزاء والعرض.

وقد وَرد على عبد احسانها ــ اورد الله عليها وفود السعد الباهر، والصنع الجميل المتظاهر ــ ما انعمت به ــ شكَرَ الله إنعامها الهامي ونصرَ مقامَها السامي ــ **من الظهير الكريم** المبارك الذي اسبغت به النعمة عليه، وضاعفت المنة لديه، وجرت فيه على عوائدها الكريمة في التنويه به وحسن الالتفات اليه، وضمّنته من التشريف، والاحسان المنيف، ما لم تزل بعطفها ورحمتها تُلحفه بُرودَه، م خ/338 وتوالي له معهودَهُ، وسوّغت له به القربة التي كمّلت الانعام/ بها تكميلا وجددته تجديدا، وأردفت ما تقدم من إحسانها ــ شكرَها الله ــ مزيدا، فتلقّى العبد هذه النعمة الجسيمة بواجبها من الشكر الذي لا يزال يتلو منه أطول السّوَر، ويجلو منه أحسن الاشخاص وأجمل الصور، وتضرّع إلى الله في أن يجازي إحسانها بأفضل الجزاء، ويتولى عن عبدها شكر ما أسبغت عليه من النعماء، وأنعمت عليه من شرف الالتفات وكريم الاعتناء ؛ والعبد يأخذ باليد الكريمة التي من جودها يستملي صوب الدّيمة، ويعترف بالعجز عن شكر اياديها الجسيمة، وفضائلها العظيمة، ونعمها الحديثة والقديمة ؛ فما زالت ــ تولّى الله جزاءها ــ تُجزل له مواهبها، وتوضح له سبل الحسنى ومذاهبَها، وتَمنّ عليه بالتفاتها الكريم، وتصل له اسباب فضلها العظيم، وتلك عادتها ــ ايدها الله ــ في تملك العبدان، واسترقاقِهم بمضاعفة الاحسان، وإنَّ شُكرها ــ اعلى الله أمرها ــ ليس في وُسع المخلوق ولا في

---

(1) يبدو انه الخليفة المستنصر.

(2) لعله هو نفسه المذكور في الرسائل السابقة اي الوالي ابراهيم ابن الخليفة يوسف.

(3) قد لا يختلف بقية الصدر عما في الرسالة 70.

استطاعة الانسان، فليس إلا الدعاءُ الى الله في حسن مجازاتها، والدعاء من الله بمكان أوزع الله شكر إنعامها، وحرس على العباد والبلاد عَلِيِّ مَقامِها.

واحوال هذه الجهة ببركتها — ايدها الله — جارية على ما تقدَّم الإعلام به من العافية، والخيرات الوافية، والهدنة المستمرة، والأمَنَة المستقرة، والاستبشار **بكثرة الزرع في هذا العام** وطِيبِه وصلاحِهِ، واستيفائه من الغيث في وقته منتهى أمل الآمل واقتراحِهِ.

وما قد توالى بسعادتها — ضاعفها الله — من الأنباء المبشرة بتفريق شمل الكفار، وما جعل الله بينهم من **الفتنة المضطرمة** النار، وقد وصل الآن كتاب المقدّم بترجالة[4] — كلأها الله — منبئا بماهو معدود فيما[5] يصنع الله للحضرة الإمامية — ايدها الله — من الصنع الجميل، وما يكفيه لها من غرائب التكييف الجاري على وفق التأميل، وقد وجّه العبد الكتاب المذكور صحبة هذا ليوقَف من نصه على مقتضاه[6]، وذلك كله — والحمد لله — بسعادة الخلافة السعيدة ادام الله ايامها، وأسعد أعلامها ؛ ولا تزال المسرات بسعادتها — ان شاء الله — ترد متناسقة تناسق ورق الآس، وتطّرد متلاحقةً تلاحُقَ الانفاس، بفضل الله[7] تعالى ؛ والله يوالي منها ما يغادر الكفرَ ذليلا والاسلام عزيزا، ويصله/ من أنبائها السارة ما يطرِّز الله به برود المسرة تطريزا، وهو تعالى يصل للحضرة الامامية اسباب النصر والتمكين، والفتح المبين، ويديم تأييدها، ويضاعف سعودها، ويجعل[8] الملائكة المسومين انصارها وجنودها، بمنه[9]..

م خ/339

(4) ترجاله : من مدن الثغور شمالي بطليوس الشرقي انظر عنها الادريسي (550 — 551) ن، ايطالية والروض المعطار ص 133.

(5) في الاصل : في ما.

(6) اي ان رسالة الوالي هذه هي ايضا تعريف برسالة مقدم ترجاله ومرفقة بها.

(7) وردت كلمة (الله) في المخطوط في اول السطر بعد فراغ قدر كلمة.

(8) في الاصل : ويجل.

(9) انظر خاتمة الرسالة 70 للتعرف على ما يرد عادة بعد هذه الكلمة الى النهاية.

الرسالة الخامسة والسبعون :

م خ/ 345 الحضرة الامامية القدسية المؤيدة المنصورة العلية، المباركة الطاهرة الزكية، مطلع الأنوار الباهرة للبَشر، ومنشأ السعود الضامنة لأنواع البُشر، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام أمير المومنين[1] ابن الخلفاء الراشدين، الأيمة الهادين المرشدين، أدام الله تمكينها وتأييدها، ووَصَل بسعدها المضاعَفِ للبلاد تأمينها وتمهيدَها، وحرس على الدنيا والدين سعودها، وأنجز لها من الفتح المبين وعودها، كما ملأ بأنوارها الساطعة وبراهين سعدها القاطعة اغوارَ البسيطة ونجودَها ؛ مملوكُ نِعَمِها الهامية، ورهينُ شكرِ مَقامها النامية، المعتصم بظلها الممدود، الداعي بحراسة ما خوّلها الله من السعود، المتضرع الى الله في شكر فضلها العظيم، عبدها ابراهيم[2] ؛ سلام الله وأفضل تحياتِه، على الحضرة العالية السعيدة وأكمل رحمته تعالى وأوفى بركاتِه.

وبعد (الى اخر الصدر)[3].

...وبركات الحضرة الامامية أيدها الله — وخلّد أيامَها وأعلى أعلامها — تشرق أنوارها وأضواؤها، وتنسكب على بلاد الاسلام وأهله أنواؤها، وتبسط[4] بها في كل آونة أمل البرية ورجاؤها،/ والحمد لله رب العالمين حمدا تتضاعف به أقسام النعم وأجزاؤها ؛ وعبد م خ/ 346 إحسانها — وصل الله علوّ مكانها — على أوفى مايكون عليه النصحاء المخلصون من عُبدانها، من النصيحة في خدمتها والتغذي بشكر نعمتها ؛ والله ينهضه من ذلك بما يعتقده دينا ويلتزمه شرعا، ويحافظ على أصوله الواجبة وفروعه الراتبة أصلا أصلا وفرعا فرعا.

وهذه الجهات ببركة الحضرة الامامية — أيدها الله — ترتع من الخيرات في جميم، وتتعرّف من المسرّات كل شامل عميم، وتسند من سعد الخلافة الميمونة الى صميم، ويضج أهلها بشكر الله تعالى على ماخوّلهم بسعادة مولاهم وإمامهم من الفضل العظيم، والأمنة — والحمد لله — تضرب بجرانها، والهدنة تمد بأسبابها وأشطانها، والسعادة الامامية — حرسها الله — تدلي بحجتها وبرهانها، وتظل المومنين بروحتها الزاكية وتُقطِفهم ثمر السُّرور من أغصانها ؛ ومما أثمره سعد الخلافة العلية — وصله الله — من الثمر الشافي للصدور الموافي بالبهجة والسرور، ماجعل الله في هذا الوقت بين فرق الكفرة — أبادهم الله — من الفتنة المضطرمة نارها العائدة على ملتهم الدائرة بما فيه تبارها وخسارها حيث شغلهم بنفوسهم، وجعل بأسهم بينهم لِبؤسهم، وجعل سعود الخلافة المباركة كفيلة بنحوسهم ؛ ومما وجب به إعلام الحضرة الإمامية — أيدها الله — من أنباء الأعداء، الواردة بالسرّاء،

(1) يبدو انه الخليفة المستنصر.
(2) ابراهيم، يبدو أنه هو نفسه المذكور في الرسالة السابقة.
(3) انظر الرسالة رقم 70 فقد لا يختلف صدرها عن المبتور هنا خاصة وان الكاتب هو نفسه أبو العباس بن جعفر.
(4) كذا في الاصل ولعل الصواب : (ينبسط) ليكون فاعلها مناسبا للسجع.

أنه ورد على العبد كتاب من بطليوس[5] ــ حماها الله ــ يتضمن من المسرّة التي ساقَتها سعادة الخلافة العليّة ــ أدامها الله ــ مَا نسخته مستطَرة في المُدرج طيّ هذا الكتاب[6] ؛ وإنها لَمسرّة عظيمة، ونعمة من الله جسيمة، وبشارة شاملة عميمة، توذن كلمة الكفر بزيال، وتقضي عليها بالهون والإذعان بعد التخمط والصيال[7] ؛ وإنه لفتحٌ من الفتوح المذخورة لهذا الأمر العالي، وصنع جميل من بدائع صنع الله الكبير المتعالي، ولا نُكْرَ على ما وهب الله للخلافة السعيدة ــ أدامها الله ــ من السعد اللاحب السبيل، الواضح الدليل، يتيسر به أسباب المسرة للاسلام، وتدور به على الكافرين دوائر التدمير والاصطلام ؛ والله يصل للاسلام وأهله من سعادة الخلافة/ العلية ما يشرح الصدور ويقرّ العيون، ويصدق الآمال والظنون، ويطلع البشائر عليهم في كل حين، ويزيد الكافرين اشتداد فَرَق[8]، وشتات فِرق، وقطعا بهم في جميع الطرق، ويريهم أن لهذا الامر العزيز عناية ربانية تشمته بالأعداء، وتعرفه عوارف الصنع الجميل متتابعة الاعادة والابداء[9].

م خ/ 347

(5) انظر عنها الادريسي ص 545 (ن إيطالية).

(6) اي ان نسخة «كتاب» بطليوس وجهت الى الخليفة صحبة هذه الرسالة المكتوبة عن والي اشبيلية.

(7) التخمّط : التكبر، والصيّال : (فعلها صال يصول) : القهر والغلبة.

(8) الفَرَق : الفزع.

(9) الرسالة مبتورة النهاية كسابقاتها.

الرسالة السادسة والسبعون :

م خ/358 ...[1]والى هذا ــ أورد الله على المقام الإمامي من البشائر أصدقَها بيانا، وأوضحَها للأبصار والبصائر عَيانا، وأعوَدها بما يكون على سعد الخلافة المباركة برهانا ــ فانه قد أوضحَ الحسنَ، وأفصَحَ اللّسَن، وعلم من كان له عقل أن لله تعالى بأمره العزيز ــ أدامه الله ــ عنايَةً لا يزال يصل له أسبابها، وكرامةً لا يبرح يفتح له في كل حال واستقبال أبوابها ؛ وقد قضى الله سبحانه بأن عوّد هذا الأمر العزيز اجمل العوائد، وتكفّل له بأحفل البشائر وأكمل الفوائد، وصار[2] اليه مختلفاتِ القلوب، م خ/359 وأجراه في حالتي السِّلم والحرب والبعد والقرب،/ من التيسير والتسهيل والصنع الجميل على اوضح اسلوب، والحمد لله رب العالمين.

وقد ورد الآن مِن سارِّ الأنباء ما تجب به مطالعة الحضرة الإمامية المنصورة اللواء، وذلك انه وصل نصراني **فاخبر بكذا وكذا**[3]،وهذه بشائر[4] ببركة مولانا وسيدنا، جعل الله بأس أعدائه بينهم، وأهلكهم بآرائهم، وجعل في تدبيرهم عاجلَ تدميرهم، فأعلمَ العبدُ بما تجدّدَ عنده من **أخبار الاعداء**[5] ؛ والله يحفظه ويديم تأييد سيدنا وَموْلانا ويخلد ملكه ؛ فبسعده تطمئن البلاد، وتمتد الأمَنة، ويمحق الله الكفر وشيعته ؛ وكلُّ ما يردُ من **البشائر والمسرات** ويتوالى من الصنائع الجميلة والخيرات، فذلك كله ببركة الخلافة السعيدة، وبسعادة الإمامة المباركة الحميدة، وتلك عوائد الله الجميلة، التي هي بكل مصلحة من مصالح الامر العزيز كفيلة ؛ والله يوالي المسرات تباعاً، ويُطلِع منها اجناسا متوالية وأنواعا[6]...

(1) رسالة مبتورة الصدر.

(2) صار يصور : أمال.

(3 ــ 4) كذا بالاصل، مما ضيع علينا نوع الخبر، ويبدو انه يتعلق بالفتنة بين الاعداء القشتاليين والليونيين، فمثل هذا الخبر يعد من البشائر والمسرّات.

(5) ان تطورات الاحداث داخل الممالك الاسباينة كانت اخبارها تصل الى الموحدين باستمرار بواسطة الجواسيس. انظر مثلا الرسالة رقم 84.

(6) الرسالة مبتورة الاخر كسابقاتها.

الرسائل من رقم 77 إلى 85 :

الرسائل المتعلقة بتوقيع الهدنة والحفاظ عليها بين القشتاليين والموحدين في عهد المستنصر

تقديم :

بعد معركة العقاب (609/ 1212) بسنة ونصف مات الناصر بمراكش وترك ابنه المستنصر طفلا على عرش الدولة، وبعد ذلك بحوالي سنة ونصف اي في اكتوبر 1214 م مات الفونسو الثامن ملك قشتالة المنتصر في العقاب، وترك ايضا طفلا على العرش، هذه الوضعية في الدولتين طرحت مشاكل داخلية فرضت عليهما اللجوء الى عقد هدنة سنة 612 (1215) سيتم تجديدها سنة 618، (وربما كانت هناك محاولة لتوقيع الهدنة ايضا بين الموحدين وليون)، وتوجد مجموعة من الرسائل تتعلق بهذا الموضوع وهي كالتالي :

— رسالة من والي اشبيلية الى الوصي على عرش قشتالة حول وصول الوفد المفاوض : العطاء ص 18[1] رقمها 77.

— رسالة والي اشبيلية الجوابية على رسالة الخليفة حول تشكيل وفد التفاوض (وتتضمن ايضا الحديث عن كثرة الامطار وعن اضافة بطليوس وثغورها الى مسؤولية والي اشبيلية) : المخطوط الخاص (315 — 318) رقمها 78 [2].

— رسالة نفس الوالي ابراهيم ابن الخليفة يوسف جوابا على رسالة الوزير (ابن جامع) حول تشكيل وفد التفاوض ايضا فيما يبدو، وتتضمن كذلك توجيه رسالة الى كومية، وتعيين ابن الوالي على بني رياح وقرة مناف، وتعيين قاض على شريش، والاذن للوالي باقتضاء سهمه برجراجة من مخزن اشبيلية، زيادة على التلميح الى محاولة التفاوض ايضا مع ليون على الارجح : المخطوط الخاص (349 — 352) رقمها 79.

— رسالة والي اشبيلية ايضا (ابراهيم) الجوابية على رسالة من مركز الخلافة حول وصول الوفد النصراني الى اشبيلية بعد اتصاله بالخليفة، وتحرك الوفد في اتجاه بلاده : المخطوط الخاص (352 — 353)، رقمها 80.

---

(1) الرسالة من انشاء صاحب العطاء نفسه ابي القاسم البلوي حيث كتبها عن السيد ابراهيم بن الخليفة يوسف والي اشبيلية، انظر ترجمة الكاتب في مقدمة البحث.

(2) رسائل المخطوط الخاص هنا من انشاء ابي العباس بن جعفر، انظر ترجمته في مقدمة البحث.

ــ رسالة نفس الوالي الى الخليفة جوابا على رسالته التي تحث على «رعي السلم مع صاحب قشتالة» : المخطوط الخاص (318 ــ 320) رقمها 81.

ــ رسالة نفس الوالي ابراهيم الى الخليفة تخبر بارتباط النصارى «بالصلح» (وتتضمن اخبارا عن انشغال الناس في الزراعة وعما تشكوه الثغور من الضيق والضعف وغلاء السعر وكثرة التشكي بقلة الانصاف...) : المخطوط الخاص (327 ــ 330) رقمها 82.

ــ رسالة الخليفة المستنصر الى «بعض نوابه» بالاندلس مستنكرا عليه خرق الهدنة مع النصارى ومُحَذرا اياه من قوة الاعداء... صبح الاعشى ج 6/ (446 ــ 447) رقمها 83)[3].

ــ رسالة جوابية من الاندلس تخبر باستمرار السلم مع النصارى، وان معتديا عليهم بناحية بطليوس تم قتله واطلاق سراح الاسرى حفاظا على العهد وتجنبا لقيام «ضرر الكفرة»، وتخبر الرسالة بعقد «سلم» بين ملك البرتغال وليون وبتراجع البرتغال عن محاولة توقيع الهدنة مع الموحدين بسبب تراجع ليون عنها : المخطوط الخاص (333 ــ 334) رقمها 84.

ــ رسالة وزير المستنصر ابي يحيى زكرياء الى ملكة قشتالة سنة 618 بشأن تجديد الهدنة : البيان ص 246 رقمها 85[4].

وهذه نصوص الرسائل على التوالي :

(3) الرسالة منسوبة في صبح الاعشى الى الكاتب (ابي الميمون).

(4) رسالة «البيان» من انشاء ابن عياش ! (انظر الهامش «1» على هذه الرسالة فيما بعد).

الرسالة السابعة والسبعون :

ع/18 من ابراهيم[1] بن سيدنا أمير المومنين بن سيدنا امير المومنين، الى القُومِط الزعيم ازْبل بن القُومِط نونة[2] وفقه الله وارشده.

أما بعد حمدِ الله كما يجب لوحدانيته وجلاله[3]، والصلاة على محمد رسوله المصطفى وعلى آله[4]، والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، وارث شِيَمِهِ النبوية وخِلالِه، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين الذين مشَوا أمره العزيز الى غاية كماله، والدعاء لسيدنا الخليفة الامام أمير المومنين أبو[5] يعقوب بن الخلفاء الراشدين بتيسير آماله، وتعريفه النصر الأعز والفتح الأسنى في كافة أحواله.

فكتبناه اليكم من اشبيلية ـــ حرسها الله ـــ ولا جديد إلا فضلُ الله الأكمل، وصنعُه الأجمل، وبركة أمره العزيز التي تعم وتشمل، والحمد لله رب العالمين كثيرا ؛ وقد وصل كتابكم فوقفنا على ما ضمّنتموه من جميل الأغراض، ووصل رسولكم الوزير الحكيم **أبو الحجاج بن مزاح**[6] ـــ وفقه الله ـــ صحبة الوزير الأكرم أبي إسحاق بن أبي الحجاج ابن الفخار[7] ـــ تولّى الله توفيقه ـــ فتُعرِّف مِن قِبله أيضا ما عندكم في **موالاة الموحدين** أعزهم الله، والاستناد إليهم من جميل المقصَد ؛ وستجدون بركة ذلك عند المقام الإمامي العلي أفاض الله أنواره، ونصر أنصاره، فإن عادته في الإحسان الى من أسند اليه، وأورد النصيحة عليه، قد عرفها القريب والبعيد، وقام عليها الدليل والـ(ـشـ)ـهيد[8]؛ وأمّا ما أشرتم اليه من طلب الاعتناء برسولكم المذكور، فكذالكم كنا نفعل لو لم تؤكدوا ذلك، فإن الذي عندنا من رعي مثلكم من ذوي الأغراض الجميلةَ جميلٌ، وسيصاحب رسولكم المذكورَ في هذه الحركة التهمُّمُ الموالي والرعيُ الموصول، بحول الله ومشيئته، وكلُّ ما قرّرتم من حسن المقصَد فإنه مشكور لكم ؛ والله يعرّف الخير والخِيَرة في كل ما يقتضيه، ويعين الجميعَ على ما يرضيه، بمنه وكرمه لارب غيره، ولا خير الا خيره.

---

(1) هو ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف انظرالهامش 1 على الرسالة 70.

(2) هو الوصي على عرش قشتالة البارو نونيو دي لارا، انظر الهامشين 7 و 12 على الرسالة 71.

(3) هنا الاشارة الى وحدانية الله مادامت الرسالة موجهة الى طرف نصراني.

(4) لازالت هذه الرسالة تحمل ذكر آل الرسول ربما لكونها موجهة الى خارج الدولة، اما الرسائل الداخلية ابتداء من هذه الفترة فقد اخذ يزول منها، انظر مثلا الرسائل 70 و71 و126.

(5) كذا بالاصل، ويظهر انه متعمد لعدم اخضاع اسم الخليفة للقاعدة النحوية، وهذا ما يتكرر في عدد من الرسائل. وابو يعقوب هو يوسف المستنصر بن الخلفاء الموحدين.

(6) لعل تقديم اسمه يبين انه هو رئيس الوفد القشتالي وليس ابن الفخار كما ورد في البيان المغرب ص 244 وفي المغرب لابن سعيد ج/ 2 الترجمة رقم 339.

(7) انظر ترجمته عند ابن سعيد في رقم الترجمة المذكور.

(8) ما بين اللام والهاء مأروض في الاصل، ولعل الكلمة هي كما اثبتناه، فالشهيد : معناه الشاهد أو الامين في شهادته...

الرسالة الثامنة والسبعون :

م خ/315 .....[1] مَطلِعُ الأنوار الهادية، ومنشأ البركات المتضاعفة المتمادية، ومصاب/ الرحمة الهامعة،
م خ/316 ومَثابة الخيرات الجامعة، أدام الله تأييدها وخلد أيامها، ونصر أنصارها وأعلى أعلامها، وقرن بمطاوعة الأقدار، ويمنِ الإيراد والإصدار، مَرامَها، كما وهب للبلاد اعتناءها الكريم واهتمامَها، وكما أسبغ على العباد إحسانها العميم وإنعامَها، عبدُها المجتهد في خدمة علائها، المعتصمُ بظل لوائها، المعتكف على شكر نعمها المتتابعة وآلائها، الداعي بحراسة ما ملأ الأرضين من أشعة سناها وسنائها : ابراهيم[2]، سلام (الى آخر الصدر)[3].

فكتب عبدُ الحضرة الإمامية ـــ كتب الله لها مضاعفة السعود ومصاحبة النصر والتأييد، وخصها من إعلائه وتوالي آلائه بالمزيد ـــ وبركاتُ الحضرة الامامية أيدها الله قد عمت الأنام، وساجلت الغمام، وواصلت الإنجاد في طيّ البلاد والإتهام، وأسعدت الليالي والأيام، وأعجزت في شكرها الألسنةَ والأقلام، والحمد لله على هذه النعم حمدا يَتكفل لها بالمزيد والدوام ؛ وعبدُ علائها على أوفَى مايكون عليه الناصحون من عبيدها وأرقّائها، من النصيحة في خدمتها، والشكر لنعمتها، والله ينشر عليه جناح رحماها، كما أعلى مصعَدَها في (العلاها)[4] ومَسماها.

وأحوال هذه الجهات ببركة خلافتها الميمونة، وسعادة إمامتها المباركة المأمونة، في صلاح يُقتَبل ـــ والحمد لله ـــ شبابُه، ويُتفتَّح ببركة عنايتها الكريمة بابُه، وتمتد به ظلال الأمن ويتسع جنابُه ؛ فالسعد الإمامي ولله الحمد والشكر كامل، والخير به بفضل الله هامٍ هامل، والكل بالاوامر الإمامية عامل، والناس لمولاهم وإمامهم داعون، وفي مرضاته ساعون ؛ وكان للمطر إغباب تمادَى أياما ثم أنزل الله الغيث الآن في هذه الجهات فجاد الأرضَ وبسط النفوس ؛ وكان للثغور الجوفية منه الحظ الأوفر بالبركة الإمامية أدامها الله ؛ والله يهنّىء[5] العباد والبلاد ما شملها من الالتفات الامامي الكريم، ويصل لها ما عوّدها به من الخير العميم.

وبعدُ، وصل الله للحضرة الامامية اسباب نصرها، وعرَّفها يمن نقيبتها وسعادة عصرها، فإنه ورد على عبد مقامها العلي كتابُها المعظم الكريم، الصادرُ عن الالتفات المعهود والفضل العظيم، المضمَّنُ
م خ/317 ما لم تزل تنعم به ـــ شكَرَ/ الله إنعامها ـــ من سنَى التشريف والتنويه، وحميدِ الغرض الجميل والقصد النبيه، المشتمل على ما اقتضاه النظر الكريم من **إضافة بَطَلْيَوْس وثغورها الجوفية** [6] ؛ وما اقترن بذلك من الاوامر المطاعة والمقاصد العلية، وتلك عوائدها الجميلة في الالتفات والاعتناء، ومضاعفة النِّعم والآلاء، واهتدائها على التتابع والولاء، والله يجازيها عن قديم نعمها وحديثها بأفضل الجزاء ؛ وإنّ لَحْظَها الكريم الذي كست العبدَ بمنتها جلبابه، وعطفها الذي وَصلت له برحمتها أسبابَه،

(1) الرسالة مبتورة البداية (قارن مع الرسالتين 70 و 75).

(2) هو المكتوب عنه على الارجح في الرسائل السابقة، انظر اسمه الكامل في الرسالة رقم 79.

(3) انظر نموذجا من صدر الرسالة لنفس الكاتب ابن جعفر في الرسالة رقم 70.

(4) كذا في الاصل، والانسب : (في العلى) وكلمة (مسماها) معطوفة على (مصعدها).

(5) في الاصل : يهنى.

(6) من ثغورها الجوفية : جلمانية، منتا نجيش، قاصرش، وترجاله، وماردة، والقنطرة، انظر عن بطليوس الهامش 5 على الرسالة 75. ستبقى المدينة تحت نظر ابراهيم الى ان ياتيها وال خاص، انظر الرسالة رقم 104.

لَيُعجز شكرهما إسهابَ البليغ وإطنابه، ولو أرسل عنان الكلام جهده ومَدّ اطنابَه ؛ فلا سبيل للعبارة الى استيفاء المعبَّر عنه من الشكر ولو طاولت فيه الأوان بعد الأوان، واستظهرت عليه بكل بِكْر من المعاني وكلِ عوان، إنما قصارها الاعتراف بالعجز عن الادراك، والحنين الى غايته المطلوبة كدعاء الهديل على الأراك ؛ فمتى يؤدي العبد شكر هذا الإنعام والإحسان، وأي بيانٍ يعبر عنه أو أي لسان ؛ وكُلاًّ لا حول ولا قوة لبشر بشكره إلا بمن هو على كل شيء قدير، فليس الا التضرع الى الله في تولي جزائه والله بالاجابة جدير.

وقد تلقّى العبد كتابها الكريم بواجبه من التعظيم والاجلال، والسمع والطاعة والامتثال، والاجتهاد في شكره والاحتفال، والله تعالى يعينه على تمشية أغراضها الكريمة على التمام والكمال ؛ وتضمَّنَ، الكتاب الكريم أن **يتفاوض العبد في تعيين من يُنفذ** الى الجهات المذكورة مع **الشيخ أبي عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن**[7] ــ أكرمه الله لما جُرب من اجتهاده، وسداد ارتياده، والله يشكر الحضرة الامامية ويصل أسباب حراستها، ويحفظ عليَّ نظرها ونور (....)[8]، فان الذي عند المذكور في حق الامر العالي ــ ادامه الله ــ من الجد والنصيحة، والخدمة الخالصة الصحيحة، وما يرجع اليه في ذاته من محمود الشيمة والخليقة، ومشكور السيرة والطريقة، والأعمال المستقيمة على الحقيقة، وسداد الروية في ما [9] يقصده وينتحيه، وصدق النية فيما ينظر فيه، يقتضي الاغتباط بمذاكرته، ويستدعي النشاط لمفاوضته ؛ وما زال العبد لهذه الصفات التي ظهرت له من المذكور يفاوضه/ في الكليات والجزئيات من الأمور ؛ وبهذه الاشارة الإمامية الكريمة الواردة الآن يزداد العبد بمفاوضته اغتباطا، وبحبل موافقته على المصالح ارتباطا ؛ والله يجازي الحضرة الإمامية على ما يوثره لنصّاح خدّامها وخُلصان عُبدانها من نبيه اللّحْظ والرعاية، وكرم الالتفات وشرف العناية، وما تضمنته الاوامر المطاعة من **الاحتياط على المخازن**[10] ــ أنماها الله ــ يُعتنى به كل الاعتناء، ويحافَظ عليه في جميع الآناء، وكذلك كل ما تضمّنه الكتاب الكريم من الفصول يحصل فهمُه كل التحصيل، ويبادرَ الى امتثاله على الجملة والتفصيل، ويبذُل العبدُ جُهده في ما[9] نيط به وأسند اليه، ويتوخى فيه الغرض الكريم ويعتمد عليه ؛ والبركة الإماميةِ ــ أدامها الله ــ هي السبب الموصل إلى نجاح الأمل، والظهير المعين على صلاح القول والعمل، ان شاء الله يكون التوفيق والتسديد، وعليها ينبني التسكين والتمهيد، وبأنوارها الساطعة يستضيءُ في كل محاولةِ العبيد ؛ والله يوفق في كل منتحَى الى ما يقع بوُفق الحضرة الإمامية ويحْظى برضاها، ويعين في كل حال على مايزلف من رُحماها، والله تعالى يديم لها النصر والتمكين، ويفتح لها الفتح المبين، ويجعل كلمتها باقية، ودعوتها راقية الى يوم الدين، وينجِز لها ما وعدها من الاستيلاء على ما زُوي لنبينا عليه السلام من الارضين، ويعين على ابتغاء مرضاتها، وأداء مفترضاتها، عبيدَها أجمعين...

م خ/318

(7) يبدو ان الوفد المفاوض كان يضم ايضا الشيخ ابا العباس بن ابي حفص والي قرطبة، والسيد ابا الربيع والي جيان (البيان 244).

(8) العبارة غير واضحة في الاصل، ويمكن ان تقرأ : (من برئاستها) و (من بمؤاستها) أو (من في حراستها).

(9) كذا في الاصل : في ما.

(10) هل هذا من أجل مواجهة حالات الجفاف كالذي حدث مؤخرا ام للاستعداد للطوارىء مع العدو خاصة اذا فشلت المفاوضات ؟

الرسالة التاسعة والسبعون :

م خ/349 الشيخ الاجل الأعز الاكرم الاسنى الولي الاثير الأودّ الازكى الافضل ابو سعيد ابن الشيخ الاجل ابي محمد ابن الشيخ الاجل المرحوم ابي اسحاق[1] — ادام الله عزته، ووصل كرامته ورفعته — وليّه في الله تعالى ومُحبّه فيه، البَرُّ بجانبه، الموثر له الحفِيُّ به، ابراهيم بن سيدنا امير المومنين بن سيدنا امير المومنين[2]، سلام كريم يخصكم كثيرا ورحمة الله وبركاته.

أمابعد حمدِ الله تعالى والصلاةِ على محمد رسوله المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المجتبى، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين أئمة الهدى، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الامام أمير المومنين أبي[3] يعقوب بن الخلفاء الراشدين بالنصر الأعز والفتح الأسنى.

فالكتاب اليكم — كتب الله لكم من الكرامة أمدّها الله ظلالا، ومن السعادة أدْومَها م خ/350 اتصالا — من اشبيلية — حرسها الله — وبركات الحضرة الامامية أيدها الله/ تَنمي وتزيد، ويُتعرّف منها الجديد فالجديد ؛ والحمد لله رب العالمين حمدا يسوق النِّعم ويقودها، ويُنميها بفضل الله ويَزيدها.

وعن الذي يواليه[4] مجلُكم من شكركم، وجميل ذكركم، ويُخلص فيه من ودّكم، ويتحققه من جميل غرضكم وقصدكم، ويوثره من إيثاركم، ويعتني به من استطلاع السارّ من أخباركم، وصل الله ذلك في ذاته، وقرنه بمرضاته، بمنّه وكرمه ؛ وقد وصلت مخاطبتكم الاثيرة السارة الخطيرة — وصل الله سعادتكم، وسنّى أملكم كله وإرادتكم — **متضمنةً من الأوامر العلية، والأغراض الكريمة الإمامية**[5]، ما انفسح فيه متردّدُ الشكر ومُحالُه، وعجزت عن استيفاء شكره رويّةُ الفكر وارتجالُه، وتلك العوائد الإمامية المعتادة، والفضائل التي لم تزل تنال المبتغاة منها والمرتادة، والله يجازي الإنعام الإمامي العميم، والفضل المترادف العظيم.

وتضمنت مخاطبتكم الأثيرة — أدام الله عزتكم — ما اقتضاه النظر الكريم، من مخاطبة كومية[6] بكتاب عزيز، وأن يحضروا لقراءته، (ويتّبعوا)[7] من القول ما يحملهم على المقصود فلم يصل لمجلّكم

(1) هو ابو سعيد ابن جامع وزير الخليفة المستنصر — بعد الوزارة لأبيه — والوصي عليه، تنسب بعض المصادر هزيمة العقاب الى سوء تدبيره وتأثيره على الناصر (انظر الفصل الرابع)، ولعله هو نفسه المخاطب في رسائل المخطوط الخاص التي تحمل عبارات مثل : مجلكم.. ادام الله عزتكم...

(2) هو الوالي ابراهيم بن الخليفة يوسف، وقد عرّف بنفسه هنا ما دامت الرسالة موجهة الى الوزير، أما في رسائله الى الخليفة المستنصر فيبقى اسمه الشخصي بدون زيادة، لاحظ معظم رسائل المخطوط الخاص، وراجع الهامش 1 على الرسالة 70.

(3) كذا في الاصل وهو الصواب، على خلاف اغلبية الرسائل التي لا تخضع فيها كنية الخليفة للقاعدة النحوية (ابو).

(4) تتكرر هذه الكلمة في رسائل اخرى الى الوزير.

(5) لعل هذا من دلائل الوصاية على المستنصر.

(6) كومية : قبيلة بني عبد المومن وعصبيتهم وهم يمثلون فرقا عسكرية وربما هي التي اشارت اليها رسائل اخرى باسم (فلانة اصلحهم الله) : رقم 90 و 91 و93، انظر ايضا الرسالتين 94 و 96.

(7) في الاصل : ويتبع.

الكتاب العزيز المذكور الذي خُطِبوا به إلاّ مفضوض الخِتام، دفعه إليهم مِزوارهم[8] بعد ان وقف عليه، وزعم أنه قد قرأه عليهم، فأغنى ذلك عن إعادة قراءته عليهم، وألقى اليه مجلّكم من القول ما أُمِر بالقائه، وأوضح له مقتضى الغرض الإمامي ــ شكره الله ــ في جميع أنحائه ؛ والله يعين على امتثاله، ويجازي المقام الإمامي على التفاته الكريم واهتباله.

وأشرتم ــ أدام الله عزتكم ــ على[9] استحسان ما بين الشيخ الأجل الأكرم أبي عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن[10] ــ أدام الله كرامته ــ وبين مجلّكم من المساعدة والمعاضدة ؛ وذلكم عملٌ محافَظ على استصحابه، مجتهَدٌ في وصْل اسبابه، توخّياً لمقتضى الغرض الإمامي الكريم، واغتباطا بما عند المذكور من النصيحة الصحيحة والمنزَع القويم، أعان الله الجميع على واجبات الخدمة، وأوزع شكر ما شمل من كريم الالتفات وعميم النعمة.

وذكرتم ــ أدام الله (...)[11] ــ ما اقتضاه الإنعام الامامي الذي صفت أدربته، وسالت والحمد لله أوديته ــ من الأمر لمجلّكم باقتضاء فائدة السهم المنعَم عليه به[12] الذي برجراجة[13] من مخزن اشبيلية، وأنه قد خوطب بذلك الشيخ الأجل أبو عبد الله[14]، وذلكم ــ أدام الله سعدكم ــ من جملة / ما تعوّد من فضل المقام الإمامي ــ أعلى الله ذكره، وأوزع العبيد شكرَهُ ــ والله يجازي النظر الكريم خير جزاء الإحسان، ويتولى مِن شكره ما ليس في وسع الانسان. م خ/351

وأعلمتم ــ وصل الله رفعتكم ــ بتعيين القاضي أبي الحسن بن الفقيه أبي القاسم ابن المالقي[15] لشريش[16]، والشكر على ذلك كله ــ مطّرد الوجوب، كثير الاحتفال، فسيح المجال، ووساطتكم الجميلة ــ أدام الله عزتكم ــ مشكورة في جميع الأنحاء، وتَمشيتُكم الحميدة مذكورة بأجمل الذكر وأحسن الثناء، ومجلّكم يشكر تهمُّمَكم الذي مازال يتعرّفه ــ والحمد لله ــ على الولاء، فقد غمره الإحسان بإسعافكم في مطالبه، وقد أوليتموه ما يقصر اللسان عن شكره من مواصلة التهمم بجانبه، ولا نُكْرَ فيما فعلتموه من ذلكم، على فضيلة سجاياكم وكرم خِلالكم، فما زلتم أهلا للجميل، ومكانا للشكر الحفيل، بارك الله فيكم وشكرَكم، وبلّغكم في الدارين أملكم، وضاعف النعم قِبلكم، ووصل السعادة لكم، وأبقاكم لاستحقاق الشكر والحمد، وللقصد لقضاء اللُبانات والعمد.

---

(8) انظر عن (المزوار) في الفصل الخامس الجانب العسكري، وقارن ايضا مع الرسالة 94.

(9) كذا في الاصل.

10) ورد اسمه ايضا في الرسالتين 78 و 95.

(11) في الاصل : (ادام الله ما اقتضاه) ويتضح هنا نقص كلمة ليتم الدعاء مثل (ادام الله عزتكم ما اقتضاه).

(12) تلميح إلى نوع من الامتيازات التي ينالها السادة الموحدون.

(13) رجراجة : احدى قبائل المصامدة جنوب غرب نهر تانسيفت، انظر الخريطة المرفقة حول قبائل المصامدة ضمن الفصل الأول وانظر ابن سعيد في بسط الارض ص 59.

(14) لعل هذا يبين انه كان مشرفا ماليا للأندلس او على الاقل لاشبيلية.

(15) سيتكرر ذكره في الرسالة 94.

(16) انظر عنها الروض المعطار ص 340.

وذكرتم ـــ أدام الله عزتكم ـــ إقامة أبي الحسن بن وزير[17] مكانه بسبب الخبر الليوني الذي كان بَلَغ، وأنّ الذي كان رآه مجلّكم من ذلك هو الحزم، ولله الحمد على التوفيق لما وافق الغرض الكريم الذي موافقته نعمة كبرى من نعم الله التي لا تحصى.

وأما ما ذكرتم من أن يتفاوض مع الشيخ الأجل أبي عبد الله[18] فيمن يسير بدلا منه، فقد كان ذلكم كذلكم حسبما صدر اليكم الإعلام به قبل هذا، **وما يفعل مجلّكم شيئا من الأشياء الا ما صدر عن المفاوضة معه والاتفاق والمذاكرة والاجتماع، هذا حكم ملتزَم** وعمل مغتنَم[19]، والله يعين الجميع على ما يَحظى برضى المقام الامامي وموافقة غرضه الكريم الجلي.

وورد على مجلكم ـــ أدام الله عُلُوَّكم ـــ الكتاب الإمامي الكريم الذي اشرتم إليه بتقديم عبد المقام الامامي ابن عبده[20] على بني رياح وقرة مناف[21]، وإلزامه سكنى شريش، الى غير ذلك مما تضمنه الكتاب الكريم من الوصايا المنيرة، والأغراض المحمودة بكل لسان والمشكورة، وذلكم ـــ حفظ الله مكانكم ـــ مما عودّه المقام الإمامي ـــ ايده الله ـــ عبدائه من مضاعفة الإنعام وإسباغ بُرود الاحسان، وتجديد العطف والالتفات والامتنان، على القريب والبعيد والشيب والشبان

م خ/352 ؛/ والله يجازي المقام الإمامي جزاء المحسنين المنعِمين، ويوزع شكر فضله العظيم وطَوْلِه المبين.

والذي عند مجلّكم من شكر هذه النعم العديدة، والأيادي الجديدة، هو بحر لا تُمتطَى أثباجه، ولا يَزال واضحا منهاجُه، وقد عظُمت النعمة متوالية من المقام الإمامي شكره الله عن ان يقوم بشكرها الانسان، ومن الله الجزاء الذي يستحقه هذا الاحسان، وقد توجّه العبد المذكور[22] الى شريش بعد الوصية المؤكدة كما أمِر، والله يعين على امتثال الاوامر، وشكر النعم الهوامر، وهو تعالى يديم عزتكم، ويصل رفعتكم، والسلام.

---

(17) يبدو ان ابن وزير مسجل في لائحة اعضاء الوفد الموحدي المفاوض لوفد قشتالة، غير انه استبدل بغيره «بسبب الخبر الليوني» !.

(18) انظر الهامشين 10 و14.

(19) هل هذا يدخل فقط في اطار موضوع المفاوضة، ام ان السادة اصبحوا مرتبطين بالتشاور مع الاشياخ في سائر الامور تنفيذاً لسياسة ابن جامع الوزير وأحد الاشياخ ؟

(20) هل هو القاضي المالقي المذكور ام ابن والي اشبيلية نفسه ؟.

(21) بنو رياح وقرة مناف : ذكرت القبيلة الاولى في الرسائل 12 و 25 و 61 وهما معا في 79 و 94 (م ج).

(22) اي المذكور في الهامش 20.

الرسالة الثمانون :

م خ/352 الحضرة الامامية القدسية العالية، التي أنوارها مبسوطة ونعمها متوالية، ومقاماتها بحُلى النصر والتأييد حالية، والايام لآيات سعدها وسُوَر شكرها وحمدها تالية، حضرة الهداية الموروثة المأثورة، والبركات المبثوثة المنثورة، قَرن الله سعودها بالدوام والاتصال، وضاعف من النصر مزيدَها مدى البُكَر والآصال، وعرّفها عوارف التمكين ثرّة الغمام، وقاد لها نجائب الفتح المبين سمحةَ الزمام، عبدُها المعتصم منها بوارف الظلال، المتضرّعُ الى الله في الشكر على ما خوّلته من الإنعام السابغ والإفضال، الداعي بحراسة ما وهب الله لها من العزة والجلال : إبراهيم[1]، سلام (الى آخر الصدر)[2].

فكَتب عبد إنعامها الدّارّ، ومسترَقُّ التفاتها المبهِج السارّ ــ كتب الله لها إحراز السعود، وإنجاز ما وعد لها في المشارق والمغارب من صادق الوعود ــ وبركاتُها ــ أيد الله نصرها، وأسعد عصرها ــ تلوح بدورا، وتملأ بالسرور أفئدة وصدورا، وتستوجب من الله جزاء وشكورا، والحمد لله رب العالمين حمدا يقتضي للمزيد منها وفُورا.

والذي يواليه العبد في خدمتها ــ أيدها الله ــ من النصيحة المبادَرِ اليها، ويلتزمه من الامتثال (لأوامرها)[3] المطاعة والمحافظة عليها، حُكمٌ مستصحبٌ العمل، والمعونة من الله على ذلك من أكبر ما يرغب اليه فيه من الامل ؛ والله يعين على ما أوجب لها وافترض، ويوفق لما يوافق من أغراضها م خ/353 الكريمة كل غرض ؛ وأما شكرُ العبدِ لنعمها المختلفة الأجناس، المتضاعفة الاقسام،/ والتفاتاتها الكريمة المتعارفة مع الايام، فشُكرُ العارف بقدرالنعمة، الباذل جهده في حق الخدمة، المتضرع الى الله ليلا ونهارا في مجازاة[4] ما لها من الاحسان، إذ ليس القيام بشكرها في وسع الانسان، لكنْ ما عجز المرء عن أدائه، فالله كفيل بجزائه.

وقد وصل الأرسال الصادرون من الحضرة الإمامية العلية[5] ــ أفاض الله نورها، وضاعف بهجتها وسرورها ــ في بُرود إحسانها رافلين، وبجديد امتنانها قافلين، ولآلائها شاكرين، ولما شاهدوه من أنوار علائها ذاكرين ؛ وتلك عادتها ــ دامت سعادتها ــ في إسباغ النعم على كل من قصدَ لِبابها، وتعلقَ من أهل الملل بسبب من أسبابها، الفضلُ والحمد لله شيمتُها، ودِيمَةُ الجود العميمةُ علَى اهل الوجود دِيمَتُهَا، أوزع الله شكرها، كما أحسن في ألسنة العرب والعجم ذكرَها ؛ وقد أخذ الأرسال المذكورون في الانفصال من هنا الى صاحبهم على الوجه الذي اقتضاه النظر الكريم، ونَفَذ به الأمر المطاع، أمضى الله حدّه، وأسمى جَدّه، متوخّى في ذلك كلّ ما أمِر به، معمولا جهد

---

(1) نفس المكتوب عنه في الرسائل السابقة.

(2) قارن الصدر مع الرسالة رقم 70.

(3) ناقصة في الاصل، والسياق يقتضي وجودها بالمقارنة مع رسائل اخرى.

(4) في الاصل : مجازات.

(5) يقصد الوفد القشتالي برئاسة الوزيرين ابن مزاح وابن الفخار (انظر الرسالة رقم 77) وذلك بعد ما اتصل بالخليفة المستنصر بالمغرب.

الإمكان في توجههم وتوجّهِ مَن صَحِبَهم بحسبه[6]، متحدثين من[7] عظمة الأمر العزيز ــ أدامه الله ــ بما يبلغه الشاهد منهم الغائب، ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب[8]، وببركة الحضرة الإمامية ــ أيدها الله ــ يتسنّى من مصالح العباد والبلاد كل مطلوب، ويتمشّى في كلُّ ما يعود بالأمن الشامل والخير الكامل كل مرغوب ان شاء الله تعالى ؛ والله يجازي الحضرة الإمامية بأحسن الجزاء، على حسن نظرها للجهات والأرجاء، وعلى ما لم تزل تواليه من كريم الاعتناء، العائد ببسط السرّاء وكفّ الضرّاء، وتشترطه للاسلام وأهله بحسب مالَها ــ والحمد لله ــ من علوّ الكلمة ونصر اللواء، وهو تعالى يحرس على العباد أنوارها، ويحفظ سعودها التي عدت حوائط البلاد وأسوارها، ويصل لها من الإمداد الربّاني والإنجاد السماوي ما يقضي أغراضها كلها وأوطارَها، ويُطبِّق ذكره آفاق الأرضين وأقطارَها، بمنه وكرمه، لارب سواه...

---

(6) يشير الى مغادرة الوفد القشتالي لاشبيلية الى بلاده بعد امضاء عقد الهدنة، انظر البيان 244 والدراسة التاريخية في الفصل الرابع (ضمن عواقب معركة العقاب).

(7) كذا في الاصل.

(8) هذا دليل على ان الدبلماسية الموحدية كانت تقتضي تزويد ضيوفها الاجانب بالهدايا، ويبدو ان المقصود هنا هدايا بالخصوص الى ملك قشتالة والوصي عليه.

الرسالة الواحدة والثمانون :

م خ/318 ....أمضى الله حدودها[1]، وأدام تأييدها وظاهر سعودَها، ووالي سموَّها في ذرى العزّ والتمكين وصعودَها، وضاعف بهجتها وسرورها كما ضاعف كرمها وَجودها، وأجرى لها (من قرة) العيون، وصدق الآمال والظنون معتادها ومعهودَها، عبدُها[2] اللائذ بظل لوائها، العائذ بحَرم علائها، العارف بحق ما فاض عليه من جزيل نِعمها وآلائها، المتضرعُ الى الله في شكرها واحسان جزائها، الداعي بإدامة ايامها وإطالة بقائها، المعتصمُ بالاستناد الى ظلالها الوارفة وأفيائها، سلام (الى اخر الصدر)[3].

....كتب الله لها ظهورا لا يضاهي، وعزاً لا ينبغي لسواها، وسعودا تَضاعَفُ أعدادها الى ما م خ/319 لا يتناهي، ولأمرها العزيز — أدامه الله — من إفاضة/ أنواره، على أنجاد البسيط واغواره، وظهور بركاته، في سكناته كلها وحركاته، والصنع الذي لا يزال في كل قضية جميلا، والعناية الربانية التي تكمِّل له صفات السعادة تكميلا، ولله على ذلك الحمد الذي تُدِرّ به من النعم أخلافُها، وتتبع به آحادَ القِسم آلافُها ؛ والشكر للحضرة الامامية — أيدها الله — فرض من فروض الاعيان، والنصيحة في خدمتها أوكدُ الاعمال التي تَعبَّد بها الانسانُ، والتمشية لأغراضها السَّنِيَّة، والامتثال لأوامرها العلية أنجحُ ما التمِس به نَيْلُ الرضوان، وأصحّ ما اعتُمد عليه في كل أوان، وعبدُها[2] من المحافظة على ذلك كله على أوفى ما يكون عليه أرقّاء الاحسان، ونُصَّاحُ الخدّام وخُلصان العُبدان، العارفون بما أوجبَ الله لها من تعظيم الشان وخدمة المكان ؛ والله يعينه على ما يُحظيه برضاه الموصل الى رضاء الرحمن، وينشر عليه جناح ما[4] جُبلت عليه من الرأفة والرحمة والعطف والحنان، ويوزعه شكر ما أضفت عليه من بُرود النعمى والامتنان.

والى هذا — وصل الله للحضرة القدسية ما عوّدها من علوّ المقدار، ومطاوعة الأقدار، وتعرّف الصنع الجميل في الإيراد[5] به والإصدار — فما وجب به إعلام مقامها الأسمى — أيدها الله — أن احوال هذه الجهات ببركتها جاريةٌ — والحمد لله — على الصلاح الشامل، والعافية المتصلة والأمن الكامل، والناس مستبشرون بالرخاء، آمنون ليلا ونهارا حيث كانوا من الأرجاء، داعون في مظانّ القَبول لخليفتهم وإمامهم وسيّدهم ومولاهم، الذي خوّلهم الله ببركة خلافته من الخير ما خوّلهم، وأوْلاهم بسعادة إمامته من اليسر ما أولاهم، قد فاضت عليهم البركات الإمامية فيض النهار، ووثقوا بما وعد الله دينه القيّم من الإعلاء على الدين كله والإظهار، والله يصل النّعم بتخليد الحضرة العظمى، ويُجري الاحوال في كل حال واستقبال على ما يرضي المقام الاسمى.

---

(1) الرسالة مبتورة البداية، والضمير هنا يعود على «الحضرة» قارن — مثلا — مع الرسالتين السابقة واللاحقة.

(2) يبدو انه هو نفسه ابراهيم المذكور في الرسائل السابقة.

(3) انظر نموذجا لصدر رسالة من انشاء ابي العباس بن جعفر في الرسالة رقم 70.

(4) في الاصل : لما (مع طمس نسبي لحرف اللام).

(5) كلمة شبه مطموسة في الاصل.

وإنه ورد على عبد إحسانها، ومملوك امتنانها، كتابها الكريم المعظم، المبارك المكرّم، يشرق نوره وتنطق بالفضل المبين والهدي المبني على قواعد الدين سطورُه، فعظُمَ به ابتهاج العبد وسرورُه، وتلقته بالسمع/ والطاعة أعجاز الامتثال وصدوره ؛ واشتملت علامته المباركة[6] التي هي القطب الذي يحرك فلك المصالح ويديره، فياله من وارد كريم ما أعظمه، وواصل عظيم ما أجله وأكرمه، لقد بلغ العبد غاية سُؤْله[7]، من التبرك بوصوله، وبادر للفور الى امتثال معانيه الكريمة وفصوله.

م خ/320

فأما الاشارة الكريمة في **حق رعي السلم مع صاحب قشتالة**[8] فقد نبّه العبدُ أهل هذه الجهات عليها، وبثّها فيها وأنهاها اليها، ولن يزال **يؤكد في ما**[9] **يجب من حفظ العهود**، والوقوف عند الحدود، ويُمشي في ذلك الغرض الامامي الكريم، على التكميل بحول الله تعالى والتتميم، حتى تقوم على صاحب قشتالة في ما[9] يُطلب به من النصيحة الحجةُ، وتتضح له من الإنصاف والمعدلة السبيلُ الواضحة والمحجّةُ، برشد الله[10]...

(6) هي علامة الخليفة، وتكون في اعلى الرسالة بعد البسملة والتصلية، وهي (والحمد لله وحده)، انظر الرسائل 9 و 13 و 21 و 22 و 24 و 35 و... 126.

(7) في الاصل : سوله (بدون همزة).

(8) هو ملك قشتالة هنري (الطفل) تحت وصاية البارو نونيودي لارا.

(9) كذا بالاصل.

(10) الرسالة غير منتهية فيما يبدو.

الرسالة الثانية والثمانون :

م خ/327 الحضرة العلية المقام، القدسية التمجيد والإعظام، السعيدةُ الليالي والأيام، المحفوفةُ بالتأييد الدائم الاستمرار والتسديد المستمر الدوام، الطيبة بذكرها أنفاسُ الرياح والخافقة بنصرها عذبُ الأعلام، والمفتوح لها في كل مرمى والميسَّر لها في كل مَرام، والميمونة المَطالع على أهل الاسلام، والمقضيّ م خ/328 بها على كل عدوّ في كل رواح أو غدوّ بالاصطلام ؛ حضرةُ سيدنا ومولانا الخليفة/ الإمام أمير المومنين، ابن الخلفاء الراشدين، الأيمة المرشدين الكرام، خلّد الله سلطانها وعمّر بوفود البشائر أوطانها، ومدّ لها أسبابَ الفتوح وأشطانها، وأيّد بإنجاز الموعود أمرَها، وأعظم في إظهار السعود شانَها، كما جعل أيمنَ الدول دولتها وأسعد الازمان زمانَها، وكما جعل حياة الأرواح طاعتها وقيدَ القلوب إحسانَها ؛ عبدُ سنائها ؛ ومملوك علائها، في بحر الشكر لآلائها، الباذلُ جهدَه في شكر الله على تيسير ظفرها واستيلائها، الفرِحُ بنصر البشرى والمنة الكبرى من كريم إملائها، المتضرعُ إلى الله في إدامة ما عوّدها من نصر كلمتها وإعلائها، المتقطِفُ ثمرَ المنى طيبَ الجنَى من بيان سعودها ووضُوح جلائها : إبراهيم[1]، سلام الله العبِقُ النفحات، المشرق الصفحات، المقرون بالرحمة العامة والبركات، الموصولُ في آناء السكنات كلها والحركات، يخصّ حضرة السعود، المقضيُّ لها بالسمو والصعود، ما شرحت بدولتها الصدور، وتتابعَ بسعادتهاه السرور، ذلك أجل مستاخر، وأمدٌ ليس له الى يوم القيامة آخر.

وبعد حمدِ الله الذي أنجز للأمر العزيز المحفوظ في حرزه الحريز صادق عِداته، وأجراه على أوضح أسلوب من الظهور في كل مطلوب على عُداته، وأطلع بشائره الغرَّ الاطلاع المستمر على حضرة الاسلام وبِداته، والصلاةِ على محمد نبيه الذي بشارتُه لهذه الطائفة بالفتح لها، (وشهادتُه)[2] بأنه لا يضره مَن خالفها ولا مَن خذلها من معلوم بشائره وشهاداته، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، عتاد الدين القيّم وأداته، وطبيبِ الاسلام حين تضاءلَ في أسمال السَّقام، لا يُعرَف عِشيُّه من غداته، وعن الخلفاء الراشدين الايمة المرشدين قادة هدى ركبه وحُداته، ومكمّلي أمره العلي وموضحي منهجه الجلي وهُداته، والدعاءِ لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المومنين ابن الخلفاء الراشدين باطّراد عوارفه في النصر وعاداته، ومُضاعفةِ حظوظه مدَّ الدهرِ وسعاداته، وتيسير مقاصده كلها وإراداته.

فالكتاب الى حضرة سيدنا ومولانا، وعصمة ديننا ودنيانا ـــ كتب الله لها من الفتوح ما يخرق معتادها، ويتجاوز (مُبتغاها)[3] ومُرتادها، وملّكها ما زُوي لنبينا عليه السلام من المشارق والمنارب، ووصل لها ما عوّدها من الظهور على كل مُناوٍ[4] ومحارب، وهنّأها ما خوّلها من تيسير الأغراض م خ/329 والأمنية بفضل الله كاملة ، والعافية/ شاملة، وقد أنزل الله في هذه الايام من رحمته ما بسط القلوب، وأربى على المطلوب ؛ فالناس **منتشرون في الارض لزراعتهم** ومستكثرون منها جُهد استطاعتهم،

(1) لعله المذكور في الرسائل السابقة.

(2) في الاصل : وشهدته.

(3) في الاصل : مبغاها.

(4) كذا في الاصل، اي مناوىء.

والروم بالسّلم مغتبطون، وللصلح[5] مرتبطون، وكل نعمة تُنال، ورحمة تنثال، فمن الحضرة الامامية انبعاث أسبابها، ونشي[6] سحابها ؛ والله يهنيء الجميع ما شملهم من نعمها، وعمّمهم[6 م] من عطفها وكرمها

وقد ورد على عبد جلالها، ومملوك أفضالها، كتابها المعظم المكرّم الذي بوروده تنبعث المسرات، وبمقصوده تُنال البركات والخيرات، فأورد جملة السرور، وأرشد الى مصالح الاحوال ومناجح الأمور، فتلقاه العبد تلقيَ من ظفر منه بأمله، وأخلص له في الطاعة بنيته وعمله، وتفهّم فصوله تفهّم الواقف عندها، المنتهي اليها، المتضرع الى ا لله في الإعانة عليها ؛ وعرف قدر **ما تضمّنه من الوصايا الجامعة** لضروب المنافع في الدارين، والاشارات الموصلة الى نيل الحسنيين، والأغراض التي لا يضل مَن سلكَ واضح سبيلها، واتبع صالح دليلها — ولا يزال مَن استند اليها، واعتمد عليها ؛ وطفق عبدُ الحضرة الإمامية — ايدها الله — لا يدبّر امرا إلا اتخذ وصاياها الكريمة فيه إمامه، ولا يحاول شغلا الا استشعرها أمامه ؛ والله تعالى يشكر الحضرة الإمامية على توصيتها المرشدة، وإشارتها المعينة على الخير المنجدة، ومواعظها التي لا تزال تشحذ الأفكار والضمائر، وتنوّر الأبصار والبصائر، وتحمل على التماس الأنفع، واكتساب العمل الصالح الذي يرفع ؛ والله العليم سبحانه بما عند العبد من بذل الجدّ في طاعتها والاجتهاد، والاستعانة بالله في أداء حقوقها والاستنجاد، واستغراق إمكانه واستنفاذُ وُسعه في تفقد جزئيات الأمور بأتمّ وجوه الاستغراق والاستنفاد[7]، والسعي المتصل في العمل الأصلح والرأي الأصوب، والملازمة لابتغاء الأدنى إلى المراضي الإمامية والاقرب، والتمشية لمقصودها من العدل والاحسان، والامتثال لأوامرها المطاعة في كل أوان معنى وكّل أوان، وإنه لا يغفل عن مصلحة بحسب وُسعه ساعة من الساعات، ولا وقتا من الاوقات ؛ والله يعينه على ما يحظى برضاها، ويُزلف من رُحماها.

وقد تقدم الإعلام **بأحوال الثغور** غير مرة، وشرحَ العبد ما مسّها من الضيق والضُّعف، **وغلاء السعر وعدمِ الطعام** وكثرة التشكي بقلة الإنصاف[8] واحتياجها الى النظر الكريم الذي يصلح أحوالها ويبسُط آمالها، واحوالها الان باقية على ذلك ؛/ وكان من جميل صنع الله وفضله الذي لا تنحصر أسبابُه، ولطفِه الذي لا يُغلَق في وجه مستفتِح بابُه، أن الله تعالى أغاث أهلَها في هذا العام بالبلوط فإن شجرها حملت حملا كثيرا فاتخذها أهلُها قوتا لأنفسهم ولدوابهم وسدّت لهم مسدّا كبيرا حتى لا يكاد يوجد عندهم دقيق إلا منها، فعظُمت بها عند أهل الثغور النعمةُ، وظهر فيها من الله اللطف بعباده والرحمةُ، وذلك كله ببركة الحضرة الإمامية — ايدها الله — وبجميل نيتها وبركة دعوتها، والحمد لله على ما خوَّل أمرَها العزيز من السعود التي تظهر آثارها في كافة الامور وعامة الأرجاء، وَيغنَى المجدبون ببركتها عن الأنواء والأنداء[9]

م خ/320

(5) كذا في الاصل، ولعل الأصوب : (بالصلح).

(6) كذا في الأصل بدون همزة والنشيء اول ما ينشأ من السحاب.

(6 م) كذا في الاصل.

(7) كذا في الاصل (بدال اخيرة)، واستنفد الشيء : افناه، واستنفد وسعه : استفرغه.

(8) لا توجد لدينا رسائل الوالي التي يشكو فيها من هذه الوضعية.

(9) الرسالة مبتورة النهاية.

الرسالة الثالثة الثمانون

صبح 446/6...[1] اما بعد حمدِ الله الآمر بالوفاء بالعهود، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيد الوجود، وعلى آله وصحبه ليوث البأس وغيوث الجود، والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، الآتي بالنعت الموجود، في الزمن المحدود، وعن خلفائه الواصلين، بأمره الى التهائم والنجود، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الإمام المستنصر[2] بالله أمير المومنين بسعد تذِلّ له النواصي، ويهُدّ الاقطار القواصي ؛ فكتبناه ــ كتبكم الله ممن إذا همّ بامر تدبّر عواقبه، واذا عزم على ركوب غَرِرٍ ألفَى مَعاطبه ــ من فلانة[3] كلأها الله تعالى ؛ وقد بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصارى، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى[4]، ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلا، ونخوةٍ تُعقب هوانا وذلاً، وقد أخطأتم في فعلتكم الشنعاء من ثلاثة أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالعهد، والوقوف مع العقد ؛ والثاني عصيان الأمر العزيز وفيه التغرير بالمُهَج، وترك السعة للحرج ؛ والثالث أنكم **تثيرون على أنفسكم من شرّ عدوّكم ــ قصمه الله ــ شرَراً يستعِرُ، وضررا يَعدَم فيه المنتصر،** فليتكم إذ تحلّيتم بالعصيان، ورضيتم الغدر المحرّم في سائر الاديان، ثبتّم للعدوّ اذا دهمكم، ولقِيتموه بالجانب القوي متى زحمكم، بل تتدرعون له الفرار، وتتركونه في مخلّفيكم وما اختار ؛ وقد جربتم مرات انكم لا ترزأونهم ذرّة، الا رزأوكم ألف بَدرة، ولا تصيبونهم مرة، إلا أصابوكم الف مرة ؛ والى متى تُنهوْن فلا تنتهون ؟ وحَتّى مَ تنبّهون فلا تنتبهون ؟

فاذا وافاكم كتابنا هذا بحول الله وقوته، فأدُّوا من أُسرتم الى مأمنه، ورُدّوا ما انتهبتم الى مَسرحه، ولا تمسكوا من الأسارَى بشعرة، ولا من الماشية بوبرة ؛ ومن سمعنا عنه ــ بعد وصول هذا الكتاب ــ أنه تعدى هذا الرسم، وخالف هذا الحكم، أنفذنا عليه الواجب، وحكّمنا فيه المهنّد القاضب، فلتسرع من نومة الغفلة إفاقتُكم، **ولا تتعرضوا من الشرّ لِما تعجز عنه طاقتكم**[5]، ونحن متعرفون ما يكون منكم من تأنٍّ او بِدار، ومقابلون لكم بما يصدر عنكم من إقرار أو إنكار، وهو يرشدكم بمنه، والسلام عليكم ورحمة الله.

---

(1) اعتبر صاحب صبح الاعشى أن هذا هو مطلع الرسالة، حيث اوردها كنموذج للرسائل المفتتحة بلفظ «اما بعد» ويجعل الرسالة صادرة عن الخليفة المستنصر بالله الى بعض نوابه حين «نقض العهد، على بعض المهادنين من النصارى»، ويسمي الكاتب بلقب «ابو الميمون»

(2) اذا صح ما ذكره القلقشندي في الهامش (1) تكون هذه الرسالة استثنائية بالنسبة للرسائل الموحدية التي لا يذكر فيها الدعاء للخليفة الحاكم عندما تكون صادرة باسمه، غير انه من غير المستبعد ان تكون الرسالة صادرة عن وزيره والوصي عليه ابن جامع وليس عن المستنصر.

(3) من المرجح أنها مراكش، حيث أن المستنصر لا يعرف عنه انه خرج من هذه المدينة الى غيرها من المدن.

(4) قارن مع الرسالة اللاحقة (84) (حول قتل معتد على ا لنصارى).

(5) اعتراف بميل الموحدين الى السلم لعجزهم عن المواجهة في هذه الفترة.

الرسالة الرابعة والثمانون :

م خ/333 ....[1] والى هذا ــ وصل الله للحضرة القدسية ما عودها من نصر أعلامها الخوافق، وامضاء سيوفها البوارق، وفتحَ لها الفتح الموعود في المغارب والمشارق، فإن بركتها لا تزال تتكفل لبلادها بالأمن في سربها، وتدلح اهلها بالسلم المستوثق من سَورة حربها ؛ وحظ هذه الجهات من ذلك ــ والحمد لله ــ حظٌ كبار، والسَّلم قد ضمنت لها ان لا يرتفع فيها على فئتين متقاتلتين قَتَامٌ ولا غبار، ولا يُراعَ لها سِرب ولا صُوار، ولا يَضيرها دنوّ من بلاد العدو ولا جُوار ؛ وقد كان نشأ بهذه الجهات في هذه الايام ناكث غادر، مجرم فاجر، ظهر فساده لكل إنسان، وابتدر الشكوى منه بكل لسان ؛ وكان يَهْتصِر أفنان الفتنة اهتصارا، ولا يحاشي من الإذاية مسلمين ولا نصارى، فتُقُدّم[2] اليه بالنهي اعتذاراً وإنذاراً، ودعي لما يحييه فلم يزده الدعاء إلا فرارا[3]، ثم اجترأ على أن نهد الى جماعة من رُعاء النصارى قد أظلّم السلم بستارته، وأدخلهم العهد في خفارته، فرماهم وغنمهم وأتى بطليوس[4] بأحد[5] وعشرين أسيرا منهم، والصلح قد علاهم فسطاطُه، ووسعتهم عهوده اللازمة وأشراطه ؛ فاخذه الله بذنوبه اخذا وبيلاً، وجاء اجله فلم يجعل له الى الاستيخارة سبيلا، وحكمت المحافظةُ على السلم بتعجيل إطلاقهم، وحلّ وثاقهم، حذَراً من نكث العهد والميثاق، **وخوفاً أن ينجُم ناجمُ فتنة أو نفاق، أو يستوي ضرر الكفرة على ساق،** فانصرف القوم وصَدَرَ

م خ/334 الرعاءُ، وهنالك ارتفع النداء الى الله/ بتخليد الحضرة الإمامية والدعاء، وعلم الناسُ أن عدوهم المفسد قد استؤصلت منه شأفة، ولم تؤخذ به[6] في دين الله وصلاح المسلمين رأفة، فهم لخليفتهم داعون، ولأمانته وعهده راعون ؛ وعَلِمَ حزبُ الروم ايضا أن الناكث الذي كان يقدح في سلمه، قد أخذه الله بظلمه، ورأوا كيف كان عاقبة المجرمين، وكيف يُحفظُ الميثاقُ عند المسلمين ؛ فالروم بذلك مغتبطون، وبحبل السلم معتصمون جميعا مرتبطون ؛ وقد اتّصلت رحالهم برحال المسلمين[7] وغنمُهم بغنم المسلمين، فالكل في هذه الأحواز مختلطون : كلا الفريقين يرتعي في المرعى الواحد، ويلتقي بالغداة والعشي وهو لآيات السلم غير جاحد، والبلاد خلال ذلك ترتضع ثُدِيَّ هذا الأمر الشامل، وتثق بما يصنع الله لخليفته في الأرض من الصنع الجميل الكامل.

وقد وصل متجسسون من بلاد الروم فأُعلموا بما هم عليه من الاغتباط بسلمهم، وبما قد تقرر

---

(1) الرسالة مبتورة البداية قارن مع رسائل سابقة غير مبتورة لنفس الكاتب.

(2) «فتقدم» :في الاصل مضبوطة بالفتح على القاف، والاصح بناؤها للمجهول.

(3) اقتباس من الآية السادسة من سورة نوح.

(4) بطليوس : انظر عنها الهامش 5 على الرسالة 75 والهامش 6 على الرسالة 78.

(5) كذا بالاصل.

(6) في الاصل : ولم تأخذ به.

(7) في هذا اشارة الى التنقل بين بلاد المسلمين والنصارى، وربما ايضا التجارة بين الجهتين.

من نصر الله لأمره العزيز على (خالقه)[8] في علمهم، وأنبأوا **أن ابن الريق**[9] **وصاحب ليون**[10] **تعاقدا وتعاهدا بينهما سلما** اختلف الناقلون في امرها فمنهم من يقول إنها لأمد طويل ومنهم من يزعم أنها لعدد قليل ؛ وأما ما كان من ابن الريق بزعمه من توجيه القَمْطِ الى الحضرة الإمامية ــ ايدها الله ــ فإنما كان رام ذلك إذا كان إذفونش[10] يروم توجيه ابن مريق اليها، وإشخاصه للوفادة عليها، فلما لم يوجِّه اذفونش رسولَه، بلغ ابن الريق في نقض تلك العزيمة سُولَه، وذلك من خداع المشركين، ومكر الكافرين «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»[11]..

---

(8) كذا في الاصل والصواب :من خالفه.

(9) ابن الريق : هو الفونسو الثاني (البادن) (1211 م/ 608 ــ 1223 م/ 620) حفيد الفونسو هنريكيز (اشباخ 449، وعنان 2/ 610 ــ 611) والتسمية بابن الريق في المصادر العربية مستمدة من اسم جده هنريكيز.

(10) صاحب ليون : وهو المسمى اذفونش : الفونسو التاسع ملك ليون (والد ملك قشتالة الطفل فرناندو الثالث) امتد حكمه فيما بين 1188 (583 ــ 584 هـ) و 1230/ 627 هـ (عنان 2/ 594 ــ 597).

(11) من الآية 30 من سورة الانفال.

الرسالة الخامسة والثمانون :

البيان 246 ....[1]، وقد انقلب اليكم[2] رسولا منكم بما تتعرفونه[3] في السلم المنعقد[4]النير[5] شهابُه المتقد، بين الموحدين وبينكم بالمخاطبة الكريمة التي حملها اليكم، وحمل نحوكم من الإتحاف ما يبلغكم على يديه الذي هو عنوان المخالصة وثمرة المواصلة، وكل ما يكون من هذا بيننا وبينكم ينبغي أن يكون متقبَّلا، وعلى أحسن المتأوّلات[6] متأوّلا، إن شاء الله ؛ **وأنتم بحول الله تقفون عند حدود السلم، وتحافظون عليها** وتعاقبون كل مَن همّ بإذاية المسلمين[7]، فإن الوفاء شعار الملوك، وعليهم فيه يجب السلوك ؛ وكُتِبَ في سادس رمضان سنة ثمان عشر وستمائة[8].

---

(1) نقل صاحب البيان هذا الفصل مبتورا، وجعله عن الوزير ابي زكرياء يحيى وزير المستنصر، والمكتوب اليه هي ملكة قشتالة (راجع في الفصل الرابع عواقب معركة العقاب).

(2) المخاطب في الرسالة هي ملكة قشتالة ــ فيما يبدو ــ وهي برنجيلا ام الملك فرناندو والوصية عليه، (راجع في الفصل الرابع نفس الفقرة المذكورة).

(3) في نسخة خ ح/ 6 و ط تطوان : بما تعرفونه.

(4) في خ ح/ 1: المتقد.

(5) في بعض النسخ التي اعتمدتها ط، تطوان : المنير.

(6) في خ ح/ 5 : المتأويلات.

(7) هل يقصد منع الجماعات العسكرية الدينية من الغارات على بلاد المسلمين زيادة على الجيوش الرسمية ؟.

(8) ان الترتيب الزمني يفرض تأخير هذه الرسالة عن المكان الذي وضعت فيه، غير ان ارتباطها بالرسائل السابقة حول السلم مع قشتالة استلزم الحاقها بها.

تنبيه : فيما يخص الرمز (خ ح) بالهوامش انظر الملاحظة على الرسالة 67.

الرسائل رقم 86 و87 و88 و89 :

رسائل تلمح للوضع الداخلي بالأندلس في أوائل عهد المستنصر فيما يبدو

تقديم :

هناك اربعة رسائل في المخطوط الخاص لا تتحدث عن الحالة الزراعية ولا عن حالة العدو، وانما تلمّح الى الوضع الداخلي، فاحدى هذه الرسائل غامضة تشير الى وصول أوامر من الخليفة وأن الوالي يمتثل هذه الاوامر : (ص 310) رقمها 86، واخرى تشير الى نفس الموضوع مع اضافة التأكيد على صلاح البلاد : (339 ــ 340) رقمها (87)، وثالثة تذكر الرخاء والهدوء في البلاد، وتبديد شمل المفسدين بتطبيق أوامر الخليفة في تأمين الطرق وإنصاف المظلومين : (312 ــ 315) رقمها (88)، ولم ينج الوالي امام تشعب الظروف من معاكسة البعض، إلى أن أتى كتاب الخليفة متوعدا هؤلاء ومؤنّسا للوالي : ومع كل هذا يؤكد الوالي دائما أن البلاد في صلاح وأمن ! (340 ــ 342) رقمها 89، وهذه هي نصوص الرسائل الاربعة على التوالي :

الرسالة السادسة والثمانون :

م خ/330 ....[1] فانما يقطف (المجد)[2] في نجد، ويلمّ الشعث (ويجدد)[3] المبادرة الى امتثال أوامره المطاعة وتمشية أغراضه العلية ؛ والأوامرُ المطاعة[4] — أدام الله علاءها — محافَظٌ عليها أبدا بالكليّة، والعبد[5] يبذل جهده في امتثالها والله يعلم ما عنده فيها من بذل النصيحة وخلوص النية، وجزى الله الحضرة الإمامية بافضل الجزاء، على اعتنائها بمصالح الأرجاء، وتأكيدها فيما يعود ببسط الامل والرجاء، وتأمين الرعية وسكون الدهماء ؛ فمازالت بركتها تخص وتقصد كل مكان بضروب الإحسان وتَؤُمّ، ويكمُل بها كلُّ خير ويَتِمّ، وما برحت سعادتها تُصلح الأرضِين، وتُبهج الدنيا والدين، وتقذِف في كل قلب بظهورها العِلم اليقين، والله يعين على طاعتها التي يكون بها الفوز بالإسعاد، وهي العمل الصالح المذْخَر للمعاد، ويوافق في كل محاولة إلى ما يقع بوفقها ويحظى برضاها، ويُستعمل في كل حين على ما يزلف من رحماها، ويحفظ الاسلام وأهله ببقاء جلالها، وامتداد ظلالها، بمنّه[6]...

---

(1) هذه اول رسالة في المخطوط الخاص (المجموع)،،، ويظهر بوضوح انها مبتورة.

(2) كلمة مطموسة جزئيا.

(3) في الاصل : (ويجبدد).

(4) «الاوامر المطاعة» غير موضحة هنا على عكس الاشارات — الواردة في الرسائل الجوابية — الى ما ورد في الرسائل الخليفية المجاوب عنها ، وربما كانت هذه الاوامر تخص الحفاظ على السلم مع قشتالة، او موضوع عيث القبائل العسكرية.

(5) اذا ثبت ان هذه الرسالة كتبت فيما بين اوائل 611 ومنتصف شعبان 612 فان «العبد» هنا من المحتمل ان يكون هو ابراهيم ابن الخليفة يوسف الذي كتب عنه الكاتب ابو العباس بن جعفر معظم رسائل المخطوط الخاص.

(6) لم تصل الرسالة الى نهايتها تماما بالمقارنة مع رسائل اخرى.

الرسالة السابعة والثمانون :

م خ/339 ....[1] فكتب عبد الحضرة الامامية ــ كتب الله لها ما عوّدها من الظهور، وإفاضة النور، ــ وبركات الحضرة الإمامية ــ أيدها الله ــ تعمّ البلاد بأضوائها، وتروي العباد بصادق بُروقها وهامِع أنوائها، وتحفظ الجمهور في ظل لوائها، والحمد لله على هذه النعم حمدا يتكفّل بمزيدها وبقائها، والشكر للحضرة الإمامية ــ أيدها الله ــ من أوكد الاعمال المقرّبات، والامتثال لأوامرها المطاعة من أنجح ما التمُس به في المعاد الفوز بالنجاة ؛ وعند عبد إحسانها من المحافظة على ذلك كله أكمل ما يكون من ذلك عند عُبدانها المخلصين الناصحين، والله يعين على توفية واجباتها وأدائها، ويُنهض بذلك عبدَ علائها، ويَنشر عليه من رحمتها جناحا ويُبقي بركة أمرها العزيز لأبواب السعود وخصّها من إعلائه، وتوالي آلائه، بالمزيد، فإن أحوال الجهات ــ والحمد لله ــ في صلاح تستقبله، ونجاح أمل تستوفيه ببركتها المصاحبة ــ بفضل الله ــ وتستكمله ؛ وإن أهلها في سرور بالالتفات الإمامي الذي عمّ اشتماله، وأقرّ العيون تفصيلهُ وإجمالهُ، ولله يوزع الجميع شكر نعماها، ويعين في كل حال على ما يحظى برضاها، فيزلف من رحماها.

وقد ورد على عبد جلالها أورد الله عليها وفود السرور، وعرّفها الخِيَرة التامة، والبركة العامة، في جميع الامور ؛ كتابُها المعظم الكريم، المتلقّى بما يجب له من التعظيم والتكريم، المتضمِّنُ من منافع البلاد ومصالح العباد، ما يسر الجمهور، ويثير السرور، ويصلح الأحوال كلها ــ بفضل الله ــ والأمور، فتلقّاه العبد بواجبه من التعظيم والإجلال، والسمع والطاعة والامتثال، وكل ما أمرت به ــ أعلى الله أمرها ــ يمشي بحول الله وبركتها على الكمال، ويعتمل في مناهجه الواضحة أفصح اعتمال، ويجعل من أهم الأمور وأوكد الأعمال ؛ وتلك عادتها ــ وصل الله تأييدها ــ في حياطة عبادها بنظرها السديد، وتأمين القريب والبعيد ؛ وما زالت بركتها ــ والحمد لله ــ حفيلة وإمامتها

م خ/340 السعيدة بكل مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة كفيلة، والله يجازيها/ على كريم الالتفات وجميل النظر، بأفضل ما جزى به (خلفاءه)[4] المنعِمين على البشر، والعبد يستنفد وسعه في امتثال أوامرها المطاعة وابتغاء مرضاتها، ويستعين بالله تعالى وهو خير معين، وبما تعلّق بظهور بركتها في كل شأن من العلم اليقين، على أداء مفترضاتها، وينتهي إلى حدودها المحدودة، أدام الله مضاءها ــ بحول الله ــ وبركاتها، والله يعينه على ما يُحظِي لديها، ويُنجده على ما يزلف اليها، وهو ــ تعالى ــ يصل لها أسباب النصر والتأييد، والحفظ لمقامها العليّ والتخليد، ويقرِن مساعيَها بالفلاح والنجاح والتوفيق والتسديد، ويُبقي بركتها على جميع العبيد، ويَمدّها بموادّ التمكين، والفتح المبين، في القريب من الارضين والبعيد، بمنه...

---

(1) الرسالة مبتورة البداية، قارن مثلا مع الرسالة اللاحقة (88).

(2) لعله هو والي اشبيلية ابراهيم بن الخليفة يوسف، انظر الهامش 5 على الرسالة السابقة (86) وانظر اسمه في الرسالة اللاحقة (88).

(3) يبدو ان الاوامر المطلوب تنفيذها تتعلق بالحفاظ على الهدنة مع قشتالة او بموضوع عيث القبائل العسكرية التي سنرى الرسائل المتعلقة بها بعد.

(4) في لاصل :خلفاء.

الرسالة الثامنة والثمانون :

م خ/312 الحضرة الإمامية، القدسية المؤيدة المنصورة العلية[1]، خلد الله أيامها، ونصر أنصارها وأعلى أعلامَها، ووصل إعلاءها وإظهارها وإعزازها وإعظامَها، وأمد بموادّ التمكين والفتح المبين مقامَها، وأجرى على ما يقرّ عيون البَشر ويقضي بالمسرات والبُشر أمورَها كلها وأحكامَها، عبدُها الطائف بحَرَم جلالها، العاكفُ في معتصم ظلالها، العارفُ بحق ما تعهّده من كريم التفاتها وشريف اهتبالها، المتضرعُ إلى الله في شكر ما غمره من صفو نعمه العميمة وزُلالها، الداعي بحراسة ما ملأ الارض نورا والقلوب سرورا من كمالها وجمالها، المعتصمُ برفيع سَنَدِها ومتين حبالها : عبدُها إبراهيم[2] ؛ سلام الله الكريم، الطيب المبارك العميم، يخص الحضرة الإمامية المؤيدة، المكرمة العالية الممجدة، كثيرا أثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته.

م خ/313 وبعد حمد الله/ على آلائه العميمة (الى آخر الصدر)[3].

فكتب عبد الحضرة الإمامية العلية كتب الله لها ما عوّدها من اطّراد السعود، وازدياد السمو في كل مستقبل والصعود، وأنجز لها في المشارق والمغارب ما وعدها به من كريم الوعود ؛ وبركات الحضرة الإمامية أيدها الله مشرقة الإيَاتِ[4]، ظاهرة الآيات، مستولية من أنهار سحابها واقتبال شبابها على الآماد[5] والغايات، معرب فيها التكميل والصنع الجميل عن ما لها من الكرامات الربانية والعنايات ؛ والحمد لله على ذلك يمتري أخلاف النعم ويضاعف آلاف القِسم، والشكر للحضرة الإمامية أيدها الله واجب فرض، والنصيحة في خدمتها أوكد الاعمال الموصلة الى «جنة عرضُها السماوات والارض»[6]، والتمشية لأغراضها السنية، والامتثال لأوامرها العلية[7]، أنجح ما التُمس به الفوز بالنجاة يوم يكون الجزاء والعرض ؛ وعند عبد جلالها، ومملوك أفضالها، من المحافظة على ذلك كله أوفَى ما يكون من ذلك عند مماليك إحسانها، وخُلصان عبدانها، الشاكرين لعطفها وحنانها، المتقربين الى الله سبحانه بتوفية ما أوجبه لعليّ مكانها ؛ والله يعين على أداء واجباتها، وشكرِ مِنَحها المترادفة وهِباتها، ويُبقِي بركة أمرها العزيز سِلكا على نحور الايام السعيدة ولبّاتها[8]، وينشر على

---

(1) يبدو ان المخاطب هو الخليفة المستنصر.

(2) ابراهيم هو — على الارجح — ابو اسحاق بن الخليفة يوسف المكتوب عنه في رسائل سابقة.

(3) قارن مع صدر الرسالة (70) لنفس الكاتب.

(4) كذا في الاصل، واياة الشمس : نورها وحسنها أودارتها كالهالة على القمر.

(5) في الاصل :الإماد.

(6) من الآية 133 من سورة آل عمران.

(7) قد تكون هذه الاوامر متعلقة بمسألة الحفاظ على الهدنة مع القشتاليين، وهذا ما سيتضح من الرسالة نفسها، لكن مع اوامر اخرى لعلها ذات علاقة بمشكل عيث القبائل العسكرية وهذا ما سيتجلى بعد في هذه الرسالة نفسها.

(8) اللبة : موضع القلادة من الصدر.

العبد جناح رحمتها التي سكنت من القلوب في حبّاتها[9] ؛ وإلى هذا ــ وصل الله للحضرة القدسية عادة حضورها واستيلائها، وحرس على البلاد والعباد كريم علائها وعظيم آلائها ــ فإن مما[10] وجب به إعلام مقامها الاعلى ــ أيده الله ــ أن أحوال هذه الجهات ببركتها والحمد لله جارية على الصلاح المستدام، والعافية الشاملة **والخير العام، والرخاء** الذي ظهرت مباديه، وقوي الرجاء بفضل الله وبالبركة الامامية أدامها الله في تزيّده وتماديه، والسرور بالالتفات الامامي الذي أبهج رائحه الكريم وغاديه، فالزمان والحمد لله بالبركة الإمامية في صعود، والخير في مزيد، والاسلام في ظهور **والكفر في خمود، ومياه الاستبشار** قد جرت في الأبشار جري الماء في العود، والناس في تخليد الحضرة الإمامية الى الله ضارعون، وإلى طاعتها مسارعون، وفي ملابس إحسانها رافلون، وفي مشارع حنانها شارعون ؛/ والله يوزع الجميع شكر نعمها التي لم تزل عوائدها معروفة، وفوائدها معهودة مألوفة، ولم تبرح دانيةً قطوفها، متعددةً ضروبُها الجميلة وصنوفها. خ/314

وإنه ورد على عبد إحسبانها، ومملوك امتنانها، كتابها الكريم المعظم، المبارك المكرم، تلوح الهداية في أثنائه، وتعشو البصائر والأبصار إلى أشعة سناه وسنائه، ويبتهج الدين والدنيا بتهممه بمصالحها واعتنائه، فعظُم به السرور عموما والابتهاج، وسُلكت من تعظيمه السبلُ الواضحة والمنهاج، فأكرِمْ به من وارد هاد، فَضْلُه واضح وعدله باد، وكل ما تضمّنه **من الاوامر المطاعة تلقاه العبد بالسمع والطاعة**، وأما ما اقتضاه الكتاب الكريم من الامر **بتأكيد أسباب الهدنة وتمهيدها**، فتلك نعمة من نعمها المعهودة على بلادها وعبيدها، ومنّة لم تزل البركة الامامية تتكفل في كل زمان بتجديدها ؛ والله يعين في ذلك وفي سواه على تمشية مَنويِّها الكريم ومقصودها ؛ وأما ما أمرت به ــ أعلى الله أمرها ــ من مباشرة أمور الناس مع الأيام، وتخويفهم بالمواعظ الحسنة على الدوام، وإنصاف المظلومين **وتأمين الطرق** أعم تأمين، فالعبد مستنفِذ في ذلك كله من الامتثال جُهده، جارٍ فيه من النصيحة على ما هو والحمد لله عنده، وقد كان أهل الذعارة والفساد **فد اجتمعت منهم جماعات، فعاثت أياما** في هذه الجهات[11]، فأنفذ العبد جملة من الأجناد في طلبهم، وخاطب اهل الجهات بالخروج من كل مكان اليهم والتعاون عليهم، حتى فرّق الله جموعهم وشتت شملهم، وأحلّ نَظمهم، واستنفذت أكثرَهم البركةُ الامامية الظاهرة التي هي لكل محارب بحول الله قاهرة بين قتيل ذاهب، وطريد هارب، ونازل على الأمان تائب ؛ وكل ذلك ببركة الحضرة الامامية العلية، وبخلوص النية في خدمتها والطويّة.

واقترن بالكتاب المعظم الامامي الكريم، ــ وصل الله للحضرة الامامية أسباب التقديس والتعظيم، ــ ما وصل به أمرها المطاع، ونفذ به نظرها الجميل الذي لا يطاق شكره ولا يستطاع، من أنواع النعم التي شملت الخاص والعام، وأوردت على أرقّائها الناصحين وعبيدها الموحدين والاندلسيين الفرح العظيم والسرور التام، بماخص كل فريق منهم في مطلوبه من إسعاف/ مرغوبه ؛ أمّا عبد علائها خ/315

(9) حبة القلب : مهجته.

(10) في الاصل : مم

(11) انظر مجموعة الرسائل التي تتعلق بموضوع عيث هذه الجماعات رقم 79 ومن رقم 90 الى 96.

فيما أوْلته من كرم التفاتها وشرف اعتنائها، والإنعام **برسم التضييف**[12] الذي ضاعفت به ما قبله من نعمها الجزيلة وآلائها، وجرت في الاحسان به ــ شَكر الله إحسانها ــ على مقاصدها المعهودة المحمودة وأنحائها ؛ وإنها لَنعمة يتردد الشكر في أثنائها، ولا يفي الاحتفال فيه ولو أُمدته كل براعة بأقل جزء من أجزائها، والله الكفيل بثوابها عليه وحسن جزائها ؛ وأما عبيدها الموحدون فيما أنعمت به عليهم من إجراء الطعام لهم فصُنِع لهم كلما[13] أمِرَ به، وكثر فرحهم وعظُم شكرُهم ودعاؤهم بسببه، وتلك النعم التي أَلِفُوها وعهِدوها في الحضرة الامامية وعرفوها، أوزَع الله شكر سحابها المنهمِر ماؤها، المتعارَف نماؤها.

وأما عبيدُها الأندلسيون فما جَهَموا[13] مما قرىء عليهم من أمرها النافذ المطاع من قطع كراء ديارهم المنزَلةِ الآن من **بركة ساكنيها** حتى يقتصروا على الضروري الذي لابّد منه، وإنها لَنعمةٌ لا يقدَّر فرحُهم بها، ولا يحصر شكرهم عليها ؛ ارتفعَ ضجيجهم فيها بالدعاء للحضرة الامامية التي أنعمت عليهم بذلك بحسن الجزاء، وعلت أصواتُهم بالحمد والشكر والثناء، وعلموا أن ديارهم إنما هي مُلكهم حيث أمِر لهم فيها بأخذ الكراء، وظفِروا بعد القنوط واليأس منها بالطمع فيها والرجاء، وأكثرها إنما هي ديار الضعفاء ؛ وتلك عادة الحضرة الامامية في الرفق بالضعفاء، فكل فريق من عبدانها، يَضِجّ بشكر ماجاءه من إحسانها، وشمله من إشفاقها وحنانها، والله يجازيها بأفضل الجزاء على حسن نظرها لعُبدانها وبلدانها ؛ فما زالت أياديها تلوح في أعناق الانام، أطواقا كأطواق الحمام، وما برحت تورد مواردها، وتلبس ملابسها وتعهد معاهدها ؛ والله يحرس منها ما أُلف، ويبقي ما عُرف، ويوزع من شكرها ما يستحفظ مالوفَها، ويستزيد معروفَها، وهو تعالى يديم للحضرة الامامية ما عودها من نصر الأعلام، وتيسير المرَام، ومساعدة الليالي والايام، ويعين على واجبات خدمتها، وشكر نعمتها جميع العبيد والخدّام، بمنه....

---

(12) يبدو انه منحة اضافية في مقابل نفقات الوالي التعلقة بالضيافات الرسمية، انظر امتيازا آخر للوالي في الرسالة 79.

(13) كذا في الاصل، والاصوب : كلُّ ما.

(14) جهم : صار عابس الوجه.

الرسالة التاسعة والثمانون :

خ/340 ....[1] وبركات الحضرة الامامية ـــ أيدها الله ـــ تغدو كما عرفت في حلّة الجمال وتروح، وتبدو على ما ألفت من الكمال وتلوح، ولله على ذلك الحمد الذي يتضاعف والخير[2] الممنوح ؛ ومملوك إحسانها[3] على أوفى مايكون عليه المخلصون الناصحون من عبدانها من الجد في خدمتها، والتضرع الى الله في شكر نعمتها، **والمحافظة على امتثال أوامرها المطاعة،** والاجتهاد في تمشية أغراضها الكريمة جهد الاستطاعة ؛ والله يعينه على ابتغاء مرضاتها، وأداء مفترضاها، ويوزعه شكر نعمتها، وينشر عليه جناح رحمتها ؛ واحوال هذه الجهة ببركتها ـــ والحمد لله ـــ في صلاح يتفتح بابه، ونجاح تتأكد أسبابهُ، وامنٍ يتمهد بالسعادة الامامية ـــ والحمد لله ـــ جنابُه.

وبعدُ، وصل الله للحضرة الامامية ما عوّدها من السعادة، وأجراها من العناية الربانية على حسن العادة؛ فإنه ورد على عبد علائها[3] كتابها المعظم الكريم، أُعظِمْ به من وارد بالسرور، وأكرِمْ به من واصل بما فيه صلاح الامور، فتلقاه العبد بما يجب لمثله، من تعظيم قدره وشكر فضله ؛ والنصيحة في خدمتها عقيدة دينية وقاعدة شرعية، بها يصح كمال الايمان؛ ويُنال رضى الرحمن ؛ والذي عند عبد نعمها ومملوك كرمها، من المواصلة لهذا الاعتقاد، وموالاة[4] الجد في طاعتها والاجتهاد ؛ لا يزال مع الأيام في ازدياد، ولا ينفكّ على ما يرجو به الفوز بالنجدة في الميعاد، والله يوزع الجميع شكر نعمتها، وينشر على الكل جناح رحمتها، وينهض بواجبات خدمتها، بمنه وكرمه.

م خ/341 وبعدُ، وصل الله/ للحضرة الامامية أسباب الظهور، وجعل على وفق اختيارها جريَ الامور ـــ فإنه ورد على عبد إحسانها، ومسترق لحظها وامتنانها، كتابها المعظم الكريم بما اقتضته نعمتها، وتضمّنه فضلها ورحمتها، من **الإنعام والتنويه**، والالتفات المتناهي فيه، والغرض الكريم الذي يستوعب جميع الخير ويتسوفيه، فطارت بالعبد عند وصوله أجنحة السرور والجَذَل، وبلغ بمضمّن فصوله غاية المتمنّى ونهاية الامل، وتضرعَ الى الله في ان يتولى من شكره ما ليس لمخلوق به من قبل، وجعل التعظيم له والعلم بقدره شعارَه، وطفق يقطع بشكر متضمّنه ليله ونهارَه، ويرى أنه إذا بذل في الإعلام بما عنده من شكر هذه النعمة الوسعَ والجُهدَ، وحمل نفسه من التوغل في شرحه الجَهد، وتجاهَدَ[5] في الاحتفال في وصفه الجدّ، فلم يوفِ مع ذلك حق الإعلام بكنه ما في نفسه من شكر ما غمره من النعم التي يتفيأ[6] ظلالها، ويسيغ زلالها، خصّه من العناية الكريمة التي يلتحف بُرودَ إحسانها، ويقتطف ثمَرَ عطفها وحنانها ؛ فقصاراه أن يعترف للحضرة الامامية بالعجز

---

(1) الرسالة مبتورة البداية قارن مع الرسالة السابقة موقع العبارة «وبركات الحضرة...»

(2) في الاصل : يتضاعف الخير.

(3) لعله نفس المكتوب عنه سابقا اي ابراهيم.

(4) في الاصل : وموالات.

(5) تجاهد في الامر : جد وبذل وسعه.

(6) في الاصل : يتفيؤ.

عن شكرها، ويتضرعَ الى الله في تأييدها ونصرها، ومجازاتها على نعمها التي تعجز الالبسة عن حصرها.

وأما ما اقتضاه الكتاب المعظم الكريم، من كفّ أولائكم الذي تألّم العبد منهم، ومما صدر عنهم، فذلكم نظر كريم محسب، وتنويه عظيم مطنب، وفضل فيه المقنع، وفي نظر الحضرة الامامية الخير أجمع ؛ وليس الآن الا **الهدنة والسكون**، والخيرُ الذي هو من بركة الحضرة الامامية مضمون، وبركتها كان ويكون، والله تعالى يجازيها عن عبد إحسانها بأفضل الجزاء، ويستجيب فيها صالح الدعاء، ويوزع شكر نعمتها التي لو استعيرت له ألسنة البلغاء وبلغاء الفصحاء، لم يوتِ منه على الجَهد الا باقل جزء من الاجزاء ؛ وأما ما اقتضاه (الكتاب) الكريم[7] من الوعيد بالنظر الذي يعم برشد الله صلاحُه ويظهر بفضل الله نجاحُه، فتلكم نعمة قضت ببسط الآمال[8] وبهجة النفوس، وأهدت الى الجميع أعظم التأنيس، والله يقرّب إنجاز الموعود، ويقضي بالاياب الحميد بعد ا لفوز بالمقصود، والاستيفاء لجملة السعود ؛ وأما ما أنعمتْ به الحضرة الامامية على عبد نعمها **من التأنيس** في كتابها الكريم الصادر عن عظيم عطفها وكرمها، فليست بأول نعمة وصلت له اسبابها، وأضْفت/ عليه جلبابها، ولا بأولِ منّة من مننها التي تتملك القلوب، وتمنح المطلوب، كلاً إنها عادتها في الاحسان، وبركاتها التي تفيض على نصحاء العبدان، ونعمتُها التي ليس شكرُها في استطاعة الانسان، تولّى الله جزاءها وشكَر نعماءها، كما نصر أعلامها، وأعلَى مقامها، وجعل الأرواح مماليكها والقلوب خدّامها، ولا زالت السعود تسير خلفها وأمامها[9]...

م خ/342

---

(7) في الاصل : ما اقتضاه الكريم.

(8) في الاصل : الإمال (بهمزة في الاسفل).

(9) الرسالة غير منتهية فيما يبدو.

الرسائل من رقم 90 إلى 96 :

مجموعة رسائل حول عيث العناصر العسكرية العربية والكومية بالأندلس

تقديم :

سبق لبعض الخلفاء الموحدين ان وطّنوا بعض العناصر البربرية والعربية في بعض الجهات الاندلسية لتدعيم السيادة الموحدية بها، الا انهم عندما يقررون الجواز الى الاندلس «للجهاد» كانوا يستنفرون القبائل لتشارك بحصصها في الحملة، ومثل هذا وقع بالنسبة للقبائل العربية بالمغرب وقبيلة كومية عصبية بني عبد المومن للحركة مع الناصر وخوض معركة العقاب التي انتهت بالهزيمة وتفرّق اكثرية من نجا من المعركة ؛ ويبدو أن الناصر عندما عاد الى المغرب لم يأذن لكومية والعرب بالجواز معه او على الاقل لقسم منهم، غير ان ظروف بقائهم بالاندلس لم يكن مجديا بالنسبة لهم فالهزيمة تبعتها المجاعة والامراض ثم توقيع الهدنة بين الموحدين وقشتالة، فأخذت هذه العناصر العربية والكومية ــ وهي لا تملك ارضا للعيش ــ تهدد الطرقات وتنهب السكان : اموالاً ومزروعات، فكثر التشكي من فعلهم الى ان أذن لهم الخليفة المستنصر بالجواز الى المغرب[1].

وهذه مجموعة من المراسلات حول عمليات النهب التي قامت بها هذه العناصر وموقف السلطة منها، وقد وردت في مخطوط العطاء والمخطوط الخاص وهي كالآتي :

ــ الرسالة رقم (90) في العطاء (ص 167 ــ 169)، ومن انشاء ابي القاسم البلوي مؤلفه.
ــ الرسالة رقم (91) في العطاء (ص 169) ومن انشاء ابي القاسم البلوي.
ــ الرسالة رقم (92) في العطاء (169 ــ 170) ومن انشاء ابي القاسم البلوي أيضا.
ــ الرسالة رقم (93) في العطاء (170 ــ 171) ومن انشاء ابي القاسم البلوي.
ــ الرسالة رقم (94) في المخطوط الخاص (322 ــ 325) (وتتضمن ايضا الحديث عن الفتنة بين النصارى).
ــ الرسالة رقم (95) في المخطوط الخاص (347 ــ 348) وتشير ايضا الى موضوع المفاوضات فيما يبدو.
ــ الرسالة رقم (79) في المخطوط الخاص (349 ــ 352) وتتضمن ايضا موضوع المفاوضات[2].
ــ الرسالة رقم (96) في مخطوط العطاء (ص 7) من انشاء «صاحب القلم الاعلى ابي عبد الله بن عياش[3]». وهذه هي نصوص الرسائل على الترتيب ما عدا نص الرسالة رقم 79 فهو يوجد ضمن الرسائل الخاصة بالمفاوضات :

---

(1) انظر هذا الموضوع في الفصل الرابع ضمن عواقب «العقاب» بالنسبة للموحدين.

(2) رسائل المخطوط الخاص هي من انشاء ابي العباس بن جعفر، ولعل رسالتيه 88 و 89 لهما علاقة بموضوع عيث كومية والعرب.

(3) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

الرسالة التسعون :

ع/167 الشيخ الأجل الأعز الأكرم الأسنى الولي الأثير الأود الأخلص الأزكى الأفضل أبو سعيد[1] بن الشيخ الأجل أبي محمد بن الشيخ الأجل المرحوم أبي اسحاق، ادام الله عزته، ووصل كرامته ورفعته، وليُّه في الله تعالى ومحبّه فيه، البرُّ بجانبه، الموثر له، الحفيُّ به : إبراهيم[2] بن سيدنا أمير المومنين بن سيدنا أمير المومنين، سلام كريم يخصكم كثيرا ورحمة الله وبركاته ؛ أما بعد حمدِ الله حق حمده[3]... (إلى آخر الصدر)[4].

فالكتاب إليكم ــ كتب الله لكم دوام السعادة وبلوغ الأمل كله والارادة، من اشبيلية ــ حرسها الله ــ وبركات الحضرة الامامية ــ أيدها الله ــ واضحة الأسلوب، كفيلة بالفرج العاجل لكل مكروب، وبنيل كل مرغوب، ودَرْك كل مطلوب، والحمد لله رب العالمين كثيرا ؛ والودّ لكم ــ أدام الله عزتكم ــ موصول، والاعتقاد فيكم جميل، والإيثار لكم حَسَنُ المذهب،والشكر لمقاصدكم الحميدة متصل السبب، والله يجعل ذلك في ذاته باقيا، وفي دَرَجَ مرضاته راقيا.

وإلى هذا ــ وصل الله عزتكم ــ فإن من أهم ما ينهيه مجلّكم إليكم، وآكدِ ما تقتضي النصيحة تقريره وتكريره لديكم، حالُ مَن هنا من فلانة ــ أصحهم الله[5] ــ فإنهم قد عاثوا في هذه الجهات، وبالغوا في نكاية أهلها، واشتدت وطأتهم عليهم بالقهر والاضطهاد، والبسط في العدوان والاشتداد ؛ وقد توالى اعتداؤهم تواليا مقلقا موحشاً (مكلاً)[6] مجحفا مكدّرا للرعية ما تعوّد (ت صـ)ـفاءه[7] من نعمة الأمر العزيز ــ أدامه الله عليها ــ، وقد كان مجلّكم خاطب مَجْدَكُمْ قبل هذا بأفعالهم وما لحق الرعية من الخوف الشديد على زرعها الذي هو قوام حياتها، ومُمْسِك رمَقِهَا ع/168 وما(دّ)ة أقواتها، وأطلّت الآن الصائفة التي صافت، فأدرك الرعيةَ ما خشيت من الضرر فيها و (خافت) فإنهم شحذوا للاستطالة مُداهُم، ومَدّوا في الاذاية خُطاهم، وتلمّظوا للزرع تلمّظ المستعدّين لانتهابه، المتأهبين لأن يحو(لوا) بينه وبين أربابه، وما هو لعمرُ الله بهم إلا كفريسة بين ظُفر الليث ونابه، وقد تسببوا إلى الرعية باسباب، وفتحوا عليها من المطالبة جملة أبواب، تارة بقتيل يدّعون على من شاءوا بقتله، وتارة بتكاليف[8] يُلزمونهم منها ما يضعُفون عن حمله، ويجاذبونهم انواع

---

(1) هو الوزير ابن جامع، انظر الهامش 1 على الرسالة 79.

(2) هو المذكور ايضا في الرسالة رقم 79 مثلا، انظر الهامش 1 على الرسالة 70.

(3) الى هنا ينتهي نفس التقديم الذي نجده في الرسالة رقم 79.

(4) قارن مع رسائل اخرى غير مبتورة مثل رقم 70.

(5) بمقارنة الرسائل المشتركة التقديم هنا يترجح ان يكون هؤلاء كومية، خاصة وانهم مدعوّ لهم بالصلاح، وكان وجود هؤلاء بالاندلس مؤقتا (انظر الرسالة رقم 96).

(6) كلمة شبه مأروضة.

(7) مأروضة.

(8) هل كانوا ــ كقبائل عسكرية ــ مكلفين بجباية الضرائب، ام ان هذه الاعمال هي مجرد تعديات من هذه العناصر ؟

الغلات، وفوائد الثمرات، فيكتسحون أكثرها، ولا يتركون لهم إلا الجزء الاقل منها ؛ وقد كانوا فعلوا في فلانة[9] ما قد بلغكم خبره، وأهلها مزمعون الجلاء عنها، والفرار أمامهم منها، وإسلام ما لهم به من الأموال، فرارا من مقاساة الشدائد عليها والأهوال، وجلّ ما كان فيها من العصير[10] في العام الفارط لم يتحصل لأربابه معهم منه إلا ما فضل عنهم وسَلِم منهم، واما العصير المستقبَل فما يتعلق لأربابه على ما ذكَروا به أمل ؛ وفي هذه الأيام رمت جماعة منهم ليلا على جهة من جهات فلانة[9] فاستغاث أهلها ودافعوهم عن أنفسهم، ثم ادّعى الفلانيون[11] أنه وقع منهم قتيل بين أهل الجهة المذكورة، ووُجد عند سانية رجل هرغي من القدماء هنالك، فعلّقوا دعواهم في قتله بالهرغي[12] الذي وجد القتيل بزعمهم عند سانيته، فسجنه حافظ الموضع اجتهادا وتسكينا للنائرة، فبلغ الاعتداء بفلانة[13] إلى أن اقتحموا سجن فلانة في وسط النهار، وذبحوا الهرغي المذكور بأيديهم، ثم أحالوا على الرعية أيديَهم وبسطوا فيهم تعدّيَهم، وطلبوهم بمغارم مثقِلة، وتوعّدوهم عليها بإحراق الزرع وافشاء القتل، وهلاك الحرث والنسل ؛ وعلى هذه النسبة هي افعالهم في سائر المواضع التي ينتابونها من هذه الجهات سواء هي في فلانة وفلانة وفلانة[14]، ولم ينفكوا في كلها عن العدوان المتمادي، ومزوارُهم[15] خلال ذلك يشكو الناسُ إليه فلا يُشكيهم، ولا يتحرك من مكانه لشيء من النظر في كف ايديهم، ولا يَظهر منه أثر، ولا يصدر عنه في قطع العادية نظر.

ويظهر من القوم ــ ادام الله عزتكم ــ ما قد أعلنوا به وصرّحوا، من أنهم انما يقصدون المبالغة في الضرر ليُسمَع خبرهم فيجازوا البحر ويسرَّحوا[16] فهم يتبحّرون في عدوانهم، بغاية وُسعهم وجُهد امكانهم ؛ وقد ضجت الرعية ضجيجا، وعجَّت بالشكوى عجيجا، ورجت للغمّاء من الالتفات الامامي تفريجا، ورفعت أصواتها بالاستغاثة والاسترحام، ونادت حضرة العدل التي هي نصرة المظلومين وملجأ المقهورين الملهوفين من الأنام، وانزعجت لما نالها من الضرر الشديد البَرح، الخارج عن الحد المربي على الشرح، والفتك الذي اقتضى لها ضيق الذرع، والقهر الذي تخاف أن يحول بينها وبين ضم الزرع، ولقد اقسم أهل فلانة انهم لولا تقيّدهم بالحبوب التي لهم فيها، وتعلّق نفوسهم بما يرجونه من تحصيلها لَما بقُوا فيها ساعة، ولخرجوا بالأهل والولد منها فارين

---

(9) كذا بالاصل.

(10) اهمية العصير بالاندلس جعل اهلها يتخذون عيدا خاصا به (العبادي في مقال بمجلة «عالم الفكر» م 10 ع 2 سنة 1979 ص 107).

(11) هم المشار اليهم في الهامش 5.

(12) لعل هذا مايدعم كون الجماعة العائثة غير مصمودية وكانت كومية هي عصبية بني عبد المومن من غير المصامدة بالاضافة الى العرب.

(13) انظر الهامش 5.

(14) كذا، مما ضيع علينا اسماء هذه الجهات الثلاثة.

(15) عن المزوار انظر الميدان العسكري في الفصل الاخير.

(16) وهذا مايؤكد كونهم ليسوا من الموطّنين القدماء بالاندلس، وسيسمح الخليفة بجوازهم ى المغرب : كومية اولا ثم العرب، انظر الرسالة 96 والفصل الرابع ضمن عواقب «العقاب» بالنسبة للموحدين.

عنها لما لحقهم من الضرر الذي لا صبر لهم عليه ولا بقاء لهم معه، حيث تُقتحم عليهم الديار، وتستغلَب بناتُهم الأبكار، وتسلب أموالهم بالقهر والاقتسار، ويُقتَلون عليها سرّا وعلانية بالليل والنهار، وتُخوّ ف قراهم تخويفا يضطرهم إلى الجلاء عنها والفرار، **وما لأحد هنا طاقة بكفّ فلانة عنهم ولا اقتدار** ؛ فان فلانة قد اشتغلوا بحصاد الزرع قهرا في جميع الجهات التي حَلُو (اب-)ـها، وقد فشا عيثهم في كل مكان، وصار حديثا للركبان، وأمراً مفـ(ـزعاً) للرجال والنساء والولدان، فالناس بسببهم في هذ الجهات (مـ..ـون)[17]، وعلى جميل النظر الامامي/ موقوفون، وإلى حنان المقام القدسي مُتشوفون، ولإستيصالِ أموالهم وانقطاع آمالهم إن أبطأ النظر الكريم عنهم متخوّفون ؛ ورحمة المقام الامامي ـــ ايده الله تعالَى ـــ تتداركهم ان شاء الله بتعجيل الأمان، وتتكفل لهم بصلاح الزمان، وترفع عنهم ما قد اشتد بهم من العدوان، عملا على ما عوّدته من تأمين المرتاع واغاثة اللهفان ؛ وقد أفهمكم مجلّكم الحال بما فيه كفاية من الإفهام، ولم يفرّط في التعريف في ذلك كله والإعلام، وأنتم ان شاء الله تغتنمون الأجر الجزيل، والذكر الجميل، بحسن الوساطة التي يحسن أثرها، ويَسرّ خبرُهَا، بفضل الله، والحضرة الامامية ـــ ايدها الله ـــ أنظَرُ لعبادها، وأحوَط على بلادها، والله يعين الجميع على ما يحضي برضاها، ويُزلف من رحماها[18]...

ع/169

((17) قدر كلمة مأروضة الوسط يمكن ان تكون هكذا : (مأوفون).

(18) يمكن تأريخ هذه الرسالة باواخر سنة 611 حسبما يتضح من المقارنة مع الرسالة اللاحقة (92) والمؤرخة بمحرم 612، فالرسالة كتبت اذن قبل هذا التاريخ.

الرسالة الواحدة والتسعون :

ع/169 ...وإلى هذا، وصل الله عزتكم[1] ــ فان من أهم ما يجب تبليغه وانهاؤه، وأوكدِ ما يتعين بحكم النصيحة تقريره وتكرير رفعِه وإعادة ذكره وإبداؤه، ما اشتد بالرعية في هذه الجهات من بأس فلانة ــ أصلحهم الله[2] ــ وحلّ بها من استطالتهم الشنيعة وتعدّيهم الفاحش ؛ فإنهم ــ ادام الله حظوتكم ــ قد عاثوا في هذه الجهات بوجوه من العيث كثيرة، وبالغوا في نكاية أهلها مبالغة مبيدة مبيرة، وإن الناس معهم من الاضطهاد، وظهور الاختلال في احوالهم والفساد، لَفي مشقة مفرطة وفي شدة كبيرة، قد تجاوزوا حد النهاية من الظلم والحيف، وعظُمَ فسادهم عن أن يحيط به التفسير في جواب ؛ كيف وغادروا الرعية بين مرعوب مسلوب يرهب الخيال منهم والطيفَ، وينتظر الفقر بانتهاب زرعه في هذا الصيف، وبين محرَّق بالنار ومُقتَّل بالرمح والسيف، قد تفاقم أمرهم كل التفاقم، وتعاظمَ أمرهم كل التعاظم، وتلاَطَم بحرهُم اعظم التلاطم، فما يُبقون ولا يذرون، يعيثون الليل والنهار لا يفتُرون، وقد ضجّت الرعية ضجيج السقيم الناحل، وأجهشت للحضرة الامامية العادلة إجهاش يوسف عليه السلام لقبر راحل، وأشارت اليها ــ ايدها الله ــ بأيدي الاستغاثة إشارة الغرق بين موج البحر الى اهل الساحل، ينادون غوثا غوثا ! وعطفاً عطفاً ! ويسترحمون إمامهم ومولاهم ــ بسط الله أنواره ــ حناناً حناناً، ولطفاً لطفاً !

وقد كان مجلّكم طالعَ قبلَ هذا بأفعال القوم[3]... (ثم استمررتُ على نص التي قبلها)[4].

---

(1) الرسالة موجهة ــ حسب كاتبها صاحب العطاء ــ الى «القائد الأجل ابي القاسم بن مثنّى رحمه الله» ويبدو انه كان مكلفا باحدى الجهات الاندلسية المتضررة من اعمال الجماعة المذكورة في هذه الرسالة والتي سبقتها، وهذه الرسالة بدون صدر ولا تتمة.

(2) انظر الهامش 5 في الرسالة السابقة.

(3) لاحظ مثلا رسالته السابقة الى وزير المستنصر.

(4) هذا تعبير البلوي منشيء هذه الرسالة، وهو يقصد الرسالة التي سبقتها مباشرة في المخطوط وفي هذا المجموع ايضا، اي رقم 90، وعلى هذا يكون تاريخها بعد التي قبلها بحيث لا يبعد كثيرا عن تاريخها.

الرسالة الثانية والتسعون :

ع/169 ....والى هذا — وصل الله عزتكم[1] — فإن مجلكم ينهي اليكم من شرح الحال ماهو أهم ما يُنهى ويُرفَع من كبير الخَطب وجلَلِه، وأوجبُ ما يُنظر في حسم عِلله ورمّ خَلَلِه، وذلكم أن فلانة[2] الذين هنا بهذه الجهات قد عاثوا فيها، وتبسّطوا بأشنع استطالة وأفحش تعدٌّ في نواحيها، وامتدت أيديهم الى سفك الدماء، وانتهاب الأموال واستغلاب للنساء[3]، واقتحام الديار، والانتقام من الرعية بأنواع الأضرار، والتقتيل بالسلاح والتحريق بالنار، وأحالوا أيديَهم على الرعية يسومونهم سوء العذاب، ويتسببون اليهم بشتى أسباب[3]، ويطلبونهم بمغارم مجحفة مقلقة، ويتوعّدونهم بإحراق الزرع وإفشاء القتل إن توقفوا عن أدائها[4]؛ ومزوارُهم خلال ذلك يُشْكَى فلا يتحرك لنظر، ولا يَظهر منه حميد اثر، وقد اقسم أهل فلانة[5] باوكد القَسم انه لولا ما لهم من الحبوب التي تعلقت خواطرهم بضمها، وكادت نفوسهم تموت من الخوف عليها (بـ)ـلمّها، لفروا اجمعون

ع/170 من البلد، بالأهل والولد ؛ وأما أهل فلانة[5]/ فقد لاذوا بالفرار، ولم يجدوا سبيلا الى القرار، وجلُّ عصيرهم الفارط فلانةُ[6] استاصلوه دون اربابه،اما العصير المستقبل فما يتعلق به — على ما ذكر — املٌ لأصحابه ؛ وقد كانت الرعية شديدة الخوف على زرعها في هذا الصيف[7]، والآن قد أدركهم فيه ما خافوه من الحيف ، فإن فلانة[2] اشتغلوا في جميع الجهات التي حلّوا بها بالتعدي قهرا في الحِصاد، وكيف يخلص أرباب الزرع اليه وهو فريسة في سواعد آساد، وأما الغلات وفوائد الثمرات، فقد وزّعوها على انفسهم قَسما، ولم يُبقوا لأربابها فيها حظّا ولا قِسْماً، إلا ما تخطّته اليد العادية، وشذّ عن تلقّي الرائحة منها والغادية.

وقد ضجّت الرعية ضجيج الهلكَى، واستغاثت استغاثة الغرقَى، واشتد بها اليأس اشتدادا كليا، ولحقها الحيف ومسّها الضرّ مساً واضحا جليا، وألظّت بالغوث دعاءا ونداءا، ودفعت شكواها إلى المقام الإمامي مقَام العدل والإحسان — أيده الله — إعادة وإبداءًا، ملهوفة مضطهدة، مورقة في دياجي التظلم مسهَّدة، مقهورة مرعوبة منكَّدة ؛ والمقام الامامي — ايده الله — أرحم بها وأرأف، وأحنَى عليها وأعطف، ونظره الجميل لعباده وبلاده أغلى وأشرف ؛ وأنتم ان شاء الله تسعون في

---

(1) لعله نفس المكتوب اليه في الرسالة رقم 90 (اي الوزير ابن جامع)، وهي هنا بدون صدر،

(2) نفس الجماعة المذكورة في الرسالة 90 على الارجح.

(3) كذا في الاصل.

(4) راجع الرسالة 90 والهامش عليها رقم 8.

(5) لعلها احدى الجهات التي سميت بفلانة في الرسالتين 90 و 91.

(6) اي الجماعة الناهبة المذكورة سابقا، انظر ايضا عن العصير الرسالة 90 والهامش 10 عليها.

(7) خاصة وان السنة الفلاحية التي قبلها (610 — 611) كانت سنة قحط كما تلمح لذلك رسائل المجموعة من رقم 70 الى 76

حسم هذه العلة سعيا جميلا، مبتغين من الله اجرا جزيلا، والله يعين الجميع على ما يرضاه، ويقع بِوَفق المقام الإمامي ايده الله، وهو تعالى يديم عزتكم، ويصل رفعتكم، والسلام ؛ وكتب في الموفي عشر(ين)[8] محرم سنة ثنتي عشرة وستمائة[9].

(8) يمكن ان تقرأ هكذا : عشر من محرم.

(9) هذا التاريخ يوافق يوم 21 مايو 1215 (T.C)، اي في اواخر الربيع واوائل الصيف للسنة الفلاحية (611 — 612) هـ.

الرسالة الثالثة والتسعون :

ع/170 ....وإلى هذا ــ وصل الله عزتكم[1] فإن مجلكم يُنهي اليكم من أحوال الرعية مع فلانة في هذا الوقت ما لا يسعه الكتم، بل يجب البدء بالتعريف به والختم[2]، لما يُخشى أن يؤول اليه أمرهم، إن لم يُطفأ بالنظر الإمامي الكريم جمرُهم ؛ وذلك أنهم شحذوا لإذاية الرعية مُدى التعدّي، وتوافقوا على استباحة المحذور وإحالة الايدي، وصمُّوا عن الناهي والزاجر، وأضرّوا بالبرِّ من جيرانهم والفاجر، وتهاونوا بسفك الدماء، واستغلاب النساء، وانتهاب الأموال، وإفساد الاحوال، جامحين في ذلك ملء العنان، منتهين فيه الى أقصى وجوه العدوان، وقد أخافوا القرى إخافة اضطرت أهلها الى الجلاء، والفرار من البلاء، وبخاصة قرية فلانة التي على الوادي[3] فإن أهلها قد فرّوا عنها، وهربوا منها، وتركوها خاوية على عروشها، لا يجرأ[4] احد على دخولها خوفا من فلانة[5]، وعلى أن هذه القرية لم يفرّ أهلها في القديم، إذ كان ابن الرنق[6] يقاتل المسلمين بطِريانة[7]، ويجوس خلالها، بل كانت قرية سنت بس[8] حينئذ عامرة لم يبلغ الرعب بأهلها مبلغه الآن من فلانة لِما ساموهم من سوء العذاب، وفتحوا عليهم للمطالبة من الابواب ؛ ولقد قَبض أناس من فلانة في هذه الايام على رجل في القيسارية مشتغل بشغله، وقالوا : جرّوا هذا لنقتله، فإنه من قرية فلانة[9]، فأنقذته الرعية من أيديهم، وغلِّقت القيسارية، وخاف الناس على أموالهم ومتاعهم، وامتنعوا من فتح حوانيتهم حتى أنّسوا وسكّنوا، ووُعِدوا بقرب النظر الامامي لهم ؛ وكذالك يفعلون في هذه الايام بأرباض اشبيلية، يقتحمون ديارها ويقتلون الرجال والنساء ويسلبون أموالهم، وفي الجمعة الفارطة قتلوا شيخا كان خطيبا بفلانة وسلبوه ثيابه عند انصرافه من صلاة الجمعة الى المدينة ؛ وقد كثر مثل هذه الافعال منهم في هذا الوقت كثرة ملأت قلوب الرعية خوفا وجزعا، فالناس بسببهم ملهو(فون)، يَضَجّون ع/171 ضجيج الهلكَى، ويستغيثون استغاثة الغرق، ويَمدّون أيديهم بالشكوى، ويسترحمون/ المقام الإمامي (الذي) عوّدهم الرفق والرحمى، ويخافون أن تحملهم الغيرة على حُرَمهم وبناتهم ونفوسهم وأموالهم

---

(1) الرسالة ناقصة الصدر، والمكتوب اليه يبدو انه هو نفس المخاطب في الرسالتين السابقتين 90 و 91.

(2) هل يقصد أنه آخر انذار الى السلطة المركزية ؟

(3) هكذا في الاصل بدون تسمية للوادي،،، ولعله الوادي الكبير مادام الكاتب يكتب من اشبيلية ويتحدث عن الجهات المتضررة بعبارة هذه الجهات.

(4) كذا في الاصل.

(5) قد تكون هذه الجماعة العائثة هي المشار اليها في الرسائل السابقة واللاحقة اي كومية، وقد تكون عناصر عربية (لغياب الدعاء هنا بالصلاح).

(6) ابن الرنق : هذه الكنية كان يطلقها المسلمون آنذاك على ملك البرتغال ولعل المقصود هو الفونسو الثاني الملقب بالبادن (1211/ 608 ــ 1223/ 620) ابن سانشو الأول ابن الفونسو هنريكيز.

(7) طريانة : احدى حصون اشبيلية الجنوبية غربي نهرها (انظر الخريطة عند عنان 2/ 479).

(8) سنت بس : لعلها سانتي بونثي (Sante ponce) شمال غربي اشبيلية ببضع كلمترات.

(9) هل هي طريانة أو سنت بس او قرية ثالثة ؟

على أن يدفعوا عن انفسهم بأيديهم، فيؤول ذلك الى ما يكرهون والعياذ بالله من ذلك[10] ؛ وعلى الجملة ــ ادام الله عزتكم ــ فإن حال فلانة[11] قد تفاقمت تفاقما تُخشَى عاقبته (... النصيحة....)[12] وتوجب للغيرة على حقوق الامر العالي رفعَه، والمقام الأمامي ــ ايده الله ــ أرحمُ لعباده وانظرُ لبلاده[13]...

---

(10) هل هذا يثبت ان حق الدفاع عن النفس كان ممنوعا او مقيدا، وان هذا واجب السلطة وحدها ؟

(11) استعمال فلانة بدون دعاء بالصلاح هل يخص العرب ام كومية، فوقع الاستغناء عن الدعاء لما لتكرر فسادها ؟

(12) قدر ثلاث كلمات في المجموع مأروضة كلا او بعضا.

(13). الرسالة غير منتهية وبالتالي غير مؤرخة ويبدو انها لا تتأخر كثيرا عن سابقتها، اي انها قد تكون مؤرخة بما بعد محرم سنة 612.

الرسالة الرابعة والتسعون :

م خ/322 حضرةُ الخلافة العلية، والامامة السعيدة السنية، مطلعُ الانوار العاكفة، ومنبع البركات الدارّة الواكفة، وصل الله تأييدها وخلّد أيامها وضاعف سموها وأعلى أعلامها، وشكر إحسانها المترادف المتضاعف وإنعامها، وأبقى بركتها العظيمة الجسيمة وأدامها ؛ عبدُ مقامها الكريم، ومملوك فضلها العظيم، المتضرع الى الله في شكر إحسانها المتتابع وإنعامها الجسيم، الداعي بدوام أيامها التي سَفرت م خ/323 السعودُ فيها عن كل وجه وسيم، غَذِيُّ نِعمها، ورهينُ شكرِها، إبراهيم[1] ؛ سلام كريم طيب مبارك عميم، على حضرة التقديس والتكريم، كثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله كما يجب لجلاله، والصلاةِ على محمد رسوله المصطفى وعلى آله، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، وارث شِيَمه النبوية وخِلاله، وعن الخلفاء الراشدين[2]، الايمة المرشدين، الذين مشّوا أمره العزيز الى غاية كماله، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الامام أمير المومنين أبي يعقوب[3] ابن الخلفاء الراشدين ببلوغ آماله ودوام سعده وتمكينه ويمنه وإقباله، وبالصنع الأجمل والنصر الأعز الأكمل في كافة أحواله.

فكَتب عبدُ إحسانها، ومسترَقُّ عطفها وامتنانها — كتب الله لها صلة ما عوّدها من إفاضة النور، ومساعدة القدَر في جميع الأمور — وبركاتُها وصل الله علوّها طاميةُ العُباب، ونِعمُها على القريب والبعيد.والكبير والصغير هاميةُ الرِّباب، والتفاتاتُها الكريمة مُدخِلة على الجمهور وفودَ السرور من كل باب ؛ والحمد لله رب العالمين حمدا يستخرج من المزيد كل لُباب، والشكر لآلائها الجسام وأياديها الجمة، مِن أوْكدِ الفروض الواجبة المهمّة، وأوجبِ الحقوق التي تتعين في كل حين على العناية والهمّة، وكذلك في الوجوب الامتثالُ بأوامرها المطاعة وبذلُ النصيحة لها في الخدمة ؛ وعند العبد من ذلك كله أوفَى ما يكون مثله عند من يعرف كنه ما أوجب الله لها من عظيم الحق ويقدّر قدر ما أسبغت عليه من النعمة، والله يعينه من ذلك على الموجب المفترَض، ويُنهِضه من تمشية أغراضها الكريمة والمحافظة منها على كل غرض، بما يحظيه برضاها الذي هو خيرُ أمل عزّ وأشرفُ مطلوب عَرض.

وقد ورد على عبد مقامها، الشاكر لجزيل إنعامها — اورد الله عليها وجود السرور، وبلّغها الامل في جيمع الامور — كتابُها الكريم الأفخم، الأشرف الأعظم، الذي كمّلت به الإنعام وجدّدته، وأولت فيه من كريم الالتفات ما عوّدته، ومنحت به من التشريف والتنويه، والحظ الكريم النبيه، ما لم تزل بفضلها ورحمتها تضاعفه وتُنْميه، فتلقاه العبد بما أوجب الله من التعظيم والإجلال، واحتفل في شكر مقاصده الكريمة أتم احتفال، وابتدر — الشكر له بلسان الى الله في المعونة عليه ضارع، م خ/324 ولأمره المطاع باجتهادِ مبادرٍ الى امتثاله مُسارع ؛/ فأما ما اقتضاه الامر المطاع — أمضاه الله — من التأكيد في تعرف أنباء الكفرة — احانهم الله — مع الساعات، وتكليف أهل الثغور (وتهميمها)[4]،

---

(1) ابراهيم : لعله المكتوب عنه في الرسائل السابقة.

(2) اي عبد المومن ويوسف والمنصور والناصر.

(3) هو المستنصر بالله يوسف بن الناصر.

(4) قد تقرأ ايضا : (وتعميمها) او (وتصميمها).

والإعلام بها في كل الاوقات، ومواصلة الإعلام بما يرد بعدُ من حقيقة الأنباء، يعلم به ان شاء الله على الولاء ؛ ولم يتزيد الآن من حقيقة أنبائهم إلا ما هم به **من المفاتنة فيما بينهم** مشتغلون[5] ؛ والله لا يعدمهم بذلك اشتغالا حتى يبيدهم الله ويدمر أعدادهم، ويخرب بالبركة الامامة بلادهم.

وأما ما اقتضاه الكتاب الكريم في أمر كومية[6] ــ وفقهم الله ــ من أن يُحضر العبدُ مزوارَهم[7] وجماعتهم **ويحذَّروا عاقبة الاعتداء**، ويخوّفوا من الجزاء، ويستوفي في الالقاء اليهم كل ما اقتضاه الكتاب الكريم، فذلكم من الفضل الإمامي الذي عم البلاد، وشمل العباد، ومن النظر الجميل الذي به يغيِّر المنكر حيث كان والفساد، ووجب الإعلام ــ ادام الله تأييد الحضرة الامامية ــ بأنه قد القى اليهم من مقتضَى الاغراض الامامية، والوصايا الهادية العلية ما أمر بالقائه اليهم، وأكد ذلك جُهدَه عليهم، وببركة الحضرة الأمامية تظهر المصلحة وتحمد الاثر ويتصل النفع وينقطع الضرر، ان شاء الله، والله يجازي المقام الامامي على عطفه على الرعايا عبيده، وتشديده في مصالحهم وتأكيده، ويعين على تمشية غرضه الكريم فيهم ومقصودِه، فمازال التفاتُه الكريم يرفع المظالم ويؤمن الخائف ويبشر بالفرح القريب، ويلبي دعاء المضطر تلبية المجيب.

واما ما اقتضاه النظر الكريم والفضل العظيم، والالتفات العلي الذي من شأنه التكميل للنعم والتتميم، من **تقديم عبد الحضرة العلية ابن عبدها[8] على** بني رياح وقرة مناف[9] والزامه سكنى شريش وأخذه بركوب الطريقة الحميدة، واتباع المناحي السديدة، فإن ذلك من النعم التي جلّت عن أن يحيط شكر المخلوق بأجزائها فان الذي أولتهم بذلك من التنويه والتشريف يُعجز الاستطاعة الانسانيّة عن استيعاب واجبات شكره واسيفائها، فليس إلا الدعاء إلى الله في تولي جزائها، فهو القدير سبحانه على أن يجعل الشكر الموفّى بإزائها، وليست بأُولَى من بركات الحضرة الامامية شَكَر الله عميم التفاتها، ولا بفاتحةٍ مِن منحها العظيمة وهباتها، فتلك عادتها في تملّكِ قلوب الشبان من عبيدها والشيب، وإسباغ النعم/ على البعيد منهم والقريب، وما زالت نعمها تَسُحُّ غمائمَ، وتتفتح عن زهر الآمال كمائم، وتصفو أوديةً، وتطمو بحارا وتَسيل أوديةً ؛ وما برح الحمد والشكر بفضلها العظيم وطوْلها العميم، تعمّ الأمم بها المحافلَ في كل قطر والأندية، ولو وصف العبد ما عنده من الشكر على توالي بعض التفاتها، وتضاعفِ بركاتها، لأنفذ الاوراق والاقلام، ولم يستوفِ الكلام، لكنّه يعترف بأن هذه النعم إنما تُشكَر بالعجز عن شكرها، فقصارى العبد أن يتغذى بحمدها على الدوام وذكرها ؛ وقد تلقى العبد النظر الكريم في ذلك بالامتثال، وألقي اليه من الوصايا الامامية الكريمة ما يحتوي منه ــ بحول الله ــ أكرمَ مثال، ويستعين بالله تعالى وبالبركة الإمامية ــ ادامها الله ــ على الانتهاض به والاستغلال، والله يوزع شكر ما أفضلت به الحضرة الإمامية من جزيل الإفضال، ويستعمل على ما يحضى برضاها في كل حال، ويوزع الخاص والعام والوالد والولد شكر ما عممهم من كريم الالتفات والابتهال...

م خ/325

(5) الاشارة الى الحرب الاهلية داخل قشتالة وربما ايضا تدخّل ليون فيها.

(6) لاحظ الدعاء لهم هنا بالتوفيق، فلا يعد ان يكونوا هم المدعو لهم سابقا بالصلاح، والتأكيد ياتي بعد هذا على انهم هم اصحاب الاعتداءات المذكورة سابقا.

(7) المزوار : انظر عنه الجانب العسكري في الفصل الاخير.

(8) قد يكون المقدم للقضاء في شريش.

(9) عن بني رياح وقرة مناف انظر الهامش 21 على الرسالة 79.

الرسالة الخامسة والتسعون :

م خ/347 ....[1] وبركاتُها ــ أيدها الله ــ تشرق انوارها، وتُبرق ابتسامُ الايام السعيدة عنها وافترارُها، ونعمُها ينسكب مدرارها، ويفوت الحدَّ والعدّ مقدارُها، والحمد لله رب العالمين حمدَ استزادةِ النعم واستكثارها ؛ وصلاحُ هذه الجهات ببركاتها ــ والحمد لله ــ جديد فجديد، وظلُّ الالتفات الكريم على أرجائها مزيد، وزمانُ خلافتها الميمونة ــ والحمد لله ــ زمان سعيد، فكلُّ يوم من أيامه كأنه عيد، وقد ابتهج بالالتفات الإمامي ــ شكره الله ــ القريب (من اهلها والبعيد)[2]

وقد ورد على عبد علائها[3] ــ أورد الله عليها السعود متعاقبة، وعرّفها الخِيرة المطّردة في كل الاوقات حالا وعاقبة ــ كتابُها الكريم المعظم المثير السرور، المبهج للجمهور، المصلحُ للأحوال والامور، والمتضمّن من مصالح الرعية، ونقل العرب[4] الى الاماكن الخالية القصية، ما لم يزل مثله من وجوه النظر النورية، يصدر عن فضل الحضرة الامامية العلية، وتلك عادتها دامت سعادتها في الاعتناء بمنافع البرية، والله يجازيها على جميل الغرض وصلاح النظر وحسن النية ؛ فما زالت تحوط البلادَ بالصارم والسِّنان، وتعُمُّ البلاد بالعدل والاحسان، وتبسُط بجواز رافتها ورحمتها على كل مكان وفي كل زمان، تولّى الله جزاءها عن كافة البلدان والعبدان.

ولما ورد الكتاب الكريم ــ أُكرِمْ به من وارد خطير ــ تلقّاه العبد بواجبه من التعظيم والشكر، وجعلَ البِدار الى امتثاله أهمَّ ما يمُرُّ على البال وأوكدَ ما يسبق للفكر[5]، ورأى أن كل ما تشير به الحضرة الامامية ــ ايدها الله بالتوفيق من الله ــ يسوقه ويحدوه، ولا يتجاوزه ولا يعدُوه، وفي الحين أنفذ[6] العبد مخاطبته الى الشيخ الاجل الأكرم أبي العباس بن الشيخ الأجل المكرم أبي

م خ/348 حفص ــ ادام الله كرامته ــ بمقتضى ما وصله من الأمر/ المطاع، وسأله متى يكون خروجُه لما أمِر به في هذه المحاولة المهمة من الاجتماع[7]، وشمّر العبد عن ساعد السامع المطيع، الباذِل فيما[8] أمِر به جُهدَ المستطيع، فراجعه المذكور بكتاب أنفذه العبد صحبة هذا إلى المقام الامامي العلي ــ ايده الله ــ ليقف امره العالي على مقتضاه، وكل ما ينفذ به الامر المطاع ــ أمضى الله حدوده، وأسمى جدوده ــ فإليه يبادِر وعليه يعتمِد، وبحسبه يعمل وفي تمشيته يجتهد، والعبد يستنفد في امتثال ما يومر به في كل شان، نهايةَ الوُسع وجهدَ الامكان، ويستعين على ذلك بالله تعالى وهو خير مستعان، وببركة الامر العزيز التي المستعينُ بها أبداً مُعان[9]...

---

(1) الرسالة مبتورة البداية.

(2) في الأصل : (القريب والبعيد من اهلها) غير ان السجع يفرض ما اثبتناه.

(3) يبدو انه نفس المكتوب عنه سابقا اي «ابراهيم».

(4) لعل العرب هنا هم بنو رياح وقرة مناف المذكورون في الرسالة السابقة، والظاهر انهم كانوا من جملة العائثين في البلاد.

(5) في الاصل : للكفر. (6) في الاصل :نفذ.

(7) سبق ذكر الشيخ ابي العباس في رسالة سابقة حول موضوع تكوين وفد المفاوضة مع النصارى.

(8) في الاصل : في ما.

(9) الرسالة غير كاملة على ما يبدو.

الرسالة السادسة والتسعون :

ع/7 ....[1] وإلى هذ ــ وصل الله توفيقكم وكرامتكم ــ فما زلنا نرتاد لمن بقي في تلكم الجزيرة من غزاة الموحدين ــ اعزهم الله ــ وقتا ينقلبون فيه الى أوطانهم، ويردّهم الله فيه الى أهليهم واخوانهم[2] ؛ والآن فقد بلغ الوقت الذي كان ينتظر لهم، والله يكتب في صحف الأبرار نيتَهم وعمَلَهم ؛ فإذا وصلكم كتابنا هذا ــ وصل الله توفيكم وكرامتكم ــ فاستحضِروا مزوار كومية وغزاتهم[3]، واقرأوا كتابنا هذا عليهم، وأنهُوا مضمّنه كله اليهم، وأعلِموهم بأنهم حيث جعلهم الله من التقديم، وأنهم من المُبْدإ بهم في كلٍ خير على التخصيص والتعميم، وميِّزوهم تمييزا[4] لا تدخله داخلة، ولا تغول صحته غائلة، وحذّروهم من أن يدخل فيهم غيرُهم من اخوانهم الساكنين هنالكم[5]، وافصلوا بينهم فصلا لا يقع به التباس، ولا يعرض معه إشكال، ثم تقدَّموا لهم[6] الى جزيرة طريف[7] بعد أن يتغافروا مع أهل البلاد، ويختِموا بخير عملٍ ما تقدَّم لهم من الجهاد، ولا تنفصلوا عن المجاز حتى تكمل اجازتهم على ما شرطنا من الصحة، وهم بيض الصحائف برآءُ من المآثم، أيديهم مقبوضة، وأعراضُهم نقية[8]، وأجورهم على الله واقعة ؛ وعرِّفوا مَن هنالكم من غزاة العرب[9] بأنّ العمل واحد، وأنهم يُجيزون في موضعهم[10] على ما أمرنا به من عدم الاختلاط، وعلى ما نوثره لهم من العمل الصالح والتز(وّ)د بالثناء الجميل، والدعاء المقبول ان شاء الله، وهو تعالى منجدكم ومعينكم، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ كتب في الثالث عشر لشعبان المكرم سنة ستٍّ عشرة وستمائة[11].

---

(1) الرسالة ينقصها التقديم، قارن مع قسم من صدر الرسالة لنفس الكاتب وهي رقم 97.

(2) هذا يؤكد ان هؤلاء ليسوا من الموطّنين بالاندلس، والارجح انهم دخلوها ضمن حركة الناصر.

(3) انظر عن «الغزاة» و «المزوار» الفصل الخامس ضمن الجانب العسكري.

(4) التمييز يعنى ضبط العساكر والاجناد باعدادهم وعُددهم، انظر نفس الفقرة من الفصل الخامس.

(5) المقصود هم كومية المستنفرون مع الناصر.

(6) كذا في الاصل.

(7) جزيرة طريف : انظر الادريسي (539) ن، ايطالية.

(8) هذا يؤكد قيامهم بالنهب في الاندلس كما ذكرت ذلك الرسائل السابقة.

(9) هذه اشارة تبين مساهمة العرب في اعمال العيث بالاندلس الى جانب كومية.

(10) لم يتضح مكان جواز هذا العنصر، وربما كان الجزيرة الخضراء ما دام كومية أجيزوا من طريف تجنبا للاختلاط.

(11) انظر عن مدى صحة او خطأ هذا التاريخ خصائص الرسائل المهتمة بموضوع عيث القبائل العسكرية في الفصل الرابع.

الرسائل من رقم 67 إلى رقم 101 :

رسائل حول مقتل الثائر ببلاد جزولة

تقديم :

الى جانب اضطراب امور افريقية خلال السنوات الاولى من حكم الناصر تحركت بلاد جزولة في جنوب المغرب الاقصى وراء بعض الثوار : فظهر عبد الرحمن الجزولي المسمى ابو قصبة فيما بين 597 و 599، ولم يقض عليه الا بعد ان هزم عدة بعوث عسكرية موحدية، ثم ظهر بلمطة وجزولة ايضا حوالي سنة 600 عبد الرحيم ابن الفرس المتلقب بالقحطاني، ثم تمكنت جيوش الناصر من التخلص منه، وعند حركة الناصر الى افريقية استغل ثائر آخر غيابه للظهور في الجنوب ايضا وقد ادعى انه من سلالة العبيديين الفاطميين، وسيتمكن من فرض الهزيمة على والي سجلماسة، ويبدو ان ثورة جزولة اصبحت خطيرة بعد هزيمة الجيش الموحدي في «العقاب» وتولّي المستنصر منصب الخلافة صغير السن، ولذا عند القضاء على زعيم هذ الثورة سنة 612 «أعظم الموحدون الفرح بقتله» كما يقول صاحب المعجب[1].

وأشاع الخليفة المستنصر خبر هذا النصر برسالة من انشاء كاتبه أبي عبد الله ابن عياش وجهت نسخة منها إلى والي اشبيلية السيد ابي اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف[2]، وردت هذه الرسالة — مع بعض البتر فيها — ضمن زوائد العطاء الجزيل (ص 11 — 12) رقمها (97) وهي مؤرخة ب 21 ربيع الآخر سنة 612، فرد الوالي المذكور مخبرا باثر هذه «البشرى» وذلك في رسالة جوابية الى الخليفة وردت في المخطوط الخاص (ص 325 — 327) رقمها (98)، ويبدو انه أتبعها برسالة اخرى كان من جملة ما ذكر فيها موضوع الثائر الجزولي، وهي في نفس المخطوط (343 — 345) رقمها (99)، كما وجه الوالي رسالة خاصة الى الوزير ابن جامع يخبره فيها بعموم الفرح «بهذه البشارة»، وردت في نفس المخطوط (359 — 362) رقمها 100، ويبدو ان الرسالة الاخيرة في هذا المخطوط (ص 362) والتي رقمها 101 (وهي مبتورة) موجهة ايضا من الوالي الى الوزير، وتتضمن نفس الموضوع او على الاقل هو من بين موضوعاتها. وهذ الرسائل الموجودة في المخطوط الخاص هي من انشاء الكاتب ابي العباس بن جعفر[3]، وتأتي نصوصها على التوالي بدءاً برسالة العطاء الجزيل :

---

(1) المعجب ص 329.

(2) انظر الهامش 1 على الرسالة رقم 70.

(3) انظر ترجمته في مقدمة البحث (رقم الترجمة 26).

الرسالة السابعة والتسعون :

ع ز/11 من أمير المومنين[1] بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين أيدهم الله (....)[2] وأمدهم بمعونته، الى الشيخ الأجل الأعز الأكرم أبي إسحاق بن سيدنا بن سيدنا الامام امير المومنين بن سيدنا (....)[3] أدام الله توفيقه وكرامته بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعدُ، فإنا نحمد (....)[4] الله الذي لا إله إلا هو (الى آخر الصدر المعهود)[5] وإنا كتبناه إليكم ــ كتب الله لكم رضاء ــ من حضرة مراكُـ(ـش...)[6] الله ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ؛ والى هذا ــ وصـ(ـل....)[7] وكرامتكم ــ فإنه قد نَجم هذه المدة ببلاد جزولة[8] شقيٌّ يدّعي المحال، ويتّبع الخبال، والموحـ(د....)[9] كل ذلك يعلمون أن مآله ومآل أمثاله من كل من ادعى دعواه، ونحا في الباطل البحت منحاه، و(أن كل مَن شايعه من الجهّال وكلٍّ من اغتر)[10] (....)[11] ولم يعرف (الفرق) ع ز/12 بين الهدى والضلال (....)[12] (وبادروا ؟ أنجز)[13] الله فيهم وعدَه، والله لا يخلف الميعاد[14]،

ملاحظة : تقع بعض الكلمات في نهايات الاسطر بالمخطوط مغطاة نتيجة ترميم قديم كما ان هناك كلمات مأروضة كلا او بعضا فجعلنا ما اشكلت قراءته في الحالتين بين هلالين.

(1) الرسالة من انشاء ابي عبد الله بن عياش والمكتوب عنه هو الخليفة المستنصر.

(2) في الاصل مغطاة، والكلمة المناسبة هي : (بنصره) حسب رسائل اخرى لابن عياش مثل الرسالة رقم 28 في (م ر م) وما بعدها.

(3) المفروض ان تكون الكلمة المغطاة هي : (الخليفة)، فالمكتوب عنه هو والي اشبيلية السيد ابو اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف، انظر الهامش 1 على الرسالة 70.

(4) كلمة مغطاة قد تكون : (اليكم).

(5) اقتصر جامع الرسائل على هذا التعبير، ويمكن معرفة نماذج لصدور رسائل بن عياش في (م ر م) رقم 28 وما بعدها.

(6) كلمة مغطاة قد تكون : (حاطها) او (حرسها).

(7) مغطى في الاصل، والتعبير المناسب : (وصل الله توفيقكم) قارن مع الرسالة السابقة 96.

(8) عن جزولة انظر الخريطة المرفقة في القسم الثاني عن امتداد هذه البلاد واهلها، وكذا بسط الارض 58 وانظر عن القبيلة العبر 6/ 419 ــ 420.

(9) مغطى، والانسب : (والموحدون في).

(10) كلمات مأروضة كلا او بعضا قرئت بصعوبة.

(11) قدر كلمتين مأروضتين.

(12) قدر ثلاث كلمات مأروضة في آخر سطر بالصفحة 11.

(13) كلمتان مأروضتان باول الصفحة 12 قرئتا بصعوبة، وكذلك ما بعدهما الى نهاية الرسالة مصاب بالارضة كثيرا.

(14) اقتباس من الآية 6 من سورة الروم، وايضا من الآية 20 من سورة الزمر.

وذلك بأن اجتمعت عليه القبائل، وتقرّبوا بقتله وقتل أشياعه إلى الله[15] وإلى هذا الأمر الذي قامت على (....)[16] ، وظهوره الدلائل ؛ وأعلمناكم بهذا الصنع لتكونوا منه على يقين، وبشّروا به الخاصة والعامة ليكونوا من الموقنين ؛ والله يُجزل لكم عوارف نعماه، ويعينكم على شكر ما أولاه، بمنه وكرمه لارب سواه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ كتب في الحادي والعشرين لربيع الآخر سنة ثنتي عشرة وستمائة[17].

(15) راجع ثورة جزولة في الفصل الرابع وانظر المعجب (326 ــ 327) والعبر 6/ 524.

(16) قدر كلمة لم يبق منها غير الحرفين الاخيرين (.....ـره) قد تكون : (نشره).

(17) هذه حالة استثنائية بالنسبة لرسائل النصر التي تكون عادة مطولة، فهل التقصير هو اسلوب جديد منذ نكسة «العقاب» ؟

الرسالة الثامنة والتسعون :

م خ/325 ....[1] مطلعُ الانوار الهادية، ومنشأُ البركات الرائحة والغادية، ومثابةُ البُشر المتوالية المتمادية أدام الله تأييدها وإعزاز نصرها، وهنأها ما أوضح من براهين السعود في عصرها، ووالى لها من التمكين والفتح المبين ما يعرّفها في كل ارادة عوارف يُسرها، عبدُ مقامها السامي، ومملوكُ إنعامها الهامي، المتضرّعُ الى الله في شكر إحسانها المتضاعف وإدامة سعدها النامي، اللائذُ بظلها الواقي وكهفها الحامي : إبراهيم[2] سلام الله الكريم.

وبعدَ حمدِ الله معلي كلمة التوحيد ومظهرُها على كل أفّاك اثيم وكفّار عنيد، والصلاةِ على محمد رسوله بالوعد والوعيد، والرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، بالدليل الصادق والشهيد، وعن الخلفاء الراشدين، الأيمة المرشدين إلى سَننه القويم وصراطه الحميد، والدعاءِ لسيدنا الخليفة الإمام أمير المومنين[3] ابن الخلفاء الرشدين بدوام ما عوّده من النصر والتأييد، وإنجاز ما ذَخر من الفتوح لزمنه السعيد.

م خ/326 فكتب عبدُ علائها، ورَهْنُ شكرِ آلائها، ـــ كتب الله لها من السعود أعظَمها/ مقدارا، وألزَمها إيرادا، وإنجازَ الوعود وإصدارا ؛ وبركات الحضرة الإمامية ـــ أيدهاالله ـــ قد تدفقت شآبيبُها، وأضفت على العُبدان في كافة البلدان جلابيبُها، والحمد لله رب العالمين حمدا يدعو النعم فيلبّيه مجيبُها ؛ وعبدُ جلالها ـــ وصل الله حراسة كمالها ـــ على أوفى ما يكون عليه عُبدانها المخلصون، وأرقّائها الناصحون من النصيحة في خدمتها، والاجتهاد في شكر نعمتها، وبذل الجُهد في ابتغاء مرضاتها، واستنفاذ الوسع في أداء مفترضاتها ؛ والله يوزعه شكر نُعماها، وينشر عليه جناح رُحماها.

وقد ورد على عبد احسانها ـــ أورد الله وفود السرور على عليّ مكانها ـــ كتابُها الكريم، المعظمّ بواجبات التعظيم، يشرق نورُه، وتنطق بالهدى والارشاد سطورُهُ، وتشتمل على ما فيه صلاح الدين والدنيا أعجازهُ الكريمةُ وصدورُه، فعظُمَ بوصوله فرح العبد وسرورُه، واقتبسَ المصالح والمراشد من ضوء سراجه، واقتفى بالامتثال لأوامره المطاعة واضحَ منهاجه، وكلُّ ما تضمَّنه من الأغراض العلية، والاشارات الكريمة الجلية، **في حفظ المهادنة والإعلام بالأنباء وتأمين الرعية**، يبادِر العبدُ اليه، ويعمل به، ويحافظ ـــ بحول الله ـــ عليه ؛ والله يجازي الحضرة الامامية على اعتنائها بمصالح العباد والبلاد، وتأكيدها في وصل ما يعود بالصلاح وقطع ما يؤدي الى الفساد، بأفضلِ جزاء المحسنين، والأيمة السعداء المفضلين المنعِمين.

وإلى هذا ـــ وصل الله للحضرة الامامية ما عودها من نصر الأعلام، كما حفظ بدعوتها العالية كلمة الاسلام، ـــ فإن الله تعالى بما له من العناية الربانية بأمرها العزيز، قد جعل الله سعدها في الاشتهار، أوضحَ من النهار، وفي البيان، أصدق من العِيان، وإذا كان هذا الأصل يعضده النقل، ويشهد

---

(1) الرسالة مبتورة البداية، قارن مع رسالة اخرى من انشاء نفس الكاتب ابي العباس بن جعفر مثل رقم 70.

(2) راجع عن ابراهيم الهامش 1 على الرسالة 70، وهو المكتوب عنه في الرسائل اللاحقة بهذا الاسم.

(3) هو الخليفة المستنصر.

به الحس والعقل، فحُقَّ للبشائر أن تتردد في أيامها تردّدَ الانفاس، وتتناسق تناسق ورق الآس، ؛ وقد بلغ الآن الخبر العميم والحمد لله بما كيّفه السعد المطّرد الأنواع والأجناس، وهيأه فضل الله علينا وعلى الناس، من **قتل الشقي الذي نجم بالقِبلة**[4]، وكتم الحق الذي لا يضره كتم كاتم، وأراد أن يعارض النور المبين بالظلام العاتم، ولم يعلم أن أمرها العزيز هو أمر الله الذي لا يصدّه صادّ، ولا يضره مخالف ولا مضادّ، فاهتزت أرض الأندلس/ طربا بهذه البشارة العظيمة اهتزازا، واعتزت كلمة التوحيد اعتزازا، وشمل السرور الأمةَ قاطبة وعمّهم، وقصدَهم الحبورُ في كل جهة وأمَّهم، وارتفع الضجيج بشكر الله على هذه النعمة العميمة، وامتلأت القلوب بهجة بهذه المنة الجسيمة، وحسدت عليها العيونَ الآذانُ[5]، وازداد المسلمون يقينا بأنّ سعد هذه الخلافة العلية كالشمس لا تخفى بكل مكان ؛ وأما الذي خُصَّ العبدُ به من السرور بهذه البشرى، والمنّة الكبرى، فهو أعظم من أن يحيط الوصف بتحصيله، أو يشتمل على حصر جملتِه وتفصيله، وإنه لفتح من الفتوح التي يأتي بها اسعد الأزمان، ويقر الله بها عين الإيمان، وتلك عادة الله لهذا الامر العزيز في إظهار أمره على كل مُناوٍ[6] وإعزاز نصره على كل شقي غاوٍ ؛ «وعدُ الله لايُخلف الله وعده»[7]، وسعد قضائه لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المومنين، والله يضاعف تمكينه وسعدَه، ويُتبع له كل فتح بأكبر منه بعدَه، ويُنجز له ما وعده من الاستيلاء والظهور، الى يوم النفخ في الصور ؛ وإن مِن سعدِ أيامه السعيدة ومن بركة خلافته المباركة الحميدة، ما ألقى الله في هذا الوقت **بين رؤوس الكفرة** ــ أحانهم الله ــ **من المفاتنة فيما بين فِرقهم الذميمة**، والشتات الذي يصلَى كل منهم جحيمه، **فما منهم إلا مَن أسرَج لحرب الآخرين منهم وألجَمَ**، وأنجد في ضرب بلادهم وأتْهَم، والله يمحق جميعهم محق الرّبا، ويبيد جموعهم حيث كانت بين مهبّ الجنوب والشمال ومهب الدّبور والصَّبا، ويزيد الخلافة العلية سعودا تقضي لها في كل مرام بالتسهيل، ويعرّفها في كل مقام عوارف الصنع الجميل، بمنه[8].

م خ/327

(4) انظر عن هذا الثائر الفصل الرابع ضمن عواقب «العقاب» بالنسبة للموحدين.

(5) يتفق هذا مع صاحب المعجب من كونه ــ وهو بالاندلس ــ رآى الموحدين هناك اعظموا الفرح بقتله (ص 329)

(6) اي مناوىء.

(7) من الآية 6 من سورة الروم.

(8) الرسالة تنقصها بعض الكلمات على الارجح.

الرسالة التاسعة والتسعون :

م خ/343 ....[1] وأحوال هذه الجهات ببركة الحضرة الإمامية ــ ايدها الله ــ صالحة، ونعم الله بحسن التفاتها غادية عليها ورائحة، ويخوضون[2] من شكر الله عليها في بحار غير متناهية ليست كذاتِ السواحل ؛ ويتمسكون بأسباب البيعة السعيدة التي تعرّفوا يمنها فهم بها مغتبطون، وبحبالها المحكَمة المَعَاقد مرتبطون، يدعون لخليفتهم ومولاهم، الذي خوّلهم، بسعادته ما خوّلهم، وأولاهم بمنِّ م خ/344 خلافته/ ما أولاهم، ويتضرعون الى الله في إدامة أيامه وتخليدها، ونصر حضرته العلية وتأييدها، ويوقنون بأنها رحمة الله المنزَلة على عبيدها.

والعجب من **الشقي**[3] المذكور كيف جمح في شأوِ الغُرور، فرام أن يغطي صفحة الشمس ؛ وطمع في إدراك السماء السابعة بحاسة اللمس، ولم يعلم بأن هذا الامر العزيز هو أمر الله المصنوع له في عقب الزماأن، وأنه لا يزال الى يوم الدين مِن كيد الكائدين في أمان، ولم يعتبر بما لهذا الأمر العزيز من الآيات الواضحة سماتُها، والعنايات الفاضحة لشمس الضحى قَسَمَاتُها ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾[4]، ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾[5]، ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾[6] ؛ ولله قبائلُ قرّبت رأسه قربانا، وغادرته من جسده مُبانا، وعاقت[7] من النمو نجمَه الذميم، وأتت فيه من الزلفى بما يقضي لها في الدارين بالأجر العظيم، والثواب الجسيم، فلا أخلفت بلادَها الغمائم، ولا أغبَّها الإحسانُ الإمامي الدائم، **والله يُلحق بهذا الشقي أمثاله من الضُلاّل كما ألحقه بمن تقدَّمه من أهل المُحال والضَّلال**[8] ؛ وقد بثّ العبد هذه البشرى في أرجاء هذه البلاد كلها ونواحيها، لتعمّ المسرّة كافة قاصيها ودانيها، ويأخذ الجميع بالحظ الأوفر من فهم معانيها، والابتهاج بما ضمنه سعد الخلافة ــ أدامه (الله)[9] من الخير الجزيل فيها ﴿ليزداد الذين آمنوا إيمانا﴾[10]، ويروا نور الحق عِيانا، وتطمئنَّ قلوبهم بهذا الصنع الجميل اطمئنانا، وإن كان العلم بسعادة الخلافة ــ والحمد لله ــ على يقين، والإيمان به في كل قلبٍ ثابت مكين، لكن الله تعالى يقول : ﴿قال أو لم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[11] حكايةً عن خليله من النبيئين، صلى الله على نبينا محمد وعليهم

---

(1) الرسالة مبتورة حيث ينقصها الصدر.

(2) ضمير الغائب يعود على المذكورين في الجزء المبتور.

(3) انظر الهامش 4 على الرسالة السابقة.

(4) من الآية 42 من سورة الانفال.

(5) من الآية 5 من سورة الحديد.

(6) من الآية 40 من سورة النور.

(7) في الاصل علقت.

(8) الاشارة هنا الى الثورات التي سبقت ثورة الجزولي، راجع الفصل الرابع (حول ظروف العقاب).

(9) كلمة ناقصة في الاصل.

(10) من الآية 31 من سورة المدثر.

(11) من الآية 259 من سورة البقرة.

اجمعين، وأعلَم العبدُ[12] الخاصة والعامة بأن الذي تضمّنته هذه البشرى من النعم لا يُحصَى لها عدد، ولا يستطيع أن يوفّي حقّه من الشكر أحد، فلو استمد البليغ القوافيَ كلها والأسماع، واجتلب الاجناسَ من البلاغة والأنواع، لم يكن ذلك لقدْرها كِفاءً ولا لشكرها وفاءً، فقصارى الشاكرين التنعمُ مدى الدهر بذكرها، والتحدثُ غابرَ العمر بأغمار شكرها، فعمّت البشرى مواسط هذه الجهات وأطرافَها، وطفقت البلاد ترتضع ثُديَّ الأمنة وأخلافَها، وتنتجع منها حَياً تَرَوَى به وتَسِيم، وتستقبل به/ وجه الزمان الوسيم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مَن يشاء والله ذو الفضلِ العظيم﴾[13] م خ/345

؛ والله يصل للحضرة الإمامية عادة نصرها، ويهنّيها سعادتها وسعادة عصرها، ويبارك فيما وهب لها من اليمن والإقبال، والبركة العامة لأقسام زمانها السعيد من الماضي والحال والاستقبال، ويُجري أقداره على وفقها، ويُطلع على الولاء شموس السرور وأقماره المعتادة من أفقها، ويعين كافة أرقّائها من شكر التفاتها واعتنائها، على ما يؤدّون به ولو بعضَ البعضِ من عظيم حقها، ويتابع لها انجاز الوعود الموثوق بصدقها، ويديم ببركاتها توالِيَ البُشر، كما جمع على طاعتها ومحبتها قلوب البشر، ويحفظ عليها من النصر جزيل مواهبها، ويجلب المسارّ اليها من جميع طرقها ومذاهبها، ويجعل كلمتها باقية النور، راقية الظهور، منصورة الأحزاب الى يوم النشور، بمنه ورحماه، لارب سواه[14]...

---

(12) العبد : يبدو انه ابراهيم ابن الخليفة يوسف، انظر الهامش 1 على الرسالة 70.

(13) الآية 4 من سورة الجمعة.

(14) يظهر ان الرسالة مبتورة الاخر.

الرسالة المئة :

م خ/359 ....[1] وبعدَ حمدِ الله معوِّدِ أمره العزيز كل فتح جليل، المجدِّدِ له كل صنع جميل، المقيمِ ما وهب له من التيسير في كل مَرامٍ والتسهيل، مقامَ البرهان على سعده والدليل، والصلاةِ على محمد رسوله الهادي إلى خير سبيل، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم، ظل الله الممدود الظليل، وطبيب الدين حين تضاءل في (أسمال)[2] عليل، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين (الذين)[3] مشّوا أمره العزيز الى غاية التتميم والتكميل، والدعاءِ لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المومنين[4] ابن الخلفاء الراشدين بالنصر الأعز والفتح الحفيل، والسعد الجاري على وفق التأميل.

فالكتاب إليكم — كتب الله لكم من السرّاء ما يَفيض سناه، ويحسِب أملَ الآمل ومُناه — من إشبيلية حرسها الله — وسعادة الحضرة الإمامية — أيدها الله — كبيرة، وبشائرها لأوليائها المومنين سارّة ولاعدائها الكافرين والمنافقين مبيرة، ويمنُ خلافتها قد اتضح دليله وبرهانُه، وسوابق كراماتها قد غصّ بها مضمارُ السرور ورهانُه، وأيامها السعيدة — أدامها الله — أعيادٌ كلّها ومواسم، وثغورُ م خ/360 المواسط والثغور بما وهب الله لها من الظهور بَواسم، وبيعتُها الميمونة قد أثمرت للمومنين/ أطيب الثمر، وأبدت آية سعدها أبين من الشمس والقمر، فنور الحق بها باهر، (وورد)[5] العدل زاهر، وجيدُ الدهر بمحامدها حالٍ، وكعبها في كل زمان ومكان عالٍ، وغيث نعمها وابلٍ، ومَثل ما غرس الله من محبة أمرها العزيز في كل قلب ﴿كمَثَلِ حبّةٍ أنبتتْ سَبعَ سُنابل﴾[6]، وحبلُ اليقين بصدق دعوتها العالية مُغار، ونطق الناطقين كله اعتراف بعزتها وإقرار، والحمد لله رب العالمين على هذه النعم التي لا تحصى بالحُسبان، ولا يخطُر حصرُها في الحِسبان، حمدا يكون بفضل الله لها قيدا، ويقتنص به المزيد والصنع الجديد صيدا.

وقد تقدّم الخطاب اليكم[7] — أسبغ الله نعمه ظاهرة وباطنة عليكم — بما كان قد طلع به في هذا الأفق فجر البُشرى، من الأخبار بما يسّره الله لأمره العزيز من البِشرى، وسنّاه سعده من النعمة الكبرى، **في قتل الشقي[8] الذي كان نجم بجزولة لحيْنه**، فاستوى سيف الله من ناصيته الكاذبة الخاطئة اقتضاء دَيْنه، وكان حكم اليقين بما للأمر العزيز من السعد المبين يعلم الله بضرورة العقل، صحة هذا الخبر من طريق المعنى ويُتشوَّف الى صحة تأكيده من طريق النقل، فكان السرور قد مدَّ للنسج سَداه، وأخذت بطرفي منواله يداه، ووضع قدمه في الدَّرَج، ليصعد بالخاصة والعامة الى

---

(1) رسالة مبتورة البداية.
(2) في الأصل : (اسماء)، ولعل الانسب ما اثبتناه.
(3) كلمة ناقصة في الاصل.
(4) اي المستنصر.
(5) كلمة مطموسة في الاصل.
(6) من الآية 261 من سورة البقرة.
(7) يتضح من هنا ان الرسالة ليست موجهة الى الخليفة بل الى الوزير على الارجح.
(8) هو الثائر الجزولي المذكور في الرسائل السابقة.

غُرفات الفرَج، ثم لم يدع الأمة المبتهجة بأن أسعد الله مولاها وإمامها، إلا طلوع شمس كتابه الكريم أمامها، مضمّنا من صحة الخبر وتحقيق الفتح الذي من أمهات[9] العبد ما أعز دينها وأكّد يقينها، وزادها إيمانا لإيمانها، وغبطة لغبطتها بالبيعة الميمونة التي كانت قد اعطت بها صفقة أيمانها، فغدا كل لسان وهو بِعِظم هذه النعم مُفعَم، وأضحى السرور وغُفلُه مُعلَم، وسرى كالمتقدم الذي كرٌّ مُلجَم، وعلا في ذروة الاستبشار مصعدُه ومَسماه، وانتهى من الارتفاع من شرف الانتفاع إلى أسماه ؛ وكان من السعد الذي أشرقت آياته، والصنع الذي اطّردت في الجمال والكمال جزئياته وكلياته، أن وافق وصولُ الكتاب الكريم ليلة الجمعة فتمم الله بذلك فضل اليوم وجَمعه، وأعربت موافقة عَروبة[10] عن تأنق العناية الربانية بمصالح الأمر العزيز أفصحَ إعراب، وأغربت لطائفُ التكييفات كما كان في ذلك من الحشر للإذاعة به والنشر أوضح إغراب، حيث جمع الله الأمة/ من الحاضرة والبادية لسماع البشرى، وحشرها في الجامع الكريم في يوم مجموع له الناس ويوم مشهود حشرا، ففرع به المنبر المبارك بعد صلاة الجمعة في حفل ساعده القضاء، وضاقت منه الارض وغص به الفضاء، فكان فعلُ الله في جَمع مَن جُمع فيه وحَشرِ مَن حُشِر أجملَ وأكملَ من كل احتفال كان يمكن أن يفعله في ذلك البَشر، فضجّ الناس بالدعاء والشكر، عند سماع ما تضمّن من الذكر، ضجيجَ من استخف الفرحُ وقارَه، وطار به السرور مطارَه، وتيقّن الجميع أن الأمر العزيز هو (أمر)[11] الله الذي ينصر أنصارَه، ويخدمه[12] أقدارَه، ويكشف له من خبايا الفتح المبين أسراره، فلو رأيتم ــ أدام الله عزتكم[7] ــ ارتياح الخلق واهتزازَهم، وافتخارهم بما وَهب الله لهم مِن سعدِ إمامهم واعتزازَهم، وإعادتهم في شكر الله تعالى وإبداءَهم ودعاءَهم اليه سبحانه بتخليد هذا الأمَر ونداءَهم، وختمهم بالتهليلِ والتحميد والتعيظيم لأمر الله والتمجيد وابتداءَهم، لَرأيتم ما يُقرّ عين الإيمان، ويشهد تصريحا وتلويحاً بسعادة هذا الزمان، ولقد استفزّ الطربُ الخاصةَ والعامة فحكموا بحكم الاعياد للأيام، وأجروها مجراها في إفشاء السلام فيها وإطعام الطعام، واحتفلوا في حقها احتفال ذوي الاهتمام، وبْدأ بذلك الموحدون ــ أعزهم الله ــ على عادة بِدارهم، ثم تلاهم أهل البلد على أطوارهم، ينتشرون لإظهار ما عمّهم من الفرح في أنجادهم وأغوارهم، ويقيمون أعراسا في كل مكان، ويحسبون كل يوم يومَ موسم ومهرجان، فدَرّت النعم درورا، وامتلأت الأرض سرورا، وعاد الفضاء كله مآلف[13] للشكر ومَعاهد، ومَجالس للذكر ومَساجد ؛ ويحق ذلك لهذا الفتح فإنه لفتحٌ من الفتوح التي يَتعوّد إثمارها، وتَصلح بها أحوال الامة وتشِبُّ أعمارها، وتتفتح أبواب السماء لأمثالها، وتبرز الارض في حُلل جمالها، وتنصرف المُنَى عنها حُفّلاً مشمولة الحلَب، ولا تترك لأحد مطلباً إلا تقضيه فيصحب الدنيا بعدها بلا طلب، إلا طلبَ اطالةِ بقاء الخلافة الذي يعضُده الوعد، وتخليد دعوتها الذي سبقت به كلمة مَن له الأمر مِن قبلُ ومِن بعدُ ؛ فالحمد لله الذي ضاعف لعباده أقسام الفرح

م خ/361

(9) كذا بالاصل.

(10) عروبة او يوم العروبة هو يوم الجمعة.

(11) ناقصة في الاصل.

(12) كذا : ويخدمه.

(13) الفاء في الاصل غير منقوطة، والمآلف جمع مألف : اي ما يالفه الناس.

والجذَل، وبلّغهم من سعدها خليفتَه غاية الامل، وعرّفهم أنّ لهم من عرض الله أنصارا في كل سهل وجبل، وأنه ليس لأحد من الكائدين يكيده والحمد لله من قبل ؛ ويا عجبا **لذلك الشقي المحذور**، م خ/362
كيف عمِيَ عن النور، الذي يتساوى في إداركه عقلاء الجمهور ! ﴿وما يستوي الأعمى والبصيرُ ولا الظُّلماتُ ولا النُّورُ، ولا الظلُّ ولا الحَرورُ﴾[14] ؛ ولقد قابل البحرَ الزّخار بالوَشَل، والقدرة الإلهية بالعجز والفشل، وزاحم الحديدَ بالرَّجاج[15]، ولم يعرف الفرق بين الأسنة والزِّجاج[15]، ودفع العلومَ الضرورية بدواحض الحِجاج، ولم يَعلم أنّ مَن شك في هذا الأمر العزيز فقد شك في وحدانية الجليل[16]، ومن طلب الدليل على ظهوره فقد احتاج النهارُ عنده الى دليل ؛ فالحمد لله الذي أنجز فيه وفي أشياعه وعدَه، واوضحَ بصنعه فيهم يمنَ سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين وبيّن سعدَه، وبشَّر قياسا وسَماعاً بأنّ لهذا الفتح إن شاء الله تعالى ما بعدَه.

وما لبث مجلّكم أن أنفذ نُسخَ الكتاب الكريم الى جميع هذه الجهات، وعمّ ببَثِّهَا جميع الأمهات منها والبنات[17]، حتى عمّت البشرى كل ثغر وحصن، (وخبت)[18] على القريبِ والبعيد ببركة الأمر السعيد عَروس النصر المؤزر والفتح الميسّر،في أكمل حسن، فالألسنةُ في كل غَور ونجد بشكر الله على هذه النعم ناطقة، والقلوب موقنة بان الدعوة المهدية في الظهور الى يوم النشور صادقة، والأمنة قد مَدَّت على البلاد (جناحَها)[19]، وأرض النصرانية قد زُلزلت زلزَالها، وهيَّجت هذه المسرّة بَلبالَهَا، وآذنت بذُلّها وصَغارِها، وعدمت تخمّطها وصِيالَها، والله يصل للحضرة الامامية يمنها وإقبالَها، ويضاعف لها ماخوّلها من السعود وأولاها، ويورثها الاعمار حتى تستأصل من الكافرين والمنافقين كافة عِداها، ويحرس على الدين والدنيا ما اشرق عليهما من نور هُداها، ويهنّيها ما وهب لها من عُلاها، ويرزقنا اجمعين (....)[20] رضاها، ويعيننا في كل حال على ما يُزلف من رحماها....[21].

---

(14) الآيات 19 و20 و21 من سورة فاطر.

(15) الرجاج (بالراء) : ما كان ضعيفا، والزجاج (غير مشكولة في الاصل) جمع زج : حديدة الرمح.

(16) في اعتقاد الموحدين ان من عارض مذهبهم او سياستهم فهو كافر مُشرِك.

(17) كانت «كتب» النصر مما يطلب نشره على اهل المدن والبوادي.

(18) غير واضحة في الاصل لكونها مطموسة الوسط.

(19) في الأصل : جناحا، والأنسب : (جناحها) لتتناسب مع السجع بعدها.

(20) كلمة غير واضحة يمكن أن تقرأ هكذا : (أكذمين ؟).

(21) يبدو أن الرسالة مبتورة الآخر.

الرسالة الواحدة بعد المئة :

م خ/362 ....[1] فما لبث مجلكم[2] أن بثّ هذه البشرى[3] في كافة الجهات والنواحي، وأنفذ اليها نسخ الكتاب الكريم خفّاقة القوادم والخوافي ، حتى اشترك في السرور بها الداني والقاصي، وتبسمت ثغورُ الثغور، ودعت النصرانيةُ بالويل والثُّبور،/ وأيقنت[4].

---

(1) الرسالة مبتورة البداية كغيرها من اغلبية رسائل المخطوط الخاص.

(2) هذا يرجح انها ايضا موجهة الى وزير الخليفة المستنصر.

(3) لعلها البشرى بمقتل الثائر الجزولي.

(4) ينتهي هنا ما بقي من رسائل المخطوط الخاص حيث لا توجد تتمة لهذه الرسالة، ولعل ما اصاب المخطوط من بتر في آخره يكون قد ضيع علينا عددا من الرسائل الاخرى.

الرسائل من رقم 102 إلى رقم 105 :

رسائل تهم بعض التعيينات في أوائل خلافة المستنصر

تقديم :

من هذه الرسائل ماهي خاصة بموضوع التعيينات ومنها ما تتناول هذا الموضوع ضمن مواضيع اخرى، وهكذا نجد :

ـ الرسالة رقم 102 (المخطوط الخاص : 357 ــ 358) الصادرة عن الوالي باشبيلية الى وزير المستنصر، تذكر تخصيص مرتّب خاص للمحاسب الذي يستعين به الوالي المذكور مع الاشارة الى التنويه والتشريف بالوالي من طرف الخليفة.

ـ الرسالة رقم 103 (المخطوط الخاص : 320 ــ 322) عن والي اشبيلية ايضا الى الخليفة، تذكر تعيين «عبد الحضرة ابن عبدها» على بطليوس وثغورها الجوفية بالاضافة الى ذكر احوال البلاد من الاستبشار بتوالي الامطار، وكذلك «اذعان الاعداء واستسلام الكفار» ربما خلال محاولة التوصل الى الهدنة بين الموحدين والقشتالين.

ـ الرسالة رقم 104 (المخطوط الخاص : 353 ــ 355) عن والي اشبيلية نفسه الى وزير الخليفة حول نفس الموضوع مع التلميح الى محاولة عقد الهدنة مع القشتاليين على الارجح.

ـ الرسالة رقم 94 (المخطوط الخاص : 322 ــ 325) عن ابراهيم والي اشبيلية ايضا الى الخليفة المستنصر تذكر تعيين «عبد الحضرة ابن عبدها» على «بني رياح وقرة مناف»، مع الاشارة الى تحذير كومية من عاقبة الاعتداء، وذكر الفتنة بين الاعداء النصارى.

ـ الرسالة رقم 105 (في العطاء الجزيل 69 ــ 70) عن الخليفة المستنصر (من انشاء أبي عبد الله بن عياش) الى اهل اشبيلية بتاريخ 21 رمضان 612 بشان تعيين السيد ابي اسحاق ابراهيم بن المنصور خلفا للوالي المتوفى ابي اسحاق ابراهيم بن الخليفة يوسف في منتصف شعبان 612.

وهذه هي نصوص الرسائل المذكورة على التوالي باستثناء الرسالة رقم (94) المرتبة ضمن الرسائل الخاصة بعيث القبائل العسكرية :

الرسالة الثانية بعد المئة :

م خ/357 — 358 ....[1] وبركاتُ الحضرة الإمامية ـــ أيدها الله ـــ ضافية البرودة دائمة الورود، جارية/ من الترادف والتضاعق على أكرم معهود، كفيلة للعباد والبلاد بالتأمين والتمهيد، والحمد لله، والودُّ لكم مُحصَرُ الأمراس وثيقُ الأساس، والشكر لجميل مقاصدكم مغمور المغاني، حفيل المعاني، والتطلع لسماع أنبائكم، وتلقي المسرّات من تلقائكم، مستصحَب في جميع الأناء، معتنَى به كل الاعتناء، والله يبسط جذَلكم، ويضاعف النعمَ قِبَلكم.

والأحوال في هذه الجهات ـــ أدام الله عزتكم[2] ـــ جارية على ما اقتضته سعادة الخلافة المباركة ـــ أدامها الله ـــ من عموم المسرات والأفراح، وانشراح الصدور وتنعُّمِ الأرواح، والحمد لله على عوّد أمره العزيز من الظهور وتمام النور.

وقد وصل الكتاب الإمامي المعظم الكريم ـــ وصل الله عزتكم[2] ـــ **مضمَّنا من التشريف والتنويه** والالتفات الكريم النبيه، ما لم يزل المقام الإمامي ـــ شَكَره الله ـــ يوليه، والله يوزع شكر مِننه الجسيمة وأياديه، ووصل أيضا صحبةَ الكتاب الكريم كتابُكم الأثير[3]، المبهِجُ الخطير، فسرَّ محبّكم بوصوله، وشكرَ جملة فصوله، وذكرتم نفوذ الإنعامِ الإمامي ـــ شكره الله ـــ بمرتّب للمحاسِب[4] الذي قدَّم هنا محبُّكم يستعين به ؛ وتلكم عادةُ المقام الإمامي ـــ أيده الله ـــ في الإحسان، وقصد الإنعام على كل إنسان، والله يجازي الإنعام الإمامي، والنظر الكريم العلي ؛ ووساطتُكم[5] في ذلكم ـــ أدام الله عزتكم ـــ مشكورة، وبكل جميل من الذكر مذكورة، والله يشكر اهتبالكم بجميع المسائل، ويبقيكم للمحامد والفضائل..[6].

---

(1) رسالة مبتورة البدَاية.

(2) هذه من العبارات المستعملة من طرف ابراهيم والي اشبيلية في مخاطبة الوزير ابن جامع.

(3) الرسالة هنا على الارجح جوابية على رسالة الوزير التي وردت مع رسالة الخليفة، وفي هذا تلميح مهم الى دور الوصاية من ابن جامع على الخليفة المستنصر، حيث تظهر الازدواجية في المراسلة من طرف الشخصين معا، قارن مع الرسالتين 14 و 15 وخصائصهما في الفصل الأول.

(4) تعتبر هذه الرسالة وحيدة ضمن رسائل المجموعة الجديدة في اشارتها الى احد مساعدي الوالي ملقبا بالمحاسب وبراتب رسمي، وبهذا يصبح المحاسب كأنه معين من قبل الخليفة، وهذا ما دفع الى وضع هذه الرسالة ضمن تعيينات عهد المستنصر.

(5) في الاصل : (وساطتكم) بواو واحدة.

(6) يبدو ان الرسالة مبتورة النهاية.

ألبابَهم ؛ وقد أولته ـــ شَكَرَها الله ـــ من **التنويه**، والانهاض ما تعجز الأقلام عن شرح الشكر عليه، فلا يستوعبه الوصف ولا يستوفيه، ونهجت له بوصاياها الكريمة من جميل الأغراض ما يرشده إلى الصواب ويَهديه، وليست بأول بركة من بركات المقام الإمامي ولا بِيدٍ من عميم أياديه، تلك عادةُ (إحسانه)[8] المعروفة، وشيمةُ امتنانه المألوفة، للفضل (خلق)[9] على كافة العبدان، وتملّك القلوب بالإنعام والإحسان، فهو يفضُل على البعيد والقريب، ولا يزال يتملك قلوب الشبان والشيب، وتَعمُّ نعمه الآباء والبنين، ويشمل كرمه الخلق أجمعين، تولّى الله جزاء فضله الجزيل، وشَكَرَ فعلَه الجميل ؛ وإن للأقلام في شكر هذه النعمة سَبحاً طويلا، وإن للحمد فيه مُعرّساً وطقيلا[10] ؛ وإن القيام بواجب هذا الإحسان، ليس في وسع المخلوق ولا في استطاعة الإنسان، فليس إلا أن العبد لا يزال م خ/322 إلى/ الله في شكر الحضرة الإمامية متضرعا، وبطاعتها مغتبطا، والى النصيحة في خدمتها متسرّعا ؛ وقد وادع العبدُ[11] عبدَها المذكورَ، على توخّي الغرض الإمامي في تلك الثغور، وألقى إليه من التأكيد والتشديد ما أمر به في جميع الأمور، وأعلمه بأن هذا **التقديم تجريب له واختبار**، ومِحكٌّ كما جاء في الكتاب الكريم ومِسبار ؛ فشمَّرَ تشمير الباذل جهدَه المستطيع، وانفصل[12] ونورُ الغرض الإمامي ـــ شكرَه الله ـــ دليلُه وهاديه، وسعدُ المقام الإمامي ـــ نصره الله ـــ قائده وحادِيه، ومن حسن الغرض الإمامي فيه بالصنع الجميل، والخير الجزيل مقرونان ـــ بفضل الله ـــ بخواتم عمله ومواسطه ومباديه، بفضل الله ؛ ولا يزال العبد[13] ـــ كما أُمِر ـــ ناظرا من ورائه، متطلّعا لأحواله ومتسمّعا لأنبائه، والله يشكر الالتفات الامامي الذي يَنشأ العبيد إنشاءً[14]، ويقيّدهم بقيود إحسانه فلا يزالون يطوون على حبه جوانح وأحشاءً.

وأما أحوال هذه الجهة الآن ـــ وصل الله تأييد الحضرة الامامية ـــ فعلى ما تقتضيه سعادة الإمامة العلية، وبركةُ الخلافة السَّنية، من الابتهاج والاستبشار، وحياة الحرث والنسل بما توالى من الغيث المدرار، واستقبالِ الطمأنينة وتمهّدِ القرار، بما منّ الله به بسعادة أيامها من **إذعان الأعداء واستسلام الكفار**[15]، والثقة بما عود الله أمره العزيز من حفظ الأمصار، وعزة الأنصار ؛ والله يُجري الأمور كلها على اختيار الحضرة الإمامية الذي هو خير اختيار، ويعين على ما يحظى برضاها، ويُجزل الحظ من نُعماها، ويوزع الخاص والعام والوالد والولد شكرَ فضلها ونُعماها...

---

(8) في الاصل : (احسانها).

(9) غير منقوطة الآخر.

(10) كذا في الاصل (طقيلا)، ولم اجد لهذه الكلمةاثرا في «لسان العرب» و «البستان» و «قطر المحيط».

(11) المودِّع هو المكتوب عنه، والمودَّع هو المعيّن على بطليوس «عبد الحضرة ابن عبدها».

(12) في الاصل :وينفصل.

(13) اي المكتوب عنه.

(14) كذا في الاصل (ينشأ)، والاصوب (ينشيء) حيث أن مصدرها انشاء.

(15) الاشارة الى فترة الهدنة بين الموحدين والقشتاليين على ما يبدو المذكورة في الرسائل السابقة عن أوائل المستنصر.

الرسالة الرابعة بعد المئة :

م خ/353 ....[1] وبركاتُ الحضرة الإمامية ــ أيدها الله ــ يتوالى إلمامُها، ونِعمها يسُحّ على
م خ/345 العباد/ والبلاد غَمامها، ــ والحمد لله رب العالمين حمدا يستديمها ويستزيدها، ويَنمي به مزيدُها ؛ وما تعلمونه ــ وصل الله عزتكم[2] ــ من كمال الوداد وجمال الاعتقاد، واحتفال الشكر، واجلال القدْر، فرياضه زاهرة، ومحاسنهُ ظاهرة، وأسبابه مبرمة، والنفس باستصحابه مُغرَمة ؛ والله يصل ذلك في ذاته ويبقيه، ويحرسه ويقيه.

ومن صفات أحوال هذه الجهات اقتبالُ الصلاح، وانثيال النجاح، وتُمهُّد القرار، **واستسلام الكفار**، وامتداد ظل الامان، والاستبشار بسعد الزمان، والانبساط في الرجاء، بحسن مواقع الغيث المتتابع الغَنَاء، الموذِنِ في الزرع والضرع بالبركة والنماء، كلّ ذلك بسعادة الخلافة وبركة الامامة التي قضى الله في الأزَل بان تنبني عليها مصالح الجمهور، وتكون بها مَناجحُ الأمور، وتتصل بها أسبابُ الجهة والسرور والحمد لله ؛ وقد (وصل)[3] ــ وصل الله سعادتكم ويسّر في كل أمل إرادتكم، ــ كتابكم الأثير، السارّ الخطير صحبة الكتاب الإمامي الكريم[4] السَّنِيّ المضمّن من جزيل الفضل وجليله، **وحفيّ التنويه وحفيله**، ما يزدحم الشكر على فصوله، وتفرَّع[5] الحمد من أصوله، ويتحصلُ السعد بقدوم مثله ووصوله، والمشحون من أنوار الالتفات الكريم بما جرى على متعارَفه ومعتادِه، وحَسبَ أمل آمله وارتياد مرتاده، بما اقتضاه من **إنعام المقام الامامي**، ــ أيده الله ــ **على عبده ابن عبده بالأمر بتقديمه في بَطَلْيَوْس وسائر ثغرها الجوفي**[6]، وإنفاذه إليها على الوجه المرضي الحفيّ ؛ وتلك عادة المقام الإمامي ــ شكره الله ــ في إنشاء العبدان، والاعتناء بمصالحهم وإصباغ برود الإنعام عليهم والإحسان، وتملّك قلوب الشيب منهم والشبّان، تولّى الله جزاءَهُ، وشكر تهمُّمَه الكريم بعبيده واعتناءه ؛ ومجلّكم[2] متلقٍّ لهذ النعمة بمستوجبها من الشكر ومستحقِّها، ومبالغٌ في ذلك مبالغة العارف بحقها، وقد ألقى إليه من الوصايا الواجبة فيما[7] قُلِّد ما اقتضاه الغرض الإمامي الكريم، وهو الآن آخذٌ في الحركة مستعينا بالله تعالى على ما أُمر به، عاملا بحول الله فيما يورده
م خ/355 ويُصْدره بحسبه، والبركة الإمامية إن شاء الله تعالى تعينه وتنجده، ويوفقه الله/ بها ويسدّده ؛ وما يقصِّر مجلّكم في التضرع لأحواله والتسمّع لأنبائه حسبما أُمر به من ذلكم إن شاء الله، والله يجازي المقام الإمامي على غرضه الجميل، وفضله الشامل الجزيل.

---

(1) الرسالة مبتورة البداية.

(2) الرسالة على الارجح موجهة الى وزير المستنصر وهي جوابية.

(3) الكلمة ناقصة في الاصل والضرورة تفرض إضافتها.

(4) انظر الهامش 3 على الرسالة قبل السابقة (102).

(5) كذا بالاصل، والانسب : ويتفرع.

(6) هل هو تقديم لولد الوالي ابراهيم ؟ حيث كان عثمان ابنه ببطليوس عند وفاة ابراهيم باشبيلية، لاحظ أيضا التشكرات التي يقدمها للخليفة بعد هذا.

(7) في الاصل : في ما.

وتضمّن كتابكم الأثير[2] المشكور ما شفع الإنعام بالإنعام، وقَرن المنة بالإكمال والإتمام، من أفضال المقام الإمامي — شكره[8] **اللهبإكمال مرتّبه الشهري** على ما كان عليه مرتّب إخوانه الذين كانوا قبله ؛ وليس ذلك بأول أياديه ونِعمه، بل هو المعروف المألوف من جوده وكرمه ؛ والذي عند مجلّكم من الشكر على ذلك كله أكْثر من أن يَحْوِيَه الكتاب ولو أطنب فيه كل الإطناب.

وكذلك تضمن كتابكم الأثير الإعلام بالوقوف على النصيحة التي كان العبد أشار اليها، والتقريب لرأيه في التنبيه عليها، وأن الشروع في النظر فيها يكون عند إكمال ما **يحاول من المهادنة**[9] — إن شاء الله تـ وموافقة الغرض الكريم في ذلكم وفي أمثاله نعمة من النعم التي ترتبط نفائسها بالشكر، وتُقيِّدُ جنائسها بالحمد والذكر، فالحمد لله على موافقة الغرض الكريم حمد المستزيد للنعمة في ذلك والمستديم ؛ وكل ما تَمشّى — أدام الله عزتكم — من فضل المقام الإمامي فهو أهلُه، **ومجلّكم يعلم من حسن وساطتكم**[10] فيه وجميل سعيكم في تسنّيه ما لا يسع جهلُه، وشكره كثيرا لما يتحقق من جميل مقاصدكم، وحميد مصادركم في الجد ومواردِكم، والله يبقيكم لشكرٍ تستحقونه بكرم خلالكم، وجميل تهممكم واهتبالكم، ويُحسن تمشيتَكم وحميدَ فِعالكم، ويُبلغكم في كل حال جميع آمالكم....[11].

---

(8) في الاصل : شكر الله.

(9) هل يقصد المفاوضات مع قشتالة أم المحاولة الفاشلة المشار اليها في الرسالة 84 وهل النصيحة تتعلق بموضوع عيث القبائل العسكرية فينظر في أمرها بعد توقيع الهدنة ؟.

(10) هذا تأكيد على أن المخاطَب هو الوزير ابن جامع الذي كان مسيطرا على أمور الخليفة المستنصر في اول عهده.

(11) الرسالة مبتورة النهاية كعادة سابقاتها.

الرسالة الخامسة بعد المئة :

ع/69 من أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين[1] — أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته — إلى جماعة الموحدين الذين بإشبيلية والكافة من أهلها — وفقهم الله وأكرمهم بتقواه سلام... (إلى آخر الوصية المعهودة)[2]...وأن تعلموا أن مصالح بلدكم عندنا مقدّمة

ع/70 على كل ما تأ(تّى) من المصالح ودنا، وأن مكان/ اشبيلية منّا مكانٌ لا يغيب وإن بعدت الشقّة عنا، إذا وُزنت الوسائل كانت وسائلها أرجح، وإذا عُرضت الأمور الجلائل كانت أمورها أسمـ(ـى) وأنجح، وإذا (ـــ ـــ ت)[3] المهمّات كانت المُهَمَّمَ الذي يُقدَّم، والضروريَ الذي يُعْتَنَى (به) قبل كل شيء ويتهمَّم، على ذلكم درجت إشبيلية كل (....)[4] السعادَة التي (....)[5]، وأبهة (....)[6] التي لزِمَتْها، ومجموع القرائن (التي سبّبتها ـــ ـــ ـــ ـــ رحَتْها، ولها منّا)[7] المزيدُ من الاعتناء، والنصيبُ الأوفر من الحبّ والثناء، والحظ الأكبر من مراعاة المرضاة في كل الآناء.

وقد بلغنا ما كان من وفاة الشيخ الأجل الأثر لدينا أبي إسحاق[8] بن سيدنا الإمام أمير المومنين بن سيدنا الإمام أمير المومنين[9] رحمه الله، وكرَّم مُنقلبه ومأواه ؛ فلقد كان الأمـ(ـيـ)نَ الغيبِ، البعيدَ ورعُه والمنزع الذي كان يَنزعه من الريْب، وكان لأهل إشبيلية اليه المتاب الذي ربّته السِّنونَ وأنِس به الآباء والبنون[10]، فإنا لله على ذهابه وإنا إليه راجعون[11] ؛ وأنتم أحق الناس أن تُعزَّوا به على البِعاد، وتؤنَّسوا بعده لما كان بينكم وبينه من الوداد، وأن يكون لكم من نظرنا ما تستقبلون به الزمان جديدا، ومِن تخيُّرِنا ما يسرّكم شيخا وكهلا ويافعا ووليدا ؛ وقد عيّنّا لكم من تعرفون إيالته الحميدة، وطريقته المرضية السديدة، الشيخ الأجلّ الأعز الأسنى الأثير **الأفضل أبا إسحاق**[12] **بن سيدنا الإمام المنصور** أمير المومنين بن سيدنا الإمام أمير المومنين ابن سيدنا الامام امير المومنين

---

(1) اي المستنصر بن الناصر بن المنصور بن عبد المومن.

(2) راجع الهامش 5 على الرسالة 97.

(3) كلمة مأروضة الوسط ولعلها : (رجحت).

(4) قدر كلمتين مأروضتين قد تكونان هكذا : (درجها، تحكم).

(5) قدر كلمة مثل : (غرستها) او (خدمتها).

(6) كلمة غامضة الطرفين لعلها :(الفنون) او (القبول).

(7) تأثير الرطوبة على نصف سطر (حوالي عشر كلمات).

(8) كان دفنه يوم 17 شعبان 612 (العطاء ص 78).

(9) تكررت عبارة (امير المومنين) ثلاث مرات ونبه الكاتب الى الخطأ في المرة الثالثة بوضع العبارة الزائدة بين هلالين بالاحمر.

(10) حيث تكررت ولايته عليهم عدة مرات، انظر الهامش 1 على الرسالة 70.

(11) اقتباس من الآية 156 من سورة البقرة.

(12) سبق ان تولى على اشبيلية ما بين 605 — 607 (البيان 230 — 234) ولا نعرف متى انتهت ولايته الاخيرة وان كان صاحب المعجب يذكر انه تركه واليا على اشبيلية في آخر ذي الحجة 613 وبلغه — وهو بمصر — خبر وفاته سنة 617 المعجب (308 — 309).

جعل الله مَقدمَه عليكم سعيدا، وعرّفكم به نموا على كل ما عهدتم من الخير ومزيدا، فارتقِبوا قدومَه عليكم فلن يكون بحول الله بعيدا ؛ وفي أثناء هذا ـــ وصل الله كرامتكم ـــ فلْتحسُن آثاركم، ولْتطِبْ في المسامع أخبارُكم، ولْيتساوَ في العافية ليلُكم ونهاركم، ولْتُمشُّوا الأمور خير تمشية، ولْتوفّوا أعمال البِر أفضل توفية، **ولْتأتمروا بينكم بمعروف، ولا يستطِلْ قويٌّ على ضعيف** ولا شريف على مشروف ؛ والله يو(ز)عكم شكر نعماه، ويعينكم على ما يزلف من رحماه، بمنه لارب سواه، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ كتب في الحادي والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثنتي عشرة وستمائة.

الرسالة الخامسة بعد المئة (مكررة) :

ظهير عن المستنصر إلى رهبان بوبلات

تقديم :

اذا كانت العلاقات بين الموحدين وأرغون زمن المستنصر لا تتميز بهدنة رسمية — فيما يبدو — وانما بهدوء فرضته مشاكل الطرفين، فإن الاتصالات على المستوى الشعبي لا يظهر أنها توقفت، بل إن المستنصر اعطى لجماعة من رهبان الثغور الارغونية الحق في استغلال المراعي الاسلامية وكتب لهم بذلك الظهير الآتي نصه، وقد نشر هذا الظهير — مع دراسة له — بمجلة كلية الآداب بتونس المسماة (les Cahiers de Tunisie) المجلد 18 عدد 69 — 70/ 1970 على الصفحات من 69 الى 90 :

نص الظهير :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد نبيه الكريم، وعلى آله وسلم تسليما، والحمد لله وحده[1]، هذا ظهير كريم أمر به أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين[2] أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته لرهبان بوبْلات التي بجهة لاردة[3]، وفّقهم الله وسدّدهم، وأنار بصائرهم وأرشدهم، وجعل ما يقرّب من رحمته معتمَلهم ومعتَمَدَهم، أباح به لماشيتهم وللقائمين عليها أن لا يذادوا في بلاد المسلمين في زمن حرب أو سلم عن مَكْرَع ولا مرعًى، رعياً لما سَعَوا له وانتُدِبوا إليه من المأخذ (الذي)[4] حبسوا له أنفسهم والمسعَى.

فليحفظْ حفَظَتُها في إيرادها وإسامتها[5]، ولا يَتعرضْ أحد من المسلمين لتنغيص إناختها، تأمينا مدّ به عليهم كثيف ظلاله، وأوردهم غير مرنّق ولا مرصّد نَاقِعَ زُلاله، فمن وقف عليه[6] فليمتثلْ حدّهُ، ولا يَتجاوزْ رِسمَه الكريم ولا يتعدَّه، إن شاء الله تعالى، وهو المستعان، لارب غيره ولا (خير إلا خيره)[7] ؛ وكُتب في الموفي عشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمائة.

(1) هذه العبارة هي علامة الخليفة.

(2) اي المستنصر بن الناصر بن المنصور بن يوسف بن عبد المومن.

(3) لاردة : انظر عنها الادريسي ص 554، ط ايطالية، كانت هذه المدينة بيد أرغون منذ خريف سنة 544 هـ/ 1149 م، عنان «عصر المرابطين والموحدين» القسم الاول ص 508.

(4) في الاصل المنقول عنه : (التي).

(5) اي في ذهابها الى الموارد والمراعي.

(6) والي بلنسية المسؤول عن المنطقة في هذه الفترة هو السيد ابو عبد الله محمد بن ابي حفص بن عبد المومن (الذيل والتكملة س 6/ 489).

(7) في الاصل المعتمد : (لاجبر الا جبره) والتعبير العادي في الرسائل هو ما أثبتناه وقد قرأها الناشر خطأً كما يتضح ذلك من تعليقه في الهامش 10 ص 81 من مقاله المذكور سابقا.

الرسالة السادسة بعد المائة :

رسالة المستنصر حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تقديم :

منذ هزيمة العقاب عرف المغرب الاقصى أزمات متتالية، فالقسم الشمالي على الخصوص أصبح يعاني من الاضطرابات التي تسبّبت فيها قبائل بني مرين منذ بداية تغلّبها على الحاميات الموحدية سنة 613، فتوالى القحط والمجاعة التي وصلت عمقها سنة 617 خاصة وأن البلاد «الغربية» هي المنطقة الأساسية للإنتاج الزراعي ؛ فوجّه الخليفة المستنصر رسالة إلى الأمة تتضمن الأمر بالامر والنهي عن المنكر مؤرخة بعاشر ربيع الأول سنة 617 وذلك على عادة الخلفاء وقت الأزمات، وقد أورد ابن عذاري في «البيان» فصلا من هذه الرسالة (ص 245 ــ 246)[1] وهو كما يلي :

نص الرسالة :

....والى هذا ــ وصل الله توفيقكم ــ فقد علمتم أن الدّين هو الأساس الوثيق، والبناء العتيق، والفسطاط المضروب، والعلَم المنصوب، والتّجْر الذي لا يبور، والطريف الذي يجور[2] ؛ من استمسك به فقد استمسك بالعروة (الوثقى)[3]، ومن تحصّن به فقد تحصّن بالمعقل[4] الأحصن الأرق ؛ فإذا وقفتم على كتابنا هذا فجدِّدوا[5] للناس به الذّكرى، وعرِّفوهم أنّ الدنيا مطيّة إلى الدار الأخرى، وحُظّوهم[6] على العمل الصالح، والتجر الرابح، عسى أن يجعلهم الله تعالى في الدارين من الذين لهم البُشرى، وبُثّوا في جهاتكم كلها **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** تطهر[7] من الأرجاس، وتَتنقّى الحواضرُ والبوادي[8] من الأدناس، وتَسلمَ القلوب والجوارح من «الوسواس

(1) حسب ط تطوان. وقد تعمدت اغفال صفحات نسخ (خ ح) لتعدّدها.
(2) في خ ح/ 5 و6 وط تطوان : لا يجوز.
(3) ناقصة في خ ح/ 5.
(4) في خ ح/ 4 : بالعقل.
(5) خطأ في خ ح/5.
(6) خ ح/ 2/ 3/ 4/ 5 : تحضوهم.
(7) في خ ح/ 1 و 2 و 6 وط تطوان : تظهر.
(8) في خ ح/5 : والبادي.

الخنّاس»[9] ؛ واستحفِظوا الكافة **صلواتِهم** فإنها الكتاب الموقوف على المومنين، وخذوهم باعتياد المساجد فإنها الشاهد[10] الأزكى بشهادة خاتم النبيئين وسيّد المرسلين، واطلبوهم بقراءة **الحزب والتوحيد بالمساجد**[11]**والأسواق**، **فإنه** الخير المألوف (والشعار المعروف)[12]، والرسمُ الذي عليه العمل والعهدُ الذي يجب فيه التغيير والخلَل، وتتبّعوا شعائر الدين كلها بالإقامة، ولا يعرضْ لكم في الأمر بها والحض عليها عارض سأمه،[13] وتخولوا الناس على الدوام بالوصايا النافعة، والمواعظ الجامعة، واعلموا انه قد جاء (في)[14] الأثر : إذا أصلح المرء جوانبه أصلح الله بَرَّانِيَه ؛ فلْيصلح الناسُ سرائَرهم، ولْيخلصوا ضمائرهم، ولْيوقنوا[15] بأنهم مسؤولون، وأنهم «تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون»[16] (ونحن قد قُلِّدنا قلادة نَعلم لوازمها، وتحفظ مراسمَها، ومن جملتها التذكير بالدين)[17]، فهو الشافع الذي يقبل[18]، والوسيلة التي لا تضاع[19] ولا تُهمَل، فاعلَموا ــ اعزكم الله ــ هذا المقصود[20] علما، وكونوا في القيام به لا تخالفون يقظة ولا نوما، وللناس عليكم (ما نأمركم به من العدل التام، والإنصاف العامّ، وكف الأيدي، وقبضها عن التعدي ؛ وهذا خطاب)[21] قد أرشدنا فيه إلى مناهج سوية[22] وحضضنا فيه على أمور ضرورية، وأتينا فيه بما يجب البدار[23] إليه، وخير العمل ما دُووِم[24] عليه، والله مُعينكم[25]، والسلام عليكم ؛ وكتب في عاشر ربيع الأول سنة سبع عشرة وستمائة.

---

(9) اقتباس من الآية 4 من سورة الناس.
(10) في خ ح/ 4 : الشهادة.
(11) في خ ح/ 5 : في المساجد.
(12) ناقصة في خ ح/ 5
(13) في خ ح/ 5 : عادي سنائه.
(14) ناقصة في خ ح/ 5.
(15) في خ ح/ 5 : وليقنوا.
(16) من الآية 24 من سورة النور.
(17) ما بين هلالين ناقص في خ ح/ 5.
(18) في خ ح/ 4 و 5 : لا يقبل، وفي ط تطوان : لا يغفل.
(19) في خ ح/ 5 : لاتضام.
(20) في خ ح/ 5 : المقصد.
(21) ما بين هلالين ناقص في خ ح/ 5.
(22) في خ ح/ 1 و 2 و 3 و5 : سرية.
(23) في خ ح/ 5 : البرار.
(24) في خ ح/ 5 داوم.
(25) في خ ح/ 5 : والله يعينكم.

تنبيه : فيما يتعلق بالرمز (خ ح) في الهوامش انظر ملاحظة هامشية على الرسالة التاسعة.

الرسالة السابعة بعد المائة :

رسالة السيد أبي زيد، والي بلنسية إلى الخليفة المستنصر حول لجوء أحد النبلاء الأركونيين إلى بلنسية

تقديم :

بعد موت بيدور الثاني ملك أركون سنة 1214 تولى على العرش ابنه الطفل خايمي الاول، وفي فترة الوصاية عليه اندلعت الصراعات الداخلية والتنافس على الوصاية على العرش بين كبار النبلاء وكان من نتائجها إقصاء احد المقرّبين الى الملك وهو «افلا صكه أرطال» فلجأً الى بلنسية طالباً الاذن بحق اللجوء، وعندما وصل السيد ابو زيد الى بلنسية واليا عليها من طرف المستنصر (ربما سنة 620) جدد الاركوني طلب الاذن، فوجه السيد ابو زيد رسالة الى المستنصر في موضوعه مبينا أن مكانته داخل المجتمع الاركوني قد تتيح اشعال او تقوية الفتنة بمملكة اركون، ولا يظهر ان الموحدين استفادوا من هذه الوضعية إذا انهم سينشغلون بدورهم بالأحداث الداخلية بعد موت المستنصرفي أواخر هذه السنة.

وهذا نص رسالة السيد أبي زيد[1] من انشاء كاتبه أبي المطرّف ابن عميرة[2] كما وردت ضمن رسائل هذا الكاتب بمخطوط خ ع/ ك 233 (ص 250 ــ 251) ووردت أيضا في صبح الاعشى ج 6/ 434 ــ 435) ضمن نماذج من رسائل العهد الموحدي، وقد رمزتُ الى صبح الاعشى بحرف (ص)، والي مخطوط الخزانة العامة بالرباط بحرف (ك).

نص الرسالة[3] :

ك 233/ الحضرةُ الإمامية (العلية)[4] المنصورة الأعلام، الناصرة للإسلام، المخصوصة من العدل والإحسان ص 250 ما[5] يجلو نورُه متراكمَ الإظلام، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة (الإمام)[4] المستنصر بالله أمير

(1) عن السيد ابي زيد انظر الهامش 13 على هذه الرسالة.

(2) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(3) ورد عنوان الرسالة في (ص) هكذا : «كتب ابو المطرف بن عميرة عن صاحب ارغون من الاندلس الى المستنصر بالله يستأذنه في وقادة صاحب ارغون من الاندلس ايضا على ابواب الخلافة مغاضبا لأهل مملكته»، واما في (ك) فورد هكذا : «كتب (ابو المطرف) لأمير المومنين المستنصر بالله عن السيد ابي زيد صاحب بلنسية في حق نصراني».

(4) كلمة ناقصة في (ص).

(5) في (ص) : بما.

المومنين أبي[6] يعقوب ابن ساداتنا[7] الخلفاء الراشدين، وصل الله لها إسعاد القدَر، وإنجاح[8] النصر والظفَر ؛ ولا زال مقامها الأعلى سامِيَ النظر، مُبارِكَ الوِرد والصدَر، يَفيض[9] منه الجود فيضَ المطر، وتحيط[10] به السعود إحاطة الهالة بالقمر، نشأةُ أيّامها الغُرّ، (ورَبِيٌّ)[11] إنعامها (المقتنى منه ألسنة)[12] الحمد والشكر، المشرَّف باستخدامها الذي هو نِعمَ العون علَى التقوى والبر، عبدُها وابن عبدها (عبد الرحمن بن محمد)[13] ؛ سلام الله الطيب المبارك وتحياته، تخص المقام الأشرف الاعلى ورحمة الله وبركاته.

وبعدَ (حمدِ الله العظيم، والصلاةِ على سيدنا محمد نبيه المصطفى ورسوله الكريم[14]، والرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، وعن الخلفاء الراشدين المرشدين الى أمره الحق وطريقه المستقيم، والدعاءِ إلى سيدنا ومولانا الخليفة المستنصر بالله أمير المومنين بن الخلفاء الأئمة المهتدين بدوام النصر العزيز والفتح العميم)[15].

فكَتب العبدُ — كتَبَ الله للمقام العلي[16] فتوحا تعمّ جميع الأقطار[17]، وسعدا[18] يقضي بفلّ السُّمر الطوال والبِيض القصار — من بلنسية[19]، وبركاتُها[20] تظهر ظهور النهار، وتفيض على البلاد والعباد فيض الأنهار، فالخلق بين[21] وارد في سلسالها المَعين، وراجٍ للوليّ منها هو من بلوغ رجائه[22] على أوضح مراتب اليقين ؛ والله يبقي عز الإسلام ببقائه، ويعيننا على امتثال أوامره المباركة معشرَ عبيده وأرقّائه، بمنه[23].

(6) في (ك) : ابو.

(7) في (ص) : سادتنا.

(8) في (ص) : انجاد.

(9) في (ص) : ويفيض.

(10) في (ص) :ويحيط.

(11) ناقصة في (ك).

(12) في (ص) : انعامها المواظب على الحمد والشكر.

(13) في (ص) : فلان، سلام... وهذا السيد هو ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن ابي حفص عمر بن عبد المومن، وكان ابوه ايضا من ولاة بلنسية.

(14) لاحظ هنا غياب الدعاء لآل الرسول وصحابته.

(15) ما بين هلالين ناقص في (ص).

(16) في (ص) : الاعلى.

(17) في (ص) : يعم جميع الامصار.

(18) في (ص) : وسعودا.

(19) عن بلنسية انظر الادريسي 556 ن، ايطالية، وبسط الارض (100 — 101).

(20) في (ص) : وبركاته.

(21) في (ص) : من.

(22) في (ص) : وراج للذي منها وهو من رجائه...

(23) لاحظ ان الكلمة (بمنه) وردت هنا قبل ذكر موضوع الرسالة على عكس ما رأيناه في الرسائل السابقة.

وقد تقرر لدى المقام الكريم[24] ــ أدام الله علوه وكبت عدوه ــ بأمر افلاسكه أرطال[25]/ وما له في البلاد الأرغونية من رعاية[26] في شاوها برّز، ولغايتها أحرز ؛ وكان[27] قد كفل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة دار أمرُها عليه، وأُلقِيَ زمامُها إليه، وتفرّد منها بعبءِ حملَه، وحظ بلغ منها أمله[28]، ثم إنه حُطَّ من رتبته، وتأكدت المبالغة في نكبته، لقضية عرضت له مع أهل ارغون، فلفطته تلك الجَنَبات، وأزعجه أمرٌ لم يمكنه عليه الثبات، ورأى أن يلجأ بحاله الى المقام الباهر الأنوار، العزيز الجُوار ؛ فوصل[29] هذا الموضع قبل قدوم[30] العبد عليه مقررا مانزل به، ومستأذنا في الوجه الذي تعرَّض لطلبه، **فأذن له في مقصَده** وانصرف عن التأهب للحركة من بلده، ثم لما وصل العبد[31] هذه الجهة وفرغ هو من شأنه أقبل متوجها إلى الباب الكريم، ومتوسّلا بأمله الى فضله العميم.

والظاهر مِن حَنَقِهِ على أهل أرغون، وشدّة عداوتِه لهم، وما تأكد من القطيعة بينه وبينهم، أنه إن صادف وقت فتنة معهم، ووجد ما يؤمّله من إحسان الأمر العلي[32] ــ ايده الله ــ فسينتهي[33] من نكايتهم والإضرار بهم الى غاية غريبة الآثار، مفضية به إلى دَرْك الثار ؛ وكثير من زعماء أرغون ورجالها أقاربه وفرسانه، وكل [34] في حبله حاطب، ولإنجاده متى أمكنه خاطب ؛ وللمقام العلي عالي الرأي[35] فيه أبقاه الله شافيا للعلل، كافيا طروق الخطْب الجلل[36]، مأمولا من ضروب الأمم واصناف الملل، وهو سبحانه يديم سعادة جده (ومضاء حده)[37]، ويخصه من البقاء الذي يسرّ أهل الأيمان، ويضاعف بهجة الزمان بأطولِه وأمدِّه، والسلام.

---

(24) في (ص) : وقد تقرر له من المقام الكريم.

(25) انظر في الفصل الرابع خصوصيات رسائل ابن عميرة ثم عواقب معركة العقاب (الفقرة الاولى).

(26) في (ص) : وكبت عدوه امر بالتسلط وطال ماله في البلاد الارغونية من زعامة في شأوها...

(27) في (ك) : وكل قد...

(28) في (ص) :...بعبء وحمله، وخطة...

(29) في (ص) :فواصل.

(30) في (ص) :مقدم.

(31) أي المكتوب عنه.

(32) في (ص) :العالي.

(33) في (ص) : فينتهي.

(34) في (ص) : وكلهم.

(35) في (ص) : وللمقام الكريم اعلى الرأي.

(36) في (ص) : وكافيا طوارق.

(37) ما بين هلالين ناقص في (ص).

الرسالة الثامنة بعد المائة :

رسالة من والي بلنسية السيد أبي زيد
إلى الخليفة عبد الواحد مؤيدا بيعته بالخلافة

تقديم :

عند موت الخليفة المستنصر في أواخر سنة 620 بمراكش اختار أشياخ الموحدين أحد كبار السادة من أبناء الخليفة يوسف وهو أبو محمد عبد الواحد[1] الذي سيتم خلعه بعد بضعة أشهر، وهذا أول خلع حدث في الدولة الموحدية فاشتهر عبد الواحد بالمخلوع، وبعد تمام بيعته بمراكش وجهت رسائل الى الولايات بشأن إرسال موافقتها على البيعة، فكانت الرسالة الآتية من السيد أبي زيد عبد الرحمن والي بلنسية جوابا بالتأييد لهذه البيعة ؛ وهي من إنشاء ابي المطرف ابن عميرة،[2] وقد وردت ضمن السفر الاول الخاص برسائله وهو مخطوط مصور ضمن مخطوطات جائزة الحسن الثاني لسنة 1981، المصور بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د ــ 4502 الورقتان 3 و 4، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

3/ب الحضرة الإمامية العلنية[3] ناصرة الإيمان، ومجددة بهجة الزمان، القائمة بالعدل الموصلة[4] إلى رضاء الرحمان، الباسطة على البلاد والعباد ظل الأماني والأمان، حضرةُ سيدنا ومولانا الخليفة المرتضى أمير المومنين، أنجز الله تعالى لها أفضل المواعد، وأنهضها لإعلاء كلمته[5] بشدة الأيد وقوة الساعد، وتكفّل لها بدوام الجد الصاعد، وإخدام القدَر المساعد ؛ عبدُ مثابتها العليا ومؤمل دولتها المستحفظة نظام الدين والدنيا، المعتقِد خدمتها وسيلة تُفضي الى نجح الآمال وتقضي بعز المحْيا، عبد الرحمن بن محمد ؛[6] سلام الله تعالى الطيب المبارك الكريم وتحياته، تخص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله تعالى وبركاته.

(1) هو عبد الواحد ابن الخليفية يوسف بن عبد المومن (البيان 247 والقرطاس 243).

(2) انظر ترجمته في مقدمة البحث .

(3) كذا في الاصل، والعادة ان تكون (العلية)، قارن مع ما كتبه ابن عميرة نفسه الى المستنصر عن السيد ابي زيد ايضا (الرسالة رقم 107).

(4) كتبت خطأ (الموصل) وصححت على هامش المخطوط : (الموصلة).

(5) في الاصل : (واهضها لاعلاء كلمة).

(6) هو ابو زيد عبد الرحمن... انظر عنه الهامش 13 على الرسالة 107.

أما بعدَ حمدِ الله تعالى الذي جمع أهل طاعته على الهدى، و لم يرضَ لأمر خليقته أن يبقى هَمَلا ولا يُتركَ سُدى، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله بدر الكمال وبحر الندى، صلاةً تتوالى عليه وعلى آله وأصحابه الذين خاضوا دونه غمرات الردى، وفدوْه عند الكريهة بنفوسهم وقلّ له ذلك الفِدى ؛ والرضى عن الإمام[7]/ المهدي المعلوم أضوأ شهاب بَدا، وأكرم إيمان راح لإعزاز الملة الحنيفية 4/أ واقتدى ؛ وعن خلفائه الراشدين[8] الذين هم كالنجوم بأيِّهم اقتدى الساري اهتدى، والدعاءِ لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المومنين بنصر يحوز المَدى، ويَفُلّ غرب العِدى ، وفتحٍ يروِّي غُلّة الاسلام ويشفي منه (للهدى[9])[8].

فكَتب العبد ــ كتب الله تعالى للمقام العلي سعدا مطلق الأعنة، وعزما ماضي الأسنّة، مسعدا على ما ينويه من إقامة الفرض والسّنة ــ من بلنسية، والإيمان في الذروة العالية راقٍ، والأرض بنورها ذاتُ إشراق، والبشائر قد قامت[10] على سياق، واتسق وفدها أجمل اتساق، ونفوس المسلمين قد غشيها الأمان، وتمحّض[11] لها عن أسعد أيامها الزمان ؛ والله تعالى قد صدَقها وعده، وهنأ لها من الرِّيّ ما لا ظمأ ــ إن شاء الله تعالى ــ بعده، وقد جعل الله سبحانه اتفاق الكلمة على النجاح عنوانا، وقيّض لدينه أنصارا من أهله وأعوانا، وألف بين قلوب إخوانه فأصبحوا بنعمته إخوانا[12]، فله عزّ وجهه الاختراعُ والانشاء، والفضلُ بيده يوتيه من يشاء ؛ وقد **نادى للعقد ما أصفق عليه الملأ الأعلى** كرّم الله تعالى مثواهم، وأسعد سرّهم ونجواهم، **من عقد الإمامة لمن جمع الله تعالى له**[13] **شرف الذات والولادة**، وقلده منها بالاستحقاق أعظم قلادة، سيدنا ومولانا الخليفة أمير المومنين، جزى الله تعالى مقامه الأعلى أفضل جزا(ء)[14] المحسنين، فورد عليه من هذا النبأ أكرم وارد طويت عليه المهارق، وتهادته المغارب والمشارق، وزحزحت بطروبه الخطوب الطوارق، لاجرم أنه طلع على البلاد صبحا جليا، ورفع الدعوة المهدية مكانا عليا، فتعرّى زهر المسرات عن كمامه، وقيّد جامح الأمل بزمامه.

ولما هبّت عيون البشائر عن نومها، وتشرّفت خطبة الجمعة الى الدعا(ء)[14]لأيام المخصوصين بيومها[15]، وعَلِم العبد أن الترغيب في المسارعة الى الخير حُكمٌ من أحكام الشريعة، وقصدٌ هو

(7) كذا، ومن عادة كتّاب الرسائل أن يضيفوا هنا كلمة (المعصوم).

(8) الرطوبة في اعلى الصفحة اثرت على معظم كلمات السطر الاول وبداية الثاني.

(9) يمكن ان تقرأ ايضا (للصدى).

(10) في الأصل : قد قامته.

(11) كذا، ولعلها : (وتمخّض).

(12) اقتباس من الآية 103 من سروة آل عمران.

(13) في ا لاصل : (الله له تعالى شرف)..

(14) الهمزة ناقصة في الاصل.

(15) تظهر تبعيته في الدعاء للخليفة في خطبة الجمعة، وكانت بيعته قد تمت بمراكش في يوم الاحد 13 من ذي الحجة سنة 620 (البيان 247 والقرطاس 243) وثار عليه العادل بمرسية في 13 صفر 621 (البيان 248) وسيتم خلعه في 20 شعبان 621) ثم قتله بعد ذلك (البيان 247 والقرطاس 245).

الى نيل الثواب من أكرم ذريعة، وأن خبر **هذه البيعة السعيدة قد تعيّن إعلانه وإبداره**، وفرضُها من قَبيل ما يجب في أول الوقت أداؤه، **ألزمها نفسه** على أوعب فضولها المكرمة، وأكرمِ شروطها المبرَمة، **ودعا الناس إليها فأقبلوا مهطعين**، إلى الداعي مسرورين، بعقدٍ أُسِّسَ على التقوى فتكفّل الله عز وجل بعصمته من الداعي فانقلب حاسرُ الرجاء دارعا، ومُتَطاوِلُ الأمل بارعا[16]، وعاد الناس بعد الوجوم ببشرى من مُزْنَتِها سُقياهم، وفي ذروتها حصّنوا دينهم ودنياهم، وكأنما الله سبحانه «قال لهم موتوا ثم أحياهم»[17] ؛ فأفاضوا في شكر نعمته بجهاده[18] الخلافة التي تملأ الأرض قسطا، وتبسط ما أمر به من العدل والإحسان بسطا، وتجدّدُ من سير الخلفاء الراشدين/ (الراشدين)[19] رضي الله تعالى عنهم ما يعود على أهل الاسلام بعزة الاقتدار، (....)[20] ويعلم الكافر لِمن عقبى الدار، وكيف لا يرى التوحيدُ قرّة عينه، والشركُ عاجلَ بَواره (....)[21]، والله تعالى قد اختار لها أهل النهوض بها والاستقلال، والأمّةُ قد أجمعت عليها والصادق المصدوق أخبر أنها لا تُجمِع على ضَلال ؛ فلله هو من خبر قَبِلَه المسلمون سامعين مطيعين، وغَصَّ به الكافرون فيأتون بالهُون قاطعين، وللهدي مقاطعين، وأنزلَ الله تعالى منه آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ؛ وقد تبادر مَن قِبَلَ العبيدِ[22] **الى البيعة المباركة** مؤكدين بالدخول فيها على عقد إيمانهم، ومهطعين بها على أوفى شروطها صفقة أيمانهم ؛ قد وافق ما اقتضاه الملأ الاعلى وأرضاهم، وبذلوا من أنفسهم لداعي الحق كلما تقاضاهم ، ووثقوا بأن الله سبحانه لم يجمع على هذا العقد الكريم كل من شهده أو بلغه، وأقرن به من دلائل اليسر أصدق شاهد وأبلغه، إلا وقد قضى فيه بضمّ النشر، ودخوله من عجائب الاتفاق ما لم يخطر على قلب بَشر.

ك/4. ب

وقام العبد الى هذه البيعة المدّخرة الى أفضل أوان؛ المؤسسة على تقوى من الله ورضوان، قيام من أنِسَ الرشدَ من مقاصدها السَّنية، ورآها شرطا في صحة الأعمال الدنيوية والقُرَب الدينية ؛ وبمقتضى ذلك يشمّر للخدمة خير آل[23]، ويرجو بأداء وظائفها النجاة في حال[24] ومآل ؛ وإذا جدّ به الجد في نهج طريقها وجمعِ تفاريقها، فما يرى أنه قضى كل حق ترتّبَ في ذمته، وواجب انصرف إليه بهمته، وإنما حسبُه أن يعترف بالتقصير مع الاجتهاد، ويضرع إلى المقام الأعلى في إرشاده فهو خير مرشد وأفضل هاد، ثم ينصرف هو ومَن قِبَله إلى الدعاء يرفعونه إلى القريب

---

(16) لعل في هذا تلميحا الى الخلاف القوي بين الاشياخ والسادة حول من يتولى الخلافة، انظر في الفصل الرابع «تصدع الجبهة الداخلية الموحدية».

(17) من الآية 243 من سورة البقرة.

(18) كذا في الاصل.

(19) كذا مكررة في المخطوط ولعل الاصح : الراشدين (المرشدين).

(20) قدر كلمتين غير واضحتين في نهاية السطر الاعلى من الصفحة حيث طمست الرطوبة معظم كلماته.

(21) قدر كلمة غير واضحة لعلها : (وحيْنه).

(22) كذا في الاصل بالجمع بينما ورد سابقا «فكتب العبد» ويرد لاحقا «قام العبد...»

(23) كذا، ولعلها من الفعل (ألّ) بمعنى أسرع.

(24) كذا في الاصل.

المجيب، ويستنزلون به إمداد اللطف الخفي والصنع العجيب : ربنا إنك تعلم ما تخفي وهو اعتقاد الطاعة، وما نعلن وهو الشكر جهد الاستطاعة، فاحفظ اللهم إمامنا المرتضى بما حفظت به الايمة الذين بالحق قضَوا، وعلى إظهاره مضَوا، والى رحمتك ورضوانك أفضَوا، اللهم أمتعْه بعوا رفك الجسام، واقسم له من إسعادك وتوفيقك أفضل الأقسام، واجعل زماننا به رائق الطلاقة والابتسام، وانصره على أعدائك الكافرين بما قلّدته من الماضييْن الرأي والحسام، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين[25].

---

(25) اورد صاحب «نفح الطيب» رسالة تهنئة من ابن سعيد (والد صاحب «المغرب») الى الخليفة عبد الواحد بمناسبة بيعته بالخلافة، وكان من قبل كاتبا له ومختصا به (نفح 2/ 362 ـــ 364).

الرسالة التاسعة بعد المائة :

فصل من رسالة العادل بعد استقراره بمراكش قادما من الأندلس

تقديم :

كان أبو محمد عبد الله بن المنصور ثار بمرسية على الخليفة عبد الواحد المخلوع سنة 621[1]، وبعد أن لقي تأييدا من أهم مدن الاندلس حيث كان اخوانه ولاة بها، انتقل الى المغرب فاستقر بمراكش، ومنها كتب الى اهل الاندلس مخبرا باستقرار الامور له بالمغرب ومواعدا بالعزم على الجهاد، ورد فصل من هذه الرسالة بكتاب البيان المغرب (الجزء الثالث طبعة تطوان ص 249) ضمن احداث سنة 622 وهذا نص الرسالة مقارنا مع نسخ الخزانة الحسنية[2].

نص الرسالة :

....[3] وأن تعلموا ــ رضي الله عنكم ــ أن الموحدين ــ اعزهم الله ــ لم يزالوا يتعرّفون في أوبتهم هذه من التيسير والتسهيل، واستصحاب الصنع الجميل، ما قرّب لهم كل قاصٍ، وذلّل لهم كل عاصٍ، ويسّر كل عسير، وجبر كل كسير، إنجازا منه سبحانه للمواعيد الصادقة، وصلةً لأسباب العنايات اللاحقة، تنثال عليهم الخيرات انثيالاً، وتُوافيهم المسرّات بُكَراً وآصالا، وتتلقّاهم وفود الموحدين من كل جهة أرسالا، يتسابقون الى لقائهم تسابق الطير الى الأوكار، ويتباروْن في حفظ ما أخِذ عليهم من الوفاء بما التزموه من العقود تباريَ السُّراة الأحرار ؛ وهاهم ــ بحمد الله ــ **قد انتظم شملهم، واتصل حبلهم**، واجتمعت أهواؤهم، واتفقت على إعزاز كلمة الحق آراؤهم، وحلّوا بدار الموحّدين[4]، ومطلع[5] الخلفاء الراشدين المهتدين، حيث الجموع وافرة، والأعداد متكاثرة، وطائفة الحق متعاضدة متظاهرة، وذلك حلول استدعاء واستنفار، لا حلولَ إقامة واستقرار، **عازمين على الجهاد**، والله تعالى يُمضي عزائمهم، ويَجبرهم[6] على جميل معتقداتهم على جهاد أعداء الله الكفار، فاعلموا ــ وفقكم الله ــ (ذلكم)[7]، (والله)[8] يبلغكم آمالكم، والسلام عليكم.

(1) اي في 13 صفر بعد شهرين من خلافة عبد الواحد (البيان 247 ــ 248).

(2) حول رموز هذه النسخ انظر ملاحظة في هامش الرسالة التاسعة.

(3) قدم ابن عذاري لهذا الفصل من الرسالة كما يلي : «وفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة استقامت الامور والاحوال لامير المومنين العادل بمدينة مراكش فأقر عمّاله على أعمالهم وخدّامه على طبقاتهم في أمورهم وأحوالهم وجميع أشغالهم في البلاد الغربية والاندلسية، وكتب عند وصوله الى الحضرة للأندلس...(فصل من ذلك : «....وان تعلموا...).

(4) لعله يقصد مراكش أو بلاد المصامدة عموما بما فيها مراكش.

(5) في خ ح/ 4 : الموحدين، (ودار) الخلفاء.

(6) في خ ح/ 3 : ويجرهم.

(7) اضافة من خ ح/ 4.

(8) ناقصة في خ ح/ 4 و6، ووردت الجملة في ط تطوان هكذا : «فاعلموا وفقكم الله على والله يبلغكم...

البائس وطائفته البائسة، عبدُها إدريس[10]، سلام كريم على المقام الامامي ورحمة الله وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله الذي أبى إلا أن يتم نوره، ويصل لخليفته[11] العادل الفاضل اعتلاءه وظهورَه، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم ذي الدعوة المنجوزة[12] والوسيلة المذكورة، سيد الأولين والآخرين صفوة الصفوة وخِيرة الخِيرَة (....)[13].

فكَتب العبدُ المسترَقُّ شخصُه وفؤادُه، المستحقُ بغمر الأيادي[14] والفضل المتمادي[15] جدّه واجتهادُه، ــ كَتَب الله للمقام العالي من أنباء المسارّ ما يقترن به التواتر، ويرتفع به التشاجر ــ من إشبيلية....

.... ولما كان يومُ كتابه نزل العدوّ المذكور، فكانت بيننا وبينه مواقفات غُلب فيها باطلُه، ومُحِيَ بعون الله أملُه، وهو ــ قصمه الله ــ يحاول الانتهاض ويروم الاحتمال، وبناؤُه قد مال، فولّى أمام حزب الله الموحدين ما ابتلع ريقا[16]، ولا (وِجد)[17] إلى غير الفرار طريقا، تَكتنف السهامُ أذنيه، وتَسبق الشفارُ إليه، وتكاد عُقبان المنايا الواقعة على جَزعاه وجرحاه[18] تقع عليه، فكم خلّف خلفه من قتيل مُضرج[19] بدمه، وجريح عضّ بنان ندمه، أَردته مواعيدُه الكاذبة، وتمويهاتُه العائدة عليهم وعليه بسوء العاقبة، وتبعتهم أجناد الله إلى مَضاربه فألفوْها خرقى[20] مصفقة[21] بالرياح، لا بل خلقى[22] ممزّقة بالرماح، قد أخلاها جزعاً وخلاّها فزعاً، وأوى[23] إلى رُبوة[24] ليست (ذات)[25] قرار ولا معين، واستمسك بعروة لا تَثبت مع شِمال ولا يمين ؛ وكانت الشمس قد

---

(10) إدريس (المامون) ابن الخليفة المنصور، سيستغل مكانته بالأندلس لتحويل الخلافة إليه. راجع في الفصل الرابع «تصدع الجبهة الداخلية الموحدية».

(11) كذا في خ ح / 1 و2 و3، وفي بقية النسخ (خ ح) وط. تطوان : الخليفة.

(12) في خ ح / 3 و4 وفي خ ع / ق 200 : المنجزة.

(13) يبدو أن هنا بتراً تسبب في إغفال ذكر المهدي، لأن المامون لازال واليا للعادل، أي قبل أن يتولى الخلافة ويلغي رسوم المهدي.

(14) كذا في خ ح / 3 و 4، وفي خ ح / 6 : بغمر الأياد، وفي ط. تطوان : بغير...

(15) في خ ح / 1 و 2 وط. تطوان : والمتادي (بإضافة الواو).

(16) في خ ح / 4 : وبقي، وفي خ ح / 6 : ريا.

(17) في نسخ خ ح / وط. تطوان : (وجه). ويبدو أن الأصح : (وجد).

(18) في خ ح / 4 : جرعاء وجرحاء، وفي خ ح / 1 و2 و5 و6 وط. تطوان : جزعاءه وجرحاءه.

(19) في خ ح / 1 و4 : مضموح.

(20) في خ ح / 1 و2 و3 و4 وق (خ ع) : حرما.

(21) في خ ح / 4 : مصفقا.

(22) في خ ح / 3 و4 وق : ملقا.

(23) في خ ح / 4 : وادى.

(24) في خ ح / 1 و2 و3 و4 : رتبة.

(25) ناقصة في خ ح / 3 و4.

الرسالة العاشرة بعد المائة :

رسالة والي اشبيلية أبي العلى إدريس إلى الخليفة العادل حول هزيمة البياسي

تقديم :

بعد أن استقر العادل بمراكش عيّن سنة 622 عبد الله (البياسي) صاحب اشبيلية والياً لقرطبة، وعيّن أبا العلى إدريس (أخا الخليفة) على اشبيلية، غير أن البياسي لم يلبث أن ثار على العادل معتمدا على الفرسان القشتاليين المرتزقة ودعم ملك قشتالة، وحاصر اشبيلية، إلا أنه انهزم أمام واليها أبي العلى، فكتب هذا رسالة إلى أخيه الخليفة العادل مخبرا بهذا الانتصار وهي مؤرخة بربيع الأول سنة 623، وردت فصول منها بالبيان المغرب (طبعة تطوان ص 250 ـــ 251)، وهذه هي الفصول مقارنة مع نسخ الخزانة الحسنية حسب الرموز المذكورة في هامش الرسالة التاسعة :

نص الرسالة :

الحضرة الامامية الطاهرة[1] العلية، مقام الفضل الباهر، ومقر العدل المشتهر في البادي والحاضر، حضرةُ سيدنا الخليفة الإمام العادل أمير المومنين ابن الأئمة الخلفاء أمراء المومنين، أدام الله لها اتصال البشائر، وخلّد في صحف الليالي[2] والأيام ما لايزال يجدده برحمته لها من قهر المُنافر ونصر المُظاهر[3] ؛ عبدُها الباذل في خدمتها العلية نفسَه ونفائسه، وفي الذب عن خلافتها السعيدة وإمامتها الحميدة راجلَه[4] وفارسَه، المشمِّرُ عن ساعد جدّه (في)[5] مقارعة الصادّين عن قصده بغيةً[6] في العمل المبرور تنافسه[7]، وعزمةً من النصر الموعود عرائسه[8]، لِما أحل[9] الله من الملِمّات بعدوّه

(1) كذا في خ ح / 2 و4 و6، و(الظاهرة) في باقي النسخ مع ط تطوان، وبالمقارنة مع رسائل أخرى نجد عادة استعمال كلمة (الطاهرة).

(2) في خ ح / 6 كلمة خاطئة.

(3) في خ ح / 3 و 6 : المظافر.

(4) في خ ح / 4 : رجله.

(5) ناقصة في خ ح / 4.

(6) في خ ح / 4 و 6 : بهية.

(7) في خ ح / 4 : وتنافسه.

(8) في خ ح / 3 و 4 : عيرائسه.

(9) في خ ح / 3 : لما أحله.

وجبت[26] واستحبت، والظلمة قد أَزِفت وأزلفت، فمحت الأشخاصَ من النواظر، وعمّت تلك الربوة على الأقدام والحوافر، ولولا سواد الليل[27] خامَره البَنان[28] المدلَّل، وغادره[29] بالاثلاث[30] نجماً لا يظلَّل....

..... وإن المحنة بهذا البائس قد بلغت مَداها، وانقبضت بعد التبسط يداها، وانتهى إلى غاية لا يَتعدّاها، والحمد لله الذي أذل للخلافة العادلية[31] أحدَ عُداتها، وأنصفها من مُنازعها بأَداتها، فكافرُ النِّعم تستحيل عليه نِقما، وحاجبُ الشمس ضوءها حافظ بين ظلام وعمَى[32] ؛ والموحدون عازمون على اتّباع هذا العدو إلى أن يَدَعوه عقيرا، أو يستثبتوه[33] أسيرا، إن شاء الله تعالى ؛ وكتب في ربيع الأول من عام ثلاثة وعشرين وستمائة[34].

---

(26) في خ ح / 4 : وحييت واستحبت.

(27) في خ ح / 1 و2 : سواد أليل.

(28) خطأً في خ ح / 2 و4.

(29) في ط. تطوان : وغاده.

(30) كذا في (ق) وجميع نسخ خ ح ماعدا خ ح / 5 وط. تطوان ففيها : بالاثاث.

(31) في خ ح / 6 : العادلة، وفي خ ح / 2 و4 : العادية.

(32) في خ ح / 2 و5 و6 وط. تطوان : حافظا بين ظلام وعماء.

(33) في خ ح / 1 و2 و3 و6 : يستثبلوه وفي خ ح / 4 : يستثبوه.

(34) ورد في نهاية الرسالة العبارة الآتية : «وكتب أيضا أبو العلاء لأخيه العادل يخبره برجوع بلد طلياطة (حسب خ ح / 1 و2 و3 وق أو طليطلة حسب ط. تطوان والنسخ الأخرى) وانتزاعها من يد (حسب خ ح / 1 و2 أو أيدي حسب باقي النسخ) البياسي المذكور بعدما هزمه» ولم يرد نص الرسالة المذكورة. راجع موضوع البياسي في الفصل الرابع ضمن «عواقب هزيمة العقاب» و «تصدع الجبهة الداخلية الموحدية».

الرسالة الحادية عشرة بعد المائة :

رسالة من أحد كبار رجال الدولة
إلى الخليفة العادل

تقديم :

تعتبر منطقة شقورة ثغرا مهما في مواجهة القشتاليين ومنعهم من الامتداد نحو ولاية مرسية، خاصة بعد تقدم هؤلاء في ولاية جيان معتمدين على تحالف البياسي معهم. ووصلت إلى الخليفة العادل بمراكش تُهم موجهة إلى عامل ثغر شقورة، غير أن أهلها «صرّحوا بارتضائهم بسيرة عاملهم»، وحاول الخليفة أن يتأكد عن طريق والي اشبيلية وقرطبة فيما يبدو وهو أبو العلاء إدريس الذي كان أخوه العادل فوّض إليه النظر في أمور الأندلس، فتوصل الوالي إلى نفس النتيجة أي تأكد من براءة عامل شقورة مما نُسب إليه، فوجه بذلك الجواب على رسالة الخليفة في صدر جمادى الأولى سنة 624[1]، وقد أورد هذه الرسالة الجوابية القلقشندي في صبح الأعشى ج / 6 (531 — 532) ضمن أمثلة من المراسلات بين بعض كبار الموظفين في الدولة الموحدية وبعض خلفائها لتبيان اختلاف أساليب بدايات الرسائل[2]، وهذا نص الرسالة الجوابية :

نص الرسالة :

أطال الله بقاء أمير المومنين، وناصر الدين والدنيا[3] بفضله العميم ؛ ولا برحت مصالح العباد بباله الكريم جائلة مائلة، وسيرته الحميدة لدانيهم وقاصيهم شاملة كافلة، ولازال لله في أرضه بالقسط قائما، وعلى ما ينفع الناس محافظا دائما.

كتبتُه — أيّد الله أمره — صدرَ جمادى الأولى، سنة أربع وعشرين وخمسمائة[4] بعد امتثال ما حدَّه، والانتهاء إلى ما وجب الانتهاء عندَه ؛ مِن أمر ثغر شقورة[5] — حرسه الله — على ما أنصُّ

(1) انظر الهامش 4 بعد.

(2) انشاء الرسالة منسوب إلى المكنّى (أبو الميمون).

(3) كذا في الأصل المعتمد.

(4) كذا في صبح، ويظهر هنا الخطأ واضحا حيث يجب وضع (وستمائة) بدل (وخمسمائة)، وهذا التاريخ كان قبل ثلاثة أشهر من نهاية حكم العادل وبيعة إدريس المامون باشبيلية.

(5) يقع حصن شقورة في أعالي نهر شقورة (أو نهر مرسية) وأعلى روافد الوادي الكبير، ويقع ثغر شقورة بين منطقة مرسية شرقا ومنطقة قلعة رباح غربا وكوينكة شمالا، أي في مواجهة الضغط القشتالي (انظر الهامش 7 على الرسالة 63).

الرسالة الثانية عشرة بعد المائة :

رسالة من تونس
إلى حاكم بيش لانصاف أحد التجار

تقديم :

وجّه المسمّى عمر بن أبي بكر الصابوني رسالة إلى صاحب بيش آنذاك على يد أحد كبار التجار من اليهود التونسيين يطلب إنصاف هذا التاجر من مَدينيه البيشانيين ومنهم يهوديان، مثلما يعامَل البيشانيون بتونس، ويطلب منه الجواب بما فعل مع غرماء هذا اليهودي، مما يرجح أن يكون الصابوني أحد كبار موظفي تونس إن لم يكن رئيس ديوان مرساها. والرسالة مؤرخة بـ 20 شوال 624 وتحمل الدعاء للخليفة الموحدي العادل الذي قتل في هذه الفترة. والرسالة واردة عند اماري في (Diplomi...) تحت عدد 28.

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

الشيخ[1] الأكرم المبجّل البُسّتَات أُبَالُدُ بيسكُونتِ[2] صاحب بيش، أرشده الله ووفقه، شاكِرُكم المبادِر لقضاء[3] حوائجكم عمر بن أبي بكر الصابوني[4]، سلامٌ عليكم ؛ وبعدَ حمدِ الله تعالى، والصلاةِ على سيدنا محمد نبيه الكريم ورسوله المصطفى، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم المجتبَى، وعن الخلفاء[3] الأيمّة الراشدين أيمّة الهدى، وصلةِ الدعاء[3] لسيدنا ومولانا الخليفة الامام العادل[5] أمير المومنين أبو[6] محمد عبد الله بن الخلفاء[3] الأيمّة الراشدين بالفتح الأحفل والأحفى ؛ فكَتبتُه إليكم — وفقكم الله وسددكم — من تونس — كلأها الله — مسلّما عليكم وسايلا عن

---

(1) في الأصل المعتمد (ا م) : للشيخ.

(2) في الرسالة رقم 27 عند اماري المكتوبة عن صاحب بيش إلى ملك مصر الكامل يسمى «سير أُبالُدُ فسكوندُ البُسطار».

(3) في الأصل المعتمد (ا م) بدون همزة.

(4) عمر الصابوني : لم نتوصل بعد إلى معرفة ترجمته.

(5) الخليفة العادل هو عبد الله ابن المنصور والي مرسية قبل خلافته (انظر في الفصل الرابع : «تصدّع الجبهة الموحدية الداخلية».

(6) كذا، حيث لا تخضع كنية الخليفة للقاعدة النحوية كما هو الحال في رسائل مماثلة.

مَناقلَه، وأعرِض مراتبه ومنازلَه، وذلك أن كِتابه العزيز وافاني على يد رجلٍ من أهلها فيه فصول رَفعَها، وأحاديثُ سطَّرها وجمعَها، واندرج الكتاب المرفوع بذلك طيَّه، لينظر إليه مَن ادَّعى عليهم رفعه، ويستبين حقيقته أو وضْعَه ؛ وبإبطاء هذا الرافع سبقَتْه الأنباء، واستقرت عند جمعها الأفراض والأنحاء، فاجتمعوا إلى عاملهم فلان[6] ــ وفقه الله ــ، وحضرَهم حاكمُ الجهة[7] ــ أبقاه الله ــ، وتتبعوا تلك الوجوه بالرد لها، والإنكار على القائم بها، وعقدوا في كل عقد منها عقدا يناقضه، واستظهروا بشهادات تنافيه وتعارضه، واندرجت العقود، ثابتة في كتاب الحاكم على السبيل المعهود في إثبات العقود، فثبتت عندي لثبوتها عنده، وخاطبوني مع ذلك متبرّين[8] من هذا الرافع، واضعين له في عقله ودينه بأحط المواضع، وصرّحوا بارتضائهم بسيرة عاملهم واغتباطهم بحمايته وسداد نظره، وعلى (تَفِئة)[9] ذلك وصل هذا الرافع بالكتاب العزيز وما اندرج طيّه على ما قدّمتُ ذكره، فاستأنفتُ النظر، وأعدتُ العمل، وخاطبت الحاكم والأعيان والكافة هنالك بما ورد في أمرهم، وأردفتُ الكتابَ المرفوع ليقفوا على نصه، وينظروا إلى شخصه، فراجَعوني أنه لا مزيد عندهم على ما قدّموه، ولا خلاف فيما نقدوه وأحكموه، وأحالوا على ما تَثبُت به العقود، وهي من الناس المقاطعُ والحدود، فاقتضى النظرُ إعلامَ أمير المومنين وناصر الدين ــ أعلى الله أمره ــ حسب ما حدَّه، بما وقعت عليه الحال، ليرتفع الإشكالُ، ولا يتعلق بهذه الحَيْبة[10] البالُ، وقد أدرجتُ إلى حضرته السامية الكُتب المذكورة لتُعرَض عليها، وتستقرَ الجليّة منها لديها إن شاء الله.

واندرجت العقودُ إلى الفقيه فلان قاضي الحضرة[11] ــ وفقه الله ــ والله يشكر لأمير المومنين وناصر الدين تحرّيه واجتهادَه، وتوفيقه وسدادَه، ويوالي مَن والاه، ويَكيد من عاداه ؛ ولو كانت الحال بشقورة على ما صَوَّره هذا الرافع لما انطوت عني أسرارُها، ولا خَفِيَت عليّ على البُعد أخبارُها، (وسفوفٌ الى)[12] فلانة بيّن، وهو متشرّع متديّن، وعَضدُه على ما هو بسبيله في ذلك الثغر متعيّن، والله ييسر الجميع إلى ما يقضي حقوق النعمة، ويقيم فروض الخدمة، بعونه وقدرته....[13].

---

(6) لعله السيد أبو الربيع بن أبي حفص وهو عم المخلوع، وكان هذا عوّضه بأبي محمد (البياسي) قبل تمرّده، (العبر 526/6).

(7) لعله يقصد القاضي. انظر عن «الحكام» النّباهي في «المرقبة العليا» ص 5.

(8) أي متبرئين.

(9) في الأصل : (تئفة)، والأصوب ما أثبتناه.

(10) الحيبة : الحال، الحاجة، الهمّ...

(11) الحضرة قد تكون اشبيلية مقر أبي العلاء واليها، وقد تكون قرطبة التي وليها قبل اشبيلية ثم أضيفت إليه بعد مقتل البياسي سنة 623 حيث يبدو أنه استقر بها.

(12) لاحظ محقق (صبح الأعشى) عدم وضوح الكلمة ورجّح أنها : (وتعفف والي) فلانة...

(13) راجع في الفصل الرابع الهامش 132 وما يتصل به.

أحوالكم ؛ ومُوصِلهُ إليكم عمر بن أبي الجيد الاسرايلي التونسي ـــ وفقه الله وسلمه ـــ له طلب ببلدكم عند أبيذين اليهودي وصهره بيتوره المتنصّر وغيرهما ؛ فنحبّ منكم أن تنصفوه من جميع من يتعين له عليه حق، لأنه ما استطاع على أخذ حقه منهم بسبب تعلقهم بأعيان من أهل البلد، وبيده عقود ثابتة عليهم، فنحب منكم (تقفوا)[7] على ما بيده من العقود، وتعملوا له حكومة حتى ينتصف منهم، وتكون يدكم عليه، ويكون مرعي الجانب عندكم، لأنه ممن يكرم علينا (ويلوذ)[8] بنا، وهو جاري ؛ وعسى تعملوا[7] معه كما يعمل هنا مع تجاركم، وكل من يصل من قِبَلكم إذا كان لهم طلب عند أحد ؛ والذي تعملوا[7] معه من (المحبة)[9] إنما هو معي وأنا الشاكر عليه، فنحبّ منكم أن تنصفوه من غرمائه[3] بالحق الواضح، حتى يقف على حقه ويصل كتابه بما تفعلوا[7] معه، وليعلموا[7] أن كل من يَصل من تجاركم، ومن أهل بلدكم محفوظين[7] مكرمين[7]، وأشغالهم على أحسن حالٍ تُقضَى لهم، وهذه الحاجة أول حاجة خاطبتكم فيها[10]، ونحب إن كانت لكم بهذه الجهة حاجة أو أمر من الأمور، فكاتبوني بذلك يُقضى لكم على حسب المراد إن شاء الله تعالى، والله مرشدكم، والسلام عليكم ؛ كُتب في الموفى عشرين من شهر شوال[11] من سنة أربع وعشرين وستمائة[3].

الشيخ المكرم المبجل البستات أبالد بسكونت صاحب بيش أرشده الله ووفقه[12]

---

(7) كذا في الأصل المعتمد.

(8) كلمة مبتورة البداية بقي منها (...ـلوذ)، واقترح أماري التصحيح أعلاه، (ص 415).

(9) في الأصل : الحبة.

(10) لعل هذا يبيّن أن الصابوني حديث العهد بالمهامّ في ديوان تونس.

(11) كان العادل توفي قبيل هذا في 20 شوال أي أن الرسالة كتبت قبل وصول خبر وفاته.

(12) هذه العبارة تكتب عادة على ظهر الرسالة المختومة بعد طيّها، (قارن مثلا مع الرسالة 126).

الرسالة الثالثة عشرة بعد المائة :

رسالة المأمون بالعتاب
إلى أهل أندوجر

تقديم :

أصبحت مدينة أندوجر مهددة بالسقوط من يد الموحدين منذ ثورة عبد الله البياسي (622 — 623) حيث أن تحالفه مع ملك قشتالة فرناندو الثالث كان في مقابل التنازل له عن عدد من الحصون عندما تسقط في يده، ومن هذه الحصون حصن أندوجر على الوادي الكبير شمال غرب جيان، وفعلا تسلّمه القشتاليون بعد استيلاء حليفهم عليه عندما اتسع نفوذه في حوض الوادي الكبير، ويبدو أن المأمون آنذاك وهو والي على اشبيلية كتب إلى حامية أندوجر رسالة عتاب ورد فصل منها ضمن كتاب البيان المغرب (ص 266 — 267) في إطار أحداث سنة 626[1] وكذلك في كتاب الإحاطة (ج 414/1)، وهي من انشاء المأمون نفسه.

نص الرسالة :

....[2] إلى الجماعة والكافة من «أهل» فلانة[3]، وقاهم الله عثرات الألسنة، وأرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة ؛ أما بعدُ، فإنه وصل مِن قِبَلكم كتاب[4] جدَّدَ لكم أسهم الانتقاد، ورماكم من العناد بالداهية والناد[5]، أتعتذرون من المحال بضعف الحال، وبقلة[6] الرجال، فألحِقَكم[7] بربات الحجال ؛ كأنّا لا نعرف مَناحيَ أقوالكم، (ولا نعلم بتقلّبكم في أحوالكم)[8]، لا جَرم أنكم سمعتم

ملاحظة : ما بين « » مضاف من الإحاطة، والرمز (ط) يعبر عن طبعة تطوان.

(1) رغم أن صاحب البيان أورد هذا المقطع من الرسالة ضمن أحداث سنة 626 فمن المحتمل أن تكون صادرة عن المامون قبل اعلان خلافته بالأندلس سنة 624، وربما أيام ثورة البياسي وضغوطه مع حُلفائه القشتاليين على أندوجر وغيرها من المدن والحصون (انظر عن ثورة البياسي «عواقب هزيمة العقاب على المدى القريب» ضمن الفصل الرابع).

(2) بُتِر من الرسالة الخطبةُ والصدر كما يذكر صاحب البيان في تقديمه لها.

(3) (فلانة) ناقصة في خ ح / 6.

(4) في الإحاطة : كتابكم الذي جدد.

(5) في الإحاطة : من السهاد بالدّاهية الساد.

(6) في الإحاطة : وقلة.

(7) في الإحاطة : إذاً نلحقكم...

(8) في الإحاطة : أقوالكم، (وسوء منقلبكم وأحوالكم) لا جرم.

بالعدو ـــ قصمه الله ـــ وقصْدِه «إلى» ذلك الموضع ـــ عصمه الله ـــ[9] فطاشت قلوبكم[10] خَوَراً، وعاد صَفْوُكم كَدَراً، وشَمَمتم ريح الموت وِرْداً وصَدَراً، وظننتم أنكم أحيطَ بكم من كل الجوانب، وأن الفضاء[11] قد غصّ بالتفاف[12] القنا واصطفاف المَقانب[13]، ورأيتم غير شيء فحسبتموه طلائع الكتائب، تبّاً لهممكم المنحطّة، وشيَمِكم[14] الراضية بأدوَن خطّة ؛ أحِينَ[15] نُدبتم إلى حماية إخوانكم، والذّبِّ عن كلمة إيمانكم[16] نسّقتم الأقوال وهي مكذوبة[17]، ولفّقتم الأعذار وهي بالباطل مَشُوبة ؛ لقد آن لكم أن تمُدّوا ذيل الحرمان[18] إلى مغازل النسوان، وما لكم ولصهوات الخيول، وإنما على الغانيات[19] جرّ الذيول، أتُظهرون العناد تصريحاً وتلويحاً، وتظنّون أنكم إذا تفرقتم لا نجمع لكم شتاتا[20]، ولا ندني[21] منكم نزوحا ؛ أين المفرّ وأمرُ الله يدرككم، وطلبُنا الحثيث لا يترككم، فأميطوا[22] هذه النزعة[23] النِّفاقية عن[24] خواطركم قبل أن نمحوَ بالسيف أقوالكم وأفعالكم، «ونَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم ثُمَّ لا يَكونوا[25] أمثالَكم»[26] ؛ ونحن نُقسِم بالله لو اعتسفتم كلّ بيداءَ سَمْلَق[27]، واعتصمتم[28] بأمنع[29] معقل وأحفل فيلق، ما وَنَيْنا

(9) هل في هذا تلميح إلى أن أندوجر لاتزال تحت السيادة الموحدية إن كان المقصود فعلا أندوجر ؟
(10) في خ ح / 5 : قلبكم.
(11) في خ ح / 3 و6 : وان الفضل.
(12) في خ ح / 1 : بالتفات.
(13) في الإحاطة : المناكب ... وفي (ط) : المقانب.
(14) في الإحاطة : لهمتكم ... وشيمتكم.
(15) في خ ح / 1 و2 وط : حين.
(16) كذا في الإحاطة، ووردت في نسخ البيان : والذب بالكلمة عن مقتضى ايمانكم.
(17) في خ ح / 6 : كذوبة.
(18) في الإحاطة : ان تتبدلوا جلّ الخرصان.
(19) كذا في الإحاطة، ووردت في نسخ البيان : الغانجات.
(20) في الإحاطة : ... العناد تحريضا، بل تصريحا وتلويحا، ونظن أن لا يجمع لكم شتاً.
(21) في الإحاطة : يدني.
(22) في الإحاطة : فازيلوا.
(23) في خ ح / 4 : النزغة.
(24) في الإحاطة : مـن.
(25) في خ ح / 5 : لا يكونون.
(26) من الآية 39 من سورة محمد.
(27) خطأ في خ ح / 6.
(28) في خ ح / 1 و3 والإحاطة : واعتصم.
(29) في خ ح / 6 : بأمنح.

عنكم زماناً ولا ثَنينا[30] عن استيصال العزم عنكم عنانا، فلا يغرّنّكم الإمهال أيّها الجهّال[31]، (ولا يعودنّكم الاجتراء إلا لنبذكم[32] بالعراء، وأدواءُ الأهواء[33] بالسيف تنحسم.

إذَا رأيتم نيـــوبَ اللـــيث بـــارزةً
فلا تظنّون[34] (أن)[35] اللّيْثَ مبتسم[36]

فإن كفاكم صريرُ[37] الأقلام، وإلا[38] جفاكم ضرير الحُسام، والسلام[39] على من استقام، ورحمة الله وبركته)[40].

---

(30) في خ ح / 3 : وثنينا.

(31) في خ ح / 6 : الجاهل.

(32) في خ ح / 6 : لنبدلكم.

(33) الكلمة والتي قبلها خاطئتان في خ ح / 5 و6.

(34) كذا في الأصل.

(35) كلمة ناقصة في خ ح / 1.

(36) في خ ح / 3 و5 : متبسم.

(37) في خ ح / 5 : ضرير.

(38) في خ ح / 6 : ولا جفاكم.

(39) في خ ح / 6، كلمة (والسلام) ناقصة.

(40) ما بين هلالين (ولا يعودنكم ... ورحمة الله وبركته) ناقص في الإحاطة، واكتفى صاحبها بالإشارة إلى أن الرسالة طويلة.

الرسالة الرابعة عشرة بعد المائة :

رسالة عن أحد الخلفاء الموحدين
إلى شيخ بني أمغار

تقديم :

هذه الرسالة كتبها أحد الخلفاء الموحدين، وهو الناصر حسب النص على اسمه في الرسالة، أو هو المأمون حسب التاريخ في آخر الرسالة، كتبها من اشبيلية بعد انتصاره على الأعداء، فكان هذا مطابقا لدعوة شيخ بني أمغار له بالنصر، فوجّه الخليفة رسالة إليه مبشرا بذلك ومعلما بقرب عودته إلى المغرب. وردت هذه الرسالة في كتاب «بهجة الناظرين» لمحمد ابن عبد العظيم الزموري في نسخ الخزانة العامة : د ــ 1343 (ص 44 ــ 45)، ج ــ 377 (ورقة 28)، ج ــ 896 (ص 34 ــ 35)، ونسخة الخزانة الحسنية رقم 1358 (ص 45 ــ 47).

وقد اعتمدت بالأساس على المخطوط الأول ورمزت له بحرف : د، والتعاليق من المخطوط الثاني ورمزت له بحرف : ج/1، ومن المخطوط الثالث ورمزت له بحرف ج/2، ومن المخطوط الرابع ورمزت له بحرفي خ ح، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ؛ (الحمد لله وحده)[1]، من عبد الله محمد الناصر[2] أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين، أيدهم الله بنصره ومدّهم بمعونته[3]، إلى الشيخ الصالح الولي أبي عبد الخالق بن الشيخ الزاهد أبي عبد الله (بن)[4] أمغار، أدام الله كرامته (بتقربه)[4]، سلام (كريم)[5] عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعدُ، فإنّا نحمد (إليكم الله)[6] الذي لا إله إلا هو ونشكره على آلائه ونعمه ونصلي على

(1) إضافة من ج 1، وفي خ ح : (والحمد لله وحده) وهي أصح لأنها صيغة العلامة الخليفية.

(2) كذا، راجع خصوصيات الرسالة في الفصل الرابع.

(3) في نسخة ج 1 : «من أمير المومنين بن أمير المومنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته». وفي خ ح : «من أمير المومنين بن أمير المومنين أيده الله بنصره ومدّهم بمعونته».

(4) ناقصة في ج 1.

(5) إضافة من خ ح.

(6) في (د) : «نحمد الله إليكم»، قارن مع الرسائل الأخرى الصادرة عن الخلفاء.

سيدنا محمد نبيه المصطفى الكريم ورسوله، وعلى آله وصحبه الفائزين بفوز السبق وبحوْله[7]، ونسأله[8] الرضى عن الامام المعصوم (المهدي)[9] المعلوم القائم بأمر الله تعالى والداعي على بصيرة إلى سبيله، وعن خلفائه الراشدين (المجتهدين)[10] في تتميم أمره العالي[11] وتكميله.

وإنا كتبناه إليكم ــ كتب الله (لكم)[12] ــ عِلماً نافعاً، وعملاً إلى أعلى المقامات رافعا[13]، وجاهاً يكون لكم في مواقف الشفعاء شافعاً ــ من (حضرة)[14] اشبيلية حرسها الله ؛ والذي نوصيكم به تقوى الله (تعالى)[15] والعمل بطاعته والاستعانة (به)[15] والتوكل عليه، والعمل بما أنتم علماء به **بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، والجد والاجتهاد في غزو العدو، (وتمكين الهدوّ)[16]، وأساس الدين (و)[15] التقوى[17]، وسبله الجلية السوية، والفروض التي لا يضاع[18] فيها (النائي والنائية)[19]، ولم نتكلف (حمل)[20] هذه الأمانة، ولا تعرضنا (لثقلة عهود الدنيا الدنية)[21] حتى وجدنا تلك الأساس منهدّة، وألفيْنا تلك السبل منسدّة، وأصبنا تلك (الفرائض ضائعة)[22] مع فرائض عِدّة.

(و)[15] كان العدو قد كَلَب بالفتنة (المبيدة)[23]، وعزم على الاستيلاء على هذه الجزيرة[24]، (فأعاننا) الله على قمع شدّته[25] وإطفاء جمرته، فانقبض تبسُّطه، (وانقمع)[26] تسلّطُه، وانطوى على

(7) في ج 1 : الفائزين بقدم السبق وفحوله.

(8) في (د) و خ ح : ونسأل.

(9) في ج 1 : الهادي.

(10) في ج 1 و خ ح : المجاهدين.

(11) في (د) : العلي.

(12) في ج 1 : إليكم، وفي خ ح : وإنا كتبناه إليكم كتابا كتب لكم.

(13) في خ ح و(د) : راصحا.

(14) إضافة من خ ح.

(15) ناقصة في ج 1.

(16) كذا في خ ح، وفي (د) وج 2 : الهدي ... والكلمتان ناقصتان في ج 1.

(17) في خ ج : التقوية.

(18) في ج 1 : التي يصاغ.

(19) في ج 1 : التأني ولم نتكلف ... وفي خ ح : الثاني ولم نتكلف.

(20) في (د) : علي.

(21) في خ ح و ج 2 : لتقلد عهود الديانة حتى ... وفي ج 1 : ولا تعرضنا لتقدم عهود الدنيا والديانة.

(22) في ج 1 : تلك الفروض مضاعفة ... وفي خ ح : الفروض مضاعة.

(23) كذا في خ ح، وفي ج 1 : المثيرة.

(24) نتذكر محاولات القشتاليين وحليفهم البياسي وغيره.

(25) كذا في خ ح وفي ج 2، اما في (د) و ج 1 : فأعاننا الله قمع شر نيته.

(26) في خ ح : وانقطع.

الشرّ له والخير للمسلمين تأبُّطُه، وعادت (صولته)[27] ذِلّة، وكثرتُه قِلّة، ووَهَنَ كَيدُه، وضُعف أَيْدُه، وكل ذلك بلطف الله تعالى وحده، ووعده السابق بإظهار دين الحق «ولن يُخْلِفَ الله وعده»[28]، **فأَمِنت السبل** وكانت خائفة، وسَكَنت الفتن وكانت مترادفة، واطمأنّت القلوب بعد أن كانت واجفة ؛ وتهنّأ المسلمون (بحول الله)[29] ربيعا وخريفا، ومَشتى (ومَصيفا)[30]، وغُزِيَ العدو في عقر داره، وأجاب إلى الصلح بعد إبائه (عنه)[31] ونِفارِه، وتَمّ عقدُه باختيار المسلمين لا باختياره[32]، والحمد لله على نصره لجيوش المسلمين ونَعمائه.

ثم نحن آخذون في **الإقدام عليكم**، فأبشروا بذلك وبشِّروا به مَن لَديكم، وابسُطوا بالدعاء لنا أيديَ إخوانكم وأيديكم[33]، فالله تعالى يعلم أن اعتقادنا بالدعاء فوق الاعتقاد بسُمر الصِّعاد[34] والبيض الحِداد، وأن دعوة منكم آثَرُ عندنا من مائة ألف بطل فوق مائة ألف جواد ؛ وبحول الله تعالى وقوته نستبدّ، والثقةُ [فيه][35] سبحانه أوثَقُ ما أعددنا ونُعِدّ، وهو سبحانه يُمدُّكم بتوفيقه، ولا يصدّكم عن طريقه، بمنه، والسلام (الكريم)[36] عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ وكتب منسلخ شعبان المكرم سنة خمس وعشرين (وستمائة)[37]، والحمد لله رب العالمين.

---

(27) في ج 2 و(د) : سطوته.

(28) من الآية 47 من سورة الحج.

(29) في ج 1 : «وهنيء المسلمون بحمد الله تعالى». وفي خ ح : وهنئ المسلمون بحول الله تعالى.

(30) كذا في خ ح، وهي ناقصة في (د)، وفي ج 1 وج 2 : صيفا.

(31) ناقصة في خ ح.

(32) وقّع المامون هدنة مع قشتالة في أواخر سنة 624 استعدادا لانتقاله إلى المغرب. راجع خصوصيات الرسالة والدراسة التاريخية في الفصل الرابع.

(33) في خ ح : ويديكم.

(34) كذا في خ ح، وفي باقي النسخ : «فوق اعتقادنا بسمر الصفا والبيض الحداد».

(35) كلمة ناقصة، والسياق يفرض وجودها.

(36) إضافة من خ ح.

(37) الكلمة ناقصة في (د) وثابتة في بقية النسخ.

الرسالة الخامسة عشرة بعد المائة :

رسالة السيد أبي زيد[1] والي بلنسية إلى الخليفة المأمون حول فتح حصن بشج

تقديم :

في الوقت الذي أخذت الأمور تضطرب في الدولة الموحدية بسبب مشكل العرش كانت مملكة أرغون لاتزال تعاني بدورها من الاضطرابات الداخلية لنفس السب، حيث كان الملك خايمي الأول يعاني من منافسة بعض أقربائه ومن عدد من نبلاء المملكة، وهذه الوضعية كانت تتيح في بعض الأحيان لوالي بلنسية مثل السيد أبي زيد أن يقوم باسترجاع بعض الحصون التي كانت أرغون استولت عليها قبل معركة العقاب، ومن هذه الحصون حصن «بشج» الذي استرجعه بعد الحصار ونزول نصاراه على الأمان وذلك فيما بين أواخر سنة 624 وأوائل سنة 625 على الأرجح، وهذا نص الرسالة التي وجهها السيد أبو زيد إلى الخليفة المأمون بهذه المناسبة من نفس الحصن كما وردت في رسائل أبي المطرف ابن عميرة، مخطوط الخزانة العامة ك/ 233، ص : 114 ــ 117.

نص الرسالة :

ك/114 ... وبعدُ، فكُتِب ــ كتب الله للمقام الإمامي المأموني[2] العليّ سعودا تقتضي دَيْن الفتح معجَّلا، وتَطلُعُ يوم النصر أغرَّ مُحجّلا ــ من حصن بِشِج[3] ساعةَ قرّت عينُ الإسلام بقرار أهله في ذروته، واعترته هزّةُ الطرْف لعزّة استعصامه بعُروته، وعاد الحقّ لأهله، وقُطِع دابرُ الشرك من أصله، وتمخضت الأيامُ عن بُشرى ولدَتها لِتِمام، وقادتْها بأسمح زِمامٍ، وأظهرت فيها من آثار عناية الله سبحانه بهذه الدعوة المأمونية ما أرى خرقَ المعتاد، وخَضَدَ شوكة الكفر وكان يُظنّ أنّ دونها ك/115 خَرْطَ القَتاد ؛ وقد طالع العبدُ بانتظاره إمكانَ الفرصة في هذا الحصن وإقامة ابنِه / عبدِ الله[4] في

---

(1) انظر عنه الهامش 13 على الرسالة 107.

(2) في هذا تأكيد على فترة خلافة المامون وليس فترة ولايته على اشبيلية أو قرطبة.

(3) يبدو أنه المسمى حصن Bexis أو Bejis الذي استولى عليه «جيل كارسيس» المذكور حسب بعض الروايات الاسبانية أو أخذه بيدرو فرنانديس دي اساكرا سنة 1211 (انظر مجلة «أوراق» الاسبانية، العدد 3، ص 108) وهو أقرب إلى شارقة وليس إلى بلنسية، ولقد ذهب الأستاذ بن شريفة مذهبا آخر في تحديد موقع الحصن «أبو المطرف ابن عميرة» ص 92.
راجع أيضا الفصل الرابع (الفقرة ب).

(4) أي عبد الله بن السيد أبي زيد المكتوب عنه.

شَارِقَةَ آخذاً عليهم ثنا(يا)[5] السهْل والحَزْن، فضاق على اللّعين جيل غرسيس[6] المجالُ، وقَعد له على طُرق الحصن الرِّجالُ، فكان قُصاراه عندما انقطعت المَيْرة عن نصاراه، أنْ جَمع لهم ما أمكنه من الدقيق، وبعثه على الظَّهْر إلى بعض الطريق، وأرسل إلى الحصن أن تَخرج جماعة لأخذه تَمشي به على الضَّرَّاء[7]، وتُصابِر به الضرّاء، وكان العبدُ عبدُ آلله[4] قد رتّب على الطريق جماعة سيَّرها تحت الليل، وتخيَّرها من الرجال والخيل، ومرّت بِهم هذه الميرة فأحرزوها في أول الطلْق بأوّل الطلب، وقارعوا أهلها وهِمَّتُهم في المسلوب فَنَفَّلوه مع السَّلَب، وفي الحال أرسَل عبدُ الله بأنَّ الحصن قد مسّته المجاعة، ونقَصت منه هذه الجماعة، وبلَغ الخبرُ إلى العبد أول الليل، فَركب من حينه ببقيّة الأجناد، واستنفر مِن جميع الجهات كافّةَ الأنجاد، وسَرَى ليلتَه فبلغ شَبْرَب[8] عند إسفار الصبح، وقد لاحت من جدّ المسلمين مخايلُ اليسر والنجْح، ثم سار من حينه إلى شارقة[9]، وبها لقِي عبد الله في الأجنَاد، وكلٌّ عاملٌ على صدق الجِلاد، وإخلاص النية في الجهاد ؛ وجاءت عيونهم على الحصن بأنه لم يصله مدد، ولا زاده أحد ؛ فرأى العبدُ أن يُقدِّم عبدَ الله في جماعة كثيفة تَرُضُّه بالقتال، وتَرُوضه للنزال، وخرج العبدُ بهم عشيّة النهار إلى ظاهر شارِقة، وقد باحت على خَبَر أهل الحصن أسراهم، **فميَّز الناسَ** ورتَّب مسيرهم ومسراهم، وفي اليوم الثاني أصبحوا على الحصن ؛ وحمل جميع المسلمين على النصارى (فضعضعَهم بحملته)[10]، وقاتلوهم في الربض أشد قتال حتى ملكوه بجُملته، وبعثوا إلى العبد بما أراهم الله من جميل الصنع، وطلبوا ما وعدهم به من لحاقه في بقيّة الجَمع، فوافاهم عصرَ أمسِ والكفرةُ قد أحسُّوا بالوَهْن، ولجأوا إلى القتال من وراء سُور الحصن ؛ فعاينَ العبدُ معقلاً لا مطمع فيه إلا من جانب يقف فيه من وطَّن على آفة الفَوْت، وأثبتَ رجله في مستنقع / الموت، فقرَّر في بقية اليوم مـ(ـسـ)ـافاةُ[11] القتال، وما يكفي كلَّ مسافة من مشاهير الرماة وأنجاد الرجال، وعُيِّن جماعةٌ للمبيت بديار الربض، وأوصاهم بالثَّبات، وحذّرهم من البَيات ؛ وعندما بدأ ضوءُ النهار، وأخذَ الناسُ حاجتَهم من التأهب والاستظهار، برزت كل جماعة فعُمِر بها موضعُها، واستنجَزت مواعد النصر من الكريم الذي لا يُخلفها، فصبروا على مُرِّ الكريهة ليظفروا

ك/116

---

(5) في الأصل : (ثناء)، مع ملاحظة فوق الكلمة بحرف (ظ)، ولعلها إشارة إلى خطأ الكلمة فيمكن تصحيحها كما اثبتناه.

(6) راجع الهامش رقم 3.

(7) الضَرّاء : الاستخفاء، يقال : هو يمشي الضَرّاء إذا مشى مستخفيا فيما يواريه من الأشجار.

(8) حصن «شبرب»، ذكره باختصار ابن غالب في «فرحة الأنفس» وأشار إلى جودة القمح والكتّان بالناحية، وهو من كورة بلنسية (مجلة معهد المخطوطات العربية م 1955/2)، انظر أيضا معجم البلدان م 4 / 354 ؛ وهو من الحصون التي سيتنازل عنها السيد أبو زيد للملك الأركوني خايمي فيما بعد (عنان 2 /396 — 397).

(9) شارقة : ذكرها ابن غالب (الصفحة المذكورة)، وذكرها صاحب معجم البلدان على أنها من أعمال بلنسية (م / 4 ص 354). موقعها شمالي بلنسية بحوالي 60 كلم وتعرف بـ Jerica.

(10) كذا في الأصل، على أساس أن الضمير يعود على «عبد الله»، ويطابق السجع في الجملة اللاحقة.

(11) حرف السين غير واضح. هل المقصود تقدير المسافات الضرورية بين الحصن وموقع النبالين والمجانيق، أم المقصود تنظيم الصفوف ؟

بحُلْوها، وقَلّل الله الكفرة في أعينهم فقدّروهم بثلاثين أو نحوِها، وجدَّ أهل الإجادة من الرماة فرشقوهم ببَنَات الحنايا[12]، وصوَّبوا إليهم منها رسل المنايا، فما لَمَحت لهم عينٌ إلا ولأمِحُ النصل لها لامِح، ولا بَدت منهم جارحةٌ إلا ولها مع النَّبل جارح، ودنا أهل الصبر والحِفاظ من السور وهو يُمطِر شآبيب الحجارة[13]، فعاملوا الله بالثبوت هنالك على يقين من ربح التجارة، وزلزلوا الصخورَ فانحلّت عقودُها، وسَلّطوا النار على الباب فإذا هو وقودُها ؛ ولمّا رآى الكفرة شدَّة الهَوْل، وَتَناولَهم بيد القهر وأيد الصَّوْل، لاذوا بأهل الايمان، **وعادوا بالنزول على الأمان** ؛ وفاوض العبدُ مَن حَضره في الوجه الذي رَضُوه، والخروجِ الذي عَرَضُوه، فترجَّحت إجابتهم لما يريدون، ونزلوا **فعُدّتْ مُقاتِلتُهم فكانوا مائةً أو يزيدون.**

والحمد لله الذي أنصف الطّيّب من الخبيث، ونصرَ التوحيد على التثليث، ويَسّر لهذه الخلافة المأمونية ـــ أيدها الله ـــ من الفتح الجليل ما مهّد الأرجاء، وفسح الرجاء، وشفى الداء، وقمع الأعداء، وبسعادة يومها (ما) كَبَتَ يومه، وببركة إيالتها هَبّ من مَرقده النصرُ وقد كان يطول نومه، فوقف الكفرُ خَزْيانَ ينظر، وخرج اللّعينُ وَلَدُ الغادر[14] وهو في ذيل الهوان يَعثر ؛ والعبد[15] على أن يترك هنا جماعة من الجند والرجّالة لسدّ ثَلْم السُّور[16]، وهدم الربَض الذي هو من أهم الأمور، ويُسرع الانفصال للنظر فيما يحتاج إليه الحصن من الطعام وآلة البنيان، وسائر المصالح / التي يتعاهده بها ـــ إن شاء الله ـــ مع الأحيان ؛ والله يُبقي سيفَ المَقام العليّ للإغلاق فاتحاً، وسَيْبَه لِحظّي الآمال فاسحاً، ولا يعدِمه بريدَ الفتح غاديا عليه ورائحا، ويجعل نسرَ نصره طائراً، وسِماكَ سُمُوِّه رامحاً، بمَنّه، والسلام.

ك/117

(12) الحنايا : الأقواس، والمقصود أقواس النبال.

(13) هل يعني هذا استعمال العدو المحاصَر المجانيق للدفاع، أم القاء الحجارة فقط بالأيدي من أعلى الحصن.

(14) أي أن المشرف على الحصن هو ابن «جيل كارسيس».

(15) لعل الكلمة تحتاج إلى فعل قبلها مثل (ويعمل) العبد.

(16) في الأصل : الصّور... ولعل هذه الجملة تفيد في استعمال المسلمين للمجانيق في فتح الحصن.

الرسالة السادسة عشرة بعد المائة :

رسالة السيد أبي زيد والي بلنسية
إلى الخليفة المامون حول ظروف شرق الأندلس

تقديم :

عندما أعلن إدريس (المأمون) نفسه خليفة باشبيلية في 2 شوال 624، كان ممن دخل في بيعته سريعا السيد أبو زيد عبد الرحمن والي بلنسية، غير أن انقسام الموحدين بين خلافتي المأمون والمعتصم[1]، وتنافسهم أيضا في الأندلس وتعامل بعضهم مع النصارى شجع بعض الزعامات الأندلسية التقليدية على الثورة ضد الموحدين كما فعل ابن هود بمرسية[2]، حيث أعلن إمارته وتبعيته للعباسين في أول رمضان 625، فلم يستطع جيش أبي زيد ولا جيش المأمون إخضاعه. غير أن تهديدات ابن هود لولاية بلنسية من جهة وتهديدات الأرغونيين من جهة أخرى جعلت أبا زيد يطلب الامدادات وخاصة المالية لمواجهة هذه الظروف، مؤكدا أنه لازال على الطاعة للمأمون رغم ما قيل عن انحرافه كما تشير إلى ذلك رسالته الآتية. إلا أنّ مقامه ببلنسية لن يطول حيث سيثور عليه وزيره ابن مردنيش في 26 صفر سنة 626[3]، وعلى هذا يكون تاريخ رسالته محصورا بين أواخر 625 وأوائل 626، وقد وردت في السفر الأول من رسائل ابن عميرة، مخطوط جائزة الحسن الثاني لسنة 1981، مصور الخزانة العامة : د/4502، الورقتان 41 و42، وهذا نص الرسالة :

نص الرسالة :

41/أ ...... فكَتب العبد ــ كتب الله تعالى للمقام الامامي المأموني[4] مضاءَ الحدّ، وسعادةَ الجدّ ــ من بلنسية، والإسلامُ بيمن نقيبته مجبور، والمبيضُ ببركة إيالته مجبور، وعزمُه بإنجاد الله سبحانه 41/ب منصور، والأملُ كله / على إمضاء عزائمه وانتضاء صواريه مقصور، ورأيُه الراجح لا توازنه الرواسي، ونظرُه الصالح إن ضَنِيَت الأيام أو ضَنَت فهو الآسي والمُواسِي ؛ والعبدُ على سجيّته مستمر،

---

(1) هو أبو زكرياء يحيى بن الناصر (624 ــ 633) المنافس للمأمون ثم لابنه الرشيد، انظر البيان (253 ــ 291) والفصل الرابع من الدراسة التاريخية (تصدع الجبهة الموحدية).

(2) انظر عنه المغرب ج 2/ (251 ــ 252)، البيان (269 ــ 270).

(3) راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع.

(4) في الأصل : المامولي.

ولِحبل[5] خدمته مُمِرّ، وبصادق العبودية مُقِرّ، ولبضاعة الرجاء مستقرِض وفي كنف الاخلاص مستقرّ ؛ هذا وإنْ[6] غشيته هواجس وجهُ الجَذَل بها كاسف، ومطلَقُ الأمل في قيْدها راسف، والنفسُ منها تكابد غَصصا، ولا تجد من زمانها مَخلصا.

وكانت هذه الخلافة العلية المأمونية مطلعَ شمسه، ومطافَ أمله في أمسه، استشرف إليها والعيونُ سَواهٍ، وائتَمر لها والأحوالُ نَواهٍ، وأفصحَ بها بين قلوب مُنكِرة وأفواه[7]، فلما أشرقت بها الأيام، واجتمع عليها الأنام، رأى أنّ له في دعوتها قَدمَ صدقٍ، وأن له في خدمتها دعوى حقّ، وتسامت العيون إليه نظراً لرتبةٍ إليها يَرقى، وخُطوةٍ فَخارُها في عَقِبه يَبقَى ؛ فما أكثَرَ ما نزل إليه[8] المرتفعون، وأمّل شفاعته المُشفَّعون، ثم ما بَرَح النّاقد أن بَهْرَج، والمقبلُ أن عاج عن رأيه وعَرَّج ؛ ولمّا تَنَكّر مَن تَعَرَّف، وتَطأطأ مَن كان استشرَف، حصل العبد في قبضة التحيّر، وبحث عن سبب ما أحسّ به من التغيّر، فقرعت سمعَه قوارص، وبلغه أنه قد استُغِشّ ودُّه الخالص، وسمع أن أدنَى الخاصة مكانا يعمُر المحاضرة بثَلْبه، وَيَثْبق عليه خِلاف ما أثبتَه الله عز وجل في قلبه، وَلَكَمْ رَامَ سَلَّ هذه السخيمة، ولجأ إلى الله تعالى بما له في النفس الكريمة ؛ ولما أُكثِر عليه من خَبَرٍ أصَرَّ[9] على ردّه، وأمْرٍ يعلم الله تعالى أنه مفطور على ضدّه، استعرض خواطرَه، واعتبر ماضِيَ أمرِه وحاضرَه[10]، فألفى كثِيراً مما سلف مَظَنَّة القال والقيل، غير خارج عن هذه السبيل.

وعندما كانت البيعة المبرية السعيدة وَفَدَ بها وَفده، واطَّلَع معهم على كل ما عندَه، ولقُوا في طريقهم **ابن عبد الجليل**[11]، فَغَبَطهم بالوِفادة، وبشّرهم بالزيادة، وعرّفهم بأن مرسية معطاة، وأن غاية الأمل متخطّاة، وكان العبد حين أُشعِر بالسبب في إقرار **عمر بن موسى**[12] بها ندبهم هذا المعنى، وتراءَت له من هذه النّكتة طليعة المقصد الأسنى ؛ ثم قَدِم الوفد فوسِعَهم ما وسع غيرهم من الرأي الجميل والمنّ الجزيل، وانتظروا حقيقة ما سمعوا، فما أُشيرَ إليه ولا عُرِّج عليه، وما زيدت إلاّ الأقطار بتنبيه قبل التنبّه، وطلبِ أبدى له وجه التكرّه ؛ وصَدَرَ القومُ، فكانوا من حضرة الإمامة ـــ أيدها

(5) في الأصل : ولحيل.

(6) كلمة (وان) مكررة في الأصل.

(7) هناك روايات تجعل أبا زيد هو المحرض للمامون على اعلان خلافته منافسا لأخيه العادل.

(8) في الأصل كلمة خاطئة.

(9) كذا في الأصل ولعلها (أضرّ) التي من معانيها : صبر.

(10) مشكولة خطأ في الأصل، وما أثبتناه أصح.

(11) ابن عبد الجليل : هل هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد ابن عبد الجليل ابن غالب الأنصاري الخزرجي، الذي كان بمرسية عندما ثار بها ابن هود، (اللمحة البدرية ص 45).

(12) لعله والي مرسية الذي ثار عليه ابن هود وهو السيد أبو العباس ابن أبي عمران موسى ابن أمير المومنين يوسف بن عبد المومن (العبر 362/4 والإحاطة 192/2)، أو عمر ابن أبي موسى بن أبي حفص بن يحيى الذي كان صاحب جيان، وجبن عن ملاقاة النصارى ببياسة في ذي الحجة سنة 623 فتركها لمصيرها (الروض المعطار : مادة بياسة، الحلة السيراء ج 282/2).

الله تعالى ـــ على مرحلتين أو ثلاث إذ سمعوا أن **صاحب مالقة**[13] طار إليه البريد بأن يهجر الكَرى، ويصلَ السير إلى مرسية بالسُّرى، ويتجرد[14] على كل سبب يثبِّط ساعة، ويحدّ على ما ظنّ إضاعة، فأحسّوا حينئذ بما لم يَغب / عن ذي حسّ، وعلموا أنه أمرٌ بُني من التُّهمة على أُسٍّ 42/أ وطَوَى الوجْدَ حَزْنَ البسيطة[15] مع سهلها، و«دَخلَ المدينة على حينِ غفلةٍ من أهلها»[16]، فماشك أُولُوا رأيهم في معنى هذا المسير، وسبب هذا التدبير، وعاد إليهم وفدُهم بما سمعوه في جانب العبد من أن مساعيَه[17] مستنقَصة، والدّوائرَ بِه متربِّصَة، وأن الطاعن عليه مَخْبُوٌّ، والنافرَ عنه مَدْعُوٌّ ؛ وظهرت علامات ذلك في قوم كان العبد قد نقص منهم أمورا جزاهم عليها بالإيعاد، واشتهرت عداوتهم في البلاد، فما منهم إلا من حضي بولاية، أو بلغ به الإحسان إلى أقصى غاية، حتى شاع الخبر عن بعضهم أنه التفت إليه عن هذه الحال، وأعرض عنه عند ظن الإقبال ؛ وهذه الدلائل وأشباهها كان العبد متى ظهرت غَمَّض، وإن أُبرِمَت نَقض، وربما نقلها الأُثبات[18] فزيّفهم، وارتمض إليها الثّقات[19] فعنّفهم ؛ ووفد القسطلي[20] فوجد الأمرَ بَيّناً، وحسَبَ التّكلّمَ في أمر العبد هيّناً، فكاد يَلقَى هواناً، وقيل له : كلُّ شيءِ إلاّ فلاناً ؛ ودوخل في شأنه بما أخبر به عن يقين، ونصحه بعد حين، ومن جملة ذلك أمر **صاحب ميورقة** وما كان وعد به وأعدّ له، وراسله بذلك عند الغدر[21] إلى مرسية فسفّهه الرجل وجهّله ؛ والعبد لما سلك من قبله على استجلابه، ولا يصغي[22] لشيء إصغاءه لجوابه، فيالله من ساعٍ ضلّت مساعيه، ومدعُوٌّ أُرصِد لداعيه، ولقد نَصح في أمر مرسية حتى نبّه على ما كان يُظن به من أنه على الصَّبوح يُرفِّق، ولِولايتها يُطرِّق، فأمسك عمّا كان يُقدِّره، وعلم أن الله سبحانه سيعذره ؛ ولما وضح السّر، وكشف الستر، حَسَر عن ساعدٍ، وأقام لِتلافي[23] الأمر كلَّ قاعد، وخاطب البلادَ على الطاعة مُثبِّتاً، ولِفرق الضلال مشتِّتاً، وتابع الخدمة إلى الباب الكريم بعِظم الطارىء وافية، ومحرّضا على استيصال شافية، ولو خُطِب بدخول

(13) لعله السيد أبو موسى بن الخليفة المنصور الذي كان على ولايتها أيام خلافة المخلوع وخلال ولاية المامون على قرطبة (البيان 248، العبر 251/6 و526، والإحاطة 458/3 ط القاهرة).

(14) في الأصل : ويتحرد.

(15) حَزْن ج حُزون : ما غلظ من الأرض، وقلما يكون إلا مرتفعا.

(16) من الآية 15 من سورة القصص.

(17) في الأصل : مساعية.

(18) في الأصل : لإثبات.

(19) كذا في الأصل بتاء مبسوطة.

(20) لعله قاضي مرسية أبو الحسن علي بن محمد القسطلي، استقصي بها مرتين وببلنسية وشاطبة و«أثار فتنة جرّت هلاكه»، إذ اتفق مع ابن هود على تحويل الدعوة للعباسيين فقتل بمرسية في 7 جمادى الأولى سنة 626 (الذيل س 5/ ق 1 /377 ـــ 378، الصلة 131، التكملة ج 2/ ترجمة 1899 ن كوديرا)، الحلة السيراء 308/2، الروض 355).

(21) في الأصل : العذر.

(22) في الأصل : ولا يصغَى، والأصوب ما أثبتناه ليتناسب مع المفعول المطلق بعده.

(23) في الأصل : لتلاقي (بالقاف).

مرسية حين وليها ابن وامازير[24] لما بلغَ[25] الفسقةُ ريقَهم، وأخذ عليهم طريقهم، لكنها رُميت منه بمن أبطأ في المسير، ثم قصّر كل التقصير، فإن **لَوَرقة[26] إنما فاتَها جُبنه، وأخرجها عن الطاعة وهنه**، ولو ضبطها ما اختلّت، ولو حَفِظ صحتها ما اعتلّت ؛ وسمع العبد بإقبال الركاب السعيد فطار شوقا إليه، واستمـ(ـدّ) على يقين من ورود المنال عليه، وكان طرأ له الطارىء بالشدة[27] فماشك في درك الثار، والانتصاف من الفجّار[28]، وبشّر الطليح بالإنجاد الواصل، والفاقة بالخلف العاجل، وانتظر المال يوما بعد يوم، ووعد الرِّيَّ من شرعه كل صادٍ ذي حوم، إلى (أن)[29] سمع بمقْدم ابن فلان[30] فماشك رائد النجاح، وأن سعة الثروة الرائشة للجناح، فإذا هو صِفْرُ اليدين إلا من حضٍّ[31] على تعجيل الإسعاد، والإجازة إلى لورقة بالحشود والأجناد، مسهّلا تجشّمَ المكاره واعتسافَ / المَهامِه، غيرَ مبالٍ بترك هذه البلاد نهبة الناهب، وفريسة للطالب ؛ وكلٌّ مِن ولاة 42/ب
الأندلس ما فارق مركزه، ولا أُمِر إلا ببعث بلده أن يُجهزّه، ولو حضروا لما لَزِم ضياع، ولا لَحِقَ من ورائهم ارتياع ؛ كما أن العبد لو حضر لاختلت هذه البلاد بأسرها، ولم يبق للدعوة المهدية من يفوه بذكرها ؛ فلما يئس العبد من الإمداد معه، وأسمعه من التأكيد عن المقام السعيد ما أسمعه، شرع في استقدام وظيف العام الآتي حين أعياه كلّ وجه، وقبض ما قبِضَ منه على كره، ثم خرج بزاد لا يبلُغ كفاية، ولا يُبلِّغ غاية، **وأرسَل رُسْله واحدا بعد آخر يؤكد في طلب المال**، ويعرّف بضيق الحال، (فَما)[32] أنجحت مطالبهم، بل عادوا بما جاء به صباحُهم، وكلٌّ مَن قِبَل العبدِ قد ضجروا من طول الانتظار، وسمعوا عظيم ما يُبذَل من الفضة والنُّظَّار، وما بلّهم من ذلك القَطْرِ رذاذ[33]، ولا ورد عليهم إلا جِدٌّ[34] في السير وإغذاذ[33] ؛ **والأنباء تسري في الأجناد والرجال، بأن الظِّنَّة هي التي منعت من وصول المال**، والعبدُ يجري على سَننه المعلوم، ويصبر على مضض هذه الكلوم.

وفي هذه الحال بعث في ألْمرية وأحوازها[35]، وليشير في الإقامة على مرسية أو الضعن عنها

---

(24) يمكن أن نقرأ أيضا (ابن وامازيد)، ورد اسم ابن وامازير أو ابن أومازير خديما للحفصيين دخل الأندلس سنة 626 (العبر 6 / 595).

(25) في الأصل : بلغ.

(26) لورقة : انظر الادريسي (561 — 562) ن إيطالية.

(27) لعل المقصود هزيمة أبي زيد أمام ابن هود الثائر بمرسية.

(28) في الأصل : الفخار.

(29) ناقصة في الأصل.

(30) كذا، ولم نتوصل إلى معرفة ترجمته.

(31) في الأصل : خص.

(32) (ما) ناقصة في الأصل، أضيفت لتناسب السياق.

(33) الذال الأخيرة في الأصل بدون نقط.

(34) في الأصل : الأحد.

(35) بعدما ثار ابن هود بمرسية قام بدعوته في المرية أبو عبد الله ابن الرميمي (نفح 464/4، البيان 269 — =

بتحصيل الأهبة واحرازها، ثم كان الضعن فما عُرّف به ولا اطّلع على سببه، وجرى على صفة هُزّ[36] بها الرجاء، واختلت منها الأرجاء، **فازداد مِن غَلَطه الغالط، وعادت لمرسية معاقل وبسائط، حتى اتسع الخرق، واضطرب الشرق**[37]، وهاجت في الناس أنواع الفتن، ثم التأمت من أطراف الجانبين **من أجل الزراعة هدنة على دَخن**[38]، فلم يكن بدّ من اقرار الأمر وإنفاده، إذ لا قوة تقبل القسمة بين تلك البلاد وهذه، والعبدُ في هذا كله صابر محتسب، وللمُلِمّات بنفسه منتدب، وللفرج بعد الشدة مرتقِب.

وهو في طرفٍ ناءٍ، محمّلٌ أشدّ عناء، وقد أعيته المباغي، وأحاط به الكافر والباغي[39]، والغوث شفعته قبل أن تفجأ العطب، والذخائرُ لإنفاقها في الشدائد تُكتَسب، وقد أبرزها عنده فرهن وباع، وسدّد ما استطاع، حتى صفَرت الراحة، وأقوت الساحة، ولم يبق إلا الرجاء في النصر القريب، والأمل في ناصر الدين أن ينصره في هذا (الصنع)[40] الغريب، **فإن عجّل الإمداد، أوشك أن تُحفَظ هذه البلاد**، وإن فاتت الإعانة أولاً ففي الحال ولأنّ بقيةً تُتلافى، وحشاشة تقبل الصحة بالمال إذا وافى ؛ وعلى العبدِ النصيحةُ وقد خرج عن عهدتها، والصبرُ على الأزمة رجاءَ انفراج شدتها، يدافع مَن كَفر وغَدر، ولا يلقي بيده إلى التهلكة ما قدر، وقِبَله من المسلمين من لا يدع حيلة في صون دمائهم، والذب عن ذمامهم...

= 270، العبر 530/6، انظر رسائل مخطوط يحيى ص 8 — 11 من المخطوط في الملحق الأول : الرسالة رقم 5).

(36) في الأصل : وهز.

(37) ربما كناية عن اتساع نفوذ ابن هود.

(38) هل هي هدنة مع أركون، أم بين أبي زيد وابن هود فكانت من عوامل «الظنة» بصاحب بلنسية ؟

(39) أي بين أركون شمالا وابن هود جنوبا.

(40) كذا في الأصل، ولعل الأصح (الصقع).

الرسالة السابعة عشرة بعد المائة :

رسالة يحيى المعتصم
مدافعا عن أحقيته بالخلافة

تقديم :

بعد خلع الخليفة العادل وقتله أصبح هناك خليفتان : ادريس المأمون الذي بويع باشبيلية في 2 شوال 624، ويحيى المعتصم ابن الناصر الذي بويع بمراكش في أواخر شوال من نفس السنة، وحاول المعتصم ــ منعاً لتزايد أنصار المأمون ــ أن يستميل الناس إليه مدافعا عن أحقيته بالخلافة ومدّعيا نيّة أخيه المستنصر من قبل في إسناد الأمر له، وكتب بذلك رسالة من انشاء كاتبه أبي الحسن السرقسطي[1] أوردها ابن عذاري على الصفحات من 262 إلى 264[2]، ووضعها ضمن أحداث سنة 625، وهذا نص الرسالة «وذلك بعد الصدر»[3] :

نـص الرسالـة :

...... والذي نوصيكم[4] به تقوى الله تعالى والاستعانةُ به والتوكل عليه، وأن تعلموا أن أمور الرعية لابدّ لها من حافظ يحفظها، ويراعي حق الله فيها، ويجهد[5] في صلاح أحوالها وتلافيها، فإنها لا تصلح إلا بسلطان يَزَع، وعاملٍ[6] يسوس ويَردَع، بهذا يكون قِوامُ العالم، وينتصف المظلوم من الظالم، وبه تكون الدّعة[7] والأمان، وقد جاء في الشرع : يَزَع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ولما كانت هذه القلادة لم تزل من لدن سيدنا الإمام[8] تنتقل من يد إمام[9] إلى نجله، وكان

ملاحظة : بالنسبة للأرقام اللاحقة بالرمز (خ ح) انظر ملاحظة بهامش الرسالة التاسعة.

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) من طبعة تطوان وسنرمز لها بحرف (ط).

(3) هذا حسب عبارة صاحب البيان.

(4) في خ ح / 1 : يوصيكم.

(5) في خ ح / 2 : ويحمد.

(6) في خ ح / 4 : وعمل.

(7) في خ ح / 4 و6 : الدعوة.

(8) ربما يقصد عبد المومن الذي سنّ وراثة الحكم الموحدي.

(9) في خ ح / 5 وط : الامام.

الأمر من[10] مستحقيه وفي أهله، إلى أن بلغ الأمر إلى المستنصر بالله أمير المومنين، والناس في أمنة وفي تهدين ؛ ولو أجّله أجلُه وساعده[11] الأمل لألقَى هذه[12] القلادة إلينا، وتلا قول سَمِيِّه[13] : «أنا يوسفُ وهذا أخي قد مَنَّ الله علينا»[14] ؛ إلا أن الأمور اختلّت اختلالا، واكتست من بعد قوة وصحةٍ وهناً واعتلالا، واسترسَل الشرُّ وأهله استرسالا ؛ وفي أثناء ذلك كادت[15] قواعد هذا الأمر المهدي ـــ لولا تدارك الله ـــ أن تتزعزع[16]، ومبانيه الوثيقة أن تَتَضعضع ؛ فتلافاه الأشياخ والجلة[17] بما شدّ أركانه وأسّس بنيانه، وأعطاه بحمد الله من كيد كائده أمانَه[18]، واقتضى نظرهم ـــ بعد استخارة الله تعالى لهذا الأمر المؤسس على التقوى بنيانه ؛ وبعد شحذ[19] العزائم، والطيران إلى الحق بعمل خفّاق الخوافي والقوادم ـــ تَحْميلَنا هذه الأمانة العظمى، والقلادَة الجسمى ؛ **فأعْطَوْنا صفقة أيديهم**، وعقدوا بيعتنا بنيّاتهم الصادقة وأيمانهم، حرصاً منهم على لَمِّ شعث المسلمين، وعناية بأمور الدنيا والدين، وردعاً لمن ظنَّ أن الفتنة أمكنت وصولا، وأن الاعتداء أَوْجدَ[20] إلى الاعتداء سبيلا[21] ؛ وما علم أن أمر الله محروس الجانب، (محروب المجانب)[22]، وأن الشيطان مقذوف من سماء سعادة هذه الدعوة بشهاب ثاقب، وأن الدّول تَذْوَى[23] وتبلّ، ويعتريها ما يعتري الأبدانَ ثم تستقلّ ؛ ونحن قد أخذنا راية هذا الأمر باليمين، وتلقيناها تلقّي الحازمين.

فكونوا من ذلك على بيّنة ويقين واعلموا أن الله قد جاءكم بمن يسهر في مصالحكم وأنتم نائمون،

---

(10) كلمة (من) ناقصة في خ ح / 4.

(11) في خ ح / 6 : وملكوه.

(12) في خ ح / 6 : بهذه.

(13) في خ ح / 5 وط : نبيه.

(14) الآية 89 من سورة يوسف، والآية عن النبي يوسف، فاسمه يتطابق معه اسم يوسف الثاني المستنصر بالله.

(15) في خ ح / 4 : كانت.

(16) في (ط) : ان يتزعزع.

(17) من المبايعين ليحيى المعتصم القاضي أبو الحسن بن القطان، وكان رئيس «الطلبة» في عهده (التكملة ترجمة 1920، كوديرا، والذيل : قسم الغرباء خ ع / ص 13) وكذلك ابن الشهيد أبو زيد بن أبي محمد بن أبي حفص شيخ هنتاتة ويوسف بن علي شيخ تينملل (العبر 528/6).

(18) في خ ح / 5 و6 وط : أمانة.

(19) في خ ح / 1 و2 : سحد، وفي خ ح / 3 : شحد.

(20) في خ ح / 4 : وجد.

(21) الإشارة هنا إلى بيعة المامون بالخلافة بالأندلس وتسرّبها تدريجيا إلى المغرب، وكان من دعاته الأساسيين : ابن يوجان وأمير الخلط هلال بن مقدم وشيخ هسكورة عمرو بن وقاريط (الروض المعطار ص 175 مادة جنجالة، والعبر 528/6 ـــ 529)، ويذكر صاحب البيان دور شيخ الخلط في (ص 260)، كما يشير صاحب الذيل إلى داعيين آخرين هما أبو حفص عمر ابن أبي حفص بن عبد المومن وأبو علي عمر بن تافراجين، غير أن أنصار المعتصم قتلوهما (قسم الغرباء ص 30 من نسخة الخزانة العامة).

(22) إضافة من خ ح / 3 و4 و6.

(23) في خ ح / 1 و3 : تذوي.

((ويقوم بما يعود بالأصلح[24] عليكم وأنتم قاعدون، ويقضي لقاصيكم ودانيكم[25] بالدّعة[26] والهدون))[27] ؛ فاستقبلوا[28] زمنا جديدا، وتفيَّأوا[28] ظلّ الدَّعة مديدا، واعلموا أننا نستقبل المسلمين بنظر يزيدنا محبّةً ويعرِّفنا ما لنا من الرفق والحنوّ عليهم، فإنّ مقصودنا في الأمة جميل، ورأيَنا في تأليف موجبات الاستيصال أصيل ؛ فنحن نصفح عن الجاني[29]، ونحُل قيد العاني، ونصرف عن الوعيد إلى الوعد، ونوثر العفوَ على المُؤاخذة والقربَ على البعد ؛ فكونوا على صحة من أن الأحقاد، قد ذهبت رسومها وزالت من الأحياد[30]، وأن الناس معنا في زمنٍ شبَّ واقتَبل، وأن الأمل بفضل الله مدرك الأمل.

فادخلوا ــ وفّقكم الله ــ فيما دخل فيه الجمهور، وابعثوا بيعتكم بعد أخذها وثيقة الأساس، مُحكَمَةَ الأمراس، في طاعة سعد ويمن إلى حضرة الموحدين، والله المنجد المعين ؛ وقد عرّفناكم بما انعقد علينا من الموحدين ومن إليهم من المسلمين فتيَمَّنوا، ودَعوْنا الله في الخِيرَة والإنجاد والعَون فأمِّنوا ؛ اللهم إنك قلدتنا أمور المسلمين، وارتضيتنا[31] للنظر في مصالح الدين، واخترتنا للملة الحنيفية خُدماء، وأسبغتَ علينا النَّعْماء، فاجعلنا لأنعُمك من الشاكرين، ولآلائك[32] من الذاكرين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[33].

---

(24) في (ط) : الأصلح.

(25) في خ ح / 5 و6 وط : لماضيكم ودنياكم.

(26) في خ ح / 1 و2 و4 : بالدعوة.

(27) ما بين هلالين ناقص في خ ح / 6.

(28) الكلمة خاطئة في خ ح / 6.

(29) لعله يقصد المامون.

(30) في خ ح / 4 : الأجياد، وفي خ ح / 6 : الأجناد.

(31) في خ ح / 1 و2 و3 : وارتضينا.

(32) في خ ح / 4 : وآلاتك.

(33) ان التسلسل الزمني للرسائل يفرض أن يتبع هذه الرسالة رسالتان عن المامون بتقديم قاضيين (مخطوط يحيى 65 ــ 66 و66 ــ 67) غير أن نشر رسائل هذا المخطوط كاملة في ملحق لرسائل هذا البحث لا يسمح ببتر الرسالتين منه، فلتُنظرا هناك.

الرسالة الثامنة عشرة بعد المائة :

رسالة الخليفة المأمون
حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تقديم :

عادة ما يوجه الخليفة الجديد رسالة إلى الأمة يذكر فيها بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجّه مثل هذه الرسالة أيضا في أوقات الشدّة أحيانا، وهكذا وبعد بيعة أبي العلاء المأمون بالأندلس وجّه رسالة بهذا الشأن وردت بعض فصولها ضمن ترجمته بكتاب «الإحاطة» لابن الخطيب المجلد الأول (ص 413 ـــ 414) تحقيق محمد عنان، وهذا نص هذه الفصول :

نـص الـرسـالـة :

......[1] الحمدُ لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين، وأمَرَ بالعدل والإحسان إرشاداً إلى الحق المبين ؛ والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم، المبعوث بالشريعة التي طهرت الجيوب من الأدران، واستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان، طوراً بالشدة وتارة باللين، القائلِ ولا عدول عن قوله : ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعِرضه، تنبيهاً على ترك الشك لليقين ؛ وعلى آله أعلام الإسلام باليمين، الذين مكّنهم الله في الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفاءا بالواجب لذلك التمكين......

...... وإذا كنا نوفّي الأمة تمهيد دنياها، ونعنى[2] بحماية أقصاها وأدناها، فالدِّين أهمّ وأولى، والتهمّمُ بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها أحق أن يُقدّم وأحرى ؛ وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع وندع، ونتّبع السُّنن المشروعة ونذر البدع ؛ ولنا أن لا ندّخر عنها نصيحة، ولا نغبنها أداة من الأدوات مريحة، ولنا عليها أن تطيع وتسمع...[3].

...... وأول ما يتناول به الأمر[4] النافذ، الصلاةُ لأوقاتها، والأداءُ لها على أكمل صفاتها

---

(1) ورد في الإحاطة قبل هذه الرسالة ما يلي : «خاطب المامون لأول أمره، وأخذ الناس لبيعته من بأقطار الأندلس صادعا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحض على الصلوات وايتاء الزكاة، وإيتاء الصدقات، والنهي عن شرب الخمر والمسكرات، والتحريض على الرعاية، فمن كتابه : «الحمد لله الذي....» غير أن صاحب القرطاس يجعل تاريخ هذه العملية سنة 628 (ص 253).

(2) في ط الإحاطة : وتعنى.

(3) حالة نادرة من الحالات التي يذكر فيها الخليفة ما يلتزم به نحو الرعية.

(4) في ط الإحاطة : يتناول به النافد.

وشهودُها إطهاراً[5] لشعائر الايمان في جماعتها، فقد قال عليه الصلاة والسلم : «أَحَبُّ الأعمالِ إلى (الله)[6] الصلاة لأوقاتها»، وقال : «أول ما يُنظر فيه من أعمال العبدِ الصلاة»، وقال عمر : «إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمَن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع»، وقال : «لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة»، وهي الركن الأعظم من أركان الإيمان، والسور الأوثق لأعمال الإنسان، والمواظبة على حضورها في المساجد، وإيثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد، أمرٌ لا يضيعه المفلحون، ولا يحافظ عليه إلا المؤمنون ؛ قال ابن مسعود — رضي الله عنه — : لقد رأينا وما يتخلف عنها إلا المنافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتَى يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، وشهودُ الصبح وعشاء الآخرة شاهد بمحضر الإيمان[7] ؛ ولقد جاء : «حضورُ الصبح في جماعة يَعدِل قيام ليلة» ؛ وحسبُكم بهذا الرجحان، ومن الواجب أن يُعتنَى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين، ويُؤخَذَ[8] بها في جميع الأمصار الصغيرُ والكبير من المسلمين، ونيط في إلزامها قوله عليه الصلاة والسلام : «مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين»......[9].

---

(5) كذا في ط الإحاطة (إطهارا)، ويبدو أن الأصوب : (اظهارا).

(6) ناقصة في ط الإحاطة.

(7) في ط الإحاطة : الإيماء.

(8) كذا في الأصل المعتمد في ط الإحاطة، أما المحقق فكتبها : (وياخذ).

(9) ختم صاحب الإحاطة الرسالة بقوله : «وهي طويلة في معاني متعددة».

الرسالة التاسعة عشرة بعد المائة :

رسالة الخليفة المأمون
حول إلغاء «رسوم» المهدي

تقديم :

بعد استقرار المأمون بمراكش إثر هزيمة يحيى المعتصم بحث في مسألة الناكثين لبيعته وخاصة من هنتاتة وأهل تينملّل، فتحيَّل في استدعائهم إلى مراكش وقتل أعيانهم ثم تتبع أنصارهم، وأراد أن يحطّم سلطة الأشياخ الموحدين معنويا أيضا بهدم الشعارات التي وضعها المهدي لأسس الدولة الموحدية، فأمر على الخصوص بقطع اسم المهدي من الخطبة والعملة متنكرا لعصمته ومهدويته، ووجّه بذلك رسالة **من إنشائه**[1] إلى الجهات التابعة لسلطته. وقد وردت هذه الرسالة في الحلل الموشية (164— 165) وفي البيان المغرب ج 3 (267 — 268) ضمن أحداث 626، وهذا نص الرسالة مقارنا بين المصدرين.

نص الرسالة :

من عبد الله إدريس أمير المومنين ابن أمير المومنين (ابن أمير المومنين)[2]، إلى الطلبة (والأشراف)[3] والأعيان والكافة ومن معهم من المومنين والمسلمين[4]، أوزعهم الله شكر أنعمه[5] الجسام، ولا أعدمهم[6] طلاقة أوجُه الأيام الوسام.

وإنا[7] كتبناه إليكم ـــ كتب الله لكم[8] عملاً منقاداً، وسعداً وقّاداً وخاطراً سليماً، لايزال

ملاحظة : تمت المقارنة في هذا النص بين الحلل الموشية (ط 1978) ونسخ البيان خ ح / ونسخة (ق) بالخزانة العامة وط تطوان، أما الحلل من نشر علوش فهي كثيرة الأخطاء.

(1) حسب ما ذكره صاحبا البيان والحلل.

(2) ما بين هلالين ناقص في خ ح / 4 وفي الحلل.

(3) كلمة ناقصة في خ ح / 4، وفي الحلل، وهي كلمة جديدة في الرسائل الموحدية عوّضت كلمتي (الموحدين والأشياخ) أي الطبقة التي يسعى المامون لتحطيمها.

(4) في الحلل : ومن المسلمين.

(5) في الحلل : نعمه.

(6) في خ ح / 4 : ولا أعدم لهم.

(7) في الحلل : فانا.

(8) في خ ح / 4 و5 : إليكم.

على الطاعة مُقيماً ــ من (حضرة)[9] مراكش ــ كلأها الله (تعالى)[10] ــ، وللحق لسان ساطع[11]، وحسام قاطع[12]، وقضاء لا يُردّ، وباب لا يُسدّ، وظِلال على الآفاق، (تمحو النفاق.

وبعد)[13]، فالذي[14] نوصيكم به تقوى الله (العظيم)[15] والاستعانة (به)[16] والتوكل عليه، ولْتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق، وأن لا مهدي إلا عيسى بن مريم (روح الله)[17]، وما سمي مهديا إلا (لأنه)[18] تكلم في المهد[19] ؛ فتلك[20] بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على (هذه)[21] القلادة التي تقلدناها، وقد أزلنا لفظ[22] العصمة عمن لا تثبت (له)[23] عصمة، فلذلك[24] أزلنا عنه رسمه، فيُمحي ويُسقط ولا يثبت[25] ؛ وقد كان سيدنا المنصور (رضي الله عنه)[26] همّ أن يصدع بما به الآن صَدعنا، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا[27]، فلم يساعده لذلك أمله، ولا أجّله إليه أجلُه[28]، فقدم على ربه بصدق نيّة، وخالصِ طوية[29] ؛ وإذا كانت العصمة لم تثبت (عند العلماء)[30] للصحابة[31]، فما الظنّ بمن لم يَدرِ بأيِّ يدٍ يأخذ كتابه ؛ أُفٍّ لهم[32]، قد ضلّوا

(9) إضافة من الحلل.

(10) إضافة من نسخ البيان.

(11) في الحلل : قاطع.

(12) في الحلل : وحكم ساطع.

(13) في نسخ البيان : لمحو النفاق بعد.

(14) في البيان : والذي.

(15) إضافة من الحلل.

(16) ناقصة في نسخ خ ح وق (خ ع).

(17) إضافة من الحلل.

(18) في الحلل وفي خ ح / 2 : أنه.

(19) في خ ح / 5 و6 : تكلم في المهدي.

(20) في نسخ البيان : وتلك.

(21) إضافة من الحلل.

(22) في خ ح / 3 و6 : لفظة، وفي الحلل : وقد اسقطنا اسم من لم تثبت له عصمة.

(23) ناقصة في خ ح / 4.

(24) في خ ح / 5 : بذلك، وفي خ ح / 6 : يدلك.

(25) في نسخ البيان : فتسقط وتبت وتمحى ولا تثبت.

(26) ما بين هلالين ناقص في الحلل.

(27) في خ ح / 6 : رفعنا، وفي خ ح / 1 : كلمة (الخرق) ناقصة، وفي الحلل هكذا : «وان يرفع عن الأمة الحزن الذي رفعنا».

(28) في الحلل : ولا أجّله لزواله إلا أجله.

(29) في الحلل : بنية صدق خالص الطوية.

(30) الكلمتان ناقصتان في الحلل.

(31) في خ ح / 6 : الضخامة.

(32) في الحلل : بل هم.

وأضَلُّوا، ولذلك وَلُّوا وذَلُّوا[33]، ما تكون لهم الحُجَّة على تلك المَحجة[34] ؛ اللّهم اشهد، (اللهم اشهد)[35] أنا (قد)[36] تَبرأْنا منهم تبرؤ[37] أهل الجنة من أهل النار، ونعوذ بك (يا جبّار)[38] من فعلهم[39] الرثيث، وأمرهم الخبيث، إنهم[40] في المعتقد (من الكفار)[41]، وإنا (نقول)[42] فيهم (كما قال نبيك[43] عليه السلام)[44] : «ربِّ لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيّارا»[45]، والسلام (على من اتبع الهدى واستقام)[46].

---

(33) في الحلل : وتلفوا في ذلك وزلوا.

(34) في الحلل : الحاجة.

(35) غير مكررة في الحلل.

(36) في الحلل : إنا تبرأنا.

(37) في الحلل : براءة.

(38) ناقصة في الحلل.

(39) في الحلل : من أمرهم الرثيث وفعلهم الخبيث.

(40) في الحلل : لأنهم.

(41) في الحلل : من أهل النار.

(42) ساقطة في نسخ البيان.

(43) في خ ح / 4 و5 وط : نبيكم.

(44) في الحلل (أصلا) : قال نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.

(45) من الآية 26 من سورة نوح.

(46) ما بين هلالين ناقص في الحلل.

الرسالة العشرون بعد المائة :

رسالة استنجاد من أهل مكناسة الزيتون إلى الخليفة المأمون

تقديم :

تكاثرت المصائب على المأمون سنة 629، فبعد أن شعر بنوع من الاستقرار من جانب يحيى المعتصم الذي التجأ إلى أقصى الجنوب (درعة وسجلماسة) وصلته الأنباء عن ثورة أخيه بسبتة، وكذلك عيث وحصار قبائل فازاز وزرهون لمكناسة حيث كتب أديبها ابن عبدون[1] رسالة عن سكان المدينة إلى المأمون بمراكش طالبين النجدة، فتحرّك بجيوشه، مما جعل هذه القبائل تفكّ الحصار عن المدينة فينشغل بعد ذلك بأمر سبتة، وقد أورد ابن عذاري فصلا من هذه الرسالة في الصفحة 280 (ط تطوان) :

نـص الرسالـة :

......[2] فالعبيد ــ أيدكم الله ــ هالكون لا محالة، وحياتهم في حيّز[3] الاستحالة، إلا أن يتدارك الله تعالى بلطفه، ويتلافى الجميع بجزيل عطفه ؛ ومعلوم أن هذا القطر ــ حماه الله ــ قُفْلُ الغرب[4]، والبلاد معتمدة عليه اعتماد الحسام على الضّرب، فإغاثتُه واجبة، وحمايته حاجبة، فالعَجَلَ العَجَلَ، قبل بلوغ الأجل، والغياث، قبل تمكن الفساد والإعباث...

....[5] إمامَ الهدى سَمعاً لدعوة شاكٍ ثَــوى بين هــلاكٍ رَهين هــلاكِ
وأوشكَ أن يغتال مكنـاسةَ الـرَّدى وتبكـي على مـا تحتويـه بواكِـي[6]

ملاحظة : عن نسخ الخزانة الحسنية (خ ح) انظر الملاحظة في هامش الرسالة التاسعة.

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) قدم ابن عذاري لهذه الرسالة بقوله : «وفي هذه السنة المؤرخة (629) حاصر بعض القبائل مكناسة الزيتون ؛ فعرّف بذلك أهله (كذا) أبا العلى المأمون برسالة من انشاء ابن عبدون ... فصل منها : فالعبيد أيدكم الله ....».

(3) في خ ح / 6 : خير.

(4) في خ ح / 2 و4 : المغرب.

(5) علّق صاحب البيان بقوله هنا : «وله شعر في المعنى طويل فمنه : إمام الهدى ....».

(6) في خ ح / 4 : بواك، وفي خ ح / 6 : براك.

أحاطت بها الأعداء من كل جانب   فقد قعدتْ منها بكل شراكِ
وقد زارها من أهل زرهون[7] هَوْنها   وَبَثُّوا لها التطليق بعد ملاكِ
وأبناءُ[8] فازاز لها مستفزّة   فها هي تشكو كل أروعِ شاكِ

...... رفع هذه[9] الشكوى إلى المقام[10] الإمامي الأعلى ـــ أدام الله أيامه، ونصر[11] ألويته وأعلامه عبيدُه المستجيرون بعدلِهِ : أهلُ مكناسة تَلافى الله برحمته تَلافَها[12] ؛ وتدارك بلطفه قُطّانَها والآفَها، مستصرخين جلالَه، مسترْقِبين[13] إقباله ؛ فالعبيدُ في حُكم الفَوَات، وعدد الأموات ؛ وعدلُ المَقام الأعلى كفيلٌ بتدارك أرماقهم، وحَلِّهم من وثاقهم ؛ كُتب في شهر كذا من عام تسعة وعشرين وستمائة[14].

---

(7) في خ ح / 6 : زرهونة.
(8) في خ ح / 6 : وأنباء.
(9) في خ ح / 3 و6 : هذا.
(10) في ط. تطوان : المكان.
(11) في خ ح / 6 : وأنصر.
(12) في خ ح / 2 : ... مكناسة تلافاها الله برحمته وتدارك .... وفي خ ح / 4 : ... تلافاها الله وتدارك ....
(13) في خ ح / 3 و4 : ومترقبين، وفي خ ح / 5 : ومرتقبين.
(14) في خ ح / 4 : وتسعمائة.

الرسالة الواحدة والعشرون بعد المائة :

رسالة بيعة من بعض القبائل
للخليفة الرشيد

تقديم :

بعد عودة المأمون من حصار أخيه المتمرد بسبتة ونجدته لأهل مكناسة من ضغط بعض القبائل عليها، سمع بدخول المعتصم إلى مراكش ففك الحصار عن سبتة وقصد إلى مراكش، لكنه توفي عند نهر أم الربيع في آخر ذي الحجة سنة 629، فبويع ابنه أبو محمد عبد الواحد (الرشيد) البيعة الخاصة، وتمكن من كسب المعركة ضد المعتصم، فدخل مراكش مدعّما بمرتزقته من «الروم» وحلفائه من عرب الخلط، ثم توافدت عليه بيعات القبائل، ومنها نص البيعة[1] التي أوردها صاحب البيان المغرب (287 ــ 288) مؤرخة بشهر محرم سنة 630 (مُقارَناً بين نسخ خ ح وط. تطوان).

نص الرسالة :

الحمدُ لله الذي شيّد بالامامة[2] أركان الإسلام، وحفظ بها دين محمد عليه السلام، وجعل طاعة من استحقّها وأدّى حقها من فروض الأعيان، ونظم بتقليد بيعة من اختاره لخلافته في أرضه، وارتضاه لإقامة سُنته وفرضه، عقودَ الاعتقاد، وتمّم به شروط الإيمان ؛ والصلاةُ على سيدنا محمد رسوله المبعوث لخير أمة في خير زمان، وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان ؛ والرضى عن الخلفاء الراشدين الذين كانوا يقضون بالحق وبه يعدلون في الإسرار والإعلان[3]، اللهم ارضَ عن خليفتكَ في بَراياك، الكفيلِ عدلُه بإقامة دينك القيّم[4] ورعاية رعاياك[5]، الإمام المؤيّد، المبارَك الأسعَد، أمير المومنين أبو[6] محمد عبد الواحد بن سيدنا الخليفة الامام المأمون أمير المومنين أبي العلى بن الخلفاء الراشدين ؛ اللهم كما انتخبتَه[7] من خَير نِصاب، وأعدتَ به الدولة المأمونية[8] إلى

ملاحظة : عن نسخ (خ ح) انظر الملاحظة في هامش الرسالة التاسعة.

(1) نص البيعة مجهول المؤلف والمكتوب عنهم، انظر الهامش 17 بعد.

(2) في خ ح / 4 : بالإقامة.

(3) يلاحظ غياب اسم المهدي استمرارا لسياسة المأمون.

(4) في خ ح / 4 : المقيم.

(5) في مختلف النسخ وط تطوان : رعياك، ويبدو أن هناك ألفا محذوفة حسب الخط المغربي.

(6) كذا في أغلب النسخ، وفي خ ح / 5 وط تطوان : أبي.

(7) في خ ح / 1 و2 و5 وط تطوان : انتبته.

(8) في خ ح / 1 و2 و5 وط تطوان : المأمونة.

عنفوان الشباب، وجمعتَ بعدله ضروب الأشتات كما جمعتَ بفضله جميع الأسباب، وحسمتَ بحسامه مَواد الشِّرك والارتياب ؛ اللهم اجعلْ كلمته[9] العليا، وامنحْه من قِسَم السعادة والنِّعم المستزادة ما يجمع له بين سعادتي الآخرة والدنيا، إنه كفيل بكل خير جميل.

وبعدُ، فهذا ما أجمع عليه الكافة من بني فلان، خصوصهم وعمومهم من عقد بيعتهم الموطدة الأركان، «المؤسَّس بنيانها على تقوى من الله ورضوان»، لسيدنا الخليفة (الامام)[10] أمير المومنين ابن الخلفاء الراشدين ــ أعلى الله كعبه ونصر حزبه ــ أبرموا عقدها، والتزموا عهدها[11]، وقلّدوا أعناقَهم أمانتها، وتكفّلوا حياطتَها وصيّانتَها[12]، واعتصموا بمتن حبلها، واهتدوا[13] بيمن سبلها، وأوجبوا بها على أنفسهم طاعتَه، واعتقدوا بعقدها موالاتَه ومشايعتَه، وفاءوا إلى فيئته المباركة، والتزموا مواصلةَ مَن واصله ومُتاركةَ مَن تارَكه، سروراً بسعد أيامه، وشكرا لجزيل إحسانه[14] وإنعامه، وامتثالاً لماضي أوامره ولحُكم أحكامه، طائعين غير مكرَهين، بارعين غير نازعين بضمائرَ خالصة، وعزائمَ ماضيةٍ غير ناكصة، يوالون مَن والاه، ويعادون مَن عاداه، ويوادّون من وَادّه[15]، وفاءً بعهده وميثاقه، وابتغاءً لمرضاته ووفاقه، مبايعةً موثّقة الإحكام سَنِيَّةَ الأحكام، أعطوْا عليها صفقةَ أيمانهم وأكيدَ أَلِيّاتهم، واعتقدوا الوفاء بها والتّمسك بسببها بصفاء من سرائرهم، وخلوصٍ من نياتهم وضمائرهم، وأشهدوا الله تعالى وملائكتَه على أنفسهم بذلك وهم بحدوده عالمون، «ومن يتعدَّ حدودَ الله فأولائك هم الظّالمون»[16]، قيّدوا بذلك شهاداتهم، في شهر محرم سنة ثلاثين وستما(ئـ)ـة[17].

---

(9) في خ ح / 3 و6 : فاجعل اللهم كلمته، وفي خ ح /2 : اللهم كلمته...

(10) ناقصة في خ ح / 2 و4.

(11) في خ ح / 1 و2 و3 و4 و6 : مواعدها.

(12) في ط تطوان : صيانتها (بدون واو).

(13) في خ ح / 2 : اهتنوا.

(14) في (ط) تطوان : احسامه.

(15) في خ ح / 2 و4 و5 وط : من وادّاه.

(16) من الآية 229 من سورة البقرة.

(17) قارن أواخر هذه الرسالة مع أواخر الرسالة رقم 125.

الرسالة الثانية والعشرون بعد المائة :

ظهير توقير عن الخليفة الرشيد

تقديم :

هذا الظهير منحه الخليفة الرشيد للشيخ أبي بكر ابن المشرف أبي الحسن ابن غالب يجدد فيه راتبه «ومواساته» وهو مؤرخ بجمادى الآخرة سنة 637، ورد في كتاب «زواهر الفكر وجواهر الفقر» لابن المرابط المرادي، مخطوط الاسكوريال ضمن مجموع رقم 520، المصور بالخزانة العامة، على شريط رقم 1114، الورقة 16، وهذا نصه[1] :

نص الظهير :

هذا ظهير[2] كريم أمر به أمير المومنين ابن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين، أيدهم الله تعالى بنصره وأمدّهم بمعونته، ويسّره للشيخ القائد الأكرم **أبي بكر** بن الشيخ المشرف أبي الحسن **بن غالب**[3] أدام الله كرامتهم بتقواه — **يُحمَل به من (الكرامة)**[4] على أوضح سبيل، ويوفّى **من المبرّة والرعاية** كل حظ جزيل وقصد جميل، ويُرتَّب له أربعون دينارا[5] في كل شهر مع مُدَّيْن من القمح وأربعةِ أمداد من الشعير (...)[6] مائتي دينار[5] اثنين في كل سنة ؛ وكل ذلك مطرَّد له حيثما حلّ من بلاد الموحدين — أعزهم الله تعالى — يُيَاسَى[7] فيه من غير توقف،

---

(1) لم يذكر كاتب الظهير، ومن المعلوم أن من كتبوا عن الرشيد كثيرون (البيان 283)، وكان رئيس الكتاب لديه هو أبو زكرياء يحيى الفازازي. انظر الذيل س 8 / ص 231 (خ ع).

(2) يفهم من صاحب التشوف أن الظهير له معنى الصك وذلك في ترجمة المتوفى سنة 586 حيث منح له «صك بالحمل على البر والرعاية» ص 239 (ن. فور).

(3) هناك من يسمى بأبي الحسن بن غالب : علي بن خلف بن غالب بن مسعود الشلبي المتوفى 568، وهو إمام الصوفية دفين قصر كتامة ومن مؤلفاته كتاب «اليقين» (الذيل س 5/ ص 208 — 212، صلة الصلة ص 176، والتشوف ت 81، وسلوة الأنفاس 2/ 24 ؛ وجذوة الاقتباس 297).

(4) في الأصل : الكراة.

(5) كتبت هكذا : (دينرا) في الحالة الأولى، و(دينر) في الثانية.

(6) كلمة غير واضحة في الأصل.

(7) كذا بالأصل.

ويُتعرَّف الرأي الجميل منه أحسن تُعرّف، إحسانا منه ـــ أعلى الله تعالى[8] أمره وأوزع شكره ـــ بوَّأه ظلّه، وأفرغ عليه سِجلَه ؛ فمن وقف عليه فلْيعمل بمضمّنة، ولا يعدلْ عن واضح سَنَنه ان شاء الله تعالى، وهو المستعان لا رب سواه. كتب في العشر الأول لجمادى[9] الآخرة عام سبعة وثلاثين وستمائة[10].

(8) كتبت هكذا : تعلى.

(9) كتبت في الأصل : لجمدى.

(10) قد يسبق هذه الرسالة زمنيا رسالة تقديم يبدو أنها عن الرشيد واردةٌ في مخطوط يحيى (ص 2 ـــ 3)، وأخرى عنه في تقديم قاض (ص 75 ـــ 76)، انظرهما في الملحق الأول للبحث.

الرسالة الثالثة والعشرون بعد المائة :

ظهير عن الخليفة الرشيد بتوطين
أهل شرق الأندلس برباط الفتح

تقديم :

كانت أحوال الأندلس تزداد سوءا منذ العشرينات بسبب المشاكل الموحدية بالمغرب وتنافس بعض السادة بالأندلس، وظهور الزعامات الأندلسية المتصارعة مع بعضها ممثلة في ابن مردنيش ببلنسية وابن هود بمرسية وابن الأحمر في الجنوب، زيادة على تصاعد القوة الاسبانية، مما أتاح للقشتاليين التحرك جنوبا فاستولوا على قرطبة سنة 636، وللأركويين فاستولوا على الجزائر الشرقية (البليار) وحصون ولاية بلنسية، ثم سقوط بلنسية نفسها سنة 633، وبداية التسابق مع القشتاليين نحو مرسية .... مما أدّى إلى هجرة عدد من أهل شرق الأندلس فانتقل بعضهم نحو بلاد المغرب. وقد أصدر الخليفة الرشيد بتشجيع من ابن خلاص الأندلسي صاحب سبتة ظهيرا يمنح هؤلاء حق الاستيطان برباط الفتح، من انشاء الكاتب البلنسي ابن عميرة[1]، وهذا نص الظهير كما ورد ضمن رسائل ابن عميرة، مخطوط الخزانة العامة (فهرس الكتانية) ك 232، ص 118 ــ 120، مقارنا مع ما ورد في كتاب زواهر الفكر، ميكروفيلم الخزانة العامة (1114) الورقتان 115 ــ 116.

الرموز : ك = مخطوط الخزانة العامة (فهرس الكتانية).
س = مكروفيلم الخزانة العامة (مخطوط الاسكوريال رقم 520).
« » = إضافة أو تصحيح من زواهر الفكر.
( ) = ناقص في زواهر الفكر.

نص الظهير :

ك/118 هذا ظهير كريم أمر به «أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين[2] ــ أيدهم الله بنصره، وأمدّهم بمعونته، ويسّره»[3] للمنتقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومَن جرى من سائر بلاد شرق الأندلس[4] مجراهم، وعَراهم من غِيرِ الأيام

---

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) فهو الرشيد بن المأمون بن المنصور بن يوسف بن عبد المومن.

(3) ما بين « » عُبّر عنه في (ك) بكلمة (فلان).

(4) في (س) : ... بلاد الشرق مجراهم.

س/116 أ ما عَراهم، حين أنهى «ذو الوزارتين الشيخ الأجل، الأثير الأكرم الأعز الأفضل، / أبو علي بن الشيخ الأجل الأكرم أبي جعفر بن خلاص ــ أدام الله تعالى أثرته وكرامته ــ»[3] ما أصابهم من الجلاء، ودهاهم من أمر الأعداء، وسعى لهم سَعْيَ من يقضي (لهم حق الجوار)[5]، ويلتمس لهم مكانا للقرار، ومنزلا لإلقاء عصا التّسْيار، وعند ذلك أذن لهم ــ أعلى الله «تعالى» ــ إذنه، وجَدّد سعده ويمنَه ــ في النّقلة إلى رباط الفتح ــ[6] عمّره الله «تعالى» ــ بقضيضهم[7] وقَضّهم، وأن يتّخذوا مساكنه وأرضه بدلا من مساكنهم وأرضِهم، ويَعمُروا منه بلدا يقبل منهم أولي[8] مَن قَبَل، ويَحملهم ــ ان شاء الله «تعالى» ــ وخَير البلاد مَا حَمَل، فإنه مناخ للتاجر والفلاّح، وملتقى ك/119 للحادي / والمَلاّح، والمَرافقُ من بَرّه وبحره موجودة في فصول السنة[9]، موذنة لقاطنه بالعيشة الهنيّة والحالة الحسنة، ولهم أفضل ما عهده رعايا هذا الأمر العزيز ــ أدامه الله «تعالى» ــ من التوسعة على قويّهم كي يزداد قوة، والرفق بضعيفهم حتى ينال يساراً وثروة، وأن يتوسعوا في الحرث ففي أرضه هنالك[10] متّسع، ويتبسّطوا في كل ما لهم منه معاش وبه مُنتفَع، ويغرسوا الكروم وأنواع الشجر على عاداتهم ببلادهم، ويتأثّلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم وأولاد أولادهم[11]، وكلّ ما يعمرون من الضّياع، ويقتنون من الأصول والرّباع، فله حكم التسويغ على الإطلاق والدوام، (و) لا يُلزَمُون فيه شيئاً من وجوه الإلزام، ولا يُطلَبون بغير حقوق الشرع التي جعلها الله «تعالى» في أموال أهل الإسلام ؛ وأقوالُهم في مقاديرها مُصدَّقة[12]، وأمانيهم كلها لهم وللاّحقين بهم محقّقة.

والولاة والعمال ــ حفظهم الله «تعالى» ــ مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى يُلمّ بجانب من جوانبهم، أو يعوق عن مأرب كبير أو صغير[13] من مآربهم، وأن يُكرَموا غاية الإكرام نُبَهاءَهم[14] وأعيانهم، ويُولُوهم من حسن الجوار ما يُنسيهم أوطَانَهم، حتى تندفع عنهم كل شبهة

---

(5) في (س) : يقضي فيهم بالجوار.

(6) نسب بناء قصبة المهدية وهي نواة رباط الفتح إلى الخليفة عبد المومن سنة 545، وبناء المدينة إلى ابنه يوسف وأتمها المنصور، (المن 446 ــ 449) قارن المعجب 359، وبسط الأرض ص 72 الذي ورد فيه أيضا عن المنصور «وعزم أن يجعلها عوضا من مراكش فعاجلته المنية». ويوصف موقعها مع موقع سلا بالأهمية الفلاحية والتجارية الداخلية والبحرية (الإدريسي 47 ــ 48، ن. بريس، الاستبصار 140 ــ 141).

(7) في (ك) : بقصيصهم.

(8) كذا في (ك) ولعلها : (أولى) بألف مقصورة.

(9) انظر في الفصل الرابع خصوصيات هذه الرسالة، والفقرة (جـ) من الدراسة التاريخية به.

(10) في (ك) : هناك.

(11) هل هذه الأرض تؤخذ من ملاكيها الأصليين أم هي ملك للدولة فتتنازل عنها للاّجئين ؟ يتحدث صاحب المن عن أرض رباط الفتح حول قصبتها بقوله : «حواليه أرض محرث براح ومسرح متملك للمخزن ولأهل سلا ولابن وجاد من اشبيلية فاشتراه الخلفاء من أربابه وخلص لهم» ص 446 ــ 447.

(12) هل يلمح هذا إلى كون الفلاحين عادة غير مصدّقين في تقدير المنتوج فتقوم الدولة بذلك وعلى أساسه تفرض قيمة الخراج ؟

(13) في (س) : عن مأرب صغير أو كبير.

(14) كذا في ك، وفي (س) : نبهائهم.

من شبّه الحَيْف، ويُجمَعَ لهم بين الرعاية لحرمة البلدِيّ والعناية بحق الضيْف، إحساناً منه أعلى الله «تعالى» أمره، وأوزع شكره، ينسحب على جماعتهم وأفذاذِهم، ويحملهم على موجب اعتلاقهم[15]

116 ب بهذا الأمر / العلي — أدامه الله — وملاذِهم.

ك/120 فمن وَقف عليه من الطلبة والعمال[16] — أكرمهم الله «تعالى» — فليعملْ / بحسبه، ولا يعدلْ عن كريم مذهبه، إن شاء الله تعالى، «وهو تعالى المستعان، لا رب سواه ؛ كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وستمائة».

---

(15) في (س) : اعتلامهم.

(16) لاحظ الإشارة سابقا إلى «الولاة والعمال»، والآن «الطلبة والعمال»، فيكون الطلبة هنا هم الولاة (راجع في الفصل الأخير من البحث : الجانب الإداري).

الرسالة الرابعة والعشرون بعد المائة :

رسالة عن أهل سلا
إلى الخليفة الرشيد حول بيعة أهل تلمسان

تقديم :

كانت ظروف الفتنة بين الأمراء الموحدين خلال العشرينات وأوائل الثلاثينات عاملا مساعدا على انفصال الأقاليم البعيدة كالأندلس وافريقية الحفصية، وأيضا منطقة تلمسان تحت قيادة أسرة بني عبد الواد الزناتية وزعيمها يغمراسن، غير أن استقرار الأمور نسبيا للرشيد بالمغرب الأقصى، وأطماع الحفصيين في تلمسان ربما كانا وراء عودة ارتباط تلمسان شكليا بالخليفة الرشيد في السنوات الأخيرة من خلافته ؛ وبعد أن وصلته البيعة بذلك وجّه رسائله مبشرا بها، ومن ذلك رسالة وردت على مدينة سلا فأجاب مسؤولوها برسالة تهنئة إلى الخليفة من انشاء قاضي المدينة ابن عميرة[1] (ربما سنة 639)، وهذا نص الرسالة كما ورد في مخطوط رسائل ابن عميرة بالخزانة العامة : ك 233، (ص 237 — 240).

نص الرسالة :

237 الحضرةُ الامامية العلية المقدسة الطاهرة المباركة السنية السعيدة المنصورة المؤيدة الرشيدية[2]، الكفيلة من إعزاز الإسلام بما هي المَلِيّة به الرفيّة، الماضية عزماتها الشريفة حيث تنبو المشرفية ؛ حضرةُ سيدنا ومولانا الخليفة الامام الرشيد بالله المؤيد بأمر الله، أمير المومنين ابن سيدنا الخليفة الامام المأمون أمير المومنين بن ساداتنا الخلفاء الراشدين، أيد الله أمرها، وأعز نصرها، وأوزع الأمة المحمدية حمدها وشكرها، وأبقى برونق الإشراق والأمان من المحاق شمسها الطالعة وبدرَها ؛ عبيدُها اللائذون بحرمها، العائذون بكرمها، المتقلبون في مِننها العميمة ونعيمِها[3]، الداعون إلى الله سبحانه وتعالى أن يُنهضهم بحقوق طاعتها وواجبات خِدمِها : الطلبة[4] برباط الفتح وسلا[5] والجماعة والكافة من أهلها ؛ سلام الله المبارك الكريم وتحياته، تخصّ المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته.

وبعدَ حمدِ الله العزيز الحكيم، الفتاح العليم، ذي المنّ العميم والفضل العظيم، والصلاةِ على سيدنا

(1) انظر ترجمته في مقدمة البحث.

(2) الرشيدية نسبة إلى الخليفة الرشيد واسمه أبو محمد عبد الواحد.

(3) كذا في الأصل ولعل الأصح : (نِعَمِها) في حالة الجمع.

(4) انظر مدلول الطلبة في الفصل الأخير من الدراسة التاريخية (الجانب الإداري).

(5) انظر الهامش 6 على الرسالة 123 والإحالات المذكورة به بمناسبة الحديث عن رباط الفتح.

محمد رسوله الذي اختص بكرم الخِيَم والشرف الصميم، وتأخّرَ بالزمان وله من شرف المكان رتبةُ التقديم، وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا معه بصدق العزم حتى صار العلوّ لحزبه الكريم، وانقلب العدوّ على هيأة الولي الحميم، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم العليم، بفضيلة العلم وفريضة التعليم، الطالع بدر يقين في ليل الشك البهيم ؛ وعن خلفائه الراشدين الجارين على نهجه القويم، الواسمين جباه أوليائهم بالترغيب ومعاطس أعدائهم بالترغيم، والدّعاء لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام الرشيد
238 أمير المومنين بن / ساداتنا الأيمّة المهتدين بنصرٍ يَعِد بتمليك الأقاليم، وفتحٍ تُلقِي إليه البلاد يد التسليم.

فكتَب العبيد ـــ كَتَب الله للحضرة الامامية العلية الرشيدية سعودا تخرق بالأيام معتادَها، وفتوحا تعطيها البلاد قيادَها ـــ ولازال نصر الله لها يَقُدّ أعداءها، قبل أن تقودَ جيّادها، ويصافحُ لواءَها وبيضُ الصِّفاح ما فارقت أغمادها ـــ من كذا[6] ؛ وبركاتُها تعم البسيطة أنوارُها، وتُكاثِرُ البحارَ المحيطة بِحارُها، وتُملي على الأيام من عاداتها الكرام ما تطيب به أصائلُها وأسحارُها، ويَجري على الاختيار بإسعاد الأقدار ليلُها ونهارُها ؛ فعَصْرُها السعيد هو بيت قصيدة العصور، وحاملُ لواء الشرف المنصور، وبه صحّ في ختم العوادي ونظْم الأيادي قَصْر الممدود ومدُّ المقصور، عُلمت فضيلتُه باليقينيّ من الأدلة، وزاد على مَن قَبْله زيادة البدور على الأهِلّة، والتزم الخاص والعام من الشكر لخصائصه فروضا، وعلموا أن للرزق به والرفق منه بابا مفتوحا وجناحا محفوظا ؛ فالحمد لله الذي حلاّه بحُلَى المفاخر، وأذهب بجوده ذكر البحور الزواخر، وجعله حجة واضحة لمن قال كم ترك الأول للآخر ؛ وعند العبيد من خلوص الطاعة، والتزام ما يجب للنعمة من الشكر لها والإذاعة، ما يجب أن يكون عند أرقّاء تالد المنّة وطارِفِها، الأحِقّاء باستيفاء ما يتعيّن عليهم من وظائفها، ولهم في شكر ما ورثوه منها خَلَفاً عن سلف، وتقلّدها منهم من تقلّدها شرفاً على شرف، مجالٌ كلٌّ منهم جاهَد في قَطعه، ومعه جاذبٌ من زماني عادته وطَبعه ؛ على أنهم لو أنفذوا فيهم الأعمار الفسيحة، واستعاروا له الألسنة الفصيحة لأعجزهم المرام البعيد، والشوط المديد، وقالوا لكل لفظ جمعوه، ومعنًى أشبَعوه : أين تقعان مما أُريد.

ووصل الكتاب الإمامي الكريم ـــ وصل الله لمصدره الأشرف عادة العلوّ، وسعادة الرواح والغدوّ، وباهر السُّوَر والإعجاز، رائقَ الصدور والأعجاز، مُعْطًى من صور الكمال أبهاها، لابساً من حلل الحُسن ما يقصُر عنه كل حُسْنٍ وإن تَناهى[7]، وَحُقَّ لكتاب أودعته الحِكم الجليّة، وأمْلته الأغراض
239 العلية، واشتمل على أوصاف الهِبة الهنيّة، والعارفة السَّنِيّة، والعَقِيلة التي هي حسب الأمنية /، أن يكون الكتاب المطهَّر، والعلم المشهَّر، والطالع الذي أبت آيُ فضله إلا أن تظهَر وتَبهَر ؛ فكان بحرُه العذبَ المَعين، ودُعي العبيد إليه فأجابوا مهطعين، وحضروا لقراءته يوم الجمعة بعد أن قُضيت الصلاة، ووجب عند جوازه الإنصات، فتُلِيَ عليهم نصّه الذي هو أعلى درجات النصوص، ولفظه الذي لا يُنكِر عمومَ فضله أربابُ الخصوص، واستوفَوْا سماعه فصلا فصلا، وفرّعوا على كَلِمِه الزواهر

(6) قد تكون هي سلا حسب عنوان الرسالة في المخطوط وهو «وكتب (أي ابن عميرة) أيضا رحمه الله عن أهل سلا جوابا عن كتاب الحضرة ببيعة تلمسان». ومع ذلك لا يستبعد أن تكون أيضا رباط الفتح إذ كان فيها مركز القيادة العسكرية والإدارية (مركز الوالي).

(7) في الأصل : وإن تناها.

فروعاً من البشائر جعلوه لها أصلا، وعرَفوا منه **إتيان بيعة تلمسان**[8] عفواً بلا تعب، وابتداءً دون طلب[9].

وهي البلدة العتيقة، بل الروضة الأنيقة، جمعت محاسن المدائن منها في مدينة، واشتملت على أكمل عُدَّةٍ ليومي حرب وزينة، **حَشْوُها السلاح والكُراع، وفاخِرُ مَتاعِها لا يضاهيه المتاع**[10] ؛ وقد كانت قديماً نأت بجانب، وأومأت من الانقياد بوعدٍ غير كاذب[11]، وأولياءُ الله بِكظمِها آخذون، وللهُوَيْنَى[12] في أمرها مُنابِذون، وبصائرُ أهلِ هذا الأمر العليّ كسيوفهم (محشودة)[13]، والعهود عليهم بالصبر في مواطن الجلاد مأخوذة ؛ فما أذعنت إلا بعد أن ظُنّ أنها ماءٌ نَضَب، بل ذِماءٌ ذَهَب، وها هِي قد لبَّت قبل النداء، واستحبَّتْ فضيلة الابتداء، وجاءت وهي عَروسٌ عليها حُلِيُّها حسّانة أحسنَ جِلاءَهَا وليُّها ؛ هذا والسيف مقروب، والخَطِّيُّ لم تُهَزَّ له كُعوب، والخيلُ ما أرضاها سيرٌ ولا أنضاها رُكوب ؛ فأيُّ دلالة على سعادة هذه الخلافة، ولِمَ لا تسحَب أيامَها ذيولُ الحسناء المختالة، وكلُّ يوم منها موسم من مواسم الدنيا، وفي كل يد من عطاياها ما لا تسمح به إلا يدُها العليا.

والعبيدُ قد قضَوا للبشرى حق الإصفاق عليها والاتفاق، ورأوا آياتها في أنفسهم وفي الآفاق، وازدادوا بصيرة فيما لهذه الإمامة السعيدة من مزايا أخذتْها بالاستحقاق واستوفتها على الاطلاق ؛ وعَلِموا أن ما وَعدت به من فتوحٍ على الأثَر، وبشائرٍ في ضمان القدَر، سُحبٌ قد أومضت بروقُها، بل شهبٌ حان منها شروقُها، فلَهُم لسماعها إصغاء، طلبٌ لمرضاة الدعوة الهادية وابتغاء، والفوز بها فوز بسعادة الدنيا والآخرة، والحوزُ له لبوسُه من أبهى الملابس الفاخرة ؛ وهم لأيدي الدعاء رافعون، وفي ثَناءِ[14] الرجاء في القَبول طالعون، والدعاءُ للمومن سلاح،/ وبه لأبواب البركات قَدْح وافتتاح : اللهم إنَّ إمامنا هذا أحلم الحلماء، والموصوف كالصحابة الكرماء، بصفات الأشداء ؛ اللهم فاكلأه بعينك التي لا تأخذها سنة ولا نوم، واجعل أيّامه لا يلحقها في الإخلال بمُراده لَوْم، وما يمرّ منها إلا بإسعاده يوم ؛ اللهم أيّده على أعدائك، وأوزعه شكر نعمائك، واحفظه بما حَفَظت به الصَّفوة الكرام من أنبيائك وأوليائك، وانصر مُلكه في أرضك بملائكة سمائك، آمين آمين، والصلاة على سيد المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والسلام الكريم، الطيب المبارك الزاكي العميم، أرِجُ النشر، رائق البِشر، يخصّ المعالم القدْسية السَّنيّة ورحمة الله وبركاته[15]. 240

(8) تلمسان : انظر عنها الإدريسي (56، بريس)، والاستبصار (176 — 177) وخصائص رسائل ابن عميرة في الفصل الرابع من البحث والدراسة التاريخية بهذا الفصل (الفقرة جـ).
وانظر عن دورها في التجارة الخارجية : ديفورك ص 145 — 156 في ...L'Espagne catalane.

(9) راجع في الفصل الرابع الفقرة (ج).

(10) هذا يبين أهمية موقعها التجاري.

(11) الإشارة إلى استقلالها سابقا تحت قيادة يغمراسن : انظر نفس الفصل المذكور.

(12) في الأصل : للهوينا.

(13) كذا في الأصل : (محشودة) وفي هامش المخطوط وبمداد مغاير للأصل : (مشحوذة) ولعل هذا هو الأصح إذ تناسب هذه الكلمة السجع في الجملة اللاحقة.

(14) كذا في الأصل.

(15) حول تاريخ الرسالة وبعض مضامينها راجع خصائصها في الفصل الرابع ضمن رسائل ابن عميرة.

الرسالة الخامسة والعشرون بعد المائة :

تجديد بيعة أهل مكناسة
للخليفة السعيد

تقديم :

شهدت السنوات الثلاثينية الاعلان الرسمي لظهور كيانين سياسيين جديدين بافريقية والمغرب الأوسط، وأصبح الحفصيون بافريقية أكبر منافس للموحدين، فبمجرد موت الرشيد سنة 640 دخلت في بيعتهم سبتة وبعض المدن الشمالية الأخرى وكذلك سجلماسة، بل توغل نفوذهم إلى داخل البلاد الغربية حيث كانت تنتشر قبائل بني مرين، وهكذا وجّهت مكناسة سنة 643 بيعتها إلى أبي زكرياء الحفصي من إنشاء قاضيها أبي المطرف ابن عميرة الذي التحق بعد ذلك بافريقية، فتحرك الخليفة الموحدي السعيد نحو مكناسة فبادر أهلها إلى تجديد بيعتهم له متبرئين من فعل ابن عميرة فعفا عنهم السعيد ؛ غير أن مقتله قرب تلمسان في طريق حركته إلى افريقية سيشجع على ظهور كيان سياسي جديد داخل المغرب الأقصى الشمالي حول فاس وهي الدولة المرينية. توجد بعض فصول البيعة المكناسية المتجددة للسعيد في البيان المغرب (378 ــ 379) طبعة تطوان، وهي من إنشاء الأديب المكناسي ابن عبدون[1].

بعض فصول رسالة البيعة :

الحمدُ لله مقدّر الأمور، ومصرِّفِ المقدور[2]، ومُخرِج عباده من الظلمات[3] إلى النور، عالِم السرائر، ومنوِّر البصائر، ورافِع الدرجات، وواضِع الخطيّات[4]، «وهو الذي يَقبل التوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات»[5]، وسعَ كلَّ عاص حِلمُه، وأحاط بكل شيء عِلمُه، ونفذ في كل موجود حُكمُه، لا رادّ لما به حَكمَ وأَمرَ، ولا ناقضَ لما أُحكَمَ وأَمَرَ، قدَّر الأشياء، وأتقن الإنشاء، وأتى

ملاحظة : عن رموز نسخ (خ ح) انظر ملاحظة على هامش الرسالة التاسعة. أما الرمز (ط) فهو تعبير عن طبعة تطوان.

(1) هو نفسه منشيء الرسالة رقم 120.

(2) في خ ح / 3 و5 و6 : القدور.

(3) في نسخ خ ح : الظلماة وفي ط تطوان : الظلمة.

(4) في ط : الخطئات، وفي خ ح / 6 : الخطيات.

(5) من الآية 25 من سورة الشورى.

ملكَه مَن شاء، وأسّس بالامامة مبانيَ الديانة، ووصل بها للرعايا أسباب الرعاية، وأمدَّ مَن أهّله لوراثة مَقامه الأسمى، واختاره لأمانته العظمى بالإنجاد والإعانة....

...... اللهم ارضَ عن خليفتك في عبادك، المرتسِم في ديوان أوليائك وعبادك، الامامِ المؤيد، والحسام المهنَّد، الأتقى الأطهر[6] الأعلى المعتضدِ بالله أميرِ المومنين أبو[7] الحسن ابن سيدنا الخليفة الامام المأمون أمير المومنين ابن الخلفاء[8] الراشدين، رضًى يبلغه أمله في الدنيا والدين، ويحكم لدولته السعيدة ومدّته الحميدة بالتمهيد والتمكين، ويجعل كلمته الباقية إلى يوم الدين، اللهم كما انتقيتَه من أكرم جرثومة[9]، وسدّدتَه لاقامة حدود الله المرسومة، فضاعِف — اللهم — في قلوب رعاياه حبّه، وأيِّدْ بالملائكة والروح عصابته وحزبه ..... ومَن[10] شُكِرت في الخدمة آثاره، فحقيقٌ أن تُغفر زلاته وتُمحَى آثاره ؛ وإن العبيد (من)[11] أهل مكناسة، قد اجتمعوا ووقفوا موقف الاستكانة والمذلة، وقرعوا سن الندم على ما صدر عنهم من زلة، واستشعروا لباس الإنابة، وبادروا[12] لهذه الدولة المعتصمية[13] بالإجابة، واتفقوا جميعا على (أن)[14] جددوا بيعتهم لسيدنا ومولانا الخليفة الامام المعتضد بالله أمير المومنين أبي الحسن بن الأئمة الراشدين — أعلى الله يده، ونصره وأيده —، حسبما تقدّم مستوعبة الشروط، مستوفاة[15] العقود والربوط، لم يستثنوا فيها فصلا، ولا أغفلوا من عقودها فرعا ولا أصلا، بنفوس مغتبطة، ونيات[16] على الوفاء بما التزموه من عقودها مرتبطة ؛ وأشهدوا الله وملائكته على أنفسهم بذلك وهم به عالمون، «ومَن يتعدَّ حدود الله فأولائك هم الظّالمون»[17]، وقيّدوا عليه شهادتهم[18] في تاسع عشر شهر ذي الحجة[19] من عام ثلاثة وأربعين وستمائة.

---

(6) في خ ح / 3 و4 : الاطهر (بدون نقط).
(7) كذا بالأصل : أبو.
(8) هم المنصور بن يوسف بن عبد المومن.
(9) كذا في نسخ خ ح، وفي ط تطوان : جرثوم.
(10) في خ ح / 1 و2 و3 و4 و5 : وقد.
(11) في خ ح / 5 : وأهل.
(12) في خ ح / 2 و4 : وبادوا.
(13) كذا في نسخ خ ح وط، والأصوب : (المعتضدية) نسبة إلى السعيد المعتضد.
(14) كذا في خ ح / 4 و5 و6، وفي ط : ما.
(15) كذا في خ ح / 4، وفي بقية النسخ : مستوفات.
(16) في خ ح / 2 : ونية... وفي خ ح / 4 : ونية الوفاء.
(17) من الآية 229 من سورة البقرة.
(18) يلاحظ هنا نفس الأسلوب في الرسالة رقم 121.
(19) في خ ح / 1 و3 و5 و6 : ذي حجة.

الرسالة السادسة والعشرون بعد المائة :

رسالة الخليفة المرتضى
إلى البابا اينوصان الرابع[1]

تقديم :

لم يكن الخلفاء الموحدون أول من استعمل المليشيات المسيحية الاسبانية كقوات خاصة، وانما ورثوها عن المرابطين، غير أن أهمية هؤلاء المرتزقة تزايدت مع ضعف الدولة بسبب ضعف عصبيتها والانشقاق داخل هذه العصبية، لكن في نفس الوقت ضعفت امكانية حماية هذه الجماعات وخاصة أسرها من انتقام الثوار والمعارضين كما حدث أثناء انشغال الخليفة المأمون بحصار سبتة سنة 629، حيث دخل منافِسه يحيى المعتصم إلى مراكش وهدم كنيسة النصارى بها وقتل عددا منهم[2]... وإذا كان الخليفة الرشيد استطاع نسبيا إقرار الهدوء وبالتالي حماية جنده النصارى وعائلاتهم[3]، فإن هذه الوضعية يبدو أنها تغيّرت أيام الخليفة السعيد وبداية عهد المرتضى حتى أن البابا إينوصان الرابع هدّد بالتدخل لمنع المسيحيين من خدمة السلطة الموحدية إذا لم تتوفر لهم شروط الأمان[4]، ولعل رسالة المرتضى الجوابية على البابا لها علاقة بالموضوع[5] وهذا نصها :

---

(1) نشرت هذه الرسالة لأول مرة بمجلة هسبيريس 1926 (الفصل الرابع) بنصها العربي مع الترجمة والتعاليق من الصفحة 26 إلى 53 مع صورة لنصها الأصلي الموجود بمكتبة الفاتيكان، قام بهذا العمل كل من تيسيران E. Tesserant ووايت G. Wait، كما نشرها محمد عنان في ملاحق تاريخه عن الموحدين، وأعاد نشرها بالملحق الثقافي للعَلَم عدد 31 يناير 1975. وبعد تردد قررت أن أجعلها ضمن المجموعة الجديدة وحاولت أن أتجنب تكرار التعاليق الواردة في هسبيريس.

(2) القرطاس 253، والبيان 281، و«بيير دو سينيفال» في مقال له حول «الكنيسة المسيحية بمراكش في القرن الثالث عشر بمجلة هسبيريس 1927 الفصل الأول ص 74 — 76 (بالفرنسية).

(3) يظهر ذلك من الشكر الذي قدمه البابا كريكوار الرابع إلى هذا الخليفة (الصفحة 80 من مقال سينيفال، انظر عنان 537/2).

(4) سينيفال ص 81.

(5) اهتم ناشرا الرسالة في هسبيريس بمحاولة التعريف بشخصية الأسقف المشار إليه داخل الرسالة بـ «البشب».

ملاحظة : الكلمات أو أجزاؤها الموضوعة بين هلالين غير واضحة في صورة الرسالة بهسبيريس، وهي معتمدنا الأساسي في هذا النص تجنبا لأخطاء الطبع.

نـص الرسالـة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله وحده[6].

من عبد الله عمر[7] أمير المومنين بن سيدنا الأمير أبي إبراهيم[8] بن أمير المومنين بن أمير المومنين أيدهم الله تعالى بنصره وأمدّهم بمعونته إلى مُطاع ملوك النصرانية، ومعظّم عظماء الأمة الرومية، وقيِّم الملّة المسيحية، ووارثِ رئاستها الدينية البَابَهْ إينُهْ سَانِسْ أشْ[9] أنار الله تعالى بصيرته بتوفيقه وإرشاده، وجعل التقوى التي أمر عز وجل بها عُدّته لمحياه ومعادِه، وأناله مِن سابق الهداية ما يقضي لمدى الغاية بأتمّ انفساحه وامتدادِه، تحية كريمة نراجع بها ما **تقدّم من تحياتكم الواردة علينا**، ويترجِم لكم أرَجُها عمّا تعتمدكم به المَبارُّ لدينا.

أما بعدُ، فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو حمدَ مَن عَلم أنه الرب الواحد الذي دلّت على وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد، ونزّهته العقول الراجحة عن أن يكون له ولد أو يُدَّعَى أنه الوالد، تعالى الملك الرحمن عمّا يقول المُثَلِّث والمشبِّه والجاحد[10]، ونصلي على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم الذي وضحت به للنجاة المذاهبُ والمقاصد، وخُرِقت له بظهور المعجزات الباهرة على يديه العوائد، ونُصِر بالرّعب فألقَى له يدَ الاستسلام كلُّ من كان يناوىء ويعاند، وعلى آله وصحبه الكرام الذين ازدانت بهم المحاضرُ والمشاهد، ووَصلت قِصارَ صوارمهم في مواقف الحروب السواعدُ، وأُنجِزت لهم في استيلاء الإسلام على مشارق الأرض ومغاربها المواعد ؛ ونسأل الله عز وجل رضاه عن الامام المعصوم المهدي المعلوم الذي جدّ به لدين الله تعالى الشباب المُعاوِد، وأهَّلَت بهدايته بعد إقفارها المَعاهد، وباءَ بالخسران المُخاتلُ لأمره والمُكايِد، وعن الخلفاء الراشدين[11] المهتدين الذين تولّى منهم إتمام بدايته الإمامُ الراشدُ فالرّاشد، عَلت بهم لأمر الله تعالى المَراقي والمَصاعد، وعن سيدنا الأمير الطاهر أبي إبراهيم بن سيدنا الخليفة أمير المومنين بن سيدنا الخليفة أمير المومنين

---

(6) (والحمد لله وحده) هي العلامة الخليفية، وهي مكتوبة بخط بارز ومتميّز.

(7) عمر : هو الخليفة المرتضى وكنيته أبو حفص، تولّى الخلافة فيما بين ربيع الأول سنة 646 ومحرم 665.

(8) الأمير أبو إبراهيم اسحاق والد المرتضى ولقبه «الطاهر»، انظر مثلا البيان المغرب 243.

(9) هو البابا إينوصان الرابع، جلس على العرش البابوي في الفترة بين 1243 (640/641) و1254 (651/652) حسب ج. كولتون في «عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة» (هامش الصفحة 205، طبعة دار المعارف).

(10) يبدو أن هذه الصيغة الدعائية للاسلام ضد المسيحية هي التي جعلت البعض يعتقد أو يظن أن البابا دعا الخليفة الموحدي إلى التمسّح، فكان جواب المرتضى هو الدفاع عن الإسلام والحديث عن وحدانية الله، انظر تحليل الرسالة في هسبيريس ص 49، وعنان 537/2 ــ 538 وملاحظاته حول الرسالة في الملحق الثقافي لجريدة «العَلم» عدد 257 بتاريخ 31 يناير 1975، غير أن مثل هذه الصيغة واردة أيضا في رسائل أخرى موجّهة من السلطة الموحدية إلى بعض الجهات النصرانية منها الرسالة رقم 35 (م ج).

(11) أي الخلفاء بعد المهدي مع الدعاء لوالد المرتضى الذي لم يكن خليفة من قبل، ولم يقع الدعاء للمرتضى كما هو حال سائر الرسائل المكتوبة عن الخليفة الحاكم.

الذي طابت منه العناصر والمحاتد، واشتُق من نبعةٍ للخلافة قد أَوْرَقَ نضارةً وغضارة فَتَنُها المائد، وزَهِد في الدنيا الفانية ورَغِبَ في الأخرى الباقية فنِعم الراغب الزاهد[12].

وهذا كتابنا — كَتَب الله تعالى لنا[13] حُظوظاً من رضاه تزكو وتتوفر، واستعملَنا وإياكم بكل ما نتهيّأ به لاحراز الفوز لديه ونتيسّر — من حضرة مراكش[14] — حرسها الله تعالى — ودين الله عزّ وجـ(ـل) عالٍ مَسماه ومَصعده، والتوحيدُ[15] حَالٍ بالظهور جِيدُه ومُقلَّده، والسعيُ مُعمَل في ابتغاء ر(ضاء) الله تعالى موفَّقه ومُسَدَّدُه ؛ والحمد لله رب العَالمين حمداً يتوالى على الألسنة تَكرُّرُه وتردّدُه، ونستدعي به من مَزيد النعماء أفضل ما وعد به تعالى من يشكره ويحمده.

وإلى هذا — يَسَّرَ الله تعالى بتوفيقه إسعادكم، وجعل في طاعته التي تَعَبَّد بها خَلْقَه إصدا(ر)كـ(ـم) وإيرادَكم، — فإنه سبقت منا إليكم **مراجعات عن كُتُبكم الموثَرة الواصلة إلينا**، وأ(رسلنـ)ـا نحوكم من الجواب عنها ما تمّمنا به برّكم ووفيّنا، وعرّفناكم أنا نوجب لمنصبكم الذي أبرّ في ملّتكم على المَناصب[16]، وأقرّ لرتبتكم فيه أهل دينكم[17] بالشفوف على سائر ما لهم من المراتب، فأنتم عندنا لذلكم بالتكرمة الحفيلة ملحوظون، وبالعناية الجميلة محظوظون، نؤكد من أسباب المواصلة لكم ما حقُّه أن يُؤكّد، ونجدّد من عهود الحفاية بكم ما شأنُه أن يُجدَّد، ونشكر لكم ما تَوالَى علينا من حسن إيثاركم لِجانبنا وتردّد.

وفي سالف هذه الأيام انصرف عن حضرة الموحدين — أعزهم الله — البُشْب[18] الذي كان قد وصل بكتابكم إلينا انصرافاً لم يَعْدُه مِنّا فيه بِرٌّ وإكرام، ولم يَغِبْه فيه اعتناءٌ به واهتمامٌ، كما أنه في المدة التي قُضي له فيها لدينا بالمُقام، لم نزل نتعهّده أثناءَها بالإحسان والانعام، وتحمّل كتابَنا

---

(12) كل ما سبق يعتبر صدر الرسالة وهو يتكيف مع مضمونها أوحسب المكتوب إليه، انظر الهامش 18.

(13) عبارة «كتابنا — كتب الله لنا...» صيغتها فريدة في الرسائل الموحدية المعروفة والجديدة ولكن هذا لا يمنع من وجود الدعاء بالتوفيق والهداية في الرسائل المكتوبة إلى الجهات النصرانية : (ملك قشتالة، حكومة بيشة)، ونجد الدعاء بلفظ الكتابة في الرسالة رقم 49 إلى حكومة بيشة : «فكتبنا إليكم كتب الله توفيقكم...».

(14) عن مراكش انظر الهامش 90 على الرسالة رقم 6..

(15) أي المذهب الموحدي والسلطة القائمة على أساسه.

(16) إشارة إلى تبادل رسائل سابقة بين الطرفين الموحدي والبابوي بشأن المرتزقة الاسبان، وربما أيضا بشأن التجار النصارى بالموانىء كسبتة التي دخلت في طاعة الموحدين سنة 647 انظر الفصل الرابع (فقرة جـ) ومقال ب. سينيفال المذكور بالهامش (2) قبل.

(17) ما بعد هذا مكتوب على هامش الرسالة من الأسفل إلى الأعلى بسطور تميل نحو الأسفل إلى أن تنتهي بكلمة واحدة أسفل أول كلمة من الرسالة وهي (من).

(18) هو الأسقف لوبو فرنانديث كان البابا بعثه إلى الخليفة السعيد ويبدو أنه ارسل إلى جهات أخرى من اسبانيا قبل قدومه إلى المغرب سنة 1246 (644) حيث استقر في بداية عهد المرتضى (انظر هسبيريس ص 41 وعنان 537/2 — 538 ومقاله في «العلم الثقافي» المذكور). والظاهر أنه كان مكلفا بشؤون المسيحيين الاسبان وخاصة المرتزقة، فهل أصبح شخصا غير مرغوب فيه مادام المرتضى يوصي البابا بحسن اختيار من يسهر على مصالح النصارى ؟

إليكم تعريفا بما اختارَ من انصرافه، وتوخّياً في ما آثره من ذلك لاسعافه، وما قُصِّر له في حالَيْ مُقامه ورحيله، ولا عُدِل به عن خَفِيّ البِرِّ وحَفِيله، وسَنِيِّ المَنّ وجزيله، ذهابا لتكريم إشارتكم السابقة في حقه، وسلوكاً به من البِرّ على أوضح طُرقه، والله تعالى يرشد في كل الأحوال لأزكى الأعمال لديه، ويُنجد من الأقوال والأفعال على ما يُقَرّب إليه، بمنّه ؛ ومتى سَنح لكم — أسعدكم الله تعالى بتقواه — أن **تُوَجِّهوا لهؤلاء النصارى المستخدمين**[19] **ببلاد الموحدين** — أعزهم الله — **من ترونه برسم ما يُصلحهم في دينهم، ويُجريهم على مُعتاد قوانينهم، فتَخَيَّروه من أهل العقل الراجح** والسَّمت الحسن، **وممن يَسْلك في النزاهة** على واضح السُّنَن، وممن يتميز في الخدمة بالمذهب المُسْتَجاد والقَصد المستحسَ(ـن) ؛ وذلكم هو الذي إذا تعيَّن من قِبلكم مستجمعا للصفا(ت) المذكورة، ومتحلّياً بالخلال المشكورة، حَسَنٌ في كل ما يستخدم الرّ(ب)[20] وتسنّى له بذلك أجزل الخير وأوفره، وأنتم تَفُون بهذا المقصود في ما تعملون من اختياركم متى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم لأحد، وتعتمدون فيه أجمل معتمَد، وشكرنا لكم على كل ما تذهبون إليه في جانبنا من تمشية الأغراض والمذاهب، وتحتفلون فيه من المساعدة الصادرة منكم عن كَرم الضرائب، وتبادِرون إلى بذله من المُكارمة المناسبة لما لكم في نحلتكم من إنافة المناصب، مما نكافىء به صدق مصادقتكم، ونتوخّى منه ما لا يعدل عن موافقتكم جزاءً لبرّكم بأمثاله، واعتناءً بما يقضي لولائكم بدوامه واتصاله، بحول الله وقوته، وهو سبحانه ييسّرنا لنيل الحسنى والزيادة من فضله، ويأخذ بنا في ديننا ودنيانا على أقوم سبله، ويجعلنا وإياكم بما يمنحنا من التوفيق في أول رعيل من حزب الحق وأهله، بمنّه وكرمه لا رب سواه ؛ وكتب في الثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وأربعين وستمائة.

إلى مطاع ملوك النصرانية ومعظَّم عظماء الأمة الرومية وقيِّم الملّة المسيحية ووارث رياستها الدينية البابه إينُه سانس أشْ أنار الله تعالى بصيرته بالتوفيق والإرشاد، ومنحه بتقواه سعادة المحيى والمَعاد[21]

---

(19) يذكر ابن عذاري أن المرتضى كان «وجه إلى الأندلس برسم أن يصله جمع من النصارى ليُركبهم معه ويكونوا له أعوانا وأنصاراً فوصلوا إليه بهذه السنة» أي سنة 648 (ص 402).

(20) ما بعد هذا مكتوب على ظهر الرسالة الأصلية.

(21) لاحظ مثل هذه العبارة في رسائل أماري حيث تحدد المكتوب إليه، فهي تظهر على الرسالة بعد طيّها.

الرسالة السابعة والعشرون بعد المائة :

رسالة عن المرتضى
إلى العزفي حول هجوم النصارى على سلا[2]

تقديم :

منذ سقوط اشبيلية سنة 646 واستقرار ملك قشتالة بها، أصبح أقرب إلى تهديد السواحل المغربية ومدنها سواء سبتة أو غيرها، واستغل القشتاليون فراغ السلطة العسكرية بمنطقة سلا نتيجة الصراع الموحدي المريني والتنافس بين المرينيين أنفسهم في المنطقة بعد موت الأمير أبي يحيى سنة 656، ولم تفد التحذيرات التي كان يبعث بها صاحب سبتة أبو القاسم العزفي إلى المدن الساحلية حيث وجّه ملك قشتالة قوة بحرية إلى سلا فاحتلتها، ثم تحرك المرينيون وطردوا القشتاليين منها، كان ذلك في شوال سنة 658، فأرسل الخليفة المرتضى إلى العزفي يشكره على تحذيره من غدر النصارى رغم وقوع الهجوم المذكور، وقد أورد صاحب البيان المغرب بعض فصول رسالته (ص 425 — 426 من طبعة تطوان)[2].

فصول من الرسالة :

.....[3] وإنا كتبناه إليكم — كتب الله لكم أحمَدَ عاقبة وأجمَلَها، وأكنف كلاءةٍ وأكلأها — وأن تعلموا أنّا نعتدّ[4] بولائكم الخالص[5]، ونحفظ ما لكم ولسلفكم[6] من السوابق والخصائص، ونشكر نصائحكم التي مازلتم إيّاها تبذلون، وخدمتكم التي توالون وتصلون، ونستمد منكم (إلى)[7] العلم الذي أنتم له مخلصون، والدين الذي عن سَنَنه القويم لا تعدلون، والله يتولاكم بحفظه وصَونه، ويُجزل حظّكم من إنجاده وعونه.

ملاحظة : راجع ما ذكر في الملاحظة بهامش الرسالة التاسعة.

(1) إن الترتيب الزمني يفرض — قبل هذه الرسالة — وضع رسالة المرتضى بتقديم العزفي على سبتة (مخطوط يحيى 11 — 12)، فلتنظر هناك ضمن مجموعتها في الملحق الأول رقم 6.

(2) الرسالة غير واردة في خ ح / 4 بسبب البتر فيها من أحداث 653 إلى أحداث 659.

(3) الرسالة مجهولة الكاتب، ويذكر ابن عذارى على الخصوص كاتبين للمرتضى هما أبو الحسن الرعيني وأبو عبد الله التلمساني (ص 389).

(4) في خ ح / 6 : نعتقدوا.

(5) في خ ح / 1 و2 و3 و5 و6 : المخالص.

(6) لعله يقصد والد العزفي.

(7) كذا في الأصل.

وقد طرأ في مدينة سلا[8] ـــ جبرها الله سبحانه واستنقذها ـــ[9] (ما)[10] قد اتصل بكم مما كنتم أبدا منه تُحذِّرون، وبه لعلمكم بزيادة العدو (الكافر)[11] تنذرون ؛ ولكن لم تزد الأقدار لمن فيها إلا انْهِمَالاً في الإضاعة، وإذهالاً لمن محَّل في أعماله الساعة بعد الساعة، حين نفذ المقدور ووقع المحذور، ولا حول ولا قوة إلا بالله الذي تصير إليه الأمور ؛ والله سبحانه يجري دينه القيّم من النصر والظفر ما عوّده، ويجمع أيدي عباده المومنين على (مَن)[12] اتخذ إلاهاً غيره[13] وعَبَدَه، وهو سبحانه يكافي سعيكم على ما عرّفتم وحذّرتم لأهل السواحل، وخوّفتم من فجأة العدو المخاتل، لما ظهر من استعداده، ونبّهتم في ذلك أقصى مبالغة بنيتكم الصالحة (الصريحة)[14]، ووفيتم منه أوجب حق للمسلم على أخيه من النصيحة، لكن ينفذ حكم الله تعالى فيما ثبت في الكتب مسطورا، فلم يُحذر التحذير محذورا، «وكان أمرُ الله قَدَراً مقدوراً»[15] : وثوابكم على الله سبحانه فيما من ذلك تولّيتم، وقضيتم به حق الاسلام وأدّيتم، وإنا لنشكر لكم ذلكم[16]، كما رأى الله عز وجل فيه منابكم، وشكر إليه انتدابكم، فما قصّرتم في عملٍ سديد، ولا تأخّرتم في الجد والنصح عن شأو بعيد ؛ فعرِّفوا بكل ما تتعرّفون من إرادات الأعداء بعد، وطالِعوا من محاولاتهم الذميمة ما نتأهب[17] لدفعه بحول الله ونستعدّ[18]، وهو سبحانه يتدارك بمعهود لطفه ومعتاده، ويمدّ الإسلام وأهله بنصره وإنجاده، ويعينكم على أفضل ما أنتم عليه من صواب العمل وسداده، بمنّه ؛ وكتب ثالث ذي القعدة[19] من عام ثمانية وخمسين وستمائة.

---

(8) انظر عن سلا الهامش 6 على الرسالة 123.

(9) في خ ح / 5 : فاستنقذها.

(10) ناقصة في خ ح / 6.

(11) إضافة من خ ح / 3 و5 و6.

(12) كذا في خ ح / 1 و3 و6، وفي ط : ما ... والإشارة هنا إلى عبادة التثليث المسيحية.

(13) في خ ح / 1 و3 و5 و6 : وغيره.

(14) ناقصة في خ ح / 5.

(15) من الآية 38 من سورة الأحزاب.

(16) في خ ح / 5 : ذلك، وفي خ ح / 6 : نشكر لكم ذلك.

(17) في نسخ خ ح : تتأهب.

(18) في نسخ خ ح : وتستعد.

(19) في خ ح / 5 : ذي قعدة.

الرسالة 128 و129 و130 :

رسالة السيد أبي موسى[1] عن أمر الواثق بالله إلى المرتضى بشأن المدخرات وجواب المرتضى عليها مع استعطافه

تقديم :

عندما ثار أبو دبوس الواثق على المرتضى في محرم سنة 665 اتهمه باخفاء الأموال والكنوز فوجه إليه تحذيرا إن لم يظهر ما أخفاه، وكتب عنه هذا التحذير السيد أبو موسى، فأجاب المرتضى بخط يده يتبرأ مما نسب إليه، ويستعطف الواثق أن يرفق به وبعياله. وردت الرسالة والجواب عنها في البيان المغرب (449 ــ 450) طبعة تطوان بدون تأريخ، ولكن تأريخهما يقع بين يوم دخول الواثق إلى مراكش وهو 22 محرم ويوم مقتل المرتضى وهو 22 صفر سنة 665 :

رسالة السيد أبي موسى :

...... اقتضى نظر سيدنا ومولانا الخليفة الامام الواثق بالله تعالى المعتمد عليه، أمير المومنين أبي العلى بن سيدنا الخليفة الإمام أبي عبد الله بن سيدنا أبي حفص بن سيدنا الخليفة عبد المومن ــ أيده الله تعالى ونصره وأعانه وظفّره ــ الوصول إلى هنا برسم الاجتماع بك وسؤالك عن المال الذي كان بيدك بعد أن تعرّف من طرق صحيحة كثرته، وأنه مال المسلمين، ولم تزل أبدا تنتمي إلى الزهادة وتتصف بالورع[2]، ومن يكون كذلك فلا يليق به كنز الذهب ولا الفضة حتى يدفنه في الأرض، وقد قال الله تعالى في الذين يكنزون الذهب والفضة ما قال[3]، فإن كان (ما)[4] بيدك مدفونا فعَرِّفْ حيث هو، أو مودَعاً تُعرِّف عند من هو، وإذا أقررتَ بأحد هذين الوجهين يُرجى لك عفو سيدنا ومولانا الخليفة أمير المومنين، وإلا فلا تلم إلا نفسك وأنت المسؤول عنها، وأنا الآن أرتقب جوابك لنطالع به الباب الكريم أسماه الله تعالى.

ملاحظة : راجع ما ذكر في الملاحظة بهامش الرسالة التاسعة.

(1) لعله عمران بن (أبي) عبد الله بن الخليفة كاتب الرسالة كما ورد في نسخ خ ح.

(2) في هذا تأكيد على سلوك المرتضى كما تحدثت عنه بعض المَصادر (القرطاس 259، والبيان 451 ــ 452).

(3) هذا القول في الآية 34 من سورة التوبة.

(4) ناقصة في خ ح / 1 و2 و3 و4 و5.

جـواب المـرتـضـى :

حفظكم الله تعالى وأبقاكم رحمة للرحم، وحقّ هذا المقام ما نغادر ولا نرضاه لحشر ونشر أن نغادر[5] صغيرة ولا كبيرة، فالذي كان، (كان)[6] في مواضع مختلفة من بيوت وخزائن بل خزانة واحدة وزوج صناديق والحلي والقلائد متفرقة، فلا أعرف ما وجد وما لم يوجد، وما تحت الأرض الله يعلم أني ما دفنته ولا أودعته، ونعلم[7] ما يلزم عند الله في ذلك، اللهم وقت وصول المريني[8] كان الشيء كثيرا حتى خرج لما وصل الزعيم بن سجن[9] بمعرفة الخَدمة كلهم، والله تعالى على ما نقول وكيل ؛ وبفضلكم يا أخي وبحق الدم والرحم الإبقاء عليّ، واعملوا ما يجازيكم الله تعالى عليه ان شاء الله، والسلام يخصكم والرحمة والبركة.

بطاقة استعطاف أدرجها المرتضى مع الجواب السابق :

يا أخي ــ حفظكم الله ــ عسى بفضلكم تتلطفوا[10] عند مقام الرحمة، وغياث الأرمة[11] رضي الله تعالى عنه وأبقاه رحمة لصلة الأرحام، وعزة[12] للإسلام في **الذي وعدتم من التأمين والأمان**، والإبقاء مع الأصاغر والأحفاد بقية العمر، فأخوكم شيخ ينتظر ما لابد منه وكثير العلل ؛ فبالله رحمة وحنانا واشفاقا فيما سألتكم، فنضرع لكم فيه بحرمة مولانا المصطفى ﷺ (تسليما)[13]، والله سبحانه يبقي عليكم نعمه، ولا ينسى لكم هذه المكرمة، ومولانا المقام الأرحم الأعطف فقد (   )[14] عمل، فالله تعالى يجازيه بفضله، ويخلد ملكه، آمين آمين آمين[15].

---

(5) كذا في جميع النسخ وهي بمعنى : أبقى وترك.

(6) إضافة من خ ح / 4 و5.

(7) كذا في خ ح / 4 و5، وفي ط : ويعلم.

(8) لعله يقصد فترة حصار أبي يوسف يعقوب المريني لمراكش سنة 663 والذي انتهى بقبول المرتضى دفع إتاوة سنوية له (البيان 440، الذخيرة 108، القرطاس 304).

(9) ابن سجن : يبدو أنه زعيم المرتزقة الاسبان.

(10) كذا.

(11) كذا.

(12) في خ ح / 4 و5 : وعدة.

(13) ناقصة في خ ح / 3 و4.

(14) يظهر أن هناك بترا خفيفا فهناك علامة الخطأ في خ ح/ 3 و5.

(15) ما بقي بعد هذا من رسائل البيان (خ ح) رسالة من ابن القشاش قاضي مراكش إلى الخليفة الواثق يشكو طعون «الجهلة» في أحكامه، ثم جواب الواثق مختصرا يدعم فيه مركز قاضيه.

ثــانيــا

الرسائل الـملحقـة

الـملحـق الأول

رسـائل التقـاديـم (التعيـيـنـات)

مرتبة حسب ورودها في مخطوط الخزانة الحسنيـة رقم 4752

(تقاديم الولاة والعمال والقادة ... والقضاة)

[التقديم الأول] :

و/2 ......[1]/ المصاعد، والاستبشارُ بصفقتكم الرابحة من موالاة الحق وحزبه، والاستبصار من عقائدكم الصحيحة وأعمالكم الصالحة فيما أحظاكم لدى هذا الأمر بدنوّ المحلّ وقربه، والاستدرارُ بنصائحكم البينة الواضحة لأنمى قِسَمه وأهمَى سُحبه، فإنكم بموجب السعادة قد سلكتم الجادّة السوية اهتداءً، وأجدتُم العمل والنية إعادةً وإبداءً، وأحرزتم المزية السنية سبقا وابتداء، لذلكم خصصناكم من العناية بالمزيد، واستخلصناكم للمكانة التي أهّلتكم لها **مخالَصتُكم لدعوة التوحيد**[2]، واعتمدناكم من الاختصاص بما حكم لسوابقكم الشريفة وخصائصكم المنيفة بالتبقية والتخليد.

وقد كان الوافدون مِن قِبَلكم قدِموا على هذه الحضرة بما أوردوه من بيعات تلكم البلاد، وتحمّلوه من النصائح التي صدرت عن صادق ذالكم الاعتقاد، وتعرّف في ما نصصتم عليه ما تميّز به مَن بفلانة وجهاتها خاصة وعامة، وما أخذ بأخذها مَن بفلانة وسائر تلكم الجهات من الاستباق إلى الطاعة والاتساق في الجماعة[3]، تلبية لإهابتكم بهم إلى خير دنياهم وأخراهم، وتوفية في تنوّر البصائر بأنوار الائتلاف وتطهّرِ السرائر من أوضار الخلاف لما يسّرهم ليسراهم ؛ وقد رَتّب ذلك لهم سابقة أفازتهم بما أفازت به الهجرةُ أهلَها، وأنالتهم الكرامةُ التي لم ينالوا قبلها مثلَها، واستقبلتْهم لها الرعاية التي تشمل أحوالهم كلَّها ؛ والله تعالى ييسّر في مصالحهم إلى الاصلاح الأحسن، ويأخذ لنا في سبل النظر لهم على الأوضح الأبين.

وإنا بحسب التيقن بحسن منابكم، والتحقق لابتداركم إلى بذل وُسْعَي الجدّ والاجتهاد وانتدابكم، **فوّضنا إليكم النظر في البلاد** المذكورة وما رجع معها على يدكم، وما يرجع بعدُ بمحاولتكم من الجهات المصاقبة والمواضع المتنائية والمتقاربة، وأسندنا **أشغالها** كلها على اختلافها إلى اضطلاعكم، واكتفينا في جميع أمورها بإشرافكم عليها واطّلاعكم[4]. فتولُّوا ذلك أجمع تولي مَن كَرُمَ غَناؤه، وحَسُنَ في إقامة المصالح وإدامة النصائح اعتناؤُه. واستعمِلوا فيها من ترون استعمالَه وترضون استقلالَه
و/3 من **حافظ وقاض وعامل**[5]، وتخيَّروا / لكل شغلٍ مَن يُولِي الضبط له ويواصل، وتفقّدوا قليلَ الأمور وكثيرَها تفقّداً توفون به في البلاد ورعيتها غرضنا الجميل ومذهبنا الكريم، وتَوَخَّوْا من سِيَر هذا الأمر المبنية على العدل والرفق وإقامة الحق كل ما يُرجَى أن تَصلُح الأحوالُ عليه وتستقيم، واعلَموا علم يقين وأعلِموا به أنّا لا ننام عن تلكم الجزيرة[6] التي الإسلام بها غريب ولا نذهل، وأن المعونة

(1) هذه أول صفحة مما بقي من المخطوط، ومن غير المستبعد أن يكون هذا التقديم صادرا عن الخليفة الرشيد، انظر خصوصيات هذا التقديم في الفصل الرابع.

(2) أي الدخول في طاعة الموحدين.

(3) انظر الخصوصيات المذكورة.

(4) حالات التفويض نادرة لا تحدث إلا في الأقاليم البعيدة أو عند ضعف السلطة المركزية، انظر أيضا التقديم السادس.

(5) انظر الفصل الخامس (الجانب الإداري) حول أصحاب هذه الوظائف.

(6) سميت الأندلس بالجزيرة في عدد من الرسائل الموحدية.

في إظهار دين الله تعالى فيها على أعدائه أول ما نلتمس من الله سبحانه ونسأل، وإنا لا نألوا نظرا لها في التمهيد والتوطين، والاصلاح والتسديد والتسكين، والتأمين والحماية والتحصين، **وعقد السِّلم إذا جنح الكفار لها** على ما يرضي الله والمسلمين[7]، ويكفّ عن أرجائهم عوادي المعتدين والمفسدين، مذهبنا في تمكين دعوتهم وأمانهم، وتهدين مقارّهم وأوطانهم، يعلَمُه الذي «أحاط بكل شيء علما»[8] ؛ وحرصنا على ردع أعادِهم[9] ومنع نواحيهم حِرصَ مَن يرى ذلك في صدر الواجبات حَتما، ومدارُ الأمر في ذلك على أن تكون كلمة الاسلام متفقة، وعزمات أهله إلى الانتظام في الجماعة التي معها يد الله متّسقة.

فلْتحرصوا أبدا على الألفة، فهي قطب الصلاح الشامل، ولْتهيبوا بمن نكب عن جادّتها إلى ما له في مراجعتها من الخيرين العاجل والآجل، وليعلم الناس خيرَ العلم أن لهم منّا في تلافي أحوالهم وتدارك بلادهم أفضل ما للرعية المكفولة من رعي الكافل، وأنّ حياطتهم هو الشغل الذي لا نثني عنه لشاغل، والشأْوُ الذي ندفع عن تقديمه وتتميمه كل عائق وحائل ؛ وطالِعوا أبدا بالمتزيّدات، فإنها ترد من قبولنا على محلّ قابل، وواصِلوا أسباب المناصحات فلدينا اهتمام بكل واردٍ منها وواصل.

وقد أخذ الآن وفدُكم في الإياب إليكم (بأيمن)[10] ما يَقدم به قادم عليكم، والاعتناء متوالٍ بما يظهر أثرُه في مصالح البلاد، ويبين ويتأكد معه في سداد أمورها وسداد ثغورها اليقين، ويَفيض به للخيرات حالا واستقبالا الغدُ المعين، إن شاء الله تعالى وهو المُنجد والمُعين، وهو سبحانه يُعرِّفكم إطّراد الاسعاد، ويُمدّكم في أعمال السداد، بالإعانة والإنجاد.....

---

(7) قد يدل هذا على تحوّل الموحدين إلى موقف الدفاع أكثر مما كانوا عليه أيام قوّتهم.

(8) من الآية 12 من سورة الطلاق.

(9) أعادٍ : جمع الجمع لـ «أعداء»، ولعل الأنسب هنا «أعاديهم ومنع نواحيهم».

(10) كلمة مأروضة جزئيا.

[التقديم الثاني] :

ومن مخاطبة جمهورية[1] في تقديم قائد على الأسطول وأشغال البحر

...... ذلكم بما اقتضته أسبابُ ولائكم ووسائلُه، ووضحت لكم في الاختصاص به شواهدُ الاخلاص ودلائله، وبما ترتّب لبلدكم من لوازم الاعتناء بأمره، وعزائم الغَناء في حماية برّه وبحره، لأنه القُفل الأوثق لما وراءه من الأقطار، والنصر الذي تَستمد منه شتّى المنافع جوامعُ الأمصار، والقُطر الذي له لدينا شرف الرتبة وإنافة المقدار ؛ والله سبحانه ييسر في إقامة مصالحه، وإدامة الحيّاطة لغاديه ورائحه لأسدّ النظر وأصلحِه، ويرشد في ما يعتمد منْ تحسين أحواله وتحصين حِلاله إلى أيمن الرأي وأنجحِه.

وإلى هذا، فإن البحر هناكم هو جادّة ما يُجلَب إليكم من الأقوات، ومادّة ما يَرد عليكم من الخيرات، والعمدة في ما يُستجَرّ من ضروب المنافع ويستدفَع من المضرّات[2]، ولتقرر[3] هذا في جميع الخواطر، وتعيّن العمل بحسبه في ما نعتمدكم به وأنتم بحال الغائب من النظر الحاضر، خصصناكم من بتقديم فلان على الأسطول هنا لكم وجميع أشغال البحر، مع ما أسندناه (إلى أمانته من) الديوان[4] وسائر ما أضيف إليه مما قد تعرّفتم سماعا قصدنا الأحمد فيه، وتتعرّفون عيانا بعون الله حسن أثره في كل ما ينتحيه، فهو خالصة الموحدين (الذي) نصَع إبريزُه، ونصيحهم الذي وضح في (المصافاة)[5] والمخالصة تبريزُه ؛ (وما توخّينا) إفرادَه من النظر في الأسطول وأشغال البحر بالمُهمّ الذي لا يَعدله سواه، ومن أمانته الديوان والسكة والمواريث والزكاة كاله، تخيرناه (الآن)[6] لينظم (.......)[7] هذه الأشغال مقصود الذب عن أرجائكم، ومراد الحماية لدهمائكم، حتى يأمن البحر بمعونة الله (عِداه و) تعمّ الحراسة ان شاء الله مَسْبَحه ومَرساه، ويَتعرّف الراكبُ لسفينه اطّراد الأمنة

ملاحظة : ما بين هلالين (   ) كلمة أو كلمات غير واضحة كلا أو بعضاً.

(1) أي رسالة تقديم تقرأ على جمهور البلدة المقدّم عليها.

(2) لعل البلدة هي سبتة.

(3) مكتوبة في الأصل هكذا : (وَلِتُقدر).

(4) أي ديوان البحر، وهو الجهاز الحكومي المكلف بأمور المرسى، قارن مع الرسائل 46 و48 و50 حيث وردت كلمة الديوان بنفس المعنى.

(5) في الأصل : المصافات.

(6) في الأصل : الا.

(7) كلمة مكشوطة.

(والرعـ)[7] في مصبحه وممساه، فكل ما يرتفع من مجبى الديوان وما أضيف إليه يُتصرّف في مصالح الأسطول وأرزاق غزاته[8]، ويُقصر عن إقامة عدده واطلاق آلاته، ويستعان بقليله وكثيره على توفية منافعه وتتميم مهمّاته، أردنا بذلكم أن تنزاح العلل في عمارته وترتفع / التعذّرات، وقصرنا ما ذكرنا ي/5 عليه إظهارا لما في النفس على الحماية لكم وفراس الدعاوى المتوفرات ؛ فأْذَنوا بالخيرات تُدرّ عليكم أخلافُها، والجهاتِ النازحة ترِد عليكم منها أنواعُ البركات وأصنافُها، والعداة المتقاحمات في اللجج يطّرد لديكم انزجارها وانكفافُها ؛ فما ذُخِرَ عنكم بهذا النظر اعتناءٌ تستصحبونه في كل أحوالكم، واعتزامٌ يُنْميكم في ظلّ العافية ملء أجفانكم، وما استكفينا من فلان[9] إلا مَن تَحققتْ كفايتُه، وامتدّت في مناصحة الأمر غايتُه، ورُجِيَ أن تَستمر بِجدِّه وتشميره حراسةُ البحر وحمايتُه، وتندفع على أتمّ الوجوه وأكملِ المقصود مضرّةُ العدو وإذايتُه ؛ وقد ألقينا إليه من معاني التوكيد في هذا الشأن ما فهمه عنّا ووعاه، وحمّلناه من ضروب عنايتنا بذلكم[10] المكان ما نورد عليكم منه أوضحَ نصّ وأجلاه، وخصصناكم به لتعلموا[11] قدر ما نوثره من إيجاب المزيّة لكم ونتوخاه ؛ ووراء هذا النظر ما تُحمد في الحال والمنتظر بمنّ(*) عقباه ؛ ونحن لانـزال دائـبين (................)[12] سعي جميل في حق الإسلام وأهله، ولكم من ذلك السعي (وافره)[13] وأوفاه، وإذا ازدحمت أشغال البلاد فشغلكم لدينا هو المهم الذي لا (..........)[13] غيره ولا يزحمه سواه ؛ فلتكونوا من هذا وأمثاله على أتم يقين، ولْتعلموا (أنكم منزَلون)[13] من عناية (هذا)[14] الأمر بما يعود عليكم بشامل الصلاح في دنيا ودين، ولا (............)[13] والمسرات، واستطلاع الخيرات المتيسّراتِ، حينا بعد حين ان شاء (الله تعالى)[13]، وهو سبحانه يخوّلكم أوفر قِسم نُعماه ورحماه، ويديم أوِيَّكُم إلى كنف (.........)[13] لا يضام حِماه ....

---

(8) راجع حول هذا المصطلح الجانب العسكري في الفصل الخامس.

(9) أي المقدّم على البلد.

(10) في الأصل : بذاكم.

(11) في الأصل : ليعلموا.

(*) كذا بالأصل.

(12) طمس قدر ثلاث كلمات.

(13) قدر كلمة (إلى كلمتين) مأروضة أصلا وقعت تغطيتها أثناء ترميم قديم للمخطوط.

(14) في الأصل : من عناية الأمر ...

[التقديم الثالث] :

مخاطبة أخرى في تقديم وال بعد الصدر

...... (أدام)[1] الله لكم اتباعا للسلف من حزب التوحيد، واجتماعا على ما يحظيكم (.......)[1] الدين والدنيا بالمزيد، وأن تعلموا أن خير ما عاد بالصّلاح على أحوالكم (.........)[1] حلّكم ومآلكم، هو أن تسلكوا سبل هذا الأمر الذي وضحت (........ين)[2] /، ي/6 وترأبوا[3] على ما درج عليه من تقدّم من الموحدين، وتلزموا أمر حسن الائتمار والانقياد ما يمكّن لأوطانكم التمهيد، ويؤكد لجمهوركم التأمين ؛ بذلكم نتحفّظ نعمَ الله تعالى عليكم ونتمنى قِسَم إحسانه الكريم لديكم، وتستفيدون من بركات أمر الله ما لاتزال معه وجوه العناية مصروفة إليكم، والله تعالى يعرّفكم يمن ما نعتمدكم به من الرفق والعدل، ويأخذ بكم في استيجاب الكرامة بلزوم الاستقامة على أوضح السبل.

وإلى هذا فإنّا تخيّرنا فلاناً لتولّي تلكم الجهات بأسدّ النظر وأصلحِه، (وإجراء العمل في مصالحه)[4] على أحدِّ قصدٍ وأنصحِه[5] ؛ وألقينا إليه من نافع الوصايا في أمور الخاصة والجمهور ما حددنا أن يديمه في مختتَم عمله ومفتتحه، وهو الموصوف في ما يُسنَد إليه بالغناء، والمعروف في الخِدَم بأحسن الأنحاء، والمقدّرُ فيه أتمّ الاستقلال بما نيط به والوفاء.

فليكن من مشكور طوعيتكم له في المصالح، وموثر إعانتكم له على توفية ما أُمر به من المحاولات التي فيها بحول الله قوامُ الغادي منكم والرائح، وصلاحُ الداني من أرجائكم والنازح، ما تَحسُن فيه آثاركم، ويُشكَر فيه ائتمارُكم، وتأمن عليه نواحيكم، وتتلاقى بجِدّ العمل وصدق النية فيه مناحيكم ؛ وإذا استقبل تلكم الجهات فعيِّنوا من أشياخكم ووجوهكم من يصل إليه، ويتلقى من مصالحكم ما لديه، فقد أُودِع من ذلكم ما اقتضاه مذهبنا الجميل لكم ولكافة إخوانكم[6]، وحُمِّل من إيثارنا للعدل والإحسان ما يتعمّدكم به ان شاء الله تعالى في كل أحيانكم ؛ وإذا اجتمع به أشياخكم وأعيانكم عَرَفوا الخير الذي نوثره للكافة ونريده، ووجدوا من حس الاعتناء بأموركم كلها ما نستديم عونَ الله تعالى ونستزيده ؛ فلا تقصرّوا في التعاون على البرِّ والتقوى في كل أحوالكم، ولا تؤخّروا من

---

(1) قدر كلمة (إلى كلمتين) مأروضة أصلا وقعت تغطيتها أثناء ترميم قديم للمخطوط.

(2) كلمة مكشوطة في آخر السطر.

(3) في الأصل : ونرأبوا.

(4) هذه الجملة مكررة في المخطوط بهذه الصيغة : (واجراء العمل في مصالحها).

(5) المقدم هنا وال، ولا تذكر له مهام جبائية. قارن مع التقاديم اللاحقة.

(6) فهل المقدَّم عليهم يمثلون إحدى القبائل ؟

التظافر في ذات الله والتعاضد على ما يرضاه ما يُفضي بكم إلى نيل آمالكم، واستقيموا على الجادّة التي لا تحيد بكم عن السداد في عمل من أعمالكم، واعلَموا أنكم متخوَّلون من نظرنا بما لا تغِبُّكم

ي/7 بركته في حالكم واستقبالكم / إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه ييسّركم للحسنى، ولا يعدمكم باستدامة الاستقامة هدْوّاً وأمْناً ...[7].

قال يحيى وفقه اللّه :

انتهى ما في أثناء المجموع[8] من المُكتب في تقاديم الولاة[9] على البلاد، وإقرار من فيه المصلحة لسد الثغور لضبطها من القواد ؛ ومما ألفيتُ أنا من هذه التقاديم مما لم تكن في المجموع، ولم تتحصل في ذلك للموضوع، ما أثبته ان شاء الله مع هذه ليكون بها متصلا وبها مكمّلا حتى تتساوى انسياقا وترتبط[10] مَساقاً، وتلتئم انتظاما واتّساقا، لتختص هذه التقاديم بمكانها، وتتبين ببيانها، وتجري في التماثل ملء عنانها ؛ ثم آتي بعد ذلك **بتقاديم القضاة** مما في المجموع ومما وجدته في غيره لتنحصر ألقاب ما أردته، وتتحصل فائدة ما أوردته ؛ وآتي بعد ذلك بالصكوك والظواهر وغيرهما مما لم ترتبط في هذه الفنون ولا تدخل في هذه العيون، وتكون منحازة وحدها، ومعطاة ما عندها، حتى لا يقع في الكتاب غلط، ويكون بعضه ببعض مرتبط ؛ وإن وجدتُ شيئا بعد تمام هذا القصد من هذه الأنواع، وحصلت على إمتاع هذا المتاع، فسأورده ان شاء الله شاملا، وأُطلِعه هلالاً كاملا ؛ والله الموفق للصواب، والمليِّ لتوفية المقاصد والآراب.

---

(7) هل هذه العبارات تلمح إلى تمرد قامت به هذه الجماعة قبيلة أو بلدة ؟

(8) الجملة في المخطوط من (قال يحيى .... المجموع) مكتوبة بخط سميك وملوّن على شكل عنوان.

(9) في الأصل : الولات.

(10) في الأصل : ويرتبط.

[التقديم الرابع] :

كتب رحمه الله قديما عن المأمون أبي العلى وذلك قبل خلافته[1] في تقديم والٍ مخاطبةً جمهورية

...... إلى أهل فلانة، جمع الله على البر والتقوى جمهورهم[2]، وعرَّفهم من سديد النظر ما يصلح أحوالهم وينظِم أمورهم، سلام....

فكتبناه — كتب الله لكم وعيا للنصائح (ورعيا)[3] للمصالح — من قرطبة[4]، ولا متعرَّف بفضل الله وبركات أمره الأعلى إلا الخيرات / الوالفة العِهاد، والمسرّات المترادفة الإسعاد، والحمد لله كثيرا حمداً يقرن نعمه بالنمو والازدياد ؛ وقد علمتم — أكرمكم الله — أنَّ أخصَّ المصالح بمكانكم، وأعودها بالأمر والدعة عليكم في كل أحيانكم، تخيُّرُ وَالٍ يتقلد أشغالكم، ويتفقد أحوالكم، ويريكم من حسن تصرفاته ما تستقبلون به الزمن جديدا، ويجريكم في كل محاولاته على ما تعدمون معه تمهيدا ولا تفقدون نظراً سديدا.

ي/8

وإن الشيخ أبا فلان — أدام الله كرامته —[5] ممن جمع أوصاف الاستقلال، واستظهر بأكرم الشِّيم وأحسن الخِلال، ووُثق منه بالاضطلاع فيما أُسند إليه من الأشغال، ولذلك اختير (في)[6] النظر في **مصالح** أفقكم وأنظاره، وقدّم **لأشغالكم** بعد اختباره واختياره[7]، وأُنهض للاستبداد لأموركم حين الثقة بحسن إيراده وإصداره ؛ وقد وصَّيناه بتقوى الله تعالى فيما أسندناه إليه، وقصدناه من مهماتكم عليه، وأوزعنا إليه أن يسلك في تسديد مناحيكم، **وتشريد أهل الفساد** عن نواحيكم،

(1) ربما حدث هذا عندما كان والياً لأخيه العادل على قرطبة، أو عليها وعلى اشبيلية بعد انتصاره على البياسي.

(2) في الأصل : جمهوركم، والخطاب في مثل هذه العبارة كثيرا ما يكون بضمير الغائبين، انظر مثلا التقديم رقم 17.

(3) كلمة مكشوطة.

(4) تعرضت المدينة لاحتلال البياسي الثائر على السلطة الموحدية، وبعدما انتصر عليه والي اشبيلية أبو العلى (المأمون) وثار عليه أهل قرطبة ضمها الخليفة العادل إلى المامون إلى جانب اشبيلية.

(5) لعلها إشارة إلى مستواه الأعلى ضمن طبقة الأشياخ، فهناك من المقدّمين من هم أقل مرتبة فلا يوجد لهم دعاء (فيما بقي من النصوص).

(6) كذا، ولعل الأصل : اختير للنظر.

(7) انظر نفس الملاحظة في الهامش 5 على التقديم الثالث.

السُّنَنَ التي تَصلح بسلوكه أحوالُكم، وتنبسط به في الأمر آمالكُم، وتتمشى معه على الجادة أقوالُكم وأعمالُكم، وألزمناه أن يكون لأموركم كلها متفقّداً؛ وفي أداء النصيحة فيما قلّد منها مُجِدّا مجتهدا، حتى لا يشِذّ عن تفقده مهمٌّ من مهمّاتكم، ولا يهمل نظره جهة من جهاتكم ؛ وعليكم بمعونته في تنفيذ الحق وإمضائه، ومعاضدتِه في استيفاء الواجب واقتضائه، والعلم بأن النبيه والخامل في الشرع شرعٌ سواءٌ وصنف واحد، وأن الحق تستوي في حلوه ومرّه الأنحاء الدينية والمقاصد، ومتى كانت المحاولات جارية على هذا الأسلوب، انتصف الضعيف من القويّ، وسار الشريف والمشروف على السَّنَن السويّ.

فإذا وافاكم إن شاء الله تعالى فوفُّوه (....)[8]، وتوخّوا وُفقه، واسلكوا في التعاون على الخير والبر طُرُقه، والله تعالى ينجدكم وإياه على تمشية المصالح، ويستعملكم بالعمل الصالح، بمنه وكرمه، والسلام.

---

(8) كلمة مطموسة، ولعلها (حقه).

[التقديم الخامس]:

وكتب رحمه الله[1] عن ابن هود[2] في استدعاء ابن الرميمي وزيره إليه وتقديم ولده بألمرية (.......)[3] ومالقا أزمتها بيديه ما نصه

ي/9 إلى الوزراء والفقهاء، والأعيان والأعلام والحُسَباء، والصدور العِلْية النُّبهاء، الأولياء النصحاء، الأودّاء الصرحاء، السابقين الأولين بسجايا الإخلاص ومزايا الولاء، الصادقين فيما تفصح به ألسنتهم عن صدورهم من الحب والصفاء ؛ صفوتنا من أهل بلادنا وإخوتنا بصريح الوداد، وأخلاّئنا الذين اجتبينا من نجبائهم وحسبائهم نخبة السَّرا(ة)[4] الأمجاد، والكافة الذين يتعهدهم نظرنا الجميل بما يحظيهم بقصية الأمل من صلاح أحوالهم وغاية المراد، أدام الله كرامتهم وأثرتهم بتقواه، وعرّفهم إجزال منّته وإسباغ نعماه، وأجراهم في كل أمورهم على ما ييسّرهم لحسناه، سلام كريم عليكم أيها الأولياء المكرّمون، والأودّاء الذين يسبقون في مضمار الخلوص ويتقدّمون.

أما بعدَ حمدِ الله المُنعم بآلائه على أوليائه، الملهم من حمده إلى ما يضاعف قِسَم نَعْمائه، الميسِّر من صُنعه الأجمل ومَنْحه الأجزل ما يستقل كل شكر بإزائه، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله المصطفى الكريم سيد رسله وخاتم أنبيائه، المبعوث بالحق والمنعوت بأكرم الخلق لتبيّنِ مزيّة اصطفائه، الهادي إلى الرشد والداعي إلى اقتفائه، وعلى آله وصحبه الكرام أعلام الإسلام ونجوم اهتدائه، البالغين في إظهار الدين الحنيفي وإعلائه إلى غاية انتهائه، العاملين على سَنَن السُّنَن لا يُنكّبون عن جادة استوائه ؛ والرضى عن الإمام **الخليفة العباسي** أمير المومنين[5] المحتوي على الشرف الباذخ والمجد

---

(1) الكاتب مجهول، وممن كتبوا عن ابن هود الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجنان، مثلا رسالته عنه إلى عماله بالكف عن الدماء (مفاخر البربر 148 — 149، المجموع، وفي البيان 333 — 335).

(2) بويع بمرسية في غرّة رمضان 625 وتسمّى بأمير المسلمين وتلقّب بالمتوكل على الله، داعيا للخليفة العباسي أبي جعفر المستنصر بالله، مَلَك ألمرية وغرناطة ومالقة والجزيرة الخضراء واشبيلية (626 — 627) وقرطبة (631)، وتوفّي سنة 635 ؛ (البيان 257 — 258، 269 — 270، 335 — 336، فقهاء مالقة 77، القرطاس 275، الإحاطة 130/2 — 131 الأعلام 321/2 — 322، نفح 464/4.

(3) كلمتان غير واضحتين بسبب الكشط.

(4) في الأصل : السرات.

(5) هو المستنصر بالله أبو جعفر العباسي.

الراسخ بصريح انتمائه، القائم بالدعوة النبوية قيام الخلفاء الراشدين آبائه[6]، المستسقي بجده عليه السلام مُزن السماء وقد (منّ بمائه)[3].

فإنا كتبناه ــ كتب الله لكم تعرّفاً لمتضاعف النعم ومترادفها، ولقّاكم من فضله ما يشفع لديكم سالف المنن بخالفها ــ من حضرة غرناطة[7] ــ حرسها الله ــ ونحن (..........)[8] / وأنماها، فإن عنايتنا بالأقل والأكثر من أموركم لاتزال تتجدد، وأن رعايتنا لمصالح خاصتكم وجمهوركم لا تنفك تتزيّد ؛ ذلكم لمكانتكم في النفس التي أحظتكم بالشفوف، ولسابقتكم التي لم تُشرَكوا في تقدّمِها المعروف، ولموالاتكم التي خُصّت من شرف الصفات بما يناسب منكم شرف الموصوف، فإنكم القوم لا يجارَون في مضمار خلوص وصفاء، ولا يبارَوْن إذا استبقت حلبة جد ووفاء، ولايزالون من أتباع الحق على سَنن اهتداء واقتفاء ؛ فالنظر الأجمل في تمهيد جنباتكم وتأمين جهاتكم مما نقدّمه على كل المهمات ونسبّقه، والخير الأجزل الذي نتوخاكم به ونعتمدكم لانزال نواليه وننسّقه ؛ وبحسب هذا كان توجُّه ولِيّنا الأخلَص، وصفيِّنا المستخلَص، وظهيرِنا المعتمد على سبيل نظره، وخالِصتِنا الذي لاح في التدبير كريم أثره : ذي الوزارتين[9] المخصوص بسَنيِّ المكانة لدينا، الحالِّ اختصاصا بنا واتّصالاً محلَّ اليمنى من يدينا ــ وصل الله ارتقاءَه وفسح بقاءه ــ إلى قطركم المبارك ــ حاطه الله ــ لينيب عنا في مباشرة أحوالكم، ويقومَ مقامنا في تيسير آمالكم، وقد كان من ذلكم ما علمنا أنه يوافق اختياركم هنالكم، وقضينا به الغرض الأهمَّ لدينا من تمهيد أرجائكم وحِلالكم.

ولا خفاءَ عليكم أن تدبير إمارتنا ــ أعلاها الله ــ منوط بانتهاضه وغَنائه، وأن الإيرادات المترددة لدينا مضبوطة باضطلاعه واكتفائه ؛ وإنّا بحسب ذلكم نحتاج إلى حضوره بين أيدينا، ونستمد من سَداد نظره ورجاحة حِلمه ما يحملنا على الأوْلى من التدبير ويجرينا، وما سَمحنا في هذه الأيام بغيبته عنا، ولا احتملنا مشقة انفصاله منا، إلا لِما اقتضاه اعتناؤنا بكم من إيثاركم بالموثَر لد(ى) الخاطر، والسماح لكم بمن يحل محل السواد من الناظر ؛ ولمّا وضُحَ كَرَمُ مَنا به (في) تحسين أحوالكم كلها ومذاهبكم، وحسْنِ عنائه(*) في تحصين خِلالكم وجوانبكم، وتعارضَ احتياجُنا (واحتياجكم .... أن نستهِمَ معكم عليه .... النعمة ....)[10] عنه في الحضور لما يعود نفعه على نواحي سواكم

---

(6) هل هي محاولة التشبه بما كان يذكره الكتّاب الموحدون من وصف خلفائهم بالراشدين، فيطلق الكاتب هنا نفس الصفة على أجداد الخليفة العباسي ؟

(7) في هذه الفترة (أي حوالي 630) كان نفوذ ابن هود يشمل معظم ما بقي من الأندلس الإسلامية بما فيها اشبيلية بل وسبتة المتمردة على المامون الموحدي، انظر الهامش 2.

(8) قدر ثلاثة أسطر في أسفل الصفحة مغطاة تغطية كاملة بفعل ترميم قديم.

(9) هو أبو عبد الله محمد بن الرميمي، أعلن بالمرية الدعوة لابن هود سنة 626 (البيان 229)، ثم وفد على ابن هود بمرسية فولاه الوزارة، ثم استبد ابن الرميمي بالمرية بعد أن قتل ابن هود ثم ثار عليه ولده ثم سقطت بيد ابن الأحمر، نفح 464/4 انظر الهامش 2.

(*) كذا في الأصل.

(10) كشط لسطرين.

ي/11 ونواحيكم، نظرْنا في ذلك (نظر ؟) /[11] (مبال لا يجمع ؟)[12] بين قصدين في أن لا نخلي منكم ذلك (المغْنى)[12]، وأن يكون حاضرا لدينا بالحس ولديكم بالمعنى، فاتّجه في ذلكم مذهبٌ حَسُنَ توخّيه واعتمادُه، ومنحَى وَضُح صوابُه وسدادُه، وظهر لنا أنه لا يعدوه اختيارُ كل واحد منكم ومُرادُه ؛ وذلك أن قدمنا في قطركم وجميع جهاته دانيها ونازحها **الرئيس فُلاناً بن وليّنا ذي الوزارتين** ــ وصل الله إسعاده وإنجادَه، وأدام إرقاءَه في دَرَج المجد وإصعادَه ــ بعد أن توسّمنا فيه النجابة، وتحققنا منه الإصابة، وشُهدت لدينا أصالتُه التي لا تنكر، ومكانتُه التي لها المنصب الأسمى والمُظهر، أنه يحذو حذو والده، ولا ينكّب عن كَريم مقاصده، وهُو لنا نجلّ بالودّ والولاء، ولأبيه وليّنا المبرور بكرم الانتماء، واعتناؤنا به اعتناءُ رحماءِ الآباء بنجباء الأبناء، وله الاتصال بما خصصناه به من مزية الاحتباء ؛ وقد أمضينا بعد استخارة الله تعالى تقديمه على المصالح[13] التي لديكم والمنافع، وأسندنا إلى نظره جميع الداني من أقطاركم والشاسع، واعتمدناه واعتمدناكم في ذلك بالخير المتوالي والإحسان المتتابع، وأقررناه والياً عليكم محمياً بالاستبداد بنظره في ما لديكم من مجاذبة المُشارك والمُنازع، وعلِمْنا علم يقين أنه من أبيه ووليّنا الأعلى حالٌ في كفالة لا يتطرق لها الإهمال، وأنه من ذاته السنية لا يعدم الترقي إلى رتب الانتهاض والاستقلال ؛ وهذا نظر خصصناكم بمختاره ومنتقاه، وحبوناكم منه بما يخلد في الآباء منكم والبنين مؤبّده ومبقاه.

فاستبشِروا بما تستقبلون من البركات الجزيلة، وابتهجوا بما يملأ عيونكم قرّة ونفوسكم مسرّة، اجتلاء الموصولة والمنح المبذولة، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يصل اكتفالكم بالعافية واكتنافَكم، ويُسعِد حالكم واستينافكم ؛ كتب في ثامن شهر رمضان المعظم عام ثلاثين وستمائة[14].

---

(11) قدر كلمة تعرض بعضها للتغطية.

(12) ترميم أفقي قديم في أعلى الصفحة غطّى الأجزاء العليا من كلمات السطر الأول.

(13) في الأصل : المصلح.

(14) فترة تمثل أوج نفوذ ابن هود من شرق الأندلس إلى غربها وجنوبها مما بقي إسلاميا (ماعدا أطراف من ولاية بلنسية التي يزاحمه فيها بنو مردنيش)، انظر الهامشين 2 و7.

[التقديم السادس] :

ومن المكتوب عن الخليفة المرتضى رحمه الله في ذلك مخاطبة جمهورية لأهل سبتة

ي/12 (تقتضي الاعتناء بالنظر في مصالحهم، والاحتفال بالأمور العائدة بالخير على / غاديهم ورائحهم، وتتضمن الجواب لهم عن رغبتهم في تقديم الفقيه الأجل أبي القاسم العزفي على بلدتهم، وإسعافِهم فيما تأكدت فيه من ذلك طلبة جملتهم، وهي بعد التصدير باسم الخليفة والمخاطبين عرفهم الله عز وجل الخِيَرة في ما يقتضيه، واستعملهم من التعاون على البر والتقوى بما يرتضيه، وأتانا من الخير مثل ما نريده إليهم ولسائر إخوانهم المسلمين ونَنويه، سلام)[1].

أما بعد، فإنّا نحمد إليكم الله عز وجل الذي لا إله إلا هو ونشكره على نعمه وآلائه، ونصلي على سيدنا محمد الكريم الرؤوف الرحيم صفوة خلقه وخاتم أنبيائه، والحمد لله الذي «يَعلَم خائنةَ الأعين وما تُخْفي الصدور»[2]، وينفذ وفق إرادته وقدرته المرادُ والمقدور، ويحكم بين عباده بما يذعن له الآمر والمأمورُ، «ويَهْدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[3]، فلا ينكّب عنه ولا يجورُ، «صراطِ الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور»[4]، والصلاةُ الهامية الدِّيَم، الناميةُ القِسَم، على نبيه المفضل على جميع الأرسال والأمم، المرسَل بالحنيفية السمحة للعرب والعجم، سيدنا ومولانا محمد الذي تعيَّن لمكانته على الأنبياء الشفوفُ والظهور، وتبيَّن بإبانته المتَّضحْة الجلاء الواجبُ والمحضور، وأيده ربه من معجزات القرآن بما لايزال جديدا وإن بَلِيَت الدهور، ولا يبرح باقياً وإن فنيت العصور، وجعله أول من تنشقّ عليه الأرض إذا بعثرت القبور، وأول شافع مشفع إذا جُمع الناس في بساط واحد [يوم][5] الحشر والنشور، وعلى آله وصحابته الأبرار الكرام الذين تألقت منهم في سماء الإسلام الأهِلّةُ والبُدُور، وأُلقِيَ في أيمانهم مفاتحُ الأقطار الواسعة والأمصار الدانية الشاسعة المعمور، وتضاعفت لهم بالجهاد في سبيل الله والذب عن دينه المثوباتُ والأجور، وذلَّ لاجتيابهم للأعداء من قواصي النواحي والأرجاء الموطّؤ والمعبور، فما عاقتهم عن الأخذ بناصية[6] مرامِهم (والبرِّ) لغاية اعتزامِهم البِيدُ ولا البحورُ ؛ **والرضى عن الإمام القائم بأمر الله**

(1) هذه المقدمة يبدو أنها مزج بين تقديم الكاتب وتصرّف جامع الرسائل فيها.

(2) الآية 19 من سورة غافر.

(3) من الآية 25 من سورة يونس.

(4) الآية 53 من سورة الشورى.

(5) في الأصل : (بساط واحد الحشر).

(6) في الأصل : بناصيته.

تعالى[7] والداعي إليه بالعزم الذي لا يشوبه الفتور، والجد الذي يمضي في ذات الله قُدُماً فلا يحور، حتى أشرق / وللهدى النور، وامّحق من الضلال ألاّ يجور، وطلعت أضواء الحق فلا تغيب ولا تغور، وانقشعت ظلماء الباطل فلا تُنجد بعد ولا تَغُور[8] ؛ وعن الخلفاء الراشدين المهتدين الذين طبّق الخافقيْن شعارُهم المنصور ولواؤهم المنشور، وأمِنت بعد التهم الرعايا وبحمايتهم الثغورُ، وكان لهم في إعلاء كلمة الإيمان وإرداء عبدة الصلبان الغَناء المذكور والثناءُ المأثورُ، وحاطوا ما للإسلام من الذِّمار بالحماة إلاّ ذِمار المتخطِّفين لأرواح الكفار كما تتخطف بناتِ الماء الصقورُ ؛ وعن سيدنا الأمير الطاهر أبي إبراهيم[9] من مضاعف الرضوان، ما يتعهَّد بالروح والريحان، جدته[10] الطاهر ويزور، ويتجدَّد لديه به من قِسَم الرحمة والغفران النّماءُ والوفور، ويكون جزاءا كريماً لما أسلف في التزام العلم والعمل سعيُه المبارك المشكور، ويسعى نورا بين يديه يوم يُلقَى في يمناهما كتابُه المَنشور، وتتلقاه الملائكة ان شاء الله تعالى من البُشَر، بما يوجبه المُعَدُّ له عند الله من جزيل ثوابه والمذخورُ.

ي/13

وإنا كتبناه ــ كتب الله تعالى لكم حفظا تصحبكم في كل أحوالكم كالِئُه وكافِلُه، وحفظاً من فضله العظيم وطَوْله الجسيم تَدُرّ عليكم حَوَافِلُه، ولا تَغِبُّكم رغائبُه ونوافله ــ من حضرتنا بفلانة[11]. ثم اعلموا علم يقين أنكم عندنا وفيما طوينا عقدنا في الأولياء الخلصاء متقدّمون، وفي عدد النصحاء الصرحاء منتظمون، وبشِيَم الصدق والوفاء متّسمون، **تميّزتم في تلبية دعوتنا بمزية السبق**[12]، وسلكتم في البدار إليها على أهدى الطرق، وخلصت مُصافاتكم لها من الشَّوْب والمذْق، لذالكم خصتّكم بمزيد الرعي والإيثار، ونصتّكم في الرعيل الأول من أولي التيقّن في موالاتنا والاستبصار، وقضت لكم بالقرب لديها على بعد الشقة ونأي المزار، ولم تعدل في الاعتناء بجوانبكم والالتفات لمذاهبكم عن هذا الاعتبار، ولا بعدت لكم في الإسعاف لآمالكم ومآربكم عمّا لكم من البقية والاختيار ؛ والله تعالى ييسركم فيما ننويه لكم، ونصرف فيه وجوه النظر الجميل قِبَلكم لليسرى، ويعرّفكم من تقديمنا لمهمّاتكم وحُسْن الكفالة لخاصتكم وجمهوركم في الأولى والأخرى، بمنه.

ي/14

وإلى هذا ــ نوّر الله / بصائركم، وعمّر بتقواه خاطركم ــ فإن **كتابكم وصل إلينا إثر كتاب منكم تَقدّمه** تذكرون ما ابتدأتم به من انتظامكم **في سلك الجماعة**[13] واتساقكم، وتقرّرون ما

---

(7) لاحظ هنا عدم ذكر لقب «المهدي» أو العصمة، مما يبين أن هناك علاقة خاصة مع سبتة.

(8) من النجد والغور وهما ضدّان.

(9) وهو والد الخليفة المرتضى، كان واليا على غرناطة في أول عهد المستنصر ثم نقله إلى فاس، وهو الذي انهزم أمام المرينيين عام «المشعلة»، البيان 243 و244، العبر 524/6.

(10) كذا في الأصل.

(11) يبدو أنها مراكش.

(12) راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع، الموضوع الأول.

(13) هناك رسالة العزفي إلى السيد أبي اسحاق وزير المرتضى بشأن توجيه وفد البيعة إلى المرتضى، وفي هذه الرسالة يشير إلى كتاب سابق منه إلى مركز الخلافة بالدخول في «دعوة الحق» : «فقد تقدّم خطاب معظمكم في هذه الأيام»، «رسائل ديوانية من سبتة» ص 109 ــ 111.

تقدمتم إليه من حسن ابتداركم إلى الطاعة واستباقكم، واعتصامكم بحبل الله تعالى في موالاة هاته الدعوة واعتلاقكم، وذلكم ـــ أعزكم الله تعالى ـــ مرعيّ لكم لا يضاع، ومعتمَد من السير والرعي واللّحظ بما يستطاع، أبى الله تعالى أن يعدل فيكم عن سجيتنا (......)[14] على رعي الذّمم لأهلها، وأن تهمل سابقتكم التي لم يسبقكم سواكم إلى مثلها، بل أنتم موفّون لدينا أتم ما لله عز وجل علينا أن نوفيه لمن استرعانا من عباده، ومتلقّون مِنّا بكل ما في الامكان من حسن النظر وسداده ؛ وهل عَدَوْنا ـــ عندما أهاب بكم داعي التوفيق فلبّيتم، ودعاكم إلى سلوك مثلى الطريق فما وَنَيتُم ـــ، أن رفعنا عنكم المظالم التي لم تزل الآذان منها تَسْتكّ، والمحدَثات التي كانت البلاد في **المدّة السالفة**[15] عنها لا تنفكّ، فأمرنا بمحو تلك الرسوم الجائرة وطمسِها، وصدعنا بالنصوص التي لا تحتمل التأويل في إزالة لَبْسها[16]، وأعدَمْنا بالعدل في اليوم ما كان موجوداً (من)[17] الجور في أمسها، وأوسعنا الدهماء حنانا ورفقا، ولم نحمّلها لعبءٍ من غير الواجبات شقا، ولم نرد منها عن حقه محقا ؛ وفي علم الله العليم بذات الصدور، المطّلع على المخفيّ طيَّ الضمائر والمنشور، أنّا أردنا بهذا وبما يناسبه من المقاصد الحِسان، والمذاهب المبنية على العدل والإحسان، أن نقوم له عز وجهه بحقه في الخلق، ونجدد في إظهار دين الله ما عفا[18] من الطرق، وعند الله سبحانه في ذلك الجزاء والثواب، وإليه عز وجهه المردّ والمآب، ومن توفيقه (و)[19] تسديده يستثمر الصواب، لا ربّ سواه.

فأما ما ذكرتم في شأن من استعملناه هنا لكم وما صدر عن (.......)[20]، فقد علمتم أولا أنّا لم نقدّم **والياً لشغل** عندكم حتى تكررت في التقديم له رغباتكم، وترددت في التعجيل به طلباتكم، واستحثّنا في ذلك **خطيباكم الوافدان علينا ومخاطبائكم**[21]، فعيّنّا ـــ إسعافاً لكم ـــ من قررنا فيه الصلاحية لما له أهّلناه، وظننا به الاضطلاع بما حمّلناه، وعهدنا له أن يلتزم العدل ويوثر الحق في كل ما فيه **استعملناه**، والذي كان / في ذالكم من حسن الانتقاء والاختيار وفّيناه، ولم نقف دون غاية من الاجتهاد لكم ولقطركم فيما اعتمدناه من ذلك وتوخّيناه، وليس إلينا علم البواطن والضمائر، **وما تعبّدنا ربنا ـــ جلّ وعلا ـــ إلا بالظاهر**[16]، وفي مثل هذا من غائب الأحوال، قال نبينا عليه السلام : إنني لم أُبعث لأنقُب على قلوب الرجال، ولسنا نثرّب عليكم فيما ذكرتموه مما ظهر لكم من أمورهم، ولا نعتبكم على ما شكرتموه من عدم الإصابة في تدبيرهم، لأنا لا نستعمل عليكم ولا على سواكم من الرعايا ـــ حاطهم الله ـــ إلا من يكون لهم رضى بسيرته، واستقامة إلى حسن سريرته، **ومن كرهته الرعية فإنّا لا نستعمله بحال عليها**، ولا نوجده بالاقرار فيهم سبيلا إليها، عملا في ذلك بالحق الذي لله عز وجل على الرعاة فيمن استرعوه، واقتفاء لسَنَن العدل الذي اقتفاه الخلفاء الراشدون واتبعوه.

ي/15

(14) كلمة مكشوطة.

(15) الإشارة إلى عهد تبعية سبتة للحفصيين قبل ثورة العزفي بها.

(16) يتطابق هذا مع المذهب الموحدي الذي يرفض التأويل في الجانب الشرعي.

(17) في الأصل : في.

(18) كذا بالأصل.

(19) الواو ناقص في الأصل.

(20) كلمتان مأروضتان.

وأما ما ذكرتم مما جرى على ألسنة أتباع الولاة[21] من أقوال لا يهتف بها عاقل، ولا يتعين لها قائل، فما أخلقكم بأن لا يكون لذالكم في خواطركم تأثير، ولا ينشأ لأجله في نفس من نفوسكم تغيير، فإن مثله لا يُسمع، وحاشى أنه فيكم، ولا يليق بما علم في الطاعة من حسن مناحيكم، وأنّى وقد تميزتم من الموالاة الصريحة الصحيحة بما أبرمت منه المَعاقد، وتنزّهتم في المناصحة لدعوتنا عن كل ما ينقمه الناقم وينقده الناقد، ونأيتم عن مواقف التهم بما اقتضته منكم البصائر الراسخة والعقائد، فقول القائل فيكم لما عدا ذلكم عليه مردود، وباب القبول دونه فيه موصَد مسدود، والقائل كائناً من كان مُخلّىً عن بابنا مطرود ؛ فثِقوا بما نعتمد به مذاهبكم في طاعتنا من (......)[22] والاحماد، وطيبوا نفوسا وقَرّوا عيونا بما وَقَر لكم في النفس من جميل الاعتقاد، وأقبِلوا على ما يعينكم من الشؤون إقبالا ينفعكم في المَعاش والمعاد، واعلموا أن لدينا من الحنوّ عليكم وإرادة الخير لكم ودفع المضارّ عنكم ما لا ننفكّ عنه في الإصدار والإيراد، وما نتخوّلكم منه بأوفى ما نتخول به رعايانا من أهل البلاد، والله الميسّر للصلاح والسداد، (والمانّ)[23] علينا في كل ما تولّينا بالإعانة والإنجاد /. 16/ي

وأما ما ذكرتم مما صرح به الإفرَنْريَّان[24] اللذان ذكرتم أنهما قدما على ذلكم (الثغر)[25] — حماه الله — من اشبيلية — أعادها الله — من كونهما وصلا للاجتماع بالنصارى[26] الذين هنالكم في أمور خوطبوا بها من حضرتنا — كلأها الله — فكيف يلج في أسماع أمثالكم من المسلمين العقلاء هذا الزُّور الشنيع المنكَر، ويا عجباً من الإصغاء لأقوال كفرة[27] الأعداء الذين «لا يالونكم خبالا ودّوا ما عَنِتُّم قد بَدَت البغضاء من أفواههم وما تُخْفِي صُدورهم أكبر»[28]، وقد كنا نضرب عن هذا البهت البحت صفحا، فلا يورَد في كتابنا ولا يُذكر، ولا يُشغل به لبيان غائلة الكفرة فيه البال ولا (يعمر)[29] لكن توقعنا لإنكاره مما قد يثبت به في خواطركم ويتقرر، ورأينا أن ننبهكم على قبح الإصاخة منه لما يمتعض له ويتأثر ؛ وقد نزّه الله تعالى حضرة الموحدين — أعزهم الله — عما يفوه به أهل الشرك من بهتانهم، وعصم من (الرضى)[29] بما يرمونهم به من الإفك عقائد إيمانهم، والله محيط من ورائهم، ومُحيق بهم سُوء آرائهم، بمنه وقدرته.

وأمّا ما أنهيتم — أعزكم الله — من رغبتكم في أن ينفرد[30] فلان — أدام الله أثرته وكرامته، ووصل على الأعمال الصالحات إعانته — بالنظر في مصالحكم ومجابيكم، والتولّي بحسن الحياطة

---

(21) هذه الإشارة واردة في رسالة عن العزفي ص 111 «رسائل ديوانية».

(22) كلمة مأروضة جزئيا قد تكون (الاستخارة).

(23) في الأصل : والمار.

(24) وردت هذه الكلمة أيضا في الرسالتين 27 و28، أنظر الهامش 25 على الأولى والهامش 17 على الأخيرة.

(25) كلمة مكشوطة قد تقرأ أيضا (القطر).

(26) هذا دليل على وجود القشتاليين بسبتة.

(27) كذا في الأصل.

(28) من الآية 118 من سورة آل عمران.

(29) بعض أجزاء الكلمة مطموسة.

(30) في الأصل : أن تفرد.

والحماية لجوانبكم ونواحيكم، فقد وافقت رغبتكم في ذلك اختيارنا، ولم تَعْدُ ـــ عَلِمَ الله تعالى ـــ إيثارنا، لما له بنا قديما وحديثا من كَرم الاختصاص، وتميّزه في موالاتنا بصريح الإخلاص، ولكونه بذاته وسلفه ودينه ومعرفته أهلا للاستصفاء والاستخلاص، ولولا ما صدر عنه أولا لهذا المعنى من الإباية، لما عدلنا عنه في ذلكم القطر المهمّ شأنه لدينا بالولاية ؛ ونحن قد أمضينا تقديمه **مفوَّضاً إليه**، وجعلنا بيده من ذلك ما كان نظره قبلُ فيه بحكم الإشراف عليه، إذ كان الولاة **المقدّمون من قِبَلنا قبلُ معهودا لهم أن لا يقطع في أمر من الأمور دونه، وأن يفاوضوه في ما يعملونه من النظر ويُمضونه، فقد جعلنا الآن زمام ذلك كله في يمينه**، وأسندناه إليه إسناد الاستنامة إلى نصحه (والـ.....)[31] بدينه، وأرضيناكم منه بمُوَلًّى يعمل في مصالحكم على يقينه، لأنه ـــ أعزه الله ـــ ي/17 يحفظ / جزئيات أحوالكم وأموركم، ويزيد إلى استقلاله بما نِطْنا به بصيرة النشء بين ظهوركم، (......)[32] بخاصتكم وجمهوركم ؛ فتلقّوه بحسن انقيادكم وامحضوه خالص ودادكم، وأمِدُّوه في مصالحكم بنصحكم وجِدِّكم واجتهادكم، وهو خليق أن يتلقى وصايانا له بتقوى الله تعالى بأتم امتثاله وائتماره، وأن يجعلها نصب عينه في إيراده وإصداره، فقد أرضعته الشريعة بِلِبانها، وأنشأته بين سحرها ولَبانها، وحظِيَ في حياة أبيه[33] رحمه الله وبين يديه بالسبق في ميدانها، فبأمرها يصدع، وبحكمها يأخذ ـــ ان شاء الله تعالى ـــ ويدع، وعهودنا برفع المظالم وإزالة المحدثات بمرأى منه ومَسمَع، وهو لِمَا أوردناه منها قبلُ أوعى مَسمع.

فإذا وافاكم كتابنا هذا فلْتُبادروا من المعاضدة له والمساعدة لما تحسن فيه آثاركم، ولْتكونوا معه يدا واحدة فيما تأمن عليه أرجاؤكم وأقطاركم، ولْتعلموا أنه لا يعنيكم من نظرنا (إلا)[34] ما يتمشى به في المصالح اختياركم، ويصان بتواليه وتتاليه حماكم وذماركم، ان شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعلق بالتقوى إيمانكم، ويصل عافيتكم ودَعَتكم وأمانكم ؛ كتب في الرابع عشر لرجب الفرد عام ثمانية وأربعين وستمائة.

---

(31) كلمة مطموسة في آخر السطر.

(32) كلمتان مطموستان.

(33) هو الوالد أبو العباس العزفي العالم المحدث بن القاضي الفقيه أبي عبد الله محمد العزفي، انظر المقدمة التي وضعها الأستاذ الهيلة لـ «رسائل ديوانية» ص 15 ـــ 17.

(34) ناقصة في الأصل، أضيفت ليستقيم المعنى.

[التقـديـم السابع] :

ومـن تقديـم عامل آخـر

.... وإنّا كتبناه ــ كتب الله لكم أحوالا يتزيّد صلاحُها، وأعمالا يتأصّل على التقوى خَتمُها وافتتاحُها، وأن تعلموا أنّا نتعهدكم بالنظر الجميل، ونستعمل فيكم من يُجري مصالحكم على سواء السبيل، ونوثر العمل بالعدل والرفق في الكثير من أموركم والقليل ؛ وبمقتضى ذلكم عيّنا الآن فلانا ــ وصل الله أثرته وكرامته، ووالى إنجاده وإعانته ــ للنظر في **أشغالكم المصلحية وأعمالكم المخزنية**[1]، والإجراء لكم على السبل السوية، وهو مَن له في **أشياخ الموحدين** ــ أعزهم الله ــ البيت الكبير، والمنصب الشهير، والمكان الأثير، مع ما تميزت به ذاته من مشكور الخلال، ومستحسن الأحوال، والاتصاف بالسداد والاعتدال، والتولّي لكل ما يُستعمَل فيه بالاضطلاع والاستقلال ؛ وقد / أوصيناه مع ذلك بتقوى الله ومراقبة أمره، والتزام خشيته في سرّه وجهره، وأمرناه أن يباشر مصالحكم مباشرة المعتني بجميعها المتهمّم، وأن يتولّى صلاح شؤونكم كلها تولّي المبرّ المبرّز في مضمار الاجتهاد المتقدّم، وأن يضم **مرتفع مجباكم** ويضبطه، ويُبرم الشغل فيه على القوانين المعهودة[2] ويربطه، ويستوفي الحقوق ويستوعبها، ويلتزم النصيحة ويستصحبها، ويشتد في حسم **أدواء الشرّ والفساد**[3]، ويستعمل الرفق واللين حيث يستغني عن الاشتداد ؛ وهو بمعونة الله تعالى يفي بهذه المقاصد الحسان، ويقتفي ما أسندناه إليه من أموركم سَنَن العدل والإحسان. (ي/18)

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فانقادوا إليه أحسن انقياد، وائتمِروا لما يريده فيكم من إصدار وإيراد، واعتمدوا على ما يأخذكم به من الواجبات أتم اعتماد، واعلَموا أنا أثرناكم منه بمن تسرّكم بمنّ الله سيرته فيكم، وتجدون[4] يُمن تقدمّه عليكم في إقامة مصالحكم وحياطة نواحيكم، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يسعد بهذا النظر الذي توخينا به تسديد أحوالكم، ويقضي لكم بالخِيرَة في عاجلكم ومآلكم، بمنّه.

---

(1) يبدو أن المقصود من الأولى الجانب الأمني ومن الثانية الجانب المالي، وهو ما يؤكده بعد هذا الإشارة إلى مرتفع المجبى، وهذا التعبير سيتكرر في جل الرسائل التقديمية (باستثناء تقاديم القضاة)، راجع خصوصيات هذه المجموعة في الفصل الرابع.

(2) لم توضح هذه القوانين في بقية التقاديم (على الأقل مباشرة).

(3) حالة تتكرر في مختلف رسائل هذا المخطوط، وهي حالة أصبحت عادية في فترة ضعف الدولة الموحدية.

(4) في الأصل : ويجدون.

[التقديم الثامن] :

ومن آخر في سناه

..... كتب الله لكم استقامة تجنون ثمرتها في حالكم واستقبالكم، واستدامةً للعافية بما تدأبون عليه من سَداد أعمالكم، وأنْ تعلموا أن النظر الجميل منا يتعهد مصالح الرعايا حيث كانوا من المواضع، ويقيم على السَّنَن القويم ما لهم دينا ودنيا من المنافع، ويُؤْويهم من عدل هذا الأمر وفضله إلى الظل المديد والكنف الواسع ؛ وبمقتضى ذلكم نستعمل فيكم من يحسّن أحوالكم ويضبط أعمالكم، ويُمشي الأحقَّ الأوْلى لكم، وقد عيّنّا فلانا لتولّي **أموركم المصلحية وأشغالكم المخزنية**، بعد أن بان في ما يتصرّف فيه جدّه واجتهاده، ووافق السدادَ إصداره وإيرادُه ؛ وقد وصّيناه باتقاء الله تعالى ومراقبة أمره، والتزام الخشية له في سره وجهره، وأمرناه[2] بأن يوفي مصالحكم كلها، ويسلك بكم مناهج المعدلة[3] وسبلَها،/ ويشتدّ في **حسم أدواء الشر والفساد**، ويكفّ كل مسترسِل في الغيّ ومستشرف إلى العناد، ويعاملَ باللين والرفق كلَّ من بادر إلى الانقياد[4]، ويلقي ما يطلب به من الحق بالموافقة والاسعاد ؛ وأكدنا عليه في استخراج **الواجبات المخزنية** واقتضائها، والطلب لكل من تعينت عليه بأدائها، والتشمير عن ساعد الانتهاض في استيعابها واستيفائها، وأن يجري في **رفع المظالم وإزالة المحدثات على أتم ما نأمر به كل من نستعمله**[5]، ويقف مع الحق الواضح في ما يقوله ويفعله، ويجتنب الظلم في كل ما يحاوله وينتحله. ي/19

فإذا وافاكم فانقادوا له وائتمروا، واستبقوا إلى التعاون معه وابتدروا، وكونوا يدا واحدة في تمشيّة المصالح تحمدوا مغبّة ذلكم وتشكروا ؛ ووراء ذلكم من نظرنا ما يتوالى في كل الأحيان، وتلقون به مُحَيَّى العدل سافرا للعيان، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يسدّد طريقكم، ويجمع على البرّ والتقوى فريقكم، بمنه.

---

(1) المقدّم هنا غير مدعوّ له على عكس سابقه مثلا، فهل هو من غير الأشياخ أو على الأقل من غير كبارهم ؟

(2) في الأصل : وأمرنا.

(3) في الأصل : العدلة.

(4) هنا تلميح إلى أن البلدة سبق لها أن تمردت (أو سقطت من يد الموحدين) مثلا سجلماسة في بداية عهد المعتضد ثم في عهد المرتضى (655 — 656)، الذخيرة 83 — 84، البيان (417 — 419) وكذلك سلا سنة 549 (القرطاس 296)، فهل التقديم هنا يهم إحدى هاتين المدينتين بعد عودتها إلى النفوذ الموحدي ؟

(5) هل القوة التي سيطرت على البلدة أحدثت فيها المحدثات أم أن الخليفة يسعى لتركيز نفوذه بالغاء هذه المحدثات ؟ نلاحظ أن بعض تقاديم المرتضى تحمل مثل هذه السياسة، مثلا التقديم رقم 6 (للعزفي على سبتة)، انظر أيضا الهامش 7 على التقديم اللاحق (رقم 9).

[التقديم التاسع] :

وفي معناه مخاطبة جمهورية

..... أدام الله كرامتهم بتقواه، وأفاض عليهم سوابغ نُعماه ورحماه، كتب الله لكم أحوالا تصلح وتستقيم، وآمالاً يصحبها النجح فلا تريم، وأن تعلموا أنّا نُديم النظر للبلاد وأهلها بما يمهّد خِلالَها، ويُحسِّنُ أحوالَها، ويؤمّنُ أرجاءَها، ويمكّنُ في استصحاب العافية رجاءَها، قصدنا بذلكم أن نوفيَ حقّ كفالتها وحياطتِها، ونبلغ الغاية في إزالةِ المخاوف عنها وإماطتِها، ونُفرغَ الرعايا لشؤونها، ونقيمَ الكافة في كنف الأمنة ملءَ جفونها ؛ وبمقتضى هذا القصد، وما لنا فيه من بذل الجهد، واستفراغ الوُسع والوجد، لانزال نتخير من نستعمله في ضبط البلاد وحمايتها، ونؤهّله لحفظها ورعايتها، لتَجري الأمور فيها بذلكم **على قوانينَ سَوادِها**، وتنتهيَ في المعاقل المهمة إلى أتم ما يفي بسدادِها، مستمِدِّين في ما نعمله وذلك بتوفيقَ الله تعالى الذي يَستدّ[1] به كلّ عمل (.....)[2] / ورأي، ومستنجدين بتأييده على أجمل أثرٍ في ما نعتمده وأحسنِ سعي ؛ والله تعالى الكفيل لإدارتنا بالإعانة والإنجاد، والمسؤول تسديد بدْئنا وإعادتِنا في الإصدار والإيراد، وهو (المانّ)[3] بذلك لا رب سواه ؛ وقد قدّمنا استخارة الله تعالى في أن قدّمنا لجميع **أشغالكم المصلحية وكافة أعمالكم المخزنية فلانا، وهو الجليل في الموحدين مقدارُه**[4]، الأصيلُ عقلُه ورأيُه واعتبارُه، المختارُ لتولِّيكم بما أدى إليه اختباره ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى وهي وصية الله الجامعة للعباد، والذخيرة النافعة للمعاد، والتي سماها الله خيرَ الزّاد، وأمرناه أن يلتزم العدل الذي أمر الله تعالى بالتزامه، وأن يعمل في استيفاء الحق أشد اعتزامه، وأن يقضي **الواجبات المخزنية** غير مُسامح منها في واجب، ويسلك في استخراجها على سَنَنٍ من الجد والاجتهاد لاحب[5]، فإنها لمصالح المسلمين والحماية لهم مُرصَدة، وفي ما يعود عليهم بكف أعدائهم مستنفدة[6]، وجعلنا له حربَ المحاربين والمفسدين، وتنكيلَ العاندين والمعتدين، والاستبداد على كل من نكّبَ على(*) السّنَن الواضح المستبين، والانتهاضَ في إقامة ما يجب إقامته من وظائف الدين ؛ وأكدنا عليه في **إزالة المحدثات والمظالم**[7]، وإجراءِ الرعية في الوقوفِ بهم معِ الحق على

(1) استدّ : بمعنى : استقام.

(2) كلمة مطموسة في الأصل ولعلها مشطّب عليها.

(3) في الأصل : المار.

(4) لاحظ أن قدره جليل في الموحدين، ولكن اسمه (فلان) غير متبوع بالدعاء له.

(5) لاحب : أي واضح.

(6) كذا في الأصل. استنفد : أفنى.

(*) كذا في الأصل.

(7) هل هذا التقديم حدث في بداية عهد الخليفة الصادر عنه، فيبين أن المحدثات وهي أساسا الضرائب غير الشرعية كانت قائمة في عهد سلفه ؟ وهذا مما يتناقض مع مبادىء المهدي.

أوضح المعالم، وأن يرفع كل مظلمة متى انتهت إليه، ويمحو كل منكر متى عثر عليه، عملا بما نقصده من طمس كل أثر للظلم وأهله، وصدعاً بالعدل الذي لا مَعدِل عن واضحات سُبله.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فانقادوا إليه أحسن انقياد، وائتمِروا لما يعمله من مصالحكم من إصدار وإيراد، وتعاونوا معه على إثبات كل صلاح ونفي كل فساد، واعلموا أنّا مع ذلكم نتعهّدكم من نظرنا بما لا (يخليكم)[8] في كل أموركم من استقامة وسَداد، ويجريكم في تمهيد بلادكم على أجمل معهود وأكرم معتاد، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يمن هذا التقديم، ويأخذ بكم في دنياكم ودينكم على المنهج الواضح القويم ....

---

(8) كلمة مأروضة الوسط، لعلها (يخليكم).

[التقديم العاشر] :

وفي مخاطبة في المعنى

ي/21 /..... كتب الله لكم أحوالاً تصلح وتستقيم، وآمالاً في عافية يكنفها النظر القويم، وأن تعلموا أنكم منّا بالعناية معتمَدون، وبالرعاية في كل الأناء متعهّدون، ولذلكم نختار لكم من (نقدّر)[1] فيه تمشية مذهبنا من العدل والإحسان فيكم، ونستنهضه[2] لِمنٍّ ظلال الأمان على نواحيكم ؛ وبهذا الاعتبار قدّمنا الآن فلانا للنظر في **أشغالكم المصلحية وأعمالكم المخزنية**، والسلوك بكم في أموركم كلها على السبيل السوية، بعد أن تقررَ حسنُ غَنائه، وذكر بالسداد في كل أنحائه ؛ وقد وصيناه بتقوى الله تعالى وهي القاعدة التي (ثبت)[3] عليها جميع الأعمال، وأمرناه بتوخي الرفق فيكم والاعتدال، وأن يستوفي الحماية عند وجوبها على الكمال، وأكدنا عليه في **تمهيد جهاتكم** وتأمينها، وحماية أرجائكم وتحصينها، وأن **يشتد في ردع أولي الشر** والفساد، ويأخذ بكم في أحوالكم على سبيل الاستقامة والسداد، ولا يعدل فيكم عن المعهود والمعتاد.

فإذا وافاكم بحول الله تعالى فائتمِروا له في ما يتولاه من مصالحكم أحسن ائتمار، وتعاونوا معه على ما يواليه من إيراد واصدار، واحرِصوا[4] على أن يكون لكم في حسن السمع والطاعة أجمل مَساعٍ وأكرمَ آثار، ثم نَظَرُنا بعدُ يتعهّدكم في كل أحيانكم، ويتردد عليكم بتحسين أحوالكم وتحصين حِلالكم وأوطانكم، إن شاء الله تعالى، وهو يجمع على البرّ والتقوى أهواءكم.ويعمُر بالأمنة والعافية أرجاءَكم ؛ ومما[5] أمرنا به حافظكم[6]، ووكّدنا عليه فيه الاجتهاد في **رفع المحدثات**، وطمس آثار المنكرات، **ومحق الرسوم** التي لا يبيحها الشرع من الأسواق والأبواب، وإزالة كل ما لا يجيزه مُحكَمَ السنة والكتاب، حتى لا يبقى إلا الحق الذي درج سلفُ هذا الأمر عليه، ويذهب الباطل ذهابا كليا برغم من انتمى إليه، فهذه الدعوة إنما نصبها الله تعالى لتجدُّدَ ما للإسلام من المعالم، وتُعَفّيَ[7] بالعدل آثار المظالم، وتُقيمَ الحقَّ الذي لا يقبل الله تعالى سواه، وتصدعَ بالشرع الذي تَعَبَّد اللَّهَ به العبادُ وتُزيلَ كل ما عَداه ؛ هذا عهدُنا الذي تطلّب العمل بمقتضاه مِنْ كلِ مَن[8] نستعمله في أشغال البلاد، وهو حجتنا / القائمة على المشتغِلين في هذه الدار وعند قيام الأشهاد ؛ فكونوا من ذلك على أتم يقين، وتعاونوا مع ولاتكم على ما يعود عليكم بمصلحتي دنيا ودين، بحول الله تعالى... ي/22

(1) قد تقرأ : (نقرر).

(2) في الأصل : ويستنهضه.

(3) كذا في الأصل ولعلها : تثبت.

(4) في الأصل : واحرضوا.

(5) في الأصل : مما.

(6) حول هذا المصطلح راجع الجوانب الإدارية في الفصل الخامس.

(7) في الأصل : وتعقي.

(8) في الأصل : ما.

[التقديم الحادي عشر] :

وفي تقديم آخر

..... كتب الله تعالى لكم ولأرجائكم يُمناً وأماناً، وعرّفكم بما نواليه في من نولّيه عليكم عدلا وإحساناً، ثم اعلموا أن تأكد اعتنائنا بأموركم، وتجدّد اهتمامنا بمصالح خاصتكم وجمهوركم، وتعهد نظرنا لكم بما فيه إقرارٌ لعيونكم وإبهاجٌ لصدوركم، مما يوجبه تخيُّر من نستعمله في إقامة مهماتكم وحياطةِ جنباتكم، **وضبطِ مجابيكم**، والسيرِ بأعدل السِّيَر فيكم، ذلكم لأن الخاطر معمور بكل ما يؤمِّن حِلالَكم ويحسِّن أحوالكم، ويوجز الرفق والعدل في ما عليكم وفي ما لكم، والله تعالى يجريكم على العادة الحسنى في حالكم واستقبالكم، ويُوليكم من عوارف النعمى ما يوفيكم جميع آمالكم، بمنّه ؛ وقد استخرنا الله تعالى في أن قَدَّمنا عليكم **تقديما مطلقا**[1] **في أشغالكم المصلحية وأعمالكم المخزنية وضبط ذلكم الثغر**[2] وحماية من فيه وبنواحيه من الرعية، فلانا ؛ وهو الذي عرفتم سِيَره الحسنة في تقدّمه عليكم، وألِفتُم من أنحائه المشكورة ما أكد الأمنة والعافية لديكم، ومازلتم على ما تقرر لدينا ترغبون في أن يكون لأموركم كلها متولّياً، وللنظر في قليل مصالحكم وكثيرها متحلّياً، لِمَا تميز به في اشتغالاته كلها من النزاهة والنقاء، والضلاعة والاكتفاء، وعزوف الهمة عن شائنات الأشياء، والاتصاف من متانة الأمانة بما هو أزيدُ الحلى وأبهى الأزياء ؛ لذلكم **أفردناه بالأعمال هنالكم والمصالح**، واستَنَهْنا[3] في الشغلين للمخبور عنده من النظر السديد والرأي الراجح، وقد وصيناه مع ذلكم بتقوى الله تعالى في كل حالاته، والتزام العدل في كل محاولاته، وأمرناه أن يستوفي منكم **حقوق المخزن** ــ ثمّره الله تعالى ــ **على قوانينها المعروفة**، وأن لا يعدل[4] فيكم عن رسومها المألوفة، وأن يزيل **المحدَثات** الجَورية وألقابِها، ويعاقب كل من يعرف منه ارتكابها، ولا يبقي إلا الحق الذي لا نطلب بسواه أحداً،/ ولا يوجَد دون الشرع الذي تَعبَّد الله به العبادُ مُلتحَداً، ولا لحدٌّ من حدوده بوجه من الوجوه معتدىً، وهو بمعونة الله تعالى يسلك بكم في كل ما أمرناه به على السبل المتضحة، ويوثر ما يعود عليكم بالمنفعة والمصلحة، ويشتد على أهل الاعتداء والفساد، ويرميهم من المعاقبات المهلكة بما يريح منهم أكناف البلاد، ويرصد لهم من عزمه وحزمه ما يُلفونه ــ حيث أمُّوا، ومتى ائتمّوا بشيء وهمّوا ــ بالمرصاد، وهو مُعانٌ على ذلك بمَن هنالك من **الأجناد**[5]، وبمَن نُمِدّه[6] بهم من الأنجاد.

ي/23

---

(1) هذه بعض الحالات التي يكون فيها التقديم مطلقاً (صراحة).

(2) أيّ ثغر هذا هل سبتة أم سجلماسة أم ..... ؟

(3) في الأصل : واستنهنى ... والمعنى : مرت علينا السنون.

(4) في الأصل : وان لا تعدل.

(5) لعله يقصد الحامية النظامية بالبلدة.

(6) في الأصل : بمده.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فألقُوا بأزمّة أموركم إليه، واعتمِدوا في ما نُنهيه إليكم من أوامرنا عليه، وابذُلوا بِدارَكم وائتمارَكم في ما يأخذكم به من مصالح جهاتكم، ولا تدَّخروا دونه انقيادا وإسعادا في وقت من أوقاتكم، وستعرفون بمنّ الله حسنَ أثره في ما أسندناه، وتجدون يُمن وِرْدِه وصَدَرِه في ما ولّيناه ؛ ونظرُنا الجميل مع ذلكم يتعهَّدكم الحين بعد الحين، ويوفّر لكم ولبلادكم **أسباب التمهيد والتأمين**، ويسدد أنحاءكم لما تنالون معه الصلاح الشامل في الدنيا والدين، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يكتنف بالعافية الوافية أكنافَكم، ويجعل على البرّ والتقوى تعاونَكم وائتلافَكم، بمنه ...

[التقديم الثاني عشر] :

وفي تقديم آخر

..... كتب الله لكم أحوالا تصلح وتستقيم، وآمالا لا يبرح عنها النجْح ولا يَريم، وأن تعلموا أن الله عز وجل بما قلّدنا من القيام بحقه في جميع بلاد الإسلام، وحمّلنا من أمانة النظر في ما يعود على أحوال المسلمين بالصلاح وأموركم بالانتظام، أوجبَ تعالى علينا أن نبذل الوسع في دعاء الأمّة إلى ائتلافها واجتماعها، وأن نُعمِل النظر في كل ما يمدّ ظلال الأمان على أكنافها وأصقاعها، فنحن لذلكم نتعهّد الأنأى[1] والأقرب من الرعايا وأوطانها، ونعتمد السعي الأعود عليها باتصال عافيتها وتأصّلِ أمانها، ونستعمل عليها من نعتقد منه الغَناء في حياطة جانبها / وإصلاح شأنها، والله تعالى ي/24 يُمدّنا في ما نتولاه لعباده المسلمين من مصالح دينهم ودنياهم بنصره وتأييده، ويُوجدهم حيث كانوا بركةَ ما نريده لهم ونريده فيهم من جميل الرأي وسداده.

وإلى هذا ــ كلأكم الله وأعانكم على تقواه ــ فإنّا لِمَا تعرّفناه من **أوبَتِكُم إلى هذه الدعوة التوحيدية** بحسن الانقياد لطاعتها[2]، والاعتماد على الحق في اتّباع جماعتها، رأينا أن تكون أموركم هنالكم مسندة إلى من يقوم **بضبط ثغركم** أو سده، ويجري أموركم على أقوم سَنَنٍ وأسدّه، ويقف بكم مع مقتضى الشرع في قبوله وردّه، حتى لا تشِذّوا عن الضوابط الدينية في حالٍ من أحوالكم، ولا تخرجوا عن القوانين المصلحية بشغل من أشغالكم، فقدّمنا بهذا الرسم عليكم فلاناً **لتقدّمِه الشهير في أعيانكم**، وتميُّزِه بسَداد النظر في حماية مكانكم، واجتهاده في إقامة مصالحكم ومهمّاتكم، واحتياطه في كل ما يكفّ عنكم عادية عُداتكم، بعد أن تقررَ لدينا أنكم بحسن سيرته فيكم مغتبطون، وإلى ما يورده[3] ويُصدره في أموركم مُغتبطون ؛ فأمضينا له التقديم التّام في بلادكم وما يرجع إليه من أنظاره، وارْتضيْنا لكم ما اتصل بنا من حسن مساعيه هنالكم وكرمِ آثاره، وأسندنا **أشغالكم المصلحية وأعمالكم المخزنية** إلى نظره وضبطه أتم إسناد، واستنهضناه من القيام بذلك كله والاستقلال به لما يَنهض به ان شاء الله نهوض جد واجتهاد، ويسير فيه على جادة قصد وسَداد ؛ وقد وصيناه بتقوى الله تعالى في كل محاولاته، ومراقبته في جميع انتحاءاته وانتحالاته، والتزام العدل والرفق في كل حالاته، وأن **يرفع المظالم** التي يحق لها الإزالة والرفع، ولا يُقرُّ إلا ما أقرّه الشرع، وعمّ به في المصالح النفع، وأكّدنا عليه في أن يكون للحزم ملتزما، وللاحتياط مستصحباً، وأن يبني سِيره كلها

---

(1) في الأصل : الانئاي.

(2) هل هي عودة اشبيلية إلى الدعوة الموحدية في عهد الرشيد ؟ خاصة مع ذكر كلمة الجهاد.

(3) في الأصل : تورده.

على ما يكون لرضى الله عز وجل موجبا، وأن يأخذكم عامة وخاصة بإقامة وظائف الدين، وإدامة السلوك على المنهاج المتضح المستبين، وتغيير المناكر التي يتعين لها التغيير، **وإحياء الرسوم التي كان السلف الصالح على سبلها** الهادية يسير، والتعاون من البرّ والتقوى على ما / تستضييء[4] به القلوب وتستنير[4]، والتوافق على إيثار ما ينتفع[5] دينا ودنيا من الأمور واجتناب ما يضير. ي/25

فإذا وافاكم كتابنا هذا فاغتبطوه بما أثرنا(...)[6] لكم من جميل النظر في من قدمناه عليكم، واعملوا من حسن الانقياد إليه بأتم ما ألقيناه إليكم، واشكروا الله تعالى على ما صرفته هذه الدعوة نحوكم من كريم اعتنائها واهتمامها، وأعملته في تفقّد أحوالكم وإجرائها على ما تَحمَدون مغبته في عاجلكم ومآلكم من سديد اعتزامها، وانظروا من نظرِ الله تعالى ما يقْضِي بردِّ الكرّة على أعدائه، وينجز صادق الوعد في إظهار دينه وإعلائه، وانشروا[7] بما توفرت عليه دواعي الموحدين — أعزهم الله — بهذه البلاد من الاجتماع والاحتشاد، والتجرّد لأداء فرض الجهاد، وبإعمال الجد والاجتهاد، وإظهار القوة والعتاد، واستنزالِ النصر بصريح الاستعانة بالله عز وجل والاستعدادِ، وإعانة الله تعالى لأهل دينه القيّم بالمرصاد، ونفوس عباده المومنين على ثقة من إنجازه لسابق الميعاد ؛ فكونوا — أكرمكم الله — على يقين من الخير الذي تستقبلون، والفتحِ الذي في عدوِّ الإيمان تؤمّلون، وتوصَّلُوا لنيل ذلكم بالطاعة لله ورسوله وأولي الأمر في كل ما تقولون وتفعلون، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم من ألطافه الجميلة أجملَ ما إليه تتشوّفون، ولا يعدل بكم عما كنتم من عوارفه الجزيلة في كل أحوالكم تعرفون، ولا يقلّص عنكم ظلال[8] عوافيه الضافية في حالكم وفي ما تستأنفون، بمنه.....

---

(4) في الأصل : نستضييء .... ونستنير.

(5) كذا في الأصل، ولعل الأصح : (ينفع).

(6) ما بين الكلمتين مأروض، وقد يكون الأصل هكذا : بما أثرناه لكم.

(7) كذا بالأصل، ولعل الأصوب : وأبشروا.

(8) في الأصل : ضلال.

[التقـديـم الثالث عشر] :

وفي تقديم أحد الطلبة[1]

..... كتب الله لكم أحوالا يصحبها الصلاح والسداد، وآمالا يقترن بها الإنجاح والإسعاد، وأن تعلموا أن نظرنا الجميل ببلادكم موذِن بتمهيد أرجائها وأكنافها، وتمدّد ظلال العافية والأمنة على مواسطها وأطرافها، لا نألو جِدّاً واجتهادا في توفية أسباب الحياطة لها والحماية، ولا نخلي مهمّاً (من مهماتها)[2] في نواحيها وجهاتها، والتهمّم التا(مّ به و)[3] العناية ؛ ذلكم (.....)[4] الرعايا / والبلدان ي/26 بما قلّدنا الله تعالى من الإقامة لمصالحها، والإدامة لأمن (غاديها)[5] ورائحها، والأخذ في أمورها وشؤونها على (لاحب)[6] السبل وواضحها ؛ وبالله عز وجل في جميع ما نوثره لبلادكم من تمكين موجبات الهدنة والأمان، ونعتمدكم به من الرفق والعدل والإحسان، لانزال نتخير لتولّي أموركم، وتوخّي مذهبنا في تدبير خاصتكم وجمهوركم من يحسُن منابه في ذلكم كله، ويسلك في تمهيد الخِلال وتسديد الأحوال على أقوم طرق النظر وأجلى سبله[7] ؛ والآن قدّمنا عليكم بهذا وبما أعملناه لكم من حسن الاختيار فلاناً، وصل الله أثرته ومبرّته، وحفظ مكانه وحظوته، وهو **منّا القريب القرابة**، والمعروف في محاولاته كلها بالسَّداد والإصابة، **قد ترددت ولايته لقواعد الأمصار**، وتميّزت إدارته كلُّها بكريم الآثار، وناسبت تناولاتُه كلها لما له على النظراء من شفوف المقدار، فخصصناكم منه لذلكم بما خصّته رتبةُ سِنِّه ومكانةُ قدرِه ومزيَّةُ ذاتِه بكريم الاختصاص، وأوجبنا لكم بتقديمه عليكم أوفر الحصص من التمييز لبلادكم وأهلها بالإيثار والاستخلاص، وهو بما أحرزه من الخلال الحميدة والآراء السديدة والمناحي الكريمة والمآخذ القويمة يُؤوي جميع مصالحكم ومنافعكم نظراً جميلاً، ويقتفي في حماية جَنَباتكم وإقامة مهماتكم سَنَناً سويّاً وسبيلا، ويدفع عنكم المضارّ والمَعارّ جملة وتفصيلا، ويعلمُ ما فاوضناه به من الوصايا التي وصَّى الله تعالى بها عباده في قوله : «ولقد وصَّينا الذين أُوتوا الكِتَابَ من قَبْلِكم وإيّاكم أَنِ اتَّقُوا الله»[8]، فيجعل تقوى الله تعالى (......)[9] ؛ فاستبشروا بقدومه كل الاستبشار، وائتمِروا لما يُجريه فيكم من الأوامر أتمّ الائتمار، وكونوا له على الحقّ يُمضيه والعدلِ يُمشيه من الأعوان والأنصار، واعلموا قدر ما خصّتكم به **حضرةُ الموحدين إخوانكم من تقدّم المقدَّم في الجِلَّة من كُبَرائها**، والإثار منه بمن يُعلم محلُّه في ذوي إدارتها وآرائها، بحول الله تعالى ....

(1) انظر عن هذا المصطلح الجانب الإداري في الفصل الخامس.

(2) الكلمتان مكشوطتان.

(3) حروف مأروضة.

(4) كلمة مأروضة مع الكشط.

(5) في الأصل : غادها.

(6) في الأصل : الاحب.

(7) هنا الاقتصار على المهام الأمنية دون ذكر الجوانب الجبائية، فهل لأنه «طالب» ؟ انظر الهامش 1.

(8) الآية 131 من سورة النساء.

(9) في الأصل : «الله تعالى فاستبشروا»، والسياق يفرض إضافة كلمة مثل (سبيله) أو (أمامه).

[التقديم الرابع عشر] :

وفي مخاطبة تقديم عامل

ي/27 ..... أدام الله كرامتهم بتقواه، وأعانهم على العمل بما يتقبله ويرضاه ؛ وإنا كتبناه / كتب الله لكم تعرُّفاً لإصلاح[1] الأحوال وأسدِّها، وأويّاً إلى أَوْرَف ظلال الأَمَنة وأمدِّها، والمحافظةِ من وظائف دينكم على ما يحظيكم بالزُّلفى لديه، وأن تعلموا أنّا ننظر للبلاد وأهلها النظر الذي يمهّد أكنافها، ويحمي مواسطها وأطرافها، ويمكّن أمنَها ويُذهب مَخافها ؛ ذلكم لأن الله عز وجل استرعانا أمورها، واستحفظنا خاصها وجمهورها، فنحن نصرف[2] إليها ما في الوسع من الاهتمام بها والاعتناء، ونوالي التعهّدَ لها في كل الأوقاتِ والأناء، ونتخيّر لأشغالها أهل الاضطلاع والغَناء، حرصاً على أن تتمشّى مصالحها على سَنَن السّداد، وتُوفّى من الاحتياط عليها ما يدفع عنها **عوادي الشرّ والفساد**، والله تعالى يُمدّنا في ذلكم بالتأييد والإنجاد، ويجعل توفيقه لنا رفيقا في الإصدار والإيراد ؛ وبمقتضى ما ذكرناه في توخّي الصلاح للرعية وبلادها، وقصد الأمانة[3] لها من العافية في أوتر مهادِها، قدّمنا الآن فلاناً على جهاتكم ــ حاطها الله تعالى ــ ليقوم بمصالحها ومنافعها، ويبثّ الأمان التام في أماكنها ومواضعها، ويستوفي بالتّطواف جميع دانيها وشاسعها، وينظر في الأعمال كلها بما فيه تدليل مَهَائعِها ورفعِ موانعِها، وهو المعروف بالشهامة، الموصوف بالحزامة، السالك سبيل سلفه في النجدة والصرامة ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى والتزامِه في سره وعلنه، والتزيّنِ منها بأجمل نعت وأحسنه، والجري في كل أحواله على سبيل الحق وسنَنه، وأمرناه أن يشتد في **محق الفساد والمفسدين**، وتشريد الباغين والمعتدين، وأن يوالي التمهيد لنواحيكم والتأمين، وأكدنا عليه أن يقضي **الحقوق المترتبة للمخزن**[4] ــ ثمّره الله ــ في الأموال، ويستوفي الواجبات على الكمال، ويستخرج من ذلك ما بقي في ذمم الرعية وتعيّن عليها، ويأخذها بالأداء لما انتسب بالوجه الصحيح بقاؤه إليها، جامعا في ما يتولاه بين ملاحظة الرفق والمطالبة بالحق، وضم المرتفعات التي منها تُستمَدّ المصالح، والاحتياط منها على ما تقام به للمسلمين المساعي النواصح[5].

ي/28 فإذا وافاكم بمعونة الله سبحانه / فارجعوا إليه بأموركم المصلحية، وسيروا في الائتمار له والتعاون على السوية، وكونوا معه يدا واحدة في **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، والموافقة من المصالح في الأقل والأكثر، إن شاء الله تعالى ...

---

(1) كذا في الأصل، ولعل الأنسب : (لأصلح).

(2) في الأصل : نطرف.

(3) كذا في الأصل : الأمانة.

(4) لاحظ مرة أخرى ارتباط الجبايات بمهمة العامل.

(5) الإشارة إلى الدور الاجتماعي للجبايات واقعا أو تبريرا.

[التقديم الخامس عشر] :

وفي تقديم آخر

.... وإنا قدّمنا الآن أبا فلان ـــ وصل الله تعالى إنجاده، وأجرى على سَنَن السّداد إصداره وإيراده، ـــ على تلكم البلاد ـــ حاطها الله تعالى ـــ ليقيم مصالحها ومهماتها، **ويحوط نواحيها** وجهاتها، وينظر في **أعمالها المخزنية كلها ومجابيها**[1]، ويتولى مرتفعاتها من الضبط والتثمير بما يوفّرها ويُنّميها، وهو معلوم بالاكتفاء والغَناء، ومشكور في كل ما يتصرف فيه من ضروب الأنحاء، وموصوف بالوقوف مع الدين في الإعادة من مجاولاته والإبداء[2] ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى التي تسدِّد الأقوال والأعمال، وتُجري على جادة الحق والعدل الشؤونَ والأحوال، وأمرناه[3] أن يشتد في **كف الفساد** والضرر كلَّ الاشتداد، ويأخذ في حسم أدوائه في الاعتداد بمقتضى الاجتهاد، وأكدنا عليه في **اقتضاء كل حق يجب للمخزن** ـــ ثمّره الله ـــ واستيفائه، وأن يُلزم كل مَن عليه مِن واجب من المجبى بتعجيل أدائه، **وجعلنا معه في التعاون على أشغال المخزن أبا فلان ليعتضد** نظره في الأعمال بنظره[4]، ويحتسن منها التوافق والترافق في أقل الشغل المخزني وأكثره.

فإذا وافاكم واليكم المذكور فتلقّوه بالامتثال والائتمار في كل ما يُلقيه، وتعاونوا معه على كل ما يوجبه النظر الأسدُّ ويقتضيه، وانقادُوا إليه في كل ما ينفذه من مصالحكم ويُمضيه، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يُسعدكم بتقديمه، ويتعهدكم بجزيل فضله وجسيمه، بمنه..

---

(1) في الأصل : ومجابها.

(2) في الأصل : والانداء.

(3) في الأصل : وأمرنا.

(4) هذه إحدى الحالات التي ينص فيها على مراقبة الجهاز المالي من طرف مسؤولين كبيرين معا، وستأتي حالات أخرى.

[التقديم السادس عشر] :

تقديم عامل آخر

ي/29 ..... أكرمهم الله بتقواه، وكلأهم، وجمع على ما يُحظيهم بنُعماه ويؤويهم إلى حمى / رحماه ملأهم ؛ وإنا كتبناه كتب الله لكم أتمّ الأحوال انتظاما واتّساقاً، ومدّ عليكم للعدل والإحسان ظلا ورواقاً ؛ وأن تعلموا أنا لا نغبّكم بنظر جميل، ولا نَعدِل في حسن الاختيار لكم على أجلى سبيل، ولا نعتمد في جوانبكم إلا ما نعتمده لكل من استحفظنا الله من عباده من توفية تأمين وتبليغ تأميل ؛ وبهذا الاعتبار قدّمنا فلانا ــ **وصل الله كرامته** وأدام بتوفيقه وتسديده إعانته ــ للاستبداد بأموركم[1] **المصلحية وأعمالكم المخزنية، والتولي للشغلين في بلادكم** بأتم الجد في العمل والصدق في النية، وهو من أشياخ الموحدين بالمنصب الشهير لشفوفه، وله من المكان الأثير فيهم ما لا يُدفع معلومه ولا يُنكَر معروفه، وقد خَبرْنا من اعتداله في كل أحواله، وتحققنا من اضطلاعه واستقلاله، ما يَشِفّ به على نظرائه وأمثاله، ووصّيناه بتقوى الله تعالى في كل ما يتولاه وينظر فيه، ومراقبة أمره ونهيه في كل ما يذره ويأتيه، وأمرناه أن يستوفي الحقوق الواجبة في الأموال، ويوفي الاجتهاد في الاستخراج لها والجباية على الكمال، ويتعهد مع ذلكم المصالح التي تستقيم عليها هنالكم جميع الأحوال، **ويقطع بالاشتداد موادّ الفساد** ويحسم دواعي الاختلال، وأكدنا عليه في أن يكون العدل قوام محاولاته كلها ومناولاته، وملاك أمره في جميع أنحائه وأوقاته، وأن يرفع **المحدثات** التي هي بحكم الشرع مرفوعة، ويضع المظالم التي هي على الخلق موضوعة، وأن لا يُبْقِيَ إلاّ ما أوجب الحق إبقاءه[2] وإقراره، ولا ينتحِيَ من السِّيَر إلا ما يكون الرفقُ شعارَه، وما يُحَسِّن العدلُ فيه آثارَه ؛ هذا أمرُنا الجزم له ولكل من نستعمله، وقصدُنا الذي لا نُهمله بحال ولا نُغفله.

فإذل وافاكم فائتمروا[3] له في مصالحكم أحسن ائتمار، وتعاوَنوا معه على ما يواليه من إيراد[4] فيها وإصدار[4]، وأدُّوا الحقوق إليه أداء استباق للواجب وابتدار، وكونوا على يقين من أنكم تتعرّفون يُمنَ الله وهو سبحانه يجريكم من أحوالكم على الأحسن من معتادها فالأحسن، ولا نعدل بكم في التظافر من المصالح،/ والتواصي بالعمل الصالح، على السَّنَن الأبين، إن شاء الله تعالى.... ي/30

---

(1) في الأصل : أموركم.

(2) في الأصل : ابقاؤه.

(3) في الأصل : وائمتروا.

(4) في الأصل : (إيراده فيها واصداره)، وهذا لا يستقيم مع السجع السابق واللاحق، فلعل الأصح ما أثبتناه.

[التقديم السابع عشر] :

وفي تقديم عامل وناظر في المجبى[1] بسجلماسة وما إليها

إلى الأشياخ والأعيان والكافة من أهل سجلماسة وأعمالها وقبائلها وسائر من يرجع إليها، أدام الله كرامتهم بتقواه، وأنام عيونهم قريرة في قرار الأمن ومثواه، وإنا كتبناه كتب الله تعالى لكم إقبالاً على الشأن الذي يصلح أعمالكم وينجح آمالكم، واستقبالاً على الخير الذي يسدد أحوالكم ويمهّد حِلالكم، والمحافظة من وظائف دينكم علي ما يُزلفكم لديه، وأن تعلموا أنّ أهمّ ما نُجيل فيه الخاطر ونُعمِله، وآكدَ ما نواليه من النظر ونصِله، هو ما يعود على البلاد وأهلها بالحماية، ويفي لها من إقامة المصالح بالكفاية، ونوفيها[2] قسط التهمم بشؤونها والعناية ؛ وإذا اشتركت الأقطار لدينا في هذا المذهب، وكنا لا نعدل في التولي لمهامّها وتوالي التعهد لخاصّها وعامّها عن هذا المَهْيَع الأنجب، فلبلادِكُم منّا مزيدُ تعهّدٍ وتفقد في كل الأناء، ولنا في تمهيد أرجائها وتأمين دهمائها قصدٌ لا ينثني عنها بحال عنان الاعتناء ؛ وبموجب هذا القصد الذي في جوانبكم اعتمدناه، وبمقتضى إيثاركم بأحسن ما للرعايا نَتَولاه[3]، ألقينا الآن بأزمّة أموركم في ما يعود بالصلاح على خاصتكم وجمهوركم بمن وثقنا بغَنائه واكتفائه، واستنمنا[4] إلى سداد مقاصده وأنحائه، ووقف منا عليه الاختيار بمنصبه الذي بزّ[5] فيه كافة نظرائه، ذلكم فلان، **وصل الله أثرته ومبرّته**، ووالى حظوته ومكانته، **وهو السابق بذاته وسلفه في أشياخ هذا الأمر** العلي، والمتميز في **حزب التوحيد** بالمحلّ السَّنّي والمكان الحظِي، والذي لم يزل في خدمتنا سالكا على السَّنن السوي الجلي[6]، وقد تلقّى وصايانا له بتقوى الله في كل متصرفاته أجمل تلقٍّ، ووادَعنا على أن لا يثنيَ فيكم عن عدل ورفق، وأن يُمشي مصالحكم

---

(1) انظر الجانب الاقتصادي في الفصل الخامس، وخصوصيات التقاديم في الموضوع الأول من الفصل الرابع.

(2) كذا في الأصل، والأنسب : ويوفيها.

(3) في الأصل : بتولاه.

(4) في الأصل : واستنهنا.

(5) في الأصل : بـدَّ.

(6) هل المقدّم هنا هو الشيخ أبو محمد بن وانودين والي درعة سابقا ؟ حيث كلفه الرشيد بولاية سجلماسة واخماد تمرّدها (632 — 634) (البيان ص 331)، وان كانت المدينة ستعرف تمردا آخر في مطلع عهد السعيد مع فتن عرب المعقل وآيت يبغز في المسالك نحو درعة ويفرض هذا التمرد حضور الخليفة بنفسه لانهائه (البيان 362 — 366، الذخيرة 68)، ثم تمرد آخر على يد محمد القطراني متحالفا مع اعراب المعقل سنة 655 — 656، حيث يتكلف باخماد التمرد ابن زجو الجنفيسي (القرطاس 296).

ي/31 كلها على ما للحق والشرع من وُفق، وأمرناه / أن يمهّدَ بلادكم بما يعمله من عزم يحسم عنها الأدواء، ويُظهرَ من اشتدادٍ يمحق البغي والاعتداء، ويَرهبُ به كل مَن جانَبَ الاعتدال والاستواء، حتى يرتدعَ عن الفساد مَن اعتاده، ويتّدعَ في كنف الأمان مَن لزمَ استقامته وسداده، ومن لجَّ في ارتكاب هواه، وأطاع شيطانه في ما إليه استهواه، وتمادى في الإصرار على قبيح الآثار تمادِيَ من أضلّه وأشقاه، فالسيف منه مُريح، والشرع لسفك دمه مُبيح، **وبالشدة على أهل الشر** تصلح أحوال الرعية وتحسن، وبكفِّ العادية عنها تأمن وتسكن، بحول الله تعالى ؛ وجعلنا له أن ينظر في **أشغال المجبي** ــ ثمَّره الله ــ مع مَن يتعين لها نظراً ضابطاًلقليله وكثيره، عائدا بتوفيره وتثميره، وأن لا يقع دونه انفراد فيه (بتنفيذ)[7] أمر أو توقيفه، ولا يخرج عنه شيء إلا بعد مطالعته وتعريفه، والاذن منه في اخراجه بمقتضى المصلحة وتصريفه.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانقادوا إليه كل الانقياد، وتعاوَنوا معه على ما يتولاه في مصالح بلادكم ومنافعها من الإصدار والإيراد، ويديمه من الذّبّ عنها لأهل الفساد والعناد، والحماية لها من كل باغٍ وعادٍ، والتأمين لكل رائح عليها من أهلها وغادٍ، واقدُروا قدر إيثارنا لكم منه بمن لا يعدِل فيكم عن سديد قضاءٍ وجميلِ مُرادٍ، ولا تزال[8] محاولاته كلها فيكم واقعة منا موقع استحسان وإحماد، إن شاء الله تعالى...

---

(7) في الأصل : بتنفير.

(8) في الأصل : ولايزال.

[التقديم الثامن عشر] :

ومن تقديم عامل آخر مشرَّكا مع غيره

..... أدام الله تعالى كلاءتهم وكرامتهم بتقواه، وأنام عيونهم قريرة في كنف لطفه ورحمى رحماه ؛ وإنا كتبناه كتب الله لكم أحوالا يصحبها السداد والصلاح، واستقبالا من فضله لأحسن ما ييسَّر ويتاح، والمحافظة من وظائف دينكم على ما يزلفكم لديه، وأن تعلموا أن مصالح بلادكم مقدّمة في النظر والاعتناء على سواها، وأنكم معتمدون منا في كل أحيانكم بأتم الحياطة / وأوفاها، وإنا نختار لكم من الولاة من تصلح به أموركم حين يتولاها، وبمقتضى ذلكم واعتباره، وإرادة الخير التام لكم وإيثاره، قدّمنا الآن لذلكم أبا فلان — وصل الله إنجاده وإعانته، وأدام كرامته ومكانته — وهو المعلوم مكانه **في المشتغلين** بين يدينا، والناشئين في أنبه[1] الخِدَم لدينا، والمتميزين بمشكور الاضطلاع والغناء، والموصوفين بالوقوف مع الدين في كل المحاولات[2] والأنحاء، ولذلكم أسندنا إليه القيام بمصالح تلكم البلاد ومهماتها، والانتهاض في **حماية نواحيها** وجهاتها، والنظر في **أعمالها المخزنية ومرتفعاتها**، وتولّي ذلك كله بالاحتياط على كلّياتها وجزئيّاتها ؛ ووصيناه بتقوى الله تعالى في سرّه وعَلَنِه، والتزين منها بأجمل نعت وأحسنه، والجري في كل أحواله على سبيل الحق وسَنَنِه، وأمرناه أن يشتد في **محق الفساد والمفسدين**، وأن يوالي التمهيد للبلاد هنالكم والتأمين، وأكدنا عليه في اقتضاء كل حق يجب **للمخزن** — ثمّره الله تعالى — واستيفائه، وأخذ كلِّ مَن ترتب عليه بتوفية أدائه، **وجعلنا معه في التعاون على أشغال المخزن أبا فلان** ليعتضد نظره في الأعمال بنظره، ويحسن منهما[3] التوافق والترافق في أقل الشغل المخزني وأكثره.

ي/32

فإذا وافاكم واليكم المذكور فتلقّوه بالانقياد والائتمار، ووفُّوه ما أُسند إليه مشكور التّسرّع والابتدار، واجْروا في الكَوْن معه يدا واحدة تعاونا ومساعدة على أتم الاختيار، واشكروا الله عز وجل على ما يسّر إليه في مصالحكم من سديد الإيراد والإصدار، واحرِصُوا على أن تتميزوا في كل الأحوال بأحمد الأعمال وأجمل الآثار، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يسعدكم بالتزام البر والتقوى، ويُعْلق إيمانكم في طاعته بالسّبب الأمتن الأقوى، بمنه....

---

(1) في الأصل : أنبة.

(2) في الأصل : التحاولات.

(3) في الأصل : منها.

[التقديم التاسع عشر] :

وفي معنى ذلك

ي/33 ..... كتب الله لكم صلاحا (.......كم)[1] ويلزمها، ونجاحا يكمل آمالكم (........)[2] / وأن تعلموا أن جميل النظر مما نتعهد[3] به أرجاءكم في كل الأحيان، ونجريكم به على جادة العدل والإحسان، ونوالي منه ما لا تعدمون معه بحول الله تعالى اكتناف العافية والأمان ؛ وبمقتضى اعتنائنا بكم في ذلكم، وإيثارنا تمشّي السِّيَر الحسنة هنالكم، نختار لكم من يتولى أموركم، ويحوط خاصتكم وجمهوركم، ويكفّ عنكم بما يعمله من الإنهاض محذورَكم، والله تعالى يعرّفكم يُمنَ نظرنا لكم، ويصل في ما يرضاه أقوالكم وأعمالكم، بمنّه.

وإنّا قدّمنا لتولّي مصالحكم ومهمّاتكم، والحياطةِ التامة لأكنافكم، والأخذِ بكم على سَنَن السداد في كل أوقاتكم، أبا فلان، وهو مشكور في التصرفات والخِدَم، **معروف في حزب التوحيد** برسوخ القَدم، ملحوظ الأثَرة في أولياء هذا الأمر العليّ والذِّمَم، قد خُبِر منه حُسنُ التناول في ما يُسنَد إليه، وعُرف بالغَناء والاكتفاء في ما يُقصَر من المحاولات عليه، **وجعلنا له النظر مع مشتغِل فلانة في الأشغال** التي نِيطت به هنالكم، وأن لا يَقطع المذكور أمرا دونه في ذلكم، بعد أن وصّيناه بتقوى الله تعالى في كل أمره، والمراقبةِ له في سرّه وجهره، وأن يجتهد في إقامة المصالح، وإدامة الحماية للدّاني من نواحيكم والنازح، وأمرناه أمراً جزْماً أن يعمل أتمّ الاشتداد في **قمع أهل الشر والفساد**، والحسم لأدوائهم التي عَدَلت بهم عن طُرق السَّداد، وأن يشرِّدَهم[4] بعد عقاب من يستحق ذلك منهم عن **ذلكم المكان الذي (هو)[5] موطن لأهل الدين والصلاح**[6]، ويأخذ على أيديهم أخذاً يقضي بصدّهم عن أعمالهم القباح، ويُفضي بهم إن لم يستقيموا إلى النأي عن ذلكم القطر والانتزاح، حتى يُنقّى بالكلية من أضرارهم، وتُحمى منه سيئات آثارهم ؛ (فلْيُشَمِّرْ)[7] عن ساعد الجدّ في ما أمرناه كل التشمير، ولْيَسِرْ في ما يتولاه على السَّنَن المتضح المستنير، ولْيُوَفِّ ما به وصّيناه في

---

(1) كشط قدر كلمتين.

(2) كشط قدر كلمة.

(3) في الأصل : تتعهد.

(4) كذا في الأصل بهذا الشكل.

(5) كلمة ناقصة في الأصل، يفرض السياق وجودها.

(6) مثل هذه الإشارة نادرة بل منعدمة في بقية التقاديم، فهل الموطن هو فاس حسب مدح المراكشي لها ؟ (المعجب 357 — 358).

(7) في الأصل : فليشمروا.

القليل من تناولاته والكثير، وأكّدنا عليه أن يأخذ في ما جعل (له)[8] اشتراك النظر فيه بالضبط الذي لا يلحق معه إمهال، والتعاون مع متولّيه (الذي شرّك)[8] معه بألا (يكون رسمه)[9] لشيء من مرتفعاته (..........)[10] بمعونة الله / تعالى ؛ فانقادوا إليه أحسن انقياد، وائتمِروا لما يَحملكم ي/34 عليه من صواب وسَداد، وكونوا معه يدا واحدة في ما يتولاه لمصالحكم من إصدار وإيراد ان شاء الله تعالى، وهو سبحانه يجمع على التقوى دواعيكم، ويجعل في ما يحب ويرضى (........)[11] بمنه....

---

(8) غير واضحة القراءة.

(9) بعض الحروف غير واضحة.

(10) قدر ثلاث كلمات مأروضة.

(11) قدر كلمتين مطموستين.

[التقديم العشرون] :

وفي تقديم آخر

.... أدام الله كرامتهم بتقواه، وأفاض عليهم ظلال نعماه ورحماه، كتبكم الله من الذين سبقت بتوفيقهم وارشادهم إرادتُه، وتضاعفت لديهم مننُه النافعة وإفادتُه، وأنالكم من خيراته الجزيلة وألطافه الجميلة ما لا يغبّكم نماؤه، ولا تنقطع عنكم زيادته ؛ وأن تعلموا أنّا معنيّون بالأخصّ من أموركم والأعمّ، ومقدِّمون من مصالحكم للأهمّ فالأهمّ، ومستقبِلون لكم في كل الأحيان من جميل النظر بالأوفى الأتمّ ؛ ذلكم لما نريده لبلدكم ولكافتكم من اطّراد صلاح الأحوال، ونوثره من إجرائكم جميعا على سَنَن الرفق والاعتدال، ونؤكد الوصية فيه على **مشتغليكم وعُمّالكم** من تمشية مهماتكم وحياطة جهاتكم على الكمال، والله تعالى يوجدكم أفضل ما ننويه لكم من أمنة ودعة، ويعين على ما نعتمد توفيته لأرجائكم من مصلحة ومنفعة، بمنّه.

وإلى هذا ــ أكرمكم الله بالتقوى، وأعلق إيمانكم من هداه بالسبب الأقوى ــ فإنه تقدَّم **إقرارُنا هنالكم لفلان برسم النيابة**[1]، واختيار ما لديه من التناولات من السّداد والإصابة، **وقرنّا به في ذلكم كله فلانا لمكانه المكين في طائفة التوحيد**[2]، واقتفائه لسَنَن سَلَفِه القويم السَّديد، فاستمرَّ اختيارنا لما صدر عنهما معا من المحاولات القويمة والإدارات المستقيمة استمرارا وضع معه استقلالهما بتلكم الأشغال، وغَناؤهما في ما تولّياه من تمهيد النواحي وتسديد الأحوال، فرأينا بذلكم بعد استخارة الله تعالى أن يَمضي **تقديمُهما على الاطلاق** في كل ما تقدَّم إسناده إليهما من إقامة المهمات والمصالح، ونفصح بما جعلناه لهما من الاستبداد في حياطة الدّاني من تلكم البلاد والنازح، وحماية الغادي من أهلها / والرائح[3]، على أن يجتمعا لذلكم ولا يفترقا، ويأتلفا على العمل بما تقتضيه المصالح هنالكم ويتّفقا، ويُديما من الخدمة والنصيحة ما يكون به نظام الأمور لديكم متّسقا ؛ وأنهينا هذا إليهما وإليكم ليعلما أنهما بحفظ أحوازكم وحمايتها مطلوبان، وإلى بلوغ الغاية في حراستها ورعايتها مندوبان ؛ وقد أمرناهما بالرؤوف على الجد والاجتهاد، والوفاء في تأمين الأرجاء وتسكين الدهماء بأقصى المقصود والمراد، والاعتناء التام بكل ما يعود على أحوالكم بالصلاح والسّداد، ووصيناهما باستشعار تقوى

35/ي

(1) مصطلح وحيد في مجموع هذه التقاديم وإن تكرر بصيغة المضارع في ص 40 من المخطوط : «ينوب في ضبط أشغالكم».

(2) هل هذا الأخير هو المشرف على أعمال النائب مادام الأول مكانتُه في حزب التوحيد ؟

(3) الواضح هنا أن الموضوع هو إقرار الموظفيْن في مهامّهما، على أن دوافع هذا الإقرار غامضة، هل لأن السلطة انتقلت إلى خليفة جديد، أم أن الدافع هو عودة السيادة الموحدية إلى البلدة بعد تمرد بها أو غارة عليها مادام السور يتطلب بناء ما يحتاج فيه إلى البناء، وهل البلدة هي سجلماسة التي كثيرا ما كانت تتعرض لتمرد أو غارات القبائل حولها ؟ انظر أيضا الهامش 6 على التقديم رقم 17.

الله في الإصدار والإيراد، وأن يصِلا في النظر المصلح والعمل البيّن نجاحه المتضح التأويب بالإسناد، وأكدنا عليهما في بناء ما يُحتاج إلى بنائه في **سور بلدكم المحيط بنخله**[4]، الحامي من تطرّف المضرة لأهله، وأن يتولّيا النّظر في تتميم ذلك بالتحصين والتسديد، بأتمِّ ما لديهما من الجد الدائم والعزم الشديد، وأن يعكفا عليه ليكمل بمعونة الله تعالى في الأمد[5] القريب، وينحسم علل الخِلل بالتشييد له والتأشيب، وأُنهي من أمرِنا الجَزم في ذلك للعامل[6] ــ أنجده الله ــ ما يبادر بحول الله لأعماله، ويَعمل من فوره ما يجب من امتثاله.

فتعاوَنوا مع مشتغليكم في هذا وسواه التعاونَ الذي ينجذب[7] إليكم نفعه، وكونوا معهم يدا واحدة على كل ما يَجمُل في المصالح صنعه، ويحسُن من المسامع وقعُه، وأقبلوا في أمن وهدوٍّ في أشغال معاشكم ومَعادكم، ووَفُوا لِولاتكم مما تُشكَرون عليه من ائتماركم وانقيادكم، وكونوا على يقين من أن كفالتنا لكم بمنّ الله تعالى تُبوّئكم مِهادَ العدل والإحسان، وتُخوِّلكم[8] أقسام الخيرات الحِسان، نَمدُّ عليكم ظلا ظليلا للعافية والأمان، هذه نيّتنا التي يبرز العمل بحول الله وقوته في مقتضاها، وإرادتنا التي أوجبها حنانُنا عليكم واقتضاها، ونسأل الله عز وجل أن ييسرنا لتوفية ما في النفس من ذلكم، وأن يمدّنا بتأييده وإنجاده على ما تتعرّفون به الصلاح في حالكم واستقبالكم، وأن يجعل لنا من لدنه وليّاً ونصيرا على حسن اكتنافكم بالعدل واكتفالكم، بحسن الله ومعونته ومشيئته،/ فهو القادر على ذلكم، لا رب سواه، وهو سبحانه يبسط باتصال العافية آمالكم، ويجعل ما يقربكم إليه أقوالكم وأعمالكم..... ي/36

---

(4) يذكر الإدريسي أن درعة «ليست بمدينة يحوطها سور ولا حفير، وانما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة» (بيريس ص 38)، أما سجلماسة فكان المدراريون بنوا عليها سورا على نخلها ومَزارعها سنة 199 (الاعلام لابن الخطيب ص 141 تحقيق العبادي وغيره).

(5) في الأصل : الأمر.

(6) فهو إذن المسؤول الأعلى.

(7) في الأصل : ينجدب.

(8) في الأصل : ونخولكم.

[التقديم الواحد والعشرون] :

وفي تقديم قائد عسكر(1)

..... كتب الله لكم تضافرا على المصالح واجتماعا، وتسارُعاً إلى ما يوليكم بالاتّفاق والائتلاف احتماءا من الأعداء وامتناعا، وأن تعلموا أنا نتعهد مصالح بلادكم الآونة، ونعتني بما يحسن منها الظاهرة والباطنة، ونتصدى بأقصى النظر لما يقوّي أحوالها الواهية(2)، وبمقتضى ذلكم نختار لها الأنجد والأمجد من خدمائنا، ونعطيها الأوكد فالأوكد من اعتنائنا ؛ والآن قدمنا **لأشغالها كلها ومجابيها**، والاستبداد بالنظر في جميع نواحيها وما ينضم إليها من أقاصيها وأدانيها، فلانا، وهو المعروف في **حزب التوحيد** منصبا ونسبة، والمتقدّم في الأولياء والظهراء مكانا ورتبة، ونحن نشكر له غَناء حميدا قدّمه في كثير من المواقف، ورأيا سديدا أعمله في المحاولات إعمال المجرِّب العارف، ولذلكم اخترناه **لقوْد العساكر، وطلب العدوّ الغادر**(3)، وقلّدناه البلاد هنالكم ليؤمِّن خائفَها، ويدفع عنها مخاوفَها، ويسدّ ثغورَها ويسكِّن مذعورَها، ويحسم بالسيف أدواءَها، ويستأصل مردَتها وأعداءَها، ويعيدها بحول الله وقوته إلى أمنَتِها وهدونها، ويكون بمشيئة الله تعالى وتيسيره حجاباً من دونها ؛ كل ذلك بما يتيحه الله تعالى من إعزاز دعوة الحق وابتزاز فرقة الباطل، وينجز فيه وعده من انتقامه بكفرة أمره الهادي إلى أقوم الشواكل.

فإذا وافاكم كتابنا هذا فكونوا مع **واليكم** المكرَّم في المصالح كلها كاليد الواحدة، وسيروا في الخدمة معه والمناصحة له على السبيل المتوافقة المتواردة، وثِقوا بنصر يمحق المفسدين ويدمّر المعتدين، ويكون مع طائفة الحق وأنصاره على **المشاقّين الملحدين**(3) بحول / الله تعالى، ونظرُنا مع ذلكم متتابع مع الأناء، وإمدادُنا للبلاد مُوافٍ لها غاية الاعتناء، فاعلَموا ذلكم.....

---

(1) راجع الصنف الرابع من خصوصيات التقاديم بالفصل الرابع.

(2) كذا في الأصل، وقد تكون (الواهنة) لتتناسب مع السجع والمدلول.

(3) هل المقصود من هذا العدو المرينيون ؟ وعلى مَ كان ضغطهم، على إحدى القبائل، أم سلا أم سجلماسة... ؟

[التقديم الثاني والعشرون] :

وفي تقديم آخر

..... كتب الله لكم تعرّفاً لصلاح الأحوال وسدادها، وتَبَوُّؤاً من ظلال العافية أجمل معهودها ومعتادها، وأن تعلموا أن لنا بالبلاد عناية نستمدّ لها عون الله تعالى في كل الأحيان، ونستنجد منها ما نبذل فيه غاية الإمكان، ونتصدى لحمايتها وحياطتها من أهل البغي والعدوان، ونختار لها من أولي النجدة والكفاية من يذِبّ بالصارم ضرباً وطعناً بالسنان، ويَسوق رعاياها أسلس سَوْق إلى ما عهدوا لدى هذا الأمر العلي من الهدوّ والأمان ؛ وبمقتضى هذا قدّمنا فلاناً **وصل الله إعانته وإنجاده**، وحسّن في المحاولات إصدارَه وإيرادَه، وهو الذي بان في الخِدم المهمّات غَناؤه، واشتمَلت على مشكور الأفعال أنحاؤُه، فألقينا إليه بأزمّة **تلكم**[1] **البلاد القبلية**[2]، وصرفنا إليه **أشغالها ومجابيها ومصالحها** ومهماتها بالكلية، وأمددنا(ه)[3] من نظرنا الذي يتعهده مع الأناء ما يحمله بحول الله تعالى على الجادة الواضحة الجلية، ووصيناه في كل ذلك بتقوى الله تعالى وهي نِعمَ الوصية، وأمرناه أن **يستأنف أهل تلكم البلاد على هذه الطاعة**[4] التي سَعِد بها أهل الإيمان، وكانت بحكم الكتاب والسنة فرضا على الأعيان.

فإذا وافاكم واليكم المكرّم فاعلموا أنّا تخيّرناه لكم ليقيم **مصالحَكُم على الاطلاق**، ويأخذكم بالابتدار إلينا والاستباق، فكونوا يدا واحدة على ما **يذود عن البلاد أهلَ البغي والنفاق**، ويُضفي عليها ظل الائتلاف والاتفاق، ويمكّن لها أسباب التمسك والاعتلاق، وقد أصحبناه من **الجيش** الوافر ما يطأ به تلكم البلاد، ويستأصل بحول الله أهل الشر والفساد، ومن وراء ذلكم نظرُنا / الذي نُمِدّ به تلكم الأرجاء بما يؤمِّنها ويُسكِّنُها، ويتعهدها من الصلاح بما تبتهج به (نفوس)[5] أهلها وتَقِرُّ أعْينها ؛ فتلقّوا الخير بتلقّيكم لواليكم، واخدُموا معه في ما تأمن به جميع نواحيكم، وصنعُ الله تعالى كفيل بما يؤيد أمره ويُظهر أولياءه، والنصر مستمَدّ منه سبحانه بما يُعلي كلمته ويُضاعف اعتلاءه، فكونوا على يقين من ذلكم، واسلُكوا المنهج الأقوم بأقوالكم وأعمالكم، إن شاء الله تعالى....

ي/38

(1) في الأصل الكلمة مكررة هكذا : (تلك تلكم).

(2) هل هي درعة أم سجلماسة ؟

(3) الهاء ناقصة في الأصل، أضيفت لتناسب السياق، لاحظ مثلا الجملة اللاحقة (ووصّيناه... وأمرناه...).

(4) هذا ما يرجح أن تكون سجلماسة بعد اخماد إحدى تمرّداتها زمن الرشيد أو السعيد أو المرتضى، راجع الهامش 6 على التقديم 17.

(5) كلمة مأروضة الوسط.

[التقديم الثالث والعشرون] :

تقديم آخر

..... كتب الله تعالى لكم هِمماً تُنهِضكم إلى سنيّ الأعمال، وقَدَماً ترسخ بكم في حميد الخلال، وأن تعلموا أن أولَى ما استبق إليه السعداء، وتحقَّق به إلى النجاة الاهتداء، طاعةُ **هذا الأمر** الذي سلف عليه الآباء والأبناء، **وقام به على كل منبر من منابر الإسلام الدعاءُ والخطباء**[1]، وقد اتصل من خدمتكم لأوليائه وملازمتكم لهم واجتهادكم في العمل ما شكرناه من أفعالكم واستحسناه، وارتضيناه من خِدَمكم واستجدناه ؛ فثابِروا على ذلكم تنالوا إحسان هذا الأمر جزيلا، وتتلقَّوْا اعتناءه بكم جميلا ؛ وقد اقتضى نظرُنا تقديمَ فلان — **وصل الله عزته** وإنجاده — على البلاد كلها **وإقامة شغلها ومصالحها**، وتولّي دواني جهاتها ونوازِحها، وإعمال الغَناء في تأمين غاديها ورائحها.

فكونوا معه ومع كافة مَن لديه من **العساكر** يداً واحدة في **دفاع أهل البغي** والعِناد، واستئصال أولي الشر والفساد، وليبلغ عنكم من الجد والاجتهاد والنصح في ذلكم ما يحظيكم من إحساننا بالمزيد، ونتعهدكم منه بالجديد، جزاء لعملكم (السديد)[2]، وقصدكم الحميد، إن شاء الله ....

---

(1) في هذا مبالغة طبعا حيث لم يتجاوز نفوذ الموحدين في أقصى اتساعه الغرب الإسلامي.

(2) مطموسة بالكشط والأرضة.

[التقـديـم الرابع والعشـرون] :

ومن تقـديم آخـر

..... كتب الله لكم تَعرُّفاً لمراد الأحوال وصلاحها، وتصرّفاً في ما يحظيكم بتسنّي الآمال ونجاحِها ؛ وأن تعلموا أن تلكم المدينة (.........)[1] / يجب لها من الاعتناء، ومقدّمة في تمشية مصالحها على سائر الأقطار والأرجاء، ذلكم **لاشتمالها على الأجداث الطاهرة**[2]، وامتيازها من الاحتواء على مقارّ الهداية والخلافة بالمفاخر المكاثرة، وصل الله تعالى (لها)[3] الاحترام، وأعزَّ بنصرٍ من حلها قبل الإسلام ؛ وإلى هذا فإنّا قدّمنا هنالكم أبا فلان تقديما يتولّى به **النظر في المصالح**، والجريَ في إقامتها على السُّنَن الواضح، وله المزية التي تعرفونها في **حزب التوحيد**، والمكانةُ في أُولي السّعي المشكور والقصدِ السديد، وقد تلقّى من وصايانا له بتقوى الله تعالى في كل أمره، ومراقبته في سرِّه وجهره، ما هو ان شاء الله عز وجل له عامل، ولاقتفاء سَنَنِه في كل أحواله مُواصِل[4].

ي/39

فإذا وافاكم بحول الله تعالى فكونوا يدا واحدة مَعه، وأعينوه على ما يسلك به سبيل الحق ومهيعه، واجْرُوا على **المعهود من المساعي الحسنة** في كل شؤونكم، وانشروا بإبهاج نفوسكم بما تتعرفون من الخير وإقرار عيونكم، إن شاء الله تعالى....

---

(1) قدر كلمتين مطموستين بالكشط والأرضة.

(2) هذه العبارة ترجح أن تكون المدينة هي تينملل.

(3) في الأصل : لنا.

(4) الملاحظ هنا غياب ذكر الأشغال المخزنية أو المجابي كما هي العادة في التقاديم الأخرى وهذا ما يبين التمييز بين القبائل والجهات في النظام الجبائيّ، انظر الفقرة الأخيرة من الفصل الرابع.

[التقديم الخامس والعشرون] :

وفي المعنى من ذلك

..... أدام الله كرامتهم بتقواه، وأناهم أوفر حظٍّ من نُعماه ورُحماه ؛ وإنا كتبناه كتب الله تعالى لكم نظرا لأحوالكم مُصلِحاً، ولآمالكم مُنجِحاً، وبوّأكم للعافية (المتحصّلة) والأمانة المشتملة كَنَفاً منفسحا ؛ وأن تعلموا أن اعتناءنا بكم وببلادكم يقتضي أن يكون تعهّدنا لها مع الأحيان متتابعا، ونظرُنا للمحاولات المصلحية ضابطا جامعا، وتدبيرُنا لكل ما فيه جلب الخيرات ودفع المضرات عنها مهادرا مسارعا، حتى لا تتأخر مصلحة عائدة بالمصلحة عن أنآها، ولا يشذّ عن الحماية والحياطة أقصى جهة من جهاتكم ولا أدناها، وبهذا الاعتبار الذي نسأل الله تعالى التوفيق فيه للسداد (......)[1] تمنحه تسديده الذي يصحب في الإصدار والإيراد، فقدّمنا الآن أبا فلان / للنظر في 40/ي أمورِكم **المصلحية والضبط لأشغالكم المخزنية**، والدفع عن بلادكم لأهل **الضرر والإذاية**، وهو المشكور الغناء، المشهور[2] الاضطلاع والاكتفاء، الموصوف في ما يتولاه من الخِدَم بسَداد الأنحاء ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى التي هي وصية الله عز وجل لعباده، وأكدنا عليه منها في ما هو أفضل زادٍ لمعاده، وأمرناه أن يصرف لإقامة مصالحكم كلها وجهَ جِدّه واجتهاده، وأن يتلقى كل من تصدى للشر والفساد بأشد اشتداده، وأن يبثّ الأمان في كل ناحية بما يعمله لها من تعهده وافتقاده، وأوْزعنا إليه أن **يقتضي المجابي عند تعيُّنها** ووجوبها، ويُجري الأشغال فيها على **قانونها وأسلوبها**[3]، وأن يعمل من الانتهاض في ذلك ما يجمع فيه بين اقتضاء الحق وملاحظة الرفق، والسلوك على أوضح الطرق.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فاجتمعوا إليه في مصالحكم اجتماع الانقياد والائتمار، وكونوا معه يداً واحدة في ما يعود عليكم بالهدنة والقرار، واعلموا أنا توخّينا في تقديمه عليكم إجادة النظر لكم والاختيار، بحول الله تعالى، وهو سبحانه يمهّد جوانبكم، ويسدّد في التوافق على الطاعة مذاهبكم، بمنّه.....

---

(1) قدر كلمة مطموسة.

(2) الهاء غير واضحة في الكلمة.

(3) لم توضح التقاديم هذا الأسلوب أو القانون، راجع في الفصل الرابع ـ الفقرة الأخيرة ـ جانبا من السياسة الجبائية الموحدية.

[التقديم السادس والعشرون] :

تقديم آخر

..... وأن تعلَموا أنّا لا نُخْليكم من نظر يضبط أموركم، ويحمل على الجادة الواضحة جمهوركم، ويمشي مصالحكم على أقوم سبلها وأوضحها، ويأخذ في مهماتكم بأيمن المحاولات وأنجحها ؛ وبهذا الاعتبار قدّمنا فلانا ليتولى **النظر في أعمالكم، وينوب** أحمد منابٍ في ضبط أشغالكم، ويتوخّى العدل المسدَّدَ لأنحائكم المصلِحَ لأحوالكم، وقد خُبِرَ منه غناءٌ[1] في الخِدَم التي استُعمل فيها وسَدادٌ[1] يُجري المصالح على ما يجب لها من النظر ويمشيها ؛ وقد وصيناه بتقوى الله تعالى التي هي أسُّ الأعمال الصالحة، والمأمور بالتزامها في الخاتمة والفاتحة، وأمرناه أن **يقتضي الحقوق عند وجوبها، ولا يعدل بالأشغال المخزنية عن صواب أسلوبها**[2]، وأن يشتد في كف المفسدين والفساد، ويوالي في تأمين جهاتكم مشكورَ الجدِّ والاجتهاد.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فاجتمِعوا عليه، وارجعوا بأموركم عليه، وتعاونوا على الصبر والتقوى، وسيروا على الطريقة المثلى، وكونوا يداً واحدة في الأمر بالمعروف وإظهاره، ومحقِ المنكر وتعفية آثاره، فذلكم عائدٌ عليكم بالنفع في حالكم واستقبالكم، وجالبٌ إليكم الخيرَ في كل أحوالكم، بحول الله تعالى...

---

(1) في الأصل : غناءَ .... وسداداً.

(2) قارن أيضا مع التقديم السابق (هل هي مجرد وصية، أم أنها دليل على الانحراف عن الأسلوب المعتاد فازدادت قسوة أساليب الجباية ؟).

[التقديم السابع والعشرون] :

تقديم آخر

..... وأن تعلَموا أنّا ننظر البلاد[1] وأهلها النظر الذي يعمهم بحول الله سداده، ونقدِّم لتولّي مصالحها وتأمين غاديها ورائحها مَن بان جدُّه في الخدمة واجتهادُه، وحَسُنَ فيها إصدارُه وإيرادُه ؛ وبمقتضى ذلكم عيّنّا أبا فلان **ليضبط نواحيكم** ويحوطها، ويقوم بالحماية التامة لها ويوفي شروطها، ويتولى بالغناء والكفاية مجعولَ تلك المصالح به ومنوطَها، بعد أن تقرر من استقلاله ما أدّى إلى استعماله، وتبيَّنَ من اكتفائه ما حذا إلى استكفائه، وقد وُصّي بتقوى الله تعالى وهي العدة الوثيقة، وأُمِرَ من التزام النّصح والعدل ما تَحسُن عليه السِّيرة وتستقيم الطريقة، وأكّد عليه في أن **يَحسِم أدواء الشر والفساد**، وأن يعمل في قمع أولي الاعتداء والبغي كل الاشتداد، حتى ينسحب للأمان على تلكم الأرجاء ظلٌّ وارِف، ويرتدِع عادٍ ويأمَن خائف، وتجري الأمور كلها هنالكم على قوانين هذا الأمر العليّ من الضبط لانتشارها، وتسري سَواري العافية والأمانة في أنحاء تلكم الجهات وأغوارها، **وترتفع عن الطرق المسلوكة هنالكم ما عاق السَّيَّارة** قبل تسيارها[2]، وترتدع الشرّار عمّا اعتادت من شرّها وأضرارها.

ي/42 فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانقادوا أحسنَ انقياد لما / يورده في مهماتكم ويُصْدِره، وكونوا معه يداً واحدة في ما يعتمده من حماية جهاتكم ويوثره، وتعاضَدوا وتضافروا في كل ما يعود عليكم نفعه ويندفع عنكم ضرره، ومن وراء هذا نظرٌ منّا نواليه لكم ونَصِلُه، واعتناءٌ يتعهد أحوالكم أحسنُه وأجملُه، ولا يُهمِل شيئا من أموركم ولا يُغفله، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يمهد أوطانكم وأكنافكم، ويَعمُر بالعافية حالكم واستينافكم، بمنه....

---

(1) كذا في الأصل.

(2) لعل هذا يشير إلى أن الجهة المقدَّم عليها هي إحدى جهات أو مدن الجنوب الواقعة على مسلك تجاري هام خاصة درعة أو سجلماسة، حيث كثر عيث عرب المعقل وغيرهم بالمنطقة.

[التقديم الثامن والعشرون] :

تقديم آخر

..... أدام الله كرامتهم بتقواه، ويَسَّرهم[1] للتعاون على ما يرضاه ؛ وإنا كتبناه كتب الله لكم عافية تتبوأون أكنافها، وعارفة تستدِرُّون أخلافها، وأن تعلموا أنّا نتخولكم من جميل النظر ما يصلح أحوالكم ويمهّد حِلالكم، ويُجري مصالحَكم كلها على ما يوجب بفضل الله تعالى في كنف الدعة والأمان احتلالكم، قياماً بما لله عز وجل علينا في حياطة الرعايا وإماطة الشكايا وتأمين البلاد، وتمكين أسباب الصلاح والسداد، والله تعالى يُمدّنا في ذلكم بتأييده وتسديده، ويُنجدنا على ما نتولاه للمسلمين من جميل السعي وحميده ؛ وقد رأينا بعد استخارة الله تعالى واستمداد توفيقه، والاستنجاد به على سلوك سَنَن السَّداد وطريقه، أن نقدِّم **لضبط أشغالكم وربط أعمالكم** أبا فلان، **أدام الله كرامته**، ووصل إنجاده وإعانته[2]، وهو الذي شُكِرت تصرفاتُه كلها وتناولاتُه، ووُصفت بحسن الأثر مقاصدُه ومنتحياتُه، وجرت على وتيرة قويمة وسيرة رفيقة محاولاتُه ؛ لذلكم أمضينا النظر في تقديمه على ما لديكم من **المصالح والأعمال، وإفراده** من تلكم الأشغال، بما يبذل في القيام به بحول الله أتم الغناء والاستقلال، وقد أوصيناه من التزام تقوى الله تعالى بما هو أنفع عُدَّة للحال والمآل، وأن يسير فيكم على أوضح جوادّ الاستواء والاعتدال، وأمرناه أن يؤمّنكم بما يعمله في ردع **أهل الفساد** من الاشتداد، وأن يحميكم من أن تصل / إليكم **الأيدي المعتدية** بالاستطالة عليكم والامتداد، وأن يأخذ في كل ما فيه استقامتكم وصلاحكم بغاية الجد والاجتهاد، وأكدنا عليه في استيفاء **واجبات المجابي** واستخراجها، وإجرائكم من المعدلة على أوضح منهاجها، جامعا في ذلكم بين اقتضاء الحق وتمشية الرفق، وحددنا[3] له في **إزالة المحدثات ورفع المظالم**[4]، والوقوف مع ما للشرع الذي تعبّد الله تعالى به عبادَه من الحدود والمعالم، ما لانزال نحدّه لكل من نستعمله، ونوصيه بالانتهاء إليه في ما يقوله ويفعله.

ي/43

فإذا وافاكم بمعونة الله سبحانه فائتمروا له أحسن ائتمار، وابتدروا للتعاون معه على مصالحكم أجمل ابتدار، ولا تتعدَّوْا سبيل الانقياد فيما هو عليكم بالخير عائد، ولكم بحسن الطاعة والامتثال شاهد، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يضفي ظلال الأمن على أرجائكم، بالنجح واليمن لأملكم ورجائكم، بمنه....

(1) في الأصل : ويسّركم. والعادة تقتضي في مثل هذه الجملة من الصدر ــ وقبل عبارة «كتبناه كتب الله لكم» ــ أن يكون الخطاب بضمير الغائبين، قارن مثلا مع التقاديم السابقة : 5 و9 و14 و16 و17 و18 و20 و25 وتقاديم لاحقة، وعن بعض مميزات الكتابة انظر الفقرة الرابعة من المقدمة.

(2) لعل المولّى هو من شيوخ الموحدين أو من السّادة حسب الدعاء له وإفراده «بالأعمال»، راجع خصوصيات التقاديم في الفصل الرابع.

(3) في الأصل : وجددنا.

(4) هذا من جملة التقاديم التي وقع فيها التصريح بضرورة رفع المحدثات والمظالم، وقد سبقت نماذج منها وستأتي نماذج أخرى.

[التقديم التاسع والعشرون] :

وفي مخاطبة جمهورية في ذلك المعنى

..... وأن تعلموا أنّا نستقبل بلادكم بالنظر الذي يمهّد أكنافَها، ويجدّد لها أحسن ما عَهِدته من الهدوّ والهدون، والاطمئنان والسكون، والتعهد بما يحوطها ويحميها ويفي لها باجراء المصالح في كل الأمور والشؤون ؛ وبمقتضى ما لنا بكم من جميل العناية التي نستصحبها في جوانبكم، والرعاية التي نضفي ظلالها على شاهدكم وغائبكم، والحياطة التي لانزال ننوطها بكم، اخترنا لتولي **أشغالكم كلها**، والتقديم على **إجراء أعمالكم** على أقوم سُبُلها، والنظر (المطلوب)[1] في أكثر مصالحكم وأقلها، فلان[2] **وصل الله مبرّته**، ووالَى مكانته وحظوته[3]، وهو الذي بان جميل أثره في كل التصرفات، وتميّز من حميد الغَناء في التناولات بأحسن الصفات، وتناسبت ذاته وخِدَمُه ووسائله وذِمَمُه، في السوابق التي أوجبت **لسلفه في حزب التوحيد**[4] كريم المزيات، وأنه ليوافيكم منه مَن عرفتم إدارته التي حَسُنَت قبلُ فيكم[5]، وشكرتم (متـ......)[6] الحميد في ضبط نواحيكم،/ وألفتم سياسته المشكورة في **استخراج مجابيكم** ؛ وقد ألقينا له من الوصايا التي وصى الله بها عباده من التزام تقواه، وإيثار الحق واجتناب سواه، ما هو متلقّيه بالإسماع والإصغاء، وحددنا له أن يسير في تأمين البلاد، وكفّ أهل الشر والفساد أحسن سيرة، وأن يكون مَن يجري الأصلح قولاً وعملا على البصيرة، ولا يغضي عن ذي جريرة، ولا يدفع لِحَقّه عن معروف بمجاهرة في الفساد أو سريرة، حتى يكون الصلاح محبا للقلوب، ويسلك الجماهير في السداد والاستقامة على أقوم أسلوب، ويقتضي مع ذلك **الواجبات في الأموال** أوعب اقتضاء، ولا يؤخّر حقا من حقوق الله عن محلّ أداء، ويتولى ذلك من الرفق بما لا يُخلّ بمقصودِ استخراجٍ للجبايات واستيفاء.

44/ظ

فإذا وافاكم فلتُسَرُّوا بتخيّره لكم وتقديمه عليكم، ولْتكونوا من الطواعية على أتم ما يصل به لاستيعاب حقٍّ لديكم، ولْتنقادوا في كل أحوالكم أحسن انقياد لما يلقيه إليكم، ولْتكونوا يدا واحدة في الائتمار في ما لكم وعليكم، فذلكم بالخير عائد (على)[7] عامّتكم وجمهوركم، وسائقٌ لكل ما تحبّون من ابتهاج نفوسكم وانشراح صدوركم، ومؤكّد لما تصلُح[8] به جميع أموركم، إن شاء الله تعالى.....

(1) كلمة مأروضة جزئيا.

(2) كذا في الأصل، والصواب : فلاناً.

(3) انظر الهامش 2 على التقديم السابق.

(4) هذا ما يؤيد الملاحظة في الهامش السابق.

(5) لا يتضح هنا هل كانت ولايته السابقة متصلة بهذه الجديدة أم غير متصلة زمنيا، فعندما تكون متصلة يشار ــ عادة ــ إلى إقراره في هذه الولاية حسب بعض التقاديم..

(6) كلمة مأروضة.

(7) كلمة ناقصة في الأصل.

(8) في الأصل : نصلح.

[التقديم الثلاثون] :

مخاطبة أخرى في ذلك

إلى الأشياخ والفقهاء والوزراء والأعيان والحسباء، الأولياء الخلصاء الصرحاء، الأعلام المعروفين بسَداد المذاهب وشرف الأنحاء، والكافة المعتمدين بحفظ الجوانب وتمهيد الأرجاء، من أهل الجزيرة الخضراء[1] وجميع أنظارها، أدام الله صلاح أحوالهم ونجاح آمالهم، وعرّفهم انتظام أمورهم وأمنية حِلالهم، سلام.

أما بعد، فإنا نحمد الله الغالب وحده، ونشكره على فضله الذي لن نحصره ولن نعدّه، ونصلي على سيدنا محمد رسوله المصطفى الذي بلغ وعيده ووعده، وعلى (آله) وصحبه الكرام الذين وَفَوا في إظهار دين الإسلام / قصده، ونرضى عن الامام العباسي أمير المومنين[2] الذي أحرز حسامَ ابن عمه رسول الله وقضيبه وبُردَه[3]، فإنا كتبناه — كتب الله لكم اطّراد الصنع الجميل، وسلك بكم في تعرف اليمن والمنّ على واضح السبيل — من فلانة[4]، ونحن نغلب بالله تعالى أعداء دينه، ونستمد من عونه وإنجاده ما يوفي أكمل عوائد تأييده وتمكينه، ونسأله أن يُعلقنا في إقامة أمره[5] وإظهار حقه بقويّ حبله الذي أمر بالاعتصام به ومتينه، ولدينا من استصحاب النظر الأسدّ في أموركم، وإعمال الخاطر في ما يعود بعاجل الخير وآجله على خاصتكم وجمهوركم، ما نرجو أن يعيد إليكم جِدّة الزمان، ويؤويكم كنف الأمان، ويُفيض عليكم ظل العدل والإحسان، والله يعرّفنا وإياكم يُمْنَ هذا القصد، ويسلك بنا سَنَن الهدى والرشد بمنّه.

ي/45

وبحسب اعتنائنا بمكانكم، واعتمالنا في تمهيد أوطانكم، تخيّرنا لولاية مصالحكم وحماية دانيكم ونازحكم من لم يَعْدُه الاختيار، ولم تُعرف منه إلا المساعي الجميلة والآثار، ذلكم خاصتنا فلان، وصل الله عزته وأدام أثرته[6]، وما خصَصْناكم منه إلاّ بالاخصّ لدينا، والأحقّ بمزية القرب إلينا، فهو

(1) كان نفوذ ابن هود بها قبل هذه الفترة (انظر الهامش 2 في التقديم الخامس)، غير أن نفوذ دولته أخذ ينهار منذ مقتله في أواخر جمادى الأولى 635، على يد ابن الرميمي صاحب ألمرية (البيان 335 — 336، نفح 581/2 — 582، الحلة السيراء 249)؛ ودخل ابن الأحمر في بيعة ابن هود، ثم انقلب إلى الموحدين ودخل في صراع مع الإمارة الهودية سنة 635 باحتلاله غرناطة (العبر 366/4 — 367).

(2) الخليفة العباسي هو أبو جعفر المنصور المستنصر بالله (623 — 640).

(3) أي شارات الخلافة في الإسلام.

(4) لعلها مرسية عاصمة ابن هود.

(5) نلاحظ هنا غياب العبارة الموحدية «هذا الأمر العالي» أو «الأمر العزيز» أو «حزب التوحيد»، مما يساعد على تمييز الرسائل الموحدية من غيرها.

(6) لاحظ هنا التشابه في الدعاء بعد الاسم مع ما في الرسائل الموحدية مادام المقدّم من الخاصة فيما يبدو.

الذي له ولأبيه المبرور سابقة السوابق، ومكانة الولاء الخالص والاعتقاد الصادق[5]، وقد أنهينا إليه من الوصايا ما يوفّيه في جميع جهاتكم إصلاحاً لها وتمهيدا، وألزمناه من إقامة مهماتكم ما لا تُعدمون معه حالا حسنة وقصدا سديداً، وستَلقَوْن منه من يَجري على سَنَن التعيّن وسبيله، ويُوفي ما يليق بصميم[7] حسبه وأصيله.

فإذا وافاكم فاقدُروا قدرَ إيثارنا لكم منه، فأثر أوليائنا الجلّة وتقديمنا عليكم منه، لمن استظهر بالسلف الأشرف والذّات المستقلة، واعلموا أنه عنوان عنايتنا الحافلة لجوانبكم، والخلصان الذي أهلناه تمهيد جهاتكم وتسديد مذاهبكم ؛ فلا تغبُّوه نصحاً وجِدّاً في كل الأحوال، ولْتستشعروا من الاغتباط بولايته ما يقضي للخيرات لديكم بالاطّراد والاتّصال، ويوجب لكم التعهد منا بالنظر الذي تستقبلون به الصلاح الشامل كل الاستقبال، إن شاء الله تعالى، (وهو سبحــ)ـانه يسعدكم بهذا التقديم،/ ويضاعف قِسَمكم من الصنع الجميل والمَنح الجسيم، بمنّه، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته، كُتب عَقِب شهر رمضان المعظم سنة خمس وثلاثين وستمائة. ي/46

---

(7) في الأصل : بصمم.

[التقـديـم الواحـد والثلاثـون] :

وفـي المعنـى

..... وإنا كتبناه، كتب الله لكم ولأحوالكم انتظاما والتئاما، وخوّلكم أجزل عوارف التوفيق والتسديد أقساما، وأن تعلموا أنا نعتمدكم بالاعتناء الكريم خاصة وجمهورا، ونصرف إليكم من النظر الجميل ما يقرّ منكم عيونا ويشرح صدورا ؛ وبمقتضى ذالكم قدّمنا فلانا ليتولى أموركم بالنظر الأسدّ أحسن تولٍّ، ويمضي في **مصالحكم** ما يؤدي الرأي الأنجح إليه من عقد وحلّ، ويأخذ بكم في خدمة **هذا الأمر**[1] بالمَناحي التي تُقرّبكم إلى أوليائه زلفىً، وتعتقد لكم في الاختصاص به والانتظام في خلصائه حرمة أكيدة وحَلفاً، وتُدِرُّ عليكم إحسانه العميم وإفضاله الجسيم خِلْفاً فخِلْفاً، وهو ـــ أعزكم الله ـــ مَن بانَ غَناؤه في كل ما يتولاه على تردّد التصريف له والاستعمال، وازدان في جميع تصرفاته وتقلّباته بحميد المذاهب وجميل الخِلال ؛ وقد تلقّى من الذِّكَر النافعة والوصايا الجامعة ما يُجري عليه محاولاتِه كلّها وأعمالَه، ويبذل في العمل به انتهاضه واستقلالَه.

فاخدُموا معه في تلكم البلاد، الخدمة التي تَردع عنها **أهلَ الاعتداء والفساد**[2]، وتوفي[3] أحوالها معهود الاستقامة والسّداد، وانقادوا إليه في كل ما يحملكم عليه أتم الانقياد، وكونوا يدا واحدة في الإعانة له على جميع المصالح والإنجاد، واستمِرّوا من ذلكم على ما يقضي لحظوظكم من الحظوة لدينا بالازدياد، ويعتمد آمالكم منا بالإسعاف والإسعاد، ويعرض أعمالكم علينا في عدد المستحسَن المستجاد، ويُؤكد[4] ما لكم إلينا من ذِمم الجدّ في الخِدم والاجتهاد، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يستعملكم في التعاون على الأصلح من الأعمال، ويمنحكم بتقواه سعادة الحال والمآل،/ ي/47 بمنه....

---

(1) الدولة الموحدية فيما يبدو.

(2) التركيز في هذا التقديم على الجانب الأمني دون الإشارة إلى الجبايي، وهذا ما قد يجعل المقدّم غير عامل للجباية، بل قائد عسكرٍ أو والياً، لاحظ التقاديم اللاحقة أيضا.

(3) في الأصل : نوفي.

(4) في الأصل : نؤكد، والسياق يقتضي إسناد الفعل إلى الغائب.

[التقـديـم الثانـي والثلاثـون] :

تقـديـم آخـر

..... كتب الله لكم اتفاقا على مصالحكم الجامعة، واستباقا لما يعرض عليكم من الذِّكَر النافعة، وأن تعلموا أنا نحظكم من جميل الالتفات بحظ وافر، ونصرف إليكم من النظر المُحسِّن لأحوالكم ما يبهج منكم كل نفس ويقرّ كل ناظر، ونتعهدكم مع الأناء بما يسكِّن منكم كل بالٍ وخاطر، ذلكم لأنكم من الخدماء الذين تقرَّبوا بصدق جدّهم واجتهادهم، ويدُلّ تسرُّعُهم إلى الخِدم التي بها يومرون على خالص ولائهم لهذا **الأمر العلي**[1] واعتقادهم، والله تعالى يسلك بكم في كل ذلكم على سُبل السبيل، ويُؤوِيكم من تسوّغ النعمى والرحمى إلى الظل الظليل، بمنه ؛ وإنا قدّمنا عليكم — بعد استخارة الله تعالى — فلانا وهو ممن تميّز بحسن الغَناء وسَداد الأنحاء، فاخترناه لينظر **في مصالحكم** ومهماتكم، ويتعهدكم بحسن السيرة في كل أوقاتكم، وقد وصيناه بتقوى الله التي هي أسّ كل عمل صالح، وأن يسلك منها في كل محاولاته على سَنَن واضح، وأكّدنا عليه في أن يُجري أموركم على الحق والرفق، وأن لا يعدلَ فيكم عن أقوم الطرق، **وأن يشتد على أهل الشر**[2] بما يزجرهم عن شرّهم، ويأخذ بمقتضى الشرع في أمرهم.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فأعينوه على إعمال هذه الوصايا كل الإعانة، وكونوا معه يدا واحدة فيما[3] يحملكم عليه من مصالح الدنيا والديانة، واستمِرُّوا في الخدمة على ما يزيدكم منا التفاتاً واعتناء، وأظهروا من حسن الطاعة ما يوجب لِقسم الخيرات لديكم وُفوراً وَنماءاً، إن شاء الله تعالى....

---

(1) هذه صيغة موحدية أيضا.

(2) يخلو التقديم من الإشارة إلى المهام المالية كما هو حال التقديم السابق.

(3) كذا في الأصل، وهذه من الحالات النادرة، إذ في الغالب ترد هكذا : في ما.

[التقديم الثالث والثلاثون] :

وفي تقديم آخر

.....[1] إلاّ الخيرُ المنهلُ الرَّباب، واليسرُ المنسدِلُ الإطناب، وإنّا لِما نوثره من النظر لكم، ونتوخاه من تخيّرِ مَن نقلّده **شغلكم**، قدّمنا فلاناً وهو **الخديم القديم**، والناصِحُ الذي نستصحب حسن الطوية ونستديم، ومَن (رَبَّته ....)[2] في حِجر كفالتها، وضرَّجته المهذَّب / الأريب في ظل إيالتها، وله **السلف الأكيد الخدمة**، الخليق بشكر النعمة، (المُفني)[3] في خدمة **هذا الأمر العالي** وُسع الطاقة ومُمكن الهمّة ؛ وقد وصّيناه ــ وهو العامل بالوصية ــ بالسعي في **التهدين**، والإحياءِ لمعالم الدنيا ومعالم الدين، وردِّكم إلى القانون الشرعِيِّ والديدن[4] المَرعِي[5].

ي/48

فتلقَّوْه تلقِّيَ جَزْلٍ ومسرَّةٍ، وعامِلوه معاملة إكرامٍ ومَبَرَّة، واستشعِرُوا الصلاح بتوليته فله الدين الصحيح والشيمة الحرّة ؛ وقد أثرناكم به على سواكم[6]، فاشكروا الله تعالى على هذه الأثرة، والله يحمله وإياكم على السَّنَن الأقوم، ولا يُخْليكم وإياه من الخير الأبقى واليسر الأدوم.....

---

(1) قارن هذه البداية مع بدايات التقاديم 35 و44 و61 و62 و64.

(2) تأثير الأرضة على كلمتين لعلهما (ربته الحضرة).

(3) طمس جزئي للكلمة.

(4) في الأصل : والذيذن.

(5) هل يقصد إلغاء ضرائب غير شرعية، أم ردّ السكان إلى الطاعة بعد تمرّدهم أو دفع الاعتداء عن منطقتهم كما هو التلميح في عبارة : «ووصّيناه بالسعي في التهدين»، لعل هذا أرجح، مما يجعل هذا التقديم من صنف تقاديم القادة أو الولاة وليس من عمال الجباية.

(6) قارن مع التقديم 35 : «فاعرفوا قدر ايثارنا لكم به».

[التقديم الرابع والثلاثون] :

وفي تقديم آخر

(بعد الصدر)[1] فكتبناه كتب الله لكم نظرا يوافقكم اختياره، ويطابقكم استحبابه وإيثاره، وقد قدّمنا عليكم فلانا لينظر في مسائلكم الدنيوية أحسن النظر، ويسير في ما بينكم أعدل السير، ويأخذ بالحق إذا تبيّن للضعيف من القويّ، ولا يحيد في مُتناولاته كلها عن المنهج السويّ، ووصّيناه بتقوى الله تعالى **فهي** العُدّة المسجية، والسِّيرة المشكورة في الأندية، وأمرناه **بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ومحو **آثار المفسدين** والفساد حتى لا تذكر ولا يذكر[2].

فإذا وافاكم إن شاء الله فأعينوه على تمشية هذه الأغراض المبرورة، وكونوا له فيما يمضيه من المصالح كالرّوح للصورة، واتفِقوا، ففي الاتّفاق كل بركة، ولا تختِلفوا، فمع الاختلاف كل هلكة، ونحن نتفقد أحوالكم وأحواله، ونكافىء بالواجب إقبالكم على هذا الرّسم المحدود وإقباله، إن شاء الله تعالى....

---

(1) كذا في الأصل، مما يرجّح أن التقاديم المبدوءة بعبارة «انا كتبناه» أو «كتب الله لكم»، مبتورة الصدر، انظر الفقرة الرابعة من المقدمة. (د)

(2) هنا أيضا يغيب ذكر المسائل المالية كما في التقديمين السابقين.

[التقديم الخامس والثلاثون] :

وفي تقديم آخر

..... كتب الله لكم نظرا يقع بوفقكم، واختيارا يصلح من أفقِكم (..)[1] إلاّ الخيرُ الهامي السحائب، واليسر الحامي القواضب، (والحمد لله)[2] حمْداً (تكفّل)[3] بالمنّ المتصل والفضل المتعاقب، وقد / رأينا أن نقدّم فلانا للنظر في **مصالحكم، والذّبّ عن مَساربكم ومَسارحكم،** ي/49 والاشتغال بالدقيق والجليل من أموركم، والانتهاض بمهماتكم[4] وخاصتكم وجمهوركم، وهو **المجرّب اضطلاعُه** واكتفاؤه، والمختبَر انتهاضُه وغَناؤُه، والمشكورةُ قديما وحديثا مساعِيه كلُّها وأنحاؤه، ومن لا يحرم[4] يمينا ولا شمالا عمّا نوثره من السيرة الحسنة ونَشاؤه، ولاتزال واقعة بالوُفق غَيبةً وحضرة آثارُه وأنباؤه، ولا يزيده على ما عنده من الجد والاجتهاد والبعد عن مظانّ التعقب والانتقاد تنبيهُه وإيصاؤه.

فاعرِفوا **قدرَ إيثارنا** لكم به[5]، وأعينوه على[4] مقصده من حُسن المعاملة ومذهبه، واعمَلُوا جميعا في إظهار **المعروف وإخفاء المنكر** بألزمِ حق وأوْجبِه[6]، والله[4] يعينكم وإياه، ويمُدّكم بمراقبته في كل الأحوال وتقواه.....

---

(1) قارن مع التقديم رقم 44.

(2) كلمتان مأروضتان.

(3) كلمة مأروضة الوسط، قارن مع التقديم رقم 44.

(4) كذا، قارن مع التقديم رقم 44.

(5) انظر الهامش 6 على التقديم 33.

(6) هنا أيضا المسؤولية أمنية دون ذكر الجبايات.

[التقديم السادس والثلاثون] :

وفي إقرار والٍ والاستنامة إليه في كل حال

..... أدام الله تعالى بالأمنة والعافية تمهيد أوطانهم، ووالى لديهم عوارف نعماه ولطائف رحماه في كل أحوالهم وأحيانهم ؛ وهذا كتابنا إليكم، كتبكم الله تعالى ممن تلاقى على البِرّ والتقوى إعلانُه وإسرارُه، وتوالى في إيثار السعي الأجمل الأرضى إيقانُه واستبصارُه، وأن تعلموا علم يقين أنّا بمصالح بلادكم ـــ حاطها الله تعالى ـــ معتنون، ولكل ما فيه صلاح أحوالكم ونجاح آمالكم منثنون، نقدّمكم في كل نظر جميل نُعمِله، ونبدأ بكم[1] في ما نواليه من الحياطة للبلاد وأهلها ونصله، **ونحضر ذكر ابتدارِكم إلى الطاعة والانتظام في الجماعة**[2] فلا نهمل الرعي المستصحب له مع الأناء ولا نغفله ؛ وبمقتضى هذا نتعهدكم بحفيّ السؤال عن شؤونكم، ونعتمدكم من كريم الالتفات في كل الأوقات بما يحسبكم إبهاجا لنفوسكم وإقراراً لعيونكم، ولن تتعرف[3] بحمد الله من أموركم، وما تجري عليه أحوال خاصتكم وجمهوركم، إلاّ خير ما يتعرّف من رعية استقامت على الطريقة المثلَى، وأقبلت من مهمات دينها ودنياها على الأحق الأوْلَى، وانقادت طوعَ واليها للمساعدة على ما / من مصالحها يتولّى ؛ فلذلكم نتلقى أعمالكم بالإحماد والاستحسان، ونحظيكم بما يتقاضاه لكم حسن طاعتكم من تمشية العدل فيكم والإحسان، وواليكم المخاطب الآن معكم **الشيخ أبو عبد الله**، أنجده الله تعالى على تقواه وأعانه، وسدّد قصده في كل المحاولات ويَمَّن شأنه[4]، هو كما تعلمون **السابق هنالكم إلى اظهار دعوتنا**، والصادق الإهابة بكم لعقد بيعتنا، والباذل أقصى جدّه واجتهاده عن خلوص من نيّته وصفاء من اعتقاده في أنواع خدمتنا، ولهذا وقف الاختيار عليه في أن **ينفرد** بتولّي أشغالكم، وتعرف[5] له من حسن الآثار ما أوجب الاستنامة له في القليل والكثير من ذلكم، ومازلنا نستعلم منه في تناولاته وكافّة تصرفاته ما نزداد به اغتباطا، ونستجلي من سَداد مذاهبه ومَناحيه ما لايزال على دينه وأمانته فيه محتاطا، فاستخلصناه بما من خلوصه تيقّنّاه استخلاصنا لمن تتأكد به عنايتنا من الخدماء، وأوجبنا له الأثرة التي لا نوجبها إلا للخلصاء الأصفياء والنصحاء الصرحاء، هذا هو الذي

50/ظ

---

(1) هنا أيضا ادّعاء بعناية خاصة بالمقدّم عليهم.

(2) يدل هذا على كون البلد خرج عن النفوذ الموحدي (إن صح أن الرسالة موحدية) قبل العودة إليه، حدث هذا في اشبيلية بين سنتي 627 و634، وفي سجلماسة أكثر من مرة، وفي سلا سنة 649 (القرطاس 296). فمن يكون المقدّم ؟ نجد اسم (أبو عبد الله) المذكور بعدُ كنية للقطراني ببسجلماسة (البيان 415 ـــ 419) وللوالي على سلا ابن أبي يعلى. (البيان 402 و421).

(3) كذا في الأصل.

(4) راجع خصوصيات مثل هذا التقديم (في الصنف الأول) من الفصل الرابع.

(5) كذا في الأصل.

نجزم العقد عليه في جانبه، والذي نوالي بحسبه جميل اللّحظ له وكريم الاعتناء به، فإن أرجف بغير ذلكم مُرجِفٌ فقد أعظم الافتراء، وأساء الاجتراء، وعَدَل عن مذهبنا السديد، وتَعرَّض للعقاب الشديد، **فلسنا نسامح من يفوه في أثرِ خدمائنا بالبهتان**، ولا نُقيل له عثرة تُحلّه محلّ المذال المهان، ونجعله نكالا لمن اعتاد بالافتيات لإطلاق[6] اللسان، وأنتم أكرمكم الله تعالى بمعزل عن هذا المقام، ومتنزّهون عندنا وعند واليكم من كل ما يشين على التفصيل والإجمال، فموالاتُكم **لهذا الأمر وأوليائه** في القديم والحديث معروفة، وجوانبكم منّا بالرعاية الموصولة على الدوام محفوفة، وجماعاتكم لدينا في ما تلتزمون من الأعمال المستقيمة بأحسن الخلال موصوفة، وإنما نتوعد بهذا الوعيد الشديد من نَكّب عن الجادة الواضحة، وهتف **بالأباطيل المخزنية** الفاضحة[7].

فاستمروا على ما أنتم بسبيله من حسن الائتمار لواليكم المذكور، وكونوا معه يدا واحدة في مهمات الأمور، وساعدوه بصدق / النيات وصفاء الصدور، واعلَمُوا أن ذلكم عندنا من أجمل (.........)[8] والمأمور، مما نوثره من عملكم المبرور وسعيكم المشكور، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يصل على طاعته اجتماعَكم وائتلافَكم، ويُديم اكتفالَكم بكلاءته ووقايته واكتنافَكم، بمنّه.... ي/51

---

(6) في الأصل : الاطلاق.

(7) يبدو أن المقصود بالمخزنية هنا ما يتعلق بالسياسة المالية، فكلمة المخزن لا يظهر أنها آنذاك ارتفعت عن هذا المعنى.

(8) كلمتان مطموستان.

[التقديم السابع والثلاثون] :

وفي إعادة وال

..... وأن تعلموا أنّا نعتمدكم بالنظر الضابط لأموركم، ونصرف عنان الاعتناء لما فيه صلاح خاصتكم وجمهوركم، ونتعهّدكم من جميل النظر بما فيه تسنّي مرجُوّكم وتلاشِي مَحذوركم، إحظاءً لكم بأوفر حظ مما نوفيه للبلاد من الرعاية لأهلها، والحماية التي تُجريهم من الأمنة والعافية على أقوم سُبُلِها، والله تعالى يَحْملنا من ذلكم على ما يصل به الخير ويعم، ويُكمل مقصود الحياطة لجميع الرعايا ويُتمّ، بمنّه[1]، وقد رأينا والله تعالى يسدّد الرأي الذي نراه، ويعرّف اليمن في ما نتوخاه، أن **نعيد**[2] **إليكم** أبا فلان ليتولى النظر على ما كان عليه في أموركم **المصلحية والمخزنية**[3]، ويُجريكم[2] في كل أحوالكم على الجادة السّوية، وهو ممن أَلِفتم قَبُل جِوَارَه، وعرفتم إيراده فيكم وإصداره، وقد تميّز لدينا بحميد الغَناء وسديد الأنحاء، ووصّيناه بتقوى الله تعالى في كل ما يتولاه، وأن يراقبه سبحانه في سرّه ونجواه، وأمرناه أن **يشتدّ على أهل الفساد**[4] حتى ينقطع إضرارُهم، أو تَحسُن بمراجعة السَّداد آثارُهم، وأن تكون محاولاتُه كلها جاريةً على سَنَن الحق المستبين، وتناولاتُه غيرَ عادلة عن العدل الذي بميزانه[5] أرجح الموازين، وأن يجتهد في ما أسندناه إليه اجتهاداً مبنيا على راسخ من الدين.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانتظِموا عليه، وائتمروا إليه، وكونوا معه يدا واحدة في كل ما يُصلحكم ويحمي جهاتكم، ووالُوه الموالاةَ المشكورةَ في كل أوقاتكم، إن شاء الله تعالى...

---

(1) كلمة (بمنّه) تأتي عادة في آخر الرسالة، فهل مثل هذه الرسالة تمثل نموذجا لكاتب آخر ؟

(2) في الأصل : أن يعيد إليكم .... ويجريكم.

(3) يبدو أن هذا الوالي من مرتبة العمال، فمهامّه محدودة في الأمور المصلحية (الأمن) والمخزنية (المالية).

(4) مناطق «الفساد» متعددة في عهد المرتضى، منها الضغط المريني على سلا، والأطماع في سجلماسة وثورة ابن يدّر بسوس.

(5) كذا في الأصل، والأصح : الذي ميزانُه.

[التقديم الثامن والثلاثون] :

وفي تقديم شيخ قبيلة

ي52/ .... كتب الله لكم استبشارا بجميل النظر الذي يتعهّدكم، واستشعارا للخير الذي / يوافيكم ويَرِدكم ؛ وأن تعلموا أنّا لم نغفل الاعتناء بما يُفيض الأمن[1] على جميع البلاد، ويحسم **أدواء الفساد**، في الحاضر والباد.

والآن، ولله الحمد على ما أمدّنا به من الإعانة والإنجاد، ويَسَّرنا إليه من إعمال الإصدار في تمشية المصالح والإيراد، قد أنهضْنا **العسكر المبارك**[2] ـــ أظفره الله تعالى وأنجده ـــ صحبة من تخيّرناه **من الموحدين** مع أبي فلان الذي قدّمناه **لأشغال العرب**، وأهّلناه لنصحه في خلوصه إلى أكرم الرُّتب.

وبعد أن وصل العرب بجموعهم إلى بابنا، وبادَروا إلى الخير الذي أَلِفُوه[3] في جانبنا، **وتعاقدوا على السمع والطاعة**، وبذلِ الوُسْع في الخدمة والاستطاعة، وجَرَت أمورُهم لدينا على أحسن انتظامِها، ووادَعونا على إدامة النصيحة (والـ...... مها)[4]، ووراءَ ذالكم من نظرِنا الموصول ما يَفِي إن شاء الله بتحسين الأحوال وتمهيد الأوطان، **وردْعِ أهل البغي والعدوان**، وإفاضةِ العدل والإحسان، على كافة أهل البلدان.

فكونوا على يقين من إقامة كثير من مصالحكم وقليلِها، وإجراءِ أموركم من جميل التفقد والتعهّد على أوضح سبيلِها، وأقبِلوا على أشغالكم، واستصحِبوا لما يعود عليكم بالصلاح من أقوالكم وأعمالِكم، وثِقُوا بأنّا لا نُخْليكم من نظرٍ مُصلحٍ لجميع أحوالكم، إن شاء الله تعالى...

---

(1) في الأصل : الأمر.

(2) هل «العسكر المبارك» يعني قوات موحدية قبلية ؟ انظر الجانب العسكري في الفصل الخامس.

(3) في الأصل الفاء منقوطة من أعلى فتصبح (ألقوه).

(4) كشط وسط هذه الكلمة الموزّعة بين نهاية سطر وبداية تاليه.

[التقديم التاسع والثلاثون] :

تقديم شيخ آخر

..... وأن تعلموا أن **العرب**[1] مخصوصون من دعوتنا بما نشأ فيه أسلافُهم من إفاضة الإنعام عليهم وإسداء العوارف عليهم، وأنتم فيهم ممن تُشكر خدمتُه وتُلحَظ ذمّته ؛ وبمقتضى ذلكم خاطبناكم لتبادروا لما بادر إليه العرب إخوانُكم من الخِدَم التي نُستحْسَن[2] منكم وتُستجاد، وتَصِلوا إلى الانتظام معهم ومع (...... الكماة)[3] الأنجاد، في **المحلّة المباركة** ــ يمّنها الله تعالى ــ باذلين الاجتهاد الذي يحظيكم (......... الاعتناء)[4]، ويفيدكم **أفضل ما عُوِّدتم** من الإيثار (والاحتفاء)، (وقد عَلِمتم أن)[5] أبا فلان كان (........)[6] **الدعوة العلية**، وخليقاً لديها لصدقه / وجِدِّه بالحُظوة الحَظيّة ؛ ولما توفي **أبقينا ولده في مكانه**[7]، ونوَّهْنا بتقديمه على العرب من شأنه، وقدّرْنا فيه أنه يسلك في الخِدمة مسلكَ والده، وأن لا يعدلَ عن مشكور مقاصده، فما عدا أن كَفَر النَّعْماء، وجَلَب إلى نفسه بسوء أفعاله الأسواء، **وأخرناه وقدّمنا عمّه** فلانا[7] **على العرب ليضبط أمورَها**، ويسوس أحسن سياسة جمهورَها.

ي/53

فأعلمناكم بذلك لتبادِروا إلى ما بادر إليه إخوانُكم، ولتستبِقوا إلى الخدمة مُرسَلا فيها عنانُكم، على ثقة مِن تجدّدِ الالتفات والإكرام، وتعهُّدِ المنِّ والإنعام، إن شاء الله تعالى....

---

(1) يبدو أنهم عرب سفيان، راجع الهامش 7 بعد.

(2) في الأصل : الذي نستحسن.

(3) كلمتان غير واضحتين بفعل الأرضة والكشط، يبدو أن الثانية هي كما أثبتناه.

(4) كلمتان تعرضتا للكشط، يبدو أن الثانية هي كما أثبتناه.

(5) كلمات مطموسة يبدو أنها هكذا : «والاحتفاء، وقد علمتم أنّ».

(6) قدر كلمتين مأروضتين.

(7) راجع خصوصيات هذه الرسالة مع ما بعد اللاحقة (41) في الفصل الرابع.

(تقديم)[1] آخر في معناه

..... كتب الله لكم سُبوغاً للنعم عليكم، وإجزالا لِقِسَمها لديكم، وأن تعلموا أنكم (أرضياء)[2] دعوتنا المخلصون، وظُهَراؤها الناصحون ؛ لذلكم نعتمدكم بمزية الإكرام، ونصرف إليكم وجوه الاهتمام، ونُحظيكم في كل الأحوال بمزيد الإنعام، والله تعالى يعرّفكم سُبوغ الخيرات على الدوام، بمنّه[3].

وإلى هذا فإنا قدّمنا الآن فلاناً على **الجيش** الذي أشخصناه الآن إليكم، ورأينا أيضا تقديمه على **الجيش الأول** ليَرجع الجيشان إلى نظره، ويجتلي في الخدمة بهم حُسنُ أثره، فهو المعروف بالغَناء، والمعروف بسَداد الأنحاء، وأمرناه أن يكون الجميع يداً واحدة معكم في **دفاع الأعداء**، وفيما يعود عليكم بالصَّلاح على ما يستقبلونه[4] من الجهات والأرجاء، وأن تُوالوا جميعاً الاجتهاد في كل ما يُردي أهل النفاق، وتُجرُوا في الخِدم كلها على مشكور (الاتفاق)[2]، ونحن نزيدكم الوصية في ضم جموعكم كلها واستدعاء من تأخّرَ **من العرب** (........كم)[5] وليكونوا مؤتلفين على الجد والنصيحة، متّفقين على (.........يحة)[6]، حتى يَرهبَ العدوُّ ــ قصمه الله ــ مكانَكم (...... وإضافته وأحيائكم، .... الجميل، وواصلوا ...... الكثير)[7] / من المحاولات والقليل، فاعلموا ذلكم[8]........ ي/54

---

(1) إضافة للتوضيح.

(2) كلمة مطموسة البداية.

(3) لاحظ الهامش 1 على التقديم رقم 37.

(4) كذا في الأصل، ولعل الصواب : تستقبلونه.

(5) قدر كلمتين مطموستين.

(6) قدر كلمة مأروضة في آخر السطر ثم كلمتين مكشوطتين في أوله.

(7) قدر سطر كلماته غير واضحة كلا أو بعضاً.

(8) قارن مع التقاديم 38 و39 و41 وخصوصيات التقديمين 39 و41.

[التقديم الواحد والأربعون] :

وفي آخر

..... أدام الله أثرته وكرامته بتقواه، وأكّد بما له لدينا من الحُظوة مَسَرّته وبشراه ؛ وإنا كتبناه كتب الله لكم استقبالاً لأجزل حظوظ النِّعم قِسَماً (.........)[1] فيما نرشحكم له من الأثرة والمزية أجمل الكرامات وَسْماً ورسماً، (وأن تعلموا.....)[1] ما استأنفناه لكم من الإحظاء لرتبتكم والإرْقاء، والاستخلاص (الذي لكم)[1] به أكرمُ شُفوف الخُلَصاء الخُدَماء، والإجراء لكم مَجرى **والدكم** في كل (مرام......)[1] به هذا الأمر من التقديم والتكريم والإنعام والإسهام (والفضل الذي)[1] **سبقتُم إليه في خدمتنا** أولاً من الجِدِّ والنصح والصفاء، وحفظاً (.........)[1] جرى عليه **أبوكم** بإبقائه منكم في أنجب الأبناء.

وبحسب هذا ــ أدام (الله ......)[1] قدّمناكم الآن **تقديماً مطلقا على كافّة إخوانكم عرب سفيان**[2] (...............)[3] يتولى جميع أشغالهم وأمورهم، ويتقدم على خاصتهم وجمهورهم، (..............)[1] لكم مع ذلك **النظر في آنفا**[4] حسب ما **كان أيضاً لأبيكم**[5]، وأسندنا جميع (أشغالها)[1] إلى حسن توليكم، **وأطلقنا يدكم** على ذلك كله **كإطلاق يده** قبل فيما (.........)[1] من نِعمة وإحسان، ورتب له من منزلةٍ أثيرة ومكان، وإجراء ذلكم في ذلك (كله)[1] مجراه، وإنافة بكم في الحظوة لدينا على مداه.

فاعلَموا ذلكم، وتنسَّطوا[6] (.........)[1] الثقة بإحساننا في كل آمالكم، وخذوا في الوصول إلينا والقدوم علينا (تجدون ....)[1] كل أمل وبغية وضّاحاً وسيماً، ولتنالوا لدينا الإنعام جزيلا (........)[1] جسيماً، ولتحُلُّوا في القرب منا والاختصاص بنا مكانا حظيّا، (.......... بما يزكو النعم عندكم وينميها ....

....

....)[7].

ي/55 / الناصح ؛ فبادِروا لتفوزوا بالحسنى والحظ الأسنى، وتتبوّأوا من إيثارنا لكم واعتنائنا بكم المحلَّ الأقرب منا الأدنى، إن شاء الله تعالى......

(1) وقعت تغطية لنهايات أسطر هذه الصفحة مما أخفى كلمة أو كلمتين من كل سطر عدا الأول.

(2) انظر خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الرابع.

(3) قدر كلمة مكشوطة أو كلمتين بسبب ما ذكر في الهامش السابق.

(4) انظر عن آنفا : الادريسي 48 (بيريس) وبسط الأرض 72.

(5) قارن مع التقديم 39.

(6) كذا في الأصل.

(7) ضاعت هنا ثلاثة أسطر في أسفل الصفحة بسبب الأرضة ثم التغطية أثناء الترميم.

[التقديم الثاني والأربعون] :

تقديم ناظر في المجبى[1] عن المعتضد

..... وإنا كتبناه، كتب الله لكم توافقا على المصالح[2]، وأن تعلموا أن النظر الجميل يسدد أنحاءكم ويُمهِّدُ أرجاءكم، ويُطْلِع عليكم من الخيرات ما يطابق أملكم ورجاءَكم، فأبشِروا من كريم التعهّدِ لأحوالكم، بما يَنظم أمورَكم، ويشمل خاصتكم وجمهورَكم، ويُقرّ عيونكم ويُبهج صدورَكم ؛ وبالله تعالى **نعتضد**[3] على ما نتولاه للإسلام وأهله من إفاضة البركات على جوانبهم وجهاتهم، وإجادة العنايات بمصالحهم ومهمّاتهم، وهو المانُّ بعَضْده، والهادي إلى سواء السبيل بقَصده، لا ربَّ سواه.

وبحسب ذلكم قدّمنا فلانا لينظر في مصالحكم النظر الأسدّ، ويتولّى في ضمّ **مجابي المخزن والمختص**[4] — ثمرهما الله — الجِدَّ الأشدَّ، لذلك وصّيناه بتقوى الله تعالى فيما قُدِّم إليه من ذلكم، وأمرناه أن يسلك جادّة الحق في كل أحوالكم، وحذَّرْنا له أن يستوفي **حقوق المخزن والمختص** هنالكم أتمّ الاستيفاء، وأن يكون في الضبط لأشغالها على ما قُدِّر فيه من الغَناء والاكتفاء، وأن يعمل في ذلك عملا ليُحظيه بالأثَرة والاعتناء.

فإذا وافاكم بمعونة الله، فارجعوا بجميع أشغالكم إليه، وأعينوه على كل ما قَصَرناه عليه، وتعاونوا معه على ما تُحمَدون أثرَه في حالكم ومآلكم، ويَظهر فيه المؤثَر المشكور من أعمالكم، إن شاء الله تعالى، وهو مُعينكم على ما يرضاه، ومُيسِّركم لأقوم سبيل وأهداه، بمنّه.

---

(1) مصطلح «الناظر في المجبى» ورد في هذه التقاديم بشكل محدود، بحيث يتبيّن أن هناك موظف يحمل هذا اللقب. انظر في الفصل الخامس الجوانب المالية.

(2) يبدو أن الجملة هنا ناقصة في المخطوط، قارن مثلا مع التقديم اللاحق حيث تذكر «التوصية» بين عبارتي «انا كتبناه.....» و«أن تعلموا....».

(3) الدعاء مقتبس من لقب الخليفة المعتضد.

(4) هناك من يعتبر أن المختص هو ملك المخزن (انظر محمد ماضور في «تاريخ الدولتين» الهامش بالصفحة 37، وعز الدين موسى في «النشاط الاقتصادي» ص 139 — 140)، لكن التقديم هنا يميّز بين «مجابي المخزن والمختص ثمرهما الله»، انظر في الفصل الخامس الجوانب الاقتصادية.

[التقديم الثالث والأربعون]

وعن الخليفة المرتضى تقديم عامل

..... وإنّا كتبناه كتب الله تعالى (لكم تعرّفاً للأصلح)[1] بكم والأولَى، وتصرّفاً فيما ي/56 يُحْظيكم / بخير في الآخرة والأُولى، من فلانة[2]، والذي نوصيكم به (إلى آخره)[3].

وأن تعلموا أنّا[4] نوفي نواحيكم ــ حاطها الله ــ من جميل الالتفات قسطَها، ونختار لها من يوالي حياطتها وضبطَها، ونُديم بثّ الأَمَنة في دانيها وقاصيها وبَسْطَها ؛ ذلكم بمقتضى النظر الذي قلّدناه لكم ولسواكم، وموجب الرعاية التي تَعمّ أنزَحكم وأدْناكم ؛ وبحسب ذلكم تخيّرنا الآن لتولّي **أموركم المصلحية وأعمالكم المخزنية**، وإجرائكم في كل أحوالكم على المَناهج القويمة السَّوية، الشيخ أبا فلان[5]، وهو في **حزب التوحيد** أثيرٌ مَكين، وسببُه في استحقاق المكانة وثيقٌ متين، وخِدَمُه في توخّي النصح والجد تتّضح وتَبين، وقد وصّيناه من تقوى الله وخشيته ومراقبته في سره وعلانيته بما هو أرسخ قواعد النجاة وأرساها، وأحق معتمدات أهل الإيمان وأولاها، وأمرناه[6] بأن لا يؤثِر على الحق يعمل به ويقوله شيء من الأشياء، وأن يلتزم العدل في كل المذاهب والأنحاء، وأن يتولّى مصالحكم وأعمالكم بمشكور الاضطلاع والغَناء، وأكدنا عليه في أن يستوفي **حقوق المجبى**[7] ــ وفره الله تعالى ــ وواجباتِه، ويبتغي إنماءَه وتثميره بكل محاولاتِه، ويقصُر على تصفح شغله وضمّ كُثْرِه وقُلِّه أكثرَ أوقاتِه، فالمرتفَع فيه إلى ما يعم المسلمين نفعُه مصروف، وعلى إقامة مهماتهم التي تشملهم موقوف[8]، فلا يجوز فيه المسامحة والادهان، ولا يميز في استخراج الحق واستقصائه بين مَن عزّ قدرُه أو هان[9].

---

(1) ثلاث كلمات تعرضت للكشط، ولعلها كما أثبتناه.

(2) لعل المقصود مدينة مراكش، انظر أيضا الهامش 5.

(3) الجزء المبتور هنا من أصل التقديم هو التوصية بتقوى الله والعمل بطاعته.

(4) في الأصل : أن.

(5) خلال هذه المدة المؤرخة يتحدث ابن عذارى عن تقديم المرتضى ــ وهو بمراكش ــ للقاضي أبي عمرو بن حجاج على سجلماسة، وكان قدّمه قاضيا بها من قبل عندما عاد القطراني إلى طاعة المرتضى فدبّر القاضي بأمر الخليفة مقتل القطراني «فاستقامت الأمور بسجلماسة»، «وعاد الفقيه أبو عمرو بعد ذلك إلى مراكش فقدمه المرتضى على جميع أشغالها» (سجلماسة)، البيان 419.

(6) في الأصل : وأمرنا.

(7) لماذا لم تذكر هنا المجابي المختصية، هل لأن المسؤولية هنا عامة بدون تحديد فتشمل الجانبين الأمني والمالي ؟

(8) لعله يقصد الدور الاجتماعي والأمني للجبايات، انظر دور «العامل» في الجانبين الإداري والاقتصادي في الفصل الخامس.

(9) ربما في هذا تلميح إلى بعض محاولات التملص من أداء الجبايات من «مَن عزّ قدره».

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فانقادوا إليه في كل الأمور، وكونوا يدا واحدة فيما يعود بالصلاح على الخاصة والجمهور ؛ ومما أوعزنا فيه إليه إعمال الجدّ والاجتهاد في محق آثار **البغي والفساد**[8]، والتلقّي لهم بالغلظة والإشْداد، فأعينوه على ذلكم وسواه من مصالحكم كل الإعانة، وتضافَروا معه على تمشية الحق تضافراً وفي النصح والدّيانة، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يديم كرامتكم بتقواه، وييسّركم لما فيه رضاه، بمنّه.

التاريخ غرة جمادى الأولى سنة سبعة وخمسين وستمائة.

[التقديم الرابع والأربعون] :

/ وعنه [أي المرتضى]

ي/57

..... كتب الله لكم نظرا يقع بوُفقكم، واختيارا يُصلِح من أُفقكم، ولا متعرَّفَ إلاّ الخيرُ الهامي السحائب[1]، واليسر الحامي (القواضب)[2]، والحمد لله حمدا تكفّل بالمن المتّصل، والفضل المتعاقب، وقد رأينا أن نقدّم فلانا للنظر في **مصالحكم، والذب عن مساربكم ومسارحكم،** والاشتغال بالدقيق والجليل من أمورکم، والانتهاض بمهمات خاصتكم وجمهورکم، وهو المجرّب اضطلاعه واكتفاؤه، والمختبَر انتهاضُه وغَناؤُه، والمشكورة قديما وحديثا مساعيه كلها وأنحاؤه، ومن لا يَحيد يمينا وشِمالا عمّا نوثره من السِّيرة الحسنة ونشاؤه، ولاتزال واقعةً بالوُفق غيبةً وحضرة آثارُه وأنباؤه، ولا يزيده على ما عنده من الجدّ والاجتهاد والبعدِ عن مظانّ التعقّب والانتقاد تنبيهُه وإيصاؤه[3].

فاعرِفوا قدر إيثارنا لكم به، وأعينوه على تمشية مقصده من حسن المعامَلة ومذهبه، واعمَلوا[4] جميعا في إظهار المعروف وإخفاء المنكر بألزمِ حقٍّ وأوجبه ؛ والله تعالى يعينكم وإياه، ويُمدّكم بمراقبته في كل الأحوال وتقواه[5]....

[التقديم الخامس والأربعون] :

تقديم آخر

..... وإنّا كتبناه[1] كتب الله لكم توافقا على المصالح، وتسابقا إلى العمل الصالح، وأن تعلموا أن النظر الجميل يُسدِّد أنحاءَكم، ويمهِّد أرجاءكم[2]......................................

---

(1) قارن هذه البداية مع بداية التقديمين السابقين 33 و35.

(2) في الأصل : القواصب. قارن مع التقديم 35.

(3) يبدو أن المقدّم هنا قائد عسكر، فالمهام محصورة في الإطار الأمني دون إشارة للجانب المالي.

(4) في الأصل : واعلموا، قارن مع التقديم 35.

(5) هذا التقديم يبدو أنه هو نفسه التقديم رقم 35، إلا إذا كان الكاتب استعمل نفس العبارات في تقديمين لشخصين، وهذا مستبعد بالنسبة لكتّاب يستعملهم الخليفة في الكتابة فالمرجح أن الناسخ كرر التقديم 35 خطأ، وربما كان سيعمل نفس الشيء مع التقديم اللاحق 45.

(1) في الأصل : كتبنا.

(2) هذا كل ما ورد في التقديم بالمخطوط، وهو لا يفيد في شيء، ولكن ضرورة نقل جميع ما في المخطوط اقتضت عدم صرف النظر عنه، وليس من المستبعد أن الناسخ بدأ ينقل تقديما مكررا ولما شعر بهذا توقف هنا، انظر الهامش 5 في التقديم السابق، وقارن مع بداية التقديم رقم 42.

[التقديم السادس والأربعون] :

ومن تقديم على أشغال المخزن

..... كتب الله لكم أحوالا للصلاح مستصحبة، وآمالا للنجاح منتسبة[1]، وأن تعلموا أن اعتناءنا بتوفية النظر لمن استرعانا الله أمره يتناول الأدنى والأقصى من الجهات، ويتعاهد بالرفق والعدل في كل الأوقات ؛ وبهذا الاعتبار نختار من نستعمله في إقامة المصالح والمهمّات، ونقدّم من نتوسّم فيه سَداد الأنحاء واستقامة المحاولات، ذلكم لتتمشّى الأمور على أقوم الجوادّ[2] وأوضحِها، وتتوخى / الرعية بالحماية (............)[3] ذلك موادّ توفيقه وتسديده، ويعرّفنا في حياطة الإسلام (........)[4] وتأييده، وإلى هذا فإنا قدمنا عليكم بعد استخارة الله تعالى فلانا لينظر (في أشغالكم)[5] **المصلحية، وأعمال مجابيكم المختصية**[6]، ويتولى ذلك كله بالسِّيَر القويمة وعلى الطرق السوية، وقد عُرف بتردد الاختيار لأحواله، وتكرر الملاحظة لتصرفاته في وجوه استعماله، وما وافق القصد في تعيّنه لتولّيكم، وطابق الغرض الجميل في النظر لكم ولنواحيكم ؛ وقد أُوصي بتقوى الله تعالى في كثير الأمر وقليله، وأكّد عليه في سلوك سَنَنِ العدل وسبيله، وأُمِر أمراً جزماً أن يبذل في تسديد الأمور لديكم ما استطاعَ، ويوالي الاستقلالَ بما حُمِّل من مصالح الخاصة هنالكم[7] والجمهور والاضطلاعَ، ويُعمل الشدة في ردع أولي **الشّر والفسادِ**، ويقيم المعدلة بين حاضرٍ منكم وبادٍ، ويحتاط **على مرتفعات المختص وفوائده**[6] هنالكم[7] أتمّ الاحتياط، ويُجري الأشغال فيها على (قانون ......)[8] وإقساط، ويستوفي الواجبات كلها دون تقصير فيها ولا اشتطاط ؛ ومن أهم ما

ي/58

---

(1) قارن مع بداية التقديم 43، وانظر الهامش 2 على التقديم 42.

(2) جمع جادّة.

(3) ما يقرب من سطر كلماته مكشوطة.

(4) قدر ثلاث كلمات مطموسة.

(5) كلمة مطموسة جزئيا.

(6) قارن مع التقديم 42، فالمقدم هنا مسؤول عن المجابي المختصية، هذا زيادة على المهام الأمنية المطلوبة منه. وإذا كان المقصود بالأشغال المصلحية ما ورد في العنوان من «أشغال المخزن»، وبالتالي المجابي المخزنية، فقد يكون المقدّم هنا أيضا ناظرا للجباية على غرار المقدّم في التقديم 42، وإلا فيكون الأول ناظرا للجباية والثاني ناظرا على أشغال المخزن بما فيها المخزنية والمختصية، راجع خصوصيات هذه التقاديم في الفصل الرابع والجانب الاقتصادي في الفصل الخامس.

(7) كذا في الأصل.

(8) كلمتان مطموستان.

نجيد به الاعتناء ونبذل فيه الغناء، **رفع المظالم على اختلافها وإزالة المحدثات، وقطع المسكرات**[9] **وتغيير المنكرات**، وأخذ الناس هنالكم بما يجدون النفع به من الأعمال الصالحات في المحيَى والممات.

فإذا وافاكم بمعونة الله فائتمروا لما يلقيه إليكم فيما قدّمناه عليه أحسن ائتمار، وكونوا معه يدا واحدة في ما يواليه في تلكم الأشغال من إيراد وإصدار، واحرِصوا على أن يتضح لكم في التعاون على البر والتقوى وأجمل مساع وأكرم (أثار)[5]، واعلموا أن وراء هذا من حسن التفقد لأحوالكم (ما نُوَ)اليه لكم مع الأحيان، ونمدّ به عليكم ظل الرفق والحنان، ونتخوّلكم[10] فيه بما يعود عليكم خيرُه من (القرب والإحسانِ)[8]، وهو سبحانه يمهّد بالعافية والأمَنة أرجاءَكم ويحقّق في إيصال الكلاءَة لكم والوقاية رَجاءَكم، بمنّه.....

---

(9) يدل هذا على أنها كانت شائعة الاستعمال.

(10) في الأصل : ويتخولكم.

[التقديم السابع والأربعون] :

ي/59

/ وفي تقديم آخر عن الخليفة المرتضى

..... وإنّا كتبناه، كتب الله لكم توافقاً على أنجح المساعي والأعمال، وتسابُقاً إلى ما يعود عليكم نفعه في الحال والمآل، من فلانة[1] ؛ وأن تعلموا أنا نعتمد بالاعتناء (في)[*] جوانبَكم، ونحمد في صدق الخدمة لدعوتنا مذاهبَكم، ما لم تزالوا متمسّكين به من طاعتها، والانتظام في جماعتها، والاخلاص الذي يُحظيكم لدى أوليائها، ويجزل لكم حظ نعمائها ؛ وقد تيسّر من فتح فلانة[2] ما نعلم أنكم به أول من يُسَرُّ بحسن الصنع فيه، ويحمد الله عزل وجل على تسنّيه، لما في ذلكم من اتصال البلاد، وارتفاع شر **أهل البغي عنها والفساد**، وامتداد ظل الأَمَنة والمعتدلة[3] على الحاضر منها والباد، والحمد لله الذي خوّل النعمة الهنية وأسداها، وأشجى الشرذمة الباغية على الإسلام وأرداها.

وقد اقتضى النظر الكريم الذي نسأل الله تعالى إمدادَنا فيه بالسّداد، وإرشادَنا فيه إلى ما يقضي بالصلاح للبلاد والعباد، أنْ قدّمْنا فلانا[4] لتولّي النظر في مصالح تلكم البلاد ومهماتها والتصفح لأحوال نواحيها وجهاتها، وتوخّي الرعية بما يصحبها إن شاء الله تعالى في كل أوقاتها، **وهو مجتاز على تلكم الأرجاء**، وموفّيها قِسطَها من التهمّم بأمورها والاعتناء، بما عُرف عنه من الغَناء وحسن الأنحاء.

فكونوا معه يدا واحدة فيما يحتاج فيه إليكم، واقدُروا قدر اهتمامنا بكم في تقديمه عليكم، وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى التي هي أسُّ الخير كله، وسبب النجح في عقد كل أمر وحَلّه، وأمرناه بالتمهيد والتسكين، وإجراء المصالح على أقوم القوانين، والاشتداد على المفسدين والمعتدين، وأن يلاحظ في كل ما يقوله ويفعله الدّين، **فإذا اجتاز عليكم فتلقّوه بحسن الائتمار**، وأعينوه على تمشية أحسن المقاصد وأجمل الآثار، وارتقبوا من صنع الله تعالى في اطّراد الفتح واتصال المَنْح ما يؤكد لديكم موجبات الاستبشار، إن شاء الله تعالى[5].

(1) لعلها مراكش.

(*) كذا في الأصل ولعلها زائدة.

(2) المدن التي استعادها المرتضى هي سجلماسة حيث عاد القطراني إلى مبايعة المرتضى طوعاً (سنة 656 — 657) (البيان 415 وما بعدها)، أما السوس فقد أخذ يخرج عن نفوذه منذ 651، وفشل في استعادته (البيان 405 و406 و415)، وفاس سقطت في أول عهده ولم تعد إلى نفوذه، وأما سلا — وهي الراجحة هنا — فقد استولى عليها المرينيون سنة 649 (القرطاس 296) ولمح ابن عذاري إلى استعادتها وهو يذكر واليها الموحدي ابن أبي يعلى عندما غدرها أحد الأمراء المرينيين سنة 658 (البيان 421 — 422). وعلى هذا نفترض أن يكون تاريخ الرسالة سنة 649 أو 650 وأن يكون المخاطَبون هنا لدعم المقدّم هم عرب سفيان المستقرين بتامسنا، وقد ظلوا أقرب إلى السلطة الموحدية نسبيا بالمقارنة مع القبائل العربية الأخرى، فكان الخطر الأساسي على الموحدين هو من جهة سلا كطريق لزحف بني مرين نحو تامسنا.

(3) كذا في الأصل.

(4) إذا صح الافتراض السابق فقد يكون المقدم على «فلانة» (سلا) هو أبو عبد الله محمد بن أبي يعلى الكومي.

(5) المهام المنوطة بالمقدّم هنا لا يتضح منها غير الجانب العسكري.

[التقديم الثامن والأربعون] :

وعنه في المعنى

60/ظ /..... وإنّا كتبناه كتب الله لكم تَكيّفَ صلاح الأحوال وتَعرُّفَ نجاحِ الآمال، وأن تعلموا أنّا نتفقّد أموركم، ونتعهّد بالنظر الجميل خاصتكم وجمهوركم، ونوثر أن تستمـ(ـروا) من العافية والأمنة الكافلة الكافية على ما نؤكد جَزَلكم وسروركم، قياما بما استرعانا الله تعالى من أمور عباده وبلاده، والتزاما في ذلك لصواب العمل وسداده، والله تعالى الكفيل بتوفيقه وإرشاده والمُمِدُّ لنا في كافة المحاولات بإعانته وإنجاده، بمنّه وكرمه، لا ربّ سواه.

وإلى هذا ـــ أدام الله تعالى كرامتكم بتقواه ـــ فإنا رأينا بعد استخارة الله تعالى على أن نقدّم على **أعمالكم المخزنية**[1] فلانا، وهو مِمّن أهّله الاختيار، ورشّحه الاستعمال المردَّد والاختبار، وقد وصيناه بتقوى الله تعالى فيما يأتيه ويَذره، والتزام خشيته عزّ وجلّ في كل ما يُورِده ويُصْدِرُه، والعملِ في جميع محاولاته بما ينفعه عند من يعلم ما يُظهره ويُضمره، وأمرناه **أن يستقضيَ الحقوق الواجبات**[2] عليكم أعدل الاقتضاء، ويستوفيَها أكمل الاستيفاء، ويعتنيَ في الاحتياط على قليلها وكثيرها أجمل الاعتناء، وأكّدنا عليه في أن يُجريَكم على قانون السِّيرة الجميلة والعا(فية)[3]، ولا يعدل بكم عن سَنن العدل في الإبداء والإعادة، وأن يضع موضع اللين لينه وموضع الشدة اشتداده، متولّيا ذلك كله بما قُدّر فيه من الجدّ (والغَناء)[3]، متحلّيا في جميع أموره بسَداد المذاهب والأنحاء، متحرِّياً العمل بما (يقع) موقع الاستحسان والارتضاء.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فارجعوا إليه **بأشغالكم المخزنية والمصلحية**، واسلُكوا في الانقياد لما يقدّره فيكم من المصالح على السبل الواضحة الجلية، وبادِرُوا **إلى أداء المتعيِّنات** قِبَلكم من غير بُطْءٍ ولا تَوانٍ، «وتعاوَنُوا على البِرّ والتقوى ولا تَعاوَنوا على الاثم والعُدوان»[4]، والتَمِسُوا على حُسنِ الطواعية، والتزِموا الأعمال التي تُحظيكم باطّراد العافية، واعلَموا أن وراءكم مِن نظرنا الجميل ناظرا

---

(1) هنا التنصيص على الأعمال المخزنية، وسترد الإشارة ضمنيا إلى المهام الأمنية «موضع اللين لينه وموضع الشدة اشتداده» و«الأشغال المخزنية والمصلحية» على غرار تقاديم عمال الجباية، حيث المزج بين العمل الأمني والعمل المالي.

(2) هنا تعميم للواجبات، فهل يدخل ضمنها المجابي المختصية كذلك، وهل هناك مكوس أيضا ؟ فابن عذاري يذكر أن الواثق عندما استولى على الخلافة ألغى المكوس التي كانت في عهد المرتضى (455 ــ 456).

(3) كلمة غير واضحة كلاً أو بعضا.

(4) من الآية الثانية من سورة المائدة.

لا (يهدم)[3]، وخاطراً لا (........)[3] غير مصالح المسلمين ولا يقدّم، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يُمنَ / هذا التقديم، ويضفركم بفضله[5] الشامل العميم، بمنّه[6]. ي/61

قال يحيى وفّقه الله : انتهى ما ألفيته من المكتوب في تقاديم الولاة[7] في المجموع[8] وفي المبيضّات[9]، وأنا آتيك[10] ما في الفصل الذي في المجموع من **تقاديم القضاة**، وأضيف إليه ما في أثنائه وما خرج عنه من تلك العهود والمكاتبات.

---

(5) في الأصل : لفضله.

(6) **ملاحظة** : هذا آخر تقديم للولاة والعمال والقادة .... وستأتي بعده ــ كما في المخطوط ــ تقاديم القضاة، وسنحتفظ بالترقيم المتسلسل للتقاديم.

(7) في الأصل : الولات، وكثيرا ما ترد بهذا الشكل.

(8) لعله يقصد من البداية (وهي مبتورة) إلى الصفحة 7 من المخطوط.

(9) ربما من الصفحة 7 من المخطوط إلى آخر التقديم رقم 48.

(10) تبدو الكلمة في المخطوط كأنها : (أتيت).

[التقديم التاسع والأربعون] :

كتب رحمة الله عليه عن الإمام المأمون تقديم قاض

(بعد التصدير)[1]...

وإنا كتبناه ـــ كتب الله لكم نظراً يعمّكم مَنُّه ويشمَلُكم، واعتناءا يؤُمُّكم خيرُه ويستقبلكم، وأن تعلموا أن قطركم ـــ مهّده الله ـــ مِنّا ببال العناية التي نتعهده ونتخوّلُه، وإنكم لدينا بقديم اختصاصكم بالمحلّ الذي يُحدِق به أحفى الرعْي وأحفلُه، ولذلكم نخصّكم مع الآونة بتفقد أحوالكم، ونُوالِي حفيَّ السؤال عن الدقيق والجليلِ من أشغالكم، ونتوخّى إجراءكم في الأمور كلها على أوفَى ما تتشوّف إليه طوامحُ آمالكم.

وبحسب ذلكم نختار لأحكامكم، مَن يوفّي قصدَنا فيكم، ويُمشّي مذهبَنا الجميل في كافة نواحيكم، وبالله تعالى نستعين على إفاضة المنّ والأمان، وإقامة رسم العدل والإحسان ؛ وقد رأينا بعد استخارة الله تعالى أن نقدّم **للقضاء في شرعيّ نوازلكم وتوَلّي النظر في الديني من مسائلكم،** فلاناً، وله المنصبُ الشهير، والمحلُّ في الدّين الأثيرُ، وعلى زكائه واتقائه تتفق الجماهيرُ، بعد أن وصيناه بتقوى الله تعالى وهي أُسُّ الخَير كله، وإليها يستند المومن في عقده وحلّه، وأمرناه بالاستظهارِ في أحكامه بكتاب الله وسنّة رسوله، والاعتمادِ عليها في مَقُوله ومفعوله، والتّخيّر للشهداء[2] والمسَدِّدين[3]، فهم عمدة تأسيسه للقضاء وتأصيله، وأوعزنا إليه أن يُنزل الناسَ منازلَهم ما لم يَعرض حُكمٌ شرعي، فعليه اعتبار الشرع، والإلقاءُ إليه بالبصر والسمع، فلا مزيّةَ لأحدٍ على أحد في الحق الواجب، ولا معتبر في إمضاء الحكم وإنفاذه للمَناصب[4].

ي/62 فإذاً قرىء عليكم كتابُنا هذا، فارجعوا إليه بأحكامكم، (.........)[5] / عليه في الفصل بينكم في نوازل خصامكم، واتّفِقوا ولا تختلفوا تجدوا بركة اتفاقكم والتئامكم[6]، واعلموا أنّا تخيرناه من أماثِلكم في الحَسب والطّلب والديانة، وأنهضناه بحُكم النظر الجميل لكم لتقلّد هذه الأمانة لكم وتَبوُّءِ هذه المكانة، فأمِدّوه بالعَضْد والإنجاد والإعانة، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يصل استقراركم في كنف العافية، ولا يعدمكم تعهُّدَ النِعم الوافرة والعِصَم الكافية[7].

(1) كذا في الأصل، وهذا يؤكد أنّ التقاديم جلّها ناقصة الصدر، انظر فن كتابة الرسائل في المقدمة.

(2) يسمون في تقاديم أخرى «العدول».

(3) المسددون هم قضاة الجهات والمدن الصغرى، انظر نفح الطيب 218/1.

(4) هذه الوصايا مقتبسة من المهام المنوطة بالقاضي كما وردت مثلا عند النباهي في «المرقبة العليا» ص 5 ـــ 6، وستكرر هذه الوصايا أو بعضها في التقاديم اللاحقة.

(5) كلمة مكشوطة. (6) كلمة مكشوطة جزئيا.

(7) يبدو أن تاريخ هذا التقديم (واللاحقيْن به) محصور بين إعلان خلافة المامون في 2 شوال 624 بالأندلس وجوازه إلى المغرب الأقصى في آخر سنة 626.

[التقديم الخمسون] :

تقديم قاض آخر

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وعرّفهم يمن ما نقصده من النظر له ونتوخاه، وإنا كتبناه كتب الله لكم أحوالا يتضح صلاحها، وأعمالا يدل على حسن عاقبتها افتتاحها ؛ وأن تعلموا أن العناية بمصالح البلاد هو (تَهَمُّمنا)[1] المقدم، ومقصودنا الذي لا نتأنّى في إ ظهاره ولا نتلوّم[2]، وإنا لا نزال نعمل النظر في تمشية الأوفق الأصلح، ونجري الأمور على السّنن الأبين الأوضح، ونتعهّد مهمات المسلمين مع الممسى والمصبَح، وبالله نستعين على الصلاح الذي نبرم أسبابه ونؤكدها، وإليه نفوض في الإدارات التي نتوخاها في ذاته ونعتمدها.

ولما كانت الأحكام الشرعية أحق ما قدِّم إحكامه، وحفِظ بجميل الاعتناء نظامُه، لأنها القطب الذي تدور عليه مصالح الأمة، والملجأ الذي يفزع إليه بالأمور المهمة، لم نزل نتخير لها من نظن به الاستقلال، ونحمد منه المناحي والخلال، باذلين أقصى الوسع في الانتقاء، موثرين مَن اجتمعت فيه أوصاف الزكاء والنقاء ؛ وبحسب هذا النظر قدّمنا فلانا **للفصل في نوازلكم والقضاء**، والإنفاذ للحق في مسائلكم والإمضاء، بعد ان قُرِّر تأهُّله، وعُزي اليه أحسن الوصف وأجملهُ، وذُكر باستقامة وسداد قوله وعملِه، وقدِّر فيه الاقتداء بأبيه[3] وهو المشكور تحرّيه في ما يقلِّده ويحمله[4]، ومع ذلك فقد عهدنا إليه بان يكون تقوى الله سبحانه أول ما (يقدمه)[4]،/ والعمل بمقتضى الكتاب والسنة آكد ما يلتزمه، وأن يراقب عالم الغيب والشهادة في ما يَنقضه ويُبرمه، وأمرناه أن **لا يعدل عن سَنن السلف الصالح** في شيء من أحكامه، وأن لا يورد ولا يصدر إلا عن تحقيق يستفيده من تثبته وتردد استفهامه، ففي القضايا البيّنُ والملتبس، ومن النوازل ما لا يكفي فيه النظر المختلس.

ي/63

فليُدِم التأمل ليسلم من زلل الاستعجال، وليُطل التصفح فهو أرفع للإشكال، وأكّدنا عليه في أن لا يقدّم إلا من وَثِق بدينه ومعرفته[5]، وكان على يقين من زكاء صفته، وأن **يتخير الشهود** فلا يقبل إلا العدل المتّفق عليه، ولا يعمل من الشهادات إلا ما لا يتطرق الجرح اليه، وليوالِ ابدا تعهّدهم فقد يخفى من أحوال الشاهد في وقتٍ ما يبين بعده، وقد يلوح مع التفقد ما يوجب بعد القبول ردَّه، وأوعزنا إليه أن يتنزه عن **مَضانّ الاتّهام**، ويتنبّه لما ترشُقه به سهام الملام، ويسوّي بين المتحاكمين، في المجلس والالتفات والكلام، وأن يكون لديه الضعيف والقوي والقريب والقصيّ شرعا **سواءاً في الاحكام**.

فإذا وافاكم فأعينوه على تمشية هذه المقاصد الحسنة، وأمدُّوه بالمعاضدة المتمكنة والمساعدة البيّنة، إن شاء الله تعالى[6]....

(1) كلمة مكشوطة.

(2) في الاصل : لا يتلوم.

(3) اشارة الى امكانية وراثة منصب القضاء.

(4) كشط جزئي.

(5) لعل المقصود هم الاعوان القريبون، واختيار المسددين للجهات.

(6) لاحظ الهامش 7 على التقديم السابق.

[التقديم الواحد والخمسون] :

وفي تقديم آخر[1]

...(و) انا كتبناه، كتب الله لكم نظرا تتعرّفون يمنه في كل أحوالكم، وتخيراً لما يتولّى كل مهمّ من أشغالكم ؛ وأن تعلموا أنا نقدّم للأشغال من يتقلدها بأتم غنائه، وننظر للبلاد نظر الطارف إلى مهماتها وجه اعتنائه، ونعطيها بحسب محلّها من النباهة ما نقصده من تتابع التهمم بمصالحها وولائه ؛ ولما كان لقطركم من المكانة لدينا ما يُزحم عليه،[2] وكانت خواطر الالتفات أبدا مصروفةً إليه، لم نؤهّل للتقدم في شيء من أشغاله إلاّ من أهّلته سوابقه الكثيرة، (وأنهضته)[3] ذاته المستقلة ورتبته الأثيرة،/ وتردّد على الاختبار فحسنت منه السجيّة (وعـ ـــ ـــ)[4] ما تعنى به القضاء الذي ينال (منفعته)[5] خاصتكم وجمـ(ـهوركم، ـــ ـــ)[4] بإقامته على القانون الشرعي أحوالكم وتصلح أموركم، فانه الحكمة الوازعة عن استرسال، والعصمة للدماء إلاّ بحقها وللأموال ؛ ولذلكم عيّنّا لكم بعد التخيّر والانتقاء، والتأمل والارتياء، فلانا، فنقلناه عن هذه الحضرة إليكم[6]، وأثرناكم بتقديمه عليكم، فإنه مع تمكّن اختصاصه وتأكده، وتميّزه من إحراز الوسائل المرعية بما لا خفاءَ بتعدده القديم الأنحاء، العديم النظراء في المعرفة والزكاء، **المتردّد بين أبيه وعمه بالاقتداء والاقتفاء**[7].

ي/64

ومع ذلك فهو موصّى بتقوى الله التي هي المستند الأعصم، (والـ ـــ ـــ)[8] الذي لا تُجَدُّ[9] عروته ولا تُفصَم، ومأمور بالرجوع الى **كتاب الله** (ـــ ـــ ـــ)[8] **رسوله** عليه السلام في جميع أحكامه، والاستناد إلى **إجماع الأمة** وفتاوى الأيمة بنقضه وإبرامه، والوقوف مع ما سلف عليه السلف الصالح محطاطاً لإحجامه وإقدامه ؛ وعليه ان ينتقي المسدّدين[10] الذين يستعملهم في الجهات، ولا

---

(1) لعل هذا التقديم ايضا صادر عن المأمون.

(2) الادعاء مرة اخرى بان البلد المقدم عليه له مكانة خاصة عند الخليفة.

(3) كلمة شبه مأروضة.

(4) قدر كلمتين أو ثلاث اختفت بفعل الترميم.

(5) كشط لجزء من الكلمة.

(6) يبدو انه كان قاضيا بحضرة المأمون باشبيلية (لاحظ وجود المأمون بها في التقديم 53) انظر ايضا الاشارة الى القرابة بين المقدّم هنا والمقدم في التقديم اللاحق، وعن تاريخ هذا التقديم انظر الهامش رقم 11 على التقديم رقم 49.

(7) هذه الاسرة اذن مشهورة بالقضاء، ويبدو ان المقدم من اقرباء القاضي المقدم في التقديم اللاحق (52).

(8) كلمة مكشوطة.

(9) جدّ، يَجُدُّ : بمعنى قطع.

(10) راجع الهامش رقم 3 على التقديم 49.

يقدّمَ إلا المشهور من الأزكياء الثُّقاة[11]، ولا يقبل من الشهود إلا المستوفي لشروط الشهادات، وهو بحبل الله يجري الأحكام على أقوم مناهجها، ويفي لهذه المقدّمات بأصدق نتائجها، ويتلقّى بما يعرض عليه من مبهمات النوازل بفاتحها من التأمل (وفارجها)[12]، ويستمرّ على الوتيرة التي كان أبوه رحمه الله عليها من الفضل بالعدل، والسلوك على أوضح السبل، والتصميم في إمضاء الحق غير مبال باللوم، (والعذل)، والتسوية بين المفضول والفاضل في الحكم غير موثر فيه لذوي (الفضل، ـــ ـــ)[13] يُنزل الناس منازلهم، ويفضل نبيهم خاملَهم ما لم يعرض حق يتعيّن اعتباره، ويتعيّن حكم يجب إيثاره.

فإذا وافاكم فتلقّوهُ تلقّيَ الجذل به (والاستيثار)[14]، وتوخّوا إعانته (على ـــ ـــ)[15] الايراد والإصدار، وكونوا/ ي/65 [16] على ما يعمله من المصالح من الظُّهَراء (والاـــ ـهار)[17]، وأديموا الاختلاف والاتفاق (تجدوا بركة هذا الأمر في هذه الدار ودار القرار)[18].

---

(11) في الاصل الثقات، ربما كتبت على هذه الصورة لتناسب السجع.

(12) كلمة غير تامة الوضوح.

(13) كلمة مطموسة ولعلها : ولقّناه ان).

(14) كلمة مكشوطة في معظمها.

(15) كلمتان مكشوطتان وماروضتان.

(16) يبدو ان كلمة (له) ناقصة هنا بسبب كشط في اول السطر.

(17) كلمة غير واضحة الوسط.

(18) كلمات مطموسة جزئيا قد تكون كما اثبتناه.

[التقديم الثاني والخمسون]

وكتب في تقديم صنوه الفقيه أبي محمد[1] على خطة القضاء بشريش عن الخليفة الإمام المأمون

....أدام الله كرامتهم بتقواه، وأسبغ عليهم عوارف مننه الجزيلة ونعماه.

وإنا كتبناه كتب الله لكم نظرا تتعرفون يمنه في أقطاركم، ولا تعدمون (معه)[2] هدوء أحوالكم وتمهُّدَ قراركم، والعلم بأن الاعتناء بمكانكم يوجب تقديمَ أشغالكم في ما يُقدِّم، وإجراءكم مجرى من يُصرَف إليه التهمّم ؛ وبحسب ذلكم نتخير المستعمَلين فيكم (ونحيد)[3] الانتقاء[4] لمن نقدمه في نواحيكم، *والله تعالى يعين على إقامة المصالح، وإدامة الحياطة للداني من الجهات والنازح.*

وإنا قدمنا فلانا للانفراد بالنظر في **أحكامكم الشرعية**، والاجتهاد في الفصلِ بينكم **في النوازل الدينية** بعد أن تكرر مرارا استعماله، وتحققَ غناؤه واستقلاله، وخُبِر فكانت جميلةً أوصافهُ ومشكورةً خِلالُه ؛ وقد أوصيناه بتقوى الله تعالى وهي الجادة الواضحة والوسيلة[5] الناجحة، وأمرناه ان يقف مع **كتاب الله** وسنّة **رسوله واجماع الامة** فيما يبرمه وينقضه من أحكامه، وأن يصرف إلى ذلك وجه الاقتداء به وائتمامه، وأن يحافظ على الوصايا التي نأمر بها من التزام العدل والرفق، والتصميم في كل نازلة تنشأ عن الحق، وحددنا[6] له أن يضبط شغل القضاء الذي أسند إليه وقصِر عليه، وأن لا يقدّم من **المسددين**[4] إلا من يتميز بالقبول، ويرتسم في العدول، ولا يقبل من **الشهود** الا من عرف بالعدالة وسداد الحالة، واشتهر بالتيقظ والزكاء[7]، واتصف بالنزاهة والزكاء، فالشهادة مستند الحاكم ومعتمَده (ـــ ـــ يصدره وبها يورد ـــ ـــ ورده)[8]،/ وهي أصل ما يُحلّه من قضاياه ويعتقده ؛ فعليه أن يحطاط لذلك جهده، ويضع قبوله حيث يجب ورِدُّه، وعليه أن يسوي

ي/66

(1) هو نفسه الذي سبق ان قدم للقضاء بالجزيرة الخضراء حسب ما في التقديم اللاحق مباشرة، أي أن هذا التقديم (52) وضع متقدما على التقديم اللاحق، انظر تاريخيهما.

(2) كلمة مطموسة في معظمها.

(3) في بداية الكلمة تاثير الارضة، ويبدو انها كا اثبتناه.

(4) انظر الهامش 3 على التقديم 49.

(5) في الاصل : الوسيلة (بدون واو العطف).

(6) في الأصل : وجددنا.

(7) كذا بالاصل، ولعل الصواب : والذكاء.

(8) اكثر من نصف سطر كلماته مطموسة (من سبع الى ثمان كلمات).

في الحكم بين النبيه (والخامل)[9]، والمفضول والفاضل، فالشرع لا تعتَبر فيه المناصب، ولا تُلحَظ في تنفيده المراتب، ولا يرعى فيه إلا جانب الحق الذي دونه الجوانب.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فاغتبطوا بقدومه على مكانكم، وواصلوا انجاده في كل أحيانكم، وأديموا التعاون على البر والتقوى، وكونوا يداً واحدة في ما يراد بكم من الخير ويُنوَى، واعلموا أنه اختير لكم بعد الاختبار، واستحسان ما تَقَدَّم له من السيرة في المواضع التي قُدِّمَ عليها والآثار، والتقدير فيه للوفاء بمرتضى الإيراد والإصدار، إن شاء الله تعالى ؛ وهو سبحانه يجمع على طاعته أهواءكم ويصرِف إلى ما يرضاه أغراضكم وأنحاءكم، بمنه، والسلام.

التاريخ[10] منتصف شهر شوال المبارك سنة ست وعشرين وستمائة.

---

(9) كلمة مطموسة.

(10) ان كلمة (التاريخ) لا يبدو انها علامة خاصة بالمأمون، فالتقديم اللاحق (53) صادر عن المأمون ولا نجد فيه هذه الكلمة بينما نجدها في نهاية تقديم صادر عن الرشيد (رقم 57)، وآخر عن المعتضد (65)، ونجدها ايضا في تقديم آخر صادر عن ابن هود (رقم 54).

[التقديم الثالث والخمسون]

وعنه في تقديم من ذكر[1] على الخضراء

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وأعلق إيمانهم بأمتن سبب من الخير وأقواه.

وإنا كتبناه ــ كتب الله لكم اختياراً يحفظ نظام أموركم، وإيثارا لما تصلُح عليه أحوال جمهوركم ــ من اشبيلية والإقبال على ما يعينكم من شؤون دينكم ودنياكم، والعلم بأنكم من كفالة النظر الجميل فيما يقضي بحياطة أدناكم وأقصاكم، ولذلكم لا نألو[2] انتقاءاً للمستعمَلين فيكم، ولا نذخر عنكم ولا عن غيركم من أهل الآفاق اعتناءاً يكنَفكم ويحميكم، وبالله تعالى نستعين على ما ننويه للكافة من الخير الجامع، ومنه نلتمس الانحاء[3] على ما نتوخاه من إقامة المصالح وإجراء المنافع.

وإنا قدمنا فلانا **للنظر في شرعي أحكام موضعكم وجهاته**، وإدامة الاجتهاد في **تمشية قضاياكم** على السيرة المرضية وموالاته، بعد أن تردد استعماله وتكرَّر، وتبيّن استقلاله وتقرّر،/ وأُجيلَ النظر ي/67 في تخير من يقدَّم لقضائكم فكان المتخيَّر، وقد أوصيناه بتقوى (الله العظيم)[4]، ووزن ما يورده ويصدره ويأتيه ويذره بالقسطاس المستقيم، ومراقبة من يحيطه بمضمره ومخفاه، ويعلم متقلّبه ومثواه في حالي الهبة (والتهريم)[5]، وأمرناه أن يستند إلى كتاب الله وسنّة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة في أحكامه، ويبني على هذه الأصول الثلاثة ما يريده من نقضه وإبرامه، وأن يتخير الشهود فهم عمدة نظره، وإليهم يرجع في وِرده وصدَره، فلا يقبل إلاّ من تبينت عدالته، وحسُنت دينا ودنيا حالتُه، وأوعزنا إليه ان يباشر شغله كله، ويمضي على يقين واستبراء[6] عقده وحلَّه، **ولا يستكتب**[7] **ويستنيب** إلا من يتفق[8] قوله وفعلَه، وأن يسوي بين الخامل والنبيه في الحكم تسوية يبلغ معها المحق أقصى حقه، ويجري بها الفصل على أعدل طرقه، ويتوخّى فيها التوسط بين حالي شدته ورفقه.

---

(1) انظر الهامش 1 في التقديم السابق (52).

(2) في الاصل : لا نالوا (بزيادة الف اخيرة).

(3) كذا، والانحاء ج نحو بمعنى القصد والطريق.

(4) كلمتان مكشوطتان في معظمهما.

(5) كلمة غير مقروءة الوسط، قد تكون كما اثبتناه.

(6) استبرأ : طلب الابراء من الدين والذنب.

(7) هل مهمة كاتب القاضي تنحصر فقط في تسجيل الدعاوى واقوال المتخاصمين ؟ والنائب قد ينوب عن القاضي في حالة الغياب او في القضايا الاقل تعقيدا، وقد يكون نائبه هو المحتسب او صاحب السوق (عبد الرحمن الفاسي في «احكام الحسبة» المناهل ع/ 20 ص58) انظر الجانب القضائي في الفصل الخامس.

(8) في الاصل : يتق.

فإذا وافاكم بحول الله تعالى فأعينوه على **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**[9] أتم الإعانة، وصِلوا يده فيما ذكرناه عملا في التعاون على البر والتقوى بمقتضى الديانة، إن شاء الله تعالى ؛ وهو سبحانه يجمع على ما يرضاه دواعيكم، ويصرف إلى ما يزلف لديه مساعيكم، بمنه، والسلام ؛ في شهر صفر سنة ست وعشرين وستمائة.

---

(9) هنا يقع التداخل بين مهام القاضي وبعض العمال بواسطة المحتسب الذي يمثل الربط بين جهاز الامن وجهاز القضاء، رغم ان تعيينه اصلا يكون من طرف القاضي، راجع الفقرة المذكورة في الفصل الخامس.

[التقديم الرابع والخمسون] :

وعن ابن هود[1] في تقديم مَن ذُكِر على[2] خطة القضاء بمالقة[3]

إلى اهل فلانة[4]، عرفهم الله يمن ما نواليه من حفظ جوانبكم ورعايتها، وأوصلهم في (كل)[5] ما نتوخاه من الرفق بهم والعدل فيهم الى نهاية آمالهم وغايتها، أما بعد حمدِ الله الذي شرّع الأحكام لإقامة الدين وإظهاره، (وتعبَّدَه)[6] الأنامُ باتّباع الحق واقتفاء آثاره، والصلاةِ على (سيدنا محمد ـــ ـــ ـــ)[7]،/ الذي تلاشت الظُّلَم لأنواره، وتخلّص به بدر العدل الذي قامت به السماوات والأرضون من سداره[8]، وعلى آله وصحبه الكرام أعلام الإسلام، وأنصاره، الذين ظهر بهم دين الله حق ظهوره وانتشر كل انتشاره، والرضى عن الإمام خليفة الله على خلقه وأمينه في بلاده وأمصاره، القائم بامر الله تعالى قيام من أضحى قسيم رسوله عليه السلام في كريم نِجاره[9]. ي/68

فإنّا كتبناه كتب الله لكم أجمل معتمد في حفظ نظامكم وأحسن مُنتحَى، وأجراكم من جميل النظر على ما يكون به متولّي أحكامكم مختتما بالعدل ومفتتحاً، ونحن نتوكل على الله تعالى في ما نُحكم من أمر ونُبرم من عقد، ونستخيره في كل ما نتوخاه بالعزم إليه من حميدِ سعي وجميلِ قصد، ونسأله الهداية في ما نحاوله ونزاوله من (صَدَر)[10]ووِرد، ونتلقى نعمه الجزيلة ومننه الموصولة بما يجب لها المزيد من شكر وحمد.

وإلىْ هذا فإن قطركم ذلك وأنظاره مما (لا)[11] نزال نوفّيه قسط العناية الحفيلة، ونتخير للاشتغال

(1) ان الالتزام بنشر المخطوط كاملا فرض عدم استثناء أية رسالة تقديمية ولو انها غير موحدية، وهذه حالات استثنائية، انظر الهامش 2 على التقديم الخامس.

(2) اي المقدم للقضاء سابقا على الجزيرة الخضراء ثم شريش حسب التقديمين 53 ثم 52.

(3) خضعت مالقة لابن هود سنة 627 (فقهاء مالقة 77).

(4) اي اهل مالقة حسب عنوان التقديم، وهذا يرجح ان جامع التقاديم هو الذي تصرف فيها بالبتر في البداية والنهاية واغفال الاسماء.

(5) كلمة مطموسة.

(6) في الأصل : (ونعبّد).

(7) قدر ثلاث كلمات مطموسة يبدو ان الاولى والثانية كما اثبتناه.

(8) السدار : كناية عن الحجاب.

(9) هو الخليفة العباسي المستنصر بالله (623 ـــ 640).

(10) ما بين هلالين مكرر في المخطوط.

(11) ناقصة في الاصل.

فيه من نتحقق وقوفه مع مذاهبنا الجميلة، ونُنهض لتقلّد الفصل في الأحكام بين أهله من عرفناه بالنباهة والنزاهة والعدالة والفضيلة ؛ وبحسب الصحيح من هذا الاعتبار، والصريح مِن توخّينا لكم ولجهاتكم بمزيد من التقديم والإيثار، بَالغنا في الانتقاء والاختبار، وعيّنّا لخطة القضاء هنالكم من خبرناه فزاد نصوعا على الاختبار، واستعملناه في نبيهات البلاد المرة بعد المرة فحمدناه مع التكرار وتردد المِرار ؛ ذلكم فلان[2]، وإنه لخليق بما قدمناه إليه من أحكامكم، وحقيق بما قصرناه عليه من الفصل في نوازل خصامكم، لاستظهاره بأوصاف العدالة والطهارة، واشتماله على كل موثَر مشكور من السياسة والادارة، وكونِه مجبولا على الشيم المستحسنة والسجايا المختارة ؛ وما زالت هذه الخلال فيه منذ استعملناه على مرّ السنين تتضح وتستبين، ومَنازعةُ في نقضه (وإبرامه)[12] وإمضائه وارتيابه لا يعدوها/ السداد ولا يَريمها الدين ؛ وقد ألقينا إليه من الوصايا الجامعة ما تلقّاه ي/69 بحسن قبوله، وحددنا له أن يبني أحكامه كلها على مقتضى كتاب الله وسنة رسوله، وأن يقتدي **بإجماع الأمة وفتاوى** الأيمة في مَقوله ومَفعوله[13]، وأكّدنا عليه في أن يختار المسددين[14] للجهات كلها وينتقيهم، وأن لا يستعمل إلاّ زكيّهم وتَقيَّهم، وأن يكون لهم متعهّدا في كل الأحوال، وآخذا فيهم بما يقتضيه نظره من الإقرار والاستبدال ؛ وكذلك فلْيكن عمله في الشهود الذين تصحّ الحقوق بهم وتبطُل، وبشهادتهم يُرد ما يَقبُح ويُقبَل ما يجمُل، وأمرناه أن يحتاط **للحسبة**[15] التي هي قوام المعائش والمرافق، وأن لا يتولاها في موضع من المواضع إلا الشهير له بنزاهة التناولات وسَداد الطرائق، وإجراء للأحكام الشرعية على القوانين المرتضاة، واقتفاء في إقامة الحق وإشاعة العدل لسبل العدول من القضاة، وعملا في توفية المذاهب المشكورة بالسِّيَر الملتمسة منه المقتضاة.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فاعلموا أنا أثرناكم باستعماله في أقطاركم، ورضينا لكم محمود جواره ورضينا له محمود جواركم، واخترناه لكم واخترناكم له عملا بموجب إيثاره وايثاركم[16] ؛ فلْتكونوا معه يدا واحدة على ما أنهضناه إليه مِن تقلّد أحكامكم، ولْتوالُوه كل الموالاة بغاية جدّكم واعتزامكم، إن شاء الله ؛ وهو سبحانه يعرّفكم يمن مَقدمه، ويُوجِدكم بركة استعماله وسعادة تقدّمه، بِمنّ الله تعالى وكرمه، والسلام ؛ التاريخ[17] غرة ربيع الآخر عام أربعة وثلاثين وستمائة.

---

(12) مأروضة جزئيا.

(13) فمن الناحية الشرعية لا فرق بين الموحدين وبين ابن هود ممثل العباسيين في الاعتماد على أصول الشرع الثلاثة : الكتاب والسنة والاجماع.

(14) انظر الهامش 3 على التقديم 49.

(15) هنا اشارة باختصار لمهمة المحتسب وتأكيد على انه من تعيين القاضي، وهي نفس القاعدة عند الموحدين.

(16) نفس ما لاحظناه لدى الموحدين من الادعاء بان القطر المقدَّم عليه له مكانة خاصة.

(17) كلمة (التاريخ) واردة ايضا في تقديم عن المأمون (رقم 52) وعن الرشيد (رقم 57).

[التقديم الخامس والخمسون] :

وعنه[1] مخاطبة جمهورية في تقديم قاض آخر

...أدام الله صلاح أحوالهم وانتظام أمورهم، وعرّفهم من جميل النظر ما يفي بإقرار عيونهم وإبهاج صدورهم، أما بعد حمدِ الله الذي جعل العدل/ للخليقة قِواما، وللحقيقة نظاما، وشرع الأحكام التي[2] تَعَبّدَ بها الأنامُ إكمالا للدين وتماما، والصلاةِ على سيدنا محمد رسوله المبتعث بالهدى ودين الحق إشجاءً للمُضِلّ المبطلِ وإرغاما، الممّدِ (يد)[3] النور والقسط بما لم يبق للجاهلية ظلما ولا ظلاما، وعلى آله وصحبه الكرام الذين كانوا للاسلام نجوما وأعلاما، واقتدوا به ــ عليه السلام ــ جِدّاً في إظهار الحق واعتزاما، والرضى عن الإمام القائم بخلافة النبوة مختارا للقيام بها معتاما، الجامع من شروط الاستحقاق ما أوجب بالإجماع والإصفاق اقتداءً به وإلماما[4].

70/ي

فإنا كتبناه كتب الله لكم أوضح الأعمال سدادا وصوابا، وعرفكم أسمح الآمال انقيادا وإصحابا، ونحن نتوكل على الله تعالى في كل ما نأتي ونذر، ونستمد من توفيقه وإرشاده ما يَسْتَدّ به الرأي ويستقيم النظر، ونساله أن يهدينا إلى ما يرضى به عنا فبيده القضاء والقدر، ونشكره كثيرا ونحمده، وحمده وشكره في كل الاحوال أولى ما إليه يستدر، وإلى هذا ــ وصل الله أسباب النّعم لديكم وأضفَى ظلالَ العِصَم لديكم ــ فإنّا نخصّكم ونخصّ مكانكم من كريم العناية وعميم الرعاية بما تقتضيه لكم السوابق[5]، ويحظيكم به الولاء الخالص والوداد الصادق، وتتعرفون منه ما يناسب سبقكم ويطابق[6] ؛ وبهذا الاعتبار نجد الاختيار لمن نستعمله فيكم، ونستنهضه لتولّيكم، ونقلّده شغلا منْ أشغال نواحيكم، وبخاصة خطة القضاء التى ترتبط إليها الأحكام، وتتحفظ بها الدماء والأموال والارحام[7]، وتنضبط بالوقوف مع قوانينها الاصول التي يعرف بها الحلال والحرام، (فنجري العتام)[8] لها الأمثل طريقة، والازكى خليقة، ولا نؤمل لتقلّدها إلا من عرفنا لديه سيرة

---

(1) اي عن ابن هود.

(2) في الاصل : الذي.

(3) في الاصل : الممدّين النور.

(4) هو الخليفة العباسي المستنصر المذكور.

(5) قارن مع التقديم 51 وهامشه رقم 2 والهامش 16 على التقديم السابق.

(6) ماهي المدينة التي سبقت الى طاعة ابن هود هل المقصود مرسية، أم مالقة ؟

(7) قارن مع رسالة عن ابن هود إلى عماله وولاته بالحفاظ على الدماء والاموال والارحام (البيان 333 ــ 334، مفاخر البربر 148 ــ 149 من المجموع)، ولعل هذا الامر ناتج عن التداخل بين مهام المسؤولين الاداريين والقضائيين فيما يهم موضوع الحسبة.

(8) كشط جزئيٌ للكلمتين، وقد تكونان كما اثبتناه.

قويمة ومنة مطيقة ؛ وقد عيّنّا الآن بهذا الرسم فلانا حين زكّته الخِيَرة المترددة، وكانت له الآثار المتعددة، وحسن[9]/ سمته وهديه[10]، وكرم في ما تولاه نظره وسعيُه، وبانت حصافته وأصالته، ي/71
ووضُحت سكينته وجزالته ؛ فاستخرنا الله تعالى في تقديمه وإنهاضه، ورجونا أن يكون عند الظن به في جميع أنحائه وأغراضه، ولم يبعد أن يكون بالقضاة **الأعلام من سلفه مقتديا**[11]، وبالفقهاء المشاوَرين من أوائله مهتديا، وإنه لخليق لذلك وأمثاله، والخيرَ أردنا ــ والله يشهد ــ في استعماله، «وما توفيقيّ الا بالله عليه توكلت وإليه انيب»[12].

وقد ألقينا إليه بوصايا أكدنا عليه في امتثالها، وبرئنا إليه من العهدة في ما نطنا به من أثقالها، ولم نوسعه نُذرا عُذرا في أن يخرج قولاً وفعلا عن واضح سَننها وقويم مثالها، منها : أنّا امرناه أن يقدّم تقوى الله (تعالى)[13] التي عليها مدار النيات والاعمال، وهي خير الزاد للمآل، وبها (تستجزل)[14] الإفادة وتَحصُلُ السعادة، قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم، والله ذو الفضل العظيم﴾[15] وقال : ﴿إن الله مع الذين اتقوْا والذين هم محسنون﴾[16]، وحددنا له أن يستند إلى كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن يقف مع آياته المحكَمات بوعي قلبه وإصغاء سمعه وإبصار طرفه، فهو النور الذي تتلاشى الظلَم لسطوعه واشراقه، وحبل الله الذي قد سَعد من بادر لا عتصامه به واعتلاقه، قال الله تعالى : ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتّبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾[17] وقال.: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾[18] ؛وأن ياخذ بسنة رسول الله ﷺ أخذ المقتفي لاثارها(*) الصالح، والمستضيء (بأ) نوارها اللوائح، فإنها سبيل الهدى، وكلام من لا ينطق عن الهوى، قال الله تعالى : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾[19]، وقال : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[20]،/ وقال عليه السلام «تركت فيكم أمرين لن ي/72

(9) كلمة مأروضة جزئيا.

(10) في الاصل : وهدبه.

(11) الاشارة الى ان اسرة هذا القاضي هي اسرة قضاء (خلفا عن سلف).

(12) من الاية 88 من سورة هود.

(13) كشط جزئي للكلمة.

(14) في الاصل : نستجزل.

(15) من الآية 29 من سورة الانفال.

(16) من الآية 128 من سورة النحل.

(17) من الآية 155 من سورة الانعام.

(18) من الآية 9 من سورة الاسراء.

(*) كذا في الأصل.

(19) من الآية 92 من سورة المائدة.

(20) من الآية 7 من سورة الحشر.

تضلوا ما تمسّكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله، عضوا عليها بالنواجذ[21]، وأن يكون الإجماع الذي هو الركن الثالث من أركان الشريعة قائلا وعاملا، ولمنعقَده الذي استقر لدى الأمة قابلا، فإنه مما أظهر الله به حقه وحرّم خرقه، وتعبّد باتّباعه خلقه، قال الله تعالى : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المومنين نولّه ما تولّى ونُصلِه جهنّم، وساءت مصيرا﴾[22] وقال عليه السلام : «لن تجتمع أمتي على ضلال» ؛ وعليه مع ذلك أن يكون لأقوال الأيمة متصفّحا ولما عضّده الحق منها مرجّحا، ولمشورة أهل العلم مستعمِلا، ولما يوردونه من الحِجاج متأملا، ولحكم الله بالرد الى الرسول وإلى أولي الأمر متوصّلاً، قال الله تعالى : ﴿ومن أحسنُ من الله حكما لقوم يوقنون﴾[23]، وقال آمرا لنبيه ليقتدى به : ﴿وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[24] ؛ وعليه أن يلتزم العدل الذي أمر الله به في إصداره ويعمل في إقامة قسطاسه غاية جده واجتهاده، عاملا[25] انه (ـــ ـــ ـــ)[26] الاكيد الالزام، فإنه مطلوب الله تعالى من جميع الحكام، قال الله تعالى : ﴿إن الله يامركم ان تؤدّوا الأمانات الى اهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[27] ؛ وقال : ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداءَ لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما﴾[28].

وللقضاء قوانين دَرجَ عليها خيار القضاة، وعُرفت من سِيرهم المرتضاة، منها ما حفظ عنهم في التوثق (تقييد)[29] المقالات، والتثبّت فيما يرِد من المشكلات، والاستظهار بعدول البينات وحسن التفهم للخصومات، والإعذار لضرب الآجال، والتلوّم الرافع للاحتمال ؛ ومن أهم ما يُقدَّم فيه النظر، ويُعضَّد بالخير فيه الخبر، الشهود الذين عليهم في تنفيد الاحكام الاعتماد، وإليهم في النقض والإبرام الاستناد، (وعن)[30] بعض القضاة السلف يقول للشهود : إنما انتم القضاة وأنا المنفذ والله تعالى ي/73 يقول في كتابه : «ستُكتَب شهادتُهم ويُسألون»، (ـــ ـــ ـــ)[31]أن يختارهم (وينتقيَهم،/ [32]) ولا) يقبل إلا عدلهم وتقيَّهم، قال الله تعالى : ﴿وأشهِدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله﴾[33] وفي الأثر المروي عن النبي عليه السلام : ﴿لا تقبل شهادة خصمٍ ولا ظغينٍ ولا جارٌ الى نفسه﴾.

(21) في الاصل : النواجد.

(22) من الآية : 115 من سورة النساء.

(23) من الآية 50 من سورة النساء.

(24) من الآية 159 من سورة آل عمران.

(25) كذا بالاصل : ولعلها (عالما).

(26) كلمة غير واضحة.

(27) من الآية 58 من سورة النساء.

(28) من الآية 135 من سورة النساء.

(29) كلمة مصابة بالارضة.

(30) كلمة مأروضة.

(31) كلمة مكشوطة، والآية هي 19 من سورة الزخرف.

(32) كلمتان متأثرتان بالارضة والكشط. (33) من الآية 2 من سورة الطلاق.

فليكن باحثا عن أحوالهم في كل آنائه، صارفا الى تفقّدهم عنان اعتنائه، فمن عَلم زكاءَه اختيارا وخبر عدالته مرارا أمضى شهادته وقَبلها، ومن عثَر له على جرحة ردّ شهادته وأبطَلها، حتى يكون على يقين مما يبني الحكم عليه، وثقةٍ فيما يسنِد الفضل اليه، وعليه أن يجري حدود الله على أوضح الطرائق، وأن يقيمها غير معتدٍ إقامة من لا يُرضي المخلوق بإسخاط الخالق، قال الله تعالى : ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها، ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[34] ؛ ومتى مثل الخصوم بين يديه فلْيراقب الله سبحانه في توخي التسوية بينهما في المجلس واللفظ واللحظ، ولْيعطِ كل واحد منهما في حسن الاستماع أعدل الحظ، غير معتبر شفوف نبيهٍ على خامل، ولا مُحابٍ لقريب ملاصق ولا صديق مُواصِل، قال الله تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوْفوا، ذلكم وصّاكم به﴾[35] ولْيذكر متى حضر الخصمان لديه وأدليا بحججهما بين يديه يوما يحضر فيه عند ربه، وتُعرض عليه مُودَعات صحائفه وكتبه، فهناك يوبقه جَوره أو يطلقه عدلُه، ويحصى عمله الذي له أو عليه كله، قال الله تعالى : « يومئذ تُعرَضون لا تَخفى منكم (خافية)»[36] ؛ وعليه أن **يامر بالمعروف وينهى عن المنكر**، لا يخاف في الله لومة لائم، وأن لا يجعل في الحق سبيلا على مظلوم لظالم، وأن يأخذ بإقامة الصلوات والملازمة لها في الجماعات من ليس بملازم، قال الله تعالى : «الذين إن مكّنّاهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوْا عن المنكر»[37].

هذه وصايانا التي ألقيناها اليه، وأقررناها لديه حجة له وعليه، وأمرنا(ه)[38] أن يحمل عليها من في نظركم وجهاته، وأن يلتزم الوقوف عندها في كل أوقاته ؛ (فإذا)[39] وافاكم بمعونة الله فكونوا معه يدا واحدة في ما أمرنا به من (ـــ ـــ عمل ـــ ـــ)[40]/ مقاصد، (ـــ ـــ [41])في جم(يع) احوالكم أوضح المراشد، (واسعوا[42] ؟) في التعاون عليها جميعا عمل الموافق للحق (المساعد)[42]، قال الله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[43]

ي/74

نسال الله لنا(ولكم)[42] التوفيق الى الحق واتّباعه وتسديدا الى تحصيل أحسن الاقوال واستماعه، وتخليصاً من التبعات يوم لا ينفع مال ولا بنون عند صرف العبد الى ربه وارتفاعه، بمنّه وفضله.

---

(34) من الآية 229 من سورة البقرة.

(35) من الآية 152 من سورة الانعام.

(36) كلمة ناقصة في الاصل، والآية 18 من سورة الحاقّة.

(37) من الآية 41 من سورة الحج.

(38) الهاء ناقصة ربما بسبب الكشط.

(39) كلمة مأروضة.

(40) كلمتان غير واضحتين.

(41) طمس في السطر الأول لكلمتين او ثلاث.

(42) كلمة مطموسة جزئيا.

(43) من الآية 2 من سورة المائدة.

[التقديم السادس والخمسون] :

وفي تقديم آخر(1)

...ولما كانت أمورُكم من أهم ما نعمر به الخاطر الخصام، والنظر في ما يدور بينكم من الأحكام، من أحق ما ينبغي تخيّر المستعمَل فيه، وأوجبِ ما نوثر الاحتياط ونوفيه، أعملنا الفكر في من نقلده أمانة القضاء هنالكم، وأخذنا مع من يثق[2] (بدينه)[3] وعقله في ذلكم، فتعين مع إمعان النظر والتماس المعروف بحسن الطرائق (وأعدل) السير، وإعمال البحث عمن زكّاه تردّدُ الخبر وتواترُ الخِبَر[4] فلان، وهو الشهير حسبه وطلبه، والمشكور في هذه الخطة منحاه ومذهبه، لذلكم قدمناه لأحكامكم الشرعية، ورضيناه لإجراء قضاياكم على القوانين المرعية، بعد أن أمرناه بتقوى الله تعالى في كل أحواله، ووصّيناه بالتزام سداده في كل المحاولات (واعتداله)[3]، وحددنا له أن يجعل كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة قواعد احكامه، وأن يستند في ما لم يرد فيه نص الى أقوال أيمة العلماء بنقضه وإبرامه، وأن يستصحب في تعرف أحوال الشهود الذين يُثبت به الحقوق أو ينفيها (أهم تفقده)[5] واهتمامه، وان لا يستعمل من المسددين إلا من عرف (ـــ ـــ ـــ)[6] على حسن الحال ووُسِم بنزاهة (الحال)[7] ونقاء الانتحال، وأوعزنا اليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن ضده، وأن يقيم الحق بأقصى وُسعه وأوْفى جُهده، وأن يسوّي في القضاء بين النبيه والخامل، وأن لا (يلاحظ) في الحق الذي به يصدع أولي المناصب والمنازل، فالناس شَرْعٌ سَواءٌ في الشرع، والشريف والمشروف مأموران/ بالطاعة له والسمع. ي/75

فإذا وافاكم فتعاونوا (معه على)[8] ما اسندناه اليه، وكونوا يدا واحدة في الحق...

[قال يحيى وفقه الله][9]

((انتهى ما ألفيت من هذه التقاديم في الفصل الذي في مجموع الشيخ رحمة الله عليه، وألفيت في اثناء المجموع منها مما كتب[10] به عن الخليفة الرشيد في تقديم صنوه أبي محمد على خطة القضاء بشريش وما إليها :))[11].

(1) يبدو ان هذا التقديم ايضا عن ابن هود ما دام جامع الرسائل لم يبد اية ملاحظة على عكس ما سنراه بعد هذا التقديم.

(2) كذا.

(3) كلمة مطموسة كلا او بعضا.

(4) في الاصل : وتواثر الخبر.

(5) يتخلل الكلمتين مفعول الارضة.

(6) في الاصل يبدو انها : برؤويه..

(7) كلمة مطموسة. (8) طمس جزئي.

(9) اضافة من المحقق، قارن مع نفس الملاحظة في الصفحة 7 من المخطوط.

(10) هل يرجح هذا ان كاتب التقاديم كاتب واحد، فجمعت له نماذج كتابته عن الموحدين وغيرهم ؟

(11) هذه ملاحظة صاحب المخطوط.

[التقديم السابع والخمسون] :

وعن الخليفة الرشيد في تقديم أبي محمد[1] على خطة القضاء بشريش[2] وما إليها

....وإنا كتبناه، كتب الله لكم استقبالا لأيمن النظر وأحسنه، وإقبالا فيما يعود بصلاح أحوالكم ونجاح آمالكم على أوضح السُّنن وابينِه ؛ وأن تعلموا أن مصالحكم معتمدة بالاعتناء وأن جوانبكم متعهَّدة بالرعاية في كل الأناء ؛ وأنكم موفون من نظرنا لأجمل ما لا يغبّكم منه نظام الأمور وسداد الأنحاء ؛ وبهذا الاعتبار نتخير لأحكامكم من يعيّنه الارتضاء، ونوثر بتقلد أشغالكم من عُرف منه الصلاح وأُلِف لديه الغَناء ؛ والآن قدّمنا فلانا لخطة **القضاء بينكم** والفصل، وإجراء **نوازلكم الشرعية** على قانون النصَفة والعدل، وقد تردّد **فيكم استعماله**[3]، وتقرر اضطلاعه واستقلاله، وتميزت بالنباهة والنزاهة خلاله، وهو موصّى بتقوى الله ومراقبة امره، والتزام الخيفة له في سره وجهره، وأن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة فيما يمضيه من الأحكام، ويقتدي في كل أحواله بمن سلف من أيمة الدين وأعلام الاسلام، وأن لا يستعمل من **النواب**[4] والشهود إلا من تنزه عن المَظِنّة والاتهام، واتصف من موجبات القبول بما تنفد به الشهادات عند الحكام.

فإذا وافاكم قاضيكم المذكور، فتعاونوا معه على البر والتقوى كل التعاون وتوافقوا من الامر **بالمعروف والنهي عن المنكر** على ما يقتضي في ديانتكم بالرجحان عند التوازن ؛ والله (يستعمله)[5] وإياكم بأزكى المساعي والأعمال، ويعرّفكم هذا النظر في كل الأحوال، بمنه، والسلام ؛ **التاريخ** غرة ذي قعدة عام ستة وثلاثين وستمائة./

---

(1) يذكر النباهي قاضيا لابن هود اسمه عبد الله بن الشيلغ استكتب أبا عبد الله بن علي (ابن عسكر)... ثم استنابه في بعض الاعمال ثم عزل اخوه عما كان يتولاه من القضاء بالجزيرة الخضراء، وعزل ابن عمه عن الجهة الغربية، (المرقبة العليا 113 — 114).

(2) تمثل هذه الفترة عودة السيادة الموحدية الاسمية الى جنوب بلاد الاندلس من المناطق التي كانت تابعة لابن الاحمر امير غرناطة حيث أعلن البيعة للرشيد منافسا لبني هود بالشرق الداعين للعباسيين.

(3) هل هو أبو محمد الذي سبق تعيينه قاضيا من قبل المأمون على الجزيرة الخضراء (حسب التقديم 53) ثم على شريش (حسب التقديم 52) ؟

(4) لاحظ في التقديم 53 والهامش 7 عليه مسألة الاستنابة.

(5) كشط بالكلمة، فقد تقرأ كما اثبتناه.

[التقـديـم الثامن والخمسـون] :

وعنه[1] في تقديم آخر

ق/76 /...أدام الله كرامتهم بتقواه وأولاهم من جميل النظر أحقه واولاه، كتب الله لكم تعرفا لأجمل ما توفرت عليه الدواعي من إصلاح احوالكم، وتصرّفا في أكفل الأعمال والمساعي بانجاح آمالكم ؛ وأن تعلموا انّا ننظر للبلاد ورعاياها النظر الذي يقدّم الأهمَّ فالأهمّ من أمورها، ويتمّ الاخصَّ والأعمّ من مصالح خاصتها وجمهورها، ويقيم للشريعة التي تعبّدت بها هذه الامة مراسم واجبها ومحْظورها ؛ ذلكم لتطّردُ لها العناية على أبين مقاصدها، وتوردها الرعاية[2] على أمتن[2] مواردها، وتمتد بها الغاية في ملاحظة الحقائق وملازمة أهدى الطرائق إلى أحسن عوائدها.

وبهذا الاعتبار، يتأكد لدينا تردّدُ الاختيار وتجدّدُ الاختبار، لمن يتعين بترجيح الارتضاء، ويتبيّن تأهّله لخطة القضاء، ويُتيقّن مضاؤه فيما حَكم فيه الشرع بالإمضاء ؛ وممن وفى لهذه الجملة بتفصيلها، ووفّى المعارف حق تحقيقها وتحصيلها، واقتفى في الأهلية لهذه الرتبة السنية واضح سبيلها : فلان ؛ وقد عيّنّاه **لإقامة أحكامكم الشرعية**[3]، وادامة اجرائكم على قوانينها المرضية، والمساواة[4] في الحق بين من تضمّه أقطاركم من الرعية، بعد أن تُقدِّم اليه بأن يقدِّم تقوى (الله) تعالى التي هي قطب السداد، وحسبُ المومن للمعاد، ويستند الى الكتاب والسنة فهما عمدة الاستناد، (و)[5] الى الاجماع الذي (هو)[5] ثالث قواعد الاستدلال والاسترشاد، ويستظهر فيما عَدُمَ النص فيه بما انبنى من أقوال العلماء على أسنّى النظر والاجتهاد، هذا هو السَّنن الذي لا عدول عنه لعدول القضاة، والطريق الذي أدى اليه التحقيق من السِّير المتضاة، وعلى ما أصِّل منه تُحمل نظائره وأشباهُه، وبه يُسبَر الحكمُ إذا انبهم اشتباهُه، ويقع الفصل إذا سلم من عوارض النواقص اتجاهُهُ ؛ وقد حددنا له أن يرجع إليه فيما يثبته وينتفيه، ويجعله منهاجه الذي يسلكه دائما ويقتفيه، وأمرناه ان (يكـ ــ)[6]تصفّح أحوال الشهود، وتعرُّفِ المقبول منهم من المردود، من أن أهم

---

(1) اي عن الخليفة الرشيد.

(2) شبه مأروضة.

(3) الملاحظ هنا عدم النص صراحة على الفصل في النوازل مثل ما هو ايضا في التقديم رقم 53.

(4) في الاصل : المساوات.

(5) ناقصة في الاصل.

(6) كلمة مأروضة، ولعلها (يكثر من).

ي/77 (ـــ ـــ ـــ)[7]/ فيه، وأن يتوخى الديانة والأمانة فيمن يستعمله من النواب[8] عنه ويستكفيه[9].

فإذا وافاكم، فلْيحسُن ائتمارُكم لإصداره، وإيراده، ولْتجمُل آثاركم في التعاون معه على ما قُلّد من استقلاله بأحكامكم واستبداده، ولتعلموا أنكم أوثِرتم منه بمن يُجري الفصل الشرعي فيكم على جادّة سداده، ان شاء الله تعالى...

---

(7) كلمة مأروضة تماما.

(8) لاحظ هذا المصطلح ايضا في التقديم السابق عن الرشيد.

(9) كلمة مأروضة جزئيا.

[التقديم التاسع والخمسون] :

وفي تقديم آخر

...كتب الله لكم توافقا على السعي الجميل، وتسابقا الى سلوك سواء السبيل، والتعاون على ما يحظيكم بالزلفى لديه ؛ وأن تعلموا أنكم معتمدون بالنظر المصلح لأحوالكم، ومتعهَّدون بالاعتناء الميسَّر لآمالكم ؛ وأولى مهماتكم بالتقديم، وأحرى ما جرت فيه أموركم على السنن القويم، خطة القضاء التي تقام بها بينكم الأحكام، ويتسق ما جرت فيه اموركم على السنن القويم، خطة القضاء التي تقام بها بينكم الاحكام، ويتسق بإجزائها على القوانين الدينية لجميع النوازل النظام ؛ وقد قدَّم فلان للفصل بينكم والقضاء، وأنهض لما تحتاجون إليه في نواشيء أحكامكم من الإنفاذ لها والإمضاء، بعد أن قُرِّرَ تردُّده في الاستعمال فظُنَّ به الاقتداء بسلفة في مشكور الاحوال.

وقد وصّي بتقوى الله ومراقبة أمره، واستشعار اطّلاعه تعالى عليه في سره وجهره، وأن يكون على الكتاب والسنة والإجماع اعتماده، وإلى فتاوى علماء الأمة وأعلام الأيمة استناده، وأمِر بالتسوية في الحكم بين المشروف والشريف[1]، والآخد بالحق من القوي للضعيف، وأكّد عليه في شأن الشهود لينتقيهم، ولا يقبل إلا عدلهم وتقيّهم، فعلى الشهادة مَدار ما يوقفه من الفصل في القضايا او ينفذه، والاحتياط لها من اهم ما يَحسُن فيه بحول الله منحاه ومأخذُه[2].

فإذا وافاكم بهذا الخطاب فارجعوا إليه باحكامكم، وأعينوه باتفاقكم معه على تمشية الحق والتئامكم إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يمن النظر الذي يتعهدكم جميله، ويسلك بكم من التعاون على (ـــ ـــ ـــ)[3] والتوافق في أعمال البر على ما اتضح سبيله...

---

(1) في الاصل :الشريف (بدون واو).

(2) لا يوجد هنا ذكر لاختيار المسددين، فهل يبقى هذا ضمنيا، ام لا يدخل في اختصاص هذا القاضي بحيث لا يتعدى نفوذه بلدته ؟

(3) كلمة مأروضة.

ي/78 **قال يحيى[4] وفقه الله تعالى :**

انتهى ما في المجموع مما ذكرته وما ألفيته فيه ووجدته، ووصلت بعضه ببعض وأوردته ؛ وهذا ابتداء ما وجدته من هذه التقاديم في غير ذلك المجموع مما جنيت ثمره، وأجريت نهره، وأشممت زهره، ونظمت لأولي الآداب والالباب (درره، لينتهي)[5] بلآليها، ويتسلى بما بث الأنس في لياليها، فمن ذلك :

[التقديم الستون] :

تقديم قاض

...وإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم نظرا تتمشّى به مصالحكم، وأثرا تأمن له مساربكم ومسارحكم ؛ وقد رأينا ــ ونسأل الله تعالى سداد الرأي ورشاد الأمر (ــ ــ ــ)[1] وأن يقدم[*] للاشتغال بأحكامكم الشرعية، والنظر في مصالحكم الدينية، فلانا أكرمه الله[2] بتقواه، وسدد لقول الحق والعمل به مقصده ومنحاه، بعد أن وصيناه بتقوى الله التي هي أسّ الاعمال الصالحة، وعنوان الأحوال الناجحة، وأمرناه بالقيام بشرط القضاء، والتثبت في الأحكام قبل الإمضاء، والتسوية بين الخصوم (في)[3] الحق دون تفرقة بين ذوي المرتبة والإثراء، وعهدنا إليه أن لا يقبل من الشهداء إلا من حُمدت طريقته، ولا يعمل من العقود إلا ما ثبتت حقيقته، وأكدنا عليه التزام هذا القانون الذي حددناه، والاعتماد على الذي نويناه وقصدناه[4].

فإذا وافاكم إن شاء الله فأعينوه على الشغل المنوط به، وشاركوه في اظهار الحق فلم تُنهضه الا بسببه، ووافِقوه في ما يأمر به من المعروف وينهى عنه من المنكر تحمدوا غِبّ اتفاقكم، وتجدوا بركة انتظامكم واتساقكم، والله تعالى ينجدكم ويعينُكم، ويستعملكم في ما تصلح به دنياكم ويَصحّ دينُكم...

---

(4) لاحظ تدخّلين سابقين له في الصفحتين 7 و75 من المخطوط، والعبارة هنا من «قال... المجموع» مكتوبة في الاصل بخط سميك. (أي السطر الأول في صفحة المخطوط)

(5) طمس جزئيٌ للكلمتين.

(1) كلمة مطموسة.

(*) كذا في الأصل، والصواب : وأن نقدّم.

(2) لاحظ صيغة جديدة في الدعاء في هذا التقديم.

(3) ناقصة في الاصل بآخر السطر بسبب الكشط.

(4) اغفل هنا ذكر الالتزام باصول الشرع واختيار النواب والمسددين، فهل هو ناتج عن اختصار الناسخ ام لإهمال الكاتب...؟ راجع الهامش 2 على التقديم 59.

[التقديم الواحد والستون] :

وفي تقديم آخر

....كتب الله لكم نظرا يمهّد[1] أكنافكم، واختياراً يؤمن أوساطكم وأطرافكم إلا الخير[2] الأكمل، واللطف الاشمل، والحمد لله حمدا (تستدام)[3] به الآلاء (وتستجزل[3]، و) قد رأينا — ونسأل الله سداد الآراء، ويمن المقاصد كلها والأنحاء — أن نقدّم عليكم[4] (للقضاء في)[5]/ أحكامكم الشرعية، والاشتغال بأشغالكم الدينية، والفصل بين قويكم وضعيفكم، وشريفكم ومشروفكم بميزان العدل والسوية، ووصيناه بتقوى الله في ما يُعمل فيه نظرَه، ويسند إليه مقوله ومنتظرَه، والحكمِ بالحق الواضح يسلك سَنَنَهُ ويقفو[6] أثره، وأمرناه (بتفقد)[7] العقود والشهود، وبذل الجهد في الفرق بين المقبول منهم والمردود، والوقوف عند الحدود الشرعية في (التعزيرات)[8] والحدود[9] ؛ فأعينوه على ما وجهناه إليه من **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وعاضدوه في إظهار الحق وإخفاء الباطل معاضدة تُرعى لكم وتُشكَر...

ي/79

---

(1) في الاصل تمهد.

(2) قارن مع مثل هذا التعبير في التقديمين 62 و64 والتقاديم 33 و35 و44.

(3) كلمة مطموسة.

(4) يوجد هنا بتر تسبب في اغفال ذكر المقدّم (فلان) في هذا التقديم... لاحظ نفس الشيء في التقديم 64.

(5) كلمتان مأروضتان.

(6) في الاصل : ويقفوا.

(7) الكلمة في الاصل مكررة.

(8) كلمة مأروضة ومن معاني (عزّر) : أدّب وضرب.

(9) هنا ايضا إغفال لذكر اختيار النواب والمسددين، انظر الهامش 2 على التقديم 59.

[التقديم الثاني والستون] :

وفي مخاطبة أخرى في ذلك

....أدام الله كرامتهم بتقواه، ويسّر لهم خير الدين والدنيا وسنّاه، كتبناه كتب الله لكم حسن الاختيار، ويمن الإيراد والإصدار، إلاّ الخير[1] الأوفر نصيبا واليسر الأدفر[2] عبقا وطِيبا ؛ وقد رأينا ـــ ونسأل الله رشاد الآراء وسداد الأنحاء ـــ أن نقدم فلانا للنظر في الشرعي من أحكامكم، والاشتغال بالديني من نقضكم وإبرامكم، والفصل بواجب الحق في نواشيء نزاعكم وطوارىء خصامكم، بعد تقرر طلبه وزكائه، والثقة بسداد مقاصده وأنحائه ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى، والسير على جادة الشرع المثلى، والاقتداء بآثارالكتاب والسنة[3]، والانتهاض في الأمر **بالمعروف والنهي عن المنكر** ببذل الجهد وإعمال النية، والاستحسان في المشكلات بالحذر والتوقّي ونِعْمت الوقاية فيهما والجُنة، وأمرناه بانتقاء الشهود واختيارهم، والوقوف مع الحق في اطّراحهم أو إقرارهم، والتسوية بين الأقوياء والضعفاء غير معْرض عن هؤلاء لإقتارهم ولا مُقبل[4] على أولئك لإكثارهم.

فإذا وافاكم فأحسنوا معاضدته، وأجملوا مساعدته، والله يديم توفيقكم، ويُنهِج إلى الخير طريقكم...

[التقديم الثالث والستون] :

وفي فصل من أخرى في المعنى

ي/80 ...(كتبناه كتب)[1] الله حسن النظر لكم، ويمن ما نوجهه من الغَناء والاعتناء قِبلكم، وقد رأينا ـــ ونسأل الله سداد الرأي ورشاد السعي للنظر في نوازلكم الدينية، والفصل بالحق في قضاياكم الشرعية...

---

(1) قارن مع هذا التعبير ما في التقديم السابق 61 وتقاديم اخرى : 33 و35 و44 و 61 و64.

(2) المقصود فوحان الرائحة.

(3) وقع هنا التغاضي عن ذكر الأصل الثالث من اصول الشرع وهو الاجماع.

(4) في الاصل : ولا مقيل.

(1) الكلمتان شبه مطموستين بفعل الرطوبة.

[التقديم الرابع والستون] :

ومن مخاطبة جمهورية في المعنى

...أدام الله كرامتهم بتقواه، ووفر حظوظهم من رحماه ونعماه، إلا (الأ لاءة)[1] الدارّة، والأحوال السارّة ؛ ولمّا كان قطركم مبدأ مهماتنا، والمقدّم في نظرنا والتفاتنا، وكان تخيُّر قضاته أولى ما رفع به الابتداء، ووقف عليه الاعتناء للنظر في أحكامكم الشرعية، والاشتغال بنوازلكم الدينية[2]، وهو المشهور حسبه وطلبه وتديّنه، والمعروف أنه لا يقف دون غاية الكفالة ممكنه، وممن لم يزده (مسبار)[3] الاختبار، وتكرار الاعتبار، إلا منحَى نستجيده، ومنزعا نستحسنه ؛ وقد وصيناه بتقوى الله فهي عُدّة المفلحين، وعمدة الصلحاء والمصلحين ؛ والوظيفة التي يجب على الأبّاء[4] استشعارها الحين بعد الحين، وأمرنا(ه)[5]أن يسوي[6] بينهم الخصوم في سمعه ولحظه، والمعدلة بينهم في الشدة أو اللين من لفظه، وأن لا يخاف لومة لائم في إمضاء الحق، ولا يعدل ما لم تعترض[7] شدة شرعية عن سنن الرفق، ولا يقبل من الشهود إلا المشهّدين بالذكاء والزكاء والصدق، فالشهود مناط أحكامه، ومستنَد نقضه وإبرامه، (والفاروق)[8] الأقوى بين حلال الفصل وحرامه، والعائدون حسب العدالة أو ضدها ذات اليمين أو ذات الشّمال بزمامه ؛ وهو يقف عند هذا (الوقف)[9] ويعمل بهذا العهد، ويمشّي ما لم يزل يُلقّنه عنا ويفهمه منا من سداد القصد[10].

فإذا وافاكم فوافقوه في تمشية مصالح الديانة، وأولوه (مَمكّنَه)[11] في ذلك من الانحاء والعضد (والإعانة)[12]..../

---

(1) يشابه هذا الاسلوب ما ورد في اوائل تقاديم اخرى (33 و35 و44 و61 و62)، وكلمة (الألاءة) مأروضة الآخر.

(2) هنا بتر ادى الى اغفال ذكر المقدم، كما هو الحال في التقديم السابق رقم 61.

(3) كشط جزئي للكلمة.

(4) الأباء : من فعل ابى يأبى، «رجل أبّاء» اي يأبى الضيم.

(5) في الاصل : وامرنا.

(6) في الاصل : ان نسوي.

(7) كشط في وسط الكلمة.

(8) مأروضة الوسط.

(9) كلمة مطموسة تظهر شبيهة بما اثبتناه.

(10) يلاحظ ذكر «القطر» وغياب ذكر اختيار «المسددين» فهل القاضي مسؤول عن مدينته دون الجهات الاخرى.

(11) كلمة مطموسة تظهر شبيهة بما اثبتناه.

(12) كلمة مأروضة.

[التقديم الخامس والستون] :

ي/81

مخاطبة أخرى وعن الخليفة المعتضد في إعادة قاض لخطته[1]

(بعد الصدر)[2]

كتب الله لكم نظرا يطّرد لأحوالكم صلاحها، و(يـ)سلك[3] بكم على جادة توفيقه التي لا ينبهم تبيُّنها واتضاحها ؛ وأن تعلموا أن اعتناءنا بكم (ـــ ـــ ـــ)[4] أن لا نُغبّكم بالنظر الجميل في كل الاحيان، وأن تطّرد فيكم سيرُ العدل والاحسان، وأن يعيَّن لمصالحكم وأشغالكم من عرفنا تأهله لذلكم بتردد الخبرة وتكرر الامتحان.

وبهذا الاعتبار أعدنا الآن الى **تولّي أحكامكم الشرعية، وتقلد النظر في نوازلكم الدينية** ؛فلان، إعادة تفرده بالفصل بينكم والقضاء، وتشهد بما تأكد له لدينا من موجبات التأهيل لذلكم والارتضاء، وتنبيء بما تضاعف له عندنا من مزيات الإيثار والاعتناء، فهو ممن تميّز بالخِدم الحديثة والقديمة، وتبيّن سلوكه على تردد استعماله في **هذه الخطة** للطرق الواضحة والسبل القويمة ؛ وقد تُقدِّم إليه بالوصية الأكيدة في أن يكون على تقوى الله تعالى مدارُه، وأن لا يعدل عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع الامة إيرادهُ واصدارُه، وأن لا يستعمل من **النواب** عنه إلا الأزكياء الذين يَحسُن لهم اختياره، والشهود هم مُستَنَد الحكم فيما يمضيه أو يتوقف فيه ؛ فليقدِّم انتقاءهم جهده، ولا يقبل منهم إلا من صحت عدالته عنده، وليجعل التسوية في الحكم بين المشروف والشريف والقوي والضعيف، من أهم ما يصرف إليه قصده، وليتولَّ النظر في تمشية[5] (الأحكام)[6] تولّي من يصدع فيها بالحق، ويجريها على أقوم الطرق، إظهارا لمذهبنا في العدل والرفق، واعتمادا على ما نوثره من استقامة الاحوال لكافّة الخلق.

فائتمروا لما أسندناه إليه أحسن ائتمار، واستمروا على ما تحسن آثاركم (....)[7] إعانته أجمل

---

(1) في الاصل : (لخطبته)، والمضمون يؤكد ما اثبتناه.

(2) هل حدث تدخل جامع الرسائل التقديمية لإلغاء الصدر ؟ راجع الهامش 11 على التقديم 70.

(3) في الاصل : وسلك.

(4) كلمة مأروضة البداية، ولعلها : (يقتضي).

(5) كلمة مأروضة البداية ولعلها في الاصل : (تمشية).

(6) شبه مطموسة.

(7) كلمة مأروضة، ولعلها (من).

82/ و الاستمرار، واعلموا أنا أثرناكم به عن حسن نظر لكم واختيار،/ وأنتم تعرفون في عودته هذه اليكم، من حسن سيرته فيكم، ما حصلتم قبلُ منه على معرفة واختبار، ان شاء الله تعالى ؛ وهو سبحانه يوجدكم يمن نظرنا في كل أموركم، ويعرّفكم اتم عائد بالخيرات على خاصتكم وجمهوركم، بمنه والسلام[8] **التاريخ** منتصف شوال عام أربعين وستمائة[9].

---

(8) الملاحظ ان هذا من التقاديم الاولى لعهد المعتضد ومع ذلك فهو خال من الاشارة الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الا اذا كان ذلك ضمنيا مطلوبا من القاضي.

(9) كان ابو الحسن على الملقب بالمعتضد بالله وبالسعيد تولى الخلافة يوم وفاة اخيه الرشيد في 10 جمادى الآخرة 640 وتوفي في منسلخ صفر سنة 646، وممن كتب عنه ابو الحسن الرعيني (البيان 358)

[التقديم السادس والستون] :

وفي اعادة قاض آخر(1)

...أدام الله تعالى كرامتهم بتقواه، وأجرى أحوالهم في دينهم ودنياهم على ما يرضاه، وإنا كتبناه كتب الله لكم انسحاب ظلال العافية عليكم وانسدالها، واستصحاب الأمنة التي لا تعدمون اطّرادها واتصالها، والثقة من ألطافة الجميلة بما يُيسر آمالكم لديه ؛ وأن تعلموا أن نظرنا لكم في كل أموركم وفيما يَصْلُح بخاصتكم وجمهوركم، النظر الذي يمهد بلادكم ويؤكد سدادكم، ويسلك بكم على أهدى الشواكل، ويعود إن شاء الله تعالى عليكم بالخير في العاجل والآجل، بمنّ الله تعالى.

وإلى هذا فإنا لما أمرنا قاضيكم فلانا **بالتوجه لخطته من القضاء** الذي كان هنالكم بسبيله، وصرفه إليكم بمقتضى حميد الاعتناء به وبكم وجميله، رأينا أن نشد عضده بخطابنا هذا في أن يقيم الحق والعدل في ما يرجع اليه من **خطته الشرعية**، ويختصُّ به من الفصل بينكم في **نوازلكم الدينية**، وأن يصدع بالشرع لا يخاف فيه لومة لائم، وينهض في تمشيته بما يكفّ كل ظالم، وحددنا له الوصايا باتقاء الله عز وجل في سره وعلنه، والاعتماد على ما جاء به رسول الله ﷺ من كتاب الله العزيز وسنته، وعلى إجماع الأمة الذي لا يضل من اقتفى واضحَ سَنَنه، وهو بمعونة الله تعالى يجريكم على ما عهدتم من ضبط أحكامكم، وازاحة علل خصامكم، ويسير فيكم السيرة التي ألفتموها إجادة للفصل بينكم بالشرع الذي لا (مزية)[2] فيه للوجيه على (الخامل)[2]/ وإقامة للحق الذي يستوي فيه الأدنى والأرفع من المنازل، وهو الذي (ــــ ــــ)[3] بهذه الخطة جوارُهُ، وحسنت في تمشيتها على أقوم طرقها طولَ إقامته عندكم في المدة المديدة آثارُهُ، فيعرف على مرّ السنين صغيركم وكبيركم، ويتهدّى[4] من حسن السياسة فيكم إلى ما يعمّ بالمعدلة بحول الله تعالى خواصّكم وجماهيركم[5].

ي/83

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فكونوا معه في الحق إخوانا، وعلى **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** أعوانا، ولا تذخروا دونه في الموافقة والمعاضدة وسعا ولا إمكانا، وتحققوا أن اعتناءنا بكم يتعهدكم حينا فحينا وزمانا فزمانا، إن شاء الله تعالى....

---

(1) اي اعادته الى خطته كما هو حال التقديم السابق.

(2) كلمة شبه مأروضة.

(3) كلمتان مطموستان يبدو انهما : (قدم فيكم).

(4) تهدّى، يتهدى : استرشد.

(5) الملاحظ هنا عدم ذكر اختيار الشهود والنواب، فهل هو ضمني ؟ وكذلك اغفال امر المسدّدين، انظر الهامش 10 على التقديم 64.

[التقديم السابع والستون] :

وفي مخاطبة تقديم قاض

...وإنا كتبناه كتب الله لكم اكتفالا متعهّدات[1] العوافي والألطاف، واعتيادا للتنبؤ في متمهدات النواحي والأكناف ؛ وأن تعلموا أنّا بحكم ما استرعانا الله سبحانه من أمور الرعية في جميع البلاد ومصالحها، وألزمَنا من السلوك في النظر لها على قديم السبل وواضحِها، وقلّدنا من أمانة القيام بما يعود نفعه على دانيها ونازحها، طورا في دينها الذي هو أولى ما نقيمها فيه على جادّة السداد وسَننِ الاستقامة، وتارة في دنياها التي هي مطلوبة فيها بالاستصحاب لحسن العمارة والاستدامة، ومازلنا ــ والله تعالى المانّ بالإعانة، والموفّق لكل ما تصلح عليه أحوال الدنيا والديانة ــ نتخولكم بجميل الالتفات، ولا نُخليكم من إعمال الاهتمام بشؤونكم في كل الأوقات، ولا نقدم لأحكامكم إلا من تقدَّم الاختيار له بالاستعمال في كثير من الجهات ؛ وبهذا الاعتبار قدّمنا الآن فلانا للفصل بالشرع في **قضاياكم ونوازلكم** ، والصدع بالعدل في ما توردون عليه من التخاصم في طوارىء مسائلكم، والتسوية في القضاء بالحق بين نبيهكم وخامِلكم، بعد أن تأهّل لدينا لذلكم بما له في الطلب والحسب (ومن النباهة)[2]، **ولاقتفائه لسلفه في هذه الخطة**[3] في ما اتصفوا به من النقاء والنزاهة،/ ي/84 (وقد وصيناه بتقوى)[4] الله تعالى ومراقبة أمره ونهيه، وأن يقصر على طلب التخلص لديه من التبعات (في)[5] كل عمله وسعيه، وأمرناه أن يبنى على كتاب الله العزيز وسنة رسوله ﷺ ــ وإجماع الأمة كل حكم يمضيه وينفذُه[6]، وأن لا يعدل بحال عن ذلك في نازلة من النوازل منحاه ومأخذُه، وأن يصرف إلى الشهود الذينِ عليهم مدار النفي والإثبات وبهم استخراج الحقوق المقتضيات أقوى نظره وتأمّلِه، وأن يتلقّى المعدّلَ منهم بتقبّله، ويرد المجرَّح بما اقتضاه له سوء عمله، وأكدنا عليه في أن يسوي في كل حكم يمضيه عند توجهه، وفصل يجريه بعد اتضاحه وتبيّنِه، بين القوي والضعيف، والمشروف والشريف، فالحق لا يعتبر فيه تباين المناصب، ولا يقضي بين متجاذبيه[7] إلا بالواجب[8].

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فانقادوا إليه احسن إنقياد، وتعاونوا معه على ما يحملكم عليه من صلاح وسداد، ويعمله في أحكامكم من إصدار بالشرع وإيراد، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يوجدكم يمن هذا النظر لكم، ويجمع على طاعته قولكم وعملكم، بمنه...

(1) كذا في الاصل.

(2) مأروضة البداية.

(3) في هذا تأكيد، لما ذكر سابقا من اشتهار اسر بمهمة القضاء وتوارثه.

(4) كلمات شبه مطموسة باثر الرطوبة.

(5) مطموسة بالرطوبة.

(6) في الاصل : وينقذه.

(7) في الاصل : متخاذبيه.

(8) لا يوجد هنا ايضا اشارة الى اختيار النواب او المسددين كما رأينا في تقاديم سابقة.

[التقديم الثامن والستون] :

ومن مخاطبة أخرى في ذلك

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وأعانهم على ما يتقبله من الاعمال ويرضاه، وإنا كتبناه كتب الله لكم أحوالا يتجدد لها الصلاح والسداد، وآمالا يقترن بها الإنجاح والإسعاد، وأن تعلموا أن الإعتناء بمصالح جهاتكم، والإجراء لكم على سنن العدل والرفق في كل أوقاتكم، مما نتعهدكم[1] به الحين بعد الحين، (و)[2] نختار لإقامة ذلك فيكم أهل الزكاء والدين، وبمقتضى النظر الجميل لكم في الأقل والأكثر من أموركم، وقصد الخير لخاصتكم وجمهوركم، تخيّرنا لتولّي الاحكام الشرعية هنالكم، وتوفية المقصود في تسديد أحوالكم، فلانا ؛ وهو المخبور النزاهة والزكاء، المشهور المذاهب والأنحاء، (ــــ ــــ ــــ)[3]/ ما لسلفه في العلم والدين من رتبة الاقتداء والاقتفاء ؛ وقد وصيناه (بتقوى)[4] ي/85 الله تعالى في كل متصرفاته، ومراقبة أمره فيما يديره من محاولاته في الفصل بين الخصوم وتناوُلاته، وأمرناه أن يبني على كتاب الله العزيز وسنة رسوله عليه السلام ما يجريه من نفيه وإثباته، وأن يلاحظ إجماع الأمة في ما ينفذه من حكوماته، وأن لا يقبل من الشهود إلا من عرف بالأصلية للقبول، وسلم في شهادته بتيقظه وذكائه من الغفلة والذهول، وأن يسوي في الحكم بين الأقوياء والضعفاء، ولا يجعل مزية على المشروفين فيه للشرفاء، وأمرنا(ه)[5] أن يجتهد في **إزالة المحدثات** التي لا يجيزها الشرع، **ومحق المنكرات** التي يجب الزجر عنها والمنع، وأن يطمس آثار ذلك كله حيث كان في **الأسواق وسواها**[6]، ويسلك في رفع كل مظلمة أقوم الطرق وأجلاها، وأن يصدع بالحق دون مراقبة لأحد من الخلق، ولا يضع الرفق موضع الشدة ولا الشدة موضع الرفق، حتى يجري نظره على قانون سديد، وينتهي في توفية العدل إلى امد بعيد، بحول الله تعالى.

فإذا وافاكم فائتمروا له في ما أسندناه إليه، واتفقوا معه (على)[7] الحق ولا تختلفوا فيه عليه، وكونوا في ذات الله عز وجل إخوانا، واستقبلوا بالتعاون على البر والتقوى خيرا ويمنا وأمانا، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه ينجدكم على ما فيه صلاح دينكم ودنياكم، ويشمل بالعافية (والأمنة)[8] أدناكم وأقصاكم، بمنه...

(1) في الاصل : تتعهدكم.

(2) الواو مطموس تماما بفعل الارضة.

(3) كلمة ماروضة، ولعلها (المعلوم).

(4) كلمة مأروضة.

(5) في الاصل : وامرنا.

(6) هنا تلتقي مسؤولية القاضي عبر المحتسب مع مسؤولية الادارة المدنية، راجع الفصل الخامس حول الجانب القضائي.

(7) ناقصة في الاصل.

(8) في الاصل : الامانة.

[التقديم التاسع والستون] :

وفي تقديم آخر

...وإنا كتبناه كتب الله نظرا بمصالحكم الدينية متكفلا، وتخيّراً لمن يكون في أحكامكم الشرعية مستعمَلا ؛ ثم العلم أن الاعتناء منا يتعهدكم (في)[1] كل أموركم، ويجريكم على ما فيه سداد خاصتكم وجمهوركم، ويوفيكم من جميل الالتفات ما يفي بإقرار عيونكم وإبهاج صدوركم ؛ ذلكم لما تميزتم به لحضرة الموحدين (من الجوار)[2] الذي تأكدت ذمته، (ورعيت)[3] لكم قديما وحديثا حرمته، ولما لكم في موالاة[4]/ الأمر (العلي)[5] والانضواء اليه من الخلوص الذي لاحت سمته ؛ 86/ي وقد رأينا بعد استخارة الله تعالى أن نختار للقضاء لكم من يستنام إلى زكائه ونقائه، ويوثَق فيما يتولاه بسداد أنحائه، فقدمنا بهذا الرسم هنالكم فلانا، وصل الله تعالى توفيقه، وجعل العمل الصالح رفيقه، ليجري الحكم في نوازلكم على قانون الشرع، ويلتزم العدل في أحكامكم بأقصى الوسع، ويسلك مسلك القضاة من سلفه في الفصل بالحق والصدع.

وقد وصيناه بتقوى الله تعالى التي من لزمها أمِن من (العثار)[6]، وأمرناه ان يسند في نقضه وإبرامه وتوفقه وإقدامه الى محكمات الآيات وصحيحات الآثار، وإلى إجماع الأمة الثابت في مصنفات الايمة الأخيار، وان لايشذّ في حكم يمضيه عن اقوال العلماء الذين بهم يقتدي في الايراد والاصدار، وأكدنا عليه في تفقد أحوال الشهود، والتمييز بين المقبول منهم والمردود، والتثبت التام في نصوص السجلات والعقود، وأن يسوّي بين المتخاصميْن في الحضور لديه والقعود، ويوفي في توفية كل ذي حق حقَّه غاية المجهود، وأن يكون **بالمعروف آمرا وعن المنكر زاجراً**[7]، ولكل ما يخالف الحق منافراً.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فانقادوا أحسن انقياد اليه، وكونوا معه يدا واحدة فيما يحملكم من هذه المآخد عليه...

---

(1) كلمة مأروضة.

(2) الكلمتان مأروضتان جزئيا.

(3) مأروضة في اواخرها.

(4) في الاصل : موالات.

(5) مأروضة الوسط.

(6) مأروضة، ويبدو انها كما اثبتناه.

(7) انظر الهامش 6 على التقديم 68.

[التقديم السبعون] :

وفي معنى ذلك

...وإنا كتبناه كتب الله لكم تعرفا من النظر الجميل لما فيه استقامة أحوالكم وسداد أموركم، وتآلفاً في اقتفاء مثلى السبيل على ما يعود بالصلاح على خاصتكم وجمهوركم ؛ وأن تعلموا أنّا نوالي الاعتناء بمصالحكم ومهماتكم، ونجيد[1] الاختيار لكل من نستعمله في شغل من أشغال جهاتكم، وبخاصة خطة القضاء التي تجري الأحكام الشرعية على قوانينها، وتزن النوازل الدينية تحريا فيها للحق (باعدل)[2] موازينها، فلا نقدّم لها (إلا من)[3]/ (ـــ ـــ ـــ)[4] ديانته ومعرفتُه، وتميزت بالنباهة والنزاهة شيمتُه، (ـــ ـــ ـــ)[5]لإيثار الفصل بالعدل والشرع بالصدع إصغاؤه وتلفّتُه ؛ وبهذا الاعتبار الذي (يشتد)[6] كرامته وتوفيقه، (ويسدد)[7] إلى مرامي السداد تفويقه، ليتولى الأقضية في بلادكم كلها[8]، ويمشّي مقتضى العدل في نفيها وإثباتِها وعقدها وحلّها، وطلبه متين، ومكانه لدينا مكين، وقد خبرناه فزكى على الاختبار، واستعملناه فحمدنا ما انتحاه من السِّير والآثار، وشكرنا توخّيَه للحق في الإيراد والإصدار، وبعد أن وصيناه بتقوى الله تعالى التي يزينها التزامُها، ويستند إليها نقضُ أحكامه وإبرامها، وأن لا يفصل إلا بما يوجبه كتاب الله تعالى الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[9]، وأن لا يعدل عن سنة رسوله عليه السلام في نفي ما لم يثبته[10] وإثبات ما لم تنفه[10]... (انتهى ما أُلفِيَ من هذا الخطاب)[11].

ي/87

---

(1) كذا بالاصل.

(2) مأروضة البداية.

(3) مأروضتان بشكل تام.

(4) كلمة او اثنتان مأروضتان مثل (عرفت) او (قد ثبتت).

(5) كلمتان مطموستان نهائيا تقعان في نهاية السطر الاعلى الكثير الارضة.

(6) كذا بالاصل.

(7) في الاصل : (وسدَّدَ).

(8) لعل الضمير يعود على الأقضية.

(9) من الآية 42 من سورة فصلت.

(10) كذا بالاصل.

(11) كذا في الاصل، بحيث يظهر بوضوح ان التقديم مبتور الاخر قبل ان يقع بيد جامع التقاديم، فهل هذا الاعتراف يخلصه من مسؤولية البتر في الحالات الاخرى في خواتم وصدور التقاديم ؟ ام بالعكس يثبت هذه المسؤولية ما عدا في حالة الاعتراف ؟

[التقديم الواحد والسبعون] :

وفي المعنى أيضا

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وأجزل حظوظهم من نعماه ورحماه ؛ وإنا كتبناه كتب الله تعالى لكم تعرفا يمن النظر الأجمل، وتصرفا في ما يقضي لكم بصلاح الأحوال في الحال والمستقبل، وأن تعلموا أن نظرنا لكم جميل، واعتناءنا بخاصتكم وجمهوركم كفيل، وأنا نحملكم على سَنن العدل ونجريكم في جميع أحوالكم على أوضح السبيل، ونتخير لتمشية العدل في نوازلكم الشرعية وقضاياكم الدينية من يمضي فيها مضاء النصل، والله يعرفكم يمن هذا القصد في كل زمان، ويحظيكم بما تأملونه من مَنٍّ وأمان، ويوجدكم أثر ما نوثره لكم ولكافة المسلمين من رفق وعدل وإحسان، بمنّه.

وإلى هذا ــ أدام الله كرامتكم ــ فإن خطة القضاء هي الخطة التي لها يُفزَع في مشكلات النوازل، وبحقها يُصدع في مبهمات المسائل، وبما خصته به من علم الشريعة ويفرّق بين (الحق)[1] والباطل، وبحسب ذلـ(ـلكم)[2]لتوليها من يقوم بها خير قيام، ويجريها/ 88/ب (على أحسن)[3] قانون وأجمل نظام ؛ وبهذا (الاعتبار)[4] قدّمنا الآن عليكم للفصل في (ــ ـا ــ كم)[5] الشرعية، وحملكم على القوانين المرعية أبا فلان، وصل الله توفيقه، وسدد الى مرام الخير والسداد طريقه، بعد أن اختبر واختير، وتحقق أنه يوافق بزكائه وسداد أنحائه التيقن فيه والتقدير، وبعد أن تقدّم استعماله، (وشكر ــ ــ ــ)[6] بما أسند اليه من هذه الخطة واستقلالُه، وحُمدت مناحيه في النزاهة وأحوالُه، ولم يزل مع ذلك ناشئا في حجر الخدمة لهذا الامر العزيز الكريم ومرتضعا هو (وابوه)[7] أعزه الله تعالى لدرء إحسانه الجسيم وفضله العميم.

وقد وُصّي مع ذلكم بتقوى الله تعالى ومراقبة أمره ونهيه في جميع أحواله، وملاحظة الشرع في مقاله وفِعاله، والقي إليه أن يجعل القرآن العزيز إمامه، وسنة رسول الله ﷺ أمامه، وأن يبني على إجماع الأمة إذا عدم النص الجلي في الكتاب والسنة نقضه وإبرامه، وأن يتصفح مع ذلك احوال الشهداء ولا يستعمل من المسدّدين[8] غير المسدّدين الاتقياء، وأن يسوي في مجلس الأحكام بين

(1) كلمة مأروضة كليا.

(2) كلمة مأروضة، لعلها (نستعمل).

(3) كلمتان مطموستان بفعل الرطوبة والارضة، ولعلهما كما اثبتناه.

(4) كلمة مأروضة.

(5) كلمة مأروضة ولعلها (مسائلكم).

(6) كلمتان مطموستان لعل اولاهما (وشكر).

(7) كلمة مأروضة الوسط، وقد تعددت الاشارات لتوارث منصب القضاء وستتعدد.

(8) حول المسددين انظر الهامش 3 على التقديم 49.

الأقوياء والضعفاء، (و)[9] المشروفين[10] والشرفاء، وأن لا يوثر على جانب الحق جانبا، ولا يحابي مواليا له ولا ينافي مجانبا، وأن يتقي الله حق اتقائه، ويعمل عمل المستشعر لجزاء الله يوم لقائه، وأمرناه مع ذلك أن ير(فع)[11] كل محدث يجب له الرفع، ويُذهبَ كل مبتدع لم يبحه الشرع، ويزيلَ كل مخترع يتعيّن الزجر لمخترعه والردع، حتى لا يبقى إلا ما اباحته الشريعة المحمدية، واقتفيت فيه آثارها السنية[12]، فبذلكم تستمر الأحوال على مَهْيَع الصلاح ومنهاجه، وينفرج باب الخيرات بعد ارتجاجه.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى قاضيكم المذكور، فارجعوا إليه بأحكامكم، واعرضوا عليه نواشيَ خصامكم، وائتمروا له في كل ما نمشيه فيكم من الحق، واسلكوا في معاونته ومعاضدته على أقوم الطرق، وأعينوه على أخذ الحق من الظالم للمظلوم، واعلموا أن العدل فيما (يستمر به صـ)ـلاح[13] الأحوال ويدوم، إن شاء الله/ تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يمن هذا التقديم، ويَسلك بكم على المنهج الواضح والصراط المستقيم، بمنّه.... ي/89

---

(9) حرف الوال ناقص في الاصل.

(10) في الاصل المشرفين.

(11) الحرفان ساقطان في الاصل.

(12) الاشارة الى المحدثات ايضا في تقاديم سابقة.

(13) كلمتان مأروضتان.

[التقديم الثاني والسبعون] :

ومن تقديم آخر

...أدام الله كرامتهم بتقواه، وأنالهم المزيد من فضله ونعماه، وإنا كتبناه كتب الله لكم نظرا يجري لكم معهود الأحوال الصالحة، وسيراً (يقضي)[1] بكم من الرفق والعدل إلى الآمال الناجحة، والتقرب بامتثال أوامره واجتناب نواهيه اليه ؛ وأن تعلموا أن نظرنا يتعهدكم في كل الأناء، وأن مصالحكم مُجراة[2] منّا ببال التهمم والاعتناء ؛ لذلكم نتخير لأحكامكم من يقيم وزنها بالقسط، ونستعمل في أشغالكم من يتولاها بالكفاية والضبط، إظهارا لآثار المعدلة فيكم، وإيثارا للاحتياط على جوانبكم ونواحيكم ؛ وبحسب هذا القصد الذي نعتمده في كل أموركم، ونستديم به شامل الصلاح لخاصتكم وجمهوركم، قدّمنا الآن لخطة القضاء في نوازلكم الشرعية، والإجراء لمسائلكم الأحكامية على قوانينها المرعية، أبا فلان، بعد أن تُوسّمت فيه مخايلُ الزكاء والعفاف، وتُعرِّفت منه شمائل المترشح للاستعمال بمشكور الخلال والأوصاف، وتقاضت له **وسائل أبيه** الأثير الحرمة الشهير الخدمة مزية التقريب والازدلاف، ومع ذلكم فإنه موصًّى بتقوى الله العظيم ومراقبة أمره، واستشعار الخيفة له في سره وجهره، ومأمور أن يجعل الكتاب والسنة والإجماع ضوابط إيراده وإصداره، وروابط إنهائه وائتماره، فلا يشذّ في حكم عن جوامعها، ولا ينفذ له فصل إلا على جوادّها الواضحة ومعائها[3]، وعليه أن يسوي في الأحكام بين أقوياء الناس وضعفائهم، ولا يوجب مزية في الحق على مشروفهم لشرفائهم، والشهود هم عمدة إمضائه وتوقفه، (فليبالغ)[4] في كشفه عن أحوالهم وتعرفه، ولا يقبل إلا من عُرِف بالعدالة (ــــ ــــ)[5]وتصرفه[6].

ي/90 فإذا وافاكم بحول الله تعالى/ فتعاونوا معه على هذه المقاصد التي أمرناه بتمشيتها فيكم، وكونوا معه يدا واحدة في ما أنهضناه إليه من تولّيكم، وستتعرفون بركة النظر الذي به نعتمدكم في كل الاحوال ونتحيكم، إن شاء الله وهو سبحانه يوجدكم يمن هذا التقديم في حالكم واستقبالكم، ويستعملكم من التعاون على البر والتقوى بأصلح اعمالكم، بمنه...

---

(1) كذا في الاصل، والاصوب : تفضي.

(2) في الاصل : مجبراة.

(3) كذا في الاصل.

(4) كلمة مأروضة النصف الاخير.

(5) كلمة او كلمتان مأروضتان تماما.

(6) هنا إغفال لاختيار المسددين ورفع المحدثات عكس التقديم السابق.

[التقديم الثالث والسبعون] :

وفي تقديم آخر

...وإنا كتبناه كتب الله لكم تعرفا للنظر الجميل، وتصرفا فيما يحظيكم بالخير الجزيل، وإنا قدمنا الآن للنظر في أحكامكم الشرعية، وإجرائكم في قضاياكم الدينية على القوانين المرعية، أبا فلان، بعد أن شُكرت احواله، واستُحسنت آثاره في هذه الخطة التي تكرر فيها اعماله، وتميّز من الوسائل الملحوظة بما تزكو معه آثاره[1] وتتيسر آماله، وحذا حذو أبيه اتساما من الخدم، وارتساما في أولي الذمم، في ما ينفسح فيه مجاله، ويدرك خير[2] هذا **الأمر العلي** حالا واستقبالا ويناله، وقد أوصي بتقوى الله تعالى في كل تصرفه وتقلّبه، ومراقبته تعالى في كل ما نهى عنه وأمر به، وأن يجعل كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة قبلة اهتدائه، ولا يقبل من الشهود إلا من وثق بعدالته وزكائه، وأن يسوي بين المتحاكمين حكما بالحق وفصلاً بالعدل في كل أنحائه، وأن يكون عنده القوي والضعيف والمشروف (والشريف)[3] سواءً ما يورده أو يصدره من قضائه[4].

فإذا وافاكم فاقتصروا عليه[5] ما اسندناه من أحكامكم اليه، وتلقّوه بالائتمار والانقياد فيما يحملكم عليه من سَنن الصلاح والسداد، بحول الله سبحانه، وهو يديم كرامتكم، ويصل على تقواه إعانتكم، بمنه....

---

(1) في الاصل : تزكوا معه اثره.

(2) في الاصل : خبر.

(3) كلمة ساقطة في الأصل.

(4) نفس الملاحظة في الهامش 6.

(5) بين الكلمتين ارضة لعلها اتلفت كلمة (في) الا اذا كانت كلمة (اقتصروا) في الاصل (اقصروا).

[التقديم الرابع والسبعون] :

ومن تقديم آخر

91/و ...أدام الله كرامتهم بتقواه، (ـــ ـــ ـــ)[1] الصنع وأسناه، وإنا/ كتبناه كتب الله تعالى لكم أعمالا يستمر صلاحها، (وآمالا يعمكم نجاحها)[2]، وأن تعلموا أنا نعتمدكم من نظرنا الجميل بالأصلح لكم فالأصلح، ونتوخى[3] إجراء خاصتكم وجمهوركم على سنن العدل الأوضح، ونقصد أن تستمر[4] أموركم على ما يحظيكم بالأمل الانجح، ويؤويكم في تعرّف الآمنة وتكيّف الدعة إلى الجناب الأرحب الأفسح، ونتخير للاشغال فيكم من تميّز بالمذهب السديد والعقل الأرجح ؛ والله تعالى يعرّفكم يمن قصدنا في كافة أحوالكم، ويظفركم باطّراد الآمال في حالكم ومآلكم، بمنّه.

وإلى هذا ـــ ادام الله كرامتكم بتقواه ـــ فإنا قدّمنا ـــ بعد الاستخارة لله تعالى ـــ للنظر هنالكم في **الأحكام الشرعية** وإجراء **النوازل الدينية** على القوانين المرعية : أبا فلان، وصل الله تعالى توفيقه، ونهج إلى مرامي الإصابة طريقه، على حين اختير واختبر(*)، واستعمل فصدق الظن فيه والتقدير، واهتدى بسنن أبيه ـــ أعزه الله ـــ فلم يعدُ السدادَ (و) الزكاء والخير، بعد أن نشأ مغدوّاً بإنعام هذا الأمر العلي وفضله، ومألوفا منه السلوك على طرق التوفيق وسبله[5]، ومتعرّفا من استقامة أحوالكم ما لم نزل نعتمدكم بمثله ؛ وقد وصّيناه مع ذلكم بتقوى الله تعالى واستشعارها، واقتفاء سَنن السُّنن وآثارها، واتخاذ كتاب الله تعالى وسنة رسوله ـــ ﷺ ـــ وإجماع الأمة سراجه الذي يهتدي به في كل مبهم من الأمور، وإمامه الذي لن يعدل به عن سَنن العدل ولن يجور، وحجته التي[6] هي «هدًى وشفاءٌ لما في الصدور»[7]، وأكدنا عليه في انتقاء الشهداء، وتخيّرهم في كل الآناء، واستعمال من تصحّ أمانته من المسددين من الانتقاء، والتسوية في مجلس الأحكام ومحل النقض والابرام بين الاقوياء والضعفاء، والمشروفين والشرفاء، حتى لا يطمع قوي في إعانة، ولا يغلَب ضعيف من إهانة، وحتى يتمشى (العدل متضح)[8] الطريق، (ـــ ـــ ـائفة)[9] والفريق، إن شاء

(1) قدر ثلاث كلمات مأروضة.

(2) كلمات شبه مطموسة بفعل الرطوبة.

(3) في الاصل : وبتواخى.

(4) في الاصل : ان نستمر.

(*) كذا، والأصوب (اختبر واختير) ليتلاءم مع السجع بعده.

(5) قارن مع التقاديم 71 و72 و73 (حول توارث المنصب).

(6) في الاصل : الذي.

(7) الآية من سورة.

(8) كلمتان شبه مأروضتين.

(9) كلمتان مأروضتان.

ي/92 الله تعالى، ومما/ أكدنا عليه (فيه)[10] ما لم نزل نردده في كل الآناء، ونحث عليه كل مستعمَل في الجهات والأرجاء، من إزالة المحدثات والمظالم[11]، وإعادتها كالطلول الطواسم، وإيضاح ما للحق من الآثار الواضحة والمعالم، وتمشية الشرع الذي لا تأخذ[12] فيه لومة لائم، والجري على ما لدينا بالخير[13] الدائم.

فإذا وافاكم بمعونة الله تعالى فارجعوا إليه باحكامكم، واقصروا عليه نوازل خصامكم، وتعرّفوا بقدومه عليكم يمن أيامكم، واعلموا أنا خصصناكم منه بمن حمدنا اختباره، وشكرنا في جميع الأحوال آثاره، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه يعرّفكم يمن قدومه وتقديمه، ويسلك بكم على (الألحب)[14] السني وقويمه، بمنّه.

كُتب غرة شهر ذي قعدة عام ثمانية وأربعين وستمائة.

---

(10) كلمة مطموسة بأثر الرطوبة.

(11) قارن مع تقاديم اخرى مثل 68 و71.

(12) كذا، ولعل الأصح : (تاخذه)، وربما ضاعت الهاء بفعل الطمس.

(13) في الأصل : بالخبر.

(14) في الأصل : الاحب.

[التقديم الخامس والسبعون] :

ومن تقديم آخر

...وإنا كتبناه كتب الله لكم أحوالا يصحبكم صلاحها، وآمالا يحسبكم نجاحها ؛ وأن تعلموا أن مصالحكم مجراة بالبال، وأن النظر لكم كفيل بانتظام الأمور قِبلكم واعتدالِ الأحوال، وأنّ تخير المستعمَلين في أحكامكم واشغالكم مما نوفيكم فيه قسط الالتفات والاهتبال ؛ وإنا قدمنا الآن أبا فلان لتولي الفصل بينكم والقضاء، وتوخّي العدل في التوقف والإمضاء، والالتزام في التسديد بينكم لأسدّ الأنحاء، بعد أن تُوسِّم فيه العفاف والزكاء، ورشّحه للخدمة التجريح والإنشاء، وتميز بما لأبيه[1] وله من الوسائل التي توفر التهمم بها والاعتناء ؛ (و) وصّي[2] بتقوى الله في إيراده واصداره، وأكّد عليه في تحسين أعماله بالزكاء وآثاره، وأمِر أن يجعل الكتاب والسنة والإجماع تلقاء بصيرته وبصره، وأن لا يعدل عن هذه القواعد الثلاث بشيء من نظره، (وان)[3] يعتمد الشهود في الحقوق بأحسن انتقائه وتخيره، وان يسوي في (ــ ــ ــ)[4] القوي والضعيف (ــ ــ ــ)[5]/ والمشروف والشريف، عملا بالعدل واقتفاء لسيره. ي93/

فإذا وافاكم بحول الله تعالى فتعاونوا معه على القصد الأصلح، وسيروا في كل أموركم على السنن الأبين الأوضح، تفوزوا في ذلكم بالتجْر الاربح، والسعي الأنجح إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه وتعالى يعرفكم الخير في تقديمه، ويعينكم واياه على سديد العمل وقويمه، بمنه...

---

(1) انظر الهامش 5 على التقديم 74.
(2) في الاصل : وصي (بدون واو العطف).
(3) كلمة مأروضة.
(4) قدر كلمتين مأروضتين كأنهما (الاعدل من).
(5) كلمة مأروضة.

[التقديم السادس والسبعون] :

وفي معناه

...كتب (الله)[1] لكم أعمالا تستدُّ[2] مصالحكم الدينية والدنيوية ملاحظةَ من يعتمدكم بأحسن الحياطة والكفالة، ويجريكم من العدل والرفق على أتم ما يقتضيه سداد الإدارة والايالة، ويوفيكم من النظر الجميل ما يحظيكم بأوفر حظوظ النعم المستحسنة المستنالة ؛ وبهذا الاعتبار يتأكد اعتناؤنا بالأهم فالأهم من اموركم، ويتجدد اعتمالنا في كل ما يصلح عليه أحوال خاصتكم وجمهوركم ؛ ولذلكم اخترنا الان لخطة القضاء بينكم فلانا أدام الله كرامته وتوفيقه، وسدّد إلى مرامي التحقيق تفويقه، وهو الذي تردد[3] في هذه الخطة استعمالُه، وعُلِم اضطلاعه باعبائها واستقلاله، لأنها مستظهِر لها بالديانة المتينة، والمعرفة المعينة، والنزاهة التي لم يزل عليها مفطورا، والعدالة التي لم يبرح بها مشكورا، ومع إكبابه على تلاوة كتاب الله ليلا ونهارا، واشتهاره باتّباع السنة لا ينكب عنها يمينا ولا يسارا ؛ وقد تلقى عنا الوصايا البالغة بتقوى الله عز وجل وتلقّن ؛ وتحقق أن مذهبنا العدل في الرعايا وتيقن، وهو بحول الله تعالى يسلك في احكامكم سَنَن الشريعة (الابين)[4]، ويعتبر في جميع قضاياكم الآيات المحكمات والسُّنن ، ولا يقبل من الشهود إلا من نفت عنه العدالة الظاهرة التهم والظِّنن، وقد أمرناه بما نأمر به كل من نقدمه من إزالة المنكرات وتغييرها، والتحذير من ممنوع ي/94 المحدثات (ومحذورها)[5] وأن يصدع (بالحق غير)[6] خائف فيه لومة لائم، ولا مراعٍ فيه/ لحرمة ظالم، (وان يجعل نصب عينيه) في ما يفصل فيه من الأحكام (مثوبة)[7] بين يدي الله عز وجل يوم الفصل، ويأتمر لأمره سبحانه في قوله تعالى ؛ ﴿وإذا حكمتُمْ بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[8]، سالكا في ذلك كله على أوضح السبل وأحسن السير، واقفاً في ما يثبته او ينفيه مع مقتضى الكتاب والإجماع والاثر، عارضا على أقوال ايمة العلماء المقتدى بهم ما يسنح له من التأويل والنظر.[9]

---

(1) كلمة مأروضة.

(2) استد الشيء : استقام.

(3) في الاصل : تتردد.

(4) كلمة مأروضة ولعلها كما اثبتناه.

(5) مأروضة الاوائل.

(6) مأروضة بشكل شبه كلي.

(7) كلمة مطموسة جزئيا.

(8) من الآية 58 من سورة النساء.

(9) اي ان باب الاجتهاد في الشرع غير مقفل.

فإذا وافاكم بمشيئة الله تعالى فألقوا اليه أزمّة أحكامكم، وائتمروا لكل ما يمضيه في مسائل خصامكم، وكونوا معه يدا واحدة باتفاقكم على الحق والتئامكم[10]، والتزموا من حسن الانقياد إليه، والامتثال لما قصدناه من أموركم عليه، ما يظهر فيه أثر التزامكم، إن شاء الله تعالى ؛ وهو سبحانه يحملكم وإياه على الطريقة المثلى في الآخرة والأولى، وييسركم من صالح الأعمال لا لما تعدمون له قبولا، بمنّه...

[التقديم السابع والسبعون] :

وفي تقديم[1]

...كتب الله لكم أمنا يعمّ جميع أوطانكم، ويمناً يصحبكم في كل أحوالكم وأحيانكم ؛ وأن تعلموا أن أموركم مجراة منا ببال الاهتمام والاعتناء، وموفاةً قسط النظر الجميل في كل الأناء، ومستعمَل فيها من يتميز لدينا بالاطّلاع والغَناء، لاسيما خطة القضاء في نوازل الخصام، والفصل بمقتضى الشرع في نواشيء الأحكام، فإنا نقدم لذلك مَن قدّمه زكاؤه وعفافه، ولا نعدل بها عن من خُبِرت فشُكِرت خلاله وأوصافه ؛ ذلكم لنوفي تلكم الخطة واجب التخير والانتقاء، ونؤهل لتوليها أهل النقاء (والاتقاء)[2]، ونسأل الله ربنا أن يمدنا بالاختيار للرعايا بتوفيقه وتسديده، ويجعلنا ممن وفّى القيام بحق الله عز وجل في مصالح عبيده ؛ وقد رأينا بعد تقديم إستخارة الله تعالى في الإيراد والإصدار، واستيهاب هداه في ما نُعمله من النظر للأدنى (والأقصى)[3] من الجهات والأنظار، ان نقدم/ [4]....

---

(10) في الاصل : ولتئامكم.

(1) كتب على يسار هذا العنوان وبلون مخالف وبخط ادق من العنوان وبحروف ذات اشكال مغايرة هذه العبارة (الحمد لله وحده) مما يرجح انها ملاحظة متأخرة عن عهد نسخ الكِتاب.

(2) مأروضة الاواخر.

(3) مأروضة كليا.

(4) هذه آخر صفحة من المخطوط الخاص بالتقاديم، اي ان هناك جزءا آخر مهما من التقاديم يعتبر مفقودا وخاصة صنف الصّكوك والظهائر، انظر ملاحظة جامع التقاديم في الصفحة السابعة منه اي بعد التقديم الثالث مباشرة.

الملحق الثاني

رسائل في موضوع الشكايات

رسائل شكايات إلى الأمير
ثم الخليفة يوسف بن عبد المومن

تقديم :

عادة ما يحصل في الفترة الانتقالية بين حكم خليفة وآخر نوع من عدم الاستقرار، قد يرافقه إهمال المسؤولين في الجهات البعيدة عن العاصمة لأحوال عامة الناس، ويحاول الخليفة الجديد ان يفتح مجلسه لسماع المظالم، فتكثر الشكايات واحيانا حتى من النوع الذي لا يحتاج ان يرفع الى الخليفة بنفسه، وهذه بعض الرسائل الموجهة فيما يبدو الى الخليفة الموحدي الثاني يوسف ابي يعقوب بعضها قبل الاتفاق النهائي على خلافته فيما بين 558 و 563 حيث كان يكتفي بلقب الامير، وبعضها بعد الاتفاق على خلافته وتسميته بامير المومنين منذ سنة 563، وهذه الرسائل هي من انشاء الكاتب ابن مبشّر وقد وردت ضمن مخطوط العطاء الجزيل من الصفحة 135 الى 138، وهذه نصوصها[1] :

(1) انظر ترجمة الكاتب في مقدمة البحث.

الشكاية الأولى :

ع/135 حضرة سيدنا الإمام الأعدل، الملك الأعز الأفضل أبو يعقوب ابن سيدنا ومولانا أمير المومنين التي أسِّست على القسط والعدل قواعدها، وأنهَلَت بالغُرّ الغوادي على الأمة رواعدُها، ورمت الجور فأقصدتها يدها الباطنة وساعدُها، أبقاها الله يستمر ساكنها ويدوم خالدها، عبدها العامل عِيسَةُ المنضاة اليها، راجي الفرج الوشيك مما حل لديها : فلان بن فلان الساكن بموضع كذا من بلاد **افريقية** سلام على الحضرة الامامية، والنصرة الحُمامية ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمدِ الله خالق الخلائق ومدبّر الأمور، حاشر الأيمّة المقسطين على منابر من نور، والصلاةِ على محمد المصطفى صلاة تُوليه المقام المحمود والحوض المورود يوم العرض الجامع والنشور، والرضى عن الامام المعصومِ المهدي الحاكم على الجور بالخمول الخاسي والدحور، والدعاءِ لسيدنا أمير المؤمنين بالتأييد العزيز لعلَمه المظفر ولوائه المنصور، ولنجله الامير الأجل أبي يعقوب في سعود تنتظم في مُلكه انتظام السلوك النفسية على النحور.

فإن عبدكم لقي عَبوسا من وجه الجور ووُجوما، وأتاكم بعيدَ الدار مظلوما[1]، ورجا من الحضرة الإمامية[2] أن ترسل على مزيد الضلالة رُجوما ؛ وان عتيقا بن مسكور الجنب[3] الذي كسرُه أكذب اسمه وصدّق اسم ابيه، وضجّت الأرض وعجّت لقبح ما يأتيه، فإنه **كان قاضيا في** أيام النصارى — دمرهم الله — يخدم **مكوسهم**، ويفدي بنفسه الخائنة نفوسهم، قد اتخذ أعوانا ووزعة، وأبرزَ شنعة وبدعة، وقد بَعد عن معرفة التوحيد وعلمه، ولم يجر على حده المطّرد ورسمه، بل يحكم في النوازل، بلا رأي القائل، ويقضي في الحوادث، بالنظر العابث، يسلك في سبل المظالم وطرقها، **ويضرب ظهور المسلمين بغيرحقها، (ويعضل)** الى من بالمسـ(ـــ ـــ)[4] من العباد الذين خفرتهم ذمة سيدنا ومولانا ورحمته، وتكنفتهم رأفته ومحبته، وكتب لهم كتابا يعنو له كل من قرأه ويذعن، ويوغل في (برِّهَ)[4]وتكرمته ويمعن ؛ ومع ما نال العباد من الكرامة الكريمة، والأيادي الجزيلة العميمة، **يضربهم بالسياط** إيقاعا، ويملأ قلوبهم ذعرا مخيفا وارتياعا ؛ ومن نوازله القبيحة، الشاهدة عليه بالفضيحة، أنه ردّ امرأة تسكن منزل الـ(ـنـ)ـورين[5] وقد طلقها زوجها ثلاثا، فردها الى زوجها ونقض عرى الشرع أنكاثاً، **وأخذ على ذلك عشرة دنانير أكلها سحتاً**، وحكم بالباطل بحتا ؛ وعند عبدكم من قبيح قضاياه، وذنوبه في الرعية وخطاياه، ما إن اذِنتم في شرحه، أطلعتُ منبلِجَ صبحِه، وأيامكم — ادام الله تأييدكم — تبطل الباطل وتزهقه، وتستنفد شكر الشاكر وتستغرقه ؛ وعبدكم — أدام الله تأييدكم — قد **قد طال بالحضرة** السامية مُقامه[6]، وشرّد بارتياعـ(ه)[5] كراه

(1) فالمشتكي قدم الى «الحضرة» الخلافية من افريقية.

(2) يؤكد هذا ان المشتكى اليه هو الامير يوسف قبل بيعته باسم «امير المومنين» (558 — 563).

(3) توجد ترجمة للمسمى ابي بكر عتيق بن الحسن بن مكسور الجنب في الذيل س 8 ص (209 خ ع) أو ص 432 في ط 1984 انظر أيضا في هذه الطبعة ص 286 والهامش بها 399.

(4) كلمة او جزء منها غير واضح.

(5) حرف من الكلمة غير واضح.

(6) هل هذا يفسر بكون الخليفة شغلته الفتن عن استقبال المشتكين أو سماع شكاياتهم ؟

ع/136 ومنامه، ورغب في الرجوع إلى بلده، واجتماع شـ(ـمله)[4] بأهله وولده، فالرغبة الحميمة/ لسيدنا ومولانا الامام الاعدل الملك الاعـ(ـز)[5] الأ (فضل)[4] على العبد الراجي **في أن يكتب له كتابا** يأمن به ممَّن يكيد(ه)[5]، ويصل ببركته الى ما يرغبه (من)[4] الدعة و (يُرِ)يده،[4] وأنا ـــ ادام الله تأييدكم ـــ قد جُبتها (مهـا)[4]مِهَ وقفاراً، و (لــ[5])ـبست تأميلكم النجيح شعاراً، فإن منتم على عبدكم بإفراخ روعه، **وتمييزه عن نوعه**، وأصحبتموه كتابا كريما، يطالعه به الامل وسيماً، وفرّتم عند الله (ثو)[4] اباً جزيلا واجراً، وبايعتموه فأربحكم تجْراً.

والله جلّ وعزّ يقيم بكم للعدل مناراً لا يخفـ(ـو[5]) أثرهُ، ويبقيكم تحيَى بكم قضايا عمر الفاروق وسيرُه، ولا زال للحق ما يأتيه نظركم الموفق وما يذره، بمنه لارب غيره، والسلام.

الشكاية الثانية :

ع/136 حضرة سيدنا الإمام الأعدل الملك الأعز الأفضل، **أبو يعقوب**[1] أدامه الله حاقناً للدماء بالقوْد والقصاص، حاكما بالقسط على ذوي التمرد والاعتياص، عبده المستجير بحماه، الشاكي إليه سهما قصده به الدهر وأصماه : فلان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمدِ الله الذي رفع بالإمامة المهدية ظلْما نازلا وعدوانا، وجعل لوليّ المقتول المظلوم على قاتله وظالمه سلطانا، والصلاة على محمد المصطفى صلاة نرددها ونكررها إسراراً وإعلاناً، ونسأله للامام المهدي رضىً يُحلّه الله به في الفردوس الأعلى مَحلاً رفيعا ومكانا، ولسيدنا أمير المومنين[2] في نصر عزيز وفتح مبين يكسر نواقيس مضللة وصلبانا، ولنجله الامير الأجل في سعود متتابعة (تسـ[3])ـابق الى سدته زرافات ووحدانا، (فـ)ـإن عبدكم اللائذ بكم فُجِع بحميمه، وكرع من الأسى والحزن في مقشو (به)[3] ومسمومه، ورجا أن ياخذ بقسطكم وعدلكم من ثأره بمنيمه ؛ وشرحُ هذه النازلة ــ أيدكم الله ــ وتفسيرها، ووصفها على كنهها وتحبيرُها، أن أخي عدا عليه شريكه فشدخ في حال نومه بأرزيةٍ رأسَه أذهبت حياته وأفاتت نفسه، فتصايح الناس عند ذلك، وأتوا من هنا وهنالك، فوجدوا أخي وعاينوه مضرَّجا في دمه، مُصرَعا بيديه وفمه، وفرَّ القاتل عند ذلك بين سمع الأرض وبصرها، لا يُعرف له مكان في بدوها ولا حضرها، ثم رجع الآن وتواعدني بالإهلاك والقتل، وقال سأفعل به ما فعلت بأخيه من قبل ؛ وها أنا ــ أدام الله تأييدكم ــ قد لذت بحماكم وتوسّمت روح نعماكم، فعسى أن يُنهَى إلى الطلبة[4] ــ أكرمهم الله ــ بموضع كذا أن ينفذوا من يتكفل باحضاره، ويزعجه عن أهله وداره، حتى تُمكِن محاكمته، وتتأتى مقاعدتُه ومخاصمته[5]، والله جل وعز يبقيكم لحقن دماءٍ وإحياء نفوس، وإطلاع بدور من السيرة العادلة وإشراق شموس، بمنّه.

---

(1) كذا في الأصل : (أبو).

(2) نظر الهامش 2 في الشكاية السابقة.

(3) جزء من كلمة غير واضح.

(4) انظر عن دورهم الفصل الخامس (ضمن الجانب الاداري).

(5) هل نفهم من هذه الشكاية ان السلطة المحلية امنيا وقضائيا لم تكن تقوم بالدور المطلوب منها في الاقاليم البعيدة (وهذا في فترة قوة الدولة الموحدية) وخاصة الفترات الانتقالية في الحكم.

الشكاية الثالثة :

إلى حضرة سيدنا الإمام الأجل أبي يعقوب[1] مدّ الله لها في البسطة ضياءًا ونوراً، وجعل ظ/136 (حـ)ـظّي[2] من عدلها جزيلا موفوراً، من اللائذ بعدلها وقسطها، والراجي لإفاضتها الرحمة عليه وبسطها : فلان، سلام عليها ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمدِ الله الذي جعل العدلَ ظلا ممدوداً، وعذباً (نا)[2]قِعا بروداً، والصلاة على محمد المصطفى صلاة أواليها تكريرا وترديدا، وعلى الامام المهدي لإعادة شراع الاسلام قشيبا جديدا، والدعاء لسيدنا أمير المومنين في أن يولي الله حزبه المنصور تظفيرا وتأييدا ولسيدنا الامير الاجل ابي يعقوب[1] في سعد مكين يبغي ضِعفا ويطلب مديدا،

فإنّ إخوتي جاروا علي يوم اقتسامهم، وسلّوني كما تُسلّ الشعرة من العجين من أسهامهم، فلم يفرضوا لي منها فريضة بل (غاد) روا[3] حِصَّتي منها (منقوصة)[2] مغيضة، وقد سدّدْت إخوتي ظ/137 نصالها، وأساءت معي/ (ـــ ـــ ـــ كربها)[3] أدعى لها، وأنا ـــ أدام الله تأييدكم ـــ أشهد مشاهدهم، (ـــ ـــ ـــ ـــ)[4] ويطوون عني فو(ائدهم)[2] ؛ وعدلكم ـــ أدام الله تأييدكم ـــ يحكم بالسواء ويعصـ(ـم) بالشِّرب عـ(ـلى)[2] الأقذاء، ويكفّ عني أيدي المؤذين عن الأذى[5]، والله عز وجل يَفُلّ بعدلكم المبسوط شَباهم، ويسوّي بالحضيض الأوهد رُباهم، حتى تتساوى وتتناصف، وتتعالم بعد التناكر وتتعارف، وتتذاكر حقوق الرحم المشتبكة وتتواصف، ويديم أيامكم، ويجعل سعدكم المكين أمامكم، ويقرن بسيرة العمريْن غَشَيانكم وإلمامَكم، بمنّه لا رب سواه، والسلام.

---

(1) راجع الهامش 2 على الشكاية الاولى.

(2) جزء من الكلمة غير واضح.

(3) قدر سبع كلمات غير واضحة.

(4) قدر كلمتين غير واضحتين.

(5) راجع الهامش 3 على الشكاية الثانية.

(4) قدر سبع كلمات غير واضح.

الشكاية الرابعة :

ع/137 حضرة الإمام الأعدل، (الملك)[1] الأكرم الأفضل، أبو يعقوب[2] ابن سيدنا ومولانا أمير المومنين أقام الله منار الحق والعدل ببقائه، وأهبّ علينا روح الانتصاف والانتصار من تلقائه، مملوكة إنعامه، الراغبة إلى الله في اتصال أمره العزيز ودوامه، فلانة، سلام على الحضرة العلية، والسدة القدسية ورحمة الله وبركاته.

وبعد حمدِ الله الذي يكفّ بالإمام المقسط ويزع، حمدا يقتضي حسن الفِعال وكَرَمَ المصنع، والصلاةِ على محمد المصطفى المبتعث بالسّنَى الأنور والضياء الأسطع، ونرضى عن الإمام المهدي رضى يجد كرامته في اليوم الأحفل والمشهد الأجمع، وندعو لسيدنا أمير المومنين في نصر عزيز يردّ الكافرين والمارقين ويَقمع، ولسيدنا الإمام الاعدل، الملك الأفضل، أبو يعقوب في سعود جمة تَفَنَّنُ ع/138 ضروبُها الجمّة و (تتنـ)ـوع[1]،/ فإن أمَتكم رُميت من زوجها فلان بداهية الدهر، ومُنيت من (ــــ ــــ ــــ ــــ)[3] حُسنِ العشرة مَجالَها، وحَشَد أوصافَها ؟ المـ(قطـ)ـوعة[1] وأوجالَها، وصيّر أخوف من (سمة[1] الـ)ـضرغام (مجالها)[1]لَجّ في إصراره على إضراره، وعزم على إبايته ترك إذايته ؛ وقد اظطرني بما سامني من الخسف، وركبني به من العَنف والعَسف، حتى اختلعتُ منه بكثير من مالي، ورضيت العدم ثمنا لرخاء بالي، فما أجابني إلى مطلوبي، ولا أسعفني في مرغوبي ؛ وعدلكم ــ أدام الله تأييدكم ــ يفكّني من إساره، ويحلّ عنقي من ربقة اقتساره، والشيخ أبو فلان وغيره من شيوخ بني فلان ــ وفقهم الله ــ يعلمون أمرنا ويَخبرون سرّنا ؛ والله لا يعدم الملهوفة المضطهدة من نظركم المؤيد بالسداد، ورأيكم الراحم لكافة العباد، ما يكشف بَأساءَها، وهو جل وعزّ يعمر بالفتوحات النيرة صباح حضرتكم السامية ومساءَها، ويحقق امتداد أيامكم السعيدة ونَساءها، والسلام[4].

---

(1) كلمة او أجزاؤها غير واضحة.

(2) انظر الهامش 2 على الشكاية الاولى.

(3) قدر اربع كلمات غير واضحة.

(4) انظر الهامش 5 على الشكاية الثانية.

الشكاية الخامسة :

ع/137 حضرة سيدنا ومولانا أمير المومنين بن أمير المومنين[1] الذي بثّت في البسيطة عدلَها، ومدّت على الأمة فيأها الوارف وظلَّها، وحكّم الله في طُلَى الكُفّار وكُلاهم سيفَها الصقيل ونصلَها ؛ عبدُها اللائذ بحَرَمها الآمن، المستجيرُ منها بكافلٍ يرفع الظلمَ عن صاحبه وضامنٍ : فلان بن فلان سلام على حضرة سيدنا ومولانا أمير المومنين ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمدِ الله حمدا يُقضَى به حق مننه العميمة وآلائه، ويُعظَّم به ما وجب له جل وعز من عظمته وكبريائه، والصلاةِ على سيدنا محمد المصطفى خاتم رسله وخِيرة أنبيائه، ونرضى عن الإمام المهدي مُحرز الفخار بِعظم مقامه وكرمِ انتمائه، وعن الخليفة المنصور الناصر أمير المومنين مُظهر الدعوة المباركة بإشاعته لها في المشارق والمغارب وإفشائه، والدعاءِ لسيدنا ومولانا الإمام أمير المومنين بن امير المومنين في غلبتِه على مَن عاند الأمر العالي واستيلائِه.

فإن عبدَكم جرى عليه بمدينة كذا اعتداء، وألزِم قضاءً لما يَلزَمه في السبيل وأداءً، وذلكم — أدام الله تأييدكم — أنه يسكن بحارة الطّرابِنة[2] فأدى ما عليه مع جيرانه، وجرى في طَلَق التناصف[3] معهم وميدانه، فإن فلانا وفلانا وفلاناً من تجار سوق السِّماط كتبوني في جملتهم وألحقوني بِفِئَتهم، وألزموني ثلاث مائة دينار وخمسين ديناراً[4] ؛ وعبدُكم — أدام الله تأييدكم — لم يُصفق قطّ في سوق، ولا كان له مع أهل السماط اتصال ولا لُصوق ؛ وقد رَفع عبدكم أمره إليكم، وعرضه مفسرا عليكم، وأنتم — أدام الله تأييدكم — بعدلكم الذي سار مسير الشمس في كل بلدة، ونظركم الموفق الذي هو عتادٌ لمن خِيف عليه وعُدّة، تبطلون الباطل وتتوخّون بهدايتكم ردّه ؛ والله لا يُعدم عبدكم منكم نصرا عزيزا تجدونه يوم معادكم، وتتخدونه عملا مبرورا من جهادكم، فإن قمع الظَّلَمة من أبرّ الاعمال وأزكاها، وأسْيَرها إلى رضا الله العزيز وأحراها، مدّ الله — سيدنا ومولانا امير المومنين — في أيامكم، وعقد بالنصر والظفَر منشور أعلامكم، وشكَركم على تحَفّيكم بردّ المظالم واهتمامكم، بمنّه لارب غيره.

---

(1) يبدو ان تاريخ الرسالة يقع بعد بيعة يوسف باسم «امير المومنين» سنة 563.

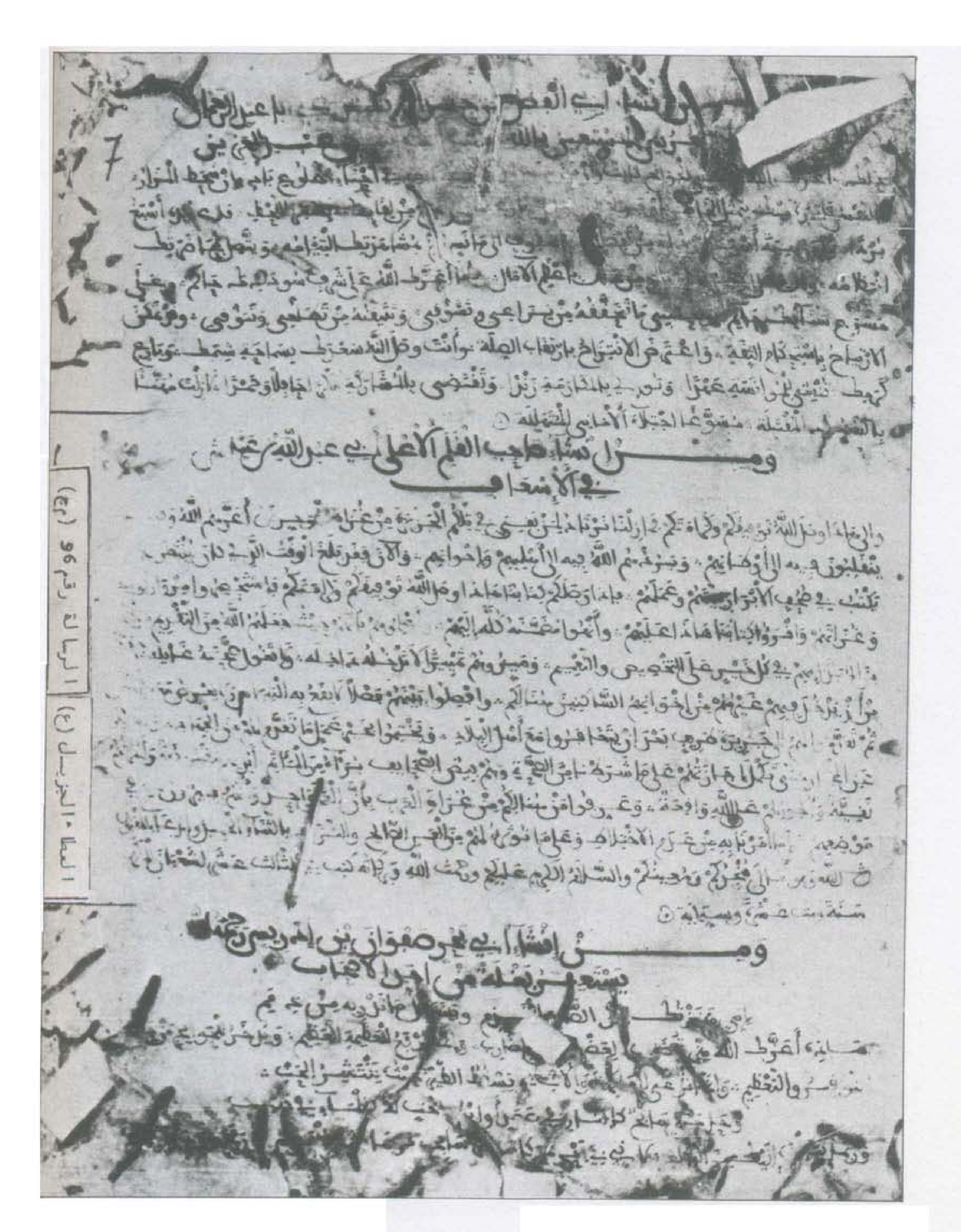
(2) هل هي نسبة الى اطرابنش او اطرابنة بصقيلية حيث المسير بينها وبين تونس يوم وليلة ؟ (الروض المعطار : طرابنش)، فهل كانت الحارة بمدينة تونس بحكم القرب من طرابنة ام بالمهدية ؟

(3) هذا يذكر بسياسة المناصفة التي فرضها عبد المومن على العقارات والمتاجر بتونس بعد فتحها عنوة.

(4) يبدو من هذا ان مدخول التاجر بسوق السماط قدّر ب 700 دينار اي ضعف الضريبة.

ملحقات

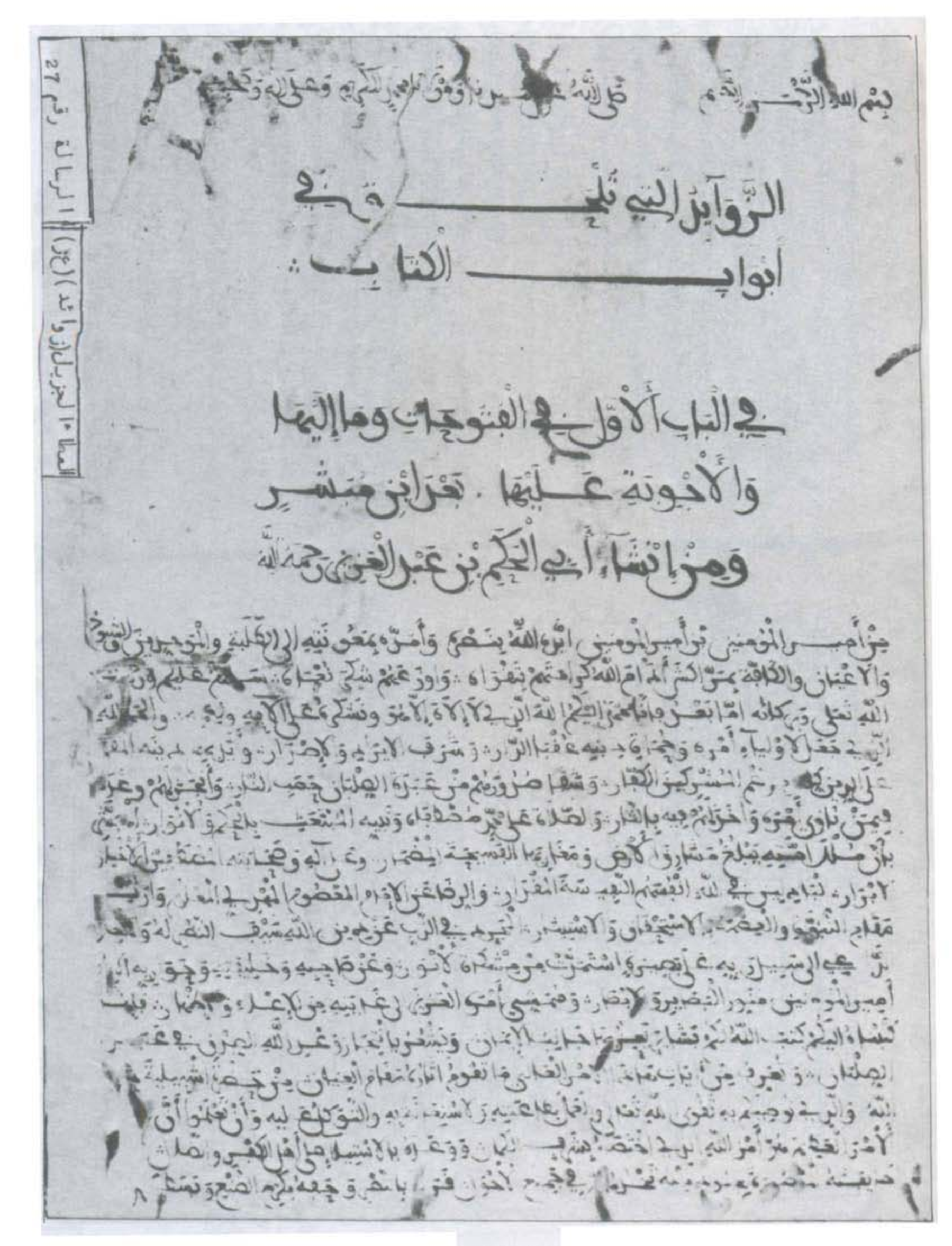
1 ـ نماذج من المخطوطات الرئيسية المعتمدة



ومن إنشاء صاحب القلم الأعلى أبي عبد الله بن عياش في الإسعاف

ومن إنشاء أبي بحر صفوان بن إدريس رحمه الله يستعطف

المخطوط 1


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم وعلى آله وصحبه

الرسائل التي تليه هي في
أبواب الكتاب

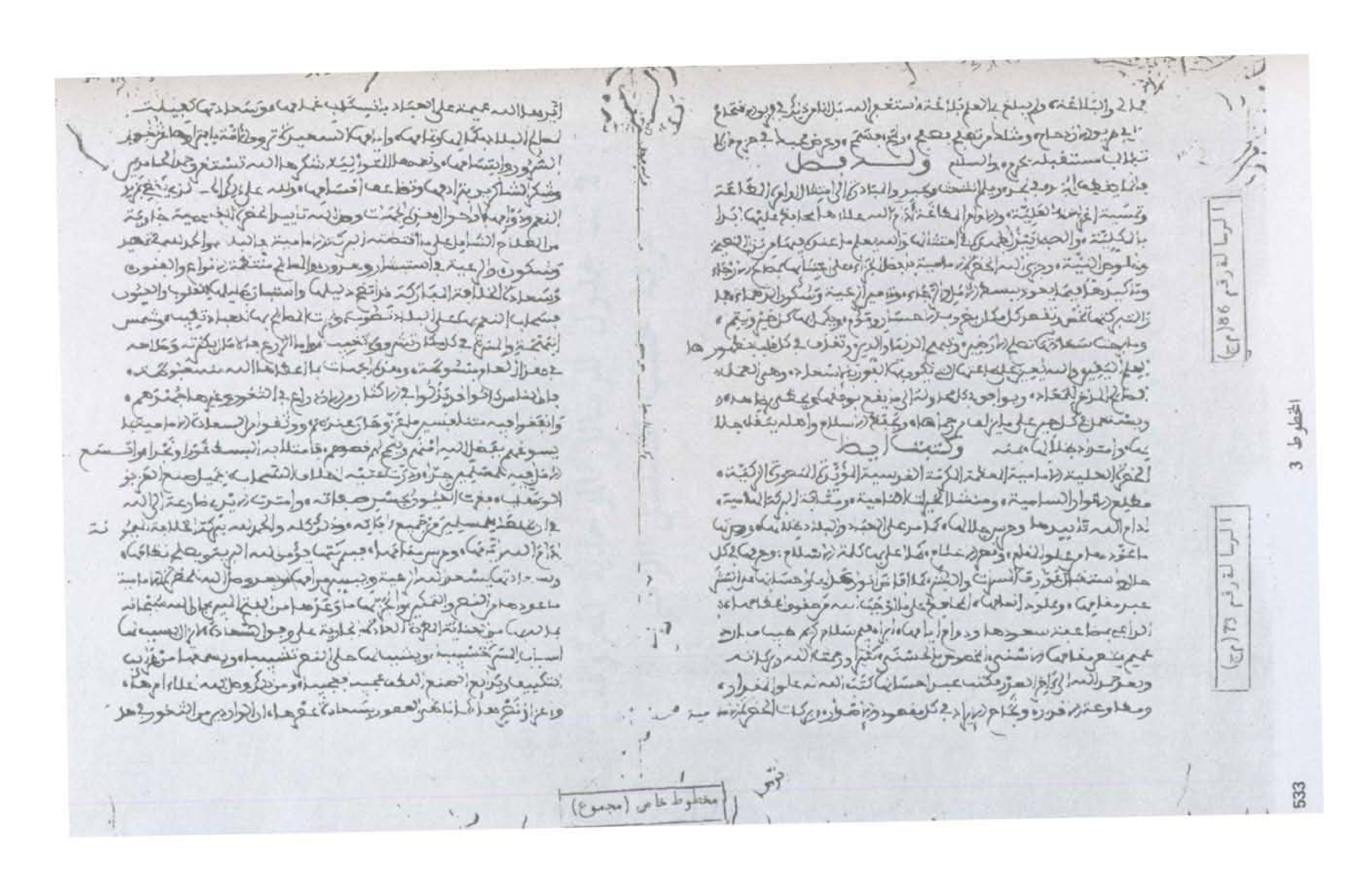
في الباب الأول في الفتوحات وما إليها
والأجوبة عليها . نعم ابن مبشر
ومن إنشاء أبي الحكم بن عبد الغني رحمه الله

عن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين من الشيوخ
والأعيان والكافة بسبتة أكرمهم الله بتقواه وأوزعهم شكر نعماه سلام عليكم ورحمة
الله تعالى وبركاته أما بعد فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ونشكره على آلائه ...

المخطوط 1

مخطوط "يحيى" (ي)

المخطوط 2


الرسالة رقم 86 (م ج)

وله فصل

وكتب أيضا

الرسالة رقم 73 (م ج)

مخطوط خاص (مجموع)

2 ــ جدول للرسائل الموحدية المعروفة مرتبة حسب التسلسل الزمني

جدول عام لمجموع الرسائل الموحدية (حسب التسلسل الزمني)

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	كتاب أخبار المهدي ن، بروفنصال ص (1 — 8)	—	[المهدي]	[عامة الموحدين]	—	تعاليم عامة عن المهدي إلى عامة الموحدين	«... وهذا الوعيد العظيم والعذاب الأليم»	— العلامة [...] تفيد الترجيح. — من كتّاب المهدي: سليمان الحضري
—	نفس المصدر (8 — 10)	—	المهدي	«جماعة الموحدين»	—	الحض على جهاد المجسّمين الكفرة الملثمين	(بعد البسملة والتصلية) «إلى جماعة الموحدين وفقهم الله لما يحبه ويرضاه سلام...»	يلحق بها كلام للخليفة عبد المومن يعلّق به على رسالة المهدي ص 10
1(م.ج)	الحلل الموشية ص 111 ومخطوط خ ع	—	المهدي	المرابطون	—	تحذير وإنذار للمرابطين	«إلى القوم الذين استزلّهم الشيطان»	لعلها أول رسالة إليهم حسب ملاحظة صاحب مخطوط خ ع
—	كتاب أخبار المهدي، ص 11	—	المهدي	الأمير علي بن يوسف المرابطي	—	اتهام المرابطين بالظلم وبأن دماءهم وأموالهم حلال	(بعد البسملة والتصلية) «من القائم بدين الله العامل بسنة رسول الله.. إلى المغرور بدنياه...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	نفس المصدر ص 11 — 12	—	المهدي	جماعة الملثمين الزراكنة بالسوس	—	تهديد لأهل سوس وجيرانهم كزولة لَكُسْت ولمطة وأهل القِبلة كافة	(بعد البسملة والتصلية) «من محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي.. إلى الفئة الباغية...»	
—	نفس المصدر ص 13	—	المهدي	[إحدى القبائل الموحدية]	—	لعلها تتعلق «بالتمييز» أي تمييز الفاسد من المصلح	(بعد البسملة والتصلية)) «من محمد بن عبد الله (....)	تأتي بعدها رسالة «الفصول» وهي نفسها رقم 6 م. ج
2 (م.ج)	أعز ما يطلب خ ع	—	المهدي	«جماعة الموحدين»	—	فضح سياسة المرابطين نحو الموحدين	(بعد البسملة والتصلية) «إلى جماعة أهل التوحيد...»	سميت الرسالة بالرسالة المنظّمة، قارن مع أخبار المهدي (8 — 10)
3 م.ج	نظم الجمان ص (210 — 212)	—	عبدالمومن	جماعة الموحدين	[529]	الاعلام بفتح تارودانت بالسوس	—	مطلعها غير واضح ولعلها أيضا مبتورة البداية.
4 م.ج	أعز ما يطلب خ ع	—	عبدالمومن	أهل كزولة	الثلاثينات	حث كزولة على التخلي عن دعوة المرابطين وتذكيرهم برسالة المهدي (م ج/2)	(بعد البسملة والتصلية) «سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فانا نحمد......»	أوراق المخطوط سيئة الترتيب

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
5 م.ج	الإعتاب وغيره	أبوجعفر ابن عطية	الشيخ أبوحفص الهنتاتي	[الخليفة عبد المومن]	[542]	الإخبار بمقتل الثائر الماسي	«كتابنا هذا من وادي ماسة...»	انظر عن المصادر الأخرى للرسالة التقديم لها
6 م.ج	نظم الجمان ص (150 — 167) إخبار المهدي (ب) ص 13 وما بعدها	نفس الكاتب	عبد المومن بتينملل	«الطلبة» بالأندلس	16 ربيع الأول 543	«رسالة جامعة لأنواع من الأوامر»	من أمير المومنين أيده الله تعالى... إلى...»	سنقتصر على الرمز (أ.م) عوض أمير المومنين
—	(م.ر.م) رقم 1	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	إلى «طلبة سبتة والموحدين»	—	الإخبار بالرجوع من الغزوة المباركة والظفر على الكفرة والمرتدّين	«(أ.م) أيده الله ونصره وأمده بمعونته، إلى الطلبة الذين بسبتة وجميع من فيها من الموحدين......»	سنرمز لـ «مجموع رسائل موحدية» بالحروف (م.ر.م) مع رقم الرسالة
—	(م.ر.م) رقم 2	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	الفقيه أبو القاسم بن الحاج	—	الإخبار بوصول الوفد الذي بعثه لأداء البيعة	«من (أ.م) أيده الله ونصره وأمده بمعونته إلى الشيخ الفقيه القاضي أبي القاسم بن الحاج...»	—
—	(م.ر.م) رقم 3	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	«طلبة» صنهاجة تاسغرت...	27 ربيع الأول 543	الإخبار بالرجوع من تينملل بعد لقاء وفد صنهاجة تاسغرت بالخليفة	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته إلى الطلبة الذين بصنهاجة تاسغرت والمشيخة والأعيان والكافة»	—

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م.ر.م) رقم 4	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	الشيخ أبو زكرياء يحيى [المسوفي]	9 ربيع الثاني 543	دخوله مع أهله في الطاعة للموحدين، فأثنى الخليفة عليه وعلى مسوفة بالصحراء	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ الأجل أبي زكرياء يحيى بن علي...»	—
—	(م.ر.م) رقم 5	نفس الكاتب	عبد المومن بمراكش	«طلبة» سبتة	—	الإعلام بخبر انتصار الموحدين في مرسى ألمرية وذكر حصار مالقة	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بسبتة وفقهم الله»	—
—	(م.ر.م) رقم 6	أبوجعفر ابن عطية	أمير المومنين بمراكش	إلى مشيخة قرطبة	2 صفر 544	الإخبار بوصول وفد قرطبة لتقديم البيعة	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ أبي فلان وجماعة المشيخة بقرطبة»	—
—	(م.ر.م) رقم 7	أبوجعفر ابن عطية	عبد المومن ببجاية	إلى شيوخ قسنطينة	24 جمادى الأول 547	دعوة أهل قسنطينة إلى الدخول في طاعة الموحدين	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيوخ والأعيان وجميع من بقسنطينة...»	—
—	(م.ر.م) رقم 8	أبوعقيل عطية بن عطية	عبد المومن ببجاية	«طلبة» تلمسان والموحدين بها	10 شعبان 547	الإخبار «بفتح قسنطينة وإنابة يحيى بن عبد العزيز صاحب بجاية بجاية إلى التوحيد»	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بتلمسانوجميع من فيها من الموحدين	—

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
7(م.ج)	فقهاء مالقا وأدباؤها (خ ح)	—	الشيخ أبو حفص الهنتاتي بفج قامرة	أهل مالقة	17 ربيع الأول 548	تأمين أهل مالقة وشكرهم على ثورتهم على ابن حسّون	بعد البسملة والتصلية «من عمر بن يحيى إلى الشيوخ والأعيان بمدينة مالقا....»	—
—	(م.ر.م) رقم 9	أبوجعفر ابن عطية	عبدالمومن بتلمسان	الطلبة والأشياخ بمراكش	1 ربيع الآخر 548	الإخبار بالانتصار في وقعة سطيف على العرب	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ أبي محمد وسنار وجماعة أصحابه الطلبة والمشيخة و...من أهل مراكش»	—
—	(م.ر.م) رقم 10 وصبح الأعشى 443/6 — 445	أبوجعفر ابن عطية	عبدالمومن بمراكش	ابن مردنيش (محمد بن سَعْد)	16 جمادى الآخرة 548	توجيه الدعوة لابن مردنيش للدخول في طاعة الموحدين	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ أبي عبدالله محمد ابن سعد وفقه الله»	—
—	(م.ر.م) رقم 11	—	[عبد المومن] من مراكش	—	[548—549]	حول ما أثاره أخوا المهدي من محاولة السيطرة على الحكم	«...وهذا كتابنا — كتب الله لكم ملء القلوب من الإضاءة والتنوير ...»	يلاحظ روفنصال أنها ناقصة البداية ورجّح أنها من انشاء أبي جعفر بن عطية
—	(م.ر.م) رقم 12	أبوجعفر ابن عطية	أ.م (عبد المومن) بمراكش	«طلبة» تلمسان	[548—549]	إعادة تقسيم طبقات الموحدين إلى ثلاث طبقات حسب أقدميتها في «التوحيد».	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بتلمسان أدام الله كرامتهم...»	الرسالة مبتورة في آخرها

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م.ر.م) رقم 13	أبوجعفر ابن عطية	أ.م عبد المومن برباط الفتح	«طلبة» سبتة و...	548 — 549	الاخبار بتعيين الأمير أبي عبد الله محمد وليّاً للعهد	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بسبتة وطنجة... وجميع من بهما من الموحدين والأشياخ والأعيان والخاصة والعامة»	—
—	(م.ر.م) رقم 14	أبوجعفر ابن عطية	أ.م عبد المومن برباط الفتح	«الطلبة» بسبتـة	12 ربيع الأول 551	التذكير بما تمّ من البيعة - بولاية العهد، والاعلام بتعيين بعض «السادة» على الولايات	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة بسبتة...»	—
8(م.ج)	العطـاء الجزيـــل 46 — 47	ابن عبد الحميد	—	أبو بكر بن توندوت الهسكوري	—	عتابٌ عليه بسبب ثورته، ودعوته إلى مراجعة طاعة الموحدين	«إلى أبي بكر أيقظ الله بصيرتـه... أما بعـد، فياليتك...»	راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الأول حول المكتوب عنه
—	(م.ر.م) رقم 15	أبوجعفر ابن عطية	أ.م (عبد المومن) بمراكش	الطلبة والأشياخ ... بسبتة	25جمادى الآخرة 551	الإشارة إلى تمرد زعيم موحدي وتوبة القبائل التي قامت معه	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بسبتة والأشياخ والأعيان والكافة بها»	—
—	(م.ر.م) رقم 16	أبو عقيل عطية بن عطية	أ.مْ (عبد المومن) بمراكش	الطلبـــة و... ببجاية	شعبان 552	«فتح ألمرية وبياسة وأبذة»	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة من أهل بجاية»	—

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م.ر.م) رقم 17	أبو عقيل عطية بن عطية	أ.م (عبد المومن) بمراكش	«الطلبة بفلانة»!	8 شوال 552	الإخبار بجولة في بلاد السوس وزيارة ضريح المهدي	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة بفلانة وأنظارها»	—
—	(م.ر.م) رقم 18	أبوالحسن بن عيّاش	(الخليفة عبد المومن) بمراكش	—	14رجب 553	الأمر بالتحفظ في «الأحكام» ومشاورة الخليفة قبل التنفيذ [ربما بالنسبة لأحكام الاعدام]	«أما بعد حمدِ الله الذي عمَّ بنواله وخصّ أهل ولايته بقبوله وإقباله، والصلاة...»	—
—	(م.ر.م) رقم 19	أبوجعفر ابن عطية	أ.م بظاهر المهدية	الطلبة و.... بأغرناطة	20 ذو العقدة 554	الأمر ببناء مدينة جبل طارق، وفتح قفصة..	«من (أ.م) أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته، إلى الطلبة والموحدين الذي بأغرناطة»	نسبت خطأً إلى أبي جعفر بن عطية مع أنه قتل قبل هذه المدة
9 م.ج	المن بالامامة 131—135، البيان (مقطع) (ص 39 — 40)	—	الخليفة (عبدالمومن) من ظاهر قسنطينة	ولده يوسف باشبيلية	[555]	الإخبار بانتهاء الحملة الافريقية والتحرك نحو الغرب	بعد البسملة والتصلية والعلامة «أعزكم الله، وجعلنا وإياكم...»	لا يوجد في صدر الرسالة الحمدلة والتصلية والترضية كما هي العادة في صدر الرسائل
—	(م.ر.م) رقم 21	أبو القاسم القالمي	أ.م (عبد المومن) من فحص متيجة	الطلبة و.... بفاس	24 ربيع الاخر 555	الإعلام بهزيمة عرب افريقية وتحرك بعض قبائلهم مع جملة الموحدين نحو الغرب	«من أمير المومنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والشيوخ والأعيان والكافة من الموحدين من أهل فاس»	—

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م.ر.م) رقم 23	—	أ.م (عبد المومن)	طلبة بجاية	3 ربيع الأول 556	(تعرف برسالة الفصول) التوصية بإقامة الحدود وحفظ الشرائع، وإظهار الحق بلزوم الواجبات	«من أمير المومنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين ببجاية»	منسوبة في المجموع الذي نقل عنه بروفنصال إلى أبي جعفر بن عطية
—	أخبار المهدي (بروفنصال) ص 13 — 17	—	الخليفة (عبد المومن)	الطلبة بجبل الفتح	—	تعرف برسالة الفصول وبعد العلامة يعنونها المؤلف هكذا: «رسالة للخليفة (رضه) في التنبيه والتعليم والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	«من أمير المومنين أيده الله بنصره، وأمده بمعونته إلى الطلبة الذين بجبل النصر والفتح»	الرسالة مبتورة الآخر وهي في محتواها نفس الرسالة السابقة (23) مع تغيير في الألفاظ أحيانا
10 م.ج	العطاء (الزوائد الملحقة بآخره)	قاضي الخلافة أبو موسى	الطلبة بفلانة	السيد أبو فلان ابن أمير المومنين	16 رجب 567!	الإخبار بانتصار قطعتين بحريتين موحديتين على أخريين أركونيتين ببحر تنس	«حضرة سيدنا المعظم الأسني أبي فلان بن سيدنا ومولانا أمير المومنين...»	انظر خصوصيات الرسالة في الفصل الثاني حول تاريخ الرسالة والسيد أبي فلان
11 م.ج	العطاء (44 — 45)	ابن مبشر	—	—		تقريع موجّه فيما يبدو إلى فرقة عسكرية منهزمة	«إلى أمة نجهت أفئدتهم وقلوبهم...»	الرسالة خالية من الدعاء للمهدي

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
12 م.ج	المن	أبوالحسن عبد الملك بن عياش	السيدان أبوحفص وأبوسعيد من ظاهر مرسية	الأمير* يوسف بمراكش	أواسط ذي الحجة 567!**	حول هزيمة ابن مردنيش وانحصاره بمرسية	بعد البسملة والتصلية «من عمر وعثمان ابني أمير المومنين إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية»	* قبل التسمية بأمير المومنين ** عن خطأ هذه السنة راجع خصوصيات الرسالة
13 م.ج	المن	أبو الحسن عبد الملك بن عياش	الأمير أبو يعقوب يوسف بمراكش	أخوه الأمير أبو سعيد بقرطبة	3 رمضان 561	النهي عن المنكر ومنع الحكم بالقتل قبل استشارة الأمير	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من أمير المومنين* يوسف بن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى... أخينا أبي سعيد...»	* لم يكن بعْد قد اتخذ هذه التسمية
—	(م.ر.م) رقم 24	أبوالحسن عبد الملك بن عياش	الأمير يوسف بمراكش	السيد أبو سعيد والشيخ أبو سعيد يخلف	—	— الاعلام بحركة الموحدين إلى المرتدين من صنهاجة — الاعلام بارسال عسكر إلى اشبيلية بقيادة السيد اسماعيل	«من الأمير يوسف بن (أم) أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته إلى الشيخ الأجل أخينا أبي سعيد.. والشيخ.. أبي سعيد يخلف ....»	
14 م.ج	المن	أبو الحسن عبد الملك بن عياش	الأمير يوسف بجبل الكواكب بغمارة	إلى أهل غرناطة	14 شوال 562	الإعلام بالانتصار على ثائر غمارة سبع ابن منخفاد	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من الأمير يوسف ابن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمدينة غرناطة»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
15 م.ج	المن	السيد أبو حفص*	السيد أبوحفص ابن عبدالمومن	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	14شوال 562	نفس الموضوع السابق	بعد البسملة والتصلية «من عمر بن أمير المومنين إلى الحافظ أبي عبد الله محمد ابن أبي إبراهيم»	* يشير صاحب المن إلى أن الرسالة كتبها أبو حفص عن نفسه
16 م.ج	المن	—	الأمير يوسف بمراكش	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	9 ذي الحجة 562	رسالة جوابية حول إبعاد قوات ابن مردنيش عن أحد الحصون شرقي غرناطة	بعد البسملة والتصلية «من الأمير يوسف بن أمير المومنين أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي ابراهيم والطلبة والموحدين بأغرناطة»	—
17 م.ج	المن	أحمد بن محمد !	أهل اشبيلية	الخليفة يوسف ابن عبد المومن	منتصف جمادى الثانية 563	بيعة أهل اشبيلية بمناسبة اسمية الأمير أبي يعقوب بلقب أمير المومنين	بعد البسملة والتصلية «الحمد لله الذي جعل الامامة قواما للحق ونظاما للخلق...»	—
18 م.ج	المن	—	أهل غرناطة	الخليفة يوسف أبو يعقوب	منتصف جمادى الآخرة 563	بيعة أهل غرناطة بمناسبة اسمية أبي يعقوب بـ «أمير المومنين»	بعد البسملة والتصلية «الحمد لله الذي جعل الامامة عصمة للدين، ونعمة سابغة منه تعالى للمسلمين»	الرسالتان أرسلتا معا
19 م.ج	المن	—	الشيخ أبو عبد الله الوالي بغرناطة	الخليفة أبو يعقوب	منتصف جمادى الآخرة 563	— نفس موضوع البيعة — الإعلام بوصول كتاب من الخليفة حول توجيه العساكر إلى الأندلس	بعد البسملة والتصلية الحضرة السامية الإمامية حضره سيدنا.. الخليفة.. المنصور بالله أمير المومنين ابن أمير المومنين...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
20 م.ج	المن	—	الخليفة أبو يعقوب يوسف بمراكش	«طلبة» غرناطة	12 شوال 563	الإعلام بوصول وفد البيعة من غرناطة ثم انصرافه من الحضرة	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من (أ.م) بن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة الذين بأغرناطة أكرمهم الله»	
21 م.ج	المن	—	الخليفة أبو يعقوب بمراكش	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	22 جمادى الآخرة 563	ـ الأمر بالتنسيق مع بقية ولاة الأندلس لمواجهة الأعداء الروميّين والمجسّمين	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من (أ.م) بن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الحافظ أبي عبدالله والموحدين الذين بأغرناطة»	
22 م.ج	المن	—	الخليفة أبو يعقوب بمراكش	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	3 رمضان 568	ـ رسالة جوابية حول انتصار الشيخ على قوات كرانده بوادي آش	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من (أ.م) بن (أ.م) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة الذين بأغرناطة	
23 م.ج	المن	—	السيد أبو حفص بمراكش	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	3 رمضان 568	نفس الموضوع	بعد البسملة والتصلية «من عمر بن (أ.م) إلى الشيخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي إبراهيم»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
24 م.ج	المن	أبو الحسن ابن عياش	الخليفة يوسف بمراكش	الطلبة والموحدون بالأندلس	21 ربيع الآخر 564	الإعلام بتوجيه عسكر الموحدين برئاسة الشيخ أبي حفص في انتظار جواز الخليفة بنفسه	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من (أ.م) بن (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين من الذين بجزيرة الأندلس	
25 م.ج	العطاء (الزوائد)	أبو القاسم القالمي	الخليفة يوسف بمراكش	الطلبة «الغزاة» بافريقية	غرة رجب 564	رسالة جوابية حول مراسلات الخليفة بشأن ـ الانتصارات الموحدية في المغرب والأندلس. ـ وحول المخطط المطلوب تنفيذه في افريقية	«من أمير المومنين بن (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة الغزاة بافريقية»	
26 م.ج	المن	ابن مصادق	السيد أبو اسحاق ابراهيم والي قرطبة	الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة	رمضان 564	الإعلام بما تمّ من «فيئة» ابن همشك إلى الموحدين	بعد البسملة والتصلية «الشيخ الأجل الحافظ الأعلى وليّنا في الله تعالى أبو عبدالله محمد بن أبي إبراهيم»	
—	(م.ر.م) رقم 25	أبو الحسن ابن عياش	الخليفة يوسف بمراكش	ابن سعد (ابن مردنيش)	أول رمضان 564	دعوة ابن مردنيش إلى التوحيد ترغيبا وترهيبا	«من (أ.م) بن (أ.م) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى أمير شرق الأندلس أبي عبد الله محمد بن سعد»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
27 م.ج	ـ العطاء (زوائد) ـ م.ر.م (22)	أبو الحكم بن* عبد العزيز ابن المرخي	الخليفة يوسف من اشبيلية	أهل مراكش	24 شعبان 568	الإعلام بالانتصار على جماعة فرسان آبلة قرب قلعة رباح	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته...»**	* في م.ر.م نسبت الرسالة إلى القالمي ** في م.ر.م الرسالة مبتورة البداية
28 م.ج	العطاء (زوائد)	أبوالحسن ابن زيد	الخليفة يوسف من اشبيلية	أهل مراكش	24 شعبان 568	نفس الموضوع	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان ... بمراكش»	
29 م.ج	العطاء (زوائد)	أبو الحسن ابن زيد	الخليفة يوسف من اشبيلية	أهل مراكش	[569]	الإعلام بالإتفاق مع وفدي قشتالة والبرتغال على عقد الهدنة، وكانت مبرمة من قبل مع ليون	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بمراكش»	
30 م.ج	العطاء (زوائد)	أبو الحكم ابن المرخي	الخليفة يوسف من داخل قفصة	أهل اشبيلية	عقب رجب 576	الإعلام بفتح قفصة بعد حصارها	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بمدينة اشبيلية»	
31 م.ج	العطاء (زوائد) ـ م. ر. م (20)	أبو علي بن نارار *	الخليفة يوسف من داخل قفصة	أهل اشبيلية **	عقب رجب 576	نفس الموضوع	نفس العبارة في العطاء، وفي م.ر.م : «من (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بقرطبة»	* نسبت في م.ر.م إلى ابن المرخي. ** في م.ر.م موجهة إلى أهل قرطبة

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م. ر. م) رقم 26	أبو الفضل ابن محشرة	عن الخليفة يوسف من تونس	أهل قرطبة	منتصف شوال 576	الإعلام بتحرك رياح للجهاد بالأندلس مع زعيمها مسعود بن زمام	«من (أم) بن (أم) أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بقرطبة	
32 م.ج	أماري: ديلومي (رقم 2)	—	(من حكومة بيش: أُبْلُده أركُ بيشة و...)	الخليفة يوسف	23 أبريل 6/1181 ذي الحجة 576	شكوى من نهب مركب للقمح من طرف مقدم طرابلس وسجن تجاره، المطلوب الالتزام بالعهد بين الطرفين	بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده إلى (أم) أيد الله أمره وأعز نصره معظمون مقامه...»	
33 م.ج	ديلومي (رقم 3)	—	مطران بيشة وحكومتها	الخليفة يوسف	1182/7/1 26 ربيع الأول 578	شكوى من انتهاك أحد العمال في بجاية لشروط الاتفاق بين الطرفين	«بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده إلى (أم) إمام الموحدين أبي يعقوب يوسف بن (أم) أيد الله أمرهم وأعز نصرهم معظمون مقامه».	
34 م.ج	العطاء (زوائد)	أبوالحسن القلنّي*	محمد بن (أم) بن (أم) من ظاهر يابرة	أهل مرسية	21 ربيع الآخر 580	الحديث عن الحملة الموحدية إلى وادي تاجه غربا ومعركة شنترين	«من محمد بن سيدنا (أم) ابن سيدنا (أم) أدام الله تأييد أمرهم إلى الطلبة والشيوخ والأعيان والكافة من أهل مرسية وجهاتها	* راجع خصوصيات هذه الرسالة في الفصل الثالث

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
—	(م. ر. م) رقم 27	أبو الفضل طاهر بن محشرة	الأمير يعقوب المنصور باشبيلية	أهل غرناطة	7 جمادى الأولى 580	الاعلام بتمام البيعة للأمير يعقوب (حسبما كان اقترحه الموحدون والعرب على أبيه يوسف) والمطلوب أخذ البيعة بغرناطة	«من الأمير يعقوب بن سيدنا (أم) بن سيدنا (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بأغرناطة».	
—	(م.ر.م) رقم 28	أبو الفضل طاهر بن محشرة	الخليفة يعقوب المنصور بمراكش	أهل اشبيلية	عقب شهر رمضان 580	ـ الأمر بمنع شرب الرُّبّ ـ الأمر بتوزيع الفطرة على الضعفاء (على يد القاضي)	«من (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية»	
—	(م.ر.م) رقم 29	أبو الفضل طاهر بن محشرة	الخليفة يعقوب بمراكش	أهل اشبيلية	5 ربيع الآخر 581	ـ الاعلام بتغلب الميورقي على جزء من افريقية. ـ الإعلام بحركة الموحدين وفتح بجاية وتجمّع الأشقياء بجهة قسنطينة	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية».	
35 م.ج	دبلومي رقم 5	—	الخليفة يعقوب المنصور	أهل بيشة وجهاتها	أوائل رمضان 582/ نوفمبر 1186	إمضاء اتفاقية سلام وتجار بين المنصور وحكومة بيش	بعد البسملة والتصلية والعلامة «الحمد لله المتعالي عن الأنداد والقرناء، المتقدس عن الصواحب والأحبّاء، المحيط علمه...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
36 م.ج	دبلومي رقم 7	—	السيد أبو زيد عبد الرحمن بن أبي حفص	جماعة تجار النصارى	583 — 588	«كتاب أمان للتجار البيشانيين للتردد على افريقية»	«كتاب أمان وتأكيد إحسان أمر بكتبه عبد الرحمن بن سيدنا أبي حفص بن سيدنا الخليفة الامام أمير المومنين إلى جماعة نصارى بيش»	
—	(م.ر.م) رقم 30	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	الخليفة يعقوب من ظاهر قابس	أهل مراكش	18 شعبان 583	الإعلام بالانتصار في معركة حمّة مطماطة قرب قابس على تحالف الأعراب والغز والميارقة	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بمراكش	
—	(م.ر.م) رقم 31	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	الخليفة يعقوب بظاهر قفصة	أهل تونس	2 رمضان 583	الاعلام بفتح بلاد الجريد إلى طرابلس وطاعة الأغزار، والذهاب لحصار قفصة.	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بتونس».	
—	(م.ر.م) رقم 32	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	عن الخليفة يعقوب من قفصة	أهل مراكش	13 ذو القعدة 583	الإعلام بإعادة فتح قفصة من يد الميورقيين وحلفائهم	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بمراكش»	
—	(م.ر.م) رقم 33	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	الخليفة يعقوب من منزل أبي سعيد	أهل مراكش	10 ربيع الأول 584	الاعلام بالحركة — بعد فتح قفصة — إلى المهدية وطاعة من حولها من سليم (عوف والشريد) والإعلام بالعودة إلى «الغرب»	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة بمراكش»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
37 م.ج	العطاء (ص 33 — 35)	أبو بحر صفوان ابن ادريس	عبد الرحمن ابن الخليفة يوسف بمرسية	ملك قشتالة	منتصف ذي الحجة 584	الجواب على كتابه الذي يدعوه فيه إلى خلع طاعة الموحدين	«من عبد الرحمن بن أمير المومنين بن أمير المومنين أيد الله أمرهم إلى اذ فونش ابن شنجة ملك قشتالة وطليطلة	
38 م.ج	صبح الأعشى 527/6 — 530	القاضي الفاضل	السلطان صلاح الدين الأيوبي	يعقوب المنصور	[585]	الاشارة إلى انتصارات صلاح الدين في الشرق، والاستنجاد بالموحدين لمواجهة الفرنج القاصدين بلاد الشام ومصر	«فتح الله بحضرة سيدنا أمير المومنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين أبواب الميامن...»	
—	(م.ر.م) رقم 34	أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة	الخليفة يعقوب .	أهل سبتة	26 جمادى الثانية 586	توقيع السلم مع قستالة، تجديده مع ليون، غزو أراضي البرتغال (إلى طُرُش وطُمار).	من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأعيان والأشياخ والكافة بسبتة».	
39 م.ج	كتاب الروضتين .	القاضي الفاضل	السلطان صلاح الدين الأيوبي	يعقوب بن يوسف (المنصور)	شعبان 586	الاستنجاد بأي طريقة ممكنة لدعم الأيوبيين ضد الأساطيل المسيحية	«بسم الله الرحمن الرحيم من الفقير إلى رحمة ربه يوسف بن أيوب، أما بعد فالحمد لله الماضي المشية الممضي القضية، البرّ بالبرية...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
40 م.ج	مخطوط الارسكوريال ديرانبورغ 488	—	أهل قرطبة	(إلى يعقوب المنصور)	ذو القعدة 588	بيعة أهل قرطبة بولاية العهد لمحمد بن المنصور	بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه (عقد البيعة المباركة السعيدة الأولى بولاية العهد...) «ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره...».	
41 م.ج	مخطوط الارسكوريال ديرانبورغ 488	—	[طلبة قرطبة]	(إلى يعقوب المنصور)	ذو القعدة 588	نسخة كتاب الطلبة والموحدين بقرطبة مصحوبة مع البيعة السابقة	(البسملة والتصلية) «الحضرة الامامية العلية المعظمة المكرمة السنية الطاهرة القدسية...».	
42 م.ج	العطاء (زوائد) 12 — 13	أبو الحسن القلنّي	أهل مراكش	الخليفة يعقوب بالأندلس	[591]	جواب على كتاب الخليفة المخبر بالنصر في «الأركو»	«الحضرة الامامية العالية المعظمة المكرمة المقدسة الطاهرة السامية حضرة سيدنا ومولانا....»	
—	(م.ر.م) رقم 35	أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن عياش	الخليفة المنصور باشبيلية	الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بفاس	9 رمضان 592	— رفض المنصور الاستجابة لرغبة قشالة في السلم، حصار طليطلة — عقد التحالف مع ليون ضد قستالة	«من (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والكافة بفاس وعملها»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
43 م.ج	الذيل س 6/ ترجمة ابن رشد	ابن عياش	المنصور	أهل مراكش وغيرها	593	نكبة ابن رشد	«..... وقد كان في سالف الأزمان قوم خاضوا في بحور الأوهام.....».	
44 م.ج	المخطوط الخاص 305 — 308	أبو الحسن ابن وضاح	طلبة اشبيلية والكافة من أهلها	الخليفة المنصور	[593— 594]	الإعلام بوصول كتاب الخليفة الذي يوضّح حقيقة الدين من كتاب الله وسنة رسوله	«الحضرة الامامية المعظمة المقدسة العلية، حضرة سيدنا ومولانا الامام الخليفة المنصور الناصر لدين الله...»	
45 م.ج	نفح الطيب 105/3	أبو الربيع سليمان والي سجلماسة	عن نفسه	ملك غانة	—	يستنكر تعويق التجار المغاربة بمملكة غانة	«... نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا في الأديان...»	من الصعب تأريخ الرسالة ولذا وضعت في آخر رسائل عهد المنصور
46 م.ج	ديلومي رقم 6	—	عبد الرحمن بن أبي الطاهر ناظر ديوان افريقية	حكومة بيش	27 ذي القعدة 596	— حول هجوم مسطّحين لبيشة على مراكب للمسلمين بخليج تونس — التذكير بتأمين من يصل من تجار بيش	بعد البسملة والتصلية «الأشياخ الأجلاء الكبراء الكرماء الأثراء الأرشفشك والقناصلة والحكام والأعيان من أهل بيشة	
47 م.ج	ديلومي رقم 9	—	السيد أبو زيد عبد الرحمن بن الخليفة من تونس	حكومة بيشة	عقب شهر ذي القعدة 596	— نفس الحادثة — المطلوب عقاب الجناة كما تفعل جنوة مع المعتدين — الخسائر عوّضت من البيشانيين بتونس	بعد البسملة والتصلية «من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة أمير المومنين إلى الارسفسك وحكام بيشة وقناصرة بحرها وأشياخهم وأعيانهم...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
48 م.ج	ديلومي رقم 8	—	يوسف بن محمد صاحب ديوان تونس والمهدية	التاجر باج البيشاني	596	ـ الإعلام بتوجيه كتاب أمان إلى تجار بيش ـ المطلوب افتكاك أسير من عائلة أحد موظفي الديوان	بعد البسملة والتصلية «الشيخ التاجر باج البيشاني هداه الله، كتبه إليك يوسف بن محمد...»	
49 م.ج	ديلومي رقم 10	—	ناصح بن عبد السلام (نيابة عن الناصر) بسبتة	حكومة بيشة	9 جمادى الأولى 597	ـ المطلوب ارسال من ينوب عن بيش للحضور لدى الخليفة عاجلا	بعد البسملة والتصلية «القناصلة والأشياخ والأعيان الذين ببيجة... مِن مُريد الخير لهم ناصح بن عبد السلام...»	
50 م.ج	ديلومي رقم 11	—	عبد الرحمن بن أبي الطاهر الناظر بديوان تونس	حكومة بيش	21 شعبان 597	ـ حادثة الاعتداء المذكورة. ـ تعويض الخسائر من البيشانيين بتونس ـ المطلوب تعويض هؤلاء من المعتدين	بعد البسملة والتصلية «الشيوخ الكبراء الأرشفسك والقناصلة الكبار وقناصلة البحر والأعيان بمدينة بيش....»	
51 م.ج	ديلومي رقم 12	—	عبد الرحمن بن أبي الطاهر الناظر بديوان تونس	حكومة بيش	آخر شعبان 597	ذكر أسماء الشهود على الحادثة المذكورة (وهم عدول الديوان وتراجمته وكاتبه وناظره)	بعد البسملة والتصلية «يقول شهداء هذا العقد: الذي نعلمه ونشهدُ به أن المسطحات...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
52 م.ج	ديلومي رقم 13	—	عبد الرحمن بن الخليفة بتونس	حكومة بيش	مستهل رمضان 597	تأييد مطالب البيشانيين بتونس للحصول على ما عوضوا به إخوانهم المعتدين	بعد البسملة والتصلية «من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة أمير المومنين إلى الارسفسك وقناصرة البروقناصرة البحر والأشياخ والكافة الذين ببيشة»	
53 م.ج	ديلومي رقم 21	—	أبو زيد عبد الرحمن بن الخليفة بتونس	حاكم بيشة والأشياخ والكافة	26 رجب 598	ـ التأكيد على تأمين تجار بيش. ـ التحذير من التعامل مع الثائر بالمهدية ابن عبد الكريم، والتحذير إلى حاكم إحدى جهات سردينيا	بعد البسملة والتصلية «من عبد الرحمن بن سيدنا الخليفة (أم) إلى الشيخ الأجل الأثير جراردو ألاسكنتُ حاكم بيشة والأشياخ والكافة الذين ببيشة»	
—	(م.ر.م) رقم 36	أبو عبد الله محمد بن عياش	عن الخليفة (الناصر) بمراكش	(غير مخصصة لأية جهة)	599 ـ 600	الإعلام بفتح الجزر الشرقية (ميورقة) والاستعداد لمطاردة الميورقيين بافريقية	«الحمد لله فاتح الاغلاق، ومانح الأعلاق، ممّد هذه الدعوة الامامية من السبع الطباق، وناصرها في البحار المرتجة القوارب النازحة الآفاق...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
54 م.ج	العطاء (زوائد) 25 و 28	أبو بكر بن عيسى	من اشبيلية	إلى الخليفة الناصر	600	جواب على رسالة مبشّرة (ربما بفتح ميورقة)	«الحضرة الامامية الخلافية المعظمة العلية الطاهرة القدسية الهادية المهدية السّنية السنيّة حضرة الخلافة... حضرة سيدنا... الناصر...»	
55 م.ج	العطاء (زوائد) 26 — 27 و22 — 24	أبو محمد بن حامد	«عبيد الحضرة»	الخليفة الناصر	600	تأديب بعض قائل عرب تامسنا وإعادة إقرارهم بتادلة مقرهم الأول	«الحضرة الامامية القدسية المطهرة العلية مهبط الرحمة وملجأ الأمة ومعدن البركة حضرة سيدنا ومولانا... الناصر»	
56 م.ج	العطاء (زوائد) ص 24	أبو الحسن ابن الفضل	والي اشبيلية	أهل الأندلس	602	الدعوة إلى استماع الناس إلى كتاب الخليفة المبشر بالنصر على شقي ميورقة	«... إليكم كتب الله لكم من البشائر ما يجدد آمالكم وأمانيكم ويعمرُ بالمسرَّات المستمرات ربوعكم ومغانيكم...»	
—	(م.ر.م) رقم 37	أبو عبد الله ابن عياش	عن الخليفة الناصر بمنزل الموحدين بظاهر المهدية	(غير مخصصة لأية جهة)	602	الاعلام بانتصار الموحدين على الميورقيين بتاجرا واستمرار حصارهم بالمهدية	«الحمد لله مُحقّ الحق بكلماته، ومبطل الباطل برغم دعاته، وناصر هذا الحزب في حركاته وسكناته»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
57 م.ج	ـــ الإحاطة 486/2 ـــ عنوان المرقصات (ترجمة ابن عياش)	أبو عبد الله ابن عياش	الخليفة بافريقية	إلى (الأمّة)	[602]	فصل من رسالة كتبها في نزول الناصر على المهدية برّا وبحرا واسترجاعها من يد الملثمين	«... ولما حلّلنا عرى السَّفر بأن حَلَلْنا حِمَى المهدية تفاءلنا...»	
58 م.ج	المخطوط الخاص 303 ـــ 305	أبو القاسم ابن عذرة	طلبة الجزيرة الخضراء	السيد أبو عمران ابن أبي موسى	9 رمضان 602	إظهار الوحشة بعد طول الغياب	«حضرة السيد الأجل المكرم الأسنى الهمام الأوحد الأمجد... أبو عمران ابن السيد... أبي موسى	لم يتضح ما إذا كانت رسمية أو إخوانية
59 م.ج	الاعتاب، ط. دمشق 103 ـــ 104 ومخطوط خ ع	أبو عبد الله ابن نخيل	الأمير أبو محمد عبد الواحد الحفصي	ـــ	منتصف صفر 604	الانتصار في واقعة شبرو بنواحي تبسّة على شقّي ميورقة وأتباعه وحلفائه	«...وقد انتصر الحق على الباطل ففرّق جموعَه، وأذهب بسطوته الغالبة... جميعَه»	
60 م.ج	المخطوط الخاص 342 ـــ 343	أبو العباس ابن جعفر	[الحضرة]	ـــ	[605]	جواب على رسالة مخبرة بتردد الموحدين على الغرب الأوسط ورحلتهم إلى أوطانهم	«... وإنه ورد على عبد الحضرة الإمامية العلية أيدها الله كتابها المعظم...»	
61 م.ج	الاعتاب، ط. دمشق 240 ـــ 245 ومخطوط خ ع	أبو عبد الله ابن نخيل	[عن الأمير الحفصي]	ـــ	سنة 606	الإخبار بالانتصار على ابن غانية في معركة وادي أبي موسى بجبل نفوسة	«... وإلى ذلكم وصل الله بالنجاح أسباب آمالكم وختم بالفلاح صحائف أعمالهم، فإن الموحدين...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
62 م.ج	ديلومي رقم 26	—	عبد الواحد الحفصي من تونس	كودفري صاحب بيش	28 ربيع الأول 607	حول تجديد السلم بين البلدين (الموحدين وبيش)	بعد البسملة والتصلية «إلى القنصر الأجل كدفري دَسَكُونت وفقه الله... من عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص...»	
63 م.ج	العطاء ص 53 — 54	أبو القاسم البلوي	من عبد الرحمن بن الخليفة والي جيان	ملك قشتالة وطليطلة وغشكونية	[607]	التحذير من انتهاك الهدنة والالحاح على معاقبة المعتدين	«من عبد الرحمن بن السيد الخليفة (أم) إلى ملك قشتالة وطليطلة وغشكونية تولّى الله كرامته... أما بعد حمد الله تعالى»	
64 م.ج	المخطوط الخاص 330 — 332	أبو العباس ابن جعفر	«عبد الحضرة» من اشبيلية	الخليفة الناصر	[607]	— الإخبار بقرب انتهاء أجل الهدنة. — الجواب على رسالة مخبرة بالحركة السّنية. — عبد الحضرة يطلب الاذن بالقدوم على الخليفة	«... وبعد حمد الله مُعلي كلمة التوحيد الفاتح لها الفتح القريب في المكان البعيد ذلك فضل الله يوتيه من يشاء...»	سنرمز للمخطوط الخاص بالرمز (م خ)
65 م.ج	م. خ ص 332	أبو العباس ابن جعفر	«عبد الحضرة» من اشبيلية	[الخليفة الناصر]	[607]	الاخبار بوصول كتاب الخليفة بمنح الاذن «للعبد» بالورود عليه	«...وبعد، وصل الله للحضرة الإمامية ما عوّدها من نصر أعلامها وإعلاء مقامها، وأوزع شكر إحسانها العميم وإنعامها فإنّ عبد نعمها...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
66 م.ج	م خ 332 — 333	أبو العباس ابن جعفر	«عبد الحضرة» من اشبيلية	[الخليفة الناصر]	[607]	الإخبار بتوجه المعني نحو الخليفة في أثر هذا الجواب	«... وبعد، وصل الله للحضرة الامامية أسباب السعود، ويسّر لها انجاز الفتح الموعود فإن عبيد نعمتها»	
67 م.ج	البيان خ ح وط. تطوان والروض المعطار	ابن عياش	الناصر بأندوجر	—	[608]	فصل من الرسالة معْلماً بفتح حصن شلبطرة	«...وهذا كتابنا إليكم من منزل الموحدين بمنزل أندوجر... وإلى هذا وفقكم الله وأوزعكم شكر نعماه»	
68 م.ج	البيان خ ح وط. تطوان	ابن عياش	الناصر [من اشبيلية]	—	أواخر صفر 609	الاعتذار عن الهزيمة في «العقاب»	«...وإلى هذا وفقكم الله وأعانكم على ما يحبه ويرضاه فإن صاحب قشتالة...»	
69 م.ج	صبح الأعشى 532/6 — 533	أبو الميمون!	«بعض أهل الدولة»	الناصر		استعطاف لإعادة «السّهام والمواساة»	«المقام الأعلى المقدس المكرّم الإمامي الطاهر الزكي مقام الخليفة المؤيد بنصر الله الامام الناصر...»	
70 م.ج	المخطوط الخاص 334 — 337	أبو العباس ابن جعفر	والي اشبيلية ابراهيم [ابن الخليفة يوسف]	إلى الخليفة الناصر	20 صفر 611	— الاخبار بوصول إبراهيم إلى «هذا الموضع» — الإشارة إلى غلاء ومجاعة سابقين واشتغال الناس حاليا بالزرع — الهدنة مستمرة	«الحضرة الإمامية القدسية العلية الطاهرة الزكية حضرة سيدنا الخليفة... ابن الخلفاء الراشدين..»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
71 م.ج	م خ 355 ـ 357	أبو العباس ابن جعفر	[والي اشبيلية إبراهيم ابن الخليفة يوسف]	الوزير	[أواسط 611]	ـ الإخبار بموت ملك قشتالة وقبله مساعده ـ أمن المنطقة والاستبشار بالحرث	«...وإلى هذا وصل الله سرّاءكم وضاعف نعماءكم فإنه قد أفصح لسان الزمان...»	
72 م.خ	م خ 348 ـ 349	أبو العباس ابن جعفر	[والي اشبيلية ابراهيم ابن الخليفة يوسف]	الوزير	[611ـ 612]	ـ هدوء البلاء ـ انتظار موسم حصاد جيد	«...وبركات الحضرة الامامية العلية أيدها الله تنسكب انسكاب الغمام...»	
73 م.ج	م خ 310 ـ 312	أبو العباس ابن جعفر	إبـراهيم	الخليفة [المستنصر]	[611ـ 612]	ـ هدوء الثغور وانتظار محصول جيد. ـ صلح غير ثابت بين قشتالة وليون	«الحضرة العلية الامامية المعظّمة المكرمة القدسية، المؤيدة المنصورة الزكية ـ مطلع الأنوار السامية...»	
74 م.ج	م خ 337 ـ 339	أبو العباس ابن جعفر	[إبراهيم من اشبيلية]	الخليفة [المستنصر]	[611ـ 612]	ـ الإخبار برسالة تنويه من الخليفة ـ البلاد في هدنة وكثرة الزرع. ـ تفرّق شمل الكفار والفتنة بينهم	«الحضرة الامامية القدسية المعظمة المكرمة المباركة العلية المؤيدة المنصورة الطاهرة الزكية مطلع الأنوار والأضواء ... حضرة سيدنا الخليفة»	
75 م.ج	م خ 345 ـ 347	أبو العباس ابن جعفر	إبـراهيم	[الخليفة المستنصر]	[611 ـ 612]	ـ خراب البلاد والهدنة قائمة ـ الفتنة بين الكفرة	«الحضرة الامامية القدسية المؤيدة المنصورة العلية المباركة الطاهرة الزكية مطلع الأنوار الباهرة للبشر...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
76 م.ج	المخطوط الخاص م خ 358 — 359	أبو العباس ابن جعفر	[عن الوالي باشبيلية]	[الخليفة المستنصر]	[611 — 612]	— الإعلام [بالفتنة] بين النصارى، وهذه بشائر واردة على الحضرة	«...وإلى هذا أورد الله على المقام الإمامي من البشائر أصدقها بيانا...»	
77 م.ج	العطاء ص 18	أبو القاسم البلوي	من والي اشبيلية إبراهيم بن الخليفة يوسف	إلى الوصي على عرش قشتالة	[612]	— الاخبار بوصول المفاوضين إلى اشبيلية الوزير ابن أبي الحجاج ابن مزاح وأبي إسحاق ابن الفخار	«من إبراهيم بن سيدنا (أم) ابن سيدنا (أم) إلى القومط الزعيم أربل بن القومط نونه»	
78 م.ج	المخطوط الخاص 315 — 318	أبو العباس ابن جعفر	من إبراهيم	الحضرة	[612]	— أمن البلاد ووفرة الأمطار — إضافة بطليوس... — حول اختيار وفد المفاوضة — الأمر بالاحتياط على المخازن	«مطلع الأنوار الهادية ومنشأ البركات المتضاعفة المتمادية ... أدام الله تأييدها...»	
79 م.ج	م خ 349 — 352	أبو العباس ابن جعفر	إبراهيم بن الخليفة يوسف	الوزير أبو سعيد ابن الشيخ أبي محمد ابن أبي إسحاق	[612]	— الإخبار بوصول خطاب الوزير المتضمن: — أوامر إلى كومية. — موضوع المفاوضات — الخبر الليوني — تقديم على بني رياح وقرّة مناف	«الشيخ الأجل الأعز الأكرم الأسنى الولي الأثير الأود الأخلص الأزكى الأفضل أبو سعيد بن الشيخ الأجل أبي محمد ابن الشيخ الأجل المرحوم أبي إسحاق...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
80 م.ج	م خ 352 ــ 353	أبو العباس ابن جعفر	إبراهيم	[الحضرة]	[611 ــ 612]	الإعلام بوصول الوفد النصراني إلى اشبيلية قادما من عاصمة الخلافة وخروجه إلى بلاده	«الحضرة الامامية القدسية العالية التي أنوارها مبسوطة ونعمها متوالية ومقاماتها بحُلى النصر والتأييد حالية...»	
81 م.ج	م خ 318 ــ 320	أبو العباس ابن جعفر	عبد الحضرة [إبراهيم]	الحضرة الامامية [المستنصر]	[611 ــ 612]	ــ الاستبشار بالرخاء ــ الجواب على رسالة خليفية تأمر «برعي السّلم مع صاحب قشتالة»	«...أمضى الله حدودها وأدام تأييدها وظاهر سعودها ووالى سموها...»	
82 م.ج	م خ 327 ــ 330	أبو العباس ابن جعفر	إبراهيم	أمير المومنين ابن الخلفاء الراشدين [المستنصر]	[611 ــ 612]	ــ انشغال الناس بالزراعة ــ ارتباط النصارى بالصلح ــ الثغور تشكو من الضيق والضعف وغلاء السعر	«الحضرة العلية المقام، القدسية التمجيد والإعظام السعيدة الليالي والأيام... حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام (أم) بن الخلفاء الراشدين..	
83 م.ج	صبح الأعشى 6/(446 ــ 447)	أبوالميمون!	المستنصر (من فلانة)	بعض نوابه (بالأندلس)	[611 ــ 612]	ــ استنكار الخليفة على (عامله) الذي خرق الهدنة مع النصارى	أما بعد حمد الله الآمر بالوفاء بالعهود والصلاة على سيدنا محمد...»	
84 م.ج	المخطوط الخاص 333 ــ 334	أبو العباس؟ ابن جعفر	[إبراهيم]	[المستنصر]	[611 ــ 612]	ــ الإخبار باستمرار حالة السلم مع النصارى ــ قتل المعتدي على النصارى ــ أخبار بسلم بين ليون والبرتغال	«...وإلى هذا وصل الله للحضرة القدسية ما عوَّدها من نصر أعلامها الخوافق.. فإن بركتها...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
85 م.ج	البيان المغرب ص 246	ابن عياش	الوزير أبو يحيى زكرياء ابن أبي زكرياء	ملكة قشتالة وطليطلة	6 رمضان 618	ــ تجديد الهدنة مع ملكة قشتالة	«...وقد انقلب إليكم رسولا منكم بماتتعرفونه في السلم المنعقد...»	
86 م.ج	المخطوط الخاص ص 310	أبو العباس ابن جعفر «شاعر هذا الزمان وكاتبه»	«العبد» [إبراهيم]	الحضرة الامامية [المستنصر]	ــ	الإعلام بامتثال «العبد» للأوامر المطاعة	«...فإنما يقطف المجد في نجد، ويلم الشعث ويجدد المبادرة إلى امتثال أوامره المطاعة وتمشية أغراضه العلية...»	أولى رسائله في هذه المجموعة ضمن المخطوط المجموع (الخاص)
87 م.ج	المخطوط (الخاص) 339 ــ 340	أبو العباس ابن جعفر	عبد الحضرة	الحضرة .	ــ	ــ الإعلام بصلاح البلاد ــ الاعلام بوصول كتاب الحضرة المتضمن للأوامر. ــ العبد يستنفذ وسعه في امتثال الأوامر المطاعة	«...كتب عبد الحضرة الامامية كتب الله لها ما عوّدها من الظهور، وافاضة النور، وبركات الحضرة الامامية...»	
88 م.ج	م خ 312 ــ 315	أبو العباس ابن جعفر	إبراهيم	الخليفة	ــ	ــ صلاح ورخاء بالبلاد ــ جواب على الخليفة حول تأمين الطرق وتأكيد الهدنة. ــ تبديد شمل المفسدين بأجناد بعثها المكتوب عنه	«الحضرة الامامية القدسية المؤيدة المنصورة العلية، خلّد الله أيامها ونصر أنصارها... عبدُها الطّائف بحرم جلالها...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
89 م.ج	م خ 340 ـ 342	أبو العباس ابن جعفر	[الوالي]	الخليفة	—	ـ البلاد في صلاح وأمن ـ جواب على رسالة الخليفة التي تحمل تأنيسا للوالي وكفه لمن تألم منهم	«...وبركات الحضرة الامامية، أيدها الله تغدو كما عرفت في حلة الجمال وتروح، وتبلو على ما ألفت من الكمال وتلوح..»	
90 م.ج	العطاء 167 ـ 169	أبو القاسم البلوي	إبراهيم بن الخليفة يوسف من اشبيلية	الوزير ابن جامع	—	تقديم شكوى من عيث «فلانة أصلحهم الله» مع تغافل مزوارهم	«الشيخ الأجل الأعز الأكرم الأسنى الولي الأثير الأود الأخلص الأزكى الأفضل أبو سعيد بن الشيخ الأجل أبي محمد بن الشيخ الأجل المرحوم أبي إسحاق أدام الله عزته... وليُّه...»	
91 م.ج	العطاء ص 169	أبو القاسم البلوي	[الوالي] باشبيلية	القائد أبو القاسم ابن مثنّى	—	تنبيه إلى عيث «فلانة أصلحهم الله»	«... وإلى هذا وصل الله عزتكم فإن من أهم ما يجب تبليغه وإنهاؤه...» (ويسترسل على نص التي قبلها)	
92 م.ج	العطاء ص 169 ـ 170	أبو القاسم البلوي	[الولي باشبيلية]	[الوزير]	20 محرم 612	عيث فلانة تسبب في فرار فلانة، أما فلانة فإنهم صبرُوا على الأذى ليجمعوا مزروعاتهم (تغافل مزوار فلانة)	«... وإلى هذا وصل الله عزتكم فإن مجلكم ينهي إليكم من شرح الحال ما هو أهم ما ينهى...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوب عنه	المكتوب إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
93 م.ج	العطاء ص 170 — 171	أبو القاسم البلوي	[الوالي باشبيلية]	[الوزير]	—	تكرار الشكوى من «فلانة»، وان الأحوال أصبحت تُخشى عاقبتها مع تصرفهم	«...وإلى هذا — وصل الله عزتكم فإن مجلكم ينهي إليكم من أحوال الرعية مع فلانة في هذا الوقت ما لا يسعه الكتم...»	
94 م.ج	مخطوط خاص 322 — 325	أبو العباس ابن جعفر	من إبراهيم [باشبيلية]	الخليفة أبو يعقوب [المستنصر]	—	— المفاتنة بين الأعداء — تقديم عبد الحضرة ابن عبدها على بني رياح وقرة مناف — تحذير كومية: مزوارهم وجماعتهم من عاقبة الاعتداء	«...حضرة الخلافة العلية، والامامة السعيدة السنية، مطلع الأنوار العاكفة ومنبع البركات الدارّة الواكفة...»	
95 م.ج	م خ 347 — 348	أبو العباس ابن جعفر	[الوالي]	[الحضرة]	—	— الاخبار بوصول كتاب الحضرة المتضمن نقل العرب إلى الأماكن القصيَّة. — العبد راسل الشيخ أبا العباس حول موعد خروجه للمهمة المطلوبة منه، جوابه مع هذا الجواب	«... وبركاتها أيدها الله تشرق أنوارها، وتبرق ابتسام الأيام السعيدة عنها وافترارها، ونعمها ينسكب مدرارها...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
96 م.ج	العطاء 7	أبو عبد الله ابن عياش	[الخليفة]	[والي اشبيلية]	13 شعبان 616 ! [612]	ـ استدعاء جند كومية من الأندلس قبل استدعاء العرب منها و«العمل واحد»	«...وإلى هذا، وصل الله توفيقكم وكرامتكم فمازلنا نرتاد لمن بقي في تلكم الجزيرة من غزاة الموحدين...»	
97 م.ج	العطاء (زوائد) 11 ـ 12	أبو عبد الله ابن عياش	الخليفة المستنصر بمراكش	إبراهيم بن الخليفة يوسف	21 ربيع الآخر 612	التبشير بمقتل الناجم ببلاد جَزولة	«من (أم) بن (أم) بن (أم) ابن (أم) بن (أم) أيدهم الله [بنصره] وأمدّهم بمعونته إلى الشيخ الأجل الأعز الأكرم أبي إسحاق بن سيدنا الإمام (أم) بن سيدنا...»	
98 م.ج	مخطوط خاص 325 ـ 327	أبو العباس ابن جعفر	إبراهيم عبد الحضرة	الخليفة (أم) بن الخلفاء الراشدين	[612]	* الاخبار بوصول كتاب الخليفة المتضمن: ـ حفظ المهادنة وتأمين الرعية. ـ الخبر عن مقتل الشقي الناجم بالقِبلة * الفتنة والحرب بين رؤوس الكفرة	«...مطلع الأنوار الهادية ومنشأ البركات الرائحة والغادية، ومثابة البُشر المتوالية المتمادية، أدام الله تأييدها وإعزاز نصرها...»	
99 م.ج	م خ 343 ـ 345	أبو العباس ابن جعفر	عبد الحضرة	[الخليفة]	[612]	ـ أحوال الجهات صالحة ـ الإشارة إلى الشقي الذي قُبض عليه. ـ البشرى بلّفها العبد...	«...وأحوال هذه الجهات ببركة الحضرة الامامية أيدها الله صالحة، ونعم الله بحسن التفاتها غادية عليها ورائحة»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
100م.ج	م خ 359 ـــ 362	أبو العباس ابن جعفر	[الوالي باشبيلية]	[وزير الخلافة العالية]	[612]	ـــ هدوء البلاد: مواسط وثغور. ـــ إشاعة الوالي سابقا لمقتل الشقي الناجم بجزلة كما خاطب بذلك الوزير	«...وبعد حمد الله مُعَوِّد أمره العزيز كل فتح جليل، المجدّد له كل صنع جميل...»	
101م.ج	م.خ 362	أبو العباس ابن جعفر	[الوالي باشبيلية]	[الوزير]	[612]	الإخبار بوصول البشرى بواسطة الكتاب الإمامي فوجهت نسخ منه إلى الجهات	«...فما لبث مجلّكم أن بث هذه البشرى في كافة الجهات والنواحي وأنفذ إليها نسخ الكتاب الكريم...»	آخر رسالة في المخطوط الخاص ومبتورة بحيث لم يبق منها غير ثلاثة أسطر
102م.ج	م.خ 357 ـــ 358	أبو العباس ابن جعفر	[عبد الحضرة] باشبيلية	[الوزير]	ـــ	ـــ عموم المسرّات ـــ التنويه بالوالي (المكتوب عنه) ـــ تخصيص مرتب للمحاسب الذي يستعين به	«...وبركات الحضرة الإمامية ـــ أيدها الله ـــ ضافية البرود، دائمة الورود جارية من الترادف والتضاعف على أكرم معهود»	
103م.ج	مخطوط خاص 320 ـــ 322	أبو العباس ابن جعفر	[إبراهيم]	[الخليفة]	ـــ	ـــ تقديم على بطليوس وثغرها «عبد الحضرة ابن عبدها» ـــ استسلام الكفار ـــ توالي الأمطار وكثرة الحرث والنسل	«...مطلع الأنوار الهادية ومنشأ البركات الرائحة (و) الغادية، ومجمع الرحمة الهامعة ومثابة الخيرات الجامعة... عبدُها...»	.

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
104م.ج	مخطوط خاص 353 ـ 355	أبو العباس ابن جعفر	[إبراهيم]	[الوزير]	—	ـ تحرك المقدم على بطليوس «عبد (المقام) ابن عبده»، مع الوصايا له ـ إشارة إلى محاولة الهدنة ـ الغيث المتتابع ينشط الرجاء	«...وبركات الحضرة الامامية أيدها الله يتوالى إلمامها، ونِعَمُها يَسُحُّ على العباد والبلاد غمامُها... وما تعلمونه وصل الله عزتكم..»	
105م.ج	العطاء 69 ـ 70	أبو عبد الله ابن عياش	الخليفة المستنصر	أهل الأندلس	21 رمضان 612	ـ تعيين خلف للوالي المتوفى السيد أبي إسحاق ابن الخليفة يوسف وهو أبو إسحاق بن المنصور	«...من (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته إلى جماعة الموحدين الذين باشبيلية والكافة من أهلها»	
105مكرر	«الكراسات التونسية» م/18 ع/69 ـ 70	[ابن عياش]	الخليفة المستنصر	رهبان بويبلات	20 ربيع الآخر 614	ظهير لهم لرعي ماشيتهم في بلاد المسلمين زمن الحرب أو السلم	«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم وعلى آله وسلم تسليما، والحمد لله وحده. هذا ظهير كريم أمر به أمير المومنين بن (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته لرهبان بوبلات التي بجهة لاردة»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
106م.ج	البيان ط تطوان 245 ـ 246	ـ	الخليفة المستنصر	الرعية عامة	10 ربيع الأول 617	ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحض على أداء الصلاة وقراءة الحزب والتوحيد بالمساجد والأسواق	«...وإلى هذا وصل الله توفيقكم فقد علمتم أن الدين هو الأساس الوثيق البناء	
107م.ج	ـ رسائل ابن عميرة خ ع ك/ 233 ـ صبح الأعشى 434/6	ابن عميرة	السيد أبو زيد بن محمد والي بلنسية	الخليفة المستنصر أبو يعقوب	[620]	ـ الاعلام برغبة أحد النبلاء الأركونيين اللجوء إلى البلاد الموحدية	«الحضرة الامامية العلية المنصورة الأعلام، الناصرة للإسلام، المخصوصة من العدل والاحسَان ما يجلو نورُه متراكم الإظلام...»	
108م.ج	خ ع جائزة 1981 الورقة 3 ـ 4	ابن عميرة	السيد أبو زيد بن محمد والي بلنسية	الخليفة عبد الواحد (المخلوع)	620 ـ 621	تقديم بيعة بلنسية على يد واليها السيد أبي زيد	«الحضرة الامامية العلمية ناصرة الايمان، ومجددة بهجة الزمان، القائمة بالعدل الموصلة إلى رضاء الرحمن...»	
109م.ج	البيان (تطوان) ص 249	ـ	الخليفة العادل	أهل الأندلس	622	الاعلام باستقرار الأمور له بالمغرب دون أن ينسى العزم على الجهاد	«...وأن تعلموا ـ رضي الله عنكم ـ أن الموحدين ـ أعزهم الله ـ لم يزالوا يتعرّفون في أوْبتهم هذه من التيسير والتسهيل...».	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
110م.ج	البيان 250 — 251 ط. تطوان	—	أبو العلى (المامون) والي اشبيلية	الخليفة العادل	ربيع الأول 623	حول هزيمته للبياسي	«الحضرة الامامية الطاهرة العلية، مقام الفضل الباهر، ومَقَرّ العدل المشتهر في البادي والحاضر»	
111م.ج	صبح الأعشى 531/6 — 532	أبوالميمون!	[والي اشبيلية]	الخليفة العادل	صدر جمادى الأولى [624]	حول تفحص حال عامل ثغر شقورة	«أطال الله بقاء أمير المومنين وناصر الدين والدنيا بفضله العميم...»	الرسالة في الأصل مؤرخة خطأ ب 525
112م.ج	ديلومي رقم 28	—	عمر بن أبي بكر الصابوني (بتونس)	حاكم بيش أبالْد بِسكونت	20 شوال 624	يطلب إنصاف أحد كبار التجار من اليهود التونسيين من مُدينيه البيشانيين	بعد البسملة والتصلية «الشيخ الأكرم المبجل البُسْتَات أُبالْدُ بِسْكونْت صاحب بيش...»	
113م.ج	البيان (266 — 267) الاحاطة 1/ (414 — 415)	(الخليفة) المامون	المأمون	أهل أندوجر	—	عتاب إلى أهل أندوجر	بعد الصدر «...إلى الجماعة والكافة من أهل فلانة...»	
114م.ج	بهجة الناظرين نسخ (خ ع) و (خ ح)	—	المامون ؟	شيخ بني أمغار	منسلخ شعبان 625	الإعلام بقرب العودة إلى البلاد بعد النصر على الكفار	بعد البسملة والعلامة «من عبد الله محمد الناصر أمير المومنين بن أمير المومنين ابن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره ومدهم بمعونته..»	الرسالة تحمل اسم الخليفة الناصر. انظر خصوصياتها في الفصل الرابع

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
115م.ج	خ.ع ك/233 ص 114 — 117	ابن عميرة	السيد أبو زيد والي بلنسية	الخليفة المأمون	[624 — 625]	الإعلام بفتحه حصن بشج واسترجاعه من يد الارغونيين	«...وبعد، فكتب كتب الله للمقام الإمامي المأموني العليّ سعودا تقضي دَيْن الفتح معجّلا...»	
116م.ج	خ ع جائزة الحسن الثاني 4502	ابن عميرة	السيد أبو زيد والي بلنسية	الخليفة المامون	[625 — 626]	الرسالة حول اضطراب شرق الأندلس والاعلام بالبقاء على الطاعة	«...فكتب العبد — كتب الله تعالى للمقام الامامي الماموني مضاء الحد وسعادة الجد من بلنسية...»	
117م.ج	البيان 262 — 264	أبو الحسن السرقسطي	يحيى (المعتصم) ابن الناصر	إلى الرعية	625	يدافع عن أحقيته بالخلافة	«بعد الصدر» «...والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والاستعانة به...»	
118م.ج	الاحاطة 413/1 — 414	الخليفة المامون	الخليفة المامون	إلى الرعية	في الإحاطة سنة 624 والاستقصا* سنة 628	حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	«...الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصليْن يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين...»	* الاستقصا 240/2
119م.ج	البيان 267 — 268 الحلل (164 — 165)	الخليفة المأمون	الخليفة المأمون	—	[626 — 627]	حول إلغاء رسوم المهدي	«من عبد الله إدريس بن (أم) بن (أم) بن (أم) إلى الطلبة والأشراف والأعيان والكافة ومن معهم من المومنين والمسلمين...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
120م.ج	البيان ص 280	ابن عبدون المكناسي	أهل مكناسة	الخليفة المأمون	سنة 629	رسالة استنجاد من أهل مكناسة إلى الخليفة المامون بسبب حصار القبائل لها	«...فالعبيد أيدكم الله هالكون لا محالة، وحياتهم في حيّز الاستحالة...»	
121م.ج	البيان ص 287 ـ 288	ـ	ـ	الخليفة الرشيد	[630]	بيعة من بعض القبائل إلى الخليفة الرشيد	«الحمد لله الذي شيّد بالأمانة أركان الإسلام، وحفظ بها دين محمد عليه السلام...»	غياب ذكر اسم المهدي
122م.ج	زواهر الفكر رقم 520 (الاسكوريال) لوحة 16 ـ 22	ـ	الخليفة الرشيد	الشيخ ابن غالب	العشر الأول من جمادى الاخرة 637	ظهير توقير إلى المسمى أبي بكر بن الشيخ المشرف أبي الحسن ابن غالب	«هذا ظهير كريم أمر به (أم) بن (أم).... ويسّره للشيخ القائد الأكرم...»	
123م.ج	ك/232 (رسائل ابن عميرة) ص (118 ـ 121) ـ وزواهر الفكر اسكوريال (لوحة 114 ـ 116)	أبو المطرف ابن عميرة	الخليفة الرشيد	أهل شرق الأندلس	21 شعبان 637	ظهير بالسّماح لأهل شرق الأندلس باستيطان رباط الفتح	«هذا ظهير كريم أمر به (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) بن (أم) أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته ويسّره للمنتقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة و...»	
124م.ج	ك/233 (رسائل ابن عميرة ص (237 ـ 238)	ابن عميرة	أهل سلا	إلى الخليفة الرشيد	[638-639]	جواب على «كتاب» الرشيد إلى أهل سلا حول وصول بيعة تلمسان	«الحضرة الامامية العلية المقدّسة الطاهرة المباركة السنية السعيدة المنصورة المؤيدة الرشيدية...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
125م.ج	البيان 378 — 379	ابن عبدون المكناسي	أهل مكناسة	الخليفة السعيد (المعتضد)	19 ذو الحجة 643	تجديد بيعة أهل مكناسة	«الحمد لله مقدّر الأمور، ومصرّف المقدور ومخرج عباده من الظلمات إلى النور، عالم السرائر ومنور البصائر...»	
126م.ج	هسبريس 1926	—	الخليفة المرتضى	البابا اينوصان : «إينُه سَانِس أُشْ»	18 ربيع الأول 648	حول موضوع اختيار ممثل أحسن وأكثر نزاهة للسهر على شؤون المسيحيين بالبلاد	بعد البسملة والتصلية والعلامة «من عبد الله عمر (أم) بن سيدنا الأمير أبي إبراهيم بن (أم) بن (أم) أيدهم الله تعالى بنصره وأمدهم بمعونته، إلى مُطاع ملوك النصرانية...»	
—	«رسائل ديوانية من سبتة» ص (109 — 111)	خلف الغافقي القبتوري	عن أبي القاسم العزفي صاحب سبتة	إلى السيد أبي إسحاق أخي المرتضى ووزيره	—	حول تهييء الجو لتقديم بيعة العزفي للخليفة المرتضى	«السيد الأجل الأعز أبو اسحاق بن سيدنا الأمير الطاهر المرحوم أبي ابراهيم ابن سيدينا الخليفتين... خديمهم... فلان...»	
—	«رسائل ديوانية من سبتة» ص (115 — 121)	خلف الغافقي القبتوري	عن أبي القاسم العزفي صاحب سبتة	الخليفة المرتضى	—	اقتراب نهاية أجل الهدنة مع قشتالة وطلب المعونة المالية لتسديد ما تطلبه قشتالة لتجديد الهدنة وعجزُ سبتة تجارياً	«الحضرة الكريمة العلية الامامية المباركة المؤمنية المرتضية الهادية المهدية... حضرة سيدنا... المرتضي لأمره...»	

رسائل م.ج	الرسائل الأخرى ومصادرها	كاتبها	المكتوبة عنه	المكتوبة إليه (هم)	تاريخها أو فترتها	موضوعها	مطلعها أو ما بقي منها	ملاحظات
126م.ج	«رسائل ديوانية» (125 — 127)	القبتوري	عن العزفي	ابن نصر سلطان غرناطة	—	— الإشارة إلى مصالحة مع المرينيين. — والتزامهم بالدفاع عن سبتة	«المقام المخصوص بأسنى صفات الفخر...»	في الرسالة الدعاء للمرتضى بعد ذكر المهدي مباشرة
127م.ج	البيان 425 — 426	—	الخليفة المرتضي	أبو القاسم العزفي أمير سبتة	3 ذوالقعدة 658	المرتضى يشكر العزفي على تحذيره لأهل السواحل من غدر النصارى رغم وقوع الحادثة بسلا	«... وانا كتبناه إليكم — كتب الله لكم أحمد عاقبة وأجملها وأكنف كلاءة وأكْلأها — وأن تعلموا أنا نعتدّ بولائكم الخالص...»	
128م.ج	البيان 449	—	السيد أبو موسى نيابة عن الخليفة الواثق	إلى المرتضى (بعد الانقلاب عليه)	[22 محرم — 22 صفر 665]	يسأل عن مكان دفن الأموال والذخائر ويحذّر من الانكار	«اقتضى نظر سيّدنا ومولانا الخليفة الامام الواثق بالله... (أم) أبي العلى بن سيدنا...»	
129 و130م.ج	البيان 450	المرتضي (بخط يده)	المرتضي (بخط يده)	إلى السيد أبي موسى	[22 محرم 22 صفر 665]	— ينكر معرفته لمخزون الأموال. — بوجّه بطاقة استعطاف للابقاء عليه	— «حفظكم الله تعالى وأبقاكم رحمة للرحم»... — «يا أخي — حفظكم الله — عسى بفضلكم تتلطّفوا عند مقام الرحمة...»	

ملاحظة : إن رسائل الملحقين الأول والثاني لم تدمج ضمن هذا الفهرس.

3 ـــ الفهارس والبيبليوغرافيا

فهرس الأعلام البشرية

(ابن)

(أبو)

ملاحظات : — يرتكز الترتيب المتّبع في هذه الفهارس على الأبجدية المغربية.

— تعبّر الأرقام الموضوعة في الفهارس عن أرقام الرسائل في «المجموعة الجديدة»، ويعبّر الرقم المسبوق بحرف (ت) عن التقاديم الملحقة بآخر المجموعة الجديدة، والرقم المسبوق بحرف (ش) عن رسائل الشكايات في الملحق الثاني.

— الرمز (ص 7 ي) يعبّر عن وجود الكلمة خارج نصوص «التقاديم»، فتكون الإحالة عليه في الفهارس برقم الصفحة بالمخطوط.

(أ)

(ب)

(*) اسمه وارد في تقديم كاتب الرسالة وليس في نصها.

فهرس القبائل والجماعات[1]

---

(1) راجع الهامش على فهرس الأعلام البشرية.

(*) كلمة كثيرة التكرار في رسائل مجموعة أماري

(ز)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ص)

(ع)

(غ)

(ق)

(س)

(ش)

(هـ)

فهرس الأعلام الجغرافية[1]

(1) راجع الهامش على فهرس الأعلام البشرية.

فهرس المصطلحات والكلمات الحضارية

ملاحظة : انظر الهامش على فهرس الأعلام البشرية.

(*) هذا الرمز يعني أن الكلمة واردة بكثرة في الرسائل.

(س)

(ش)

(و)

فهرس الرسائل «الجديدة»

مصادر ومراجع البحث[1]

المصادر[2] :

* ابن الأبار (محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي) ت 658[3] :
ــ إعتاب الكتّاب، ط دمشق، ومخطوط خ ع.
ــ التكملة لكتاب الصلة، ط مدريد (كوديرا)، وط القاهرة، وخ ح رقم 1411.
ــ الحلة السيراء، جزآن، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة 1963.
ــ المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار، (اقتضبه البلفيقي)، نشر إبراهيم الابياري 1957، وكان نشر بمجلة «المشرق» سنة 1941.

* ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين) ت 630 :
ــ الكامل في التاريخ، ط دار الكتاب العربي (الجزآن 8 و 9).

* الادريسي (محمد بن عبد الله الحسني السبتي) ت 564 :
ــ وصف افريقيا الشمالية والصحراوية (من نزهة المشتاق) ن، هنري بيريس الجزائر 1957.
ــ النشرتان الايطاليتان لنزهة المشتاق : الثالثة والخامسة.

* البكري أبو عبيد عبد الله (487) :
ــ كتاب المغرب في ذكر افريقية والمغرب، طبعتا 1857 و1965.

* البلوي (أبو القاسم أحمد بن محمد القضاعي) ت 657 :
ــ العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، خ ح / 6148/ (مخطوط).

(1) وردت بعض المصادر والمراجع في الهوامش بشكل محدود، فلم يرد ذكرها في هذه اللائحة.
(2) رتبت المصادر حسب الأبجدية المغربية للمؤلفين، وحسب الترتيب الأبجدي للمصادر المجهولة المؤلفين.
(3) سنوات الوفيات أخذت في معظمها عن الأستاذ المنوني في «المصادر العربية لتاريخ المغرب» ج/ 1. 1983 (وهي بالتاريخ الهجري).

* البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) :
— أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، ط الرباط 1971.
* التادلي (يوسف بن يحيى ابن الزيات) ت 627 :
— التشوف إلى رجال التصوف، الرباط 1958 (تحقيق أدولف فور)، الرباط 1984 (تحقيق أحمد التوفيق).
* التجاني (أبو عبد الله محمد التونسي) حي سنة 717 :
— رحلة التجاني، تونس 1958 (ن حسن حسني عبد الوهاب).
* ابن تومرت (محمد المهدي) ت 624 :
— أعز ما يطلب، خ ع/ ق 1214 (بالنسبة للرسالتين 2 و4 م ج).
* ابن جبير (محمد بن أحمد الكناني) ت 614 :
— رحلة ابن جبير (أو «تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار»)، دار الكتاب اللبناني — دار الكتاب المصري.
* الحموي (شهاب الدين ياقوت الحموي) ت 626 :
— معجم البلدان.
* الحميري (محمد بن عبد الله... ابن عبد المنعم) ت 726 :
— الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (1975).
* ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي) ت 776 :
— الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عنان، ط القاهرة.
— أعمال الأعلام... (القسم الاندلسي) خ ع/ 1552 د، والمنشور بعناية بروفنصال تحت عنوان «تاريخ اسبانيا الاسلامية».
* ابن خلدون (عبد الرحمن أبو زيد) ت 808 :
— كتاب العبر.... ن دار الكتاب اللبناني 1968.
* ابن خلدون (يحيى بن محمد الحضرمي، أخو المذكور قبله) ت 780 :
— بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد، جزآن، ن ألفرد بيل، الجزائر 1903 و1910.
* ابن خلكان (أحمد بن محمد : أبو العباس) ت 681 :

ــ وفيات الأعيان... تحقيق ا، عباس ــ دار صادر، بيروت (1969 ــ 1972).

* ابن دحية (أبو الخطاب عمر الكلبي السبتي) ت 633 :
ــ المطرب من أشعار أهل المغرب، ط، القاهرة 1954.

* الرعيني (أبو الحسن علي) ت 666 :
ــ برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق ابراهيم شبوح، دمشق 1962.

* ابن الزبير (أحمد بن ابراهيم الجياني) ت 708 :
ــ صلة الصلة، ن ليفي بروفنصال ــ الرباط 1938، وقطعة خاصة مرقونة (في ملك الأستاذ المنوني) عن نسخة دارالكتب المصرية (المجموعة التيمورية).

ــ الزركشي (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) حي سنة 894 :
ــ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ط حجرية وط تونس 1966 (تحقيق ماضور).

* ابن أبي زرع (ـــــ) القرن الثامن :
ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط دار المنصور الرباط 1973.

* الكتبي (ابن شاكر) ت 764 :
ــ فوات الوفيات، القاهرة 1951 (تحقيق محمد عبد الحميد).

* مـجـهـــول :
ــ الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، القاهرة 1958. (عاش مؤلفاه في القرن السادس)
ــ الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق زكار وغيره، ط البيضاء 1979. (عاش مؤلفه في القرن الثامن)
ــ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ط دار المنصور بالرباط 1972. (عاش مؤلفه في القرن الثامن)
ــ مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المومنية، ن بروفنصال، الرباط 1941.

ــ [مخطوط ضمن مجموع به رسائل موحدية] (مخطوط الأستاذ محمد المنوني).
ــ مفاخر البربر : مخطوط خ ع / ك، 1275 (مجموع) و د، 1020 (ثلاثة أجزاء).
ــ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ط دار المنصور، الرباط 1971. (القرن السادس)

* ابن المرابط (محمد بن علي المرادي) ت : 663 :
ــ زواهر الفكر وجواهر الفقر، شريط خ ع/ 1114، (عن مخطوط الاسكوريال رقم 250 غزيري).

* المراكشي (ابن عبد الملك الأنصاري) ت 703 :
ــ الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة :
س 1 تحقيق بنشريفة، س 4 و5 و6 تحقيق إحسان عباس، وس 8 تحقيق بنشريفة وس 8 مخطوط خ ع/ د، 3784 والمصور عنه بها د، 1705 (خاص بالغرباء).

* المراكشي (عبد الواحد التميمي) ت 625 :
ــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949.

* المقري (أبو العباس أحمد) ت 1041هـ :
ــ نفح الطيب... ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

* المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد) ت 845 :
ــ كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
ــ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1 ق 1 (تحقيق محمد زيادة)، القاهرة 1934.

* ابن مريم (محمد بن محمد المديوني التلمساني) حي 1014 :
ــ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق ابن شنب، الجزائر 1908.

* النباهي (أبو الحسن علي الجذامي) حي سنة 793 :

ـــ المرقبة العليا في القضاء والفتيا، نشره بروفنصال تحت عنوان «تاريخ قضاة الأندلس» 1948.

* النويري (أحمد بن عبد الوهاب التميمي) ت 732 :
ـــ نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر 22 تحقيق د. مصطفى أبو ضيف تحت عنوان «تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط»، الدارالبيضاء 1985.

* ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك الباجي) ت 594 :
ـــ تاريخ المن بالإمامة... تحقيق الأستاذ عبد الهادي التازي، بيروت 1965.
ـــ مخطوط أوكسفورد (نسخة مصورة عنه بالخزانة العامة تحت رقم 2649 د).

* الضبي (أحمد بن عميرة) ت 599 :
ـــ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس.

* ابن عذاري (أبو العباس المراكشي) حي سنة 712 :
ـــ البيان المغرب (المرابطي)، منشور على أساس أنه الجزء الرابع، ط بيروت.
ـــ البيان المغرب (الموحدي) الجزء الثالث، ط تطوان 1960 ـــ 1963 ونسخ الخزانة الحسنية 336 و777 و6158 و334 و2150 و5212 ونسخة خ ع/ ق 200.

* ابن العماد (عبد الحي الحنبلي) ت 1089 :
ـــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط القاهرة 1351هـ.

* ابن عميرة (أبو المطرف أحمد المخزومي الشقري) ت 658 :
ـــ رسائل ابن عميرة : قطعة من السفر الأول خ ع/ د، 4502 (مخطوط)، قطعتان من السفر الثاني خ ع/ ك 232 وك 233 (مخطوطان).

* ابن عسكر (محمد بن علي بن خضر الغساني) ت 636 :

ــ فقهاء مالقة وأدباؤها خ ح / 11055 (كان ابن عسكر أحد مؤلفي الكتاب).

* ابن غازي (محمد بن أحمد العثماني) ت 919 :
ــ الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، مطبعة الأمنية بالرباط 1952.

* الغبريني (أبو العباس أحمد البجائي) 714 :
ــ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الجزائر 1970.

* القرآن الكريم :
ــ المصحف المطبوع بالقاهرة سنة 1964 (مراجع من طرف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر).
ــ والمصحف المطبوع بدار المعرفة، بالدارالبيضاء.

* ابن القاضي (أحمد المكناسي) ت 1029هـ :
ــ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط 1974 (دار المنصور).

* القبتوري (خلف الغافقي) ت 704 :
ــ «رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي» تحقيق محمد الهيلة، الرباط 1979.

* ابن القطان (حسن بن علي الكتامي)، القرن السابع :
ــ نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د. محمود مكي، تطوان 1964.

* القلقشندي (أحمد بن علي الفزاري) ت 821.
ــ صبح الأعشى... الجزآن الخامس والسادس.

* ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) ت 673 :
ــ كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، بيروت 1970 (أعيد طبعه تحت عنوان : كتاب الجغرافيا).
ــ رايات المبرّزين وغايات المميّزين، ن كارسيا كوميث، مدريد 1942 (أعيد طبعه بالقاهرة سنة 1973).

ـــ عنوان المرقصات والمطربات (ط حجرية 1286هـ).
ـــ الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة، ط دار المعارف (ت الأبياري).
ـــ المغرب في حلي المغرب.

* السلفي (أبو طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني) ت 576 :
ـــ أخبار وتراجم أندلسية (من «معجم السفر»)، ن إحسان عباس، بيروت 1963.

* السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) ت 911 :
ـــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط القاهرة 1964 ـــ 1965.

ـــ أبو شامة الدمشقي (عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي) ت 665 :
ـــ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط القاهرة، 1287هـ.
ـــ الذيل على الروضتين أو «تراجم رجال القرنين 6 و7».

* ابن شدّاد (بهاء الدين) ت 632 :
ـــ النوادر السلطانية (منشور تحت عنوان «سيرة صلاح الدين الأيوبي» مع ذيل عليه).

* ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) ت 697 :
ـــ مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب، ن جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية 1953 ـــ 1957.

* الوزّان (حسن) ق 10هـ :
ـــ وصف افريقيا، ج 1، ط الرباط 1980.

* يحيى (؟) :
ـــ مخطوط به رسائل موحدية، بالخزانة الحسنية رقم 4752 (رسائل الملحق الأول).

المعــاجــم :

* البستاني : قطر المحيط.

* ابن منظور : لسان العرب.
* معلوف (لويس) : المنجد في اللغة.

المراجع العربية والمعرّبة :

* ابن عيد الله (عبد العزيز) :
ـــ البحرية المغربية والقرصنة (مقال بمجلة «تطوان»، سنة 1958 ـــ 1959).
* ابن شريفة (محمد) :
ـــ أبو المطرّف ابن عميرة (الرباط، 1966).
* جواد (مصطفى) :
ـــ المنصور الموحدي والناصر العباسي، صراع خفيّ (دعوة الحق، أبريل 1969).
* حمّوش (عبد الحق) :
ـــ القوة البحرية في الغرب الإسلامي بعد الفتح إلى قيام دولة الموحدين (دعوة الحق، ماي 1969).
* المنوني (محمد) :
ـــ المصادر العربية لتاريخ المغرب (الجزء الأول، البيضاء 1983).
* مصطفى أبو ضيف أحمد :
ـــ أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (البيضاء 1982).
* العباس بن إبراهيم (المراكشي) :
ـــ الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام.
* العروي (عبد الله) :
ـــ تاريخ المغرب (ترجمة قرقوط، بيروت 1977).
* عزالدين أحمد موسى :
ـــ النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري (بيروت 1983).

* عنان (محمد عبد الله) :
ـــ عصر المرابطين والموحدين (القاهرة 1965).
* الغربي (أحمد) :
ـــ الموحدون سادة البحر (مجلة دعوة الحق، يناير 1972).
* الفاسي (محمد) :
ـــ أبو جعفر ابن عطية (مقال بمجلة «الباحث»، السنة الأولى، المجلد الأول، سنة 1972 وزارة الثقافة «المغربية»).
* سعد زغلول عبد الحميد :
ـــ العلاقة بين صلاح الدين والمنصور الموحدي (مقال بمجلة كلية الآداب ـــ جامعة الاسكندرية، سنة 1953).
* اشباخ (جوزيف) :
ـــ تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تعريب : محمد عنان.
* أرشيبالد (لويس) :
ـــ القوة البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد عيسى، ط القاهرة 1960.
* لوتورنو (روجي) :
ـــ حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـــ تونس 1982.
* هوبكنز (ج، ف، ب) :
ـــ النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـــ تونس 1980.

مراجع أجنبيـة :

* AMARI (Michel) :
  - Diplomi Arabi dell'Archivio Fiorentino - 1863 T.1.

* BEL (Alfred) :
  – Les Banou Ghânya 1903 (Paris).
  – Contribution à l'étude de Dirhams Al mohade, Hespéris 1933 T. 16. f 1 – 2.

* BRUNSCHVIG (R) :
  - La berberie Orientale sous les Hafsides... (Paris 1940).
  – Cahiers de Tunisie : (Faculté des Lettres) T : XVIII – N 69 – 70, 1 – 2 tri, 1970.

* CATTENOZ (H – G) :
  - Tables de concordance des éres chrétienne et Hegirienne éd 1961.

* Cénéval (P) :
  - L'église Chrétienne de Marrakech au 13éme siècle. Hespéris 1927 1er tri.

* Dozy :
  - Recherches sur l'histoire et la littérature dans l'Espagne musulmane pendant le moyen âge. T2. 1965.
  – suplément au dictionnaires arabes éd 1968.

* DUFOURCQ (Ch.E) :
  - L'Espagne Catalane et le Maghrib Au 13éme et 14éme siècle. Paris 1966.
  – La question de Ceuta au 13éme S. (Hespéris 1955 – 1 – 2 Tri.).
  – Les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du 13éme siècle.

(بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب بالجزائر ع/ 5، يوليوز 1968).

* Le Tourneau (R) :
  - La révolte des frères d'Ibn Toumart de 1153 à 1956.
  - Mélanges d'histoire et d'Archéologie de l'occident musulman T 2. (G. MARÇAIS).

* MASCARELLO :
  - Quelques aspects des activités Italiennes dans le Maghrib médieval.

(بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب بالجزائر ع/5، يوليوز 1968).

* MAS–LATRI (DE) :
  - Relations et commerce de l'Afrique septentrional ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge. Paris 1886.
  - Traités de paix et de commerce et documents divres concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrional au moyen âge, Paris 1866.

* MERAD ALI :
- Abd Al – Mu'min à la conquête de l'Afrique du nord... (Annales de l'institut d'études orientales. Alger 1957).

* MIRANDA (A.H) :
- AL – ARK, Ensyclopédie de L'Islam, Tome 1 Ed. 1975.
– La campaña de Alarcos.

(مقال بمجلة المعهد المصري للدراسات الأسلامية بمدريد 1954).

– Historia politica del Ampério Almohade Tetuan, 1956 – 1959.

* MONTAGNE (R) :
- Les berbères et le Makhzen dans le sud marocain – Paris 1930.

* NEVIL BARBOUR :
- The influence of sea Power on the History of Muslim spain.

* PROVENÇAL (Levi) :
- «Trente-sept lettres Almohades officielles» Hespéris T. 29. 1941 (Unique).

(دراسة لـ«مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المومنية»).

* TORRES : (Barcelo) :
- El Sayyd Abu Zayd, principe musulman, señor cristiano.

(مقال بمجلة «أوراق» ع 3/ 1980 ـــ المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد).

فهرس المواد



الإيداع القانوني رقم 1995/1249



Université Ibn Tofail
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Kénitra

Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Kénitra
Série : Textes et documents
N° 2

NOUVELLES LETTRES ALMOHADES

Edition annotée et commentée par

Ahmed AZZAOUI

Tome I